تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

□ **تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
تأليف : الإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي
تحقيق : مجموعة من الباحثين - بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية
الطبعة المحققة الأولى : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

قياس القطع : ١٧ × ٢٤

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
ص.ب ٤٢٢ الدوحة
البريد الإلكتروني : turathuna@islam.gov.qa





تفسير ابن عطية

المحرر الوجيز

مختصر

في تفسير الكتاب العزيز

للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي

تحقيق

مجموعة من الباحثين

بإشراف

إدارة الشؤون الإسلامية

الجزء التاسع

من أول تفسير سورة محمد ﷺ حتى نهاية سورة المزمل

إصدارات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر


بسم الله الرحمن الرحيم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سُورة القتال(١)

هذه السُّورة مدنيَّة بإِجماع، غير أَنَّ بعض النّاس قال في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ ﴾ [محمد: ١٣] الآية: إِنَّها نزلت بمكَّة في وقت دخول النَّبيِّ فيها عام الفتح، أَو سنة الحديبيَة، وما كان مثل هذا فهو معدود في المدنيِّ؛ لأَنَّ المراعَى في ذلك إِنما هو ما كان قبل الهجرة أَو بعدها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ٣ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيَة؛ إِشارةٌ إِلى أَهل مكَّةَ الَّذين أَخرجوا رسول ﷺ.

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآيَةَ؛ إِشارةٌ إِلى الأَنصار أَهل المدينة الَّذين آووه، وفي

(١) في المطبوع: «سورة محمّد ﷺ».

الطَّائفتين نزلت الآيتان[١]، قاله ابن عبّاس[٢]، ومجاهد[٣].

ثمَّ هي بعد تعم كلّ من دخل تحت أَلفاظها.

وقوله: ﴿وَصَدُّواْ﴾ يحتمل أَن يريد الفعل المجاوز؛ فيكون المعنى: وصدُّوا [غيرهم. ويحتمل أَن يكون الفعل غير متعدٍّ؛ فيكون المعنى: وصدُّوا][٤] أَنفسهم.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: شرعه وطريقه الَّذي دعا إِليه.

وقوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أَي: أَتْلفها، لم يجعل لها غاية خير ولا نفعاً.

وروي: أَنَّ هذه الآية نزلت بعد بدر، وأَنَّ الإِشارة بقوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ هي إِلى الإِنفاق الَّذي أَنفقوه في سفرتهم إِلى بدر.

وقيل: المراد بالأَعمال: أَعمالهم البَرَّة في الجاهلية من صلة رحم ونحوه. واللَّفظ يعمُّ جميع ذلك.

وقرأَ النّاس: ﴿نُزِّلَ﴾ بضمِّ النّون وشدّ الزَّاي[٥]، وقرأَ الأَعمش: (أَنْزَلَ) مُعدَّى بالهمزة[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾، قال قتادة: معناه: وأَصلح حالهم[٧].

---

(١) في المطبوع: «الآية»، وفي السليمانية: «الآيات».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ١٨٠-١٨١)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٥٧) من طريق عبيد الله ابن موسى، عن إسرائيل، عن أبي يحيى القَتَّات، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه بنحوه، وأبو يحيى القتات الكوفي، هو زاذان: ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٢).

(٤) ليس في نجيبويه.

(٥) في أحمد٣: على الفعل المجهول.

(٦) وهي شاذة، عزاها له أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤٥٩)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٣٤٨) لابن أبي عبلة، وزاد: «نزَّل» لابن مقسم، وزيد بن علي، و«نزَلَ» لأبي البرهسم، وكلها شاذة.

(٧) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٢).

وقال ابن عبّاس: أَمرهم[١]، وقال مجاهد: شأْنهم[٢].

وتحرير التّفسير في اللَّفظة: أَنَّها بمعنى الفكر والموضع الَّذي فيه نظر الإِنسان وهو القلب، فإِذا صلح ذلك فقد صلحت حاله، فكأَنَّ اللَّفظة مشيرة إِلى صلاح عقيدتهم، وغيرُ ذلك من الحال تابع[٣]، فقولك: خطر في بالي كذا، وقولك: أَصلح الله بالك، المراد بهما واحد، ذكره المبرِّد[٤].

و«الْبَالُ» مصدرٌ؛ كالحال والشَّأَن، ولا يستعمل منها فعل، وكذلك عُرفه أَلَّا يُثَنَّى ولا يُجمع، وقد جاءَ مجموعاً لكنَّه شاذٌّ؛ فإِنَّهم قالوا: بالات[٥].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، الإِشارةُ إِلى هذه الأَفعال الَّتي ذكر الله أَنَّه فعلها بالكفَّار وبالمؤمنين.

و﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾: الشَّيطان وكلَّ ما يأْمر به، قاله مجاهد[٦].

و﴿ٱلْحَقَّ﴾ هنا: هو الشَّرع ومحمد عليه السلام.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [إشارة إِلى الاتِّباع المذكور من الفريقين؛ أَي: كما اتَّبعوا على هذين السبيلْين، كذلك][٧] يُبيِّن أَمر كلِّ فرقة، ويجعل لها ضرباً من القول وصنفاً.

و«ضربُ الـمَثَل»: مأْخوذ من الضَّريب والضَّرب؛ الَّذي هو بمعنى النوع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ

(١) ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٨٠-١٨١)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٤٥٧) بالإسناد السابق، وهو ضعيف. ووقع في الأصل: «وقرأ».
(٢) تفسير مجاهد (ص: ٦٠٤)، وتفسير الطبري (٢٢/ ١٥٢).
(٣) في أحمد٣: «سائغ».
(٤) نقله القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٢٤).
(٥) في أحمد٣: «بالان».
(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٣).
(٧) ليس في الأصل.

قَٰتَلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾﴾.

قال ابن عبّاس[1]، وقتادة، وابن جريج، والسُّديُّ، والضَّحّاك: إِنَّ هذه الآية منسوخة بآية السَّيف الَّتي في (براءَة): ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، وإِنَّ الأَسر والمنَّ والفداءَ مرتفع، فمتى وقع أَسْرٌ فإِنَّما معه القتل ولا بد[2]، وروي نحوه عن أَبي بكر الصِّديق[3].

وقال ابن عمر[4]، وعمر بن عبد العزيز، وعطاءٌ ما معناه: إِنَّ هذه الآية محكمة مُبيِّنة لتلك، والمنُّ والفِداءُ ثابت[5].

وقد منَّ رسول الله ﷺ على ثُمامةَ بن أُثال[6]، وفادى أَسرى بدر[7]، وقاله

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٨٥) من طريق عطية العَوفي، عن ابن عباس في قوله ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾.. إلى آخر الآية، قال: الفداء منسوخ، نسختها: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾... إلى ﴿كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾ قال: فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا حرمة بعد براءة، وانسلاخ الأشهر الحرم.

(٢) انظر قولهم في: تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٣)، وقول الضحاك فيه (٢٢/ ١٥٤)، وقد سقط من الأصل، وزاد في السليمانية: «الحسن».

(٣) منقطع، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٣٩١) عن معمر، وفي تفسيره (٢/ ٢٢٠)، وأبو عبيد في «الأموال» (٣٥٢)، من طريق معمر، عن عبد الكريم بن مالك الجزري قال: كُتب إلى أبي بكر رضي الله عنه في أسير أُسر، فذكر أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا، فقال أبو بكر: اقتلوه، لَقتلُ رجل من المشركين، أحبّ إليّ من كذا وكذا. وعبد الكريم بن مالك الجزري ثقة متقن من الذين عاصروا صغار التابعين، ولم يدرك أحداً من الصحابة.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٩٤٦)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ١٨٥-١٨٦) من طريق شعبة، عن خليد بن جعفر الحنفي، عن الحسن قال: أتي الحجاج بأسارى، فدفع إلى ابن عمر رجلاً يقتله، فقال ابن عمر: ليس بهذا أُمرنا، قال الله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾.

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٦).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤).

(٧) قصة أسرى بدر: أخرجها مسلم (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الحسن، وقال: لا يقتل الأَسير إِلَّا في الحرب، يُهَيَّب بذلك على العدوِّ[١].

وكان عمر بن عبد العزيز يفادي رجلاً برجل، ومنع الحسن أَن يُفادوا بالمال، وقد أَمر عمر بن عبد العزيز بقتل أَسير من التُّرك / ذُكر له أَنَّه قتل مسلمين[٢]. [٥/ ٩٨]

وقالت فرقة: هذه الآية خصّصت من الأُخرى أَهل الكتاب فقط، فيهم المنُّ والفداءُ، وعُبَّادُ الأَوثان ليس فيهم إِلَّا القتل.

وعلى قول أَكثر العلماءِ: الآيتان مُحكمتان.

وقوله هنا: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ بمثابة قوله هناك: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾.

وصرَّح هنا بذكر المنِّ والفداءِ، ولم يصرِّح به هنالك، [وهو مرادٌ متقرِّرٌ][٣]، وهذا هو القول القويُّ.

وقوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ مصدر بمعنى الفعل، أَي: فاضربوا رقابهم، وعيَّن من أَنواع القتل أَشهره وأَعرفه فذكره، والمراد: اقتلوهم بأَي وجه أَمكن، وقد زادت آية أُخرى: ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، وهي مِنْ أَنْكَى ضربات الحرب، لأَنَّها تعطل من المضروب جميع جسده؛ إِذ البَنَانُ أَعظم آلة المقاتل وأَصلها.

و﴿أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ معناه: بالقتل.

و«الإِثْخَانُ» في القوم: أَن يكثر فيهم القتلى والجرحى، والمعنى: فشدُّوا الوثاق بمن لم يقتل ولم يترتب فيه إِلَّا الأسر[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٦).

(٢) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٠٢)، وتفسير الطبري (٢٢/ ١٥٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٩)، والأوسط لابن المنذر (١١/ ٢٢٦).

(٣) في المطبوع: «وهو أَمرٌ مقرَّر»، مع الإشارة للنسخة الأخرى. وفي نجيبويه والسليمانية: «مراد مقرر».

(٤) في السليمانية: «ولم يترقب فيه الأسر».

و﴿مَنًّا﴾ و﴿فِدَآءً﴾ مصدران منصوبان بفعلين مضمرين.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فِدَآءً﴾، ممدوداً، وقرأ شِبْل عن ابن كثير: (فِدًى)، مقصوراً[١].

وإِمام المسلمين مخيَّرٌ في أسراه في خمسة أَوجه: القتل، أَو الاسترقاق، أَو ضرب الجزية، أَو الفداءُ، أَو المن.

ويترجَّح النّظر في أَسير أَسير، بحسب حاله من إِذاية المسلمين أَو ضدّ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ معناه: حتى تذهب وتزول أَثقالها.

و«الأَوزار» جمع وزر[٢]: الأَثقالُ فيها والآلات لها، ومنه قول الشاعر عمرو بن مَعدي كَرِب الزُّبَيديِّ:

[المتقارب]

وَأَعْـــدَدْتَ لِلْـحَـرْبِ أَوْزَارَهَـــا رِمَـاحـاً طِوَالاً وَخَيْـلاً ذُكُورا[٣]

وقال الثَّعلبيُّ: قيل: الأَوزار في هذه الآية: الآثام، جمع وِزْر؛ لأَنَّ الحرب لا بد أَن يكون فيها آثام في أَحد الجانبين[٤].

واختلف المتأَوِّلون في الغاية الَّتي عندها تضع الحرب أَوزارها:

فقال قتادة: حتى يسلم الجميع، [فتضع الحرب أَوزارها][٥].

وقال حُذَّاق أَهل النَّظر: حتى تغلبوهم وتقتلوهم.

وقال مجاهد: حتى ينزل عيسى ابن مريم[٦].

---

(١) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٤١)، والبحر المحيط (٩/ ٤٦١).

(٢) «جمع وِزْر» زيادة من المطبوع ونجيبويه.

(٣) لم أجد من نسبه له، وإنما هو للأعشى، يمدح هَوْذَةَ بن عليٍّ الحنفي، انظر: العين للخليل (٧/ ٣٨١)، والسلاح للهروي (ص: ٣٠)، والمعاني الكبير (٢/ ٩٢٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٣١٧)، وتهذيب اللغة (١٣/ ١٦٧)، ومقاييس اللغة (٦/ ١٠٨).

(٤) انظر معناه في: تفسير الثعلبي (٩/ ٣٠).

(٥) ليس في أحمد٣.

(٦) تفسير مجاهد (ص: ٦٠٤)، وتفسير الطبري (٢٢/ ١٥٧).

قال القاضي أَبو محمد: وظاهر [الآية أَنَّها][1] استعارة يراد بها التزام الأَمر أَبداً، وذلك أَنَّ الحرب بين المؤمنين والكافرين لا تضع أَوزارها، فجاءَ هذا اللَّفظ كما تقول: أَنا أَفعل كذا وكذا إِلى يوم القيامة؛ فإِنَّما تريد أَنك تفعله دائماً.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ تقديره: الأَمر ذلك، ثمَّ قال: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾؛ أَي بعذاب من عنده يهلكهم به في حين واحد، ولكنَّه تعالى أَراد[2] اختبار المؤمنين، وأَن يبلو بعض النّاس ببعض.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿قَاتَلُوا﴾.

وقرأَ عاصم الجحدريُّ بخلاف عنه: (قَتَلُوا) بفتح القاف والتّاءِ[3].

وقرأَ أَبو عمرو، وحفص عن عاصم، والأَعرج، وقتادة، والأَعمش: ﴿قُتِلُوا﴾ بضمِّ القاف وكسر التَّاءِ[4].

وقرأَ زيد بن ثابت، والحسن، والجحدريُّ، وعيسى، وأَبو رجاءٍ [(قُتِّلوا) بضم القاف وكسر التاء وشدها][5]، والقراءَة الأُولى أَعمُّها وأَوضحها معنى.

وقال قتادة: نزلت هذه الآية فيمن قُتل يوم أُحد [من المؤمنين][6].

وقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾؛ أَي: إِلى طريق الجنَّة، وقد تقدَّم القول في إِصلاح البال.

---

(١) في نجيبويه وأحمد٣ والسليمانية: «اللفظ».

(٢) زاد في السليمانية: «بذلك».

(٣) في المطبوع والسليمانية: «عاصم والجحدري»، على أنهما شخصان. وكأنها في أحمد٣، وهي شاذة، انظر: شواذ القراءات للكرماني (ص:٣٤٨).

(٤) في نجيبويه زيادة: «وشدها»، وهي خطأ. والقراءة الأولى والثالثة سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٠٠)، والتيسير (ص: ٢٠٠).

(٥) في المطبوع وأحمد٣: «هكذا وشدَّدوا التَّاءَ»، وفي نجيبويه بدله: «كذلك»، وسقط من الأصل قوله: «عيسى»، وهذه القراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٤١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٠٦)، والبحر المحيط (٩/ ٤٦٣).

(٦) ليس في المطبوع. وفي السليمانية: «المسلمين»، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١٥٩).

وقد روى عبّاس، عن المفضل، عن أَبي عمرو: (يُدْخِلْهُمْ) بسكون اللاّم، وفي (سورة التَّغابن): (يوم يجمعْكم) [التغابن: ٩]، وفي (سورة الإنسان): (إنما نطعمْكم) [الإنسان: ٩] بسكون الطّاءِ والميم[١].

وقوله تعالى: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾، قال أَبو سعيد الخدريُّ[٢]، وقتادة، ومجاهد: معناه: بيَّنها لهم[٣]؛ أَي: جعلهم يعرفون منازلهم منها.

وفي نحو هذا المعنى قول النَّبيِّ ﷺ: «لَأَحدكم بمنزله في الجنَّة أَعرف منه بمنزله في الدُّنيا»[٤].

وقالت فرقة: معناه: سمَّاها لهم ووسمها[٥]، كلّ منزل باسم صاحبه، فهذا نحو من التَّعريف.

وقالت فرقة: معناه: شرَّفها لهم ورفعها وعلَّاها، وهذا من الأَعراف الَّتي هي الجبال وما أَشبهها، ومنه: أَعراف الخيل.

وقال مُؤَرِّجٌ وغيره: معناه: طيَّبها[٦]، مأْخوذ من العَرْف، ومنه: طعامٌ معرَّف؛ أَي: مُطَيَّب، وعرَّفت القِدْر؛ أَي: طيَّبْتها بالملح والتابل.

---

(١) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (٩/ ٤٦٣)، وفيه: «عياض عن أبي عمرو»، ولم أجد لغيرهما إلا (نطعمكم) وستأتي في محلها. وفي الأسدية٣: «عباد» مع الإشارة للنسخة الأخرى، وفي المطبوع ونجيبويه وأحمد٣: «بن الفضل»، وفي السليمانية: «روي عن عباس بن المفضل».

(٢) أخرج البخاري (٦٥٣٥) عن أبي المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفسي بيده! لأحدهم أهدى لمنزله في الجنة من منزله الذي كان في الدنيا».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦٠) بالمعنى، وانظر: تفسير مجاهد (ص: ٦٠٥).

(٤) هو حديث أبي سعيد الخدري السابق، ولكن بهذا اللفظ هو عند الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧١).

(٥) في أحمد٣ والسليمانية: «ورسمها».

(٦) نقله عنه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣١). وفي الأصل: «مروج»، وفي السليمانية كأنها: «مؤرخ».

وقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ فيه حذف مضاف؛ أي: دينَ الله ورسوله، والمعنى: تنصروه بجدِّكم واتباعكم[١] وإِيمانكم، ينصركم بخلق القوة لكم والجرأة وغير ذلك من المعاون[٢].

وقرأَ جمهور النّاس: ﴿وَيُثَبِّتْ﴾ بفتح الثّاءِ المثلَّثة وشدِّ الباءِ.

وقرأَ المفضل عن عاصم: (وَيُثْبِتْ) بسكون الثّاءِ وتخفيف الباءِ[٣].

وهذا هو التَّثبيت في مواطن الحرب على الإِسلام، وقيل: على الصِّراط في يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ معناه: عثاراً لهم وهلاكاً فيه، وهي لفظة تقال [للعاثر إن أريد به الشر][٤]، ومنه قول الشاعر:

يَـا سَـيِّدِي إِنْ عَثَـرْتُ خُـذْ بِيَـدِي ... ولا تَـقُـلْ لَا ولَا تَـقُـلْ تَـعْسَـا[٥] [المنسرح]

وقال الأَعشى في هذا المعنى:

بِـذَاتِ لَـوْثٍ عَفَرْنَـاةٍ إِذَا عَثَـرَتْ ... فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ: لَعَا[٦] [البسيط]

---

(١) «واتباعكم» ليست في المطبوع ولا نجيبويه.

(٢) في المطبوع: «المعارف».

(٣) انظرها في جامع البيان (٤/ ١٥٩١)، والبحر المحيط (٨/ ٧٦)، وليست من طرق «التيسير».

(٤) في المطبوع ونجيبويه بدلا منه: «للكافر».

(٥) في حاشية المطبوع وأحمد٣: جاء لفظ الشطر الثاني هكذا: «وَلا تَقُلْ لي أُفّاً وَلا تَعسا»، وأشار له في هامش الأسدية٣، وكذا في السليمانية دون «لي». والبيت لابن المعتز كما في «أحسن ما سمعت» (ص: ٩١) لأبي منصور الثعالبي، قال: وهو نهايةٌ في الحسن والظرف، ورواية الشطر الثاني فيه: «ولا تدعني ولا تقل تعسا»، وبعده: «واعف فإن عدت فاعف ثانيةً... فقد يداوي الطبيب من نكسا».

(٦) انظر عزوه له في: العين (٢/ ١٢٣)، والأمثال لابن سلام (ص: ٧٨)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٥٢)، والموشح للمرزباني (ص: ٥٧)، والزاهر (٢/ ٢٤٨)، وتفسير الطبري (١١/ ١٧٩)، والمحتسب (٢/ ١٤١). وسقط من الأصل: «لوث»، ووقع في السليمانية: «عقرناه».

ومنه قولُ أُمِّ مِسْطَح لمَّا عَثَرتْ في مِرْطِها: تَعِسَ مِسْطَح[١].

وقال ابن السِّكِّيت: التَّعس: أَنْ يَخِرَّ[٢] على وجهه.

و(تَعْساً) مصدر نَصَبَهُ فعل مضمر.

وقوله تعالى: ﴿كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يريد: القرآن.

وقوله: ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ يقتضي أَنَّ أَعمالهم في كفرهم الَّتي هي بِرٌّ[٣] مقيَّدة محفوظة.

ولا خلاف أَنَّ الكافر له حفظة يكتبون سيئاته، واختلف النَّاس في حسناتهم:

فقالت فرقة: هي مُلغاة، يثابون عليها بنعيم الدُّنيا فقط.

وقالت فرقة: هي مُحْصاة من أَجل ثواب الدُّنيا، ومن أَجل أَنه[٤] قد يُسلم فينضاف ذلك إِلى حسناته في الإِسلام.

وهذا أَحد التَّأْويلين في قول النَّبيِّ ﷺ لحكيم بن حِزَام: «أَسلمت على ما سلف لك من خير»[٥]، [فقوم قالوا: تأْويله: أَسلمتَ على أَن يُعَدَّ لك ما سلف من خير][٦]، وهذا هو التَّأْويل الَّذي أَشرنا إِليه.

[٥/ ٩٩] وقالت فرقة: معناه: أَسلمتَ على / إِسقاط ما سلف لك من خير، إِذْ قد ثُوِّبْت[٧] عليه بِنِعَم دنياك.

---

(١) متفق عليه، وهو جزء من حديث الإفك الذي أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) في المطبوع والأسدية٣ ونجيبويه: «يُجَرَّ».

(٣) في أحمد٣ والسليمانية: «به».

(٤) في المطبوع زيادة: «الكافر»، قال في الحاشية: زيادة يحتاج إليها التَّعبير. وسقطت «قد» من السليمانية.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٤٣٦)، ومسلم (١٢٣)، سقط ذكر حكيم من نجيبويه، وفي المطبوع وأحمد٣: «أَسلفت» في الموضعين، وفي السليمانية: «أسلفت لك».

(٦) سقط من أحمد٣.

(٧) في المطبوع ونجيبويه: «جوزيت».

وذكر الطَّبريُّ: أَنَّ أَعمالهم الَّتي أَخبر في هذه الآية بحبطها[١] هي عبادتهم الأَصنام وكفرهم[٢].

ومعنى (أَحْبَطَ): جعلها من العمل[٣] الَّذي لا يزكو ولا يُعْتَدُّ به، فهي لذلك كالَّذي أُحبِط.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ توقيف لقريش وتوبيخ لهم.

و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: يريد ثمود وقوم لوط وقوم شعيب وأَهل السَّدِّ وغيرهم.

و«الدَّمَارُ»: الإفساد[٤] وهدم البناءِ وإِذهاب العمران، وقوله: ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ من ذلك.

والضَّمير في قوله تعالى: ﴿أَمْثَٰلُهَا﴾ يصح أَن يعود على العاقبة المذكورة، ويصحُّ أَن يعود على الفِعلة الَّتي يتضمنها قوله: ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ﴾ ابتداءٌ، وخبره في (أَنَّ) [وما عملت فيه.

و«المولى»: الناصر الموالي.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (ذلك بأن الله ولي الذين آمنوا)[٥].

---

(١) في المطبوع: «أَنَّه يحبطها». وفي نجيبويه: «بحفظها».

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦٢)، بالمعنى.

(٣) في المطبوع: «الفعل»، وفي حاشيته: في بعض النُّسخ «من القول».

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «الفساد».

(٥) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٥٩).

وقال قتادة: إن][١] هذه الآية نزلت يوم أُحد، ومنها انتزع رسول الله ﷺ ردَّه على أَبي سفيان بن حرب حين قال: «قولوا: اللهُ مَولانا ولا مَوْلى لكم»[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾؛ أَي: أَكلاً مجرداً من فكرة ونظر، فالتشبيه بالمعنى إِنَّما وقع فيما عدا الأَكل من قلَّة الفكر وعدم النَّظر، فقوله: ﴿كَمَا﴾ في موضع الحال، وهذا كما تقول: الجاهل يعيش كما تعيش البهيمة، [فأَمَّا مقتضى اللَّفظ فالجاهل والعالم والبهيمة من حيث لهم عيش فهم سواءٌ، ولكن معنى كلامك: يعيش عديم النَّظر والفهم كما تعيش البهيمة][٣].

و«الـمَثْوَى»: موضع الإِقامة، وقد تقدم القول غير مرَّة في قوله: ﴿وَكَأَيِّن﴾.

وضرب الله تعالى لمكَّة مثلاً بالقرى المهلكة على عظمها؛ كقرية قوم عاد وغيرهم.

و﴿أَخْرَجَتْكَ﴾ معناه: وقت الهجرة، ونسب الإِخراج إِلى القرية حملاً على اللَّفظ.

وقال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ حملاً على المعنى، ويقال: إِنَّ هذه الآية نزلت إِثر خروج رسول الله ﷺ من مكَّة في طريق المدينة، وقيل: نزلت بالمدينة، وقيل: نزلت بمكَّة عام دخلها رسولُ الله ﷺ بعد الحديبيَة، وقيل: نزلت عام الفتح وهو مُقبل إِليها. وهذا كله حُكْمه حُكم المدنيّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم (١٤) مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٖ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٖ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٖ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ (١٥) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ (١٦)﴾.

---

(١) سقط من المطبوع، وسقط من أحمد٣ من قوله: «وإذهاب العمران...» إلى هنا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٣) سقط من الأصل.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ﴾ الآية، توقيفٌ وتقرير على كل[1] شيءٍ متَّفق عليه، وهي معادلة بين هذين الفريقين، وقال قتادة: الإِشارة بهذه الآية إِلى محمد عليه السلام في أَنَّه هو الَّذي على بيِّنَة من ربِّه، وإِلى كفَّار قريش في أَنَّهم الَّذين زُيِّن لهم سوءُ أَعمالهم.[2]

قال القاضي أبو محمد: وبقي اللَّفظ عامّاً لأَهل هاتين الصِّفتين غابر الدَّهر.

وقوله: ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ معناه: على قضيَّة[3] واضحة وعقيدة نَيِّـرَة بيِّـنَة.

ويحتمل أَن يكون المعنى: على أَمرٍ بيِّن ودين بيِّن، وأَلحق الهاءَ للمبالغة كعلَّامة ونسَّابة.

والَّذي يُسند إِليه قوله: ﴿زُيِّنَ﴾ هو الشَّيطان.

و«اتِّباعُ الأَهواءِ»: طاعتها، كأَنَّها تذهب إِلى ناحية والمرءُ يذهب معها.

واختلف النّاس في معنى قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ الآية؛ فقال النَّضْر بن شُمَيل وغيره: ﴿مَّثَلُ﴾ معناه: صفة[4]، كأَنَّه قال: صفة الجنَّة ما تسمعون فيها كذا وكذا.

وقال سيبويه: المعنى: فيما يُتْلَى عليكم مثل الجنَّة، ثمَّ فسَّر ذلك الَّذي يُتْلَى بقوله: فيها كذا وكذا[5].

قال القاضي أبو محمد: والَّذي ساق إِلى أَن يجعل ﴿مَّثَلُ﴾ بمثابة صِفَة؛ هو أَنَّ المُمَثَّل به ليس في الآية، ويظهر أَنَّ القصد في التَّمثيل هو إِلى الشَّيءِ[6] الَّذي يتخيله المرءُ عند سماعه: فيها كذا وكذا، فإِنَّه يتصور عند ذلك بِقاعاً على هذه الصُّورة، وتلك هي مثل الجنَّة ومثالها.

---

(١) «كل»: من أحمد٣.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٦٨٩٦)، وعزاه الماوردي في تفسيره (٥/ ٢٩٦) لأبي العالية، وذكره السمعاني في تفسيره (٥/ ١٧٣) بلا نسبة.

(٣) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية والسليمانية: «قصة»، وفي الأسدية زيادة: «ظاهرة».

(٤) الهداية لمكي (١١/ ٦٨٩٨)، وقال بنحوه الفراء في معاني القرآن (٣/ ٦٠).

(٥) الكتاب لسيبويه (١/ ١٤٣).

(٦) زاد في السليمانية: «ﷺ»، كأنه قرأ «الشيء» «النبي». وهناك تضبيب.

وفي الكلام حذف يقتضيه الظَّاهر، كأَنَّه يقول: مثل الجنَّة بَيِّنٌ[١] ظاهر في نفس من وَعى هذه الأَوصاف.

وقرأَ عليٌّ بن أَبي طالب: (مثال الجنَّة).

وقرأَ عليٌّ بن أَبي طالب أيضاً، وابن عبَّاس: (أمثال الجنَّة)[٢].

وعلى هذه التَّأْويلات كلِّها ففي قوله: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ﴾ حذف تقديره: أَساكن هذه؟ أَو تقديره: أَهؤلاءِ؟ إِشارة إِلى المتَّقين.

ويحتمل عندي أيضاً: أَن يكون الحذف في صدر الآية، كأَنَّه قال: أمثل أهل الجنَّة كمن هو خالد في النَّار؟

[ويكون قوله مستفهماً عنه بغير أَلف استفهام، فالمعنى][٣]: أَمَثَلُ أَهل الجنَّة ـ وهي بهذه الأَوصاف ـ كمن هو خالد في النَّار؟، فتكون الكاف في قوله: ﴿كَمَنْ﴾ مؤكِّدةٌ في التشبيه[٤]، ويجيءُ قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ في موضع الحال على هذا التَّأْويل.

و﴿مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ معناه: غير متغيِّر، قاله ابن عبَّاس، وقتادة، وسواءٌ أَنْتَن أَو لم ينتن[٥].

يقال: أَسَن الماءُ بفتح السّين، وأَسِنَ بكسرها.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿ءَاسِنٍ﴾ على وزن فَاعِلٍ.

---

(١) «بيِّن» ليست في نجيبويه والسليمانية.

(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في تأويل مشكل القرآن (ص: ٥٧)، والثانية في المحتسب (٢/ ٢٧٠). وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٤١) لابن مسعود والسلمي.

(٣) سقط من أحمد٣ والأصل، وفي السليمانية: «أمثال».

(٤) في أحمد٣: «النسبة».

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٠٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تغليق التعليق لابن حجر (٤/ ٣١٢) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه، به. وانظر قول قتادة: في تفسير الطبري (٢٢/ ١٦٧).

وقرأ ابن كثير: ﴿أَسْنٍ﴾ على وزن فَعْلٍ[١]، وهي قراءَة أَهل مكَّة[٢].

والآسِنُ أيضاً: هو / الَّذي يُغشى عليه من ريح مُنتنة من ماءٍ، ومنه قول الشاعر: [٥/ ١٠٠]

التَّـارِكُ الْـقِـرْنَ مُصْفَـرّاً أَنـامِـلُـهُ يَمِيلُ في الرُّمْح مَيْلَ المائِح الأَسِن[٣] [البسيط]

وقال الأَخفش: (أسن) لغة، والمعنى: الإِخبار به عن الحال، ومن قال: (آسِنٌ) على وزن فاعل: فهو يريد به أنه يكون كذلك في المستقبل، فنفى ذلك في الآية.

وقرأَت فرقة: (غير ياسِنْ)، بالياءِ، قال أَبو عليٍّ: وذلك على تخفيف الهمز[٤].

قال أَبو حاتم عن عوف: كذلك كانت في المصحف (ياسن)، فغيَّرها الحجاج[٥].

وقوله في اللَّبن: ﴿لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ نفيٌ لجميع وجوه الفساد في اللَّبن.

وقوله: ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ جمعت طيب المطعم وزوال الآفات من الصُّداع وغيره، و﴿لَّذَّةٍ﴾ نعت على النّسب، أَي: ذات لذَّة، وتصفيةُ العسل مُذْهبة لِـمُوْمِهِ[٦] وضرره.

وقوله: ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؛ أَي: من هذه الأَنواع، لكنَّها بعيدة الشَّبه، إِذْ تلك لا عيب فيها ولا تَعَب بِوَجْه.

وقوله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ معناه: وتنعيم أَعطته المغفرة وسبَّبَته؛ وإِلا[٧] فالمغفرة إِنما هي قبل الجنة.

---

(١) قال النحاس في إعراب القرآن (٤/ ١٨٣): وتحذف الكسرة لثقلها، فيقال: أَسْن: إذا أنتن.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٠)، والتيسير (ص: ٢٠٠).

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى، كما في غريب الحديث لابن سلام (٣/ ٣٦٤)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠٩١)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ٥٨)، والصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٧٠). والقِرْنُ: الّذي يماثل الإنسان في شجاعته. ووقع في أحمد٣: «المالح».

(٤) الحجة للفارسي (٦/ ١٩١).

(٥) وهي شاذة، انظر: المصاحف لابن أبي داود (ص: ٢٧٢).

(٦) المُوْم: بضم الميم وسكون الواو: يطلق على اختلال العقل. شرح مسلم للنووي (١١/ ١٥٦).

(٧) «وإلا» ليست في الأصل.

وقوله: ﴿وَسُقُواْ﴾ الضَّمير عائد على ﴿مَنْ﴾؛ لأَنَّ المراد به جمع.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾؛ يعني بذلك: المنافقين من أَهل المدينة، وذلك أَنَّهم كانوا يحضرون عند النَّبيِّ ﷺ ويسمعون كلامه وتلاوته، فإِذا خرجوا قال بعضهم لمن شاءَ من المؤمنين الَّذين علموا وانتفعوا: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾؟ فكان منهم من يقول هذا استخفافاً؛ أَي: ما معنى ما قال؟ وما نفعه؟ وما قدره؟ ومنهم من كان يقول ذلك جهالة ونسياناً[(١)]؛ لأَنَّه كان في وقت الكلام مقبلًا على فكرته في أَمر دنياه وفي كفره، فكان القول يَمُرُّ صفحاً، فإِذا خرج قال: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾؟ وهذا أَيضاً فيه ضرب من الاستخفاف؛ لأَنَّه كان يصرِّح أَنَّه كان يقصد الإِعراض وقت الكلام، ولو لم يكن ذلك بقصد لم يبعد أَن يجري على بعض المؤمنين.

وروي: أَن عبد الله بن مسعود وابن عبّاس مِمَّن سُئِل هذا السُّؤال، حكاه الطَّبريُّ عن ابن عبّاس[(٢)].

و﴿ءَانِفًا﴾ معناه: مبتدئاً، كأَنَّه قال: ما القول الَّذي ائْتَنَفَه الآن قبل انفصالنا عنه؟

وقرأَ الجمهور: ﴿ءَانِفًا﴾ على وزن فاعل، وقرأَ ابن كثير وحده: ﴿أَنِفاً﴾ على وزن فَعِل[(٣)].

---

(١) في أحمد٣: «سباباً».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢١/ ٢٠٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٧) من طريق يحيى بن آدم، عن شريك بن أبي نمر، عن عثمان أبي اليقظان، عن يحيى الجزار، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ قال ابن عباس: أنا منهم، وقد سُئِلت فيمن سُئِل. وعند الحاكم بدون يحيى الجزار، وعثمان أبو اليقظان هو عثمان بن عمير البجلي الكوفي ضعيف وقد اختلط وكان يدلس، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/ ١٤٤) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومحمد بن السائب الكلبي متهم بالكذب. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٩٠٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/ ١٤٤) من طريق صالح بن حيان، عَنْ عبد الله بْنِ بُرَيْدَةَ ﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ هُوَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُود، وصالح بن حيان ضعيف.

(٣) وهما سبعيتان، والثانية رواية البزي خاصة كما في السبعة (ص: ٦٠٠)، والنشر (٢/ ٣٧٤)، وذكره=

وهما اسما فاعل من (ائْتَنَف)، وجَرَيَا على غير فعلهما، ولم يُستعمل فعلهما، وهذا كما جرى (فقير) على (افْتَقَر) ولم يستعمل (فَقِر)، وهذا كثير، والمفسِّرون يقولون: ﴿ءَانِفًا﴾ معناه: السّاعة الماضية القريبة مِنَّا، وهذا تفسير بالمعنى.

ثمَّ أَخبر تعالى أَنَّه طبع على قلوب هؤلاءِ المنافقين الفاعلين لهذا، وهذا الطَّبع يحتمل أَن يكون حقيقة، ويحتمل أَن يكون استعارة، وقد تقدَّم القول فيه(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨) فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)﴾.

[لمَّا ذكر الله تعالى المنافقين بما هم أَهله من قوله: ﴿الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾](٢)، عقَّب ذلك بذكر المؤمنين، ليبين الفرق، وشرَّفهم بإِسناد فعل الاهتداءِ إِليهم، وهي إِشارة إِلى تكسُّبهم.

وقوله تعالى: ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ يحتمل أَن يكون الفاعل في ﴿زَادَهُمْ﴾ الله تعالى، والزِّيادة في هذا المعنى تكون إِمَّا بزيادة التَّفهيم والأَدلَّة، وإِمَّا بورود الشَّرائع والأَوامر والنَّواهي والأَخبار، فيزيد الاهتداءُ لِتزَيُّدِ عِلْم ذلك كله والإِيمان به، وذلك بفضل الله تعالى.

ويحتمل أَن يكون الفاعل في ﴿زَادَهُمْ﴾ قولَ المنافقين واضطرابَهم؛ لأَنَّ ذلك مما يتعجَّب المؤمن منه، ويحمد الله على إِيمانه، ويتَزَيَّد بصيرة في دينه، فكأَنَّه قال: المهتدون والمؤمنون زادهم فعل هؤلاءِ المنافقين هُدًى؛ أَي: كانت الزِّيادة بسببه، فأَسند الفعل إِليه.

وقالت فرقة: إِنَّ هذه الآية نزلت في قوم من النَّصارى آمنوا بمحمد، فالفاعل في ﴿زَادَهُمْ﴾ محمد ﷺ؛ أَي: كان سبب الزِّيادة، فأَسْند الفعل إِليه.

= عنه في التيسير (ص: ٢٠٠)، ولكنه ليس من طرقه، والله أعلم، وأما قنبل فبالمد قولاً واحداً كالباقين.

(١) «القول فيه» ليس في أحمد٣.

(٢) ليس في أحمد٣.

وقوله ـ على هذا القول ـ: ﴿ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ يريد: في إِيمانهم بعيسى عليه السَّلام، ثمَّ زادهم محمد ﷺ هدًى حين آمنوا به، والفاعل في (آتاهم) يتصرَّف القول فيه بحسب التَّأْويلات المذكورة، وأَقواها: أَنَّ الفاعل اللهُ تعالى.

و﴿وَءَاتَىٰهُمۡ﴾ معناه: أَعطاهم؛ أَي: جعلهم مُتَّقين له، والتَّقدير: تقواهم إِيَّاه.

وقرأَ الأَعمش: (وَأَنْطَاهُمْ)، وهي بمعنى أَعطاهم، ورواها محمد بن طلحة عن أَبيه، وكذلك هي في مصحف عبد الله[1].

وقوله تعالى: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ﴾ يريد المنافقين، والمعنى: فهل ينظرون؛ أَي: هكذا هو الأَمر في نفسه وإِن كانوا هم في أَنفسهم ينتظرون غير ذلك، فإِنَّ ما في أَنفسهم غير مراعى؛ لأَنَّه باطل.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أَن تَأۡتِيَهُم﴾، فـ ﴿أَن﴾ بدل من ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾.

وقوله تعالى ـ على هذه القراءَة ـ: ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا﴾ إِخبارٌ مستأْنف، والفاءُ عاطفة جملةٌ من الكلام[2] على جملة.

وقرأَ أَهل مكَّة ـ فيما روى الرُّؤاسي ـ: (إِن تأتهم) بكسر الأَلف وجزم الفعل على الشَّرط[3]، والفاءُ في قوله ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا﴾ جواب الشَّرط، وليست بعاطفة على نحو ما في القراءَة الأُولى، فثَمَّ نحو من معنى الشّرط.

و﴿بَغۡتَةً﴾ معناه: فجأَة، وروي عن أَبي عمرو: (بَغَتَّةً) بفتح الغين وشدِّ التاءِ[4].

وقوله: ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا﴾ ـ على القراءَتين ـ معناه: فينبغي أَن يقع الاستعداد

---

(١) وهي شاذة، عزاها لهما الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٣). ولفظة: «كذلك» من السليمانية.

(٢) «من الكلام» ليس في أحمد٣.

(٣) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٢٧٠)، ومختصر الشواذ (ص: ١٤١).

(٤) وهي شاذة، من رواية هارون بن حاتم عن حسين عنه كما في المحتسب (٢/ ٢٧٠)، ومختصر الشواذ (ص: ١٤١).

والخوف منها لمن حزم ونظر لنفسه، والَّذي جاءَ من أَشراط الساعة: محمد ﷺ؛ لأَنَّه آخر الأَنبياءِ، فقد بان من أَمر السَّاعة قدرٌ ما.

وفي الحديث / عنه ﷺ: أَنَّه قال: «أَنا من أَشراط السَّاعة»[1]. [٥/ ١٠١]

وقال ﷺ: «بعثتُ أَنا والسَّاعة كهاتين»، وأَشار بإِصبعيه[2]، و«كفَرَسَيْ رهان»[3].

ويقال: شَرْطٌ وشَرَطٌ[4]؛ بسكون الراءِ وتخفيفها[5].

وأَشْرَطَ الرجلُ نَفْسَه: أَلزمها أُموراً، وقال أوس بن حَجَر:

فَأَشْرَطَ فيها نَفْسَهُ وَهُوَ مُعْصِمٌ ... وَأَلْقَى بِأَسْبَابٍ لَهُ وَتَوَكَّلا[6] [الطويل]

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٣٠١)، ومسلم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٦٠) من طريق: محمد بن حماد، نا أنس بن عياض الليثي، عن أبي حازم ولا أعلمه إلا عن سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقرب بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام، ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان»، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في أمثال الحديث (٣١٢) من طريق: يعقوب بن حميد، ثنا أنس بن عياض، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان»، ومحمد بن حماد وهو الأبيوردي أوثق وأضبط من يعقوب بن حميد وهو ابن كاسب، وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ١٤٨) من طريق: الوليد بن مسلم، نا أبو عمرو الأوزاعي، حدثني إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعه السبابة والوسطى كفرسي رهان»، وإسماعيل ثقة معروف، ذكر أبو حاتم روايته عن أنس، لكن ذكره ابن حبان في ثقاته في طبقة أتباع التابعين ولم يذكر له رواية عن أحد من الصحابة، وقال العلائي: لم يسمع من أحد من الصحابة إلا من السائب بن يزيد، وذكر المزي روايته عن أنس بن مالك ساكتاً عليها وكذا أبو حاتم كما سبق. تحفة التحصيل (ص: ٢٩)، ولم أقف على ما يدل على سماعه، فالله أعلم.

(٤) «وشرط» ليست في نور العثمانية، وفي المطبوع: «أو أَشراط».

(٥) في أحمد٣: «بفتح الراء»، وفي الأسدية٣: «فتحها».

(٦) انظر: العين (٦/ ٢٣٥)، والحيوان (٥/ ١٢)، وغريب الحديث للقاسم بن سلام (١/ ٤١)، وجمهرة اللغة (٢/ ٧٢٦)، والزاهر (١/ ٣٤٦)، وتفسير الطبري (٢٢/ ١٧٢)، وتهذيب اللغة (٢/ ٣٤)، وأساس البلاغة (١/ ٥٠٣)، وسمط اللآلي (١/ ٤٩٢).

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾ الآية؛ يحتملُ أَن يكون المعنى: فأَنَّى لهم الخلاص أَو النَّجاة إِذا جاءَتهم الذِّكرى بما كانوا يُخْبَرون به في الدُّنيا فيكذِّبون به ويكون جاءَهم العذاب مع ذلك؟

ويحتمل أَن يكون المعنى: فأَنَّى لهم ذكراهم وعملهم بحسبها إِذا جاءَتهم السَّاعة؟ وهذا تأْويل قتادة[١]، نظيره: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ الآيةَ، إِضرابٌ عن أَمر هؤلاءِ المنافقين وذكر الأَهم من الأَمر، والمعنى: دُمْ على علمك[٢]، وهذا هو القانون في كلِّ مَنْ أُمِرَ بشيءٍ هو مُتَلَبِّس به، وهذا خطاب للنَّبيِّ ﷺ، وكلُّ واحد من الأُمَّة داخلٌ معه فيه.

واحتجَّ بهذه الآية من قال من أَهل السُّنَّة: إِنَّ العلمَ والنَّظَرَ قبل القول والإِقرار في مسأَلة أَوَّلُ الواجبات[٣]، وبوَّب البخاريُّ رحمه الله: (العلم قبل القول والعمل، لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ الآيةَ)[٤].

وواجبٌ على كلِّ مؤمن أَن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، فإِنها صدقة.

وروى أَبو هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ: أَنَّه قال: «من لم يكن عنده ما يتصدَّق به فليستغفرْ للمؤمنين والمؤمنات؛ فإِنَّها صدقة»[٥].

وقال الطَّبريُّ وغيره: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: تصرُّفكم في يقظتكم، ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: في منامكم[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٣)، بالمعنى.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «ذلك»، وفي السليمانية: «أمرك».

(٣) انظر المسألة في: الضروري في أصول الفقه (ص: ١٣٨)، والبحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٧٠).

(٤) ذكره البخاري في «كتاب العلم» الباب رقم (١٠).

(٥) ضعيف، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٦٩٣)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٤) من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن بكر بن خنيس، عن محمد بن يحيى المدني، عن يحيى بن وردان، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. ومحمد بن يحيى أبو غزية المدني، قال الدارقطني: متروك، وقال الأزدي: ضعيف. وانظر الميزان (٤/ ٦٢)، وبكر بن خنيس الكوفي صدوق له أغلاط. والحديث سقط من الأصل.

(٦) ولفظه في التفسير (٢٢/ ١٧٤): «إذا ثويتم في مضاجعكم للنوم»، وفي السليمانية: «منصرفكم».

وقال ابن عبّاس: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: تصرّفكم في حياتكم الدُّنيا، ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: إقامتكم في قبوركم وفي آخرتكم[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾.

هذا ابتداءُ وصف حال المؤمنين في جِدِّهم في دين الله وحِرصهم على ظهوره، وحال المنافقين من الكسل والفشل والحرص على فساد دين الله وأَهله، وذلك أَنَّ المؤمنين كان حرصهم يبعثهم[٢] على تمنّي الظّهور وتمنّي قتال العدوِّ وفضيحة المنافقين ونحو ذلك مما هو ظهور للإِسلام، فكانوا يأْنسون بالوحي ويستوحشون إِذا أَبطأَ، والله تعالى قد جعل كل ذلك بآمادٍ مضروبة وأَوقات لا تُتَعَدَّى، فمدح الله تعالى المؤمنين بحرصهم.

وقولُهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ معناه: تتضمَّن إِظهارنا وأَمْرَنا بمجاهدة العدوِّ ونحوه.

ثمَّ أَخبر تعالى عن حال المنافقين عند نزول أمر[٣] القتال.

وقولُه: ﴿مُّحْكَمَةٌ﴾ معناه: لا يقع فيها نسخ، وبهذا الوجه خَصَّصَ (السُّورةَ) بالإِحكام، وأَمَّا الإِحكام الَّذي هو بمعنى الإِتقان؛ فالقرآن فيه كلُّه سواءٌ.

وقال قتادة: كلُّ سورة يذكر فيها القتال فهي مُحْكمة[٤]، وهو أَشدّ القرآن على المنافقين.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٤٣٤) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وفي المطبوع: «إفاقتكم».

(٢) «يبعثهم» ليست في السليمانية.

(٣) «أمر» ليست في نجيبويه.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٥). وقوله: «يذكر» من أحمد٣.

قال القاضي أبو محمد: وهذا أَمر استقرأَه قتادة من القرآن، وليس من تفسير هذه الآية في شيءٍ.

وفي مصحف ابن مسعود: (سُورَةٌ مُحْدَثَة)[١].

و«المرض الَّذي في القلوب»: استعارةٌ لفساد المعتقد، وحقيقة الصِّحَّة والمرض في الأَجسام وتُستعار للمعاني.

ونَظَرُ الخائف المُوَلَّه قريبٌ من نظر المغشيِّ عليه، وخشيتهم هذا الوصف[٢] والتَّشبيه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ الآية؛ (أولى) وزنه: أَفعل، وهو مِن: وَلِيَكَ الشَّيءُ يَلِيكَ.

وقالت فرقة: وزنه أَفْلَع، وفيه قلْبٌ؛ لأَنَّه مشتقّ من الويل، والمشهور من استعمال «أَوْلَى» أَنك تقول: هذا أَولى بك من هذا؛ أَي: أَحَقُّ، وقد تستعمل العرب: «أَوْلَى لك»[٣] فقط، على جهة الحذف والاختصار لما معها من القول، فتقول على جهة الزَّجْر والتَّوعُّد: أَوْلَى لك يا فلان، وهذه الآية من هذا الباب، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤]، ومنه قول أَبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه للحسن: أَوْلَى لَكَ[٤].

وقالت فرقة من المفسرين: (أَوْلى) رفع بالابتداءِ و﴿طَاعَةٌ﴾ خبره.

قال القاضي أَبو محمد: فهذا هو المشهور من استعمال (أَولى)[٥].

وقالت فرقة من المفسِّرين: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ ابتداءٌ وخبر، معناه: الزَّجْرُ والتَّوعُّد.

ثمَّ اختلفت هذه الفرقة في معنى قوله: ﴿طَاعَةٌ وَقَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌ﴾:

---

(١) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٦٢).

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «هذه للوصف»، وفي نجيبويه والسليمانية: «وخسسهم» بدل «خشيتهم».

(٣) «لك» من السليمانية.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في السليمانية زيادة: «لهم».

فقال بعضها: التَّقدير: طاعة وقول معروف أَمْثَل، وهذا هو تأْويل مجاهد، ومذهبُ الخليل وسيبويه[١]، وحَسُن الابتداءُ بالنَّكرة؛ لأَنَّها مُخَصَّصَة، ففيها بعض التَّعريف.

وقال بعضها: التَّقدير: الأَمر[٢] طاعة وقول معروف؛ أَي: الأَمر المُرْضي لله تعالى.

وقال بعضها: التَّقدير: قولهم لك يا محمد ـ على جهة الهُزْءِ والخديعة ـ: طاعةٌ وقولٌ معروف، فإِذا عزم الأَمر كرهوه، ونحو هذا من التَّقدير، قاله قتادة[٣].

وقال أَيضاً ما معناه: إِنَّ تمام الكلام الَّذي معناه الزَّجر والتَّوعُّد بـ(أولى)، وقولهُ: ﴿لَهُمْ﴾ ابتداءُ كلام[٤]، فـ﴿طَاعَةٌ﴾ ـ على هذا القول ـ ابتداءٌ، وخبره: ﴿لَهُمْ﴾، والمعنى: إِنَّ ذلك منهم على جهة الخديعة، فإِذا عزم الأَمر ناقضوا وتعاصُّوا.

وقوله: ﴿عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ استعارة، كما قال:

قَدْ جَدَّتِ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا[٥] .... [الرجز]

ومن هذا الباب: نَامَ لَيْلُكَ، ونحوه.

وقوله: ﴿صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ يحتمل أَن يكون [من الصِّدق الَّذي هو][٦] ضدُّ الكذب.

ويحتمل أَن يكون من قولك: عُودٌ صدْقٌ. والمعنى متقارب.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٢٣)، ونقله عن مجاهد: أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤٧١).

(٢) «الأمر» ليست في السليمانية.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٥).

(٤) نقله الفراء في معاني القرآن (٣/ ٦٢) عن الكلبي، وردَّه، ورواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٧٦) عن ابن عباس بإسناد قال: إنه غير مرتضى.

(٥) من أبيات أنشدها الحجاج لما قدم أميراً على العراق، كما في تاريخ دمشق لابن عساكر (١٢/ ١٣٠)، والكامل للمبرد (١/ ٢٩٨).

(٦) ليس في أحمد٣.

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ مخاطبة لهؤلاءِ الَّذين في قلوبهم مرض؛ أَي: قل لهم يا محمد.

وقرأَ نافع وأَهل المدينة: ﴿عَسِيتُمْ﴾ بكسر السّين.

وقرأَ أَبو عمرو، والحَسَن، وعاصم، وأَبو جعفر، وشيبة: ﴿عَسَيْتُمْ﴾ بفتح السّين[1].

والفتح أَفصح؛ لأَنَّه من «عَسَى» التي تصحبها «أَنْ»، والمعنى: فهل عسى أَن تفعلوا إِن توليتم غير أَن تفسدوا في الأَرض وتقطعوا أَرحامكم؟ وكأَنَّ الاستفهام / الدّاخل على «عَسَى» غيَّر معناها بعض التَّغيير، كما يغيِّر الاستفهام قولك: أَوَ لَوْ كان كذا وكذا؟. [٥/ ١٠٢]

وقوله: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ معناه: إِن أَعرضتم عن الحقِّ، وقال قتادة: كيف رأَيتم القوم حين تولَّوا عن كتاب الله؟ أَلم يسفِكوا الدَّم[2] الحرام وقطعوا الأَرحام وعَصَوا الرَّحمن؟

وقرأَ جمهور القراء: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾، والمعنى: إِن أَعرضتم عن الإِسلام.

وقال كعب الأَحبار ومحمد بن كعب القرظيُّ: المعنى: إِنْ تولَّيتم أُمور النّاس؛ من الولاية[3].

وعلى هذا قيل: إِنَّها نزلت في بني هاشم وبني أُميَّة، ذكره الثَّعلبيُّ[4].

وروى عبد الله بن مُغَفَّل، عن النَّبيِّ ﷺ: «إن وُلِّيتم» بواو مضمومة ولام مشدَّدة مكسورة[5].

---

(١) فهما سبعيتان، الأولى لنافع، والثانية للباقين، انظر: السبعة (ص: ١٨٦)، والتيسير (ص: ٨١).

(٢) في أحمد٣: «الدماء»، وفيه: «يقطعوا»، و«يعصوا»، وكذا في المطبوع، وانظر قول قتادة في: تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٨)، بالمعنى.

(٣) انظر قول القرظي في الهداية لمكي (١١/ ٦٩٠٩)، وقول كعب في تفسير القرطبي (١٦/ ٢٤٥)، ونقل مثله الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٥) عن آخرين.

(٤) تفسير البغوي (٤/ ٢١٦) بلا نسبة، وفي النسخة المطبوعة من تفسير الثعلبي (٩/ ٣٥): عن عبد الله ابن مغفل، مرفوعاً: هم هذا الحي من قريش، أخذ الله عليهم إن ولوا الناس ألّا يفسدوا في الأرض ولا يقطّعوا أرحامهم.

(٥) ضعيف، أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٥-٢٥٦)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٥) من طريق =

وقرأ عليُّ بن أَبي طالب: ﴿إن تُوُلِّيْتُم﴾ بضم التَّاءِ والواو وكسر اللَّام المشدَّدة][1]، على معنى: إِن وَلَّيْتُكُمْ ولاية[2] الجَوْر فملتم إِلى دنياهم دون إِمام العدل، أَو على معنى: إِن تُوُلِّيتُمْ بالتَّعذيب والتَّنكيل وأَفعال العرب في جاهليتها وسيرتها من الغارات والسِّباءِ، فإِنَّما كانت ثمرتها الإِفساد في الأَرض وقطيعة الرَّحم، وقيل معناها: إِنْ تَوَلَّاكم النَّاسُ ووكَلَكُم الله إِليهم.

وقرأ جمهور النّاس: ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ﴾ بضمِّ التَّاءِ وشدّ الطَّاءِ المكسورة.

وقرأَ أَبو عمرو: ﴿وَتَقْطَعُوا﴾ بفتح التَّاءِ والطَّاءِ المخفَّفة، وهي قراءَة سلام ويعقوب[3].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ إِشارة إلى مرضى القلوب المذكورين.

و﴿لَعَنَهُمُ﴾ معناه: أَبعدهم.

وقوله: ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ استعارة لعدم سمعهم[4]، فكأَنهم عُمْيٌ وصُمٌّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾.

= سعيد بن الحكم الوراق، عن نفيع أبي داود، عن عبد الله بن مغفل مرفوعاً، به، ولكن عند الحاكم جاءت على الرواية المشهورة (توليتم)، ونفيع بن الحارث أبو داود الأعمى الدارمي متروك. ولفظة: «مشددة» من المطبوع وأحمد٣ والسليمانية.

(١) سقط من أحمد٣، وهذه القراءة عشرية لرويس عن يعقوب، كما في النشر (٢/ ٣٧٤). وعزاها لعلي في المحتسب (٢/ ٢٧٢).

(٢) في المطبوع والحمزوية وأحمد٣ والسليمانية: «وُلاة». وفيها: «جور»، دون التعريف.

(٣) فهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٧٤)، وعزاها له ولسلام في مختصر الشواذ (ص: ١٤١).

(٤) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه وأحمد٣ والسليمانية: «فهمهم».

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ توقيف وتوبيخ، وتدبرُ القرآن زعيمٌ بالتَّبْيين والهدى.

و﴿أَمْ﴾ منقطعة، وهي المُقَدَّرة بـ«بَلْ» وأَلف الاستفهام.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ استعارة للرَّيْن الَّذي منعهم الإِيمان.

وروي: أَنَّ وَفْد اليمن وَفَد على النَّبيِّ ﷺ وفيهم شاب، فقرأَ رسول الله ﷺ هذه الآية، فقال الفتى: عليها أَقفالها حتّى يفتحها الله ويفرجها، قال عمر: فعظُم في عيني، فما زالت في نفس عمر رضي الله عنه حتّى وليَ الخلافة، فاستعان بذلك الفتى[١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم ﴾ الآية، قال قتادة: إِنَّها نزلت في قوم من اليهود كانوا قد عرفوا من التَّوراة أَمْر محمد ﷺ، وتبيَّن لهم الهدى بهذا الوجه، فلمَّا باشروا أَمره حسدوه، فارتدُّوا عن ذلك القدر من الهدى[٢].

وقال ابن عبّاس وغيرُه: نزلت في منافقين كانوا أَسلموا ثمّ نافقت قلوبهم[٣]، والآيةُ تعمُّ كلَّ من دخل في ضمن لفظها غابر الدَّهر.

و﴿سَوَّلَ ﴾ معناه: رجَّاهم سُؤْلَهم وأَمانيَّهُم، وقال أَبو الفتح عن أَبي عليٍّ: إِنَّه

---

(١) ليس بالقوي، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية (٣٧١٧)، وإتحاف الخيرة (٥٨٢١)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٢١٧) من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، فذكره مرسلاً، وعند إسحاق: فلما استخلف عمر رضي الله عنه سأل عن الشاب، فقالوا: استشهد، فقال عمر رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: كذا وكذا، فقال الشاب: كذا وكذا، فقال النبي ﷺ: صدقت. فعرفت أن الله عز وجل سيهديه. واستعمل عمر رضي الله عنه عبد الله بن الأرقم رضي الله عنه على بيت المال. ومن طريق الطبري أخرجه البغوي في تفسيره (٧/ ٢٨٧)، وله شاهد أخرجه الدارقطني في الأفراد كما في الأطراف لابن طاهر (٣/ ٩٨)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٩٧٢)، والبيهقي في القضاء والقدر (٣٣١) من طريق علي بن محمد المصري، عن مقدم بن داود، عن ذؤيب بن عمامة، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن سهل بن سعد، مرفوعاً به، بنحوه.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٨٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢١٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

بمعنى: دَلَّاهم، مأْخوذ من: السَّوَلِ وهو: الاسترخاءُ والتَّدَلِّي[(١)].

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾، وأَمال ابن كثير، وشِبل، وابن مصرِّف: (أَملَى)[(٢)].

وفاعل ﴿وَأَمْلَىٰ﴾ هنا قال الحسن: هو الشَّيطان[(٣)]، جعل وعده الكاذب بالبقاءِ كالإبقاء[(٤)]، وذلك أَنَّ الإملاءَ هو الإبقاءُ مُلَاوَةً من الدَّهر، يقال: [مُلَاوَةً ومَلَاوَةً ومِلَاوَةً][(٥)] بضمِّ الميم وفتحها وكسرها، وهي القطعة من الزَّمن، ومنه: المَلَوَان، وهما اللَّيل والنَّهار، فإِذا أَمْلَى الشَّيطانُ إِملاءً[(٦)] لا صحَّة له إِلَّا بطمعهم الكاذب.

ويحتمل أَن يكون الفاعل في (أملى): الله عزَّ وجلَّ، كأَنَّه قال: الشَّيطان سوَّل لهم، وأَمْلَى الله لهم، وحقيقة الإِملاءِ إِنَّما هو بيد الله عز وجل، وهذا هو الأرجح.

وقرأ الأَعرج، ومجاهد، والجحدريُّ، والأَعمش: ﴿وأُمْلِي لهم﴾ بضمِّ الهمزة وكسر اللَّام وإِرسال ياءِ المتكلِّم، ورواها الخُفَافُ عن أَبي عمرو[(٧)].

وقرأ أَبو عمرو: ﴿وَأُمْـلِيَ﴾ [بفتح الياءِ][(٨)] على بناءِ الفعل للمفعول، وهي قراءَة شيبة، وابن سيرين، والجحدريّ، وعيسى البصريّ، وعيسى الهمدانيّ[(٩)].

---

(١) المحتسب (٢/ ٢٧٢).

(٢) لم يُمِلْ ابنُ كثير هذه اللفظة ولا شيئاً من القرآن، وإنما أمال هذا الحرف: حمزة والكسائي وقلله ورش بخلفه.

(٣) الهداية لمكي (١١/ ٦٩١٣).

(٤) في الأصل: «كالإملاءِ»، وفي السليمانية: «والإبقاء».

(٥) ليس في أحمد٣.

(٦) في المطبوع: «إملاء مًّا فلا صحة» إلخ.

(٧) هذه القراءة عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٧٤)، وعزاها له وللمذكورين أولًا في المحتسب (٢/ ٢٧٢)، ولم أجدها لأبي عمرو.

(٨) ليس في نجيبويه، وفي أحمد٣: «وقرأ أبو عمرو ذلك إلا أنه فتح ياء المتكلم».

(٩) هذه سبعية لأبي عمرو كما في السبعة (ص: ٦٠٠)، والتيسير (ص: ٢٠١)، وعزاها لشيبة في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٤٨٤).

وهذا يحتمل فاعله من الخلاف ما في القراءَة الأُولى.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ الآية، قيل: إِنَّها نزلت في بني إِسرائيل الَّذين تقدَّم ذكرهم في تفسير قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟﴾[١].

ورُوي: أَنَّ قوماً من بني قريظة والنَّضير كانوا يَعِدُونَ المنافقين في أَمر رسول الله ﷺ والخلاف عليه بِنَصْرٍ ومُؤَازرة، وذلك قولهم: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾[٢].

وقرأَ جمهور القراء: ﴿أَسْرَارَهُمْ﴾ بفتح الهمزة وذلك على جمع «سِرٍّ»؛ لأَنَّ أَسْرارهم كانت كثيرة.

وقرأَ حمزة والكسائيُّ، وحفص عن عاصم: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة، وهي قراءَة ابن وَثَّاب، وطلحة، والأَعمش، وعيسى[٣]، وهو مصدرٌ اسْم الجنس.

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ﴾ الآية، يحتمل أَن يُتَوَعَّدوا به، وأَنَّها[٤] على معنَيَيْن:

أَحدهما: هذا هلعهم وجزعهم لِفَرْض القتال وقراع[٥] الأَعداءِ، فكيف فزعهم وجزعهم إِذا توفَّتهم الملائكة؟

والثَّاني أَن يريد: هذه معاصيهم وعِنادهم وكفرهم، فكيف تكون حالهم مع الله إِذا توفَّتهم الملائكة؟

---

(١) صح من قول قتادة، ذكره الطبري في تفسيره (٢١/ ٢١٧) من طريق معمر، وسعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة قال: هم أعداء الله أهل الكتاب، يعرفون بعث محمد نبيّ الله ﷺ وأصحابه عندهم، ثم يكفرون به، وفي لفظ: «إنهم يجدونه مكتوباً عندهم».

(٢) أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور (١٣/ ٤٤٨-٤٤٩) من قول ابن جريج.

(٣) سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠١)، والتيسير (ص: ٢٠١)، وللباقين: البحر المحيط (٩/ ٤٧٤) إلا عيسى، ولم يقع في الأصل.

(٤) «وأنها» ليست في نجيبويه وأحمد٣.

(٥) في أحمد ٣: «فراغ».

وقال الطَّبريُّ: المعنى: والله يعلم أسرارهم، فكيف علمه بها إذا توفَّتهم الملائكة؟[1].

و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ هنا: مَلَك الموت والمتصرِّفون معه.

والضَّمير في ﴿يَضْرِبُونَ﴾ للملائكة، وفي نحو هذا أَحاديث تقتضي صفة الحال.

ومن قال إنَّ الضَّمير في ﴿يَضْرِبُونَ﴾ للكفّار الذين يُتَوفَّوْن؛ فذلك ضعيف.

و﴿مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾: هو الكفر.

و«الرِّضوان» هنا: الشَّرع والحقُّ المؤدي إلى الرِّضوان.

وقد تقدَّم القول في تفسير قوله: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

وقرأ الأعمش: (فكيف إذا توفاهم الملائكة)[2]./ [٥/ ١٠٣]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ (٣٢)﴾.

هذه آية توبيخ للمنافقين وفضح لهم.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ توقيف، وهي (أَم) المنقطعة.

وقد تقدَّم تفسير مرض القلب.

وقوله: ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾؛ أَي: يبديها من مكامِنها[3] في نفوسهم.

و«الضَّغن»: الحقد.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٨٣).

(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٤١).

(٣) في جميع النسخ: «مكانها»، والمثبت من السليمانية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ﴾ مقاربة في شهرتهم، ولكنَّه تعالى لم يُعَيِّنهم قط بالأَسماءِ والتَّعريف التَّامِّ؛ إِبقاءً عليهم وعلى قرابتهم، وإِن كانوا قد عُرفوا بلحن القول، وكانوا في الاشتهار على مراتب؛ كعبد الله بن أُبي، والجَدِّ[١] بن قيس، وغيرهم ممن هو دونهم في الشُّهرة.

و«السِّيما»: العَلامة الَّتي كان الله تعالى يجعل لهم لو أَراد التَّعريف التَّامَّ بهم.

وقال ابن عبّاس، والضَّحّاك: إِنَّ الله تعالى قد عرَّفه بهم في (سورة براءَة) في قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾، وفي قوله: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣-٨٤][٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا في الحقيقة ليس بتعريف تامٍّ؛ بل هو لفظ يشير إِليهم على الإِجمال، لا أَنَّهُ[٣] سمَّى أَحداً، وأَعظم ما رُوي في اشتهارهم: أَنَّ رسول الله ﷺ أَمر يوماً فأُخرجت منهم جماعة من المسجد، كأَنَّه وسمهم بهذا، لكنَّهم أَقاموا على التَّبرِّي من ذلك وتمسَّكوا بلا إِله إِلَّا الله، فحقنت دماؤُهم.

ورُوي عن حذيفة ما يقتضي أَنَّ النَّبيَّ ﷺ عرَّفه بهم أَو ببعضهم، وله في ذلك كلام مع عمر رضي الله عنه[٤].

ثمَّ أَخبره تعالى أَنَّه سيعرفهم في لَحْن القول، ومعناه: في مذهب القول ومنحاه ومقصده.

وهذا هو كما يقول لك إِنسان قولاً[٥] مُعتقِداً له، وتفهم أَنت من مقاطع كلامه

(١) في نجيبويه: «والحاكم».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٢٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقول الضحاك فيه: (٢٢/ ١٨٤).

(٣) في السليمانية: «لأنه» بدل «لا أنه».

(٤) انظر: مسند الربيع بن حبيب (٩٢٩).

(٥) «قولًا» من أحمد٣ والمطبوع والسليمانية، وفي الأسدية٣: «للإنسان».

وهيئته وقرائن أَمره أَنَّه على خلاف ما يقول، وهذا معنى قوله: ﴿فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾.

ومن هذا المعنى: قول النَّبيِّ ﷺ: «فلعلَّ بعضكم أَن يكون أَلْحَنَ بحُجَّتِه من بعض»، الحديث[١]؛ أَي: أَذْهَبَ بها في جهات الكلام، وقد يكون هذا اللَّحن مُتَّفَقاً عليه، أَن يقول الإِنسانُ قولاً يفهم السامعون منه معنى، ويفهم الَّذي اتَّفق مع المتكلِّم منه معنى آخر، ومنه الحديث الَّذي قال سعد بن معاذ وابن رواحة لرسول الله ﷺ: «عَضَلَ والقَارَةَ»[٢].

وفي هذا المعنى قول الشاعر:

.... وخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كانَ لَحْنَا[٣] [الخفيف]

أَي: ما فهمه عنك صاحبك وخفي على غيره[٤].

فأَخبر الله محمداً رسولَه ﷺ:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) معضل، أشار إلى حديثها: البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٩٩). وساق القصة: البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٨): قال ابن إسحاق: حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال: لما بلغ رسول الله ﷺ خبر كعب، ونقض بني قريظة، بعث سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وسعد بن معاذ، وهو سيد الأوس، وكان معهما فيما يذكرون وهو تبع لهما خَوَّات بن جبير وعبد الله بن رواحة، فقال: «ائتوا هؤلاء القوم، فانظروا، فإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فأعلنوه، وإن كانوا على ما بلغنا عنهم، فالحنوا لي عنهم لحناً أعرفه، ولا تفتُّوا في أعضاد المسلمين»، فلما انتهوا إليهم وجدوهم على أخبث ما بلغهم، وقعوا برسول الله ﷺ وقالوا: لا عقد بيننا وبينه ولا عهد، فبادأهم سعد بن عبادة، وكان رجلاً فيه حد بالمشاتمة، فقال سعد بن معاذ: دعهم عنك، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، ثم أقبلوا فلما أتوا رسول الله ﷺ قالوا: عضل والقارة، يريدون ما فعل عضل والقارة بخبيب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين». وعاصم كان ثقة عالماً بالمغازي، لكنه معضل.

(٣) أوله: مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَاناً، وهو لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاريُّ، كما في معجم الشعراء (ص: ٣٦٤)، والبيان والتبيين (١/ ١٣٧)، وعيون الأخبار (١/ ٤٦)، والعقد الفريد (٢/ ٣٠٩)، والأغاني (١٧/ ٢٣٨)، والروض الأنف (٦/ ٢٠٦).

(٤) في المطبوع: «غيرك»، وهو خطأ.

أَن أَقوالهم المُحرَّفة الَّتي هي على خلاف عقدهم سَتَتَبَيَّن له فيعرفهم بها.

واحتج بهذه الآية من جعل الحدَّ في التَّعريض بالقذف[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ مخاطبة للجميع من مؤمن وكافر.

وقرأ جمهور القراء: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ بالنّون، وكذلك ﴿نَعۡلَمَ ﴾، وكذلك ﴿وَنَبۡلُوَاْ ﴾.

وقرأ عاصم في رواية أَبي بكر: [﴿وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ﴾ بالياءِ، على معنى]: وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ اللهُ، وكذلك ﴿يَعْلَمَ﴾، وكذلك ﴿يَبْلُوَ﴾[٢].

وروى رويس عن يعقوب: ﴿وَنَبْلُو﴾ بالرَّفع[٣] على القطع والإِعلام بأَنَّ ابتلاءَه دائم.

وكان الفضيل بن عياض إِذا قرأَ هذه الآية بكى وقال: اللهمَّ، لَا تَبْتَلِنا؛ فإِنَّك إِن بَلوتَنا فضحتنا وهَتكت أَستارنا[٤].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ ﴾؛ أي: حتّى يعلمهم مجاهدين قد خرج جهادهم إِلى الوجود، وبَانَ تَكَسُّبُهُم الَّذي به يتعلَّق ثوابهم. وعِلْمُ الله بالمجاهدين قديم أَزليّ، وإِنَّما المعنى ما ذكرناه.

وقوله تعالى: ﴿وَصَدُّواْ﴾ يحتمل أَن يكون المعنى: وصدُّوا غيرهم، ويحتمل أَن يكون غير مُتَعَدٍّ بمعنى: وصدُّوا هم في أَنفسهم.

وقوله: ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ معناه: خالفوه فكانوا في شقٍّ وهو في شقٍّ.

---

(١) انظر: المدونة (٤/ ٤٩٤).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠١)، والتيسير (ص: ٢٠١)، وما بين معكوفتين سقط من الأصل.

(٣) وهي عشرية، انظر: النشر (٢/ ٣٧٥).

(٤) وقع في المطبوع: «الفضل»، وفي الأصل: «ابتليتنا» بدل «بلوتنا».

وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾، قالت فرقة: نزلت في قوم من بني إِسرائيل فعلوا هذه الأَفاعيل بعد تَبَيُّنهم لأَمر محمد ﷺ من التَّوراة.

وقالت فرقة: نزلت في قوم من المنافقين حَدَثَ النِّفاق في نفوسهم بعدما كان الإِيمان دَاخَلَهَا، وقال ابن عبّاس: نزلت في المطعمين في سفرة بدر[١].

و«تَبَيُّنُ الْهُدَى»: هو وجودُه عند الدّاعي إِليه، وقالت فرقة: بل هي عامَّة في كلِّ كافر، وأَلزمهم أنه قد تَبَيَّن لهم الهدى من حيث كان الهدى بيِّناً في نفسه، وهذا كما تقول [لإِنسان يخالفك][٢] في احتجاج على معنى التَّوبيخ له: أَنت تخالف في شيءٍ واضح لا خَفَاءَ به عليك، بمعنى: أَنَّه هكذا هو في نفسه.

وقوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ﴾ تحقير لهم.

وقوله: ﴿وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أَمَّا على قول من يرى أَنَّ أَعمالهم الصَّالحة مِن صِلة رحم ونحوه تُكْتَبُ، فيجيءُ هذا الإِحباط فيها متمكِّناً.

وأَمَّا على قول من لا يرى ذلك فمعنى (سيُحبِط): أَنَّها عبارة عن إِعدامه أَعمالهم وإِفسادها وأَنَّها لا توجد شيئاً مُنْتَفَعاً به، فذلك إِحباط على تشبيه واستعارة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٥﴾.

رُوي: أَنَّ هذه الآية نزلت في بني أَسد من العرب؛ وذلك أَنَّهم أَسلموا وقالوا لرسول الله ﷺ: نحن قد آثرناك على كلِّ شيءٍ وجئناك بنفوسنا وأَهلنا، كأَنَّهم مَنُّوا بذلك، فنزل فيهم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْ﴾ [الحجرات: ١٧] الآية، [ونزلت فيهم هذه الآية][٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٢٢٣).

(٢) سقط من المطبوع. وفي السليمانية: «خالفك».

(٣) سقط من نجيبويه، والأثر أخرجه النسائي في الكبرى (١١٤٥٥)، والبزار في مسنده كما في تفسير =

قال القاضي أبو محمد: فإن كان هذا فالإبْطَال الَّذي نُهوا عنه ليس بمعنى الإفساد التَّام؛ لَأنَّ / الإِفساد التَّام لا يكون إلَّا بالكفر، وإلَّا فالحسناتُ لا تُبطلها المعاصي[١]. [٥/ ١٠٤]

وإن كانت الآية عامَّة عَلَى ظاهرها نَهْي النّاس عن إبْطال أعمالهم بالكفر[٢].

و«الإِبطالُ»: هو الإِفسادُ التَّام.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾، رُوي: أنها نزلت بسبب أَنَّ عَدِيَّ بن حاتم قال: يا رسول الله! إن حاتماً كانت له أفعال بِرٍّ، فما حاله؟ فقال رسول الله ﷺ: «هو في النَّار»، فبكى عَدِيٌّ رضي الله عنه وَوَلَّى، فدعاه رسول الله ﷺ فقال له: «أَبي وأَبوك وأَبو إبراهيم خليل الرّحمن في النّار»، ونزلت هذه الآية في ذلك[٣].

وظاهر الآية العموم في كلِّ ما تناولته الصِّفة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ معناه: فلا تضعفوا؛ [من: وَهَنَ الرَّجلُ: إذا ضعف][٤].

وقرأ جمهور النّاس: ﴿وَتَدۡعُوٓاْ﴾.

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ: (وتدَّعوا) بشد الدَّال[٥].

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿إِلَى ٱلسَّلۡمِ﴾ بفتح السّين.

وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: ﴿السِّلْمِ﴾ بكسر السّين، وهي قراءة الحسن،

= ابن كثير (٧/ ٣٩٠-٣٩١)، والضياء في المختارة (٣٧٤) من طريق يحيي بن سعيد الأموي، عن محمد بن قيس، عن محمد بن عبيد الله أبي عون، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ. وهو منقطع، حديث أبي عون هذا عن سعيد مرسل، قاله أبو زرعة، وله طرق أخرى بألفاظ مختلفة، وانظر: الدر المنثور (١٣/ ٦٠٦-٦٠٧).

(١) في أحمد٣: «لا يبطلها إلا المعاصي».

(٢) سقطت من المطبوع ومن نجيبويه.

(٣) «في ذلك» ليست في أحمد٣، والأثر لم أقف عليه بهذا اللفظ، وانظر تفسير مقاتل (٣/ ٢٤١).

(٤) سقط من نجيبويه.

(٥) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٢٧٣).

وأَبي رجاءٍ، والأَعمش، وعيسى، وطلحة[١]، وهو بمعنى المسالمة.

وقال الحسن بن أَبي الحسن وفرقة ممَّن كسر السّين: إِنَّه بمعنى الإِسلام[٢]؛ أَي: فلا تَهنوا وتكونوا داعين إِلى الإِسلام فقط غير[٣] مقاتلين بسببه.

وقال قتادة: معنى الآية: لا تكونوا أَوَّل الطائفتين ضَرَعَتْ للأُخرى[٤].

قال القاضي أبو محمد: وهذا حسنٌ مُلْتَئِمٌ مع قوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١].

وقوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ يحتمل معنَيَيْن:

أَحدهما: أَن يكون في موضع الحال، المعنى: لا تَهِنُوا وأَنتم في هذه الحال.

والمعنى الثَّاني: أَن يكون إِخباراً [مقطوعاً، أَخبرهم فيه بمغيَّب أَبرزه الوجود بعد ذلك.

و﴿ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ معناه: الغالبون[٥] والظّاهرون؛ من العُلُوِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ معناه:][٦] بنصره ومعونته.

و(يَتِرَ) معناه: يُنقص ويُذْهب، ومنه قوله ﷺ: «من ترك صلاة العصر فكأَنَّما وُتِرَ أَهلَه ومالَه»[٧]؛ أَي: ذُهب بجميع ذلك عنه على جهة التَّغلب والقهر، والمعنى: لن

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠١)، والتيسير (ص: ٢٠١)، وانظر الباقين في: البحر المحيط (٩/ ٤٧٦).

(٢) تقدم له ذلك في سورة النساء، والأنفال.

(٣) في الأصل: «دون».

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٨٨) بمعناه.

(٥) في أحمد٣: «العاليون».

(٦) سقط من الأصل.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

يَتِرَكم ثواب أَعمالكم وجزاء أعمالكم، واللَّفظة مأْخوذة من الوَتْر الَّذي هو: الذَّحْل[١].

وذهب قوم إِلى أَنَّه مأخوذ من الوِتر الَّذي هو: الفرْدُ، والمعنى: لن يُفردكم من ثواب أَعمالكم.

والأَوَّل أَصحُّ، وفسَّرها ابن عبّاس وأَصحابه: يَظْلِمَكُمْ[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ تحقير لأَمر الدُّنيا؛ أَي: فلا تهنوا في الجهاد بسببها، وَوَصْفُها باللَّعب واللهو هو على أَنَّها وما فيها مما يختصُّ بها لعبٌ ولهوٌ[٣]، وإِلَّا ففي الدُّنيا ما ليس بلعب ولا لهو؛ وهو الطاعة وأَمر الآخرة وما جرى مجراه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ معناه: هذا هو المطلوب منكم لا غيره، لا تُسأَلون أَموالكم إلا[٤] أَن تنفقوها في سبيل الله.

وقال سفيان بن عُيَيْنَة: المعنى: لا يسأَلكم كثيراً من أَموالكم إِحفاءً[٥]، إِنَّما يسأَلكم غَيْضاً من فيض، ربع العشر، فطيِّبوا أَنفسكم[٦].

---

(١) في نجيبويه: «الرحل».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٢٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وفي نجيبويه: «يتركم بـ: يظلمكم»، والوتر ـ بالكسر ـ: الفرد، وبالفتح: الذَّحْل، هي لغة أهل العالية، وأما لغة أهل نجد؛ فبالضم، ولغة أهل تميم بالكسر فيهما، وأما أهل الحجاز فإنهم يفتحونها للذحل، ويكسرونها للعدد. المصباح المنير للفيومي (٢/ ٦٤٧).

(٣) «ولهو» من المطبوع.

(٤) «إلا» من نجيبويه ونور العثمانية.

(٥) في أحمد ٣: «جفاء».

(٦) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٩)، قال: وهو اختيار أبي بكر بن عبدش، قال: حكى لنا ابن حبيب عنه، يدلّ عليه سياق الآية.

ثمَّ قال تعالى مُنَبِّهاً على خُلُق ابن آدم: ﴿إِن يَسْـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ﴾.

و«الإِحفاءُ»: هو أَشدُّ السُّؤال، وهو المُخْجِل الذي يستخرج ما عند المسؤول كرهاً، ومنه حَفَاءُ الرِّجْل والتَّحَفِّي من البحث عن الشَّيءِ.

وقوله: ﴿تَبۡخَلُواْ﴾ جزم على جواب الشَّرط.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿وَيُخۡرِجۡ﴾ جزماً عطفاً[1] على ﴿تَبۡخَلُواْ﴾.

وقرأ عبد الوارث عن أَبي عمرو: (وَيُخْرِجُ) بالرفع على القطع، بمعنى: وهو يُخْرِجُ، وحكاها أَبو حاتم عن عيسى[2].

وقرأت فرقة: (وَيُخْرِجَ) بالنَّصب[3] على معنى: يكن بُخْلٌ وإِخراجٌ، [فلمَّا جاءَت العبارة بفعل دلَّ على أن (أَنْ) الَّتي مع الفعل بتأويل المصدر الَّذي هو الإِخراج][4].

والفاعل في قوله: ﴿وَيُخۡرِجۡ﴾ على كلِّ الاختلافات المذكورة يحتمل أَن يكون الله.

ويحتمل أَن يكون البخل الذي يتضمَّنه اللَّفظ.

ويحتمل أَن يكون السُّؤال الَّذي يتضمَّنه اللَّفظ أَيضاً.

وقرأَ ابن عبّاس، ومجاهد، وابن سيرين، وابن محيصن، وأَيُّوب: (وتَـخْرُج) بفتح التاء[5] (أَضْغَانُكُمْ) رفعاً على أَنَّها فاعله.

---

(١) «عطفاً» من المطبوع والأسدية٣ وأحمد٣.

(٢) وهي شاذة، نقلها عن عبد الوارث في المحتسب (٢/ ٢٧٣)، وعن عيسى في البحر المحيط (٩/ ٤٧٧)، ونقل عن اللوامح ضبط رواية عبد الوارث، عن أبي عمرو: (وتَخرُجُ)، بالتاء وفتحها وضم الراء والجيم (أضغانُكم) بالرفع.

(٣) وهي شاذة، نقل في البحر المحيط (٩/ ٤٧٨) عن عيسى: أنه فتح الجيم بإضمار أن، لكن ظاهره أن (تخرج) بالتاء لا الياء.

(٤) ما بين معكوفتين ليس في الأسدية٣.

(٥) كذا في أحمد٣، وفي س: يخرج بالياء، والمثبت هو الموافق لما في مختصر الشواذ (ص: ١٤١)، =

ورُوي عنهم (وَتُخْرَجْ) بضمِّ التَّاءِ وفتح الرّاءِ على ما لم يُسَمَّ فاعله.

وقرأ يعقوب: (ونُخْرِج) بضمِّ النّون وكسر الرّاءِ (أَضْغَانَكُمْ) نصباً.

و«الأَضغان» كما قلنا: معتقدات السّوءِ، وهو الَّذي كان يُخاف أَن يعتري المسلمين هو الَّذي تقرب به محمد بن مَسْلمة إِلى كعب بن الأَشرف حين قال له: إِنَّ هذا الرَّجل قد أَكثر علينا وطلب منّا الأَموال[1].

ثمَّ وقف تعالى عباده المؤمنين على جهة التَّوبيخ لبعضهم: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، وكرَّر هاءَ التَّنبيه تأكيداً[2].

وقوله: ﴿عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ يحتمل معنيَيْن: أَحدهما: فإِنَّما يبخل عن شُحِّ نفسه، والآخر: أَن يكون بمنزلة «عَلَى»؛ لأَنَّك تقول: بخلتُ عليك بكذا، وبخلتُ عنك؛ بمعنى: أَمْسَكْتُ عنك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ معنى مطَّردٌ في قليل الأَشياءِ وكثيرها.

وقوله تعالى: ﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ قيل: الخطاب لقريش، والقومُ الْغَيْرُ: هم أَهل المدينة.

وقال عبد الرحمن بن جبير وشريح بن عبيد: الخِطَاب لمن حضر المدينة، والقوم الغَيْر: [هم أَهل اليمن[3].

= عن ابن عباس وأيوب وابن سيرين، والشواذ للكرماني (ص: ٤٤١)، عن ابن عباس، وابن محيصن وعزا الثانية والثالثة أيضاً لابن عباس، وكلها شاذة.

(١) متفق عليه، بلفظ: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنَّانا. كما في حديث قتل كعب بن الأشرف الذي أخرجه البخاري (٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما.

(٢) في المطبوع: «تذكيراً».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٩٤).

وقالت فرقة: الخطابُ لجميع المسلمين والمشركين والعرب حينئذ، والقوم الغير][1]: فارس.

وروى أَبو هريرة: أَنَّ رسول الله ﷺ سئل عن هذا، وكان سلمان إِلى جنبه، فوضع يده على فخذه وقال: «قوم هذا، لو كان الدِّين بالثُّرَيَّا لناله رجال من أَهل فارس»[2].

وقوله: ﴿أَمْثَٰلَكُم﴾ معناه: في الخلاف والتَّولي والبخل بالأَموال ونحو هذا، وحكى الثَّعلبيُّ قولاً: أَن القَوْم الغَيْر: هُمُ الملائكة[3].

نجز تفسير (سورة القتال)، والحمد لله ربّ العالمين.

* * *

(١) سقط من الأصل.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٦) من طريق ثور بن يزيد الديلي، عن سالم أبي الغيث المدني، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء». ومن طريق جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة مرفوعاً وبلفظ: «لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس أو قال من أبناء فارس».

(٣) ليس في المطبوع من تفسير الثعلبي، وذكر هذا القول بلا نسبة: الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١٧/٥).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَفسير سُورَة الفَتح /

[٥/ ١٠٥]

هذه السُّورة نزلت على رسول الله ﷺ مُنْصَرَفَه من الحديبيَّة، وفي ذلك أَحاديث كثيرة عن أَنس[(١)] وابن مسعود[(٢)] وغيرهما تقتضي صحَّته، وهي بهذا في حكم المدنيِّ.

وقال الزهريُّ[(٣)] عن مجاهد عن ابن عبّاس: إِنَّها نزلت بالمدينة[(٤)].

والأَوَّل أَصحُّ، ويشبه: أَنَّ منها بعضاً نزل بالمدينة.

وأَمَّا صدر السُّورة ومعظمها فكما قلنا، ويقضي بذلك قول النَّبيِّ ﷺ لعمر بن الخطاب، وهما في تلك السَّفرة: «لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورة هي أَحبُّ إِليَّ من الدُّنيا وما فيها»[(٥)].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤١٧٢)، ومسلم (١٧٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٦، ٤٦٤)، وأبو داود (٤٤٧)، والنسائي في الكبرى (٨٨٠٢)، وأبو يعلى (٥٢٨٥)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) في الأصل: «الزهراويُّ».

(٤) عزاه في الدر المنثور (١٣/ ٤٥٤) لابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٥) أخرجه البخاري (٤١٧٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ووقع في أحمد٣ والمطبوع: «بما فيها»، وسقط قوله: «الليلة» من المطبوع.

قال القاضي أبو محمد: ذكر مكِّيٌّ هنا أَنَّ المعنى: بشرط أَن تبقى الدُّنيا ولا تفنى. وفي هذا نظر.

وكان رسول الله ﷺ خرج في تلك الوجهة ليعتمر بمكَّة فصدَّه المشركون، والقصَّة مشهورة، سنة ستٍّ من الهجرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾.

قال قوم فيما حكى الزَّهراويُّ: ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾: يريد به فتح مكَّة، وحكاه الثَّعلبيُّ أَيضاً، ونسبه النَّقّاش إِلى الكلبيِّ[(١)]، وأَخبره تعالى به على معنى: قضينا به، والفَتَّاحُ: القاضي؛ بلغة اليمن.

وقيل: المراد: إِنَّا فتحنا لك بأَن هديناك إِلى الإِسلام ليغفر.

وقال جمهور النّاس، وهو الصَّحيح الَّذي تعضده قصَّة الحديبيَة: إِنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ إِنَّما معناه: إِنَّ ما يسَّر الله لك في تلك الخَرْجة فتحٌ مبين تستقبله، ونزلت السُّورة مؤنسة للمؤمنين لأَنَّهم كانوا استوحشوا من ردِّ قريش لهم، ومن تلك المهادنة الَّتي هادَنَهم النَّبيُّ ﷺ، فنزلت السُّورة مؤنسة لهم في صدِّهم عن البيت، ومُذهبةً ما كان في قلوبهم، ومنه حديث عمر الشَّهير، وما قاله للنَّبِيِّ ﷺ ولأَبي بكر[(٢)].

---

(١) نقله الثعلبي في تفسيره (٩/ ٤١)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢٢٢)، عن أنس، ونقله أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤٨٢) عن الكلبي، واستظهره، واستغربه الكرماني (٢/ ١١١١) عن مجاهد، وغلطه مكي في الهداية (١١/ ٦٩٢٩). ووقع في الحمزوية: «النظام» بدل «النقاش».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥). ووقع في السليمانية: «ما قال النبي ﷺ لأبي بكر».

واستقبل رسولُ الله ﷺ في تلك السَّفرة أَنَّه هادن عَدُوَّه ريثما يتقوّى هو، وظهرت على يديه آية الماءِ في بئر الحديبيَة، حيث وضع فيه سهمه وثاب الماءُ حتّى كفى الجيش[١].

واتفقت بيعة الرِّضوان، وهي الفتح الأَعظم، قاله جابر بن عبد الله، والبراءُ بن عازب[٢].

وبلغ هديهُ محِلَّه، قاله الشَّعبيُّ[٣].

واستقبل فتح خيبر، وامتلأَت أَيدي المؤمنين خيراً، ولم يفتحها إِلا أَهل الحديبيَة، لم يَشْرَكْهم فيها أَحد.

قال القاضي أبو محمد: وفيه نظر؛ لأَنَّ أَصحاب السَّفينة مع جعفر بن أَبي طالب شاركوهم في القَسْم، فينبغي أَن يقال: لم يشاركهم أَحد من المتخلِّفين عن الحديبيَة.

واتفقت في ذلك الوقت ملحمة عظيمة بين الروم وفارس ظهرت فيها الرّوم، فكانت من جملة الفتح على رسول الله ﷺ، وسُرَّ بها هو والمؤمنون لظهور أَهل الكتاب على المجوس وانْخِضاد[٤] الشَّوكة العظمى من الكفر.

ثمَّ عظَّم الله أَمرَ نبيِّه وشَرَّفه بأَن أَنبأَه أَنَّه قد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأَخَّر.

فقوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ﴾ هي لام «كي»، لكنَّها تخالفها في المعنى، والمراد هنا. أَنَّ الله فتح لك لكي يجعل لك ذلك أَمارة وعلامة لغفرانه لك، فكأَنَّها لام صيرورة، ولهذا قال

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٧) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، وأخرجه مسلم (١٨٠٧) من حديث جابر رضي الله عنهما.

(٢) حديث جابر أخرجه مسلم (١٨٥٦) بلفظ: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربع مئة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة وقال: بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت.
وأما حديث البراء فأخرجه البخاري (٤١٥٠). وفي أحمد ٣: «قال جابر».

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٤٢).

(٤) أي: كسر.

ﷺ: «لقد [أُنزلت عليَّ اللَّيلة][(١)] سورة هي أَحبُّ إِليَّ من الدُّنيا».

وقال الطَّبريُّ وابن كيسان: المعنى: إِنَّا فتحنا لك فسبِّح بحمد ربِّك واستغفره ليغفر لك الله، وبنيا[(٢)] هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ السُّورة [إلى آخرها][(٣)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف من وجهين:

أَحدهما: أَنَّ سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ ﴾ إِنّما نزلت في آخر مدَّة النَّبيِّ ﷺ ناعيةً له نفسه، حسب ما قال ابن عبّاس، عندما سأَل عمر عن ذلك[(٤)].

والآخر: أَن تخصيص النَّبيِّ ﷺ بالتَّشريف كان يذهب، لأَنَّ كلَّ واحد من المؤمنين مخاطب بهذا الَّذي قال الطَّبريُّ؛ أَي: سبِّح واستغفر لكي يغفر الله لك، ولا يتضمن[(٥)] هذا أَنَّ الغفران قد وقع.

وما قدَّمناه أَوَّلاً يقتضي وقوع الغفران للنَّبيِّ ﷺ، ويدلُّ على ذلك قول الصَّحابة له حين قام حتّى تورّمت قدماه: [أَتفعل هذا][(٦)] يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأَخَّر؟ فقال: «أَفَلا أَكون عبداً شكوراً»؟[(٧)]، فهذا نصٌّ في أَنَّ الغفران حكمٌ قد وقع.

وقال مُنْذر بن سعيد: المعنى: مجاهدتك بالله المقترنة بالفتح هي ليغفر.

---

(١) في نجيبويه: «أنزل الله علي». والحديث تقدم تخريجه.

(٢) في السليمانية: «بينا».

(٣) سقط من أحمد٣ والمطبوع. وانظر قول الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٩٧)، وقول ابن كيسان في معاني القرآن للنحاس (٦/ ٤٩٥)، والهداية لمكي (١١/ ٦٩٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٢٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٥) في المطبوع والحمزوية والأسدية٣: «يقتضي».

(٦) ليس في أحمد٣.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

وحكى الثَّعلبيُّ عن الحسين بن الفضل أَنَّ المعنى: إِنَّا فتحنا لك فاستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك... الآية، وهذا نحو قول الطَّبريِّ[١].

وقوله: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾؛ قال سفيان الثَّوريُّ: ﴿مَا تَقَدَّمَ﴾: يريد به قبلَ النُّبوَّة، و﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾: كلُّ شيءٍ لم تعمله[٢].

وهذا ضعيف، وإِنَّما المعنى: التَّشريف بهذا الحكم ولو لم تكن له ذنوب البَتَّة.

وأَجمع العلماءُ على عصمة الأَنبياءِ عليهم السَّلام من الكبائر ومن الصغائر الَّتي فيها رذائل.

[وجوَّز بعضهم الصَّغائر الَّتي ليست برذائل][٣]، واختلفوا هل وقع ذلك من محمد ﷺ أَو لم يقع؟

وحكى الثَّعلبيُّ عن عطاءٍ الخراسانيّ: أَنَّه قال: ﴿مَا تَقَدَّمَ﴾ / هو ذنب آدم وحوَّاءَ؛ أَي: ببركتك[٤]، و﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ هي ذنوب أُمَّتك، بدعائك. [٥/ ١٠٦]

قال الثَّعلبيُّ: الإِماميَّة لا تجوِّز الصَّغائر على النَّبيِّ ولا على الإِمام، والآية تردُّ عليهم[٥].

وقال بعضهم: ﴿مَا تَقَدَّمَ﴾ هو قوله يوم بدر: «اللهمَّ، إِن تَهْلِكْ هذه العصابة لم

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٤٢)، وفيه: «بن الفضيل»، وتقدم قول الطبري قريباً.

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ٤٢).

(٣) في حاشية المطبوع: سقطت هذه العبارة من بعض النُّسخ، وهي في أحمد٣ ملحقة في الهامش.

(٤) في الحمزوية: «بتزكيتك».

(٥) انظر قول عطاء في تفسير الثعلبي (٩/ ٤٢)، وليس في المطبوع ذكر للإمامية، وانظر قولهم هذا في تفسير النيسابوري (١/ ٢٥٦).

تُعبد»[١]، و﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ هو قوله يوم حنين: «لن نُغْلَبَ اليوم من قِلَّة»[٢]، [وهذا كلُّه مُعْتَرض][٣].

قال القاضي أبو محمد: و«إِتمامُ النِّعمة عليه»: هو إِظهارُه وتغليبُه على عدوِّه، والرِّضوانُ في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ معناه: إِلى صِراطٍ، فحذف الجَار، فتعدى الفعل، وقد يتعدى هذا بغير حرف جرٍّ.

و«النَّصر العزيز»: هو الَّذي معه غلبة العدوِّ والظُّهورُ عليه، والنَّصر غير العزيز: هو الَّذي مُضَمَّنُه الحماية ودفع العدوِّ فقط.

و«إِنْزَالُ السَّكِينَةِ في قلوب المؤمنين» ـ وهي فعيلة من السُّكون ـ: هو تسكينُها لتلك الهدنة مع قريش حتَّى اطمأَنت وعلموا أَنَّ وعد الله على لسان رسوله حقّ، فازدادوا بذلك إِيماناً إِلى إِيمانهم الأَوَّل، وكثر تصديقهم.

قال ابن عبّاس: لمَّا آمنوا بالتَّوحِيد زادهم العبادات شيئاً شيئاً، فكانوا يزيدون إِيماناً حتَّى قال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فمنحهم أَكمل إِيمان لأَهل السماوات والأَرض: لا إِلهَ إِلَّا الله[٤]. وفسَّر ابن عباس السَّكينة بالرَّحمة.

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم في باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) ضعيف، هذا جزء من الحديث الذي أخرجه البزار في مسنده (٦٥١٨) عن علي بن شعيب السمسار، وعبد الله بن أيوب المخرمي، عن علي بن عاصم الواسطي، عن سليمان بن طرخان التيمي، عن أنس بن مالك، قال: قال غلام منا من الأنصار يوم حنين: لن نهزم اليوم من قلة، فما هو إلَّا أن لقينا عدونا فانهزم القوم..وذكره بلفظ مطول، وعلي بن عاصم ضعيف، وأخرجه يونس بن بكير في «زيادات المغازي» كما في فتح الباري (٨/ ٢٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٨/ ١٢٣) من طريق أبي جعفر عيسى الرازي، عن الربيع بن أنس البكري، مرسلاً.

(٣) سقط من الأصل.

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٤٥-٢٤٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٣٠٢٨)، والبيهقي في =

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إشارة إلى تسكين النُّفوس أيضاً، وأن تكون مسلمة، لأنَّه ينصر متى شاءَ وعلى أي صورة شاءَ، مما لا يُدَبِّره البشر.

ومن جنده: السَّكينة التي أنزلها في قلوب أصحاب محمد ﷺ فثبت بصائرهم.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: كان ويكون، فهي دالَّة على الوجود بهذه الصِّفة، لا مُعَيِّنة وقتاً ماضياً.

والعلم والإحكام صفتان مقتضيتان عزَّة النّصر لمن أراد الموصوف بهما نَصْرَه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾.

قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ معناه: فازدادوا وتَلَقَّوْا ذلك، فتمكن بعد ذلك.

قوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: بتَكسُّبهم القبول لما أنزل الله عليهم.

ويروى في معنى هذه الآية: أنَّه لمَّا نزلت ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] تكلَّم فيها أهل الكتاب، وقالوا: كيف نتَّبع من لا يدري[1] ما يُفعل به وبالنَّاس معه، فبيَّن الله تعالى في هذه السُّورة ما يفعل به بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، فلمَّا سمعها المؤمنون قالوا: هنيئاً مريئاً، هذا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فنزلت هذه الآية ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ إلى قوله تعالى [في حق الكافرين][2]:

= الدلائل (٤/ ١٦٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه بلفظ مطول، وفيه تفسير السكينة بالرحمة.

(١) في أحمد٣ والمطبوع: «من لا يعرف»، وسقطت «كيف» من السليمانية.

(٢) من الحمزوية.

﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[(١)]، فعرَّفه الله تعالى ما يفعل به وبالمؤمنين والكافرين.

وذكر النَّقَّاش: أَنَّ رجلاً من عَكٍّ قال: هذا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «[هي لي ولأُمَّتي][(٢)] كهاتين»، وجمع بين إِصبعيه[(٣)].

وقوله: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ فيه ترتيب الجمل في السَّرْد، [لا ترتيب][(٤)] وقوع معانيها؛ لأَنَّ تكفير السَّيِّئات قبل إِدخالهم الجنَّة.

وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ قيل معناه: من قولهم: ﴿لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية[(٥)]، فكأَنهم ظنُّوا بالله ظنَّ سَوْءٍ في جهة الرَّسول والمؤمنين.

وقيل: ظنُّوا بالله ظنَّ سَوْءٍ؛ إِذْ هُمْ يعتقدونه بغير صفاته، فهي ظنون سَوْءٍ من حيث هي كاذبة مؤدِّية إِلى عذابهم في نار جهنَّم.

وقوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ كأَنَّه يُقَوِّي التَّأْويل الآخر؛ أَي: أَصابهم ما أَرادوا بكم.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ كالأَوَّل، ورجَّحها الفراءُ وقال: قلَّما تضمُّ العرب السِّين[(٦)]، قال أَبو عليٍّ: هما متقاربان والفتح أَشدّ مطابقة في اللَّفظ[(٧)].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو: ﴿ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ بفتح السين، و﴿دائرة السُّوء﴾ بضمِّ السّين[(٨)]، وهو اسمٌ؛ أَي: دائرة السُّوءِ الذي أَرادوه بكم في ظنِّهم السُّوءَ.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤١٧٢)، ومسلم (١٧٨٦).

(٢) سقط من أحمد٣.

(٣) لم أقف عليه مسنداً.

(٤) في أحمد٣: «لأنه ثبت».

(٥) من الآية (١٢) من هذه السورة.

(٦) معاني القرآن للفراء (٣/ ٦٥).

(٧) الحجة للفارسي (٦/ ٢٠١).

(٨) وهما سبيعتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٣)، والتيسير (ص: ١١٩).

وقرأ الحسن بضمّ السّين في الموضعين، وروي ذلك عن أَبي عمرو ومجاهد[١].

وسمَّى المصيبة الَّتي دعا بها عليهم دائرة؛ من حيث يقال في الزَّمان: إِنَّه يستدير، أَلا ترى أَنَّ السَّنة والشَّهر كأَنَّها مستديرات تذهب على ترتيب وتجيءُ من حيث هي تقديرات للحركة العظمى، ومنه قول النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ الزَّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السَّماوات والأرض»[٢]، فيقال للأَقدار والحوادث الَّتي هي في طيِّ الزَّمان: دائرة؛ لأَنَّها تدور بدوران الزَّمان، كأَنَّك تقول: إِنَّ أَمر كذا يكون في يوم كذا من سنة كذا، فمن حيث يدور ذلك اليوم حتّى يبرز إِلى الوجود تدور هي أَيضاً فيه، [وقد قالوا: أربعاء لا تدور][٣]. ومن هذا قول الشَّاعر:

وَدَائِـرَاتِ الدَّهْرِ قد تـدور[٤] .... [الرجز]

ومنه قول الآخر:

.... وَيَعْلَمُ أَنَّ النَّائِبَاتِ تَـدُورُ[٥] [الطويل]

وهذا كثير، ويحسن أَن تسمى المصيبة دائرة؛ من حيث كمالُها أَن تحيط بصاحبها كما يحيط شكل الدَّائرة على السَّواءِ من النقطة، وقد أَشار النَّقَّاش إِلى هذا المعنى.

و(غضبُ الله تعالى): متى ما[٦] قصد به الإِرادة؛ فهو صفة ذات، ومتى ما قصد به ما يظهر من الأَفعال على المغضوب عليه؛ فهو صفة فعل.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لمجاهد في الشواذ للكرماني (ص: **٤٤٢**)، وللحسن في البحر المحيط لأبي حيان (**٩/ ٤٨٦**)، ولم أجدها لأبي عمرو.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (**٥٥٥٠**)، ومسلم (**١٦٧٩**)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) ليس في المطبوع.

(٤) في المطبوع: «أَن تَدُورَا»، وقبله يقول الراجز: تَردُّ عَنْكَ الْقَدَرَ الْمَقْدُورا. وهكذا تقدم للمؤلف في تفسير الآية (**٥٢**) من سورة المائدة.

(٥) تقدم في تفسير الآية (**٥٢**) من سورة المائدة. وفي نجيبويه والسليمانية وأحمد**٣**: «الدائرات».

(٦) «ما» من السليمانية وأحمد**٣** والمطبوع في الموضعين.

و﴿وَلَعَنَهُمْ﴾: معناه أَبعدهم [من رحمته][١].

وقال تعالى في هذه الآية: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ فذكر صفة العزَّة من حيث تقدَّم الانتقام من الكفّار، وفي الَّتي قَبْلُ قَرَنَ بالحكمة العلمَ من حيث وعده بمغيَّبات، وقرن باللَّفظتين ذكْر جنود الله تعالى الَّتي منها السَّكينة ومنها نقمته من المنافقين والمشركين، فلكلٍّ لفظ وجهٌ من المعنى.

وقال ابن المبارك ـ في كتاب النَّقّاش ـ: جنود الله في السَّماءِ الملائكة، وفي الأَرض الغُزاة في سبيل الله تعالى[٢].

[٥/ ١٠٧] قال القاضي أبو محمد: وهذا بعض من كلٍّ. /

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

من جعل الشَّاهد محصِّل الشَّهادة من يوم يحصلها؛ فقوله: ﴿شَاهِدًا﴾ حالٌ واقعة.

ومن جعل الشّاهد مُؤَدِّي الشّهادة؛ فهي حال مستقبلة، وهي الَّتي يسميِّها النُّحاة: المُقَدَّرَة.

والمعنى: شاهداً على النّاس بأَعمالهم وأَقوالهم حين بلَّغْتَ إِليهم الشَّرع.

﴿وَمُبَشِّرًا﴾ معناه: أَهل الطَّاعة برحمة الله، ﴿وَنَذِيرًا﴾ معناه: أَهل الكفر ينذرهم من عذاب الله.

---

(١) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٢) القول بلا نسبة في البحر المحيط (٩/ ٤٨٦).

وقرأَ جمهور النّاس في كلِّ الأَمصار: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ بالتّاءِ[(١)] على مخاطبة النّاس، على معنى: قُلْ لهم، وكذلك الأَفعال الثّلاثة بعد.

[وقرأَ أَبو عمرو بن العلاءِ، وابن كثير، وأَبو جعفر: ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ بالياءِ على استمرار خطاب محمد ﷺ، وكذلك الأَفعال الثَّلاثة بعد][(٢)].

وقرأَ الجحدريُّ: (وَتَعْزُرُوهُ) بفتح التّاءِ وسكون العين [وضمِّ الزَّاي.

وقرأَ محمد بن السُّمَيفع اليمانيُّ، وابن عبّاس: (وَتُعَزِّزوهُ) بزاءَيْن، من العزَّة.

وقرأَ جعفر بن محمد: (وَتُعْزِرُوهُ) بفتح التّاءِ وسكون العين][(٣)] وكسر الزّاي.

ومعنى ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: تعظِّموه وتكبِّروه، قاله ابن عبّاس[(٤)].

وقال قتادة: معناه: تنصروه بالقتال.

وقال بعض المتأَوِّلين: الضّمائر في قوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ هي كلُّها[(٥)] لله تعالى.

وقال الجمهور: (تعزروه وتوقروه) هما للنَّبيِّ ﷺ، و(تُسَبِّحُوهُ) هي لله، وهي صلاة البَرْدَيْن.

---

(١) «بالتاء» من المطبوع والحمزوية والسليمانية.

(٢) سقط من الأصل، والقراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٣)، والتيسير (ص: ٢٠١)، ولم يوافقهما أبو جعفر، بل قرأ بالتاء، كما في النشر (٢/ ٣٧٥)، وقد تبع المصنفَ في العزو لأبي جعفر: أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤٨٦).

(٣) سقط من الحمزوية والأسدية وأحمد٣، والقراءات الثلاث شاذة، انظر الأولى والثانية في المحتسب (٢/ ٢٧٥)، دون ذكر ابن عباس، والكل في البحر المحيط (٩/ ٤٨٦)، وانظر: مختصر الشواذ (ص: ١٤٢)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٤١).

(٤) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٥١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر قول قتادة فيه (٢٢/ ٢٠٨)، دون ذكر القتال.

(٥) «كلها» ليست في السليمانية.

وقرأ عمر بن الخطاب: (وَتُسَبِّحُوا الله).

وفي بعض ما حكى أَبو حاتم: (وَتُسَبِّحُونَ الله) بالنّون.

وقرأ ابن عبّاس: (ولتسبحوا الله)[١].

و«البُكْرَةُ»: الغُدُوُّ، و«الأَصيلُ»: العَشِيُّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ يريد: في بيعة الرِّضوان، وهي بيعة الشَّجرة حين أَخذ رسول الله ﷺ الأُهبة لقتال قريش لمَّا بلغه قتل عثمان بن عفان رسولِه إِليهم، وذلك قبل أَن ينصرف من الحُدَيْبِيَة، وكان في أَلف وأَربع مئة رجل[٢]، قال النَّـقّاش: وقيل: كان في أَلف وثمان مئة، وقيل: وسبع مئة، وقيل: وست مئة، وقيل: ومئتين.

قال القاضي أبو محمد: وبايعهم رسول الله ﷺ على الصَّبر المتناهي في قتال العدوِّ إِلى أَقصى الجهد، حتّى قال سلمة بن الأَكوع وغيره: بايعنا رسولَ الله ﷺ على الموت[٣].

وقال عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله: بايعنا رسول الله ﷺ على أَلَّا نَفِرَّ[٤].

والمُبَايعة في هذه الآية: مفاعلة من البيع؛ لأَنَّ الله تعالى اشترى منهم أَنفسهم وأَموالهم بأَنَّ لهم الجنَّة، وبقي اسم البيعة بعْدُ على مُعَاقدة الخلفاءِ والملوك، وعلى هذا سمَّت الخوارج أَنْفُسَهم الشُّراة؛ أَي: اشتروا بزعمهم الجنَّة بأَنفسهم.

ومعنى ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾: أَنَّ صفْقَتَهُم إِنَّما يُمْضيها ويمنح ثمنها[٥] الله تعالى.

---

(١) ثلاث قراءات شاذة لم أجد من ذكرها، وفي تفسير الطبري (٢٢/ ٢٠٩): عن قتادة في بعض الحروف: (ويسبحوا الله)، ومثله في تفسير الألوسي (١٣/ ٢٥١) عن ابن جبير وابن مسعود. ووقع في المطبوع وأحمد٣ في الأخيرة: (وَلِيُسَبِّحُوا لله).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٩) عن جابر.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٩٦٠)، ومسلم (١٨٦٠) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٤) حديث ابن عمر أخرجه البخاري (٢٩٥٨)، وحديث جابر أخرجه مسلم (١٨٥٦).

(٥) في السليمانية وأحمد٣: «الثمن فيها»، وفي المطبوع: «يمضيها الله تعالى، ويمنح الثمن».

وقرأَ تمَّام بن العبّاس بن عبد المطلب[١]: (إنما يبايعون لله)[٢]، قال أَبو الفتح: ذلك على حذف المفعول لدلالة الأَوَّل عليه وقُرْبه منه.

وقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾، قال جمهور المتأَوِّلين: اليَدُ بمعنى: النِّعمة؛ أَي: نعمة الله في نفس هذه المبايعة ـ لما يُستقبل من محاسنها ـ فوق أَيديهم الَّتي مَدُّوها لبيعتك.

وقال آخرون: يَدُ اللَّهِ هنا بمعنى: قوَّة الله فوق قواهم؛ أَي: في نصرك ونصرهم.

فالآية على هذا: تعديد نعمة عليهم مستقبلة مُخْبَرٌ بها، وعلى التَّأْويل الأَوَّل: تعديد نعمة حاصلة يشرف بها الأَمر.

قال النَّقّاش: يَدُ الله في الثّواب فوق أَيديهم[٣].

وقوله: ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾؛ أَي: فمن نقض هذا العهد، فإِنَّما يجني على نفسه، وإِيَّاها يُهْلِك، فنُكْثُه عليه لا له.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾ بالنَّصب على التَّعظيم.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق: (فمن أوفى بما عاهد عليه اللهُ) بالرَّفع[٤]؛ على أَن الله هو المعاهد.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿عَلَيۡهُ﴾ مضمومة الهاءِ، وروي ذلك عن ابن أبي إِسحاق[٥].

---

(١) هو تمَّام بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، أُمُّه أُمُّ ولد، كان أصغر إخوته، كل ولد العباس لهم رؤية، ولا يحفظ لتمام عن النّبي ﷺ رواية من وجه ثابت، وكان أشد قريش بطشاً، وولي المدينة في زمن علي. انظر: الإصابة (١/ ٤٩٣).

(٢) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٧٥). وفي أحمد٣ والمطبوع: «يبايعون الله».

(٣) بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٥٠١)، والهداية لمكي (١١/ ٦٩٤٤)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٦٧).

(٤) وهي شاذة، انظرها في الدر المصون (٩/ ٧١٢)، واقتصر في البحر المحيط (٩/ ٤٨٧) على مفهومها بأن النصب قراءة الجمهور.

(٥) وهي سبعية، انظر: السبعة (ص: ١٣١)، والتيسير (ص: ١٤٤)، وعزوها لابن أبي إسحاق في =

و«الأَجرُ العظيم»: الجنَّة، لا يفنى نعيمها، ولا ينقضي أَمدها.

وقرأَ عاصم، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائيُّ، والعامَّة: ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾ بالياءِ.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿فَسَنُؤْتِيه﴾ بالنّون[١].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (فَسَيُؤْتِيهِ اللهُ)[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾.

﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ قال مجاهد وغيره: هم جُهَيْنَة ومُزَيْنَة ومن كان حول المدينة من القبائل[٣]، [فإِنَّهم في خروج رسول الله ﷺ إِلى عُمْرَته عام الحديبيَة رأَوا أَنَّه يستقبل عدوّاً عظيماً من قريش وثقيف وكنانة والقبائل][٤] المجاورة لمكة وهم الأَحابيش، ولم يكن تمكن إِيمان أُولئك الأعراب المجاورين للمدينة، فقعدوا عن النَّبيِّ ﷺ وتخلَّفوا، وقالوا: لن يرجع محمد ﷺ ولا أَصحابه من هذه السَّفرة، ففضحهم الله [في هذه الآية][٥]، وأَعلم محمداً بقولهم واعتذارهم قبل أَن يصل إِليهم، فكان كذلك، قالوا: شغلتنا الأَموال والأَهلون فاستغفر لنا، وهذا منهم خُبْثٌ وإِبطال، فلذلك قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا

= إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٣١). وفي المطبوع: «ابن اسحاق»، وفي السليمانية: «أبي إسحاق».

(١) سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٠١)، والسبعة (ص: ٦٠٣).

(٢) كذا في الأصل، وهو الموافق لما في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨٥)، وفي النسخ الأخرى: (فسوف يؤتيه)، وهي كذلك في الحجة للفارسي (٦/ ٢٠١)، وكلتاهما شاذة.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٢١٢).

(٤) سقط من الحمزوية والأسدية٣ وأحمد٣.

(٥) ليس في أحمد٣.

﴿لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾، قال الرُّمَّانيُّ: لا يُقال أَعرابيٌّ إِلَّا لأَهل البوادي خاصة[١].

ثم قال لنبيِّه ﷺ: قل لهم: ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾؛ أَي: من يحمي منه أَموالكم وأَهليكم إِن أَراد بكم فيها سوءاً؟

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ بفتح الضاد.

وقرأَ حمزة والكسائيُّ: ﴿ضُرّاً﴾ بالضَّمِّ، ورجَّحها أَبو عليٍّ[٢]، وهما لغتان.

وفي مصحف / ابن مسعود: (إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً)[٣]. [٥/ ١٠٨]

ثمَّ ردَّ عليهم بقوله: ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

ثمَّ فسَّر لهم العلَّة التي تخلَّفوا من أَجلها بقوله: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ﴾ الآية.

وفي قراءَة عبد الله: (إلى أهلهم) بغير ياءٍ[٤].

و﴿بُورًا﴾ معناه: فاسدين هَلْكَى بسبب فسادهم، والبوار: الهلاكُ، وبارت السلعة؛ مأْخوذ من هذا، و«بُورٌ» يوصف به الجمع والإِفرادُ، ومنه قول ابن الزِّبَعْرى:

يَا رَسُولَ المَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي ... رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنا بُورُ[٥] [الخفيف]

والبُورُ في لغة أَزْد عمَّان: الفاسد، ومنه قول أَبي الدَّرداءِ: فأَصبح ما جمعوا بُوراً[٦]؛

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٣٤).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٤)، والتيسير (ص: ٢٠١). وانظر ترجيح أبي علي في: الحجة (٦/ ٢٠٢).

(٣) شاذة، لم أجدها، والذي في المصاحف لابن أبي داود (ص: ١٨٥) أنه قرأ: (إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم رحمة).

(٤) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٦٥).

(٥) تقدم منسوباً لأبي سفيان بن الحارث في تفسير الآية (٢٨) من سورة إبراهيم، وانظر التعليق عليه هناك.

(٦) قال ابن أبي حاتم في التفسير (٦/ ١٥٣): «حدثنا أبي، حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا الوليد، حدثنا ابن عَجْلان، حدثني عَوْن بن عبد الله بن عتبة، أن أبا الدرداء رضي الله عنه، لما رأى ما أحدث =

أَي: فاسداً ذاهباً، ومنه قول حسّان بن ثابت:

[البسيط] لا يَنْفَعُ الطُّولُ مِنْ نُوْكِ القُلُوبِ وَقَدْ ... يَهْدِي الإِلهُ سَبِيلَ المعْشَرِ الْبُورِ[١]

وقال الطَّبريُّ في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ يعني به قولهم: ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾؛ لأَنَّهم قالوا ذلك مصانعة من غير توبة ولا ندم.

قال: وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ﴾ الآية معناه: وما ينفعكم استغفاري، وهل أَملك لكم شيئاً والله قد أَراد ضرَّكم بسبب معصيتكم؟ كما لا أَملك إِن أَراد بكم النَّفع في أَموالكم وأَهليكم[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾.

لمَّا قال لهم: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ توعدَّهم بعد ذلك بقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية؛ أَي: وأَنتم هكذا، فأَنتم ممن أُعدَّت لهم السَّعير وهي النَّار المؤجَّجة، و«المسْعر»: ما تُحرك به النَّار، ومنه قوله ﷺ: «وَيْل أُمِّه مِسْعَرُ حَرْب»[٣].

= المسلمون في الغُوطة من البنيان ونصب الشجر، قام في مسجدهم فنادى: يا أهل دمشق، فاجتمعوا إليه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا تستحيون! ألا تستحيون! تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، إنه كانت قبلكم قرون، يجمعون فيرعون، ويبنون فيوثقون، ويأملون فيطيلون، فأصبح أملهم غروراً، وأصبح جمعهم بوراً، وأصبحت مساكنهم قبوراً، ألا إن عاداً ملكت ما بين عدن وعمان خيلاً وركاباً، فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين، والإسناد لين، ولم يصرح عون بالسماع».

(١) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٢١٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣١٤)، والنُّوْكُ بضم النون المشددة وفتحها: الحُمْقُ.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢١١).

(٣) هذا جزء من حديث صلح الحديبية الذي أخرجه البخاري (٢٧٣٢) عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم.

ثمَّ رجَّى بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية؛ لأَنَّ القوم لم يكونوا مجاهرين بالكفر، فلذلك جاء[١] وعيدهم وتوبيخهم ممزوجاً فيه بعض الإمهال والتَّرجية؛ لأَنَّ الله تعالى قد كان علم منهم أَنَّهم سيؤمنون[٢].

ثمَّ إِنَّ الله تعالى أَمر نبيَّه ﷺ على ما روي بغزو خيبر ووعده بفتحها، وأَعلمه أَنَّ المخلَّفين إِذا رأَوا مسير رسول الله ﷺ إِلى يهود ـ وهم عدوٌّ مستضعف[٣] ـ طلبوا الكون معه رغبة في عَرَض الدُّنيا والغنيمة، وكان كذلك.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ معناه: يريدون أَن يُغيِّرُوا وعده لأَهل الحديبيَة بغنيمة خيبر.

وقال [عبد الله بن][٤] زيد بن أَسلم: ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: قوله تعالى: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣][٥]. وهذا قول ضعيف؛ لَأنَّ هذه الآية نزلت في رجوع رسول الله ﷺ من تبوك، وهذا في آخر عمره، وآية هذه السُّورة نزلت سنة الحديبيَة، وأَيضاً فقد غزت جُهَيْنَة ومُزَيْنة بعد هذه المدَّة مع رسول الله ﷺ، وقد فضَّلهم رسول الله ﷺ بعد ذلك على تميم وغطفان وغيرهم من العرب، الحديث المشهور[٦]، فأمره[٧] الله

---

(١) في المطبوع وأحمد٣: «جاز».

(٢) في أحمد٣: «سيتوبون».

(٣) وردت الفقرة الأخيرة في أحمد٣ كما يلي: «رأوا مسيره إليها وعدوها مستضعف...».

(٤) سقط من الحمزوية، وهو عبد الله بن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب، أحد الإخوة، سمع أباه، روى عنه: ابن المبارك، وابن مهدي، والقعنبي، وقتيبة، وثقه أحمد، وضعفه ابن معين وغيره، وهو أصلح حالاً من أخويه، تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٩٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢١٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٤٦)، وفيهما: ابن زيد، والغالب أنه عبد الرحمن، والله أعلم.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٥١٥) (٣٥١٦) ومسلم (٢٥٢١) وهو قوله: أرأيتم إن كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيراً من بني تميم وبني أسد ومن بني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة.

(٧) في المطبوع: «فأخبره».

تعالى أَن يقول لهم في هذه الغزوة إِلى خيبر: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾، وخصَّ الله بها أَهل الحديبيَة.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يريد: وعده قبلُ باختصاصهم بها.

وقول الأَعراب: ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ معناه: بل يَعِزُّ عليكم أَن نصيب مغنماً ومالاً، فردَّ الله على هذه المقالة بقوله: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أَي: لا يفقهون[١] من الأُمور مواضع الرُّشد، وذلك هو الَّذي خلَّفهم عن رسول الله ﷺ حتّى كان ذلك سبباً إِلى منعهم من غزو خيبر.

وقرأَ أَبو حيوة: (تَحْسِدُونَنَا) بكسر السّين[٢].

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿كَلَٰمَ﴾، قال أَبو علي: هذا أَخص بما كان مفيداً[٣] حديثاً.

وقرأَ الكسائيُّ، وحمزة، وابن مسعود، وطلحة، وابن وثاب: ﴿كَلِمَ﴾[٤]. والمعنى فيهما متقارب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾.

أَمر الله نبيَّه ﷺ بالتَّقدمة [إِلى هؤلاءِ المُخَلَّفين][٥] بأَنَّهم سيؤمرون بقتال عدوٍّ بَئِيس، وهذا يدلُّ على أَنَّهم كانوا يظهرون الإِسلام، وإِلَّا فلم يكونوا أَهلاً [لهذا الأمر][٦].

واختلف النّاس، من القوم المشار إِليهم في قوله: ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾؟

---

(١) في أحمد٣: «يعرفون».

(٢) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٤٢)، وزاد: ابن عون.

(٣) «الحجة» للفارسي (٦/ ٢٠٢). وفي غير نجيبويه: «مقيداً»، وزاد في السليمانية: «كلاماً».

(٤) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٤)، والتيسير (ص: ٢٠١)، وانظر موافقة ابن وثاب في: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٣٢)، وزاد: الأعمش. وسقط من نجيبويه قوله: «وطلحة».

(٥) سقط من أحمد٣، وفيه: «سيدعون إلى قتال عدو... إلخ».

(٦) في أحمد٣ والمطبوع: «لذلك الآخر».

فقال عكرمة، وابن جبير، وقتادة: هم هوازن ومَنْ حارب رسول الله ﷺ في حُنَيْن[١].

قال القاضي أبو محمد: ويندرج في هذا القول عندي: من حُورب وغلب في فتح مكَّة.

وقال كعب: هم الرّوم الَّذين خرج إِليهم رسول الله ﷺ عام تبوك، والَّذين بعث إِليهم في غزوة مؤتة[٢].

وقال الزُّهريُّ والكلبيُّ: هم أَهل الرِّدَّة وبنو حنيفة باليمامة[٣].

وقال منذر بن سعيد: يتركَّب على هذا القول أَنَّ الآية مؤذنة بخلافة أَبي بكر الصِّديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما[٤]. يريد: لما كشف الغيبُ أَنَّهما دَعَوا إِلى قتال أَهل الرِّدَّة.

وحكى الثَّعلبيُّ عن رافع بن خَديج أَنَّه قال: والله لقد كنَّا نقرأُ هذه الآية فيما مضى ولا نعلم من هم، حتّى دعا أَبو بكر إِلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أَنَّهم أريدوا[٥].

قال ابن عبَّاس[٦]، وابن أَبي ليلى: هم الفُرس، وقال الحسن: هم فارس والرّوم[٧].

---

(١) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٢٠).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٦٩٥٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٢٠).

(٤) غير متوفر، ولم نجد من نقله عنه غير المؤلف.

(٥) في المطبوع: «أنهم هم»، قال في الحاشية: في الأصول: «فعلمنا أَنَّهم ارتدوا»، وكذا في السليمانية وأحمد٣. وفي بعضها: «فعلمنا أَنَّهم أزيد». وانظر: تفسير الثعلبي (٩/ ٤٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٧٢).

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٦٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٦٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٧) انظر قولهما في: تفسير الطبري (٢٢/ ٢١٩).

وقال أَبو هريرة: هم قوم لم يأْتوا بعد[١].

والقولان الأَوَّلان حسنان؛ لأَنَّهما الذي كشف الغيب، وباقيها ضعيف.

وقال منذر بن سعيد: رفع الله في هذه الآية الجزية، وليس إِلَّا القتال أَو الإِسلام، وهذا لا يوجد إِلَّا في أَهل الردَّة[٢].

[٥/ ١٠٩] قال القاضي أَبو محمد: وكذا من حُورب / في فتح مكَّة.

وقرأَ الجمهور من القراء: ﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ على القطع؛ أَي: أَو هم يُسلمون دون حرب.

وقرأَ أُبيُّ بن كعب ـ فيما حكى الكسائيُّ ـ: (أو يسلموا) بنصب الفعل[٣] على تقدير: أَو يكون أَن يُسْلموا، ومثله من الشعر قول امرئ القيس:

[الطويل] فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا[٤]

يروى: «نموتَ» بالنَّصب، و«نموتُ» بالرَّفع، فالنَّصب على تقدير: أَو يكون أَن نموتَ، والرَّفع على القطع: أَو نحن نموتُ.

وقوله: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ معناه: فيما تُدعون إِليه.

والعذاب الَّذي توعدهم به: يحتمل أَن يريد به عذاب الدُّنيا، وأَمَّا عذاب الآخرة فَبَيِّنٌ[٥] فيه.

---

(١) منقطع، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٦)، والطبري (٢١/ ٢٦٨) من طريق معمر، عن الزهري، عن أبي هريرة رضي الله عنه والزهري لم يسمع من أبي هريرة، وانظر جامع التحصيل (٧١٢).

(٢) في نجيبويه: «الذمة».

(٣) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٣٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٤٦)، والكشاف (٤/ ٣٣٨).

(٤) تقدم في تفسير الآية (١٣) من سورة إبراهيم.

(٥) في السليمانية: «مترقب»، وفي أحمد٣: «فمترقب»، وسقطت منه: «يريد به».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾.

لما بالغ عزَّ وجلَّ في عتب[1] هؤلاءِ المتخلِّفين من القبائل المجاورة للمدينة كجهينة ومزينة وغفار وأَسلم وأَشجع، عقَّب ذلك بأَنْ عذر أَهل الأَعذار من العَرَج والعَمَى والمرض جملة، ورفع الحرج عنهم والضّيق والمأْثم، وهذا حكم هؤلاءِ المعاذير في كلِّ جهاد إِلى يوم القيامة، إِلَّا أَنْ يَحْزُبَ حازِبٌ في حضرة مَّا، فالفرض[2] متوجِّه بحسب الوُسع ومع ارتفاع الحرج، فجائز لهم الغزو وأَجرهم فيه مضاعف؛ لأَنَّ الأَعرج أَحرى النّاس بالصّبر وأَلّا يفرَّ.

وقد غزا ابن أُمِّ مكتوم وكان يمسك الرّاية في بعض حروب القادسية، وقد خرَّج النّسائيُّ هذا المعنى، وذكر ابن أُمِّ مكتوم رحمه الله[3].

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿يُدْخِلْهُ﴾ بالياءِ.

وقرأَ ابن عامر، ونافع، وأَبو جعفر، والأَعـرج، والحسن، وشيبة، وقتادة: ﴿نُدْخِلْهُ﴾ بالنُّون.

وكذلك: ﴿يُعَذِّبْهُ﴾، و﴿نُعَذِّبْهُ﴾[4].

---

(١) في الحمزوية ونور العثمانية: «عيب»، وفي نجيبويه: «عتاب».

(٢) في المطبوع والحمزوية: «فالغرض».

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٢١٢)، وأحمد في المسند (٣/ ١٣٢-٣/ ١٩٢)، وأبو داود (٥٩٥) مختصراً، وأبو يعلى (٣١١٠-٣١٢٣-٣١٣٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤/ ١٥٦) من طرق عن قتادة، عن أنس: أن رسول الله ﷺ استخلف ابن أم مكتوم على المدينة مرتين، ولقد رأيته يوم القادسية ومعه راية سوداء. ولم نقف عليه عند النسائي، وانظر: تحفة الأشراف للمزي (١٣٢١).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٤)، والتيسير (ص: ٢٠١)، والنشر (٢/ ٢٤٨). وانظر للباقين: البحر المحيط (٩/ ٤٩١).

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ تشريف وإِعلامٌ برضاه عنهم حين البيعة، وبهذا سُمِّيت بيعة الرِّضوان، والرِّضا بمعنى الإِرادة، فهو صفة ذات، ومن جعل ﴿إِذْ﴾ مُسَبِّبَة؛ بمعنى: لأَنهم بايعوا [تحت الشَّجرة][١]، جاز أَن يجعل ﴿رَضِيَ﴾ بمعنى: أَظهر النعم عليهم، بسبب بيعتهم، فالرِّضا ـ على هذا ـ صفة فعل. وقد تقدَّم القول في المبايعة ومعناها.

وكان سبب هذه المبايعة: أَنَّ رسول الله ﷺ أَراد أَن يبعث [إلى مكة][٢] رجلًا يبيِّن لقريش أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يريد حرباً وإِنَّما جاءَ معتمراً، فبعث إِليهم خِرَاشَ[٣] بنَ أُميَّة الخزاعيَّ، وحمله على جمل له يقال له: الثَّعلب، فلمَّا كلَّمهم عقروا الجمل وأَرادوا قتل خِرَاش، فمنعته الأَحابيش، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأَراد بعث عمر بن الخطاب، فقال عمر: يا رسول الله! أنا[٤] قد علمتَ فظاظتي على قريش، وهم يبغضوني، وليس هناك من بني عديٍّ بن كعب من يحميني، ولكن ابعث عثمان بن عفان، فبعثه رسول الله ﷺ.

فذهب[٥]، فلقيه أَبان بن سعيد بن العاص، فنزل عن دابته وحمله عليها، وأَجاره حتى جاءَ قريشاً فأَخبرهم، فقالوا له: إِن شئت يا عثمان أَن تطوف بالبيت فطُف، وأَمَّا دخولكم علينا فلا سبيل إِليه، فقال عثمان: ما كنت لأَطوف به حتّى يطوف به رسول الله ﷺ.

ثمَّ إِنَّ بني سعيد بن العاص حَبَسُوا عثمان على جهة المَبَرَّة، فأَبطأَ على رسول الله ﷺ، وكانت الحديبيَة من مكَّة على نحو عشرة أَميال، فصرخ صارخ من عسكر رسول الله

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) في المطبوع: «لقريش».

(٣) في السليمانية وأحمد٣: «خداش»، وهو خراش بن أمية بن ربيعة الخزاعي ثم الكليبي، يكنى أبا نضلة، وهو حليف بني مخزوم، شهد المريسيع والحديبية، وحلق رأس النبيّ ﷺ يومئذٍ أو في العمرة التي تليها، وكان حجاماً. انظر: الإصابة (٢/ ٢٣١).

(٤) في المطبوع ونور العثمانية ونجيبويه: «إِنَّك».

(٥) «فذهب» ليس في أحمد٣.

ﷺ: [قُتل عثمان][١]، فحمي رسول الله ﷺ والمؤمنون وقالوا: لا نبرح إن كان هذا حتّى نلقى القوم، فدعا رسول الله ﷺ إلى البيعة، ونادى مناديه: أيُّها النّاس! البيعةَ البيعةَ، نزل روح القُدس، فما تخلَّف عن البيعة أَحد ممن شهد الحديبيَة إِلَّا الجَدُّ بن قيس المنافق.

وحينئذٍ جعل رسول الله ﷺ يده على يده، وقال: هذه يد عثمان[٢]، وهي خير من يد عثمان، ثمَّ جاءَ عثمان رضي الله عنه بعد ذلك سالماً[٣].

والشَّجرة سَمُرة كانت هنالك ذهبت بعد سنين، فمرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالموضع في خلافته، فاختلف أَصحابه في موضعها، فقال عمر رضي الله عنه: سيروا، هـذا التَّـكلُّف[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، قال قوم: معناه: من كراهة البيعة على الموت ونحوه. وهذا ضعيف؛ فيه مذمَّة للصَّحابة.

وقال الطَّبريُّ، ومنذر بن سعيد: معناه: من الإِيمان وصحَّته والحبِّ في الدّين والحرص عليه[٥].

وهذا قول حسن، لكنَّه من كانت هذه حاله فلا يحتاج إِلى نزول ما يسكنه، [أَمَا

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) في السليمانية: «لعثمان».

(٣) صحيح، أخرجه أبو داود (٢٧٦٨)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٢٧٣-٢٧٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٩٠٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ١٤، ١٦) وغيرهم من طرق عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، به.

(٤) مرسل، أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧٥) بإسناد صحيح عن بكير بن عبد الله بن الأشج قال: بلغه أن الناس بايعوا رسول الله ﷺ على الموت، فقال: رسول الله ﷺ: «عَلَى ما اسْتَطَعْتُمْ»، والشجرة التي بُويع تحتها بفج نحو مكة، وزعموا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، فقال: أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول هنا، وبعضهم يقول هاهنا، فلما كثر اختلافهم قال: سيروا، هذا التكلف، فذهبت الشجرة، وكانت سمرة؛ إما ذهب بها سيل، وإما شيء سوى ذلك.
ووقع في السليمانية: «ما هذا التكلف؟».

(٥) لفظ الطبري (٢٢/ ٢٢٧): من صدق النية، والوفاء بما يبايعونك عليه، والصبر معك.

إِنه يحتمل أَن يُجازى بالسَّكينة][1]، والفتح القريب، والمغانم.

وقال آخرون: معناه: من الهمِّ بالانصراف عن المشركين والأَنَفة في ذلك على نحو ما خاطب فيه عمر وغيره[2].

وهذا تأْويل حسن يترتب معه نزول السَّكينة والتعريض[3] بالفتح القريب.

و﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾ هنا: تقرير قلوبهم وتذليلها لقبول أَمر الله تعالى، والصَّبر له.

وقرأَ النّاس: ﴿وَأَثَٰبَهُمۡ﴾، قال هارون: وقد قرئت: (وآتَاهُمْ) بالتّاءِ بنقطتين[4].

و«الْفَتْحُ الْقَرِيبُ»: خيبر، وذلك أَنَّ رسول الله ﷺ انصرف بالمؤمنين [إلى المدينة][5] وقد وعده الله بخيبر، وخرج إِليها لم يلبث.

قال أَبو جعفر النّحّاس: وقد قيل: «الفتح القريب»: فتح مكَّة، و«المغانم الكثيرة»: فتح خيبر[6].

وقرأَ يعقوب في رواية رويس: (تَأْخُذُونَهَا) على مخاطبتهم، بالتاءِ من فوق[7].

---

(١) سقط من أحمد٣.

(٢) يقصد ما جاء في البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥) في حديث صلح الحديبية أن عمر بن الخطاب فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: «بلى»، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى»... الحديث.

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «والتَّعويض».

(٤) وهي شاذة، نقلها في مختصر الشواذ (ص: ١٤٢) عن الحسن ونوح القارئ، وكذا في البحر المحيط (٩/ ٤٩٣) بأوضح منه. وفي الأصل ونور العثمانية: «وأتابهم»، وفي المطبوع: «وأتاهم»، والتصويب من مصادر كتب القراءات.

(٥) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٦) لفظه في إعراب القرآن (٤/ ١٣٣): فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ فأهل التفسير على أنها خيبر، وفي معاني القرآن (٦/ ٥٠٦): (فعجل لكم هذه) قال مجاهد يعني خيبر، وليس فيهما ذكر لفتح مكة، وانظر تفسير الماوردي (٥/ ٣١٦).

(٧) وهي شاذة، عزاها له أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٤٩٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٤٢) للزهري.

وقرأ الجمهور: ﴿يَأْخُذُونَهَا﴾ على الغيبة.

واختلف النّاس في عدَّة المبايعين؛ فقيل: أَلف وخمس مئة، قاله قتادة(١).

وقيل: وأَربع مئة، / قاله جابر بن عبد الله(٢). [٥/ ١١٠]

وقيل: وخمس مئة وخمسة وعشرون، قاله ابن عبّاس(٣).

وقيل: وثلاث مئة، قاله ابن أَبي أَوفى(٤)، وقيل غير هذا مما ذكرناه من قبل.

وأَوّل من بايع ذلك اليوم رجل من بني أَسد يقال له: أَبو سنان بن وهب(٥)، قاله الشَّعبيُّ(٦).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ الْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ﴾ الآية، مخاطبةٌ للمؤمنين، ووعْدٌ بجميع المغانم الَّتي أَخذها المسلمون، ويأْخذونها إِلى يوم القيامة، قاله مجاهد وغيره.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢١/ ٢٧٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٧). وفي نجيبويه: «ابن أوفى».

(٥) هو أبو سنان بن وهب، اسمه عبد الله، ويقال وهب بن عبيد الله الأسدي، شهد بدراً، وقال الشعبي: كان أول من بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وزعم الواقدي أنَّ الذي وقع له ذلك سنان بن أبي سنان، وأن أبا سنان مات في حصار قريظة. الإصابة (٧/ ١٦٢).

(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٤١٤)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ١٣٧). والقول في تفسير الثعلبي (٩/ ٤٧) بلا نسبة.

وقوله: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ يريد خَيْبَر، وقال زيد بن أَسلم وابنه: «المغانم الكثيرة»: خيبر[١]، و﴿هَٰذِهِۦ﴾ إِشارة إِلى البيعة والتَّخلُّص من أَمر قريش، [وقاله ابن عباس][٢].

وقوله: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ يريد: من وَلِيَ عورة[٣] المدينة بعد خروج النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين منها، وذلك أَنه كان من أَحياءِ العرب ومن اليهود من يعادي، وكانت قد أَمكنتهم فرصة، فكفَّهم الله تعالى عن ذراري المسلمين وأَموالهم، وهذه للمؤمنين العلامة على أَنَّ الله ينصرهم ويلطف بهم. قاله قتادة[٤].

وحكى الثَّعلبيُّ عنه أَنَّه قال: كفَّ الله تعالى غطفان [ومن معها][٥] عن النَّبيِّ ﷺ حين جاؤوا لنصر أَهل خيبر، وذكره النَّقاش.

وقال الثَّعلبيُّ أَيضاً عن بعضهم: إِنَّه أَراد كفَّ قريش[٦].

قوله: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾، قال عبد الله بن عبَّاس: الإِشارة إِلى بلاد فارس والرّوم[٧].

وقال الضَّحاك وابن زيد: الإِشارة إِلى خيبر، وقال قتادة والحسن: الإِشارة إِلى مكَّة[٨].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣٠).

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣، والأثر أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٣٠) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في السليمانية: «عدوة».

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣١).

(٥) سقط من المطبوع ونجيبويه، وفي أحمد٣: «ومن فيها».

(٦) انظر القول الأول في تفسير الثعلبي (٩/ ٤٨)، أما الثاني بأنهم قريش فلم أجده في النسخة المطبوعة منه، لكن نقله عنه في زاد المسير (٤/ ١٣٣)، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣١).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٨٤) من طريق شعبة، عن سماك بن الوليد الحنفي، وهو صدوق، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٨) انظر أقوال ابن زيد والضحاك وقتادة في: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣٤)، وأما الحسن فقد نقل عنه مكي في الهداية (١١/ ٦٩٦٠): أنهم فارس والروم؛ كقول ابن عباس.

وهذا هو القول الَّذي يتَّسق معه المعنى ويتأيَّد.

وقوله: ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ معناه: بالقدرة والقهر لأَهلها؛ أَي: قد سبق في علمه ذلك وظهر فيها أَنهم لم يقدروا عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾، إِشارة إِلى قريش ومن والاها في تلك السَّنة، قاله قتادة[(١)]، وفي هذا تقوية لنفوس المؤمنين.

وقال بعض المفسِّرين: أَراد الرُّوم وفارس، قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وإِنَّما الإِشارة إِلى العدوِّ الأَحضر[(٢)].

وقوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ إِشارة إِلى وقعة بدر، وقيل: إِشارة إِلى عادة الله من نصر الأَنبياءِ قديماً، ونصب ﴿سُنَّةَ﴾ على المصدر، ويجوز الرَّفع، ولم يُقرأ به.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾ الآية، رُوي في سببها: أَنَّ قريشاً جمعت جماعة من فتيانها، وجعلوهم مع عكرمة بن أَبي جهل، وخرجوا يطلبون غِرَّة في عسكر رسول الله ﷺ، واختلف النّاسُ في عدد هؤلاءِ اختلافاً متفاوتاً، فلذلك اختصرته.

فلمّا أَحسَّ بهم المسلمون بعث رسول الله ﷺ في أَثرهم خالد بن الوليد وسمَّاه حينئذ: سيف الله، في جملة من النّاس، ففرّوا أَمامهم حتّى أَدخلوهم بيوت مكَّة وأَسروا منهم جملة، فسيقوا إِلى رسول الله ﷺ، فمنَّ عليهم وأَطلقهم، فهذا هو أن كفّ الله أَيديهم عن المسلمين بالرُّعب[(٣)].

وكفُّ أَيدي المسلمين عنهم بالنَّهي في بيوت مكَّة وغيرها، وذلك هو: بَطْن مكَّة.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣٥).

(٢) في نجيبويه: «الأخص».

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (٢١/ ٢٩١) عن محمد بن حميد الرازي، عن يعقوب القمي، عن جعفر ابن عبد الله القمي، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي قال: لما خرج النبيّ ﷺ بالهدي، وانتهى إلى ذي الحليفة، قال له عمر: يا نبيّ الله، تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع،... فذكره، وأخرج مسلم (١٨٠٨) نحوه دون ذكر خالد بن الوليد.

[وقال قتادة: أَسر النَّبيُّ ﷺ هذه الجملة بالحديبيَة عند عسكره ومَنَّ عليهم[(١)]، وذلك هو بَطْن مكةَّ][(٢)].

قال النَّقاش: الحرم كلُّه مكَّة، والظَّفَر عليهم: هو أَسْر من أُسر منهم[(٣)].

[وما في هذه][(٤)] الآية تحريض على العمل الصّالح؛ لَأنَّ من استشعر أَنَّ الله يُبصر عمله أَصلحه.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتّاءِ على الخطاب.

وقرأَ أَبو عمرو وحده: ﴿بما يَعْمَلُون﴾ بالياءِ؛ على ذكر الكفّار وتهددهم[(٥)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾.

[يريد الله بقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أَهل مكَّة الَّذين تقدَّم ذكرهم][(٦)].

وقوله: ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: هو منعهم النَّبيَّ ﷺ وأَصحابَه من العُمْرَة عام الحُدَيْبِيَة، وذلك أَنَّ رسول الله ﷺ خرج من المدينة في ذي القعدة، سنة

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣٨)، والهداية لمكي (١١/ ٦٩٦٢).

(٢) سقط من الحمزوية والسليمانية وأحمد٣.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في نجيبويه والسليمانية ونور العثمانية وأحمد٣ بدلًا منه: «وباقي».

(٥) وهما سبيعتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٤)، والتيسير (ص: ٢٠١). وفي الحمزوية: «توعدهم». وفي المطبوع: «تهديدهم».

(٦) في أحمد٣: يريد أهل مكة.

ستٍّ من الهجرة يريد العُمْرة وتعظيم البيت، وخرج معه بمئة بدنة، قاله النقاش، وقيل: بسبعين، قاله المِسْور بن مخرمة، ومروان بن الحكم[١].

فلمَّا دنا من مكة قال أَهل مكَّة: هذا محمد الَّذي قد حاربنا وقتل فينا يريد أَن يدخل مكَّة مراغمةً لنا، والله! لا تركناه حتَّى نَمُوت دون ذلك، فاجتمعوا لِحَرْبه، واستنجدوا بقبائل من العرب وهم الأَحابيش، وبعثوا فغوَّروا لرسول الله ﷺ المياه الَّتي تقرب من مكَّة.

[فجاءَ رسول الله ﷺ حتّى نزل على بئر الحُدَيْبِيَة، وحينئذٍ وضع سهمه في الماءِ، فجرى غمراً حتّى كفى الجيش، ثمَّ إِنَّ رسول الله ﷺ بعث إِلى مكَّة][٢] عثمان، وبعث أَهل مكَّة إِليه رجالًا، / منهم عُرْوة بن مسعود، وبُدَيل بن وَرْقاءَ، وتوقف رسول الله ﷺ هناك أَيَّاماً حتّى سَفَر سهيل بن عمرو، وبه انعقد الصُّلح على أَن ينصرف رسول الله ﷺ عنهم عامه[٣] ويعتمر من العام القابل[٤]. [٥/ ١١١]

فهذا كان صَدَّهم إِيَّاه، وهو مستوعب في كتب السِّيَر؛ فلذلك اختصرناه.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ بسكون الدّال.

وقرأَ الأَعرج، والحسن بن أَبي الحسن: (وَالهَدِيَّ) بكسر الدّال وشدِّ الياءِ[٥]، وهما لغتان.

وهو معطوف على الضَّمير في قوله: ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾؛ أَي: وصدُّوا الهدي.

و﴿مَعْكُوفًا﴾ حال، ومعناه: محبوساً، تقول: عكفتُ الرَّجل عن حاجته: إِذا حَبَسْتَه.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣٩)، وفي أحمد٣: «تسعين»، والقولان في تفسير مقاتل (٤/ ٧٥)، والأول للواقدي في مغازيه (٣/ ١٠٨٨).

(٢) سقط من الحمزوية.

(٣) «عامه» من السليمانية.

(٤) انظر روايات صلح الحديبية في البخاري (٢٧٣٢)، ومسلم (١٧٨٣-١٧٨٤-١٧٨٥).

(٥) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٤٣) لعصمة عن عاصم، وفي البحر المحيط (٩/ ٤٩٥) للمذكورين، وزاد آخرين.

وقد قال أَبو عليٍّ: إِنَّ «عكف» لا يعرف متعدِّياً، وحكى ابن سيدَه وغيره تَعَدِّيه[١].

وهذا العَكْف الَّذي وقع للهدي كان من قِبَل المشركين بصدِّهم، ومن قِبَل المسلمين لرويَّتهم ونظرهم[٢] في أَمرهم، فحبسوا هديهم.

و﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَن يَبۡلُغَ﴾ يحتمل أَن يعمل فيها [الصَّدُّ، كأَنَّه قال: وصدُّوا الهدي كراهة أَنْ، أَو: عَنْ أَنْ.

ويحتمل أَن يعمل فيها][٣] العكف، فتكون ﴿أَن﴾ مفعولًا من أَجله؛ أَي: الهَدْي المحبوس لأَجل أَن يبلغ محِلَّه، [وهذا هو حبس المسلمين، وإِلَّا فحبس المشركين ليس لأَجل أَن يبلغ الهَدْي محِلَّه][٤].

و﴿مَحِلَّهُۥ﴾: مكَّة والبيت.

وذكر الله تعالى العلَّة في أَن صَرَفَ المسلمين ولم يمكِّنهم من دخول مكَّة في تلك الوجهة، وهي أَنَّه كان بمكَّة مؤمنون من رجال ونساء، خَفِيَ إِيمانُهم، فلو استباح المسلمون بَيضتها أَهلكوا أُولئك المؤمنين، قال قتادة: فدفع الله عن المشركين ببركة أُولئك المؤمنين[٥]، وقد يدفع الله تعالى بالمؤمنين عن الكفّار.

وقوله تعالى: ﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾ صفة للمذكورين، وقوله: ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَن﴾[٦] بدلًا من ﴿رِجَالٞ﴾، كأَنَّه قال: ولولا قومٌ مؤمنون أَن تطؤوهم، أَي: لَوْلَا وَطْؤُكُمْ قوماً مؤمنين، فهي على هذا في موضع رفع.

---

(١) انظر: المخصص لابن سيده (٤/ ٥٩)، والحجة للفارسي (٥/ ٢٧١).

(٢) في المطبوع: «وتصرفهم».

(٣) سقط من أحمد٣.

(٤) سقط من الأصل، وهو في السليمانية ملحق في هامش.

(٥) انظر قول قتادة في: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٤٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٦٢)، وليس فيه ذكر البركة، فلعله منقول بالمعنى.

(٦) «أن»: زيادة من نجيبنيه.

ويحتمل أَن تكون في موضع نصب بدلاً من الضمير في قوله: ﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾، كأَنه قال: لم تعلموا وطْأَهم أَنَّه وطْءُ مؤمنين.

و«الوطءُ» هنا: الإِهلاك بالسَّيف وغيره، على وجه التَّشبيه، ومنه قول الشاعر:

[أحذ الكامل]

وَوَطِئْتَنَا وَطْأً علَى حَنَقٍ ... وَطْءَ الْمُقَيَّدِ نابِتَ الْهَرْمِ[1]

ومنه قول النَّبيِّ ﷺ: «اللهمَّ اشدُدْ وطأَتك على مُضَر»[2].

ومنه قول النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ آخر وَطْأَة الرَّبِّ يوم وَجٍّ بالطَّائف»[3]؛ لأَنَّها كانت آخر وقعة للنَّبيِّ ﷺ فيها. ذكر هذا المعنى النَّقَّاش.

---

(١) في أحمد ونور العثمانية ٣: «الهزم»، والبيت للحارث بن وعْلَة الشَّيبانيِّ كما في الاختيارين للأخفش (ص: ٣٨٦)، وأمالي القالي (١/ ٢٦٢)، والمستقصى (١/ ١٣٦)، وشرح الحماسة للتبريزي (١/ ٦٤)، وورد منسوباً لزُهَيْر في العين (٤/ ٥٠)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٥٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) واللفظ له، وقد سقط هذا الحديث من أحمد٣.

(٣) ضعيف، هذا الحديث روي من حديث يعلى بن مرة الثقفي، ومن حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنهما، أما حديث يعلى بن مرة فقد أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٧٢)، وفي فضائل الصحابة (١٣٦٢)، وابن ماجه (٣٦٦٦)، والقضاعي في مسنده (٢٥)، والطبراني في الكبير (٧٠٤-٢٥٨٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٠٢)، وفي الأسماء والصفات (٩٦٥) من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن أبي راشد، عن يعلى بن مرة الثقفي قال: جاء حسن وحسين يستبقان إلى رسول الله ﷺ فضمهما إليه وقال: إن الولد مبخلة مجبنة، وفي رواية أحمد، والطبراني، والبيهقي زيادة: «إن آخر وطأة وطأها رب العالمين بوج»، وهذا إسناد ضعيف لجهالة سعيد بن أبي راشد، فلم يرو عنه غير عبد الله بن عثمان بن خثيم، وانفرد ابن حبان بتوثيقه، ومن طريق أحمد أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٦٤) وزاد: «محزنة»، وتحرف فيه اسم الصحابي إلى يعلى بن أمية الثقفي، وأما حديث خولة بن حكيم الأنصارية فأخرجه الحميدي في مسنده (٣٣٤)، وأحمد (٦/ ٤٠٩)، والترمذي (١٩١٠)، والطبراني في الكبير (٦٠٩-٦١٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٦٤) من طريق سفيان ابن عيينة، عن إبراهيم بن ميسرة، عن محمد بن أبي سويد، عن عمر بن عبد العزيز قال: زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ قال: «الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة، وإن آخر وطأة وطأها الله عزوجل بوج». =

والمعَرَّة: السّوءُ والمكروه اللّاصق[١]، مأْخوذ من العُرِّ والعُرَّة، وهو الجَرَبُ الصَّعب اللازم.

واختلف النّاس في تعيين هذه المعرَّة: فقال ابن زيد: هي المأْثمُ.

وقال ابن إِسحاق: هي الدِّية[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذان ضعيفان؛ لأَنَّه لا إِثم ولا ديَة في قتل مؤمن مستور الإِيمان من أَهل الحرب.

وقال الطَّبريُّ، وحكاه الثَّعلبيُّ: هي الكفّارة[٣].

وقال مُنْذر: المَعَرَّة: أَن يعيبهم الكفار ويقولوا: قتلوا أَهل دينهم[٤].

وقال بعض المفسِّرين: هي الملام والقول في ذلك وتأَلم النّفس منه في باقي الزَّمن[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذه أَقوالٌ حِسان.

وجواب (لولا) محذوف تقديره: لمكنَّاكم من دخول مكَّة وأَيَّدناكم عليهم.

= وهذا إسناد ضعيف؛ لانقطاعه، عمر بن عبد العزيز لا يعرف له سماع من خولة بن حكيم كما قاله الترمذي، ولجهالة محمد بن أبي سويد الثقفي، والوَطْء في الأصل: الدَّوْس بالقَدَم فسُمِّيَ به الغَزْوُ والقتل لأنَّ مَن يَطَأ على الشَّيء بِرِجْلِه فقد اسْتَقْصَى في هَلاكه وإهانته. والمعْنَى: أنَّ آخِرَ أَخْذَةٍ وَوَقْعةٍ أَوْقَعَها الله بالكُفَّار كانت بِوَجّ، وكانَت غَزْوَة الطَّائف آخِرَ غَزَواتِ رسول الله ﷺ، فإنَّه لم يَغْزُ بَعْدَها إلَّا غَزْوةَ تَبُوك ولم يكن فيها قِتال. وَوَجْه تَعَلُّق هذا القول بما قَبْلَه من ذكْر الأوْلادِ: أنَّه إشَارة إلى تَقْلِيل ما بَقِيَ من عُمُره فكَنى عنه بذلك. انتهى. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٤٣٥).

(١) في نجيبويه: «اللاحق».

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٦٢).

(٤) البحر المحيط (٩/ ٤٩٦)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٦/ ٥١٠).

(٥) في أحمد٣: «الوهن»، وفي المطبوع: «الزمان».

وقرأَ الأَعمش: (فَتَنَالَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ)[١].

واللَّام في قوله: ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ يحتمل أَن تتعلَّق بمحذوف من القول تقديره: لولا هؤلاءِ لدخلتم مكَّة، لكن شرَّفنا هؤلاءِ المؤمنين بأَن رحمناهم ودفعنا بسببهم عن مكَّة لِيُدْخِلَ اللهُ، أَي: ليبيِّن للنَّاظر أَنَّ الله يُدخل في رحمته من يشاءُ، أَو أَي: لِيَقَع دخولهم في رحمة الله ودفعه عنهم.

ويحتمل أَن تتعلّق بالإِيمان المتقدِّم الذِّكر، فكأَنَّه تعالى قال: ولولا قوم مؤمنون آمنوا لِيُدْخل الله من يشاء[٢] في رحمته.

وهذا مذكور لكنَّه ضعيف؛ لأَنَّ قوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ يضعف هذا التَّأْويل.

ثمَّ قال تعالى: ﴿لَوۡ تَـزَيَّلُواْ﴾ أَي: لو ذهبوا عن مكَّة، تقول: زِلْتُ[٣] زيداً عن موضعه إِزالةً؛ أَي: أَذهبته، وليس هذا الفعل من: زال يزول، وقد قيل هو منه.

وقرأَ أَبو حيوة وقتادة: (تَزَايَلُوا) بِأَلف بعد الزَّاي[٤]، أَي: لو تزايلوا ذهب هؤلاءِ عن هؤلاءِ [وهؤلاءِ عن هؤلاءِ][٥].

وقوله: ﴿مِنۡهُمۡ﴾ لبيان الجنس إِذا كان [ضمير ﴿تَـزَيَّلُواْ﴾ خاصّاً بالمؤمنين أَو بالكافرين، وهي أَيضاً لبيان الجنس إِذا كان][٦] الضَّمير في ﴿تَـزَيَّلُواْ﴾ للجميع من المؤمنين والكافرين.

---

(١) هذا خلاف ما في عامة مصاحف المسلمين، لم نجد له فيه سلفاً ولا خلفاً، ولعله خطأ ممن سمعه أو نقله، والله أعلم.

(٢) «من يشاء» ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٣) في المطبوع والأسدية٣ وأحمد٣: «زَيَّلْتُ».

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٤٣)، والبحر المحيط (٩/ ٤٩٦).

(٥) ليس في أحمد٣.

(٦) من المطبوع ونور العثمانية والأسدية٣ وأحمد٣.

وقال النَّحّاس: وقد قيل: إنَّ قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ﴾ الآية ـ يريد مَنْ في أَصلاب الكافرين ممن سيؤمن في غابر الدَّهر، وحكاه الثَّعلبيُّ[١] والنَّقّاش عن عليٍّ ابن أَبي طالب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ مرفوعاً[٢].

والعامل في قوله: ﴿إِذۡ جَعَلَ﴾ قوله: ﴿لَعَذَّبۡنَا﴾، ويحتمل أَن يكون المعنى: واذكر إِذ جعلنا.

و(الحَمِيَّة) الَّتي جعلوها: هي حميَّة أَهل مكَّة في الصَّدِّ.

قال الزُّهريُّ: وحميَّة سُهَيْل ومن شاهد عقد الصُّلح في أَن منعوا أَن يُكْتب «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم»، ولجُّوا حتّى كُتب «باسمك اللهمَّ»[٣]، وكذلك منعوا أَن يثبت[٤]: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، ولجُّوا حتّى قال ﷺ لعليٍّ: «اُمْحُ، واكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله»، الحديث[٥].

وجعلها تعالى حميَّة الجاهليَّة؛ لأَنَّها كانت بغير حُجَّة وفي غير موضعها؛ لأَنَّ رسول الله ﷺ لو جاءَهم محارباً لعُذروا في حميَّتهم، وإِنما جاءَ معظِّماً للبيت لا يريد حرباً، فكانت حميَّتهم جاهلية صِرْفاً.

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٦٢)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٣٤).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٦٢) من طريق أبي علي بن حبش المقري، عن أحمد بن عبد الله الدارمي، عن أحمد بن يعقوب الدينوري، عن محمّد بن عبدالله بن محمّد الأنصاري، عن محمّد ابن الحسن الجعفري، قال: سمعت جعفر بن محمّد يحدِّث، عن أبيه، عن جدّه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنّه سأل رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال: هم المشركون من أجداد النبيّ ﷺ ممّن كان بعده في عصره، كان في أصلابهم المؤمنون، فلو تزيّل المؤمنون عن أصلاب الكفّار يعذب الله عذاباً أليماً. ومحمد بن عبد الله الأنصاري ومن دونه لم أقف لهم على ترجمة.

(٣) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٣٥).

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «يُكتب».

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٩٩)، (٣١٨٤).

و(السَّكينَةُ): هي الطُّمأنينة إِلى أَمر رسول الله ﷺ، والثِّقة بوعد الله، والطَّاعة وزوال الأَنَفة الَّتي لحقت عمرَ وغيرَه.

و﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال الجمهور: هي لا إِلهَ إِلا الله، وروي ذلك عن النَّبيِّ ﷺ[1].

وقال عطاءُ بن أَبي رباح: هي «لَا إِلهَ إِلَّا الله وحده لَا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير»[2].

وقال أَبو هريرة وعطاءٌ الخراسانيُّ: هي «لَا إِله إِلَّا الله، محمد رسول الله»[3].

---

(١) له إسناد قوي، هذا الحديث جاء من حديث أبي هريرة، وأبي بن كعب، أما حديث أبي هريرة؛ فأخرجه الطبري (٢١/ ٣٠٨-٣٠٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٥)، وابن حبان في صحيحه (٢١٨)، والطبراني في الأوسط (١٢٧٢)، وابن منده في الإيمان (١٩٩ -٢٠٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩٥- ١٩٦) من طرق قوية عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتى يَقُولُوا لا إِلَهَ إلا اللهُ، فَمَنْ قال لا إِلَه إلا اللهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مالَهُ وَنَفْسَهُ إلا بِحَقِّهِ وَحِسابُهُ على الله». وأنزل الله في كتابه، فذكر قوماً استكبروا فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وقال الله: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله، استكبر عنها المشركون يوم الحُدَيبية، يوم كاتبهم رسول الله ﷺ على قضية المدّة. وأما حديث أبي بن كعب فقد أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٣٨)، والترمذي (٣٢٦٥)، والطبري (٢١/ ٣١٠)، والدارقطني في الغرائب ـ أطراف الغرائب (٥٨٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٠) من طريق سفيان بن حبيب، عن شعبة، عن ثوير، عن أبيه، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: لا إلَه إلا اللهُ. وثوير هو ابن أبي فاختة سعيد بن علاقة ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥٥). ولم أقف عليه من قول أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال عليٌّ بن أَبي طالب رضي الله عنه: هي لا إله إِلَّا الله، والله أكبر[١]، وحكاه الثَّعلبيُّ عن ابن عمر[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذه كلُّها أَقوال متقاربة حسانٌ؛ لأَنَّ هذه الكلمة تقي النّارَ، فهي كلمة التّقوى.

[٥/ ١١٢] وقال الزُّهريُّ عن المِسْور، / ومروان: ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ المشار إِليها هي: «بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وهي الَّتي أَباها كفّار قريش، فأَلزمها الله المؤمنين وجعلهم أَحقَّ بها[٣].

قال القاضي أبو محمد: و«لا إِله إِلَّا الله» أَحقّ باسم كلمة التّقوى من «بسم الله الرحمن الرحيم».

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وكانوا أَهلها وأَحقّ بها)[٤]، والمعنى: كانوا أَهلها على الإِطلاق في علم الله وسابق قضائه لهم.

وقيل: أَحقُّ بها من اليهود والنّصارى في الدُّنيا، وقيل: أَهلها في الآخرة بالثّواب.

---

(١) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٩)، والطبري (٢١/ ٣١٠-٣١١) والطبراني في الدعاء (١٦٠٧-١٦٠٨-١٦٠٩-١٦١٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩٧) من طريق سلمة ابن كهيل، عن عباية بن ربعي، عن علي، بنحوه، وأكثر الروايات بدون «والله أكبر». وعباية بن ربعي الأسدي قال العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤١٥): روى عنه موسى بن طريف كلاهما غاليان ملحدان، انتهى.

(٢) إسناده فيه لين، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٩) وفي المصنف (٩٧٩٨)، والطبري (٢١/ ٣١٣)، والطبراني في الدعاء (١٦١٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩٨) من طريق سفيان بن عيينة، عن يزيد بن أبي خالد مؤذن مكة، عن علي الأزدي قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول: هي هي، قيل: وما هي هي؟ «قال: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ قال: لا إله إلا الله والله أكبر، ويزيد بن أبي خالد مؤذن مكة مستور، ذكره البخاري في التاريخ (٨/ ٣٢٨) ولم يذكر فيه شيئاً.

(٣) عزاه للزهري: الماوردي في التفسير (٥/ ٣٢١). وتقدمت الإشارة إلى رواية المسور ومروان في تفسير الطبري.

(٤) وهي شاذة، انظرها في: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥٦)، والهداية لمكي (١١/ ٦٩٦٨). وفي معاني القرآن للفراء (٣/ ٦٨): ورأيتها فِي مصحف الحارث بْن سويد التيمي من أصحاب عَبْد الله: (وكانوا أهلها وأحق بها)، وهو تقديم وتأخير، وكان مصحفه دفن أيام الحجاج.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ إشارة إلى علمه بالمؤمنين الَّذين دفع عن كفّار قريش بسببهم، وإلى علمه بوجه المصلحة في صلح الحُدَيْبِيَة.

فيروى: أَنَّه لمَّا انعقد، أَمِنَ النّاسُ في تلك المدَّة الحربَ والفتنة، وامتزجوا، وعلَت[١] دعوة الإسلام، وانْقاد إِليه كل من كان له فهم من العرب، وزاد عدد الإسلام[٢] [في تلك المدَّة][٣] أَضعاف ما كان قبل ذلك.

قال القاضي أبو محمد: ويقتضي ذلك: أَنَّ رسول الله ﷺ كان في عام الحُدَيْبِيَة في أَربع عشرة مئة، ثمَّ سار إِلى مكَّة بعد ذلك بعامين في عشرة آلاف فارس، ﷺ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.

رُوي في تفسير هذه الآية: أَنّ رسول الله ﷺ رأَى في منامه عند خروجه إِلى العُمْرة أَنَّه يطوف بالبيت هو وأَصحابه؛ بعضهم محلّقون وبعضهم مقصِّرون.

وقال مجاهد: أُري ذلك بالحديبيَة، فأَخبر النّاس بهذه الرُّؤْيا[٤]، ووثق الجميع بأَنَّ ذلك يكون في وِجْهتهم تلك، وقد كان سبق في علم الله تعالى أَنَّ ذلك يكون، لكن ليس في تلك الوِجهة، وروي أَنَّ رؤْياه إِنَّما كانت أَن مَلَكاً جاءَه فقال له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ

(١) في أحمد٣: «وغلب».
(٢) في المطبوع: «المسلمين».
(٣) سقط من الأصل.
(٤) في السليمانية: «الرؤية»، وانظر قول مجاهد في: الهداية لمكي (١١/ ٦٩٧٣).

﴿ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾، وأَنَّه بهذا أَعلَمَ النّاسَ.

فلمَّا قضى الله في الحديبيَّة بأمر الصلح، وأَخذ رسول الله ﷺ في الصَّدْر، قال المنافقون: وأَيْن الرُّؤْيا؟ ووقع في نفوس المسلمين شيءٌ من ذلك، فأَنزل الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾[١].

و«صَدَقَ» هذه تتعدَّى إِلى مفعولين، تقول: صدقتُ زيداً الحديثَ، واللَّام في ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ لام القَسَم الَّذي تقتضيه ﴿صَدَقَ﴾؛ لأَنَّها من قبيل: تَبيَّنَ وَتَحقَّقَ، ونحو هذا مما يعطي القَسَم.

واختلف النَّاسُ في معنى الاستثناءِ في هذه الآية:

فقال بعض المتأَوِّلين: هو استثناءٌ من المَلَك المُخْبر للنَّبيِّ ﷺ في قوله[٢]، فذكر الله تعالى مقالته كما وقعت.

وقال آخرون: هو أَخْذٌ من الله تعالى عبادَه بأَدبه في استعمال الاستثناءِ في كلِّ فعل يوجب وقوعه، كان ذلك ممَّا يكون ولا بُدَّ، أَو كان ممّا قد يكون وقد لا يكون.

وقال بعض العلماءِ: إِنَّما استثنى من حيث كلُّ واحد من النَّاس متى ردَّ هذا الوعد إِلى نفسه أَمكن أَن يتمَّ [الوعد فيه، وأَلَّا يتمَّ][٣]، إِذ قد يموت الْإِنسان أَو يمرض أَو يغيب، وكل واحد في ذاته محتاج إِلى الاستثناءِ، فلذلك استثنى عزَّ وجلَّ في الجملة، إِذْ فيهم ولا بُدَّ من يموت [أَو يمرض][٤].

وقال آخرون: استثنى لأَجل قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾ لَا لأَجل إِعلامه بالدُّخول، فكأَنَّ الاستثناءَ مُؤَخَّر عن موضعه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣١٧).

(٢) في نجيبويه والسليمانية وأحمد٣: «نومه».

(٣) سقط من أحمد٣.

(٤) سقط من المطبوع ونجيبويه.

قال القاضي أَبو محمد: ولا فرق بين الاستثناءِ من أَجل الأَمن، أَو من أَجل الدُّخول؛ لأَنَّ الله تعالى قد أَخبر بهما، ووقعت الثّقة بالأَمرين، فالاستثناءُ من أَيها كان فهو استثناءٌ من واجب.

وقال قوم: ﴿إِن﴾ بمعنى (إِذْ)، فكأَنَّه قال: إِذْ شَاءَ اللهُ.

قال القاضي أبو محمد: وهذا حسنٌ في معناه لكن كون (إِنْ) بمعنى (إِذْ) غير موجود في لسان العرب، وللنّاس بعدُ في هذا الاستثناءِ أَقوالٌ مخلطة غير هذه اختصرت ذكرَها لأنها لا طائل فيها.

وقرأَ ابن مسعود: (إِنْ شَاءَ اللهُ لا تَخَافُونَ) بدل ﴿ءَامِنِينَ﴾[1].

ولما نزلت هذه الآية علم المسلمون أَنَّ تلك الرُّؤْيا ستخرج فيما يَسْتَأْنِفونه من الزَّمن، واطمأَنَّت قلوبهم بذلك وسكنت، فخرجت في العام المقبل، خرج رسول الله ﷺ إِلى مكَّة في ذي القعدة سنة سبع، ودخلها ثلاثة أَيَّام هو وأَصحابه، وصدقت رؤْياه ﷺ.

وقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾ يريد: ما قدَّره من ظهور الإِسلام في تلك المدَّة ودخول النَّاس فيه، وما كان أَيضاً بمكَّة من المؤمنين الَّذين دفع الله تعالى بهم.

وقوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾؛ أَي: من قبل ذلك وفيما يدنو إِليكم.

واختلف النّاسُ في الفتح القريب:

فقال كثير من الصَّحابة: هو بيعة الرِّضوان[2].

ورُوي عن مجاهد وابن إِسحاق: أَنَّه الصُّلح [مع الكفّار][3] بالحُدَيْبِيَّة.

وقد رُوي: أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنَّبيِّ ﷺ: أَوَ فَتْحٌ هو يا رسول الله؟ قال: «نعم»[4].

---

(١) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٥٠) عَن الْبَرَاءِ رضي الله عنه، وانظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣١٨-٣١٩).

(٣) سقط من الأصل. وفي أحمد٣: «كفار الحديبية»، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٢٢).

(٤) صحيح، وقد تقدم في حديث صلح الحديبية.

وقال عبد الله بن زيد: الفتح القريب: [خيبر؛ حسب ما تقدم من ذكر انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فتحها، وقال قوم: الفتح القريب][١] فتح مكَّة[٢].

وهذا ضعيف؛ لأَنَّ فتح مكَّة لم يكن من دُون دخول النَّبيِّ ﷺ وأَصحابه مكَّة، بل كان بعد ذلك بعام، لأَنَّ الفتح كان سنة ثمان من الهجرة.

ويحسن أَن يكون الفتح هنا اسم جنس يعُمُّ كلَّ ما وقع مما[٣] للنَّبيِّ ﷺ فيه ظهور وفتح عليه.

[٥/ ١١٣] وقد حكى مكِّيٌّ في ترتيب / أَعوام هذه الأَخبار عن قُطْرب قولاً خطأً جعل فيه الفتح سنة عشر، وجعل حجَّ أَبي بكر قبل الفتح[٤].

وذلك كلُّه تخليط وخوض فيما لم يتقنه معرفة.

وقوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ الآيَةَ، تعظيمٌ لأَمر الرَّسول ﷺ، وإِعلامٌ بأَنَّه يظهره على جميع الأَديان.

ورأَى بعض النّاس[٥] لفظة (يُظْهِرُهُ) تقتضي محو غيره به، فلذلك قالوا: إِنَّ هذا الخبر يظهر للوجود عند نزول عيسى ابن مريم عليه السّلام، فإِنَّه لا يبقى في وقته غير دين الإِسلام، وهذا قول الطَّبريِّ والثَّعلبيِّ[٦].

---

(١) سقط من المطبوع ونجيبويه، وسقط من أحمد**٣** من عند: «حسب.... إلى: وقال قوم».

(٢) في تفسير الماوردي (**٥/ ٣٢٢**) عن ابن زيد أنه فتح مكة، ووقع في أحمد**٣**: «ابن زيد» فقط.

(٣) سقط من المطبوع والحمزوية.

(٤) في السليمانية: «هذه الأعوام»، ونص مكي في الهداية (**١١/ ٦٩٥٤**): واعتمر رسول الله ﷺ سنة سبع، وفتح مكة سنة ثمان، وحج أبو بكر، ونادى علي ببراءة سنة تسع، وحج النبي ﷺ سنة عشر. وليس فيه ذكر لقطرب، فلعل ما ذكر المصنف في نسخة أخرى منه.

(٥) في المطبوع: زيادة: «أَنّ». قال في الحاشية: زيادة لسلامة التّعبير.

(٦) تفسير الطبري (**٢٢/ ٢٦٠**)، وليس في تفسير الثعلبي المطبوع (**٩/ ٦٥**) ذكر عيسى عليه السلام.

ورأَى قوم أَنَّ الإِظهار هو الإِعلاءُ[١]، وإِن بقي من الدِّين الآخر أَجزاءٌ، وهذا موجود الآن في دين الإِسلام، فإِنه قد عَمَرَ[٢] أَكثر الأَرض، وظهر على كل دين.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ معناه: شاهداً، وذلك يحتمل معنيين:

أَحدهما: شاهداً عندكم بهذا الخبر ومُعْلِماً به.

والثاني: شاهداً على هؤلاءِ الكفار المنكرين أَمر محمد ﷺ، الرَّادِّين في صدره، ومعاقباً لهم بحكم الشّهادة. فالآية على هذا وعيد للكفّار الَّذين شاحُّوا في أَن يكتب «محمد رسول الله»، فردَّ الله تعالى عليهم بهذه الآية كلِّها.

وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ قال جمهور الناس: هو ابتداء وخبر استوفي فيه تعظيم منزلة النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ ابتداءٌ، وخَبرُهُ ﴿أَشِدَّآءُ﴾، و﴿رُحَمَآءُ﴾ خبر ثانٍ.

وقال قوم من المتأَوِّلين: ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ ابتداءٌ، و﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ صفةٌ له، و﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطف عليه، و﴿أَشِدَّآءُ﴾ خبر عن الجميع، و﴿رُحَمَآءُ﴾ خبر بعد خبر.

ففي القول الأَوَّل: اختصَّ النَّبيُّ ﷺ بوصفه وهؤلاءِ بوصفهم.

وفي القول الثّاني: اشترك الجميع في الشِّدَّة والرَّحمة.

قال القاضي أبو محمد: والأَوّل عندي أَرجح؛ لأَنَّه خبر مضادٌّ لقول الكفَّار: لا نكتب «محمد رسول الله».

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ إِشارة إِلى جميع الصَّحابة عند الجمهور، وحكى الثَّعلبيُّ عن ابن عبّاس: أَنَّ الإِشارة إِلى من شهد الحُدَيْبِيَة بـ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[٣].

---

(١) في أحمد٣: «الإعلام».

(٢) في المطبوع والحمزوية بدلًا منه: «كان عمَّ»، وفي السليمانية وأحمد٣: «قد عم».

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٩/ ٦٥).

و﴿أَشِدَّآءُ﴾ جمع شديد، أَصله: أَشِدْدَاءُ، أُدغم لاجتماع المِثْلَيْن.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَشِدَّآءُ﴾ و﴿رُحَمَآءُ﴾ بالرَّفع.

وروى قُرَّة عن الحسن: (أَشِدَّاءَ) و(رُحَمَاءَ) بنصبهما(١)، قال أَبو حاتم: ذلك على الحال، والخبر ﴿تَرَىٰهُمۡ﴾، قال أَبو الفتح: وإِن شئت نصبت (أَشِدَّاءَ) على المدح.

وقوله: ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾؛ أَي: ترى هاتين الحالتين كثيراً فيهم.

و﴿يَبۡتَغُونَ﴾ معناه: يطلبون.

وقرأَ عمرو بن عبيد: ﴿وَرُضْوَاناً﴾ بضمِّ الرّاءِ(٢).

وقوله: ﴿سِيمَاهُمۡ﴾ معناه: علامتهم، واختلف الناسُ في تعيين هذه السِّيما:

فقال مالك بن أَنس: كانت [جباههم متربة](٣) من كثرة السُّجود في التُّراب، كان يبقى على المسح أَثره، وقاله عكرمة(٤).

وقال أَبو العالية: يسجدون على التراب لا على الأَثواب(٥).

وقال ابن عبّاس، وخالد الحنفيُّ، وعطيَّة: هو وعْدٌ بحالهم يوم القيامة من أَن الله تعالى يجعل لهم نوراً من أَثر السُّجود(٦).

قال القاضي أَبو محمد: كما يجعل غُرَّةً من أَثر الوضوءِ، الحديث(٧).

---

(١) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في: المحتسب (٢/ ٢٧٦).

(٢) تبعه في البحر المحيط (٩/ ٥٠١)، فهي سبعية من رواية شعبة كماتقدم، انظر: التيسير (ص: ٨٦)، والسبعة (ص: ٢٠٢).

(٣) في أحمد٣: «وجوههم متتربة».

(٤) انظر قول مالك في: الهداية لمكي (١١/ ٦٩٧٦)، وقول عكرمة في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦٤). وفي المطبوع: «وقال عكرمة».

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ٦٥).

(٦) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٢١-٣٢٢) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦٢).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت =

ويؤيِّد هذا التَّأْويل اتِّصال القول بقوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، كأَنَّه تعالى قال: علامتهم في تحصيل الرِّضوان يوم القيامة سيماهم في وجوههم من أَثر السُّجود.

ويحتمل أَن تكون السِّيما بدلاً من قوله: ﴿فَضْلًا﴾.

وقال ابن عبّاس: السَّمْتُ الحسن: هو السِّيما، وهو الخشوع يبدو على الوجه[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذه حالة مكثري الصَّلاة؛ لأَنَّها تنهاهم عن الفحشاءِ والمنكر، وتُقل الضَّحك، وتردُّ النَّفس بحالة تخشع معها الأَعضاءُ.

وقال الحسن بن أَبي الحسن، وشِمْرُ بن عطية[٢]: السِّيما: بياض وصُفْرة وتهيُّج يعتري الوجوه من السَّهر.

وقال منصور: سأَلت مجاهداً: أهذه السِّيما: هي الأَثر يكون بين عيني الرَّجل؟ فقال: لا، وقد تكون مثل ركبة البعير وهو أَقسى قلباً من الحجارة[٣].

وقال عطاءُ بن أَبي رباح، والرَّبيع بن أَنس: السِّيما: حُسْنٌ يعتري وجوه المصلِّين[٤].

قال القاضي أبو محمد: وذلك لأَنَّ الله تعالى يجعل لها في عين الرَّائي[٥] حُسْناً

= رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء».

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٢٣)، والبيهقي (٢/ ٢٨٦) من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه، وأخرجه الطبري (٢١/ ٣٢٣) من طريق الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عتيبة، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أما إنه ليس بالذي ترون، ولكنه سيما الإسلام وسحنته، وسمته وخشوعه، والحسن بن عمارة بن المضرب البجلي متروك.

(٢) هو شمر بن عطية الكاهلي الكوفي، روى عن أبي وائل، وزر بن حبيش، وشهر بن حوشب، وعنه الأعمش، وفطر بن خليفة، وقيس بن الربيع، وجماعة. وكان عثمانياً، وثقه النسائي: تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٣٨٠).

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦٤)، بالمعنى، والثاني في تفسير الثعلبي (٩/ ٦٥).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٦٥).

(٥) في السليمانية: «أعين الناس».

تابعاً للإِجلال الَّذي في نفسه، ومتى أَجلَّ الإِنسان أَمْراً حَسُن عنده منظره.

ومن هذا: الحديثُ الَّذي في «الشِّهاب»: «من كَثُرت صلاته باللَّيل حَسُن وجْهُه بالنَّهار»[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا حديث غَلِط فيه ثابت بن موسى الزَّاهد[(٢)]، سمع شَريك بن عبد الله يقول: حدَّثنا الأَعمش، عن أَبي سفيان، عن جابر، ثمَّ نزع شَريك لمَّا رأَى ثابتاً الزَّاهد، فقال ـ يَعنيه ـ: من كثُرت صلاته باللَّيل حَسُن وجهه بالنَّهار. فظنَّ ثابت أَنَّ هذا الكلام حديث متركب على السَّند المذكور، فحدَّث به عن شَريك.

وقرأَ الأَعرج: (من إِثْر) بسكون الثَّاءِ وكسر الهمزة، قال أَبو حاتم: هما بمعنى.

وقرأَ قتادة: (من آثار) جمعاً[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ [الآية؛ المَثَل هنا: الوصف أَو الصِّفة.

وقال بعض المتأَوِّلين: التَّقدير: الأَمر ذلك، وتمَّ الكلام، ثم قال: ﴿مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾][(٤)].

---

(١) لا أصل له، أخرجه القضاعي (٤٠٨-٤١٧) من طرق متعددة، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (١/ ٦٦٦): لا أصل له وإن روي من طرق عند ابن ماجه بعضها وأورد الكثير منها القضاعي وغيره، ولكن قد قرأت بخط شيخنا في بعض أجوبته: إنه ضعيف، بل قواه بعضهم، والمعتمد الأول، وقد أطنب ابن عدي في رده ومثلوا به في الموضوع غير المقصود، قال ابن طاهر: ظن القضاعي أن الحديث صحيح لكثرة طرقه وهو معذور لأنه لم يكن حافظاً، واتفق أئمة الحديث ابن عدي والدارقطني والعقيلي وابن حبان والحاكم على أنه من قول شريك قاله لثابت لما دخل عليه، وقال ابن عدي: سرقه جماعة من ثابت كعبد الله بن شبرمة الشريكي وعبد الحميد بن بحر وغيرهما.

(٢) هو ثابت بن موسى أبو يزيد الكوفي العابد، روى عن سفيان الثوري، وشريك، وعنه: هناد، وآخرون، وهو ضعيف، وهو صاحب حديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»، توفي سنة **٢٢٩هـ**، وتاريخ الإسلام (١٦/ ١٢٠)، وشريك هو القاضي، تقدم.

(٣) وهما شاذتان، نقلهما في مختصر الشواذ (ص: **١٤٣**)، وفي السليمانية: «الأعمش»، بدل «الأعرج».

(٤) سقط من الحمزوية وأحمد**٣**.

وقال مجاهد وجماعة من المتأولين: المعنى: ذلك الوصف هو مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل، وتم القول[(١)].

و﴿كَزَرۡعٍ﴾ ابتداءُ تمثيل يختص بالقرآن، وقال الطبري، وحكاه عن الضحاك: المعنى: ذلك الوصف هو مثلهم في التوراة، وتم القول، ثم ابتدأ ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ﴾[(٢)].

وقال آخرون: المثلان جميعاً هي في التوراة وهي في الإنجيل.

وقوله تعالى: ﴿كَزَرۡعٍ﴾ هو على كل الأَقوال وفي أَي كتاب منَزَّل: فَرْضُ مَثَل للنبي ﷺ وأَصحابه، في أَن النبي ﷺ بُعث وحده فكان كالزرع حبة واحدة، ثم كثر المسلمون فهم كالشَّطْءِ وهو فراخ السُّنبلة [التي تنبت][(٣)] حول الْأَصل، يقال: أَشطأَت الشجرة: إِذا أَخرجت غصونها، وأَشطأَ الزَّرْع: إِذا أَخرج شطأَه / . [٥/ ١١٤]

وقرأَ ابن كثير، وابن ذكوان عن ابن عامر: ﴿شَطَأَهُۥ﴾ بفتح الطَّاءِ والهمز دون مدٍّ.

وقرأَ الباقون بسكون الطَّاءِ[(٤)].

وقرأَ عيسى بن عمر: (شَطَاهُ) بفتح الطَّاءِ دون همز.

وقرأَ أَبو جعفر: (شَطَهُ)، رَمى بالهمزة وفتح الطَّاءَ، ورُويت عن نافع، وشيبة.

ورُوي عن عيسى: (شَطَاءَهُ) بالمدِّ والهمز.

وقرأَ الجحدريُّ: (شَطْوَهُ) بالواو[(٥)]، وقال أَبو الفتح: هي لغة، أَو بدل من الهمزة،

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦٧)، وسقط قوله: «جماعة من المتأولين» من المطبوع والحمزوية وأحمد٣.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦٦).

(٣) سقط من أحمد٣.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٠٢).

(٥) أربع قراءات شاذة، ذكرها إلا الثالثة في المحتسب (٢/ ٢٧٧)، وعيسى الثاني هو الهمداني، وذكر في مختصر الشواذ (ص: ١٤٣) الأولى لعيسى الحجازي، وزاد في الثالثة أبا حيوة وابن أبي عبلة، وتبع المصنفَ في الثالثة أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٥٠٢)، قال: ورويت عن الجحدري، وليس لنافع ولا أبي جعفر هنا شيء، إلا ما نقله الأزهري في معاني القراءات (٣/ ٢١) عن أبي حاتم عن نافع.

ولا يكون الشَّطْءُ إِلَّا في البُرِّ والشَّعير، وهذه كلُّها لغات[١].

وحكى النَّقّاش عن ابن عباس أَنَّه قال: (الزَّرع): النَّبيُّ ﷺ، ﴿فَـَازَرَهُۥ﴾ عليُّ بن أَبي طالب رضي الله عنه، ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ بأَبي بكر، ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ بعمر بن الخطاب[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَـَازَرَهُۥ﴾ وزنه: أَفْعَلَه، قاله أبو الحسن، ورجَّحه أَبو عليٍّ[٣].

وقرأَ ابن ذكوان عن ابن عامر وحده: ﴿فأَزَره﴾ على وزن: فَعَلَهُ، دون مَدٍّ[٤].

ولذلك كلِّه معنيان: أَحدهما: ساواهُ طولاً، ومنه قول امرئ القيس:

[الطويل] بِمَحْنِيَّـةٍ قَـدْ آزَرَ الضَّـالَ نَبْتُهَـا مَجَرَّ جُيـوشٍ غانِمينَ وخُيَّبِ[٥]

أَي: هو موضع لم يزرع[٦]، فكَمُل نَبْتُه حتّى ساوَى شجر الضَّال، فالفاعل على هذا المعنى الشَّطْءُ.

والمعنى [الثّاني: أَن يكون][٧] «آزَرَهُ» و«أَزَرَهُ» بمعنى: أَعانه وقوَّاه، مأْخوذ ذلك من الأَزْر وشدِّه، فيحتمل أَن يكون الفاعل الشَّطْءُ، ويحتمل أَن يكون الفاعل الزَّرعُ؛ لأَنَّ كلَّ واحد منهما يُقَوِّي صاحبه.

---

(١) المحتسب (٢/ ٢٧٧).

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه (١١/ ١٧١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ١٧٧-١٧٨) عن الحسن بن الحارث بن طليب الهاشمي، عن أبيه، عن داود بن أبي هند، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس بنحوه. والحسن بن الحارث الهاشمي، وأبوه لم أقف له على ترجمة، وأخرجه ابن مردويه، والقاضي الزهري في فضائل الخلفاء الأربعة كما في الدر المنثور (١٣/ ٥٢٤).

(٣) الحجة للفارسي (٦/ ٢٠٥). وفي المطبوع: «قاله الحسن».

(٤) «دون مد» ليس في أحمد٣، وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ٢٠٢).

(٥) تقدم في تفسير الآية (٣١) من سورة طه، والمَحْنِيَّة: حَيْثُ ينحني الوادي، والضَّال: نوع من الشَّجر.

(٦) في المطبوع ونجيبويه: (يُرْعَ).

(٧) سقط من السليمانية، وفي أحمد٣: «والشطء يحتمل أن يكون».

وقال ابن مجاهد، وغيره: (آزَرَهُ) وزنه: فاعَلَه[١].

والأَوَّل أَصوب، أَنَّ وزنه أَفْعَلَهُ، ويدلُّك على ذلك قول الشاعر:

لَا مَـالَ إِلَّا الـعِطَـافُ تُـؤْزِرُهُ أُمُّ ثَـلَاثِـيـنَ وابْـنَـةُ الْجَـبَـلِ[٢] [المنسرح]

وقرأَ ابن كثير: ﴿على سؤقه﴾ بالهمز[٣]، وهي لغة ضعيفة، يهمزون الواو التي قبلها ضمَّة.

ومنه قول الشاعر:

لَحَبَّ المُؤْقدَانِ إِلَيَّ مُؤْسَى[٤] .... [الوافر]

و﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ جملة في موضع الحال، فإِذا أَعجب الزُّرَّاعَ، فهو أَحرى أَنْ يُعْجب غيرهم؛ لأَنه لا عيب فيه؛ إِذْ قَد أَعجب العارفين بالعيوب، ولو كان معيباً لم يُعجبهم، وهنا تمَّ المثلُ.

وقوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ كلام قبله محذوف تقديره: جعلهم الله بهذه الصِّفة ليغيظ بهم الكفّار، والكُفَّارُ هنا: المشركون.

قال الحسن: من غيظ الكفّار قول عمر بمكَّة: لَا عُبِدَ اللهُ سرّاً بعد اليوم[٥].

---

(١) انظر: السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٠٥). وفي الحمزوية والمطبوع: «مجاهد»، وأشار في حاشيته إلى النسخة الأخرى.

(٢) بلا نسبة في أمالي القالي (٢/ ٢٦٥)، وأُمُّ الثَّلاثين هي الكنانة، وابنة الجبل فهي قوسٌ من نبعة في جَبَل، وفي السليمانية: «الخيل».

(٣) وهي سبعية من رواية قنبل كما في التيسير (ص: ١٦٨)، وعممها في السبعة (ص: ٦٠٥) لابن كثير.

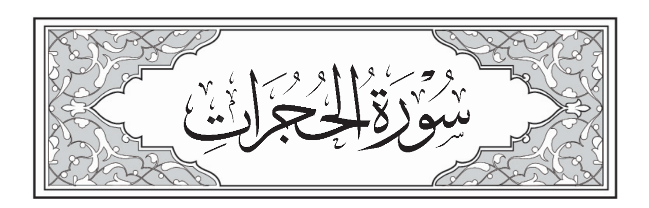
(٤) هذا صدر بيت لجرير تمامه: وجَعْدَةُ لَوْ أَضَاءَهُمَا الْوَقُودُ، وقد تقدم في تفسير الآية (٤٤) من سورة النمل.

(٥) زاد المسير (٤/ ١٤٠)، وهو في تفسير الثعلبي (٩/ ٦٦)، وتفسير البغوي (٧/ ٣٢٥)، بلا نسبة.

وقوله تعالى: ﴿مِنْهُم﴾ هي لبيان الجنس وليست للتبعيض، لأَنه وعْدٌ مُرَجٍّ للجميع.

كمل تفسير (سورة الفتح)، والحمد لله ربّ العالمين.

❋ ❋ ❋



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سُورة الحُجُرات

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

كانت عادة العرب ـ وهي إِلى الآن ـ الاشتراك في الآراءِ، وأَن يتكلم كلٌّ بما شاءَ ويفعل ما أَحبَّ، فمشى بعض النّاس ممن لم تتمرَّنْ نفسه مع النَّبيِّ ﷺ على بعض ذلك، قال قتادة: فربَّما قال قوم: لو نزل كذا وكذا في معنى كذا، [ولو فعل الله][(١)] كذا، وينبغي أن يكون كذا. وأَيضاً فإِنَّ قوماً ذبحوا ضحاياهم قبل النَّبيِّ ﷺ، حكاه الحسن بن أَبي الحسن[(٢)]، وقوماً فعلوا في بعض حروبه وغزواته أشياءَ بآرائهم، فنزلت هذه الآية ناهية عن جميع ذلك.

وحكى الثَّعلبيُّ عن مسروق أَنَّه قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها في يوم

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) انظر هذه القوال في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٧٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٧٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٢٥).

الشَّكِّ، فقالت للجارية: اِسْقه عسلاً، فقلت: إِنِّي صائم، فقالت: نهى رسول الله ﷺ عن صيام هذا اليوم، وفيه نزلت: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[(١)].

وقال ابن زيد: معنى ﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾: لَا تَمشوا بين يدي رسول الله ﷺ، وكذلك بين يدي العلماءِ، فإِنَّهم ورثة الأَنبياءِ[(٢)].

وتقول العرب: تَقَدَّمْتُ في كذا وكذا وقَدَّمْتُ فيه: إِذا قلت فيه.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿تُقَدِّمُوا﴾ بضمِّ التَّاءِ وكسر الدّال.

وقرأَ ابن عبّاس، والضَّحّاك، ويعقوب، بفتح التّاءِ والدّال على معنى: ﴿لا تَقَدَّموا﴾[(٣)]، وعلى هذا يجيءُ تأْويل ابن زيد في المشي[(٤)].

والمعنى على ضمِّ التَّاءِ: بين يَدَيْ قول الله ورسوله.

ورُوي أَنَّ سبب هذه الآية: هو أَنَّ وفد بني تميم لمَّا قدِم، قال أَبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! لو أَمَّرْتَ الأَقرع بن حابس، وقال عمر بن الخطاب: لا[(٥)] يا رسول الله، بل أَمِّر القعقاع بن مَعْبد[(٦)]، فقال أَبو بكر: ما أَردتَ إِلَّا خلافي ـ ويروى: إِلى خلافي ـ، فقال

---

(١) ضعيف، أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٣١٤-٣١٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢٧١٣) من طريق يحيى بن عبد الله بن الحارث، عن حبال بن رفيدة، عن مسروق بن الأجدع قال: كنا عند عائشة أم المؤمنين يوم عرفة والناس يسألون يرون أنه يوم النحر فقالت لجارية لها: أخرجي لمسروق سويقاً وحلِّيه، فلولا أني صائمة لذقته فقال: لها أصمت هذا اليوم وهو يشك فيه؟ فقالت: نزلت هذه الآية في مثل هذا اليوم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ كان قوم يتقدمون رسول الله ﷺ في الصوم وفيما أشبهه فنهوا عن ذلك، ويحيى بن عبد الله بن الحارث الجابر ضعيف، وحبال بن رفيدة أبو ماجد قال فيه الذهبي: لا يعرف.

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ٧١).

(٣) وهي عشرية ليعقوب في: النشر (٢/ ٣٧٥)، وانظر موافقة الضحاك في: تفسير الثعلبي (٩/ ٦٩).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٧١).

(٥) «لا» ليست في المطبوع.

(٦) هو القعقاع بن معبد بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي الدّارميّ، ثبت ذكره في صحيح البخاري في قدوم وفد بني تميم، وهذا مما يقتضي الجزم بصحة صحبته. الإصابة (٥/ ٣٤٤).

عمر رضي الله عنه: ما أَردتُ خلافك، وارتفعت أَصواتُهما، فنزلت الآية في ذلك[١]، [وقال وهب: وذهب][٢] بعض قائلي هذه المقالة إِلى أَن قوله: ﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾ معناه: لا تُقدِّموا ولاة، فهو من تقدّم الأُمراءِ، وعموم اللَّفظ أَحسن؛ أَي: اجعلوه مبدأً في الأَقوال والأَفعال.

و﴿سَمِيعٌ﴾ معناه: لأَقوالكم، و﴿عَلِيمٌ﴾ معناه: بأَفعالكم ومقتضى أَقوالكم.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا﴾ الآية، هي أَيضاً في ذلك الفنِّ المتقدّم، ورُوِي: أَنَّ سببها كلام أَبي بكر وعمر رضي الله عنهما المتقدم في أَمْر الأَقرع والقعقاع. والصَّحيح: أَنَّها نزلت بسبب عادة الأَعراب في الجفاءِ وعُلُوِّ الصَّوت والعُنْجُهيَّة.

وكان ثابت بن قيس بن شَمَّاس رضي الله عنه مِمَّن في صوته جَهَارة، فلمَّا نزلت هذه الآيةُ اهْتَمَّ وخاف على نفسه وجلس في بيته لم يخرج وهو كئيب حزين، حتّى عرف رسول الله ﷺ / خبره، فبعث فيه فآنسه وقال له: «امْش في الأَرض بَسْطاً فإِنَّك من أَهل الجنَّة»[٣]، وقال له مرَّة: «أَما ترضى أَن تعيش حميداً، وتموت شهيداً»[٤]، فعاش كذلك [٥/ ١١٥]

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٦٧) من حديث عبد الله بن الزبير، وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهم.

(٢) من الأسدية٣.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٧٩) عن محمد بن حميد الرازي، عن يعقوب، عن حفص، عن شمر بن عطية: جاء ثابت بن قيس بن الشماس إلى رسول الله ﷺ وهو محزون، فقال: يا ثابت ما الذي أرى بك؟ فقال: آية قرأتها الليلة، فأخشى أن يكون قد حَبِط عملي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ وكان في أُذنه صمم، فقال: يا نبيّ الله أخشى أن أكون قد رفعت صوتي، وجهرت لك بالقول، وأن أكون قد حبط عملي، وأنا لا أشعر: فقال النبيّ ﷺ: «امْشِ على الأرْضِ نَشِيطا فإنَّكَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ». وشمر بن عطية الأسدي لم يدرك ثابت بن قيس. والحديث أصله في البخاري (٤٨٤٦)، ومسلم (١١٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس فقال رجل: يا رسول الله! أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه فقال: ما شأنك؟ فقال: شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى بن أنس: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: «اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة».

(٤) حسن، أخرجه الطبراني في الكبير (١٣١٠-١٣١١-١٣١٢) وفي الأوسط (٤٢) من طريق =

ثمَّ قُتل رضي الله عنه باليمامة يوم مسيلمة[١].

وفي قراءَة ابن مسعود: (لَا تَرْفَعُوا بِأَصْوَاتِكُمْ) بزيادة باءٍ[٢].

= الزهري، عن محمد بن ثابت الأنصاري، قال: حدثني أبي ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري قال قلت: يا رسول الله! والله لقد خشيت أن أكون قد هلكت قال: لم قلت: نهى الله المرء أن يحمد بما لم يفعل وأجدني أحب الحمد، ونهى الله عن الخيلاء وأجدني أحب الجمال، ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهير الصوت. فقال رسول الله: «ألا ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة حميداً؟» قال: بلى يا رسول الله، فعاش حميداً، وقتل شهيداً يوم مسيلمة، وأخرجه مالك في الموطأ (٩٤٥) عن ابن شهاب رواية محمد بن الحسن، وابن حبان في صحيحه (٧١٦٧)، والطبراني في الكبير (١٣١٢-١٣١٤-١٣١٥)، وفي الأوسط (٢٢٤٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٣٤)، وابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٦٠) من طرق عن ابن شهاب، عن إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس الأنصاري، عن جده به، بنحوه، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٤٢٥) من طريق معمر، عن الزهري، عن ثابت بن قيس بن شماس به، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٣١٦) من طريق زيد بن الحباب، عن أبي ثابت بن ثابت بن قيس بن شماس، عن أبيه، به، وابن المنذر في تفسيره كما في فتح الباري (٦/ ٦٢١)، وابن أبي عاصم كما في الآحاد والمثاني (٣٣٩٩)، والطبراني في الكبير (١٣٢٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٣٥) من طريق عطاء الخراساني قال: قدمت المدينة فأتيت ابنة ثابت بن قيس بن شماس فذكرت قصة أبيها، قالت: لما أنزل الله على رسوله ﷺ ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية، وآية ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ جلس أبي في بيته يبكي، ففقده رسول الله ﷺ فسأله عن أمره، فقال: إني امرؤ جهير الصوت وأخاف أن يكون قد حبط عملي، فقال: «بل تعيش حميداً وتموت شهيداً ويدخلك الله الجنة بسلام»، فلما كان يوم اليمامة مع خالد بن الوليد استشهد، فرآه رجل من المسلمين في منامه فقال: إني لما قتلت انتزع درعي رجل من المسلمين وخبأه في أقصى العسكر وهو عنده، وقد أكب على الدرع بُرْمة، وجعل على البرمة رحلاً، فائت الأمير فأخبره، وإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه، وإذا أتيت المدينة فائت فقل لخليفة رسول الله ﷺ: إن علي من الدين كذا وكذا وغلامي فلان من رقيقي عتيق، وإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه، قال: فأتاه فأخبره الخبر فوجد الأمر على ما أخبره، وأتى أبا بكر فأخبره فأنفذ وصيته، فلا نعلم أحداً بعد ما مات أنفذ وصيته غير ثابت بن قيس بن شماس. زينب بنت ثابت بن قيس بن شماس الأنصارية ذكرها ابن حبيب فيمن بايعن رسول الله ﷺ.انتهى. انظر: الإصابة (٧/ ٦٦٧).

(١) القصة مختصرة أخرجها البخاري (٢٨٤٥).

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (٣/ ٦٩).

وقوله تعالى: ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أَي: كحال جهركم في جفائه وكونه مخاطبة بالأَسماءِ والأَلقاب، وكانوا يدعون النَّبيّ ﷺ: يا محمد! يا محمد! قاله ابن عبّاس وغيره[١].

فأَمرهم الله تعالى بتوقيره وأَن يدعوه بالنُّبوَّة والرِّسالة والكلام اللَّيِّن، فتلك حالة الموقِّر.

وكره العلماءُ رفع الصَّوت عند قبر النَّبيِّ ﷺ، وبحضرة العالم، وفي المساجد[٢]، وفي هذه كلها آثارٌ[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ﴾ مفعول من أَجله؛ أَي: مخافة أن تحْبَط، والحبط: انفساد العمل[٤] بعد تقرُّره، يقال: حبِط بكسر الباءِ، وأَحبطه الله.

وهذا الحبْط إِن كانت الآية مُعَرِّضة بمن يجهر[٥] استخفافاً واحتقاراً وجُرْأَةً؛ فذلك كُفْر، والحَبْطُ معه على حقيقته، وإِن كان التَّعريض للمؤمن الفاضل الَّذي يفعل ذلك غفلة وجرياً على طبعه؛ فإِنَّما يحبط عمله البرَّ في توقير النَّبيِّ ﷺ وغَضِّ الصَّوت عنده إِنْ لَوْ فعل ذلك، كأَنَّه قال: مخافة أَن تحبط الأَعمال الَّتي هي مُعَدَّةٌ أَن تعملوها فتؤْجروا عليها، ويحتمل أَن يكون المعنى: أَن تأْثَمُوا، ويكون ذلك سبباً إِلى الوحشة في نفوسكم، فلا تزال معتقداتكم تتدرَّج القهقرى حتّى يؤول ذلك إِلى الكفر فتحْبَط الأَعمال حقيقة، وظاهر الآية أَنَّها مخاطبة لفُضلاءِ المؤمنين الَّذين لا يفعلون ذلك

(١) لم أجده عن ابن عباس، إنما حكاه الثعالبي هكذا في تفسيره (٤/ ١٨٦).

(٢) انظر: البيان والتحصيل (١/ ٤٩٥)، ونهاية المطلب (٤/ ٢٤٠)، والمجموع شرح المهذب (٢/ ١٧٥)، وكشاف القناع (٢/ ٣٦٧).

(٣) ومن هذه الآثار: ما أخرجه البخاري (٤٧٠) عن السائب بن يزيد قال: كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فائتني بهذين، فجئته بهما قال: من أنتما، أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف. قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ.

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «الفساد في العمل».

(٥) في الأصل: «يفعل ذلك».

احتقاراً، وذلك أَنَّه لا يقال لمنافق يعمل ذلك جرأَة: وأَنت لا تشعر؛ لأَنَّه ليس له عمل يعتقده هو عملاً.

وفي قراءَة عبد الله بن مسعود: (فَتَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ)[١].

ثمَّ مدح الصِّنف المخالف لمن تقدَّم ذكره وهم الَّذين يَغُضُّون أَصواتهم عند النَّبيِّ ﷺ.

وغضُّ الصَّوت: خَفْضُه وكَسْرُه، وكذلك البصر، ومنه قول جرير:

[الوافر] فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ[٢] ....

ورُوي: أَنَّ أَبا بكر وعمر كانا بعد ذلك لا يكلمان رسول الله ﷺ إِلَّا كأَخي السِّرَار، وأَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يحتاج مع عمر رضي الله عنه بعد ذلك إِلَى استعادة اللَّفظ؛ لأَنَّه كان لا يسمعه من إِخفائه إِيَّاه[٣].

---

(١) انظر نسبتها له في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٨١).

(٢) هذا صدر بيت لجرير يهجو الرّاعي، وعجزه: فلا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلاباً، وقد تقدم في تفسير الآية (٤٥) من (سورة الشورى).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٤٥) عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر. فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي. قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ الآية، قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر. ورواه (٦٨٧٢) وفيه: قال ابن الزبير: فكان عمر بعد ـ لم يذكر ذلك عن أبيه ـ يعني: أبا بكر، إذا حدث النبي ﷺ بحديث حدثه كأخي السرار، ولم يُسمعه حتى يستفهمه. وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٧٢٩)، والبزار (٥٦)، والحارث في مسنده (بغية الحارث ـ ٩٥٧)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٤) من طريق حصين بن عمر، عن مخارق بن عبد الله، عن طارق بن شهاب، عن أبي بكر الصديق قال: لما نزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ قال أبو بكر: عزمت على نفسي أن لا أكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار. وحصين بن عمر الأحمسي متروك، وأخرجه الحاكم =

و﴿ٱمۡتَحَنَ﴾ معناه: اختبر وطهَّر كما يُمتحن الذَّهب بالنّار، فيسَّرها وهيَّأَها للتّقوى، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: امْتحن للتقوى: أَذهب عنها الشَّهوات[١].

قال القاضي أَبو محمد: من غَلَب شهوته وغضبه؛ فذلك الَّذي امتحن الله قلبه للتَّقوى، وبذلك تكون الاستقامة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ إِلى قوله: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ نزل في وفد بني تميم، حيث كان الأَقرع بن حابس، والزِّبرقان بن بدر، وعمرو بن الأَهْتَم، وغيرهم، وذلك أَنَّهم وفدوا على رسول الله ﷺ فدخلوا المسجد ودنَوْا من حِجْر أَزواج النَّبيِّ ﷺ وهي تسعة، فعجِلوا ونادَوْا[٢] ولم ينتظروا، ونادوا بجملتهم: يا محمد! اخرج إِلينا، يا محمد! اخرج

= في المستدرك (٢/ ٤٦٣) من طريق العباس بن محمد الدوري، عن سعيد بن عامر، عن محمد بن عمرو ابن سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة قال: قال: لما نزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ ﷺ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله! لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله عز وجل، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٥٧٦) من طريق محمد بن عمرو، عن محمد بن محمد بن إبراهيم التيمي بنحوه.

(١) بهذا اللفظ لم أقف عليه، ولكن أخرجه أحمد في الزهد كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٨) عن عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: كُتب إلى عمر يا أمير المؤمنين، رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها، أفضل، أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها؟ فكتب عمر، رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ الآية.

(٢) «ونادوا» من المطبوع وأحمد٣.

إِلينا، فكان في فعلهم ذلك جفاءٌ وبداوة وقلَّة توقير، فتربَّص رسول الله ﷺ مدَّة، ثمَّ خرج إِليهم، فقال له الأَقرع بن حابس: يا محمد! إِنَّ مدحي زَيْن، وذَمِّي شَيْن، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «ويلك ذلك الله تعالى»[١]، واجتمع النّاس في المسجد، فقام خطيبهم فخطب وفخر، فأَمر رسولُ الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس، فخطب وذكر الله تعالى والإِسلام فأَرْبى على خطيبهم، ثمَّ قام شاعرهم فأَنشد مفتخراً، فقام حسَّان بن ثابت ففخر بالله تعالى وبالرسول ﷺ وبالبسالة، فكان أَشعر من شاعرهم، فقال بعضهم لبعض: والله إِنَّ هذا الرَّجل لَمُؤَتَّى له، لخطيبه أَخطب من خطيبنا، ولشاعره أَشعر من شاعرنا، ثمَّ نزلت فيهم هذه الآية[٢].

هذا تلخيص ما تظاهرت به الرِّوايات في هذه الآية.

وقد رواه موسى بن عقبة[٣]، عن أَبي سلمة، عن الأَقرع بن حابس[٤].

وفي مصحف ابن مسعود: (أَكْثَرُهُم بَنُو تَـمِيم لَا يَعْقِلُونَ)[٥].

و«الحُجُرَات» جمع حُجْرة، وقرأَ الجمهور من القرَّاءِ: ﴿ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ بضمِّ الحاءِ والجيم.

وقرأَ أَبو جعفر القارئ وحده: ﴿الحُجَرَاتِ﴾ بضم الحاء وفتح الجيم[٦].

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٢٥/ ٣٦٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١١٧٨)، والطبري (٢٢/ ٢٨٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٧٨) وغيرهم من طريق عفان بن مسلم، عن وهيب، عن موسى بن عقبة، عن أبي سلمة عن الأقرع بن حابس: أنه أتى النبيّ ﷺ، فناداه، فقال: يا محمد! إن مدحي زين، وإن شتمي شين؛ فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «وَيْلَكَ ذَلِكَ اللهُ»، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾... الآية. وقد ذكر قصة قدوم وفد بني تميم ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠/ ٢٧٢-٢٧٣) من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، فذكره.

(٢) انظر تاريخ دمشق (١٠/ ٢٧٢-٢٧٣)، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٨٤-٢٨٥).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٨٤).

(٤) تقدم تخريجه، انظر الحديث قبل الماضي.

(٥) وهي شاذة، انظرها في مجاز القرآن (٢/ ٢١٩).

(٦) وهي عشرية، انظر نسبتها له في النشر (٢/ ٣٧٥). وضم الحاء ليس في المطبوع.

وقوله تعالى: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾؛ يعني: في الثَّواب عند الله تعالى، وفي انبساط نفس النَّبيِّ ﷺ لهم وقضائه لحوائجهم وَوُدِّه لهم، وذلك كلّه خير، ولا محالة أَنَّ بعضه انزوى بسبب جفائهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ترجيةٌ لهم وإِعلامٌ بقبوله توبة التّائب، وغفرانه ورحمته لمن أَناب ورجع.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ الآية؛ سببها: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أَبي مُعَيْط إِلى بني المصطلق مُصَدِّقاً[1]، فرُوي: أَنَّه كان معادياً لهم، فأَراد إِذايتهم، فرجع من بعض طريقه وكذب عليهم، قاله الضَّحّاك[2]، وقال للنَّبيِّ ﷺ: إِنَّهم منعوني الصدقة وطردوني وارتدوا، فغضب النبي ﷺ، وهمَّ بغزوهم ونظر في ذلك، وبعث خالد بن الوليد إِليهم، فورده وفدهم منكرين لذلك[3].

وروي عن أُمِّ سَلَمة وابن عبّاس: أَنَّ الوليد بن عقبة / ، لمَّا قرب منهم خرجوا [٥/ ١١٦]

(١) المُصَدَّقُ: العاملُ الَّذي يجبي الصَّدقات.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٨٧)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٥٤) وغيرهما من طريق محمد ابن سعد العوفي، عن أبي سعد بن محمد بن الحسن بن عطية، حدثني عمي الحسين بن الحسن بن عطية، حدثني أبي، عن جدي عطية بن سعد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات، وإنه لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا ليتلقوا رسول رسول الله ﷺ وإنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله ﷺ من ذلك غضباً شديداً، فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا: يا رسول الله! إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا أن يكون إنما رده كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، وإن رسول الله ﷺ استغشهم وهم بهم، فأنزل الله عز وجل عذرهم في الكتاب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾.

إِليه متلقّين له، فرآهم على بُعْد ففزع منهم وظنَّ بهم الشَّرَّ وانصرف، فقال ما ذكرناه[١].

وروي: أَنَّه لمَّا قرب منهم بلغه عنهم أَنَّهم قالوا: لا نعطيه الصَّدقة ولا نطيعه[٢]، فعمل على صحَّة هذا الخبر وانصرف، فقال ما ذكرناه، فنزلت الآية بهذا السَّبب[٣].

والوليد ـ على ما ذَكَرَ مجاهد وقتادة ـ هو المشار إِليه بالفاسق، وحكى الزَّهراوي: قالت أُمُّ سَلَمة: هو الوليد بن عُقْبَة[٤].

قال القاضي أبو محمد: ثمَّ هي باقية فيمن اتَّصف بهذه الصِّفة غابرَ الدَّهر.

والفِسْقُ: الخروج عن نهج الحق، وهو مراتب متباينة كلُّها مظنَّة للكذب وموضع تَثَبُّت وتَبَيُّن، وتأَنَّس القائلون بقبول خبر الواحد بما يقتضيه دليل خطاب هذه الآية؛ لأَنَّه يقتضي أَنَّ غير الفاسق إِذا جاءَ بنبأٍ أَن يعمل بحسبه، وهذا ليس باستدلال قوي، وليس هذا موضع الكلام على مسأَلة خبر الواحد.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ من التَّبَيُّن.

وقرأَ حمزة، والكسائيُّ، والحسن، وابن وثّاب، وطلحة، والأَعمش، وعيسى: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ من التَّثَبُّت[٥].

و﴿أَن﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبُواْ﴾ مفعول من أَجله، كأَنَّه تعالى قال: مخافة أَن تصيبوا.

---

(١) أخرج هذه الرواية الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٨٢) عن محمد بن حميد الرازي، عن سلمة، عن محمد ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، فذكره مرسلاً.

(٢) في المطبوع: «ولا نعطيه».

(٣) لم أقف على هذا السبب.

(٤) أثر أم سلمة تقدم. وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٢٨٧)، و«قتادة» ليس في الأصل.

(٥) «من التثبت» ليس في الأصل، وكذا ذكر حمزة والكسائي، والقراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٢٣٦)، والتيسير (ص: ٩٧).

وقال قتادة: قال رسول الله ﷺ عندما نزلت هذه الآية: «التَّـثَـبُّت من الله، والعجلة من الشَّيطان»[١].

قال منذر بن سعيد: هذه الآية تردُّ على من قال إِن المسلمين كلُّهم عدول حتّى تثبت الجُرْحَة؛ لأَنَّ الله تعالى أَمر بالتَّبَيُّن قبل القبول[٢].

قال القاضي أَبو محمد: فالمجهول الحال يخشى أَن يكون فاسقاً، والاحتياط لازم.

قال النَّقاش: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ أَبلغ من (تَثَبَّتُوا)؛ لأَنَّه قد يَتَثَبَّت من لا يَتَبَيَّن[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ توبيخ للكذبة ووعيدٌ بالفضيحة؛ أَي: فليفكِّر الكاذب في أَنَّ الله عز وجل يفضحه على لسان رسوله ﷺ، ثمَّ قال: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾؛ أَي: لشقِيتم وهلكتم، و«العَنَتُ»: المشقَّة؛ أَي: لو يُطيعكم أَيُّها المؤمنون في كثير مما ترونه باجتهادكم وتقدُّمكم بين يديه، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ﴾ الآية، كأَنَّه تعالى قال: ولكن أَنعم بكذا وكذا، وفي ذلك كفاية وأَمْرٌ لا تقومون بشكره، فلا تتقدَّموا في الأُمور، واقنعوا بإِنعام الله تعالى عليكم، وحبَّب الله

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٨٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة فذكره مرسلاً بلفظ مطول وفيه «التبين من الله، والعجلة من الشيطان»، لكن روي هذا الحديث من طريق يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس مرفوعاً بلفظ: «التأني من الله والعجلة من الشيطان». أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠٤)، وعزاه البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/ ٣١) لأبي بكر بن أبي شيبة، ورواه جماعة آخرون، وهو إسناد لا تقوم به الحجة لحال سعد بن سنان، وقد تفرد بالرواية عنه يزيد بن أبي حبيب، وروي عنه بهذا الإسناد عدة أحاديث لا يرويها غيره، قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: تركت حديثه، حديثه مضطرب وسمعته يقول يشبه حديثه حديث الحسن ولا يشبه أحاديث أنس. اهـ، وأخرج الترمذي (٢٠١٢) من طريق عبد المهمين بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي، عن أبيه، عن جده مرفوعاً بنحوه، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث في عبد المهيمن بن عباس بن سهل، وضعفوه من قبل حفظه. اهـ.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) نقله في البحر المحيط (٤/ ٣١)، دون ذكر النقاش.

تعالى الإِيمان وزَيَّنه بأَن خلق في قلوب المؤمنين حُبَّه وحَسَّنه، وكذلك تَكْريهُ الكفر والفسوق والعصيان، وحكى الرُّمَّاني عن الحسن أَنَّه قال: حبَّب الإِيمان بما وصف من الثَّواب عليه، وكرَّه الثَّلاثة المقابلة للإِيمان بما وصف من العقاب عليها[١].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ رجوعٌ من الخطاب إِلى ذكر الغيب، كأَنَّه تعالى قال: ومن فعل هذا وقَبِلَه وشكَر عليه؛ فأُولَئِك هم الرَّاشدون.

وقوله تعالى: ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗ﴾ مصدر مؤكّد بنفسه لأَنَّ ما قَبْلَه هُوَ بمعناه؛ إِذ التَّحبيب والتَّزيين هو نفس الفضل، وقد يجيءُ المصدر مؤكّداً لما قَبْلَه إِذا لم يكن هو نفس ما قَبْله، كقولك: جاءَ زيد حقّاً، ونحوه.

وكان قتادة رحمه الله يقول: قد قال تعالى لأَصحاب محمد ﷺ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾، وأَنتم والله أَسخف رأْياً، وأَطْيش أَحلاماً، فلْيَتَّهم رجلٌ نفسه، ولْيَنْتَصِحْ كتابَ الله تعالى[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾.

﴿طَآئِفَتَانِ﴾ مرفوع بإِضمار فعل، والطَّائفة: الجماعة، وقد تقع على الواحد، واحْتُجَّ لذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ﴾ [التوبة: ١٢٢]، ورأَى بعض النّاس [أَنّه يُجزي أَن يشهد][٣] حدَّ الزّناة رجل واحد، فهذه الآية الحُكمُ فيها في الأَفراد وفي الجماعات واحد.

---

(١) نقله الثعالبي في تفسيره (٥/ ٢٧٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٩١)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٢٩).

(٣) سقط من الأصل، وفي أحمد٣: «يجوز» بدل «يجزي».

واختلف النّاس في سبب هذه الآية:

فقال أَنس بن مالك والجمهور: سببها ما وقع بين المسلمين وبين المتحزِّبين منهم مع عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سَلُول حين مرَّ به رسول الله ﷺ وهو متَّجه لزيارة سعد ابن عبادة رضي الله عنه في مرضه، فقال عبد الله بن أُبَيٍّ لما غَشِيَه حمار رسول الله ﷺ: لا تُغَبِّرُوا علينا، ولقد آذانا نَتَنُ حمارك، فردَّ عليه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه... الحديث بطوله، فتلاحى الناس حتّى وقع بينهم ضربٌ بالجَريد، ويروى: بالحديد[(١)].

وقال أَبو مالك، والحسن: سببها أَنَّ فرقتين من الأَنصار وقع بينهما قتال، فأَصلحه رسول الله ﷺ بعد جهد، ونزلت الآية في ذلك[(٢)].

وقال السُّدِّيُّ: كانت بالمدينة امرأَة من الأَنصار يقال لها: أُمُّ بَدْرٍ[(٣)]، وكان لها زوج من غيرهم، فوقع بينهما شيءٌ أَوجب أَن يأْنف لها قومها وله قومه، فوقع قتال نزلت الآية بسببه[(٤)].

و﴿بَغَتْ﴾ معناه: طلبت العُلُوَّ بغير الحقِّ، ومدافعةُ الفئة الباغية متوجِّه في كلِّ حال، وأَمَّا التَّهيُّؤُ لقتالها فمع الوُلاة.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩) عن أنس رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أُبي، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ فقال: إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، فشتمه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها أنزلت ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾. ولم أقف على لفظة «بالحديد».

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٩٤).

(٣) وقع في الإصابة (٨/ ٣٩٧): «أم زيد» بدل «أم بدر»، قال الحافظ: غير منسوبة، وقع في رواية أسباط بن نصر عن السدي، قال: كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد اختصمت مع زوجها، فأقبل أهلها مع زوجها، فنزلت الآية.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٩٤)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٧٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٣٠).

وقيل لعليِّ بن أَبي طالب رضي الله عنه: أَمُشْركون هم أَهل صفّين والجمل؟ قال: لا، من الشِّرك فرُّوا، قيل: أَفَمُنَافقون؟ قال: لا، لأَنَّ المنافقين لا يذكرون الله إِلَّا قليلاً، قيل: فما حالهم؟ قال: إِخواننا بغوا علينا[١].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «حكم الله تعالى في الفئة الباغية: أَلَّا يُجهز على جريح، ولا يُطلب هارب، ولا يُقتل أَسير»[٢].

و﴿تَفِيٓءَ﴾ معناه: ترجع، و«الإِقساط»: الحكم بالعدل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾، يريد تعالى: أُخوة الدِّين.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾، وذلك رعاية لحال أَقل عدد يقع فيه القتال والتَّشاجر، والجماعة متى / فصِّل الإِصلاح، فإِنَّما هو بين رجلين رجلين. [٥/ ١١٧]

وقرأَ ابن عامر، والحسن بخلاف عنه: ﴿بين إِخْوَتِكُم﴾[٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٩١٨) من طريق شريك، عن أبي العنبس، عن أبي البختري: قال: سئل علي، عن أهل الجمل، إلخ، وأبو البختري هو سعيد بن فيروز الطائي ثقة ثبت ولكنه لم يدرك علي ولم يره، وانظر: جامع التحصيل (٢٤٢). ومن طريق ابن أبي شيبة أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٧٣)، وهذه المقولة مشهورة عن علي بن أبي طالب قالها في الخوارج وليس في أهل الجمل، وقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٩٠٩٧) بإسناد صحيح عن أبي إسحاق الشيباني، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: كنت عند علي، فسئل عن أهل النهر... إلخ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٧٤) من طريق يعلى بن عبيد، عن مسعر، عن عامر بن شقيق، عن شقيق بن سلمة قال: قال رجل: من يتعرف البغلة يوم قتل المشركون، يعني: أهل النهروان؟ فقال علي ابن أبي طالب: من الشرك فروا. قال: فالمنافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً... إلخ.

(٢) ضعيف جداً، أخرجه البزار في مسنده (٥٩٥٤)، والحارث (بغية ٧٠٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٥٦)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ١٨٢) من طرق عن كوثر بن حكيم، عن نافع، عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: يا ابن أم عَبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: لا يجهز على جريحها، ولا يقتل أسيرها، ولا يطلب هاربها، ولا يقسم فيئها، وكوثر بن حكيم متفق على ضعفه. وانظر: الميزان (٣/ ٤١٦).

(٣) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٧٦)، وعزاها لرواية يحيى عن ابن عامر في السبعة (ص: ٦٠٦).

وقرأَ ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن سيرين، والحسن، وعاصم الجحدريُّ، وثابت البنانيُّ، وحمّاد بن سلمة: (بين إِخْوَانِكُمْ)[١].

وهي حسنة؛ لأَنَّ الأَكثر من جمع الأَخ في الدِّين ونحوه من غير النَّسب: إِخْوان، والأَكثر في جمعه من النَّسب: إِخْوَةٌ وآخَاءٌ، قال الشاعر:

وَجَدْتُـمْ أَخاكُـمْ بَيْنَنَـا إِذْ نُسِـبْتُمُ وأَيُّ بنـي الآخَاءِ تَنْبُو مَنَاسِـبُهْ[٢] [الطويل]

وقد تتداخل هذه الجموع، وكلُّها في كتاب الله تعالى، فمنه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، ومنه ﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ﴾ [النّور: ٦١]، فهذا جاءَ على الأَقل في الاستعمال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

هذه الآية والَّتي بعدها نزلت في خُلُق أَهل الجاهلية، وذلك لأَنَّهم كانوا يجرون مع شهوات نفوسهم، لم يُقَوِّمْهُمْ أَمْرٌ من الله تعالى ولا نَهْي، فكان الرَّجل يسخر ويلمز ويهمز وينبز بالأَلقاب ويظنُّ الظنُّون فيتكلَّم بها ويغتاب ويفتخر بنسبه، إِلى غير ذلك من أَخلاق النُّفوس البَطَّالة، فنزلت هذه الآية تأْديباً لأُمَّة محمد ﷺ.

وذكر بعض النّاس لهذه الآيات أَسباباً، فمِمَّا قيل: إِنَّ هذه الآية ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ﴾

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥١٢)، ولابن سيرين في: تفسير الثعلبي (٩/ ٧٩)، وللباقين في البحر المحيط (٩/ ٥١٦). وسقط قوله: «ثابت» من الأصل.

(٢) تقدم في تفسير الآية (٤٧) من (سورة الحجر)، مع ذكر الخلاف في الرواية فيه، وفي الأصل ونجيبويه: «دوننا إذ نسيتم».

نزلت بسبب عكرمة بن أَبي جهل، وذلك أَنَّه كان يمشي بالمدينة مسلماً[١]، فقال له قوم: هذا ابن فرعون هذه الأُمة، فعزَّ عليه ذلك وشكاه إِلى رسول الله ﷺ[٢].

قال القاضي أبو محمد: والقويُّ عندي: أَنَّ هذه الآيات نزلت تقويماً كسائر أمر الشرع[٣]، ولو تتبِّعت الأَسباب لكانت أَكثر من أَن تُحصى.

و﴿يَسْخَرْ﴾ معناه: يستهزئ، والهُزْءُ إِنَّما يترتب متى ضعف امرؤٌ؛ إِمَّا لصغر وإِمَّا لعلَّة حادثة أَو لِرَزِيَّة أَو لنقيصة يأتيها، فنهي المؤمنون عن الاستهزاءِ في هذه الأُمور وغيرها نهياً عامّاً، فقد يكون ذلك المُسْتَهْزَأُ به خيراً من السّاخر.

و«القوم» في كلام العرب واقع على الذُّكران، وهو من أَسماءِ الجمع كالرَّهط، وقول من قال: إِنَّه من القيام، أَو جمع قائم: ضعيف، ومن هذا قول الشّاعر وهو زهير:

[الوافر] وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْري ... أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ[٤]

وهذه الآية أيضاً تقتضي اختصاص القوم بالذُّكران، وقد يكون مع الذُّكران نساءٌ فيقال لهم: «قَوْمٌ» على تغليب حال الذُّكور، ثم نهى الله تعالى النِّساءَ عمَّا نهى عنه الرِّجال من ذلك.

وقرأَ أُبيُّ بن كعب، وابن مسعود: (عَسَوْا أَنْ يكونوا) و(عَسَيْنَ أَنْ يَكُنَّ)[٥].

و﴿تَلْمِزُوٓاْ﴾ معناه: يطعن بعضكم على بعض بذكر النقائص ونحوه، وقد يكون اللَّمْزُ بالقول وبالإِشارة ونحو هذا مما يفهمه الآخر، والهَمْزُ لا يكون إِلَّا باللِّسان، وهو

(١) في المطبوع: «مسلحا»، وهو خطأ.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٣٢٥)، ولم أقف عليه مسنداً.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «لسائر الخلق».

(٤) تقدم في الآية (١٣٧) من (سورة الأعراف).

(٥) وهي شاذة، انظر نسبتها لابن مسعود رضي الله عنه في: مختصر الشواذ (ص: ١٤٤)، ولهما في البحر المحيط (٩/ ٥١٧).

مشبَّه بالهمز بالعود ونحوه مما يقتضي المُمَاسَّة، قال الشّاعر:

وَمَـنْ هَمَـزْنَـا عِـزَّهُ تَـبَرْكَعَـا[١] .... [الرجز]

وقيل لأَعرابيٍّ: أَتهمز الفأْرة؟ فقال: الهِرُّ يهمزها[٢].

وحكى الثَّعلبيُّ أَنَّ اللَّمْزَ ما كان في المَشْهد، وأَن الهَمْزَ ما كان في المغيب[٣].

وحكى الزَّهراويُّ عن عليٍّ بن سليمان عكس ذلك، فقال: الهمزُ أَن تعيب بالحضرة، واللَّمز في الغيبة[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨].

وقرأَ الجمهور: ﴿تَلْمِزُوٓاْ﴾ بكسر الميم.

وقرأَ الأَعرج والحسن بضمِّها، قال أَبو عمرو بن العلاءِ: هي عربية، وقال أَبو حاتم: قراءَتنا بالضَّمِّ وأَحياناً بالكسر[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ معناه: بعضكم بعضاً، كما في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النِّساء: ٢٩]، كأَنَّ المؤمنين كنفس واحدة إِذ هم إِخوة فهم كما قال رسول الله ﷺ: «كالجسد الواحد إِذا اشتكى منه عُضْوٌ تداعى سائره بالسَّهر والحُمَّى»[٦]، وهم كما قال أَيضاً: «كالبُنْيان يشُدُّ بعضُه بعضاً»[٧].

---

(١) البيت لرؤبة بن العجاج في الكنز اللغوي في اللسن العربي (ص: ٨٠)، وأمالي القالي (١/ ١٠٤)، وللعجاج في الإبل للأصمعي (ص: ٦٧)، والمحكم والمحيط الأعظم (١/ ١٣٧)، وبلا نسبة في الاشتقاق (ص: ٣١٢)، ومعنى تَبَرْكَعَ: صُرِعَ فوقع على اسْتِهِ.

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٨٦)، وقد تقدم هذا في تفسير (سورة التوبة).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٨١).

(٤) المصدر السابق (٤/ ١٨٩).

(٥) وهي عشرية ليعقوب، كما في النشر (٢/ ٢٨٠)، وانظر نسبتها للحسن في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥١٢).

(٦) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

و«التَّنَابز»: التَّلَقُّب، والنَّبَزُ واللَّقَبُ واحد، أو اللَّقب: هو ما يُعْرف به الإِنسان من الأَسماءِ الَّتي يكره سماعها، ورُوي: أَنَّ بني سلمة كانوا قد كثرت فيهم الأَلقاب، فدعا رسول الله ﷺ رجلاً منهم فقال له: «يا فلان»، فقيل له: إِنَّه يغضب من هذا الاسم، ثمَّ دعا آخر كذلك، فنزلت الآية في هذا[1].

وليس من هذا قول المحدِّثين: سليمان الأَعمش، وواصل الأَحدب، ونحوه مما تدعو الضَّرورة إِليه وليس فيه قصد استخفاف ولا أَذى[2].

وقد قال عبد الله بن مسعود لِعَلْقَمَة: أَوَ تقولُ أَنت ذلك يا أَعور؟![3].

وأَسند النَّقَّاشُ إِلى عطاءٍ، قال رسول الله ﷺ: «كَنُّوا أَولادكم»، قال عطاءٌ: مخافة الأَلقاب[4].

وقال ابن زيد: معنى ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾؛ أَي: لا يقل أَحدٌ لآخر: يا يهودي بعد إِسلامه، ولا: يا فاسق بعد توبته[5]، ونحو هذا.

وحكى النَّقَّاش: أَنَّ كعب بن مالك، وابن أَبي حَدْرَدٍ تَلاحَيَا، فقال له كعب: يا

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٣٠)، وأبو داود (٤٩٦٢)، والترمذي (٣٢٦٨)، والنسائي في الكبرى (١١٤٥٢)، وابن ماجه (٣٧٤١)، وأبو يعلى (٦٨٣٥)، والطبري (٢٢/ ٢٩٩-٣٠٠) وغيرهم من طرق عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: فينا نزلت في بني سلمة ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾. قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا له اسمان، فجعل النبي ﷺ يقول: «يا فلان»، فيقولون: يا رسول الله! إنه يغضب منه.

(٢) شرح النووي على شرح مسلم (١٦/ ١٤٣).

(٣) أصل هذه القصة وقعت لإبراهيم بن سويد النخعي الأعور كما في مسلم (٥٧٢) عن إبراهيم بن سويد قال: صلى بنا علقمة الظهر خمساً، فلما سلم قال القوم: يا أبا شبل قد صليت خمساً؟ قال: كلا ما فعلت قالوا: بلى قال: وكنت في ناحية القوم وأنا غلام فقلت: بلى قد صليت خمساً قال: لي وأنت أيضا يا أعور تقول ذاك. وعلقمة تابعي لا صحابي.

(٤) انظر: البحر المحيط (٩/ ٥١٨).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٠١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٠٥).

أَعرابيٌّ، يريد أَن يُبعده من الهجرة، فقال له الآخر: يا يهودي؛ لمخالطة الأَنصار اليهود في يثرب، فنزلت الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ يحتمل معنييْن: أَحدهما: فبئس اسم تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالأَلْقاب فتكونون فُسَّاقاً بالمعصية بعد إِيمانكم.

والثاني: بئس ما يقول الرَّجل لأَخيه: يا فاسق بعد إِيمانه.

وقال الرُّمَّانيُّ: هذه الآية تدُلُّ على أَنَّه لا يجتمع الفسوق والإِيمان[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذه نزعة اعتزاليَّة، ثمَّ شدَّد الله تعالى عليهم النَّهي بأَن حكم بظلم من لم يتب ويُقلع عن هذه الأَشياءِ الَّتي نهى عنها.

ثمَّ أَمر تعالى المؤمنين باجتناب كثير من الظَّنِّ، وأَلَّا يعملوا ولا يتكلَّموا / [٥/ ١١٨] بحسبه؛ لما في ذلك وفي التَّجسُّس من التَّقاطع والتدابر، وحكم على بعضه بأَنَّه إِثم؛ إِذ بعضه ليس بإِثم ولا يلزم اجتنابه، وهو ظنُّ الخير بالنّاس، وحُسْنُه بالله تعالى، والمظنون من شهادات الشّهود، والمظنون به من أَهل الشَّرِّ، فإِن سقوط عدالته وغير ذلك هو من حكم الظَّنِّ به، وظنُّ الخير بالمؤمن محمود، والظَّنُّ المنهيُّ عنه هو أَن يظنَّ سوءاً برجل ظاهره الصَّلاح، بل الواجب أَن يزيل الظَّنَّ وحكمه ويتأَوَّل الخير.

وقال بعض النّاس: ﴿إِثۡمٞ﴾ معناه: كذب، ومنه قول النَّبيِّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإِن الظنَّ أَكذب الحديث»[٣].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ٣٤٣-٣٤٤) من طريق ابن لهيعة، عن بكير بن عبد الله، عن سفيان بن فروة الأسلمي: أن عبد الله بن أبي حدرد حدثه أنه ساب رجلاً من الأنصار... إلخ، وعبد الله بن لهيعة متفق على ضعفه، وهذه القصة رواها البخاري (٤٥٧)، ومسلم (١٥٥٨) بلفظ: أن كعب بن مالك تقاضى ابن أبي حدرد ديناً كان له عليه في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما حتى كشف سجف حجرته... إلخ. وليس فيهما ذكر الأعرابي واليهودي ولا الآية.

(٢) البحر المحيط (٩/ ٥١٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، =

وقال بعض النّاس: معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾؛ أَي: إِذا تكلَّم الظَّانُّ أَثِمَ، وما لم يتكلَّم فهو في فُسْحة؛ لأَنَّه لا يقدر على دفع الخواطر التي يُبيحها قول النَّبيِّ ﷺ: «الحزمُ سوءُ الظَّنِّ»(١).

وذكر النَّقَّاش عن أَنس رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «احترسوا من النّاس بسوءِ الظَّنِّ»(٢).

= وفيه: «ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا، وكونوا إخواناً، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك».

(١) ضعيف جداً، أخرجه القضاعي في مسنده (٢٤) من طريق علي بن الحسين بن بندار بن خير، عن الحسين بن محمد مودود، عن أبي تقي، عن بقية بن الوليد، عن الوليد بن كامل، عن نصر بن علقمة، عن عبد الرحمن بن عائذ مرفوعاً به، وعلي بن الحسين بن بندار قال الذهبي: اتهمه محمد بن طاهر كما في الميزان (٣/ ١٢١)، وقال الحافظ: وضعفه ابن النجار، وقال عبد العزيز النخشبي: لا تحل الرواية عنه إلا على وجه التعجب. اهـ من اللسان (٤/ ٢١٧)، وسأل ابن أبي حاتم أباه عنه كما في المراسيل (٤٤٥) فقال: هو مرسل لم يدرك ابن عائذ النبي ﷺ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في مداراة الناس (١١٤) من طريق إبراهيم بن طهمان، عمن أخبره، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الحزم سوء الظن بالناس»، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٦٥) من طريق جرير، عن الحكم بن عبد الرحمن قال: كانت العرب تقول: العقل التجارب، والحزم سوء الظن، قال السخاوي في المقاصد الحسنة (١/ ٦٥): ولأبي الشيخ، ومن طريقه الديلمي في مسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من قوله: الحزم سوء الظن، وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب عن عبد الرحمن بن عائذ رفعه مرسلاً، ولكنها ضعيفة وبعضها يتقوى ببعض، وقد أفردته في جزء وأوردت الجمع بينها وبين قوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾. اهـ.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي الدنيا في مداراة الناس (١١٣)، والطبراني في الأوسط (٥٩٨-٩٤٥٨) من طريق بقية بن الوليد، عن معاوية بن يحيى الصدفي، عن سليمان بن مسلم، عن أنس بن مالك مرفوعاً به، قال الحافظ: وهو من رواية بقية بالعنعنة، عن معاوية بن يحيى وهو ضعيف؛ فله علتان. اهـ. من الفتح (١٠/ ٥٣١)، وأخرجه تمام الرازي في فوائده (٦٩٢) من طريق إبراهيم بن طهمان، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس به، بنحوه، وأبان بن أبي عياش فيروز متروك. وقد جاء من قول عمر رضي الله عنه كما أخرجه الخطابي في العزلة (١٣٩) من طريق الضحاك بن يسار النكري، عن عثمان النهدي، عن عمر، فذكره، وأخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢٩) من قول مطرف بن عبد الله بن الشخير.

قال القاضي أَبو محمد: وما زال أُولو العلم يحترسون من سوءِ الظَّنِّ ويسدُّون ذرائعه.

قال سلمان الفارسيُّ: إِنِّي لأَعُدُّ عُراق قِدْرِي مخافةَ الظَّنِّ[١].

وكان أَبو العالية يختم على بقيَّة طعامه مخافة سوءِ الظَّنِّ بخادمه[٢].

وقال ابن مسعود: الأَمانة خير من الخاتم، والخاتم من سوءِ الظَّنِّ[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾؛ أَي: لا تبحثوا عن مُخَبَّآت أُمور النّاس، وادفعوا بالَّتي هي أَحسن، واجتزوا بالظَّواهر الحسنة.

وقرأَ الحسن، وأَبو رجاءٍ، وابن سيرين، والهُذَليُّون: (ولا تحسَّسوا) بالحاءِ غير منقوطة[٤].

وقال بعض النّاس: التَّجسُّس بالجيم: في الشَّرِّ، والتَّحسُّس بالحاءِ: في الخير، وهكذا ورد القرآن، ولكن قد يتداخلان في الاستعمال.

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٦٨-١٦٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٧٠٩) من طريق شعبة، عن أبي إسحاق السبيعي، قال: سمعت حارثة بن مضرب يقول: سمعت سلمان الفارسي يقول: إني لأعد العراق خشية الظن. والعُراق بضمِّ العين: العظم أكل لحمه.

(٢) نقل عنه السمعاني في تفسيره (٥/ ٢٢٤) أنه ختم على سبع سكرات لئلا يظن ظن السوء.

(٣) لم أقف عليه من قول ابن مسعود رضي الله عنه، وإنما جاء من قول أبي ذر كما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٨٢٨) من طريق سفيان، عن أبي المحجل، عن معفس بن عمران بن حطان، عن أبيه، قال: قال أبو ذر: الصاحب الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء، ومملي الخير خير من الساكت، والساكت خير من مملي الشر، والأمانة خير من الخاتم، والخاتم خير من ظن السوء. ومعفس بن عمران بن حطان ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٦٤)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/ ٤٣٣)، وابن حبان في الثقات (٧/ ٥٢٥) ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن وابن سيرين في مختصر الشواذ (ص: ١٤٤)، ولأبي رجاء في تفسير الثعلبي (٩/ ٨٢).

وقال أَبو عمرو بن العلاءِ: التَّجسُّس: ما كان من وراءَ وراءَ، والتَّحسُّس: الدُّخول والاستعلام[١].

وصحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «ولا تحسَّسوا ولا تجسَّسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إِخواناً»[٢].

وذكر الثَّعلبيُّ حديث حراسة عمر بن الخطاب مع ابن عوف، ووجودهما الشَّرْب في بيت ربيعة[٣] بن أُميَّة بن خلف[٤]، وذكر أَيضاً حديثه في نحو ذلك مع أَبي مَـحْجَن الثَّقفيِّ[٥].

---

(١) انظر: غريب الحديث للخطابي (١/ ٨٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً».

(٣) في المطبوع: «في ربيعة»، دون لفظة «بيت»، وربيعة ذكر في القسم الرابع من الإصابة (٢/ ٤٣٢): أنه أسلم يوم الفتح، وكان شهد حجة الوداع، فذكره في الصّحابة البغويّ وأصحابه، لكن روى ابن شيبة في مسنده: أنه هرب إلى قيصر فتنصّر ومات عنده.

(٤) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٨٩٤٣) ومن طريقه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٧٧)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣٣٣)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٨٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨/ ٥١) عن معمر، عن الزهري، وابن حبان في الثقات (٤/ ٢٦٧)، والطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٦٠) من طريق الزهري، عن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، عن المسور بن مخرمة، عن عبد الرحمن بن عوف: أنه حرس ليلة مع عمر بن الخطاب بالمدينة، فبينما هم يمشون شب لهم سراج في بيت فانطلقوا يؤمونه، حتى إذا دنوا منه إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر ـ وأخذ بيد عبد الرحمن ـ: أتدري بيت من هذا؟ قال: لا، قال: هذا بيت ربيعة ابن أمية ابن خلف وهم الآن شرب كما ترى. فقال عبد الرحمن: أرى أن قد أتينا ما نهانا الله فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ فقد تجسسنا، فانصرف عنهم عمر وتركهم، وجاء في المطبوع من المصنف «مصعب بن زرارة» بدلاً من «زرارة بن مصعب».

(٥) منقطع، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٨٣) من طريق معمر قال: أخبرني أيّوب، عن أبي قلابة أنّ عمر بن الخطّاب، حُدِّث أنّ أبا محجن الثقفي شرب الخمر في بيته هو وأصحابه، فانطلق عمر حتّى دخل عليه، فإذا ليس عنده إلاّ رجل، فقال أبو محجن: يا أمير المؤمنين إنّ هذا لا يحلّ لك، فقد نهاك الله عن التجسّس، فقال عمر: ما يقول هذا؟ فقال زيد بن ثابت، وعبدالله بن الأرقم: صدق هذا =

وقال زيد بن وهب: قيل لابن مسعود: هل لك في الوليد بن عُقبة تقطر لحيته خمراً؟ فقال: إِنَّا قد نُهينا عن التَّجسُّس، فإن يظهر لنا أَمْرٌ أَخذنا به[١].

﴿وَلَا يَغْتَب﴾ معناه: ولا يذكر أَحدكم من أَخيه شيئاً هو فيه ويكره سماعه، وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت عن امرأَة: ما رأَيتُ أَجمل منها إِلَّا أَنَّها قصيرة، فقال لها النَّبيُّ ﷺ: «اغْتَبْتِها، نظرت إِلى أَسوأ ما فيها فذكرته»[٢].

وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «إِذا ذكرتَ ما في أَخيك فقد اغتبته، وإِذا ذكرت ما ليس فيه فقد بَهَتَّه»[٣].

وفي حديث آخر: «الغِيبَةُ أَن تَذكرَ المؤمن بما يكره»، قيل: وإِن كان حقّاً؟ قال: «إِذا قلتَ باطلاً فذلك هو البُهتان»[٤].

= التجسّس، قال: فخرج عمر وتركه. وعبد الله بن زيد الجرمي أبو قلابة لم يسمع من عمر رضي الله عنه كما في جامع التحصيل (٣٦٢).

(١) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٨٩٤٥)، وابن أبي شيبة (٢٧١٠٠)، وأبو داود (٤٨٩٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٦١٦)، والبزار في مسنده (١٧٦٩)، والطبراني في الكبير (٩٧٤١) وغيرهم من طرق عن الأعمش، عن زيد بن وهب الجهني، عن عبد الله بن مسعود بنحوه، وفي بعض الرويات بدون ذكر الوليد بن عقبة.

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (٦/ ١٦٣، ٤٢/ ٤٦٧)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٢٠٦)، وكذا في ذم الغيبة (٦٩) من طريق سفيان، عن علي بن الأقمر، عن أبي حذيفة سلمة بن صهيب، عن عائشة، أنها ذكرت امرأة ـ وقال مرة: حكت امرأة ـ وقالت: إنها قصيرة، فقال: «اغتبتها ما أحب أني حكيت أحداً، وأن لي كذا وكذا»، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٠٧)، وفي ذم الغيبة (٧٠)، والخرائطي في مساوئ الأخلاق (١٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٣٩٤) من طريق أبي معاوية، عن أبي إسحاق الشيباني، عن حسان بن مخارق، عن عائشة بنحوه.

(٣) صحيح، أخرجه مسلم (٢٥٨٩) عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ، قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته».

(٤) ضعيف، أخرجه مالك في الموطأ (٣٦١٨) عن الوليد بن عبد الله بن صياد، عن المطلب بن عبد الله ابن حويطب المخزومي: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما الغيبة؟ فذكره، قال ابن عبد البر في =

وقال معاوية بن قُرَّة، وأَبو إِسحاق السَّبيعيُّ: إِذا مرَّ بك رجل أَقطع فقلت: ذلك الأَقطع، كانت غِيبة[١].

وحكى الزَّهراويُّ عن جابر: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «الغِيبَةُ أَشدُّ من الزِّنا؛ لأَنَّ الزَّاني يتوب فيتوب الله عليه، والَّذي يغتاب يتوب فلا يُتاب عليه حتّى يَسْتَحِلَّ»[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وقد يموت من اغتبتَ أَو يأْبى، ورُوي: أَنَّ رجلاً قال لابن سيرين: إِنِّي قد اغتبتك فحلِّلني، فقال: إِنِّي لا أُحلِّل ما حرَّم الله[٣].

والغِيبةُ مشتقَّة من: غاب يغيب، وهي القول في الغائب، واستعملت في المكروه، ولم يُبَح في هذا المعنى إِلَّا ما تدعو الضَّرورة إِليه؛ كتجريح الشُّهود، وفي التَّعريف لمن استنصح في الخطاب ونحوه؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «أَمَّا معاوية فصعلوك لا مال له»[٤]، وما

= التمهيد (٢٣/ ١٩): المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب المخزومي عامة أحاديثه مراسيل، ويرسل عن الصحابة يحدث عنهم ولم يسمع منهم، وهو تابعي مدني ثقة، يقولون: أدرك جابراً، واختلف في سماعه من عائشة، وحدث عن ابن عمر وأبي هريرة وأبي قتادة وأم سلمة وأبي موسى وأبي رافع، ولم يسمع من واحد منهم.اهـ.

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٥٤٣)، والطبري في تفسيره (٢٦/ ١٣٦)، وغيرهما.

(٢) منكر، أخرجه هناد في الزهد (٢/ ٥٦٥) عن أسباط بن محمد، وابن أبي الدنيا في الصمت (١٤٦)، وفي ذم الغيبة والنميمة (٢٥)، وابن حبان في المجروحين (٢/ ١٦٨)، والطبراني في الأوسط (٦٥٩٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٣١٥)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٥٦) من طرق عن أسباط بن محمد، عن أبي رجاء عبد الله بن واقد الخراساني، عن عباد بن كثير، عن الجريري، عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري قالا: قال رسول الله ﷺ: «الغيبة أشد من الزنا». قيل: وكيف؟ قال: «الرجل يزني ثم يتوب، فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه» وفي رواية هناد بن السري: عن جابر، وحده. وفيه عباد بن كثير الثقفي البصري متروك، قال أحمد: روى أحاديث كذب، وانظر: العلل لابن أبي حاتم (٥/ ١٢١-١٢٢).

(٣) رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/ ٦٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٦٣)، وغيرهما.

(٤) صحيح، أخرجه مسلم (١٤٨٠) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن فاطمة بنت قيس: أن أبا عمرو ابن حفص طلقها البتة، وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير، فسخطته، فقال: والله ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال: «ليس لك عليه نفقة»، فأمرها أن تعتد في بيت =

يقال في الفَسَقة أَيضاً، وفي وُلاة الجور، ويُقصد به التَّحذير منهم، ومنه قول النَّبيِّ ﷺ: «أَعن الفاجر تَرعوون؟ اذكروا الفاجر بما فيه، متى[1] يعرفه النّاسُ إِذا لم تذكروه»[2].

ومنه قوله ﷺ: «بئس ابن العشيرة»[3].

ثمَّ مثَّل تعالى الغِيبة بأَكل لحم ابن آدم الميت، والعرب تشبِّه الغِيبة بأَكل اللَّحم، فمنه قول سُوَيْد بن أَبي كاهل:

فَإِذَا لاقَيْتُهُ عَظَّمَنِي ... وإِذَا يَخْلُو لهُ لَحْمي رَتَع[4] [الرمل]

ومنه قول الآخر:

إِذا أَكلُوا لَحْمي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ ... وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْداً[5] [الطويل]

= أم شريك، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك، فإذا حللت فآذنيني»، قالت: فلما حلَلْت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان، وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «أما أبو جهم، فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد» فكرهته، ثم قال: «انكحي أسامة»، فنكحته، فجعل الله فيه خيراً، واغتبطت به.

(١) في المطبوع: «حتى».

(٢) حسن، أخرجه الطبراني في الكبير (١٠١٠) من طريق الجارود بن يزيد، وفي الصغير (٥٩٨) من طريق معمر كلاهما ـ الجارود، ومعمر ـ عن بهز بن حكيم، عن أبي، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «أترعوون عن ذكر الفاجر؟ اذكروه بما فيه يعرفه الناس»، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٧٥): رواه الطبراني في الثلاثة، وإسناد الأوسط والصغير حسن، رجاله موثقون، واختلف في بعضهم اختلافاً لا يضر.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (٧٣) عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلًا استأذن على النبي ﷺ، فلما رآه قال: «بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة»، فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله! حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة! متى عهدتني فحاشاً، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره».

(٤) انظر عزوه له في: المفضليات (ص: ١٩٠)، والشعر والشعراء (١/ ٤١١)، وعيون الأخبار (٢/ ١٤)، والأغاني (١٣/ ١١٣).

(٥) هو للمُقَنَّع الكِنْدي، كما في الشعر والشعراء (٢/ ٧٢٨)، والعقد الفريد (٢/ ٢٠٩)، وأمالي القالي (١/ ٢٨٠)، والأغاني (١٧/ ١١٢).

فوقَفَهم الله تعالى ـ على جهة التَّوبيخ ـ بقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، فالجواب عن هذا: لا، وهم في حكم من يقولها، فخوطبوا على أَنَّهم قالوا: لا، فقيل لهم: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، وبعد هذا مُقَدَّرٌ تقديره: فكذلك فاكرهوا الغِيبَةَ الَّتي هي نظير ذلك، وعلى هذا المقدَّر يعطف قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، قاله أَبو عليٍّ الفارسيُّ(١).

وقال الرُّمَّانيُّ: كراهية هذا اللَّحم يدعو إِليها الطَّبع، وكراهيَّة الغِيبَة يدعو إِليها العقل، وهو أَحقُّ أَن يجاب لأَنَّه بصيرٌ عالِمٌ، والطَّبْعُ أَعمى جاهل(٢).

وقرأَ الجمهور: ﴿مَيْتًا﴾ بسكون الياءِ خفيفة.

وقرأَ نافع، وابن القعقاع، وشيبة، ومجاهد: ﴿ميِّتاً﴾ بكسرها مشدَّدة(٣).

وقرأَ أَبو حيوة: (فَكُرِّهْتُمُوهُ) بضمِّ الكاف وشدِّ الرّاءِ، ورواها أَبو سعيد الخدريُّ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ(٤).

ثمَّ أَعلمهم الله تعالى بأَنَّه تَوّابٌ رحيم؛ إِبْقاءً منه تعالى وإِمْهالاً وتمكيناً من التَّوبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٦/ ٢١٢).

(٢) البحر المحيط (٩/ ٥٢٠).

(٣) وهما سبيعتان، انظر: السبعة (ص: ٦٠٦)، والنشر (٢/ ٢٢٤).

(٤) وهي شاذة، عزاها لأبي حيوة في البحر المحيط (٩/ ٥٢١). والحديث منكر، أخرجه حفص بن عمر في «جزء فيه قراءات» (١٠٦) من طريق أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد به. وعمارة بن جوين ـ أبو هارون ـ العبدي البصري متروك.

قوله تعالى: ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ يحتمل أَن يريد آدم وحوَّاءَ، فكأَنَّه / تعالى قال: إِنَّا [٥/ ١١٩] خلقناكم جميعاً من آدم وحوَّاءَ، ويحتمل أَن يريد بالذَّكر والأُنثى اسْم الجنس، وكأَنَّه تعالى قال: إِنَّا خلقنا كلَّ واحد منكم من ماءِ ذكرٍ وماءِ أُنثى، وقَصْد هذه الآية التَّسوية بين النّاس، ثمَّ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾؛ أَي: لِئَلَّا تفاخروا ويريد بعضكم أَن يكون أَكرم من بعض، فإِنَّ الطَّريق إِلى الكرم غير هذا، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وروى أَبو بكرة: قيل: يا رسول الله! من خير النّاس؟ قال: «من طال عُمُره، وحسُن عمله»[1].

وفي حديث آخر: مَنْ خَيْرُ النَّاس؟ قال: «آمرُهُم بمعروف، وأَنهاهم عن منكر، وأَوصلهم للرَّحم، وأَتقاهم»[2].

---

(١) حسن لغيره، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٩٠٥)، وأحمد (٥/ ٤٠-٤٣-٤٧-٤٨-٤٩-٥٠)، والدارمي (٢٧٤٢-٢٧٤٣)، والترمذي (٢٣٣٠)، والبزار (٣٦٢٣) وغيرهم من طرق عن علي بن زيد بن جدعان، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال: قيل: يا رسول الله! أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله»، قيل: يا رسول الله! فأي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله». وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف، ولكن أخرجه أحمد (٥/ ٤٤-٤٧-٤٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٣/ ٢٠٥)، والطبراني في الأوسط (٥٤٤٩)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٥١٩) من طرق عن الحسن البصري، عن أبي بكرة رضي الله عنه به، بنحوه، وقد رجح العلائي سماع الحسن من أبي بكرة رضي الله عنه. وانظر: جامع التحصيل (ص: ١٦٣).

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٥٨٠) عن شريك، وأحمد (٦/ ٦٨-٤٣٢)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣١٦٦)، والطبراني في الكبير (٦٥٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥٧٨) من طرق عن شريك، عن سماك، عن عبد الله بن عميرة، عن زوج درة، عن درة بنت أبي جهل قالت: قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال: يا رسول الله! أي الناس خير؟ فقال ﷺ: «خير الناس أقرؤهم وأتقاهم، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم». وهذا الإسناد له ثلاث علل أولها شريك بن عبد الله النخعي تغير حفظه منذ ولي القضاء، ثانياً: عبد الله بن عميرة الكوفي مجهول، ثالثاً: زوج درة لم أقف له على ترجمة، وقد اختلف في إسناد هذا الحديث على أكثر من وجه. وانظر: العلل للدارقطني (١٥/ ٤٢١).

وحكى الزَّهراويُّ: أَنَّ سبب نزول هذه الآية غضب الحارث بن هشام، وعَتَّاب ابن أَسيد حين أَذَّن بلال يوم فتح مكة على الكعبة[١].

وحكى الثَّعلبيُّ عن ابن عبّاس: أَنَّ سببها قول ثابت بن قيس لِرَجلٍ لم يَفْسَحْ له عند النَّبيِّ ﷺ: يابْنَ فلانة! فوبَّخه النبي ﷺ، وقال له: «إِنَّك لا تَفْضُل أَحداً إِلَّا في الدِّين والتَّقوى»، فنزلت هذه الآية، ونزل الأَمر بالتَّفسُّح في ذلك أَيضاً[٢].

والشُّعوب جمع شَعْب، وهو أَعظم ما يوجد من جماعات النّاس مرتبطاً بنسب واحد، وتتلوه القبيلة، ثمَّ العِمَارة، ثمَّ البطن، ثم الفخذ، ثمَّ الأُسرة والفَصِيلة، وهما قرابة الرّجل الأَدنَوْن.

فمُضر وربيعة وحِمْير: شعوب، وقيس وتميم ومَذْحِج ومراد: قبائل، مُشَبَّهة بقبائل الرأْس لأَنَّها قطع تقابلت، وقريش وسُلَيم: عِمارات، وبنو قُصَيٍّ وبنو مخزوم: بطون، وبنو هاشم وبنو أُميَّة ونحوهما: أَفخاذٌ، وبنو عبد المطلب: أُسرة وفصيلة.

وقال ابن جبير: الشُّعوب: الأَفخاذ[٣].

وروي عن ابن عبّاس: الشُّعوب: البطون[٤]، وهذا غير ما تَمَالَأَ عليه اللُّغويون.

وقال الثَّعلبيُّ: وقيل: الشُّعوب في العجم، والقبائل في العرب، والأَسباط في بني إِسرائيل[٥]، وأَمَّا الشعب الذي في هَمْدان الذي يُنسب إِليه الشَّعبيُّ: فهو بطنٌ يقال له: الشَّعْب.

---

(١) انظر تفسير الثعلبي (٩/ ٨٦).

(٢) انظر تفسير الثعلبي (٩/ ٨٦)، وأسباب النزول للواحدي (١/ ٣٩٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٣١١).

(٤) حسن، أخرجه الطبري (٢١/ ٣٨٥/ ٣٨٦)، وابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير (٧٩/ ٢٩٤٣) من طريق أبي بكر بن أبي عياش، عن أبي حصين عثمان بن عاصم بن حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: الشعوب: البطون، والقبائل: الأفخاذ الكبار.

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ٨٧).

قال القاضي أبو محمد: وقيل للأُمم التي ليست بعرب: شعوبية؛ نسبة إِلى الشُّعوب، وذلك أَنَّ تفصيل أَنسابها خفيٌّ فلم يُعرف أَحدٌ منهم إِلَّا بأَن يقال: فارسيٌّ، تركيٌّ، روميٌّ، وزناتي[١]، فكأَنَّهم عرفوا بشعوبهم وهي أَعمُّ ما يُعبَّر به عن جماعتهم، ويقال لهم: الشَّعُوبيَّة بفتح الشين، وهذا من تغيير[٢] النَّسب، وقد قيل فيهم غير ما ذكرتُ، وهذا أَولى عندي.

وقرأَ الأَعمش: (لِتَتَعَارَفُوا).

وقرأَ عبد الله بن عبّاس: (لِتَعْرِفوا أَنَّ) على وزن «تَفْعِلُوا» بكسر العين وبفتح الأَلف من (أَنَّ) وإِعْمال (تَعْرِفُوا) فيها[٣].

ويحتمل ـ على هذه القراءة ـ أَن تكون اللَّام في قوله تعالى: (لِتَعْرِفُوا) لام «كَيْ»، ويضطرب معنى الآية مع ذلك.

ويحتمل أَن تكون لام الأَمر، وهو أَجود في المعنى، ويحتمل أَن يكون المفعول محذوفاً تقديره: الحَقَّ، وإِذا كانت لام «كي» فكأَنَّه تعالى قال: يا أَيُّها النّاس أَنتم سواءٌ من حيث أَنتم مخلوقون، وإِنَّما جُعلتم قبائل لأَنْ تتعارفوا ولأَنْ تعرفوا الحقائق، وأَمَّا الشَّرفُ والكرم فهو بتقوى الله تعالى وسلامة القلوب.

وقرأَ ابن مسعود: (لِتَعَارَفُوا بَيْنَكُمْ، وخيركم عند الله أَتقاكم)[٤].

ورُوي: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَن سرَّه أَن يكون أَكرم النّاس فَلْيَتَّق الله»[٥].

---

(١) «وزناتي» ليست في الأصل وأحمد٣.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «تعيين».

(٣) وهما شاذتان، أما الأولى فنسبها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٤٥) لابن مسعود، وقراءة الأعمش فيه: (ليتعرفوا) بالياء، وفي تفسير الثعلبي (٩/ ٨٨): (ليتعارفوا)، بالياء، وأما الثانية ففي المحتسب (٢/ ٢٧٩).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٢).

(٥) منكر، أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٥) من طريق عبد الرحيم بن زيد العَمِّي، عن أبيه، =

ثمَّ نبَّه تعالى على الحذر بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾؛ أَي: بالمُتَّقِي الَّذي يستحقُّ رتبة الكرم في الإيمان.

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّا﴾، قال مجاهد: نزلت في بني أَسد بن خزيمة، وهي قبيلة كانت تجاور المدينة، وكانوا قد أَظهروا الإِسلام، وكانت نفوسهم مع ذلك دَخِلَةً[١]، إِنَّما يُحبُّونَ المغانم وعَرَض الدُّنيا، قال ابن عبّاس: وذهبوا مرَّة إِلى أَن يتسمَّوْا بالمهاجرين، فنزلت هذه الآية مُسَمِّيةً لهم بالأَعراب[٢]، مُعَرِّفةً لهم بذلك أَقدارهم، ومُخْرِجةً ما في صدورهم من صورة معتقدهم، وهم أَعرابٌ مخصوصون كما ذكرنا.

قال أَبو حاتم عن ابن الزُّبير: سمع النَّبيُّ ﷺ رجلاً يقرأُ: (قَالتِ الاعْرابُ) بغير همز، فردَّ عليه بِهَمْز وقَطْع[٣].

وقد أَخبر الله تعالى أَن في الأَعراب على الجملة من يؤمن بالله واليوم الآخر، فأَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أَن يقول لهؤلاءِ المُدَّعين في الإيمان: ﴿لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ﴾؛ أَي: لم تصدِّقوا بقلوبكم، ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾؛ أَي: استسلمنا[٤].

والإِسلام يقال بمعنيَيْن:

= عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله عز وجل، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله عز وجل، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يدي الله أوثق منه بما في يديه». وعبد الرحيم بن زيد الحواري العَمِّي متروك، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٧/ ١٠٦) من طريق موسى بن خلف، عن أبي المقدام، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً مختصراً، وأبو المقدام هشام بن زياد ابن أبي زيد القرشي متروك، وأخرجه ابن عدي أيضاً (٧/ ١٠٦) من طريق موسى بن خلف، عمن حدثه، عن محمد بن كعب القرظي، به.

(١) في أحمد٣: «مغلة»، وفي الأصل ونور العثمانية: «دغلة».

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣١٥) من طريق عطية العوفي.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) «أي: استسلمنا» ليس في الأصل والمطبوع.

أَحدهما: الَّذي يعُمُّ الإِيمان والأَعمال، وهو الَّذي في قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، والَّذي في قوله ﷺ: «بُنِيَ الإِسلامُ عَلَى خَمْسٍ»[١]، والَّذي في تعليم النَّبيِّ ﷺ لجبريل عليه السّلام حين قال: ما الإِسلام؟ قال: «أَن تعبد الله وحده لا تُشرك به شيئاً، وتقيم الصّلاة، وتُؤتي الزّكاة، وتصوم رمضان»[٢]، والَّذي في قوله ﷺ لسعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه: «أَوْ مُسلِماً، إِنِّي لأُعطي الرَّجلَ وغيرُه أَحبُّ إِليَّ منه» الحديث[٣]، فهذا الإِسلام ليس هو في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾.

والمعنى الثّاني لِلَفظ الإِسلام: هو الاسْتِسلامُ والإِظهار الَّذي يُسْتَعصم به ويُحقَن الدَّمُ، وهذا هو الإِسلام في قوله: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾، والإِيمان الَّذي هو التَّصديق أَخصُّ من الأَوَّل وأعم بوجه.

ثمَّ صرَّح تعالى لهم بأَن الإِيمان لم يدخل قلوبهم، ثمَّ فتح تعالى لهم باب التَّوبة بقوله: ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾، الآية، وطاعةُ الله تعالى ورسوله في ضمنها الإِيمان والأَعمال.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿لَا يَلِتْكُم﴾، مِنْ: لَاتَ يَليتُ: إِذا نقص، يقال: لَاتَهُ حقَّه: إِذا نقصه منه.

وقرأَ أَبو عمرو، والأَعرج، والحسن، وعمرو: ﴿لا يَأْلِتْكُم﴾ مِنْ: أَلَتَ يَأْلِتُ[٤]،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد رواه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠) عن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً وسعد جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إلي، فقلت: يا رسول الله! ما لك عن فلان فو الله إني لأراه مؤمناً، فقال: «أو مسلماً» فسكت قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي، فقلت: ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال: «أو مسلماً» ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله ﷺ، ثم قال: «يا سعد! إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار».

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٢)، والسبعة (ص: ٦٠٦).

وهو بمعنى: لات، وكذلك يقال: أَلِتَ بكسر اللام، يَأْلَتُ، ويقال أيضاً في معنى لات: آلَتَ يُولِتُ، ولم يُقرأْ بهذه اللُّغة.

وباقي الآية بيِّنٌ في التَّرجية. / [٥/ ١٢٠]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا﴾ في هذه الآية حاصرةٌ تعطي ذلك المعنى.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾؛ أَي: لم يشكُّوا في إِيمانهم، ولم يُداخِلْهم ريب، وهم الصّادقون إِذْ جاءَ فعلهم مُصدِّقاً لقولهم.

ثمَّ أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بتوبيخهم بقوله: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾؛ أَي: بقولكم: ﴿ءَامَنَّا﴾، وهو يعلم منكم خلاف ذلك؛ لأَنَّه العليم بكلِّ شيءٍ.

وقوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ نزل في بني أَسد أَيضاً، وذلك أَنَّهم قالوا في بعض الأَوقات للنَّبيِّ ﷺ: إِنَّا آمَنَّا بك واتَّبعناك ولم نحاربك كما فعلت مُحارب وخصفة(١) وهوازن وغَطَفان وغيرهم، فنزلت هذه الآية، حكاه الطبريُّ وغيره(٢).

وقرأَ ابن مسعود: (يَمُنُّون عَلَيكَ إِسْلَامَهُمْ)(٣).

وقوله تعالى: ﴿أَنْ﴾ يحتمل أَن يكون مفعولاً صريحاً، ويحتمل أَن يكون مفعولاً من أَجله.

---

(١) في المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «حصفة».

(٢) ذكره الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٢٠) عن سعيد بن جبير.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٣)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٣٢١).

وقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾؛ أَيْ: بزعمكم إِذْ تقولون آمنَّا، فقد لزمكم أَنَّ الله تعالى مانٌّ عليكم، ويدلُّك على هذا المعنى قوله: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، فتعلَّق عليهم الحُكمان: هم ممنونٌ عليهم على الصِّدق، وأَهلٌ أَن يقولوا أَسلمنا من حيث هم كذبة. وقرأَ ابن مسعود: (إِذْ هَداكُمْ)[1].

وقوله تعالى: ﴿يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ﴾ يحتمل أَن يكون بمعنى: يُنْعم، كما تقول: مَنَّ اللهُ عليك.

ويحتمل أَن يكون بمعنى: يَذْكُرُ إِحسانه، فيجيءُ معادلاً لـ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ﴾.

وقال الناسُ قديماً: إِذا كُفرت النِّعمة حَسُنَت المِنَّةُ، وإِنَّما المنَّةُ المُبطلةُ للصَّدَقَة المكروهة ما وقع دون كُفر نعمة.

وقرأَ أَبو جعفر، ونافع، وشيبة، وقتادة، وابن وثّاب: ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ بالتّاءِ على الخطاب.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم في رواية أبان عن أَبي بكر: ﴿بما يَعْمَلُون﴾ بالياءِ من تحت على ذكر الغيب[2].

كمل تفسير (سورة الحجرات)، والحمد لله ربّ العالمين

* * *

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: تفسير الثعلبي (٩/ ٩١).

(٢) وهما سبعيتان، الثانية لابن كثير خاصة كما في التيسير (ص: ٢٠٢)، والنشر (٢/ ٣٧٦)، وهي لأبان عن عاصم في السبعة (ص: ٦٠٦). وفي المطبوع بدلاً منه: «في رواية أبي بكر»، وليست في النسخ الأخرى.



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سُورة ق

هي مكِّيَّة بإِجماع من المتأوِّلين، وروى أُبيُّ بن كعب رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ: أَنَّه قال: «من قرأَ سورة ق هوَّن الله عليه الموت وسكراته»(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ① بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ② أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًاۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ③ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ④ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ⑤ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ⑥ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ⑦ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ⑧﴾.

---

(١) ضعيف، أخرجه الواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٢) من طريق هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب، مرفوعاً بنحوه، وهارون بن كثير مجهول وانظر «الميزان» (٤/ ٢٨٦)، وأخرجه الثعلبي (٩/ ٩٢) من طريق أبي الحسين محمد بن محمد بن شادة الكرابيسي، عن أحمد بن محمد بن الحسن، عن محمد بن يحيى، عن سلم بن قتيبة، عن شعبة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب به، والكرابيسي، وشيخه لم أقف لهما على ترجمة، وانظر: تخريج الكشاف (٣/ ٣٦١).

قال ابن عبّاس: ﴿قٓ﴾ اسمٌ من أَسماءِ القرآن[١]، وقال أَيضاً: اسمٌ من أَسماءِ الله تعالى[٢].

وقال قتادة والشَّعبيُّ: هو اسم السُّورة[٣].

وقال ابن زيد، وعكرمة، ومجاهد، والضَّحّاك: هو اسم الجبل المحيط بالدُّنيا[٤]، وهو فيما يزعمون من زُمُرُّدَة خضراءَ، منها خُضرة السَّماءِ وخُضرة البحر.

و﴿ٱلْمَجِيدِ﴾: الكريم في أَوصافه الَّذي جمع كلَّ معلوة[٥].

و﴿قٓ﴾ على هذه الأَقوال مُقْسَمٌ به وبالقرآن المجيد، وجواب القَسَم مُنْتَظر، واختلف النّاسُ فيه:

فقال ابن كيسان: جوابه ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ [ق: ١٨][٦].

وقيل: الجواب ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧].

وقال الزَّهراويُّ، عن سعيد الأَخفش: الجواب ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، وضعَّفه النَّحّاس[٧].

وقال الكوفيون من النُّحاة: الجواب ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾، والمعنى: لقد عجبوا.

---

(١) لم أقف عليه من قول ابن عباس رضي الله عنهما، ولكن هو قول قتادة كما في الدر المنثور (١٣/ ٦١٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٢٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) الهداية لمكي (١١/ ٧٠٢٤)، وقول الشعبي فى تفسير الثعلبي (١/ ١٧٣)، وفيه: «فاتحة السورة» بدلاً من «اسم السورة».

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٩٢). وفي الأصل ونور العثمانية: «يزيد»، وفي الأسدية ٣ والحمزوية: «ابن يزيد»، وفي أحمد٣: «يزيد بن عكرمة».

(٥) في المطبوع: «كل عليٍّ».

(٦) هذا القول نقله في البحر المحيط (٩/ ٥٢٨) عن ابن كيسان، والأخفش.

(٧) انظر عزو القول للأخفش ورده: في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٤٦).

قال منذر بن سعيد: وقد قيل: إِنَّ جواب القَسَم في قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩].

وفي هذه الأَقوال تكلُّف وتحكُّم على اللِّسان.

وقال الزَّجّاج، والمبرِّد، والأَخفش: الجوابُ مُقَدَّر، تقديره: ق والقرآن المجيد لَتُبْعَثُنَّ[١].

وهذا قولٌ حسَنٌ، وأَحسن منه أَن يكون الجواب هو الَّذي يقع عنه الإِضراب بـ﴿بَلْ﴾، كأَنَّه تعالى قال: والقرآن المجيد ما ردُّوا أَمْرك بِحُجَّة، أَو ما كذَّبوك بِبُرْهَان، أَو نحو هذا ممَّا لا بدَّ لك من تقديره بعد الَّذي قدَّر الزَّجاج؛ لأَنك إِذا قلت: الجواب: لَتُبْعَثُنَّ، فلا بُدَّ بعد ذلك أَن تقدِّر خبراً عنه يقع الإِضرابُ، وهذا الَّذي جعلناه جواباً، وجاءَ المقدر أَخصر.

وقال جماعةٌ من المفسِّرين في قوله تعالى ﴿قٓ﴾: إِنَّه حرف دالٌّ على كلمة، نحو قول الشّاعر:

قُلْتُ لَهَا قِفِي فقالتْ قاف[٢] .... [الرجز]

واختلفوا بعد، فقال القُرَظِيُّ[٣]: هو دالٌّ على أَسماءِ الله تعالى هي: قادرٌ وقاهرٌ وقريبٌ وقاض وقابضٌ.

وقيل: المعنى: قُضي الأَمر من رسالتك ونحوه ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾، فجواب القسَم في الكلام الَّذي يدلُّ عليه ﴿قٓ﴾.

وقال قوم: المعنى: قف عند أَمرنا، وقيل: المعنى: قُهِرَ هؤلاءِ الكفرة، وهذا أَيضاً وقع عليه القَسَم.

---

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٤٦)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٤١)، مع ما سيأتي عنه.
(٢) هذا صدر بيت للوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط، كما تقدم في تفسير فاتحة (سورة البقرة).
(٣) في الأصل ونجيبويه: «القرطبي»، وانظر قوله في: تفسير الثعلبي (٩/ ٩٢).

ويحتمل أَن يكون المعنى: قيامُهم من القبور حقٌّ ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾، فيكون أَوَّل السُّورة من المعنى الَّذي اطَّرد بعْدُ، وعلى هذه الأَقوال، فثمَّ كلام مضمر وقع عنه الإِضرابُ، وهو خبرٌ عنهم، كأَنَّه تعالى قال: ما كذَّبوك ببرهان، أَو نحو هذا مما يليق مظهراً.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: (قافْ) بسكون الفاءِ، قال أَبو حاتم: ولا يجوز غيرها إِلَّا جواز سوءٍ[1].

قال القاضي أَبو محمد: وهذه القراءَة تحْسُن مع أَن تكون (ق) حرفاً دالّاً على كلمة.

وقرأَ الثَّقفيُّ وعيسى: (قافَ) بفتح الفاءِ، وهذه تحسُن مع القول بأَنَّها اسمٌ للقرآن أَو لله تعالى.

وكذلك قرأَ الحسن، وابن أَبي إِسحاق: (قافِ) بكسر الفاءِ[2]، وهي في رتبة الَّتي قبلها في أَن الحركة للالتقاءِ، وفي أَنَّها اسم للقرآن.

و﴿ٱلْمَجِيدِ﴾: الكريم الأَوصاف الكثير الخير.

[٥/ ١٢١] واختلف النَّاسُ في الضَّمير في ﴿عَجِبُوٓاْ﴾، لمن هو؟ / :

فقال جمهور المتأَوِّلين: هو لجميع النَّاس؛ مؤمنهم وكافرهم؛ لأَنَّ كلّ مفطور عَجِب من بعثة بشر رسولاً لله، لكنَّ المؤمنين نظروا واهتدوا، والكافرين بقوا على عمايتهم وصمُّوا وحاجُّوا بذلك العجب، ولذلك قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾.

وقال آخرون: بل الضَّمير في ﴿عَجِبُوٓاْ﴾ للكافرين،، كرَّر الكلام تأْكيداً ومبالغةً، والإِشارة بـ﴿هَٰذَا﴾ يحتمل أَن تكون إِلى نفس مجيءِ البشر، ويحتمل أَن تكون إِلى القول الذي يتضمَّنه الإِنذار وهو الخبر بالبعث، ويؤيِّد هذا القول ما يأْتي بعده.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) وهما شاذتان، انظر: المحتسب (٢/ ٢٨٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٤٦)، واقتصرا في الأولى على الثقفي. وسقط قوله: «عيسى» من أحمد٣.

وقرأ الجمهور: ﴿أَءِذَا﴾، وقرأ الأعرج، وشيبة، وأبو جعفر: (إِذَا) على الخبر دون استفهام[١].

والعامل في (إذا) فعل مضمر، كأَنَّه تعالى قال: أَنبعثُ إِذا؟ وإِلى هذا الفعل وقعت الإِشارة بقولهم: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٌ﴾.

قال ابن جنِّيٍّ: ويحتمل أَن يكون المعنى: إِذا مِتنا بَعُدَ رجْعُنا، فيدلُّ ﴿ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٌ﴾ على هذا الفعل الَّذي هو «بَعُدَ» ويحلُّ محلَّ الجواب لقولهم: (إذا)[٢].

والرَّجْعُ: مصدر رجعتُه.

وقولهم: ﴿بَعِيدٌ﴾ معناه: بعيد في الأَوهام[٣] والفكر كَوْنُه، فأَخبر الله تعالى ـ ردّاً على قولهم ـ بأَنَّه تعالى يعلم ما تأْكل الأَرض من ابن آدم وما تُبقي منه، وأَنَّ ذلك في كتاب، وكذلك يعود في الحشر معلوماً ذلك كلُّه.

و(الحفيظ): الجامع الَّذي لم يفته شيءٌ.

وقال الرُّمَّانيُّ: ﴿حَفِيظٌۢ﴾: منيع من أَن يذهب بِبِلًى ودُروس[٤].

وروي في الخبر الثَّابت: «أَنَّ الأَرض تأْكل ابن آدم إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ»[٥]، وهو عظم كالخردلة فمنه يُركَّبُ ابن آدم.

وحِفْظُ ما تنقص الأَرض: إِنَّما هو ليعود بعينه يوم القيامة، وهذا هو الحقُّ.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في: المحتسب (٢/ ٢٨٠).

(٢) انظر: المحتسب (٢/ ٢٨٠).

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «الأفهام».

(٤) لم أقف عليه.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قال: أربعون يوماً؟ قال: «أبيت»، قال: أربعون شهراً؟ قال: «أبيت»، قال: أربعون سنة؟ قال: «أبيت»، قال: «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة».

وذهب بعض الأُصوليّين إِلى أَن الأَجساد المبعوثة يجوز أَن تكون غير هذه. وهذا عندي خلاف لظاهر كتاب الله تعالى، ولو كانت غيرها، فكيف كانت تشهد الجلود والأَيدي والأَرجل على الكفرة إِلى غير ذلك ممّا يقتضي أَنَّ أَجساد الدُّنيا هي الَّتي تعود؟[١].

وقال ابن عبّاس[٢]، ومجاهد، والجمهور: المعنى: ما تنقص من لحومهم وأَبشارهم وعظامهم[٣].

وقال السُّدِّيُّ: معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾؛ أَي: ما يحصل في بطن الأَرض من موتاهم[٤].

وهذا قولٌ حسنٌ مُضَمَّنُهُ الوعيد.

وقال ابن عبّاس أَيضاً ـ فيما حكى الثَّعلبيُّ ـ: معناه: قد علمنا ما تنقص الأرض بالإِيمان من الكفرة الَّذين يدخلون في الإِيمان[٥]. وهذا قول أَجنبي من المعنى الذي قبلُ وبعدُ.

وقيل: قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ﴾ مُضمر عنه وقع الإِضراب، تقديره: ما أَجادوا النَّظر، أَو نحو هذا، والَّذي يقع عنه الإِضرابُ بـ«بَلْ» الأَغلب فيه أَنَّه منفيٌّ تقضي «بلْ» بفساده، وقد يكون أَمراً مُوجباً تقضي «بَلْ» بترك القول فيه لا بفساده.

وقرأَ الجمهور: ﴿لَمَّا﴾ بفتح اللَّام وشدِّ الميم.

وقرأَ الجحدريُّ: (لِمَا) بكسر اللَّام وتخفيف الميم[٦].

---

(١) تقدم هذا المبحث في تفسير الآية (٥٦) من (سورة النساء).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٢٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٢٩).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٩٤).

(٥) لم أقف عليه عند الثعلبي.

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها للجحدري في: المحتسب (٢/ ٢٨١) مع التوجيه.

قال أَبو الفتح: هي كقولهم: أَعطيته لِمَا سَأَل، وكما في التأْريخ: لِخَمْسٍ خَلَوْنَ، ونحو هذا، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ومنه قول الشاعر:

.... إِذَا هَبَّتْ لِقَارِيهَا الرِّيَاحُ[١] [الوافر]

و«الْمَرِيجُ» معناه: المختلط، قاله ابن زيد[٢]؛ أَي: بعضهم يقول: ساحر، وبعضهم يقول: كاهن، وبعضهم يقول: شاعر[٣]، إِلى غير ذلك من تخليطهم، وكذلك عادت فكرة كلِّ واحد منهم مختلطة في نفسها.

وقال ابن عبّاس: المريج: المنكر[٤].

وقال مجاهد: المُلْتبس[٥]، والمريج: المضطرب أَيضاً، وهو قريب من الأَوَّل، ومنه في الحديث: «مَرِجَتْ عهودُ الناس»[٦]، ومن الأَول: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٩]، وقال الشّاعر:

---

(١) صدره: كَرِهْتُ العَقْرَ عَقْرَ بَني شُلَيْلٍ، وهو لمالك بن الحارث الهذلي كما في: المعاني الكبير (٢/ ٨٥١)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٨٧)، وتفسير الطبري (٤/ ٥١١)، وتفسير الثعلبي (٢/ ١٧١)، والصحاح للجوهري (١/ ٦٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣١)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٩٤).

(٣) في حاشية المطبوع: في الأصول: «وبعضهم كاهن، وبعضهم شاعر»، والزِّيادة للتوْضيح.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٣٠) من طريق سلم بن قتيبة، عن وهب بن حبيب الأسدي، عن أبي جمرة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سئل عن قوله: ﴿أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ قال: المريج: الشيء المنكر. ووهب بن حبيب الأسدي يروي عن الأعمش وروى عنه سلم بن قتيبة كما في الثقات (٧/ ٥٥٨).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣١).

(٦) صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٢٢١)، وأبو داود (٤٣٤٢)، وابن ماجه (٣٩٥٧) من طريق أبي حازم سلمة بن دينار، عن عمارة بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ قال: «كيف بكم وبزمان، أو يوشك أن يأتي زمان، يغربل الناس فيه غربلة، تبقى حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا، فكانوا هكذا»، وشبك بين أصابعه، فقالوا: وكيف بنا يا رسول الله؟ قال: «تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم»، وقد روي من طرق أخرى عن عبد الله بن عمرو، وفي الباب عن أبي هريرة، رضي الله عنهم.

[الرمل] مَــرِجَ الــدِّيــنُ فَــأَعْــدَدْتُ لَهُ مُشْرِفَ الْحَارِكِ مَحْبُوكَ الْكَتَدْ[١]

ثمَّ دلَّ تعالى على العبرة بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية.

و(زيَّنَّاها): معناه: بالنُّجوم.

و«الفروج»: الفطور والشقوق خلالها وأَثناءَها، قاله مجاهد وغيره[٢].

وحكى النَّقّاش: أَن هذه الآية تعطي أَن السَّماءَ مستديرة[٣]، وليس الأَمر كما حكى إِذا تُدُبِّر اللَّفظ وما يقتضي.

و«الرَّواسي»: الجبال.

و«الزَّوْجُ»: النَّوْعُ.

و«الْبَهِيجُ» قال ابن عباس[٤]، وقتادة، وابن زيد: هو الحسن المنظر[٥].

وقوله عز وجلَّ: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ منصوب على المصدر بفعل مضمر.

و«الْمُنِيب»: الرّاجع إِلى الحقِّ عن فكرة ونظر، وقال قتادة: هو المقبل بقلبه إِلى الله[٦].

وخصَّ تعالى هذه الصَّنيفة بالذِّكر؛ تشريفاً من حيث هي المنتفعة بالتَّبصرة والذِّكرى، وإِلَّا فهذه المخلوقات هي تبصرة وذكرى لكلِّ بشر.

وقال بعض النَّحويين: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ مفعولان من أَجلهما، وهذا محتمل، والأَوَّل أَرجح.

---

(١) البيت لأبي دُؤادٍ الإياديِّ، كما في: إصلاح المنطق (ص: ٦٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٤١)، والصحاح للجوهري (٤/ ١٥٧٨)، والمخصص (٣/ ٤٧٦). والحاركُ: الكاهل، والكَتَد: مجتمع الكتفين وهو الكاهل.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣٢).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٣٢-٣٣٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣٣).

(٦) تفسير الماوردي (٤/ ٤٣٥)، والهداية لمكي (٩/ ٥٨٨٩)، بتصرف يسير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)﴾.

قوله تعالى: ﴿مَاءً مُّبَارَكًا﴾، قيل: يعني جميع المطر، كلّه يتَّصف بالبركة، وإِن ضَرَّ بعضه أَحياناً ففيه مع ذلك الضُّرِّ الخاص البركةُ العامَّة.

وقال أَبو هريرة: كان النَّبيُّ ﷺ إِذا جاءَ المطر فسالت الميازيب قال: «لا مَحْل عليكم العام»[1].

وقال بعض المفسِّرين: ﴿مَاءً مُّبَارَكًا﴾ يريد به: ماءً مخصوصاً خالصاً للبركة ينزله الله تعالى كلَّ سنة، وليس كلّ المطر يتّصف بذلك.

و(حب الحصيد): هو البُرُّ والشَّعير ونحوه مما هو نبات محبب يُحصد، و﴿الْحَصِيدِ﴾صفة لمحذوف، وقال مجاهد: (حبُّ الحصيد): الحنطة[2].

و﴿ بَاسِقَاتٍ ﴾ معناه: طويلات ذاهبات في السَّماءِ، ومنه قول ابن نوفل[3] في ابن هُبيرة[4]:

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٤٤) من طريق عتيق بن يعقوب، عن إبراهيم بن قدامة، عن أبي عبد الله الأغر، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا جاءهم المطر، فسالت الميازيب قال: «لا محل عليكم العام»، أي: الجدب. قال الطبراني: لم يرو هذه الأحاديث عن الأغر إلا إبراهيم بن قدامة، تفرد بها عتيق، وإبراهيم بن قدامة الجمحي مدني لا يعرف، وأخرج له البزار حديثاً وقال بعده: إبراهيم ليس بحجة.اهـ. انظر: الميزان (١/ ٥٣).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٦١٣)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٣٣٤).

(٣) في المطبوع: «أبي نوفل»، وأشار للنسخة الأخرى، ولعله يحيى بن نوفل اليماني، وهو من حمير، ويكنى أبا معمر. ويقال: إنّه كان أوّلاً ينتمي إلى ثقيف، فلمّا ولّى الحجّاج خالد بن عبد الله القسريّ العراق ادّعى أنّه من حمير. انظر خبره: في الشعر والشعراء (٢/ ٧٢٩).

(٤) هو عمر بن هبيرة، أبو المثنى الفزاري أمير العراقين، جمعت إمرة العراق له في أول سنة ١٠٣هـ =

[مجزوء الكامل] يَـابْـنَ الَّـذِيـنَ بِـمـجـدِهِـمْ بَـسَـقَـتْ عَـلَى قَـيْـسٍ فَـزَارَهْ[١]

وروى قُطْبة بن مالك، عن النَّبيِّ ﷺ: أَنَّه قرأَ: «بَاصِقَاتٍ» بالصَّاد[٢].

قال أَبو الفتح: الأَصل السِّين، وإِنما الصَّاد بدلٌ منها لاستعلاءِ القاف[٣].

و«الطَّلْعُ»: أَوَّل ظهور التَّمر في الكُفُرَّى[٤]، وهو أَبيض منضَّد كحبِّ الرُّمَّان، فما دام ملتصقاً بعضه ببعض فهو نضيد، وإِذا خرج من الكفرى / وتفرَّق فليس بنضيد. [٥/ ١٢٢]

و﴿رِّزْقًا﴾ نصب على المصدر، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على المطر.

ووصف البَلْدَة بـ«مَيْت» على تقدير القُطْر والبلد.

= وليهما ليزيد بن عبد الملك، فلما استخلف هشام عزله، وقد تولى العراقين أيضاً ولده يزيد، انظر: تاريخ الإسلام (٧/ ٢٠٦).

(١) انظر عزوه له في: مجاز القرآن (٢/ ٢٢٣)، وغريب الحديث لإبراهيم الحربي (٣/ ١١٢٣)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٣٣٤)، وسماه أبا نوفل، وَبَسَق على قومه: علاهم في الفضل، وفي المطبوع: «الذين لجدهم»، وفي أغلب المصادر المشار لها: «بفضلهم».

(٢) وهي شاذة، وهذا الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٨٠٠)، وفي الصغير (٦٩٠) عن عبيد بن محمد بن صبيح الزيات، عن هشام بن يونس اللؤلؤي، عن سفيان بن عيينة، عن زياد بن علاقة، عن قطبة بن مالك قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ: «والنخل باصقات». وعبيد بن محمد بن صبيح الزيات لم أقف له على ترجمة، وقد أخرجه حفص بن عمر في «جزء قراءات النبي ﷺ» (١٠٧) عن سنيد ابن داود، عن وكيع، عن مسعر، عن سفيان به، وسنيد بن داود المصيصي ضُعف مع إمامته ومعرفته، وقد أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٥٩١) عن عبد الجبار بن العلاء، ثنا سفيان، عن زياد بن علاقة، فسمع قطبة يقول: وثنا علي بن خشرم، أخبرنا ابن عيينة، عن ابن علاقة، وثنا أحمد بن عبدة، نا سفيان بن عيينة، عن زياد بن علاقة، عن عمه قطبة بن مالك: «سمع النبي ﷺ يقرأ في الصبح بسورة ق، فسمعته يقرأ: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾» وقال مرة: ﴿بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾، وقال عبد الجبار: قال: «صليت خلف النبي ﷺ فسمعته يقول: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ﴾. قال الألباني: قوله «فسمعته يقرأ ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ وقال مرة: ﴿بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ قال: كذا الأصل ﴿بَاسِقَـٰتٍ﴾ في الموضعين، ولعل الصواب في أحدها «باصقات» على لغة بني العنبر.

(٣) المحتسب (٢/ ٢٨١-٢٨٢).

(٤) وعاءُ طلع النَّخل.

وقرأَ الناس: ﴿مَّيۡتٗا﴾ مخفَّفاً، وقرأَ أَبو جعفر، وخالد: ﴿مَيِّتاً﴾ بالتَّثقيل(١).

ثمَّ بيَّن تعالى موضع الشَّبه فقال: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾، وهذه الآيات كلُّها إِنَّما هي أَمثلة وأَدلَّة على البعث، و﴿ٱلۡخُرُوجُ﴾ يريد به: الخروج من القبور.

و(أصحاب الرس): قومٌ كان لهم بئر عظيمة وهي الرَّسُّ، وكلُّ ما لم يُطْوَ من بئر أَو معدن أَو نحوه فهو رسٌّ، وأَنشد أَبو عبيدة للنابغة الجعديِّ:

سَبَقْتَ إِلى فرطٍ ناهِلٍ ... تَنَابِلَةً يَحْفِرونَ الرِّسَاسَا(٢) [المتقارب]

وجاءَهم نبيٌّ يسمَّى حنظلة بن سفيان فيما رُوي، فجعلوه في الرَّسِّ، ورَدموا عليه، وأَهلكهم الله.

وقال كعب الأَحبار ـ في كتاب الزَّهراويِّ ـ: أَصحاب الرَّسِّ: هم أَصحاب الأُخدود(٣).

وهذا ضعيف؛ لأَنَّ أَصحاب الأُخدود لم يكذِّبوا نبيّاً، إِنَّما هو ملك أَحرق قوماً.

وقال الضَّحّاك: الرَّسُّ: بئْر قتل فيها صاحب يس(٤).

قال منذر: رُوي عن ابن عبّاس: أَنَّهم قومُ عاد(٥).

و﴿ٱلۡأَيۡكَةِ﴾: شجر ملتف، وهم قوم شعيب، والأَلف واللَّام من «الأَيْكة» غير معرِّفتين لأَنَّ «أَيكة» اسم علم كطلحة، يقال: أَيْكة ولَيْكة، فهي كالأَلف واللَّام في الشَّمس والقمر وفي الصِّفات الغالبة، وفي هذا نظر.

---

(١) وهي عشرية، انظر نسبتها لأبي جعفر في: النشر (٢/ ٢٢٤)، وانظر موافقة خالد له في: البحر المحيط (٩/ ٥٣٢).

(٢) كما تقدم في تفسير الآية (٣٧) من (سورة الفرقان). في الأصل ونجيبويه: «باهل» بدل «ناهل».

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٣٤).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٣٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٣٤)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٣٠).

(٥) لم أقف عليه.

وقرأ: ﴿ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ بالهمز أَبو جعفر، ونافع، وشيبة، وطلحة[١].

و(قومُ تُبَّع): هم حِمْير، وتُبَّع اسم الملِك فيهم، يذهب تُبَّع ويجيءُ تُبَّع، مثل كسرى في الفرس وقيصر في الرُّوم، وكان أَسعد أَبو كرب أَحد التَّبابعة رجلاً صالحاً صَحِبَ حَبْرين فتعلَّم منهما دين موسى عليه السَّلام، ثمَّ إِنَّ قومه أَنكروا عليه ذلك، فندبهم إِلى محاجَّة الحَبْرين فوقعت بينهم مجادلة عظيمة، واتفقوا على أَن يدخل جميعهم النّار الَّتي في القربان فمن أَكلته النّار فهو المبطل، فدخلوا فاحترق قوم تُبَّع وخرج الحَبْران تعرَقُ جباههما، فهلك القوم المخالفون وآمن سائر قوم تُبَّع بدين الحَبْرين.

وفي الحديث اختلاف كثير أَثْبَتُّ أَصحَّ ذلك على ما في «سير ابن هشام»[٢].

وذكر الطَّبريُّ عن سهل بن سعد: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَا تلعنوا تُبَّعاً، فإِنَّه كان قد أَسلم»[٣]، وذكر الثَّعلبيُّ عن ابن عبّاس: أَنَّ تُبَّعاً كان نبيّاً[٤].

---

(١) لا مفهوم له إلا نقل ورش، فهذا الحرف متفق عليه كالذي في (الحجر)، وضبطت في المطبوع: «الأيكةَ»، بالفتح.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢٦-٢٧).

(٣) حسن لغيره، أخرجه أحمد (٣٧/ ٥١٩)، والروياني في مسنده (١١١٣)، والطبري (٢٢/ ٣٣٩)، والطبراني في الكبير (٦٠١٣)، وفي الأوسط (٣٢٩٠)، وابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (٦٥٩) من طرق عن ابن لهيعة، عن أبي زرعة عمرو بن جابر، عن سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا تبعاً، فإنه قد أسلم»، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف عبد الله بن لهيعة، وعمرو بن جابر الحضرمي، قلت: وله شاهد من حديث عبد الله بن عباس أخرجه الطبراني في الكبير (١١٧٩٠)، وفي الأوسط (١٤١٩) من طريق أحمد بن محمد بن أبي بزة المكي، عن مؤمل ابن إسماعيل، عن سفيان الثوري، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه، وهذا إسناد ضعيف، فيه أحمد بن محمد بن أبي بزة وهو لين الحديث، وقال العقيلي: منكر الحديث كما في لسان الميزان (١/ ٢٨٣-٢٨٤)، وفيه أيضاً مؤمل بن إسماعيل وهو سيئ الحفظ، ورواية سماك ابن حرب عن عكرمة، مضطربة، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٩) عن بكار بن عبد الله اليمامي، عن وهب بن منبه مرسلاً قال: نهى رسول الله ﷺ عن سب تبع.

(٤) لم أقف عليه، وقد تقدم ذكر تبع في (سورة الدخان).

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾، قال سيبويه: التَّقدير: كُلُّهم، وحذف لدلالة ﴿كُلٌّ﴾ عليه إيجازاً[١]، و«الوعيد الَّذي حقَّ»: هو ما سبق به القضاءُ من تعذيب الكفرة وإهلاك الأُمم المكذِّبة، وفي هذا تخويف من كذَّب محمداً ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا﴾ توقيف للكفَّار وتوبيخ وإقامة للحجَّة الواضحة عليهم، وذلك أَن جوابهم على هذا التَّوقيف هو: لم يقع عِيٌّ، ثمَّ همْ مع ذلك في لبْس من الإِعادة، وهذا تناقض، يقال: عَيِيَ يَعْيَا: إذا عجز عن الأَمر ويلح به[٢]، ويدغم هذا الفعل الماضي من هذا الفعل، ولا يدغم المستقبل منه، فيقال: عيَّ، ومنه قول الشاعر:

عَـيُّـوا بِـأَمْـرِهِـمُ كَـمَـا ... عَـيَّـتْ بِـبَـيْـضَـتِـهَـا الْـحَـمَـامَـهْ[٣] [الكامل]

و(الخلق الأَول): إنشاءُ الإِنسان من نطفة على التَّدريج المعلوم، وقال الحسن: الخَلْقُ الأَوَّل آدم عليه السَّلام، وحكاه الرُّمَّانيُّ[٤].

و«اللَّبْسُ»: الشَّكُّ والرّيبُ واختلاط النّظر، و«الخَلْق الجَدِيدُ»: البعث من القبور.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾.

هذه آيات فيها إقامة حُجج على الكّفار في إِنكارهم البعث والجزاءَ.

و«الْخَلْقُ»: إنشاءُ الشّيءِ على تقدير وترتيب حكميٍّ.

و﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾: اسم الجنس، وقال بعض المفسِّرين: الإِنسان هنا آدم عليه السّلام.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٤٨).

(٢) في الحمزوية: «ويلج به».

(٣) البيت لعبيد بن الأبرص الأسديّ، وقد تقدم في تفسير الآية (٣٢) من (سورة الأنفال).

(٤) انظر قول الحسن في: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١٨٩).

و﴿تُوَسْوِسُ﴾ معناه: تتحدَّث في فكرتها، وسُمِّي صوت الحُلِيِّ وسواساً لخفائه، والوسوسة إِنَّما تستعمل في غير الخير.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ عبارة عن قدرة الله تعالى على العبد، وكون العبد في قبضة القدرة والعلم، قد أُحيط به، فالقُربُ هو بالقدرة والسُّلطان؛ إِذ لا ينحجب عن علْم الله تبارك وتعالى باطن ولا ظاهر، وكلّ قريب من الأَجرام فبينه وبين قلب الإِنسان حُجُب.

و﴿ٱلْوَرِيدِ﴾: عرقٌ كبير في العُنق، يقال: إِنَّهما وريدان عن يمين وشمال.

قال الفرّاءُ: هو ما بين الحلقوم والعلباوين[1].

وقال الحسن: الوريد: الوتين[2].

قال الأَثرم: هو نهر الجسد، هو في القلب الوتين، وفي الظهر الأَبهر، وفي الذراع والفخذ: الأَكحل والنَّسَا، وفي الخِنْصر: الأُسليم[3].

و«الحبلُ»: اسم مشترك، فخصَّصه بالإِضافة إِلى الوريد، وليس هذا بإِضافة الشَّيءِ إِلى نفسه، بل هي كإِضافة الجنس إِلى نوعه، كما تقول: لا يجوز حي الطّير بلحمه.

وأَمَّا قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ فقال المفسِّرون: العامل في ﴿إِذْ﴾ هو ﴿أَقْرَبُ﴾، ويحتمل عندي أَن يكون العامل فيه فعلاً مضمراً تقديره: اذكر إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ، ويحسن هذا المعنى لأَنَّه أَخبر خبراً مجرَّداً بالخلق، والعلم بخطرات الأَنفس، والقرب بالقدرة والمِلْك، فلمَّا تمَّ الإِخبار؛ أَخبر بذكر الأَحوال الَّتي تُصَدِّق هذا الخبر وتُبَيِّن وروده عند السَّامع:

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٦).

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٣٤٦).

(٣) نقله في الدر المصون (١٠/ ٢٤)، وفيه «السلم»، وفي المطبوع ونجيبويه: «الأسيلم»، وفي نور العثمانية: «الأسلم».

فمنها: ﴿يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾، ومنها مجيءُ سكرة الموت.

ومنها النَّفخ في الصُّور، ومنها مجيءُ كلِّ نفس.

و﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾: المَلَكان المُوَكَّلان بكلِّ إنسان؛ مَلك اليمين الذي يكتب الحسنات، ومَلَك الشِّمال الَّذي يكتب السَّيِّئات، قال الحسن: الحفظة أَربعة: اثنان بالنَّهار، واثنان باللَّيل[١].

قال القاضي أَبو محمد: ويؤيِّد ذلك الحديث: «يتعاقبون فيكم ملائكة باللَّيل/ وملائكة بالنَّهار»، الحديث بكماله[٢]. [٥/ ١٢٣]

ويُروى: أَنَّ مَلك اليمين أَمير على مَلك الشِّمال، وأَنَّ العبد إِذا أَذنب يقول مَلك اليمين للآخر: تثبَّت لعلَّه يتوب، ورواه إِبراهيم التَّيميُّ وسفيان الثَّوريُّ[٣].

و﴿قَعِيدٌ﴾ معناه: قاعد، وقال قوم هو بمنزلة: أَكيل، فهو بمعنى مُقَاعد.

وقال الكوفيون: أَراد قُعوداً، فجعل الواحد موضع الجنس. والأَوَّل أَصوب؛ لأَنَّ المُقَاعد إِنَّما يكون عند قعود الإِنسان، والقاعد يكون قاعداً على كلِّ هيئات الإِنسان.

وقال مجاهد: قَعيدٌ رَصَدٌ[٤].

ومذهب سيبويه أَن التَّقدير: عن اليمين قعيد وعن الشِّمال قعيد، فاكتفى بذكر الآخر عن ذكر الأَوَّل، ومثله عنده:

.... وَعَـزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّـى غَرِيمُهَا[٥] [الطويل]

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٣٤٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ذكر ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٣٤٤) بعض الآثار التي تدل على هذا المعنى.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٢)، وفي نور العثمانية: «رصيد».

(٥) هذا عجز بيت قاله كثير وصدره: قَضَى كُلُّ ذي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ، انظر عزوه له في: الشعر والشعراء (١/ ٥٠١)، والعقد الفريد (٧/ ١٥٤)، والأغاني (٩/ ٣٣)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ١٠١)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٩٩٦).

ومثله قول الفرزدق:

[الكامل] إِنِّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أَتاني ما جَنَى وَأَبي فكانَ وكُنْتُ غَيْرَ غَدُورِ[(١)]

وهذه الأَمثلة كثيرة، ومذهب المبرِّد أَنَّ التَّقدير: عن اليمين قعيد وعن الشِّمال، فأَخَّر ﴿قَعِيدٌ﴾ عن مكانه، ومذهب الفراءِ أَن لفظ «قعيد» يدل على الاثنين والجميع، فلا يحتاج إِلى تقدير غير الظاهر[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾، قال الحسن بن أَبي الحسن، وقتادة: يكتب الملكان الكلام، فيثبت الله من ذلك الحسنات والسَّيِّئات ويمحو غير ذلك[(٣)]، وهذا هو ظاهر الآية.

وقال أَبو الجَوزاءِ، ومجاهد: يكتبان عليه كلَّ شيءٍ حتَّى أَنينَه في مرضه.

وقال عكرمة: المعنى: ما يلفظ من قولٍ خيرٍ أَو شرٍّ، وأَمَّا ما خرج عن هذا فإِنَّه لا يُكتب[(٤)]. والأَوَّل أَصوب.

ورُوي: أَنَّ رجلاً قال لجمله: حَلْ، فقال مَلك اليمين: لا أَكتبها، وقال مَلك الشِّمال: لا أَكتبها، فأَوحى الله تعالى إِلى مَلك الشِّمال أَن اكتب ما ترك ملك اليمين. ورُوي نحوه عن هشام الحمصيِّ[(٥)].

---

(١) انظر عزوه له في: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٧٧)، وتهذيب اللغة (١/ ١٣٧). وفي الأصل: «غرور».

(٢) انظر أقوال هؤلاء النحاة في: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٤٩).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٥)، بتصرف، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٣٩)، وانظر فيه قول أبي الجوزاء.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٥).

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٠١٣ ـ زوائد المروزي)، وابن أبي شيبة (٣٥٤٨٠)، وابن وهب في الجامع (٤٦٣)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٧٦) من طرق عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية المحاربي قال: بينما رجل راكباً على حمار إذ عثر به فقال: تعست، فقال صاحب اليمين: ما هي بحسنة فأكتبها، وقال صاحب الشمال: ما هي بسيئة فأكتبها، فنودي صاحب الشمال أن ما ترك صاحب اليمين فاكتبه. وانظر رواية هشام الحمصي في: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٥).

وهذه اللَّفظة إِذا اعتبرت فهي بحسب مشيه ببعيره، فإِن كان في طاعة فـ«حَلْ» حسنة، وإِن كان في معصية فهي سيِّئة، والمتوسط بين هذين عَسِرُ الوجود، ولا بد أَن يقترن بكلِّ أَحوال المرءِ قرائن تخلِّصها للخير أَو لخلافه.

وحكى الثَّعلبيُّ عن عليٍّ بن أَبي طالب رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ مقعد الملَكين على الثنِيَّـتَيْن؛ قلمهما اللِّسان، ومِدادهما الرِّيق»[١].

وقال الضَّحّاك، والحسن: مقعدهما تحت الشّعر، وكان الحسن يحبُّ أَن ينظِّف عَنْفَقته لذلك[٢].

قال الحسن: حتّى إِذا مات المرءُ طويت صحيفته، وقيل له يوم القيامة: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٤]، عَدَل والله من جعله حسيب نفسه[٣].

و«الرَّقيب»: المراقب، و«العتيد»: الحاضر.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ﴾ عطف ـ عندي ـ على قوله: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى﴾، فالتّقدير: وإِذ تجيءُ سكرة الموت، وجُعل الماضي في موضع المستقبل تحقيقاً وتثبيتاً للأَمر، وهو أَحثُّ على الاستعداد واستشعار القرب، وهذه طريقة العرب في ذلك، وتبيين هذا في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾، ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ فإِنَّها ضرورة بمعنى الاستقبال.

وقرأَ أَبو عمرو: ﴿وَجاءَت سَّكْرَةُ﴾ بإِدغام التّاءِ في السّين[٤].

و﴿سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾: ما يعتري الإِنسان عند نزعه، والنّاسُ فيها مختلفة أَحوالهم،

---

(١) ضعيف، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٩٩) من طريق أرطاة بن الأشعث العدوي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب مرفوعاً بنحوه، وأرطاة بن الأشعث العدوي قال فيه ابن حبان: شيخ يروي عن سليمان الأعمش المناكير التي لا يتابع عليها لا يجوز الاحتجاج بخبره بحال.اهـ. انظر: المجروحين (١/ ١٨٠).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ٩٩).

(٣) البحر المحيط (٩/ ٥٣٤).

(٤) وافقه حمزة والكسائي، والباقون بالإظهار، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٤٢).

لكن لكلِّ أَحد سَكْرة، وكان رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ للْموت لسكرات»[١].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ معناه: بلقاءِ الله تبارك وتعالى وفقد الحياة الدنيا.

وفي مصحف ابن مسعود: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحقِّ بِالموْت)، وقرأَها ابن جبير، وطلحة[٢].

ويروى: أَنَّ أَبا بكر الصِّدِّيق قالها كذلك لابنته عائشة رضي الله عنهما، وذلك أَنَّها قعدت عند رأْسه تبكي وهو ينازع فقالت:

[الطويل] لَعَمْـرُكَ مـا يُغْنـي الثَّـرَاءُ عـن الْفَتَـى إِذا حَشْرجَت يَوْماً وضاقَ بها الصَّدْرُ[٣]

ففتح أَبو بكر رضي الله عنه عينيه وقال: لا تقولي هكذا وقولي: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بالموْتِ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيد)[٤].

وقد روي هذا الحديث على مشهور القراءة: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾[٥].

فقال أَبو الفتح: إِن شئت علقت الباءَ بـ(جاءت) كما تقول: جئت بزيد؛ أَي: سقته، وإِن شئت كانت بتقدير: ومعها الموت[٦].

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري (٤٤٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها لابن مسعود في: معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٨)، وللباقين في المحتسب (٢/ ٢٨٢).

(٣) البيت لحاتم الطّائي، وقد تقدم في تفسير (سورة يوسف) الآية (١٢). والحشرجة: صوت النّفس، وهو الغرغرة في الصَّدر.

(٤) حسن، أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٣٦) من طريق إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي، عن عبد الله البهي، عن عائشة قال: لما احتضر أبو بكر، جاءت عائشة فتمثلت بهذا البيت: لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى... إذا حشرجت يوماً وضاق به الصدر، فكشف عن وجهه فقال: ليس كذاك، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾، انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما؛ فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٦-٣٤٧).

(٦) انظر: المحتسب (٢/ ٢٨٢).

واختلف المتأَوِّلون في معنى (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ):

فقال الطَّبريُّ ـ وحكاه الثَّعلبيُّ ـ الحَقُّ: الله تعالى[١].

وفي إِضافة السَّكرة إِلى اسم الله تعالى بُعْدٌ، وإِن كان ذلك سائغاً من حيث هي خلْق له، ولكنَّ فصاحة القرآن ورصفه لا يأْتي فيه هذا.

وقال بعض المتأَوِّلين: المعنى: وجاءَت سكرة فراق الحياة بالموت، وفراق الحياة حقٌّ يعرفه الإِنسان ويحيد منه بأَمَلِهِ، ومعنى هذا الحيد أَنَّه يقول: أَعيش كذا وكذا، فمتى فكَّر في قرب الموت حادَ بذهنه وأَمله إِلى مسافة بعيدة من الزَّمان، وأَيضاً فحذر المرءِ وتحرُّزاته ونحو هذا حَيد كلُّه.

وقد تقدَّم القول في النَّفخ في الصُّور مراراً.

و﴿يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾: هو يوم القيامة، وأَضافه إِلى الوعيد تخويفاً.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا﴾: قرأَ طلحة بن مصرف: «مَحَّها»[٢] بالحاءِ مثقلة.

و«السَّائق»: الحاثُّ على السَّير. واختلف النّاس في السائق والشّهيد:

فقال عثمان بن عفان[٣]، ومجاهد، وغيرهما: مَلَكَان مُوَكَّلان بكلِّ إِنسان، أَحدهما يسوقه، والآخر من حفظته يشهد عليه[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٠٠).

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (٩/ ٥٣٥)، وكتبت في المطبوع: «محًا»، على الإدغام.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٦٥ ـ زوائد نعيم)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٣٧)، وابن أبي شيبة (٣٥٤٢١)، وأبو داود في الزهد (١٠١)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٤٧-٣٤٨)، والدولابي في الكنى (١٤١٠) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد، عن يحيى بن رافع قال: سمعت عثمان يقول: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ قال: سائق يسوقها إلى أمر الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت. ويحيى بن رافع أبو عيسى قال فيه ابن سعد: روى عن عثمان وكان معروفاً قليل الحديث.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٨)، بتصرف، الهداية لمكي (١١/ ٧٠٤٤) بتصرف.

وقال أَبو هريرة: السَّائق مَلَك، والشَّهيد العمل[١].

وقال منذر بن سعيد: السّائق مَلك، والشّهيد النَّبيُّ ﷺ.

قال: وقيل: الشَّهيد الكتابُ الَّذي يلقاه منشوراً.

وقال بعض النُّظار: ﴿سَآئِقٌ﴾ اسم جنس، و(شَهِيد) كذلك، فالسّاقة للنّاس ملائكةٌ يوكَّلون بذلك، والشُّهداءُ الحفظةُ في الدُّنيا وكلُّ ما يشهد.

وقال ابن عبّاس، والضَّحّاك: السّائق مَلَك، والشَّهيد جوارح الإِنسان[٢].

وهذا يبعد على ابن عبّاس؛ لَأنَّ الجوارح إِنَّما تشهد بالمعاصي / . [٥/ ١٢٤]

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ يعمُّ الصّالحين، فإِنَّما معناه: شهيد بخيره وشرِّه، ويقوى في (شَهِيد) اسم الجنس، فتشهد بالخير الملائكة والبقاع، ومنه قوله ﷺ: «لا يسمع مَدَى صوت المؤذن إِنسٌ ولا جانٌّ ولا شيءٌ إِلَّا شهد له يوم القيامة»[٣].

وكذلك تشهد بالشَّرِّ الملائكة والبقاع والجوارح[٤].

وقال أَبو مسلم: السَّائق شيطان، حكاه عنه الثَّعلبيُّ، والقول في كتاب منذر بن سعيد[٥]، وهو قول ضعيف.

---

(١) أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء (٧٥٥) من طريق مطرف بن طريف، عن أبي جعفر مولى أشجع، عن أبي هريرة، فذكره، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٦٣٤) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم في الكنى، وابن مردويه، والبيهقي.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٢٩-٤٣٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قال: السائق الملائكة، والشهيد شاهد عليه من نفسه. وانظر قول الضحاك في: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٤٨)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) جاء في الأصل والمطبوع، وأحمد٣ زيادة: «وقال أَبو هريرة: السّائق مَلك، والشّهيد العمل»، وكأنه فيه مضبب، ولعله مكرر مع ما سبق بنفس اللفظ.

(٥) نقله في البحر المحيط (٩/ ٥٣٥) عن أبي مسلم، ولم أقف عليه في تفسير الثعلبي، وفي الأصل والمطبوع وأحمد٣: «ابن مسلم»، وفي نور العثمانية ونجيبويه: «ابن أسلم».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾.

قرأ الجحدريُّ: (لقد كنتِ) بكسر التّاءِ على مخاطبة النّفس، وكذلك كسر الكافات بعد[1].

وقال صالح بن كيسان، والضَّحّاك، وابن عبّاس: معنى قوله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ الآيَةَ: أَن يقال للكَافر العاقل من ذوي النفس الَّتي معها السَّائق والشَّهيد إِذا حصل بين يدي الرَّحمن، وعاين الحقائق الَّتي كان لا يُصدِّق بها في الدُّنيا ويتغافل عنها وعن النَّظر فيها: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا، فلمَّا كُشف الغطاءُ عنك الآن احتدَّ بصرك[2]؛ أَي: بصيرتك، وهذا كما تقول: فلان حديد الذهن والفؤاد، ونحوه.

وقال مجاهد: هو بصر العين؛ أَي: احتدّ التفاتُه إِلى ميزانه وغير ذلك من أَهوال القيامة[3]، وقال زيد بن أَسلم: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ الآية، مخاطبة للنَّبيِّ محمد ﷺ[4]، والمعنى: أَنَّه خوطب بها في الدُّنيا؛ أَي: لقد كنت يا محمد في غفلة عن معرفة هذا القصص والغيب حتّى أَرسلناك وأَنعمنا عليك وعلَّمناك؛ فبصرك اليوم حديد.

وهذا التَّأْويل يضعف من وجوه:

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٤٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٠١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٥١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: هو الكافر، وانظر: الهداية لمكي (١١/ ٧٠٤٥).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٠١).

(٤) الهداية لمكي (١١/ ٧٠٤٥)، بتصرف.

أَحدها: أَن الغَفْلَةَ إِنَّما تنسب أَبداً إِلى مُقَصِّر، ومحمد ﷺ لا تقصير له قبل بعثه ولا بعده.

وثانيها: أَنَّ قوله تعالى ـ بعد هذا ـ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ يقتضي أَنَّ الضَّمير إِنَّما يعود على أَقرب مذكور، وهذا الَّذي يقال له: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾، وإِن جعلناه عائداً على ذي النّفس في الآية المتقدِّمة، جاءَ هذا الاعتراضُ لمحمد ﷺ بين الكلامين غير متمكن، فتأَمله.

وثالثها: أَنَّ معنى توقيف الكافر وتوبيخه على حاله في الدُّنيا يسقط، وهو أحرى في الآية وأَولى بالوصف.

والوجه عندي: ما قاله الحسن، وسالم بن عبد الله: أَنَّها مخاطبة للإِنسان ذي النَّفس المذكورة من مؤمن وكافر[1].

و﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ قال ابن عبّاس: هي الحياة بعد الموت[2]، وينظر إلى معنى كشف الغطاء قول النبي ﷺ: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[3].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾، قال جماعة من المفسِّرين: قرينه من زبانية جهنَّم؛ أَي قال: هذا العذابُ الَّذي لهذا الإِنسان الكافر حاضرٌ عتيدٌ، ففي هذا تحريض على الكافر واستعجال به.

وقال قتادة، وابن زيد: بل قرينه المَلك المُوَكَّل بسَوْقه، فكأَنَّه قال: هذا الكافر الَّذي جُعل إِليَّ سوقُه، فهو لديَّ حاضِرٌ[4]، وقال الزَّهراويُّ: وقيل: قَرِينُهُ: شيطانه[5].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١٨٩) ولم أقف على قول سالم، لكن نسبه للحسين بن عبد الله في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٥٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٥٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٣) لا أصل له مرفوعاً، هذا الأثر من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وانظر: الأسرار المرفوعة (١/ ٣٦٨)، والفوائد المجموعة (١/ ٢٥٦).

(٤) الهداية لمكي (١١/ ٧٠٤٧).

(٥) البحر المحيط (٩/ ٥٣٦).

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، وإِنَّما أوقع فيه أَنَّ القرين في قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾: هو شيطانُه في الدُّنيا ومُغْويه بلا خلاف، ولفظة «القرين» اسم جنس، فسائقه قرين، وصاحبه من الزَّبانية قرين، وكاتب سيِّئاته في الدُّنيا قرين، وتحتمله هذه الآية؛ أَي: هذا الَّذي أَحصيتهُ عليه عتيد لديَّ، وهو موجبٌ عذابه. ومُماشي الإِنسان في طريقه قرين.

ومنه قول الشّاعر:

عن الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَن قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي[١] [الطويل]

والقرين الَّذي في هذه الآية غير القرين الَّذي في قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ إذ المقارنة تكون على أَنواع، وقال بعض العلماءِ: قرينه في هذه الآية: عَمَلُه قلباً وجوارحاً.

وقوله عز وجل: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ معناه: يقال: أَلْقيا في جهنَّم، واختلف النّاس لمن يقال ذلك؟ فقالت جماعة من المفسِّرين: هو قول المَلكين من ملائكة العذاب.

وقال عبد الرَّحمن بن زيد ـ في كتاب الزَّهراويِّ ـ: هو قول للسّائق والشّهيد[٢].

وحكى الزَّهراويُّ: أَنَّ المأمور بإِلْقاءِ الكافر في النّار اثنان[٣].

وعلى هذين القولين لا نظر في قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا﴾.

وقال مجاهد وجماعة من المتأَوِّلين: هو قول للقرين؛ إِمَّا السّائق وإِمَّا الَّذي هو من الزبانية حسب ما تقدَّم[٤].

واختلف أَهل هذه المقالة في معنى قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا﴾ وهي مخاطبة لواحد ـ فقال المبرِّد: معناه: أَلْقِ أَلْقِ، فإِنَّما أَراد تثنية الأَمر مبالغة وتأْكيداً، فردَّ التَّثنية إِلى

---

(١) تقدم في تفسير الآية (١٤٠) من (سورة النساء).

(٢) تفسير الثعالبي (٤/ ١٩٩).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) البحر المحيط (٩/ ٥٣٧).

الضَّمير اختصاراً[١]، كما قال:

[السريع] .... لَفْتَكَ لَأْمَـيْـنِ عَلَى نَـابِـلِ[٢]

وقال بعض المتأوِّلين: المراد: أَلْقِيَنْ، فعوَّض من النّون أَلِفاً كما تعوَّض من التَّنوين.

وقال جماعةٌ من أَهل العلم بكلام العرب: هذا جرى على عادة العرب، وذلك أَنَّها كان الغالب عندها أَن يترافق في الأَسفار ونحوها ثلاثة، فكلُّ واحد منهم يخاطب اثنين، فكثر ذلك في كلامها وأَشعارها حتّى صار عُرفاً في المخاطبة، فاستعمل في الواحد، ومن هذا قولهم في الأَشعار: خليليَّ، وصاحِبيَّ، وقِفَا نَبْكِ، ونحوه[٣].

وقد جرى المحدِّثون على هذا الرَّسم، فيقول الواحد: حدَّثَنا، وإِنْ كان قد سمع وحده.

ونظير هذه الآية في هذا القول قولُ الحجَّاج: يا حَرَسَيَّ اضْرِبَا عنقه[٤].

وهو دليل على عادة العرب، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] فَإِنْ تَزْجُرَانِي يابْنَ عَفَّان أَنْزَجِرْ وَإِنْ تَدَعَانِي أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعا[٥]

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (أَلقياً) بتنوين الياء[٦].

و﴿كَفَّارٍ﴾ بناءُ مبالغة، و﴿عَنِيدٍ﴾ معناه: عاند عن الحقِّ؛ أَي: مُنحرفٌ عنه.

---

(١) الهداية لمكي (١١/ ٧٠٤٩).

(٢) صدره: نَطْعَنُهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً، هو لامرئ القيس كما تقدم في تفسير الآية (١٩) من (سورة الزمر).

(٣) أمّا «خليليَّ» فمثاله قول امرئ القيس: خَلِيلَيَّ مُرَّا بي على أُمِّ جُنْدَبِ نُقَضِّ لُبانات الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ، وأمّا «صاحبيَّ» فمثاله قول أبي تمام: يا صَاحِبَيَّ تَقَصَّيَا نَظَرَيْكُمَا تَرَيَا وُجُوهَ الأَرْضِ كَيْفَ تصوَّرُ، وأَمَّا «قِفَا نبك»، فهو في مطلع معلقة امرئ القيس المشهورة.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٤٦).

(٥) البيت لسويد بن كُـرَاع العُكْلِيِّ، كمـا في طبقات فحول الشعراء (١/ ١٧٦)، وسمط اللآلي للبكري (١/ ٩٤٣).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: المحتسب (٢/ ٢٨٣)، وعنده: «أَلْقِيَـنْ في جهنم» بالنون الخفيفة، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ لفظ عامٌّ للمال والكلام الحسن والمعاون على الأَشياءِ.

وقال قتادة، ومجاهد، وعكرمة: معناه: الزَّكاة المفروضة[١]، وهذا التَّخصيص ضعيف.

و﴿مُعْتَدٍ﴾ معناه: بلسانه ويده. / [٥/ ١٢٥]

و﴿مُرِيب﴾ معناه: مُتَلَبِّس بما يُرْتاب به، أَرابَ الرَّجلُ: إِذا أَتى بريبة ودخل فيها.

قال الثَّعلبيُّ: قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة[٢].

وقال الحسن: ﴿مُّرِيبٍ﴾: شاكٌّ في الله تعالى ودينه[٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ الآية، يحتمل أَن يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ بدلاً من ﴿كَفَّارٍ﴾. ويحتمل أَن يكون صفة له من حيث تَخَصَّص ﴿كَفَّارٍ﴾ بالأَوصاف المذكورة، فجاز وصفه بهذه المعرفة. ويحتمل أَن يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ ابتداءً وخبره قوله تعالى: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾، ودخلت الفاءُ في قوله: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ للإِبهام الَّذي في ﴿ٱلَّذِى﴾، فحصل الشَّبه بالشَّرط، وفي هذا نظر.

قال القاضي أبو محمد: ويَقْوَى عندي أَن يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ ابتداءً، ويتضمَّن القول حينئذ بني آدم والشَّياطين الْمُغْوِين لهم في الدُّنيا، ولذلك تحرَّك القرين الشيطان الْمُغْوِي في الدُّنيا فرامَ أَن يُبرئ نفسه ويخلِّصها بقوله: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾.

[وقوله: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ ليست بحجَّة][٤]؛ لأَنَّه كذب في نفي الإِطغاءِ عن نفسه جملة.

والحقيقة أَنَّه أَطغاه بالوسوسة والتَّزيين، وأَطغاه الله تعالى بالخلق والاختراع حسب سابق قضائه الَّذي هو عدل منه لا ربَّ غيره.

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٣٥١).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ١٠٢).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) سقط من الأصل.

ويوصف الضَّلال بالبعيد[١] مبالغة؛ أَي: لِتَعَذُّر رجوعه إِلى الهدى.

وقوله تعالى: ﴿تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ﴾ معناه: قال الله تعالى: لا تختصموا لديَّ بهذا النوع من المقاولة الَّتي لا تفيد شيئاً، إِذْ قد استوجب جميعكم النّار.

وقد أَخبر تعالى بأَنَّه تقع الخصومات لديه في الظُّلامات ونحوها ممّا فيه اقتصاص واقتضاءٌ، فأَيَّده تعالى بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

وجمع الضَّمير في قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ﴾ يريد تعالى بذلك مخاطبة جميع القُرناءِ؛ إِذْ هو أَمرٌ شائع لا يقف على اثنين فقط، وهذا كما يقول الحاكم لِخَصمين: لا تغلطوا علي، يريد الخصمين ومن هو في حكمهما.

وتَقْدِمَتُه تعالى إِلى الناس بالوعيد: هو ما جاءَت به الرُّسل والكُتب من تعذيب الكفرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾.

المعنى: قد قدَّمتُ بالوعيد أَنِّي أُعذِّب الكفَّار في ناري فلا يُبدَّل القول لديَّ ولا يُنْقض ما أَبرمه كلامي، ثمَّ أَزال موضع الاعتراض بقوله: ﴿وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾؛ أَي: هذا عدلٌ فيهم؛ لأَنِّي أَعذرت وأَمهلت وأَنعمت بالإِدراكات وهديت السَّبيل والنَّجدين وبعثت الرُّسل.

وقال الفرّاءُ: معنى قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾؛ أَي: ما يكذَّب لديَّ لعلمي بجميع الأُمور[٢]، فتكون الإِشارة ـ على هذا ـ إِلى كذب الَّذي قال: ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾.

(١) في المطبوع: «بالضلال البعيد».

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٩).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾، يجوز أَن يعمل في الظَّرف قوله: ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾، يجوز أَن يعمل فيه فعل مضمر.

وقرأَ الجمهور من القرّاءِ وحفص عن عاصم: ﴿نَقُولُ﴾ بالنّون، وهي قراءَة الحسن، وأَبي رجاءٍ، وأَبي جعفر، والأَعمش، ورجَّحها أَبو عليٍّ بما تقدَّم من قوله: ﴿قَدَّمْتُ﴾، وقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠﴾.

وقرأَ نافع، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿يَقُولُ﴾، على معنى: يقول الله، وهي قراءَة الأَعرج، وشيبة، وأَهل المدينة[١].

وقرأَ الحسن، وابن مسعود، والأَعمش أَيضاً: (يُقَالُ) على بناءِ الفعل للمفعول[٢].

وقوله: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ تقرير وتوقيف، واختلف النّاس، هل وقع هذا التَّقرير فامتلأَت، أَو هي لم تمتلئْ؟ فقال بكلِّ وجه جماعة من المتأَوِّلين، وبحسب ذلك تأَوَّلوا قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، فمن قال إِنَّها امتلأَت جعل قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ على معنى التَّقرير ونفي المزيد؛ أَي: وهل عندي موضع يُزاد فيه شيءٌ؟ ونحو هذا التَّأْويل قول النَّبيِّ ﷺ: «وهل ترك لنا عقيل منزلاً»[٣]، وهو تأْويل الحسن، وعمرو، وواصل.

ومن قال: إِنَّها كانت غير مَلأَى جعل قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ على معنى السُّؤال والرَّغبة في الزِّيادة، قال الرُّمَّانيُّ: وقيل: المعنى: وتقول خَزَنَتُهَا. والقول إِنَّها القائلة أَظهر[٤].

واختلف النّاسُ في قول جهنَّم؛ هل هو حقيقة أَو مجاز؟ أَي: حالها حالُ من لو نطق لقال كذا وكذا، فيجري هذا مجرى:

---

(١) وهما سبيعتان، انظر: التيسير (ص: ٢٠٢)، وانظر ترجيح الفارسي في الحجة (٦/ ٢١٣).

(٢) وهي شاذة، انظر ها في المحتسب (٢/ ٢٨٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٥٨)، ومسلم (١٣٥١) عن أسامة بن زيد قال قلت: يا رسول الله! أين تنزل غداً؟ في حجته، قال: «وهل ترك لنا عقيل منزلاً»، ثم قال: «نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة المحصب حيث قاسمت قريش على الكفر وذلك أن بني كنانة حالفت قريشاً على بني هاشم أن لا يبايعوهم ولا يؤووهم».

(٤) لم أقف عليه.

[الرجز] شَكَا إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى[1] ....

ومجرى قول ذي الرُّمة:

[الطويل] .... تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهْ[2]

والَّذي يترجَّح في قول جهنَّم: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ أَنَّها حقيقة، وأَنَّها قالت ذلك وهي غير ملأَى، وهو قول أَنس بن مالك، ويبين ذلك الحديث الصَّحيح المتواتر، قول النَّبيِّ ﷺ: «يقول الله لجهنَّم: هل امتلأتِ؟ فتقول: هل من مزيد؟ حتّى يضع الجبّار فيها قدمه فتقول: قَطْ، قَطْ، وينزوي بعضها إلى بعض»[3].

وقد اضطرب النّاس في معنى هذا الحديث، وذهب جماعة من المتكلِّمين إِلى أَن «الجبَّار» اسم جنس، وأَنه يريد المتجبِّرين من بني آدم، ورووا: أَن الله تعالى يُعِدُّ من الجبابرة طائفة يَملأُ بهم جهنَّم آخراً[4].

وروي عن النبي ﷺ: أَن جلدة الكافر يصير غِلَظُهَا أَربعين ذراعاً[5]، ويَعْظُم بدنُه على هذه النسبة، وهذا كله من ملءِ جهنم.

---

(١) تقدم في تفسير الآية (١٨) من (سورة يوسف). والسُّرَى: السَّير ليلًا.

(٢) صدر البيت: وأَسْقيه حَتَّى كادَ مِمَّا أَبُثُّهُ، وقد تقدم في تفسير الآية (١٦١) من (سورة آل عمران).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس بن مالك وفيه: «حتى يضع رب العزة فيها قدمه»، وأخرجه البزار في مسنده (٧١٦٧) بنحو لفظ المؤلف.

(٤) لعله يشير إلى ما أخرجه مسلم (٢٨٤٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم؟ فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكم ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتلئ، ويزوى بعضها إلى بعض». لكن ليس في هذا الحديث أن يكون آخراً كما ذكر المصنف.

(٥) حسن لغيره، أخرجه أحمد (١٧/ ٣٣٣)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٢٢)، وأبو يعلى في مسنده (١٣٨٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٤٠) من طرق عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد =

وذهب الجمهور إِلى أَن الجبَّار اسم الله تعالى، وهذا هو الصحيح، فإِن في الحديث الصحيح: «فيضع ربُّ العالمين فيها قَدَمَهُ»[١].

وتأْويل هذا أَن «القَدَم» ما قدَّم لها من خَلْقه وجعلهم في علمه من ساكنيها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: ٢]، فالقَدَم: ما قُدِّم من شيءٍ، ومنه قول الشاعر:

صَـلِّ لِـرَبِّـكَ وَاتَّـخِـذْ قَدَماً يُنْجِيكَ يَوْمَ الْعِثارِ والزَّلَلِ[٢] [أحذ الكامل]

ومنه قول العجَّاج:

وَيُنْشئ الْـمُلْكَ لِـمَلْكٍ ذي قَدَمْ[٣] [الرجز]

أَي: ذي شرف متقدِّم، وهذا التأْويل مروي عن ابن المبارك، وعن النَّضْر بن شُمَيْل، وهو قول الأُصوليين[٤].

= الخدري، عن رسول الله ﷺ قال: «مقعد الكافر من النار ثلاثة أيام، وكل ضرس له مثل أحد، وفخذه مثل ورقان، وجلده ـ سوى لحمه وعظامه ـ أربعون ذراعاً». ورواية دراج، عن أبي الهيثم مضطربة، وأخرجه أحمد (١٤/ ١٣٤) عن عبدالرحمن بن عبد الله بن دينار، وابن أبي عاصم في السنة (٦١١) من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة به بنحوه، ولفظ أحمد: «وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار». وعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار القرشي العدوي قال فيه الحافظ: صدوق يخطئ، وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١١٩٢)، والبزار في مسنده (٩٢٣٣) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، به بنحوه ولا يسلم من ضعف. وفي الباب عن ثوبان وعبد الله بن عمرو وابن عمر، ولا تسلم أسانيدها من مقال، ولكن يشد بعضها بعضاً.

(١) تقدم تخريجه في (سورة يونس) آية (٣).

(٢) البيت لوَضَّاح اليمن جَذيمة بن مالك بن فهم التَّنوخي، كما في الأغاني (٦/ ٢٤٣)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧/ ٩٢).

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٤٨)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١١٨)، وتهذيب اللغة (١١/ ٢٨٩)، وفي الأصل: «ينسئ».

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٠٤)، وقد بسط هذا التأويل ابن فورك في مشكل الحديث (ص: ٣٨٦). =

[٥/ ١٢٦] وفي «كتاب مسلم بن الحجَّاج»: «فيضع / الجبَّارُ فيها رجْله»[١]، ومعناه: الجمع الَّذي أُعِدَّ لها، يقال للجمع الكثير من النّاس: رِجْلٌ؛ تشبيهاً برِجْل الجَرَاد، قال الشّاعر:

[الطويل] فَمرَّ بِهَا رِجْلٌ مِنَ النَّاسِ وَانْزَوَى إِلَيْها منَ الْحَيِّ الْيَمَانِين أَرْجُلُ[٢]

وملاك النَّظر في هذا الحديث: أَنَّ الجارحة والتَّشبيه وما جرى مجراه منتف كلّ ذلك، فلم يبق إِلَّا إِخراج الأَلفاظ على هذه الوجوه السّائغة[٣] في كلام العرب.

﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ معناه: قُرِّبتْ.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ تأْكيد وبيان أَنَّ هذا التَّقريب هو في المسافة، لأَنَّ «قُرِّبت» كان يحتمل أَن يكون المعنى: بالوعد والإِخبار، فَرُفع الاحتمالُ بقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ الآيةَ، يحتمل أَن يكون معناه: يقال لهم في الآخرة عند إِزْلاف الجنَّة: هذا هو الَّذي كنتم توعدون به في الدُّنيا، ويحتمل أَن يكون المعنى: أَنَّه خطاب لأُمَّة محمد ﷺ؛ أَي: هذا هو الَّذي توعدون به أَيُّها النّاس لكلِّ أَوَّاب حفيظ.

و«الأَوَّابُ»: الرَّجَّاع إِلى الطَّاعة وإِلى مراشد نفسه.

وقال ابن عباس، وعطاءٌ: «الأَوَّابُ»: المُسَبِّح، من قوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠][٤].

= قال الترمذي رحمه الله في السنن (٤/ ٦٩٢): والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم: أنهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن يرووا هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال: كيف، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٦) بلفظ: «حتى يضع الله ـ تبارك وتعالى ـ رجله، تقول: قط قط قط».

(٢) بلا نسبة في تفسير الثعلبي (٩/ ١٠٤).

(٣) في الأصل: «السابقة».

(٤) أخرجه الطبري (٢٠/ ٣٥٧) عن سليمان بن عبد الجبار، عن محمد بن الصلت، عن أبي كدينة يحيى بن المهلب، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه بنحوه.

وقال الشَّعبيُّ، ومجاهد: هو الَّذي يذكر ذنوبه فيستغفر[١].

وقال المحاسبيُّ: هو الرَّاجع بقلبه إِلى ربه[٢].

وقال عُبَيْد بن عمير: كنَّا نحدث أَنَّ الَّذي إِذا قام من مجلسه استغفر الله تعالى ممَّا جرى في ذلك المجلس[٣]، وكذلك كان النَّبيُّ ﷺ يفعل[٤].

والحفيظ معناه: لأَوامر الله تعالى فيمتثلها، ولنواهيه فيتركها.

وقال ابن عبّاس: حفيظ لذنوبه حتّى يرجع عنها[٥].

وقوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ﴾ يحتمل أَن يكون من نَعْتِ «الأَوَّاب»، أَو بدلاً من ﴿كُلِّ﴾.

ويحتمل أَن يكون رفعاً بالابتداءِ، والخبر: يقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟﴾.

ويحتمل أَن تكون شرطية، فيكون الجواب: يقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ معناه: غير مشاهد له، إِنما يصدِّق رسوله ويسمع كلامه، وجاءَ معناه: يوم القيامة.

---

(١) الطبري (٢٠/ ٣٦٤)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٥٦).

(٢) تفسير الثعالبي (٤/ ٢٠١).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٥٦٠-٥٦١) وغيره.

(٤) يشير إلى ما أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٥)، والدارمي (٢٦٥٨)، وأبو داود (٤٨٥٩)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٢٦) من طرق عن الحجاج بن دينار، عن أبي هاشم، عن رفيع أبي العالية، عن أبي برزة الأسلمي قال: لما كان بآخرة، كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس، فأراد أن يقوم، قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»، فقالوا: يا رسول الله، إنك تقول الآن كلاماً ما كنت تقوله فيما خلا، قال: «هذا كفارة ما يكون في المجالس».

(٥) حسن، أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٦٥) من طريق مهران الرازي، عن أبي إسحاق السبيعي، عن التيمي قال: سألت ابن عباس فذكره بنحوه، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦٧٩٥) من طريق مهران الرازي، عن أبي سنان، عن أبي إسحاق، عن يحيى بن وثاب، عن ابن عباس رضي الله عنه، وهذا إسناد حسن.

و«المُنِيبُ»: الرَّاجع إِلى الخير والمائل إِليه، وقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا﴾ تقديره: يقال لهم، [أو: فيقال لهم](١)، على ما تقدَّم.

و(سلام) معناه: بأَمْن وسلامة من جميع الآفات.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾ معادل لقوله تعالى قبْلُ في الكفار: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٌ﴾ خبرٌ بأَنَّهم يُعطون آمالهم أَجمع، ثمَّ أَبهم تعالى الزِّيادة الَّتي عنده للمؤمنين المنعَّمين، وكذلك هي مُبْهمة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

وقد فسّر ذلك الحديثُ الصّحيح في قوله ﷺ: «يقول الله تعالى: أَعددت لعبادي الصَّالحين ما لا عيْنٌ رأَت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خَطر على قلب بشر، بَلْهَ ما اطّلعتم عليه»(٢).

وقد ذكر الطبريُّ وغيره في تعيين هذا المزيد أَحاديث مطوَّلة وأَشياءَ ضعيفة(٣)؛ لَأنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم﴾ وهم يُعَيِّنُونها تكلُّفاً وتعسفاً.

ورُوي عن جابر بن عبد الله وأنس بن مالك: أَنَّ المزيد: النَّظرُ إِلى وجه الله تعالى بلا كيف(٤).

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) راجع تفسير الطبري (٢٢/ ٣٦٧-٣٦٨).

(٤) أثر جابر بن عبد الله رضي الله عنه لم أقف عليه، وأما أثر أنس بن مالك رضي الله عنه: فقد أخرج الدارقطني في «رؤية الله» (٥٧) من طريق نوح بن أبي مريم، عن ثابت البناني، عن أنس، قال: سئل رسول الله ﷺ، عن هذه الأية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «الذين أحسنوا العمل في الدنيا، والحسنى: هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم»، ونوح بن أبي مريم الملقب بنوح الجامع كذبوه في الحديث. وأخرجه الدارقطني أيضاً (٥٨) من طريق الخليل بن عمر، عن عمر الأبح، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه به، وعمر بْن سعيد الْأَبَح، منكر الحديث، وقدحدث عَن ابْن أبي عرُوبَة بمناكير.اهـ. انظر: الميزان (٣/ ١٩١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿كَمْ﴾ للتّكثير، وهي خبرية، والمعنى: كثيراً أهلكنا قبلهم.

و«القَرْن»: الأُمَّة من النّاس الَّذين يمرُّ عليهم قدرٌ من الزَّمان، واختلف النّاس في ذلك القدر:

فقال الجمهور: مئة سنة، وقيل غير هذا، وقد تقدَّم القول فيه غير مرَّة.

«شِدَّةُ الْبَطْشِ»: هي بكثرة القوَّة والأَموال والمُلك والصِّحةِ والأَذهان إِلى غير ذلك.

وقرأ الجمهور من النّاس: ﴿فَنَقَّبُوا۟﴾ بشدِّ القاف المفتوحة على إِسناد الفعل إِلى القرون الماضية، والمعنى: وَلَجُوا البلاد من أَنْقابها.

وفي الحديث: «إِنَّ على أَنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطَّاعون ولا الدَّجَّال»[1].

والمراد: تَطوَّفوا ومَشَوْا طماعية في النَّجاة من الهلكة، ومنه قول الشّاعر:

وقـدْ نَـقَّـبْـتُ فـي الآفَـاقِ حَـتَّـى ... رَضِيتُ مـنَ الْغَنِيمَـةِ بالإِيـابِ[2] [الوافر]

وقول الحارث بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيِّ:

نَقَّبُـوا فـي الْبـلادِ مِـنْ حَـذَرِ الْمَـوْ ... تِ وجَالُوا في الأَرْضِ كُلَّ مَجَالِ[3] [الخفيف]

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٨٨٠)، ومسلم (١٣٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) البيت لامرئ القيس، كما تقدم في تفسير الآية (١٤) من (سورة آل عمران).

(٣) البيت للحارث بن حلزة كما في تفسير الزمخشري (٤/ ٣٩٠)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٢)، وجاء في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ١٨٣) منسوباً لعدي بن زيد. والمجال: موضع الجولان.

وقرأَ ابن عبّاس، وابن يَعْمَر، ونصر بن يسار، وأَبو العالية: (فَنَقِّبُوا) بشدِّ القاف المكسورة[١]، على الأَمر لهؤلاءِ الحاضرين.

و﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ توقيف وتقرير؛ أَي: لا محيص، و«المحيص»: موضع الحيص وهو الرّوغان والحياد، قال قتادة: حاصَ الكفرة فوجدوا أَمر الله منيعاً مُدْرِكاً[٢].

وفي صدر البخاريِّ: «فحاصوا حَيْصَة حُمُر الوحش إِلى الأَبواب»[٣].

وقال ابن عبد شمس في وصف ناقته:

[الوافر] إِذَا حَاصَ الدَّلِيلُ رأَيْتَ مِنْهَا جُنُوحاً لِلطَّرِيق عَلَى اتِّسَاقِ[٤]

وقرأَ أَبو عمرو ـ في رواية عُبَيْد عنه ـ: ﴿فَنَقَبُوا﴾ بفتح القاف وتخفيفها، وهي بمعنى التَّشديد[٥]، واللَّفظة أَيضاً قد تقال بمعنى البحث والطَّلب، تقول: نقَّب عن كذا: إِذا استقصى عنه، ومنه: «نقيب القوم»؛ لأَنَّه الَّذي يبحث عن أُمورهم ويباحث عنها، وهذا عندي تشبيه بالدُّخول من الأَنقاب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ يعني: إِهلاك من مضى، و«الذِّكْرَى»: التَّذكرة، و«القَلْبُ» عبارة عن العقل إِذْ هو محلّه، والمعنى: لمن كان له قلبٌ واعٍ ينتفع به، وقال الشِّبليُّ: معناه: قلب حاضر مع الله تعالى لا يغفل عنه طرفة عين[٦].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ معناه: صرف سمعه إِلى هذه الأَنباءِ الواعظة، وأثبته في سماعها، فذلك إِلقاءٌ له عليها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]؛ أَي: أَثبتُّها عليك.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في المحتسب (٢/ ٢٨٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٧٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٥٥). وفي المطبوع: «متبعاً» بدل «منيعاً».

(٣) هذا جزء من حديث هرقل الذي أخرجه البخاري (٧) من حديث أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه.

(٤) لم أقف عليه لغير المؤلف.

(٥) انظر نسبتها له في السبعة (ص: ٦٠٧)، وهي ليست من طريق التيسير عنه.

(٦) تفسير الثعلبي (٩/ ١٠٦).

وقال بعض النّاس: قوله تعالى: ﴿أَلْقَى / ٱلسَّمْعَ﴾، وقوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١]، وقوله: ﴿سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩][1]، هي كلها ممّا قلَّ استعماله الآن وبعدت معانيه. [٥/ ١٢٧]

وقول هذا القائل ضعيف، بل هي بَيِّنَة المعاني، وقد تقدمت في مواضعها.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ قال بعض المتأوِّلين: معناه: وهو مُشاهد مُقبل على الأَمر غير مُعرض ولا متفكر في غير ما يسمع.

وقال قتادة: هي إِشارة إِلى أَهل الكتاب[2]، فكأَنَّه تعالى قال: إِنَّ هذه العبر لَتَذْكِرَة لِمَن له فهم فيتدبَّر الأَمر، أَو لمن سمعها من أَهل الكتاب فشهد بصحَّتها لعلمه بها من كتاب التَّوراة وسائر كتب بني إِسرائيل.

فَـ﴿شَهِيدٌ﴾ على التَّأْويل الأَوَّل: من المشاهدة، وعلى التَّأْويل الثّاني: من الشَّهادة.

وقرأَ السُّدِّيُّ: (أُلِقيَ السَّمعُ)[3]، قال ابن جني: أَيْ أُلْقِيَ السَّمْعُ منه.

حكى أَبو عمرو الدّاني: أَنَّ قراءَة السُّدِّيِّ ذُكرت لعاصم فمَقَت السُّدِّيَّ وقال: أَليس الله يقول: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣][4].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآيةَ: خبرٌ مُضَمَّنُهُ الرَّدُّ على اليهود الَّذين قالوا: إِنَّ الله خلق الأَشياءَ كلَّها في ستَّة أَيَّام ثمَّ استراح يوم السَّبت، فنزلت: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾، واللُّغوبُ: الإِعياءُ والنَّصب والسَّأَم، يقال: لَغَبَ الرَّجل يَلْغُبُ: إِذا أَعيا.

---

(١) سقط ذكر هذه الآية من المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٧٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٥٦).

(٣) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٨٤).

(٤) انظر قول عاصم في السدي في البحر المحيط (٩/ ٥٤١).

وقرأَ السُّلَميُّ، وطلحة: (لَغُوبٍ) بفتح اللام[1].

وتظاهرت الأَحاديث: بأَن بدءَ خلق الأَشياءِ كان يوم الأَحد، وفي «كتاب مسلم»، وفي «الدَّلائل» لثابتٍ: حديثٌ مُضمَّنه: أَنَّ ذلك كان يوم السَّبت. وعلى كلِّ قول: فأَجمعوا على أَنَّ آدم خُلق يوم الجمعة[2]، فمن قال: إِنَّ البدأَة يوم السَّبت؛ جَعَلَ خلق آدم عليه السَّلام كخلق بنيه لا يُعدُّ من الجملة الأُولى، وجَعَلَ اليوم الَّذي كملت المخلوقات عنده يوم الجمعة.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، قال بعض المفسِّرين: المراد أَهل الكتاب لقولهم: ثمّ استراح يوم السَّبت.

قال القاضي أبو محمد: وهذه المقالة من أَهل الكتاب كانت بمكَّة قبل الهجرة، وقال النُّظَّار من المفسِّرين: قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يراد به أَهل الكتاب وغيرهم من الكفرة، وعمَّ بذلك جميع الأَقوال الزّائغة من قريش وغيرهم، وعلى هذا التَّأْويل يجيءُ قول من قال: إِنَّ الآية منسوخة بآية السَّيف.

و(سبِّح) معناه: صَلِّ، بإِجماع من المتأَوِّلين.

وقوله تعالى: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ الباءُ للاقتران؛ أَي: سَبِّح سُبْحَةً يكون معها حَمْدٌ، ومثله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] على بعض الأَقوال فيها.

و﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: هي الصُّبح، و(قَبْلَ الغُرُوبِ): هي العصر، قاله قتادة، وابن زيد، والنّاس.

وقال ابن عبّاس: (قبل الغروب): الظهر والعصر، و(من الليل): هي صلاة العشاءَيْن[3].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في المحتسب (٢/ ٢٨٤).

(٢) تقدم الكلام على هذه المسألة في (سورة الأعراف) آية (٥٤).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٧/ ٣٦٤).

وقال ابن زيد: هي العشاءُ فقط، وقال مجاهد: هي صلاة اللَّيل[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾، قال عمر بن الخطاب، وعلي بن أَبي طالب، وأَبو هريرة، والحسن، والشَّعبيُّ، وإِبراهيم، ومجاهد، والأَوزاعيُّ: هي الرَّكعتان بعد المغرب[٢]، وأَسنده الطَّبريُّ، عن ابن عبّاس، عن النَّبيِّ ﷺ[٣]، كأَنَّه رُوعي أَدبار صلاة النَّهار كما رُوعي أَدبار النُّجوم في صلاة اللَّيل فقيل: هي الرَّكعتان مع الفجر.

وروي عن ابن عبّاس: أَن ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾: الوتر، حكاه الثَّعلبيُّ[٤].

وقال ابن زيد، وابن عبّاس أَيضاً، ومجاهد: هي النَّوافل إِثر الصَّلوات، وهذا جارٍ مع لفظ الآية[٥].

وقال بعض العارفين: هي صلاة اللَّيل.

---

(١) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٧٦)، وانظر: الماوردي (٥/ ٣٥٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٠٦)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٦٣).

(٢) أثر عمر رضي الله عنه أخرجه محمد بن نصر المروزي في مختصر قيام الليل (ص: ٧٨)، وابن المنذر كما في فتح الباري (٨/ ٥٩٨)، وأثر علي رضي الله عنه أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٧٨) من طرق عنه، وهو صحيح، وأثر أبي هريرة رضي الله عنه فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨٧٥٥)، والطبري (٢١/ ٤٧٠) من طريق حماد بن أبي سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أوس بن خالد، عن أبي هريرة قال: (إدبار النجوم) ركعتان قبل الفجر، و(أدبار السجود): ركعتان بعد المغرب. وعلي ابن زيد بن جدعان ضعيف، وأوس بن أبي أوس خالد أبو خالد الحجازي مجهول، وأقوال الباقين في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٧٧-٣٨٠).

(٣) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣٢٧٥)، والطبري (٢٢/ ٣٧٩)، والطبراني في الأوسط (٧٤٥٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٢٠) من طريق محمد بن فضيل، عن رشدين بن كريب، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إدبار النجوم) الركعتان قبل الفجر، و(أدبار السجود): الركعتان بعد المغرب، وفي بعض الرويات مختصراً، ورشدين بن كريب بن أبي مسلم القرشي ضعيف.

(٤) لم أجده في تفسير الثعلبي، ولا في غيره.

(٥) صحيح، أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٨٠) من طريق ابن علية، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه، وانظر: الماوردي (٥/ ٣٥٧).

وقال الثَّعلبيُّ: وقال بعض العلماءِ في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: ركعتا الفجر، ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾: الرَّكعتان قبل المغرب، وقال بعض التّابعين: رأَيت أَصحاب محمد ﷺ يَهُبُّون إِليها كما يَهُبُّون إِلى المكتوبة، وقال قتادة: ما أدركت أَحداً يصلي الرَّكعتين قبل المغرب إِلَّا أَنساً وأَبا برزة(١).

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وحمزة، وابن عبّاس، وأَبو جعفر، وشيبة، وعيسى، وشبل، وطلحة، والأَعمش: ﴿وَإِدْبَارَ﴾ بكسر الأَلف، وهو مصدر أُضيف إِليه وقت ثمَّ حذف الوقت، كما قالوا: جئتك مَقْدِمَ الحجِّ وخُفوقَ النَّجم، ونحوه.

وقرأَ الباقون، والحسن، والأَعرج: ﴿وَأَدْبَارَ﴾ بفتح الهمزة، وهو جمع دُبُر؛ كطُنُبٍ وأَطناب(٢)، أَي: وفي أَدبار السُّجود، أَي في أَعقابه، قال أَوس بن حجر:

[الطويل] عَلَى دُبُر الشَّهْر الْحَرَامِ فَأَرْضُنَا ... وَمَا حَولَهَا جَدْبٌ سنون تَلمّعُ(٣)

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ هو بمنزلة: وانْتظِر، وذلك أَنَّ محمداً ﷺ لم يؤمر بأَن يستمع في يوم النّداءِ؛ لأَنَّ كلَّ من فيه يستمع، وإِنَّما الآية في معنى الوعيد للكفّار، وقيل لمحمد ﷺ: تحسَّس وتسَمَّع هذا اليوم وارتقبه فإِنَّ فيه صحَّة ما قلته، وهذا كما تقول لمن تَعِدُهُ بورود فَتْحٍ: استمع كذا وكذا؛ أَي: كُنْ منتظراً له مستمعاً، فعلى هذا فنصبُ ﴿يَوْمَ﴾ إِنَّما هو على المفعول الصَّريح.

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٠٦) بتصرف يسير.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٠٢)، والنشر (٢/ ٣٧٦).

(٣) بلا نسبة في: الأزمنة والأمكنة (ص: ١٩٧)، وأساس البلاغة (٢/ ١٨١)، وفي المطبوع: «سنينٌ تلْمَع».

وقرأ ابن كثير ﴿الْمُنَادِي﴾ بالياءِ وصلاً ووقفاً على الأَصل الَّذي هو ثبوتها؛ إِذ الكلام غير تامٍّ، وإِنَّما الحذف أَبداً في الفواصل وفي الكلام التَّام تشبيهاً بالفواصل.

وقرأ أَبو عمرو، ونافعٌ في الوقف بغير ياءٍ؛ لأَنَّ الوقف موضع تغيير، أَلا ترى أَنَّها تُبدل من التَّاءِ فيه الهاءُ في نحو: طلحة، وحمزة، وتبدل من التَّنوين الأَلف، ويضعف فيه الحرف كقولك: هذا فوجٌّ، ويحذف فيه الحرف في القوافي.

وقرأ الباقون وطلحة والأَعمش وعيسى بحذف الياءِ وصلاً ووقفاً، اتباعاً لخط المصحف[١].

وأَيضاً: فإِنَّ الياءَ تحذف مع التَّنوين، فوجب أَن تحذف مع معاقب التَّنوين وهما الأَلف واللَّام.

وقوله تعالى: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾، قيل: وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق، / وروي عن النَّبيِّ ﷺ: أَن مَلكاً ينادي من السَّماءِ: «أَيَّتها الأَجسام الهامدة، [٥/ ١٢٨] والعظام البالية، والرّمم الذاهبة، هلُمَّ إِلى الحشر والوقوف بين يدي الله»[٢].

وقال كعب الأَحبار، وقتادة، وغيرهما: المكان: صخرة بيت المقدس[٣].

واختلفوا في معنى صفتها بالقرب:

فقال قوم: وصفها بذلك لقربها من النَّبيِّ ﷺ؛ أَي: من مكَّة.

وقال كعب الأَحبار: وصفها بالقرب من السَّماءِ، وروي: أَنَّها أَقرب الأَرض إِلى السَّماءِ بثمانية عشر ميلاً[٤]، وهذا الخبر إِن كان بوحي، وإِلَّا فلا سبيل إِلى الوقوف على صحَّته.

---

(١) وكلها سبعية، انظر: التيسير (ص: ٢٠٢).

(٢) لم نقف عليه، وأورده أبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٥٤٣)، والثعالبي في تفسيره (٥/ ٢٩٥)، ووقع عند الأول: «هلمي»، وعند الثاني: «هلموا».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٨٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٥٨)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١٩٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٨٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٥٨).

و﴿ٱلصَّيۡحَةَ﴾: هي صيحةُ المنادي، و﴿ٱلۡخُرُوجِ﴾: هو من القبور، و«يوْمُهُ»: هو يوم القيامة، و﴿يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ في الدُّنيا: هو يوم العيد، وقال حسَّان بن ثابت:

[أحذ الكامل]

وَلأَنْتِ أَحْسَنُ إِذْ بَرَزْتِ لَنَا ... يَوْمَ الْخُرُوجِ بِسَاحَةِ الْقَصْرِ

مِنْ دُرَّةٍ أَغْلَى بِهَا مَلِكٌ ... مِمَّا تَرَبَّبَ حَائِرُ الْبَحْرِ[1]

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ﴾، العامل في ﴿يَوۡمُ﴾: ﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿تشَّقق﴾ بتشديد الشِّين.

وقرأ الباقون: ﴿تشقق﴾ بتخفيف الشين[2].

و﴿سِرَاعًا﴾ حال[3]، قال بعض النَّحويِّين: هي من الضَّمير في قوله تعالى: ﴿عَنۡهُمۡ﴾، والعامل في الحال ﴿تَشَقَّقُ﴾، وقال بعضهم: التَّقدير: يوم تشقَّق الأَرض عنهم يخرجون سراعاً، فالحال من الضَّمير في «يخرجون»، والعامل «يخرجون».

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾ كلام معادلٌ لقول الكفرة: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ [ق: ٣].

وقوله تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ وعيدٌ محض للكفرة.

واختلف النّاس في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾:

فقال قتادة: نهى الله تعالى عن التَّجبُّر، وتقدَّم فيه، فمعناه: وما أَنت عليهم بمُتَعَظِّم؛ من الجبروت.

وقال الطَّبريُّ وغيره: معناه: وما أَنت عليهم بِمُسَلَّط تَجْبُرهم على الإِيمان[4]،

---

(١) انظر عزوه له في: لسان العرب (١/ ٤٠٢)، وتاج العروس (٢/ ٤٦٤). وفي الأصل ونجيبويه: «أعلى الملوك بها»، وفي الأصل: «يربب جابر»، وفي نجيبويه: «يرتاب جائز»، وفي أحمد٣: «مما تربت».

(٢) وهي سبعية، انظر: السبعة (ص: ٦٠٧).

(٣) «حال» ليست في الأصل.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٨٤) بتصرف.

ويقال: جَبَرْتُه على كذا؛ أَي: قَسرْتُه، فـ«جَبَّارٌ» بناء مبالغة من جَبَرَ، وأَنشد المُفَضَّل:

عَصَيْنَـا عَـزْمَةَ الجَـبَّـارِ حَـتَّى صَبَحْنَـا الجَوْفَ إِلْفـاً مُعْلمينا[1] [الوافر]

قال: أَراد بالجبَّار: النُّعمان بن المنذر لولايته.

ويحتمل أَن نصب «عَزْمَةَ» على المصدر وأَراد: عصينا مقدّمين عزمة جبار، فمدح نفسه وقومه بالعتو والاستعلاءِ، أَخلاقِ الجاهلية والحياة الدُّنيا.

ورُوي عن ابن عبّاس: أَنَّ المؤمنين قالوا: يا رسول الله! لو خوَّفْتَنَا، فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[2].

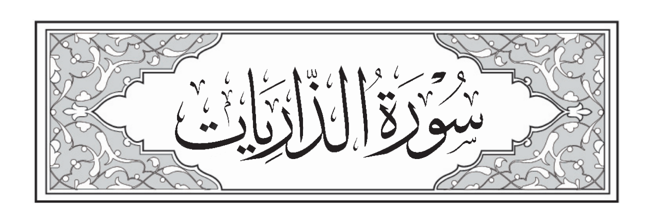
قال القاضي أَبو محمد: ولو لم يكن هذا سبباً، فإِنَّه لَمَّا أَعْلَمَهُ أَنَّه ليس بمُسَلَّط على جبرهم، أَمره بالاقتصار على تذكير الخائفين من الناس[3].

* * *

(١) نقله عنه الفراء في: معاني القرآن (٣/ ٨١)، وعنه الطبري (٢٢/ ٣٨٤)، والثعلبي (٩/ ١٠٨). وفي المطبوع: «صحبنا الخوف».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٨٥) من طريق عمرو بن قيس الملائي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره. وعمرو بن قيس الملائي ثقة متقن ولكنه لم يدرك ابن عباس.

(٣) في المطبوع: «أمرهم»، بالجمع، وفيه: «المؤمنين»، قال في الحاشية بعد ذكر النسخة الأخرى: «والأولى ما أثبتناه لأنَّ الذكرى تنفع المؤمنين، ومن لا يخاف الوعيد من النّاس لا يتذكر، فلا تنفع فيه الذِّكرى».



تفسير سورة الذاريات

هذه السُّورة مكِّيَّة بإِجماع من المفسرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ٩ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ١٤ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦﴾.

أَقسم الله تعالى بهذه المخلوقات تنبيهاً عليها، وتشريفاً لها، ودلالة على الاعتبار فيها، حتى يصير الناظر فيها إِلى توحيد الله تعالى.

و(الذاريات): الرِّياح، بإِجماع من المتأَولين، يقال: ذرت الرِّيح وأَذرت بمعنى، وفي الرِّياح مُعتبَرٌ من شدَّتها حيناً ولينها حيناً، وكونها مرَّة رحمة ومرَّة عذاباً، إِلى غير ذلك.

و﴿ذَرۡوٗا﴾ نصب على المصدر.

و(الحاملات وِقْراً) قال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: هي السحاب المُوقَرة بالماءِ[1].

---

(١) صحيح بمجموع طرقه، أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢٤١)، والطبري (٢٢/ ٣٩١)، والحاكم في =

وقال ابن عباس، وغيره: هي السُّفن المُوقَرة بالناس وأمتاعهم[(١)].

وقال جماعة من العلماءِ: هي أَيضاً مع هذا: جميعُ الحيوان الحامل، وفي جميع ذلك مُعْتبر.

و﴿وِقۡرٗا﴾ مفعول صريح.

و(الجاريات يسراً): قال علي بن أَبي طالب وغيره: هي السُّفن في البحر[(٢)].

وقال آخرون: هي السَّحاب بالريح.

وقال آخرون: هي الجواري من الكواكب، واللفظ يقتضي جميع هذا.

و﴿يُسۡرٗا﴾ نعت لمصدر محذوف، وصفات المصادر المحذوفة تعود أَحوالاً.

و﴿يُسۡرٗا﴾ معناه: بسهولة وقلة تكلُّف.

و(الْمُقَسِّمَات أَمْراً): الملائكة، و«الأَمْر» هنا اسم الجنس، فكأنه قال: والجماعات التي تقسِّم أَمور الملكوت من الأَرزاق والآجال والخلق في الأَرحام وأَمر الرياح وغير ذلك؛ لأَن كل هذا إِنما هو بملائكة تخدمه، فالآية تتضمن جميع الملائكة لأَنهم كلهم في أُمور مختلفة، وأَنَّث (الْمُقَسِّمَات) من حيث أَراد الجماعات.

وقال أَبو الطفيل عامر بن واثلة: كان عليٌّ رضي الله عنه على المنبر، فقال: لا تسأَلوني عن آية من كتاب الله تعالى أَو سُنَّة ماضية إِلَّا قلتُ، فقام إِليه ابن الكَوَّاءِ فسأَله عن هذه فقال: (الذَّاريات): الرِّياح، و(الحاملات): السَّحاب، و(الجاريات): السُّفن،

= مستدركه (٢/ ٤٦٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٩١) من طرق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بألفاظ مطولة ومختصرة.

(١) أخرج الفريابي، وابن مردويه كما في الدر المنثور (١٣/ ٦٦٥) عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس رضي الله عنه عن ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ قال: الرياح، ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ قال السحاب ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾ قال السفن ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ قال: الملائكة.

(٢) صحيح، انظر أثر علي بن أبي طالب المتقدم.

و(المقسِّمات): الملائكة، ثم قال له: سلْ سؤال تعلُّم، ولا تسأَل سؤال تعنيت[١].

وهذا القَسَم واقع على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾.

و﴿تُوعَدُونَ﴾ يحتمل أَن يكون من الإيعاد، ويحتمل أَن يكون من الوعد. وأَيهما كان فالوصف له بالصدق صحيح.

و(صَادقٌ) هنا موضوع بدل «صدْق» وضع الاسم موضع المصدر.

و﴿ٱلدِّينَ﴾: الجزاءُ، وقال مجاهد: الحسابُ[٢].

والظاهر في الآية أنها للكفَّار، وأَنها/ وعيدٌ محضٌ بيوم القيامة. [٥/ ١٢٩]

ثم أَقسم الله تعالى بمخلوق آخر فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾، فظاهر لفظة (السماءِ) أنها لجميع السماوات.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: هي السماءُ السابعة[٣].

و﴿ٱلْحُبُكِ﴾ بضم الحاءِ والباءِ: الطرائق التي هي على نظام في الأَجرام، فحُبُك الرِّمال والماءِ: الطرائق التي تصنع فيها الريح الهابَّةُ عليها، ومنه قول زهير:

مُكَلَّلٌ بعَميـمِ النَّبْـت تَنْسِـجُهُ ... ريحٌ خَريقٌ لِضَاحي مَائِه حُبُكُ[٤] [البسيط]

وحُبُك الدِّرع: الطرائق المتصلة في موضع اتصال الحلق بعضها ببعض، وفي بعض أَجنحة الطير حُبُك على نحو هذا، ويقال لتكسير الشَّعر: حُبُك.

---

(١) صحيح، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٩٢) من طرق صحيحة عن أبي الطفيل به.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٤).

(٣) حسن، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٩٧) من طريق عمران القطان، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن عمرو البكالي، عن عبد الله بن عمرو فذكره.

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٢٥)، وجمهرة اللغة (١/ ٢٨٣)، والكامل للمبرد (٣/ ٤٧)، والمحكم (٣/ ٤٨).

وفي الحديث: «إِن من ورائكم الكذَّاب المُضِلَّ، وإِنَّ رأْسه من ورائه حُبُكاً حُبُكاً»[١]؛ يعني: جُعُودة شعره، فهو تكسُّره، ويظهر في المنسوجات من الأَكسية وغيرها طرائق في موضع تداخل الخيوط هُنَّ حُبُك، ويقال: نسج الثوب فأَجاد حَبْكه، فهذه من الحُبُك في اللغة.

وقال منذر بن سعيد: إِن السماءَ في تأَلُّف جرمها هي هكذا لها حُبُك، وذلك لجودة خلقتها وإِتقان صنعتها، ولذلك عبَّر ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ بأَن قال: حُبُكها: حُسْن خِلْقتها[٢].

وقال ابن جبير: ﴿ٱلْحُبُكِ﴾: الزينة، وقال الحسن: حُبُكها كواكبها[٣].

وقال ابن زيد: ﴿ٱلْحُبُكِ﴾: الشدَّة، حُبكت: شُدَّت، وقرأ: ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢][٤].

وقال ابن جنِّي: ﴿ٱلْحُبُكِ﴾: طرائق الغَيْم، ونحو هذا[٥]، وواحد الحُبُك حَباك، ويقال للضَّفيرة التي تُشَدُّ بها حظار القصب ونحوه وهي مستطيلة تصنع في ترجيب الغراسات المصطفة: حِباكٌ، وقد يكون واحد الحُبُك حَبيكة، وقال الرَّاجز:

[الرجز] كَـأَنَّـمَـا جَـلَّـلَـهـا الـحَـوَّاكُ طِنْفِسَـةً فـي وَشْـيِهَا حِبَـاكُ[٦]

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٥/ ٣٧٢-٤١٠) وأحمد بن منيع في مسنده كما في إتحاف المهرة (٧٦٢٨)، والطبري (٢١/ ٤٨٨) وغيرهم من طريق أيوب، عن أبي قلابة قال: عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن من ورائكم الكذاب المضل، وإن رأسه من ورائه حبكاً حبكاً، وإنه يقول: أنا ربكم، فمن قال: كذبت، لست بربنا، ولكن ربنا الله عليه توكلنا فنعوذ بالله من شرك، فلا سبيل له عليه». قال ابن علية: الحبك: الجعودة. ولفظة «رأسه» ليست في الأصل.

(٢) حسن، أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٩٥) من طريق سفيان، عن عطاء بن السائب، عن ابن جبير، عن ابن عباس، وله طرق أخرى عن ابن عباس.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٥،٣٩٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٠)، وانظر: تفسير الماوردي (٥/ ٣٦٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٠).

(٥) المحتسب (٢/ ٢٨٦).

(٦) بلا نسبة في تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٦٢).

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلْحُبُكِ﴾ بضم الحاءِ والباءِ.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن، وأَبو مالك الغفاري بضم الحاءِ وسكون الباءِ تخفيفاً، وهي لغة بني تميم، كرُسْل في رُسُل، وهي قراءَة أَبي حيوة، وأَبي السَّمال.

وقرأَ الحسن أَيضاً وأَبو مالك الغفاري: (الْحِبِكِ) بكسر الحاءِ والباءِ على أَنها لغة كإِطِل وإِبِل.

وقرأَ الحسن أَيضاً: (الْحِبْكُ) بكسر الحاءِ وسكون الباءِ، كما قالوا على جهة التخفيف: إِبْلٌ، وإِطْلٌ؛ بسكون الباءِ والطاءِ.

وقرأَ ابن عباس: (الْحَبَك) بفتح الحاءِ والباءِ.

وقرأَ الحسن أَيضاً فيما رُوي عنه: (الْحِبُك) بكسر الحاءِ وضم الباءِ، وهي قراءَة شاذة غير متوجهة، وكأَنه أَراد كسرهما ثم تَوَهَّمَ (الْحُبُك) قراءَة الضم بعد أَن كسر الحاءَ فضم الباءَ، وهذا على تداخل اللغات، وليس في كلام العرب هذا البناءُ.

وقرأَ عكرمة: (الْحُبَك) بضم الحاءِ وفتح الباءِ[1] جمع حُبْكة، وهذه كلها لغات، والمعنى ما ذكرناه، والفرسُ المحبوك: الشديد الخِلْقة الذي له حُبَك في مَوَاضع من منابت شعره، وذلك دليل على حسن بِنْيته.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ يحتمل أَن يكون خطاباً لجميع الناس، مؤمنٍ وكافر؛ أَي: اختلفتم بأَن قال منكم فريق: آمنا بمحمد وكتابه، وقال فريق آخر: كفرنا، وهذا قول قتادة[2].

ويحتمل أَن يكون خطاباً للكفرة فقط؛ أَي: أَنتم في جنس من الأَقوال مختلف

(١) ست قراءات شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٢٨٦)، والبحر المحيط (٩/ ٥٤٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٤٨). وفي الأصل: «وهي لغة».

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٩٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٦٣)، بتصرف.

في نفسه؛ قوم منكم يقولون: ساحر، وقوم: كاهن، وقوم: شاعر، وقوم: مجنون، إِلى غير ذلك، وهذا قول ابن زيد.

والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ قال الحسن، وقتادة: هو عائد على محمد ﷺ، أَو كتابه، أَو شرعه[١].

و﴿يُؤْفَكُ﴾ معناه: يُصرف، فالمعنى: يُصرف عن كتاب الله تعالى من صُرف ممن غلبت شقاوته.

وكان قتادة يقول: المأْفوك منَّا اليوم عن كتاب الله تعالى كثير[٢].

ويحتمل أَن يعود الضمير على القول[٣] الذي يصرف بسببه من أَراد الإِسلام بأَن يقال له: هو سحر، هو كهانة، وهذا قول حكاه الزهراوي[٤].

ويحتمل أَن يعود الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ على القول[٥]، أي: يصرف عنه بتوفيق الله تعالى إِلى الإِسلام من غلبت سعادته، وهذا على أَن يكون قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ للكفار فقط.

قال القاضي أبو محمد: وهذا وجه حسن لا يُخل به، إِلَّا أن عرف الاستعمال في «أفك» إِنما هو في الصرف من خير إِلى شر، وتأَمل ذلك تجدها أَبداً في المصروفين المذمومين.

وحكى أَبو عمرو عن قتادة أنه قرأَ: (مَنْ أَفَكَ) بفتح الهمزة والفاءِ[٦].

وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ دعاءٌ عليهم، كما تقول: قاتلك الله، وقتلك الله، وعَقْرَى حَلْقَى.

---

(١) انظره مع قول ابن زيد في: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٨)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٧٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٨).

(٣) في الأسدية٤: إشارة إلى نسخة فيها: «اليوم»، وفيها: «أي» بدل «الذي».

(٤) البحر المحيط (٩/ ٥٥٠).

(٥) في الأسدية ٤: إشارة إلى نسخة فيها: «الكفر».

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: مختصر الشواذ (ص:١٤٦)، والكامل (ص: ٤٠٢).

وقال بعض المفسرين: معناه: لُعن الخراصون، وهذا تفسير لا تعطيه اللفظة.

والخَرَّاصُ: المُخَمِّن القائل بظنه وتقديره، فَتَحْتَه: الكاهن والمرتاب، ونحوه ممَّن لا يقين له.

والإِشارة إِلى مُكَذِّبي محمد ﷺ على كل جهة من طرقهم.

و«الغَمْرَةُ»: ما يُغشِّي الإِنسان ويغطيه كغَمرة الماءِ، والمعنى: في غمرة من الجهالة.

و﴿سَاهُونَ﴾ معناه: عن أنهم في غمرة وعن غير ذلك من وجوه النظر.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ معناه: يقولون: متى يوم الدين؟ على معنى التكذيب، وجائز أَن يقترن بذلك من بعضهم هزؤٌ، وأَلَّا يقترن.

وقرأَ السُّلَمي، والأَعمش: (إِيَانَ) بكسر الهمزة وفتح الياءِ مخففة[١].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾، قال الزجاج: نصب ﴿يَوْمَ﴾ على الظرف من مُقَدَّر تقديره: هو كائن يومَ هم على النار، أَو نحو هذا.

وقال الخليل وسيبويه: نصبه على البناءِ لمَّا أُضيف إِلى غير متمكن.

قال بعض النحاة: وهو في موضع رفع على البدل من ﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾[٢].

و﴿يُفْتَنُونَ﴾ معناه: يحرقون ويعذبون في النار، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والجميع[٣].

ومنه قيل لِلْحَرَّةِ: فَتينٌ، كأن الشمس أَحرقت حجارتها، ومنه قول كعب بن مالك:

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لأبي عبد الرحمن السُّلمي في: المحتسب (٢/ ٢٨٧)، ولهما في: مختصر الشواذ (ص: ١٤٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٥٢)، وأقوال الباقين في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٥٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٠٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾، يقول: يعذبون. وانظر قول الباقين في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٦٤).

[المتقارب] مَعَاطِـنُ تَهْـوِي إِلَيْهَـا الْحُقُـو قُ يَحْسَـبُهَا مَـنْ رَآهَـا الْفَتِينَـا[١]

وفَتَنْتُ الذَّهبَ: أَحرقتُه، ولما كان لا يُحْرَقُ إِلَّا لمعنى الاختبار قيل لكل اختبار: فِتْنَةٌ، واستعملوا افْتُتِنَ بمعنى اخْتُبِرَ.

و﴿عَلَى﴾ هنا موصلة إِلى معنى «في»، وفي قوله / تعالى: ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ [٥/ ١٣٠] معناه: يقال لهم: ذوقوا حرقكم وعذابكم، قاله قتادة وغيره[٢].

و«الذوق» هنا استعارة، و﴿هَٰذَا﴾ إِشارة إِلى حرقهم، واستعجالهُم هو قولهم: ﴿أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ وغير ذلك من الآيات التي تقتضي استعجالهم على جهة التكذيب منهم.

ولما ذكر تعالى حالة الكفرة وما يلقَون من عذاب الله عزَّ وجلَّ؛ عقب ذلك بذكر المتقين وما يلقون من النعيم؛ ليبين الفرق ويتبع الناسُ طريق الهدى.

و«الجنات» و«العيون» معروف[٣].

و(المتَّقي) في الآية مطلق في اتِّقاءِ الكفر والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ نصب على الحال.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (آخِذُونَ) بواو[٤].

وقال ابن عباس: المعنى: آخذين في دنياهم ما آتاهم ربهم من أَوامره ونواهيه وفرائضه وشرعه، فالحال على هذا محكية، وهي متقدمة في الزمان على كونهم في جنات وعيون[٥].

---

(١) البيت لكعب بن مالك في رثاء شهداء أحد، كما في سيرة ابن هشام (٢/ ١٥٨)، والجيم لأبي عمرو الشيباني (٣/ ٦٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠٥).

(٣) في حاشية المطبوع: هكذا في الأصول، وكأنه يريد: «أمْرهما معروف».

(٤) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٤٨).

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٠٦) عن محمد بن حميد الرازي، عن مهران الرازي، عن سفيان، عن أبي عمر، عن مسلم البطين، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾، قال: الفرائض. ومحمد بن حميد الرازي ضعيف.

وقال جماعة من المفسرين: معنى قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾؛ أي: محصلين لنعم الله تعالى التي أَعطاهم من جنَّته ورضوانه، وهذه حال متصلة في المعنى بكونهم في الجنات، وهذا التأْويل أَرجح عندي لاستقامة الكلام به.

وقوله تعالى: ﴿قَبۡلَ ذَٰلِكَ﴾ يريد: في الدنيا، ﴿مُحۡسِنِينَ﴾ بالطاعة والعمل الصالح.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾﴾.

معنى قوله عز وجل: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾: أَن نومهم كان قليلاً لاشتغالهم بالصلاة والعبادة، فالمراد: من كل ليلة.

و«الهجوع»: النوم، وقال الأَحنف بن قيس: لستُ من أَهل هذه الآية[1]، وهذا إِنصاف منه.

وقيل لبعض التابعين: مدح الله تعالى قوماً كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، ونحن قليل من الليل ما نقوم، فقال: رحم الله تعالى امرأً رقد إِذا نعس، وأَطاع ربه إِذا استيقظ[2].

وفسَّر أَنَسُ بن مالك هذه الآية: بأَنهم كانوا يتنفَّلون بين المغرب والعشاءِ[3].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠٩).

(٢) في تفسير الطبري (٢٢/ ٤١٢): أن رجلًا من بني تميم لزيد بن أسلم، فأجابه بذلك.

(٣) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٣)، والطبري (٢٢/ ٤٠٧) من طريق قتادة، عن أنس بن مالك فذكره، وأخرجه أبو داود (١٣٢٣)، والطبري (٢٢/ ٤٠٧)، والحاكم (٢/ ٤٦٧)، والبيهقي في الشعب (٣١١٠) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به، بلفظ: يتيقظون يصلون ما بين هاتين، ما بين المغرب والعشاء.

وقال الرَّبيع بن خُثَيْم: المعنى: كانوا يصيبون من الليل حظّاً[١].

وقال مُطَرِّف بن عبد الله: قلَّ ليلة أَتت عليهم هجعوها كلها، وقاله ابن أَبي نُجَيْح ومجاهد[٢]، فالمراد عند هؤلاءِ بقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾؛ أَي: من اللَّيالي.

وظاهر الآية عندي: أَنهم كانوا يقومون الأَكثر من ليلهم؛ أَي: من كلِّ ليلة.

وقد قال الحسن في تفسير هذه الآية: كابدوا قيام الليل، لا ينامون منه إِلَّا قليلاً.

وأَمَّا إِعرابُ الآية؛ فقال الضحاك ـ في كتاب الطبري ما يقتضي أَن المعنى ـ: كانوا قليلاً في عددهم، وتم خبر (كان)[٣]، ثم ابتدأَ ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾، فـ﴿مَا﴾ نافية، و﴿قَلِيلًا﴾ وقف حسن.

وقال بعض النحاة: ﴿مَا﴾ زائدة، و﴿قَلِيلًا﴾ مفعول مقدم لـ﴿يَهۡجَعُونَ﴾.

وقال جمهور النحويين: ﴿مَا﴾ مصدرية، و﴿قَلِيلًا﴾ خبر (كان)، والمعنى: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، و«الهجوع» مرتفع بـ﴿قَلِيلًا﴾ على أنه فاعل، وعلى هذا الإِعراب يجيءُ قول الحسن وغيره ـ وهو الظاهر عندي ـ أَن المراد: كان هجوعهم من الليل قليلاً.

وفسَّر ابن عمر والضحاك ﴿يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ بـ: يُصَلُّونَ[٤].

وقال الحسن: معناه: يدعون في طلب المغفرة[٥]، والأَسحار مظنَّة الاستغفار.

ويُروى: أَن أَبوابَ الجنَّة تفتح سحر كل يوم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠٨).

(٢) انظر أقوالهم وقول الربيع في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠٨). في المطبوع: «وقال ابن أبي نجيح».

(٣) انظره مع قول الحسن في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٠٨).

(٤) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٦٤٣)، والطبري (٢٢/ ٤١٢) من طريق سفيان، عن جبلة بن سحيم، عن ابن عمر، فذكره.

(٥) انظره مع قول الضحاك في تفسير الطبري (٢٢/ ٤١٢، ٤١٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٦٦)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٨٣).

وفي قصة يعقوب عليه السلام في قوله: ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ﴾ [يوسف: ٩٨]: أنه أَخَّر الاستغفار لهم إِلى السَّحر.

قال ابن زيد ـ في كتاب الطبري ـ: «السَّحَرُ»: السدسُ الأَخير من اللَّيل[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ﴾، الصحيح أَنها محكمة، وأَن هذا الحق هو على وجه الندب لا على وجه الفرض، و﴿مَّعۡلُومٞ﴾[(٢)]، يراد به: متعارف، وكذلك قيام الليل الذي مدح به ليس من الفرائض، وأَكثر ما تقع الفضيلة بفعل المندوبات.

وقال منذر بن سعيد: هي الزكاة المفروضة، وهذا ضعيف[(٣)]، لأَن السُّورة مكيَّة، وفرض الزكاة بالمدينة.

وقال قوم من المتأَولين: كان هذا ثم نسخ بالزكاة، وهذا غير قوي، وما شَرَع الله تعالى وجلَّ بمكة قبل الهجرة شيئاً من أَخذ الأَموال.

واختلف الناس في (المحروم) اختلافاً هو عندي تخليط من المتأَخرين؛ إِذ المعنى واحد، وإِنما عبَّر علماءُ السلف في ذلك العبارات على جهة المثالات، فجعلها المتأَخرون أَقوالاً، وحصرها مكي في ثمانية[(٤)].

و(المحروم): هو الذي تبعد عنه ممكنات الرزق بعد قربها منه فيناله حرمان وفاقة، وهو مع ذلك لا يسأَل، فهذا هو الذي له حق في أَموال الأَغنياءِ كما للسائل حق.

قال الشعبي: أَعياني أَن أَعلم ما (المحروم)[(٥)].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٤١٣)، وفي المطبوع: «أبو زيد».

(٢) لم ترد كلمة ﴿مَّعۡلُومٞ﴾ في هذه السورة، ولكنها وردت في الآية (٢٥) من (سورة المعارج).

(٣) البحر المحيط (٩/ ٥٥٢).

(٤) الهداية لمكي (١١/ ٧٠٨٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٤١٨)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٢).

وقال ابن عباس: (المحروم): المحارف الذي ليس له في الإِسلام سهم مال، فهو ذو الحرفة المحدود[١].

وقال أَبو قِلابة: جاءَ سيل باليمامة فذهب بمال رجل، فقال رجل من أَصحاب النبي ﷺ: هذا المحروم[٢].

وقال زيد بن أسلم: من أجيحت ثمرته من المحرومين[٣].

[وقال غيره: هو الذي ماتت ماشيته، وقال عمر بن عبد العزيز: هو الكلب[٤].

قال القاضي أَبو محمد: وقد يكون الكلب محروماً في بعض الأَوقات والحالات، أَلا ترى إلى الذي كان يأْكل الثرى من العطش، الحديث[٥]؛ إلى غير هذا من الأَقوال التي إِنما ذكرت مثالاً، كأَنه يقول: الذي أُجيحت ثمرته من المحرومين][٦].

والمعنى الجامع لهذه الأَقوال: أَنه الذي لا مال له لحرمان أَصابه، وإِلَّا فالذي أجيحت ثمرته وله مالٌ غيرها كثير ليس في هذه الآية بإِجماع.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤١٤) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن قيس بن كركم، عن ابن عباس رضي الله عنه سألته عن (السائل والمحروم). قال: السائل: الذي يسأل الناس بكفه، والمحروم: الذي ليس له في الإسلام سهم، وهو المحارف. وقيس بن كركم الأحدب المخزومي الكوفي، قال الأزدي: ليس بذاك ولا أحفظ له حديثاً مسنداً. اهـ. من اللسان (٤/ ٤٧٩)، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس بنحوه.

(٢) حسن، أخرجه الطبري (٢١/ ٥١٣) من طريق شعبة، عن عاصم، عن أبي قلابة، فذكره.

(٣) انظر الطبري (٢٢/ ٤١٨)، والثعلبي (٩/ ١١٢). وفي نجيبويه والأسدية **٣** والأسدية **٤** والمطبوع: «هو الذي أُجيحت ثمرته».

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٣٦٧)، وتفسير السمعاني (٥/ ٢٥٤)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ١١٤٠).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) سقط من الأصل.

وبعد هذا مقدَّر من الكلام تقديره: فكونوا مثلهم أَيها الناس وعلى طريقهم، فإِن النظر المؤدي إِلى ذلك متجه، ففي الأَرض آيات لمن اعتبر وأَيقن.

قال القاضي أبو محمد: وهذه إِشارة إِلى لطائف الحكمة وعجائب الخلقة التي في الأرضين والجبال والمعادن والعيون وغير ذلك.

وقرأَ قتادة: (آيَةٌ) على الإِفراد[١].

وقوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ إِحالة على النظر في شخص الإِنسان، فإِنه أَكثر المخلوقات التي لدينا عبرة لما جعل الله تعالى فيه ـ مع كونه من تراب ـ من لطائف / [٥/ ١٣١] الحواس، ومن أَمر النفس وحياتها ونطقها، واتصال هذا الجزءِ منها بالعقل، ومن هيئة الأَعضاءِ واستعدادها لتنفع أَو تحمل أَو تعين.

قال ابن زيد: إِنما القلب مضغة في جوف ابن آدم جعل الله فيه العقل، أَفَيدري أَحدٌ ما ذاك العقل؟ وما صفته؟ وكيف هو؟[٢].

وقال الرُّمَّاني: النفس خاصة الشيءِ التي لو بطل كل ما سواها مما ليست مضمنة به لم تبطل[٣]. وهذا تعمُّق لا أَحمده.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ توقيف وتوبيخ.

قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾، قال الضحاك، ومجاهد، وابن جبير: أَراد المطر والثلج[٤].

وقال واصل الأَحدب، ومجاهد: أَراد القضاءَ والقدر[٥]؛ أَي: الرزق عند الله تعالى يأْتي به كيف شاءَ، لا ربَّ غيره.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: البحر المحيط (٩/ ٥٥٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٠،٤١٩).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١). و«مجاهد» ليس في الأصل.

(٥) البحر المحيط (٩/ ٥٥٣).

وقرأ ابن محيصن: (وفي السماء رازقكم)[١].

و﴿تُوعَدُونَ ﴾ يحتمل أَن يكون من الوعد، ويحتمل أَن يكون من الوعيد، والكلُّ في السماءِ.

قال الضحاك: المراد: من الجنة والنار[٢]، وقال مجاهد: من الخير والشر[٣].

وقال ابن سيرين: المراد الساعة[٤].

ثم أَقسم تعالى بنفسه على صحة هذا القول والخبر، وشبَّهه في اليقين به بالنطق من الإِنسان، وهو عنده في غاية الوضوح ولا يمكن أَن يقع فيه من اللَّبْس ما يقع في الرُّؤْية والسمع، بل النُّطق أَشد تخلُّصاً من هذه.

واختلف القراءُ في قوله تعالى: ﴿مِّثْلَ مَآ ﴾:

فقرأَ حمزة، والكسائي، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿مِثْلُ﴾ بالرَّفع، ورويت عن الحسن، وابن أَبي إِسحاق، والأَعمش بخلاف عنهم.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن كثير، وابن عامر، وأَبو جعفر، وأَهل المدينة، وجلُّ الناس: ﴿مِّثْلَ ﴾ بالنصب[٥].

فَوجْه الأُولى الرفع على النعت لـ(حَقٌّ)، وجاز نعت النكرة بهذا الذي قد أُضيف إِلى المعرفة من حيث كان لفظ ﴿مِّثْلَ ﴾ شائعاً عامّاً لوجوه كثيرة، فهو لا تُعرِّفه الإِضافة إِلى معرفة؛ لأَنك إِذا قلت: رأَيْتُ مثلَ زيد، فلم تُعرِّف شيئاً؛ لأَن وجوه المماثلة كثيرة،

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٤٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥١٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢١)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٦٨).

(٣) انظر القولين في: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢١)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٦٨).

(٤) تفسير الماوردي (٩/ ١١٤).

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٠٣)، والسبعة (ص: ٦٠٩)، والنشر (٢/ ٣٧٧).

فلما بقي الشياع، جرى عليه حكم النكرة، فَنُعتت به النكرة، و﴿مَآ﴾ زائدة تعطي تأْكيداً. وإِضافة ﴿مِّثۡلَ﴾ هي إِلى قوله تعالى: ﴿أَنَّكُمۡ﴾.

ووجه قراءَة النصب أَحد ثلاثة أَوجه:

إِمَّا أَن يكون ﴿مِّثۡلَ﴾ قد بُني لَمَّا أُضيف إِلى غير متمكن وهو في موضع رفع على الصفة لـ(حَقٌّ)، ولحقه البناءُ؛ لأَن المضاف إِليه قد يُكْسِبُ المضافَ بعض صفاته كالتأْنيث في قوله:

. . . . شَـرِقَتْ صَـدْرُ القَنَاة.....[1] [الطويل]

ونحوه وكالتعريف في: غلام زيد، إِلى غير ذلك، ويجرى ﴿مِّثۡلَ﴾ حينئذ مجرى ﴿عَذَابِ يَوْمَئِذٍ﴾ [المعارج: ١١] على قراءَة من فتح الميم، ومنه قول الشاعر:

عَلَى حينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا[2] . . . . [الطويل]

ومنه قول الآخر:

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ هَتَفَتْ[3] . . . . [البسيط]

فـ«غَيْرَ» فاعلة ولكنه فتحها.

والوجه الثاني ـ وهو قول المازني ـ أَن ﴿مِّثۡلَ﴾ بُني لكونه مع ﴿مَآ﴾ شيئاً واحداً، ويجيءُ ـ على هذا ـ في مضمار: وَيْحَمَا، وأَيْنَمَا، وابْنَمَا، ومنه قول حُمَيْد بن ثور:

أَلَا هَـيَّـمَـا مِمَّا لَـقِـيـتُ وَهَـيَّـمَـا ... وَوَيْحٌ لِمَنْ لَمْ يَدْرِ ما هُنَّ وَيْحَمَا[4] [الطويل]

---

(١) من بيت للأعشى تمامه:

وَتَشْرَقُ بالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعْتُهُ ... كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

وقد تقدم في أول تفسير (سورة الشعراء).

(٢) للنابغة الذبياني، وتمامه: وقُلْتُ: أَلَـمَّـا أَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ، وقد تقدم في خاتمة تفسير (سورة المائدة).

(٣) عزاه في الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٢٩) للكناني، وعزاه في المفصل (ص: ١٦٣)، وخزانة الأدب (٣/ ٤٠٨)، لأبي قيس بن رفاعة.

(٤) انظر عزوه له في العين (٣/ ٣١٩)، والصحاح للجوهري (١/ ٤١٧)، والمحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٣٨).

فلولا البناءُ وجب أَن يكون منوناً، وكذلك قول الشاعر:

[الطويل] .... فَأَكْرِم بِهَا أُمّاً وَأَكْرِمْ بِنَا ابْنَمَا[1]

والوجه الثالث أن ينتصب ﴿مِّثْلَ﴾ على الحال من قوله تعالى: ﴿لَحَقٌّ﴾ [وهي حال من نكرة، وفيه خلاف، ولكن جوَّز ذلك الجرميُّ[2]، وأَما غيره فيراه حالًا من النكر المرفوع في قوله: ﴿لَحَقٌّ﴾][3]؛ لأَن التقدير: لَحَقٌّ هو. وفي هذا نظر.

والنطق[4] في هذه الآية: الكلام بالحروف والأَصوات في ترتيب المعاني.

ورُوي: أن بعض العرب الفصحاء سمع هذه الآية فقال: من أحوج الكريمَ إِلى أنْ يحلف؟ والحكاية وقعت في «كتاب الثعلبي» و«سبل الخيرات» متمَّمةً عن الأَصمعي[5].

وروي: أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله قوماً أَقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه»[6]، وروى أَبو سعيد الخدري: أَن النبي ﷺ قال: «لو فَرَّ أَحدكم من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت»[7]، وأَحاديث الرزق والأَشعار فيه كثيرة.

قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ تقرير لتجتمع نفس المخاطب، وهذا كما تبدأُ المرءَ إِذا

---

(١) صدره: وَلَدْنَا بَني العَنْقَاءِ وابْنَيْ مُحَرِّق، وهو لحسَّان، كما في الحيوان (٧/ ٨٦)، وإيضاح الشواهد (٢/ ٧٨٢)، والأغاني (٩/ ٣٨١)، والموشح للمرزباني (ص: ٦٩)، والمصون في الأدب (ص: ٣)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٨٧). وفي المطبوع: «فأكرم بنا خالا».

(٢) انظر قولي المازني والجرمي في مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٦٨٧).

(٣) سقط من أحمد٣، في المطبوع ونجيبويه والأسدية٣: «من الذكر» بدل «النكر».

(٤) في أحمد٣: «والنظر».

(٥) انظر: تفسير الثعلبي (٩/ ١١٥)، وسبل الخيرات لأبي الحسين يحيى بن نجاح بن الفلاس الأموي، القرطبي.

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٢٢) من طريق ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن، فذكره مرسلًا.

(٧) ضعيف، أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٤٤٤) من طريق الحسين بن علي بن زيد الصدائي، عن أبيه، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري به. وعلي بن يزيد الصدائي فيه لين، وعطية العوفي ضعيف.

أردتَ أَن تحدثه بعجيب فَتُقَرِّره: هل سمع ذلك أَم لا؟ فكأَنك تقتضي منه أَن يقول: لا، ويستطعمك الحديث.

و﴿ضَيْفِ﴾ اسم جنس يقع للجمع وللواحد، وروي: أَن أَضياف إِبراهيم عليه السلام هؤلاءِ هم جبريل وميكائيل وإِسرافيل وأَتباع لهم من الملائكة[1]، وجعلهم تعالى مكرمين؛ إِمَّا لأَنهم عنده كذلك، وهذا قول الحسن، وإِمَّا من حيث أَكرمهم إِبراهيم وخدمهم هو وسارة وذبح لهم العجل، وقيل: من حيث رفع مجالسهم[2].

و﴿سَلَٰمًا﴾ منصوب على المصدر، كأَنهم قالوا: نسَلِّم سلاماً، أَو: سلمت سلاماً، ويتجه فيه أَن يعمل فيه ﴿قَالُواْ﴾، على أَن يجعل ﴿سَلَٰمًا﴾ بمنزلة: قولاً، ويكون المعنى حينئذ: أَنهم قالوا تحية، وقولاً معناه سلاماً، وهذا قول مجاهد[3].

وقوله ﴿سَلَٰمٌ﴾ مرتفع على خبر ابتداءٍ، أَي أَمري سلام، أو واجب لكم سلام، أو على الابتداءِ والخبر محذوف كأنه قال: سلام عليكم، وإِبراهيم عليه السلام قد حيَّا بأَحسن؛ لأَن قولهم دعاءٌ، وقوله واجب قد تحصَّل لهم.

وقرأ ابن وثاب، والنَّخَعي، وحمزة، والكسائي، وطلحة، وابن جبير: ﴿قَالَ سِلْمٌ﴾ بكسر السين وسكون اللام، والمعنى: نحن سلم، أَو أَنتم سلم[4].

وقوله تعالى: ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ معناه: لا نميزهم ولا عهد لنا بهم، وهذا أَيضاً على تقدير: أَنتم قَوْمٌ مُنْكَرُونَ، وقال أَبو العالية: أَنكر سلامهم في تلك الأَرض وذلك الزمن[5].

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٩/ ١١٦).
(٢) انظر قول الحسن والأقوال الأخرى في: البحر المحيط (٩/ ٥٥٥).
(٣) راجع تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٤).
(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٢٥).
(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ١١٧).

و(راغ) معناه: مضى إثر حديثه مخفياً زواله وانصرف[١] مستعجلًا، كأَنه لم يُرد أن يفارقهم فمضى إِلى ناحية من داره مستعجلاً ورجع لحينه، وهذا تشبيه بالروغان المعروف؛ لأَن الرائغ يوهم أنه لم يزل.

و«العِجْلُ»: هو الذي حَنَذَه لهم، والقصة قد مضت مستوعبة في غير هذه السورة.

وروي عن قتادة: أن أكثر مال إبراهيم كان البقر وكان مضيافاً[٢]، وحسبك أَنه عليه السلام أَوقف للضيافة أَوقافاً تُمضيها الأمم على اختلاف أديانها وأَجناسها / . [٥/ ١٣٢]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

المعنى: فَقَرَّبَه إِليهم فأَمسكوا عنه فقال: أَلا تأْكلون؟ فيروى في الحديث: أنهم قالوا له: إِنَّا لا نأْكل إِلَّا ما أَدَّينا ثَمَنه، فقال لهم إِبراهيم: وأَنا لا أُبيحه لكم إِلَّا بثمن، قالوا: وما هو؟ قال: أَن تسمُّوا الله تعالى عند الابتداءِ، وتحمدوه عند الفراغ من الأَكل، فقال بعضهم لبعض: بحق اتخذه الله تعالى خليلاً[٣]، فلما استمروا على ترك الأَكل أَوْجَس منهم خيفة.

و«الوَجْسُ»: تَحسُّسُ النفس وخواطرها في الحذر، وذلك أَن أَكْل الضيف أَمَنَة ودليل على انبساط نفسه، والطعام حُرْمة وذِمامٌ، والامتناع منه وحشة، فخشي إِبراهيم عليه السلام أَن امتناعهم من أَكل طعامه إِنما هو لشرٍّ يريدونه، فقالوا له: لا تخف،

---

(١) «وانصرف» ليس في الأصل.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٧٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٧).

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٣٩٠).

وعرَّفوه أنهم ملائكة، وبشَّروه وبشَّروا سارة معه بغلام عليم؛ أَي: عالمٍ في حال تكليفه وتحصيله؛ أَي: سيكون عليماً.

و﴿عَلِيمٍ﴾ بناءُ مبالغة.

وجمهور الناس على أَن الغلام هنا هو إِسحاق ابن سارة الذي ذكرت البشارة به في غير موضع، وقال مجاهد: هذا الغلام هو إِسماعيل[١]. والأول أَرجح، وهذا وَهْمٌ.

ويروى: أنه عرف كونهم ملائكة استدلالاً من بشارتهم إِياه بغيب.

وقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ يحتمل أَن يكون: قَرُبَتْ إِليهم من ناحية من نواحي المنزل، ويحتمل أَن يكون هذا الإِقبال كما تقول: أقبل فلان يشتمني، أَو يفعل كذا: إِذا جدَّ في ذلك وتلبَّس به.

و«الصَّرَّةُ»: الصَّيْحة، كذا فسَّره ابن عباس[٢]، ومجاهد، وسفيان، والضحاك[٣]، والمصطر[٤] الذي يصيح.

وقال قتادة: معناها: في رقة.

وقال الطبري: قال بعضهم: قالت: أَوَّه، بصياح وتعجُّب[٥]

وقال النحاس: وقيل: ﴿فِى صَرَّةٍ﴾: في جماعة نسوة يتبادرن نظراً إِلى الملائكة[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٧١)، وتقدم في (الصافات): أن الصواب: أنه إسماعيل.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٢٦)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٤٢) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس بنحوه.

(٣) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٦، ٤٢٧).

(٤) في المطبوع: «والمضطر»، ولعله خطأ.

(٥) انظر مع قول قتادة في: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٧)، وانظر: تفسير الماوردي (٥/ ٣٧١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٩٤).

(٦) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٦٣).

وقوله تعالى: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ معناه: ضربت وجهها، قال ابن عباس: لطمت، وهذا مما يفعله الذي يَرِدُ عليه أَمر يستهوله[١].

وقال سفيان، والسدي، ومجاهد: ضربت بكفَّيها وجهها. وهذا مستعمل في الناس حتى الآن[٢].

وقولها: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ إما أن يكون تقديره: أنا عَجُوزٌ عَقِيمٌ فكيف أَلِدُ؟ وإِمَّا أَن يكون التقدير: عجوزٌ عقيمٌ يكون منها ولادة؟ وقدّره الطبري: أَتَلد عجوز عقيم[٣].

ويروى: أنها كانت لم تلد قط.

والعقيم من النساءِ: التي لا تلد، ومن الرياح: التي لا تلقح شجراً، فهي لا بركة فيها.

وقولهم: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾؛ أي: كقولنا الذي أَخبرناك به قال ربك أَن يكون.

و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: ذو الحكمة، و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ معناه: بالمصالح وغير ذلك من المعلومات.

ثم قال إِبراهيم عليه السلام للملائكة: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾، والخَطْبُ: الأَمر المُهم، وقلَّ ما يُعبَّر به إلا عن الشدائد والمكارهِ حتى قالوا: خطوب الزَّمان، ونحو هذا، وكأنه يقول: ما هذه الطَّامة التي جئتم لها؟ فأَخبروه حينئذ أَنهم أُرسلوا إِلى سَدُوم قرية لوط بإِهلاك أَهلها الكفرة العاصين المجرمين.

و«المجرم»: فاعل الجرائم وهي صعاب المعاصي من كفر ونحوه، واحدتها جريمة.

وقولهم ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أَي: لنهلكهم بهذه الحجارة، ومتى اتصلت «أَرسل» بـ«عَلَى» فهي بمعنى المبالغة في المباشرة والعذاب، ومتى اتصلت بـ«إِلى» فهي أخف، وانظر ذلك تجدْه مطرداً.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٢٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٧)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٩٤). وفي نور العثمانية: «بكفها جبهتها»، وفي الأسدية٤: «بكفيها وجبهتها».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٢٨).

وقوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ بيان تخرج به عن معتاد حجارة البَرَد التي هي من ماءٍ.

ويُروى: أَنه طين طُبخ في نار جهنم حتى صار حجارة كالآجُرِّ.

و﴿مُّسَوَّمَةً﴾ نعت لـ﴿حِجَارَةً﴾، وقيل: معناه: متروكة. وسومها من الإِهلاك والانصباب.

وقيل: معناه؛ معلَّمة بعلامتها من السيماءِ[١]، والسَّومى وهي: العلامة، أَي أَنها ليست من حجارة الدنيا، وقال الزهراوي والرُّمَّاني: قيل: معناه على كل حجر اسم المضروب به.

قال الرُّمَّاني: وقيل: كان عليها أَمثال الخواتيم.

وقال ابن عباس: تسويمها أن كان في الحجارة السود نقط بيض، وفي البيض سودٌ[٢].

ويحتمل أَن يكون المعنى أَنها بجملة معلومة عند ربك لهذا المعنى معلمة له، لا أَن كل واحد منها له علامة خاصة به.

و«المُسْرف»: الذي يتعدى الطور، فإِذا جاءَ مطلقاً فهو لأَبعد الغايات: الكفر فما دونه.

ثم أَخبر الله تعالى أَنه أَخرج بأمره من كان في قرية قوم لوط من المؤمنين منجياً لهم، وأَعاد الضمير على القرية ولم يصرح لها قبل ذلك بذكرٍ؛ لشهرة أمرها، ولأن القوم المجرمين معلوم أَنهم في قرية ولا بد، قال المفسرون: ولا فرق بين تقدم ذكر المؤمنين وتأَخره، وإِنما هما وصفان، ذكرهم أَولاً بأَحدهما ثم آخراً بالثاني، قال الرُّمَّاني: الآية دالة على أَن الإِيمان هو الإِسلام[٣].

---

(١) في المطبوع: «من السماء»، ولعله خطأ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٢٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره في قول له مطول.

(٣) البحر المحيط (٩/ ٥٥٧).

قال القاضي أَبو محمد: ويظهر أَن في المعنى زيادة تحسِّن التقديم للإِيمان، وذلك أَنه ذكره مع الإِخراج من القرية كأَنه تعالى يقول: لقد أمرنا بإِخراج كل مؤمن، ولا يشترط فيه أن يكون عاملاً بالطاعات بل التصديق بالله تعالى فقط، ثم لما ذكر حال الموجودين ذكرهم بالصفة التي كانوا عليها وهي الكاملة التصديق والأَعمال.

والبيت من المسلمين هو بيت لوط عليه السلام وكان هو وابنتاه، وقيل: وبنته.

وفي «كتاب الثعلبي»: وقيل: لوطٌ وأَهلُ بيته ثلاثة عشر[١]، وهلكت امرأَته فيمن هلك.

وهذه القصة بجملتها ذكرت على جهة المثال لقريش؛ أَي: أَنهم إِذا كفروا أَصابهم مثل ما أَصاب هؤلاءِ المذكورين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٣٧ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٍ / مُّبِينٍ ۝٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝٤٠ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ۝٤٢ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٤٣ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٤٤﴾. [٥/ ١٣٣]

المعنى: وتركنا في القرية المذكورة ـ وهي سَدُوم ـ أَثراً من العذاب باقياً مؤرخاً لا يَفنى ذكره، فهو آيةٌ ـ أَي علامة ـ على قدرة الله تعالى وانتقامه من الكفرة.

ويحتمل أَن يكون المعنى: وتركنا في أَمرها، كما قال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧].

وقال ابن جريج: ترك فيها حجراً منضوداً كثيراً جدّاً[٢].

والَّذين يخافون العذاب هم العارفون بالله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ يحتمل أَن يكون عطفاً على قوله تعالى: ﴿فِيهَآ﴾؛

---

(١) لم أجده في المطبوع من تفسير الثعلبي.

(٢) انظر تفسير الزمخشري (٤/ ٤٠٣)، وفي الثعلبي (٥/ ١٨٤)، والهداية لمكي (٥/ ٣٤٤٩) عنه: كانت لا تشاكل حجارة الأرض.

أَي: وتركنا في موسى وقصته أثراً أَيضاً هو آية، ويحتمل أَن يكون عطفاً على قوله تعالى قبل: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ... وَفِى مُوسَىٰٓ﴾.

و﴿فِرْعَوْنَ﴾: هو صاحب مصر.

و«السُّلْطَان» في هذه الآية: الحجة، و(تَوَلَّى) معناه: أَعرض وأَدبر عن أَمر الله تعالى.

و(رُكْنُهُ): سلطَانُه وجندُه وشدَّة أَمره، وهو الأَمر الذي يركن فرعون إِليه ويستند في شدائده، وقال ابن زيد: ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾: بجُمُوعه، وقال قتادة: بقومه[1].

وقَوْلُ فرعون في موسى عليه السلام: ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ هو تقسيم؛ ظنَّ أن موسى لا بُدَّ أَن يكون أحد هذين، وقال أَبو عبيدة: ﴿أَوْ﴾ هنا بمعنى الواو، واستشهد ببيت جرير:

أَثَعْلَبَةَ الْفَوَارسَ أَوْ رِيَاحَا عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ والْخِشَابَا[2] [الوافر]

والخِشَاب: بيوتٌ في بني تميم، وقولُ أَبي عبيدة ضعيف لا داعية إِليه في هذا الموضع.

و(نَبَذْنَاهُمْ) معناه: طرحناهم، و(اليَمُّ): البحر.

وفي مصحف ابن مسعود: (فنبذناه)[3].

و«المُلِيمُ»: الذي أَتَى من المعاصي ونحوها ما يُلامُ عليه، وقال أُمَيَّةُ بنُ أَبي الصَّلْت:

.... وَمَنْ يَخْذُلْ أَخَاهُ فَقَدْ أَلَاما[4] [الوافر]

وقوله: ﴿وَفِى عَادٍ﴾ عطف على قوله: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾، وعَادٌ هي قبيلة هودٍ النبيِّ عليه السلام.

و﴿ٱلْعَقِيمَ﴾ معناه: التي لا بركة فيها، لا تلقح شجراً، ولا تسوق مطراً.

---

(١) انظر القولين في: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٠٩٨).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١٧٥)، وعزاه له أيضاً في: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٦٤)، وجمهرة اللغة (١/ ٢٩٠)، والكتاب لسيبويه (١/ ١٠١).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٢).

(٤) صدره: تَعُدُّ مَعَاذِراً لا عُذْرَ فِيهَا، ولم أجد عزوه له، وفي شرح أدب الكاتب (ص: ٢٢٩) أنه من قول أُمِّ عُمَيْر بن سَلْمَى الحنفي.

وقال سعيد بن المسيب: كانت ريح الجنوب(١).

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كانت نكباءَ(٢).

وهذا عندي لا يصح عن عليٍّ رضي الله عنه؛ لأنه مردود بقوله ﷺ: «نُصرتُ بالصَّبا، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور»(٣).

و﴿تَذَرُ﴾ معناه: تَدَع، وقوله تعالى: ﴿مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾؛ يعني: مِمَّا أذن الله تعالى لها في إِهلاكه.

و(الرميم): الفاني المتقطع يبساً أو قِدَماً من الأشجار والورق والحبال والعظام، ومنه قوله تعالى: ﴿مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]؛ أَي: في قوام الرماد.

ورُوي حديث: «إِنَّ تلك الريح كانت تهبُّ على الناس فيهم العاديُّ وغيره، فتنزع العاديَّ من بين الناس وتذهب به»(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ يحتمل أن يراد: قيل لهم في أول بعث صالح عليه السلام: آمنوا وأَطيعوا فتُمتَّعوا متاعاً حسناً إِلى آجالكم، وهو «الحينُ» على هذا، وهو قول الحسن حكاه عنه الرُّمَّاني(٥)، ويجيءُ قوله تعالى: ﴿فَعَتَوْا﴾ مُرَتَّباً لفظاً في الآية ومعنىً في الوجود، متأَخراً عن القول لهم: ﴿تَمَتَّعُوا﴾.

ويحتمل أَن يريد: إِذْ قيل لهم بعد عَقْر الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]، وهي «الحينُ» على هذا التأْويل، وهو قول الفراءِ(٦)، ويجيءُ قوله تعالى: ﴿فَعَتَوْا﴾ غير مُرَتَّب المعنى في وجوده؛ لأَن عتوهم كان قبل أَن يقال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا﴾، وكأَن المعنى:

(١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢/ ٣٦)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٣).
(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣/ ٦٨٤) للفريابي، وابن المنذر، عن علي بن أبي طالب، فذكره.
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) لم أقف عليه.
(٥) لم أقف عليه.
(٦) معاني القرآن للفراء (٣/ ٨٨).

فكان من أَمرهم قبل هذه المقالة أَن عَتَوْا، وهو السبب في أَن قيل لهم ذلك وعُذِّبوا.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾، وقرأَ الكسائي ـ وهي قراءَة عُمَر وعثمان ـ: ﴿الصَّعْقَةُ﴾[(١)].

وهي ـ على القراءَتين ـ الصيحةُ العظيمة، ومنه يقال للوقعة الشديدة من الرعد: صاعقة، وهي التي تكون معها النار التي يُروى في الحديث أَنها من المِخْراق الذي بيد مَلَك يسوق السحاب[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ يحتمل أَن يريد: فجأَةً وهم يُبصرون بعيونهم حالهم، وهذا قول الطبري[(٣)].

ويحتمل أَن يريد: وهم ينتظرون ذلك في تلك الأَيام الثلاثة التي أُعلموا به فيها ورأَوا علاماته في تَلَوُّنهم، وهذا قول مجاهد حسب ما تقدَّم تفسيره[(٤)]، وانتظارهم للعذاب هو أَشد من العذاب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٠٣)، وموافقة عمر في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١١٧) والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٣٦) وغيرهم من طريق أبي نعيم عن عبد الله ابن الوليد وكان يكون في بني عجل، عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به مرفوعاً، وقال الترمذي: حسن غريب، وبكير بن شهاب في حيز الجهالة، وقد تفرد بهذا السياق، وقد روي هذا الكلام أو نحوه عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب من قولهما بأسانيد ضعيفة مضطربة، وعن عكرمة ومجاهد كذلك. يُنظر: العلل ومعرفة الرجال لأحمد ـ رواية ابنه عبد الله (٣/ ٣٧٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٥-٤٣٦).

(٤) المصدر السابق (٢٢/ ٤٣٦).

قال بعض المفسرين: ﴿مِن قِيَامٍ﴾ معناه: ما استطاعوا أَن يقوموا من مصارعهم.

وقال قتادة وغيره: معناه: من قيامٍ بالأَمر ودفعه[١]، كما تقول: فلانٌ له بكذا وكذا قيام؛ أَي: استضلاع وانتهاض.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ بالنصب، وهو عطف إِمَّا على الضمير في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾؛ إِذ هو بمنزلة: أَهلكناهم، وإِما على الضمير في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَهُمْ﴾.

وقرأ أَبو عمرو فيما روى عنه عبد الوارث: (وقومُ نوح) بالرفع، وذلك على الابتداءِ وإِضمار الخبر.

وقرأ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿وقومِ نوحٍ﴾ بالخفض عطفاً على ما تقدم من قوله: ﴿وَفِى ثَمُودَ ﴾، وقد روي النصب عن أَبي عمرو[٢].

وقوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ ﴾ نصب بإِضمار فعل تقديره: وبنينا السماءَ بنيناها.

و«الأَيْد»: القُوَّة، قاله ابن عباس[٣]، ومجاهد، وقتادة[٤].

ووقعت في المصحف بياءَيْن[٥]، وذلك على تخفيف الهمز. وفي هذا نظر.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٦)، بتصرف.

(٢) الأولى والثالثة سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٣)، والثانية لعبد الوارث، ومحبوب، والأصمعي عن أبي عمرو كما في الكامل (ص: ٦٤٠)، وانظر رواية النصب لأبي عمرو في البحر المحيط (٩/ ٥٥٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٣٨)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٥٢) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٨)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٠٤).

(٥) انظر المحكم في نقط المصاحف للداني (ص: ١٧٧).

وقوله تعالى: ﴿لَمُوسِعُونَ﴾ يحتمل أَن يريد: إِنا نوسع الأَشياءَ قوة وقدرة، كما قال تعالى: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]؛ أَي: الذي يوسع أَهلَه إِنفاقاً.

ويحتمل أَن يريد: لموسعون في بناءِ السماءِ؛ أَي: جعلناها واسعة، وهذا تأْويل ابن زيد[١].

وقال الحسن: أَوْسع الرزقَ بمطر السماءِ[٢].

و«الماهدُ»: المهيِّئ الموَطِّئ للموضع الذي / يتمهد ويفترش. [٥/ ١٣٤]

وقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾؛ أي: مُصْطَحبَين مُتَلَازمَيْن.

وقال مجاهد: معناه أَن هذه إِشارة إِلى المتضادات والمتقابلات من الأَشياءِ كالليل والنهار، والشِّقوة والسعادة، والهدى والضلال، والسماءِ والأَرض، والسواد والبياض، والصحة والمرض، والكفر والإِيمان، ونحو هذا[٣]، ورجَّحه الطبري بأَنه أدل على القدرة التي تُوجد الضِّدين، بخلاف ما يفعل بطبعه فعْلاً واحداً كالتسخين والتبريد[٤].

وقال ابن زيد وغيره: هي إِشارة إِلى الأُنثى والذكر من كل حيوان، والترجِّي الذي في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ هو بحسب خلق البشر وعرفها[٥].

وقرأ الجمهور: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ بتشديد الذال والإِدغام.

وقرأ أُبي بن كعب: (تَتَذَكَّرُونَ) بتاءَين وخفَّة الذال[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٧٣).
(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٣٧٣).
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٣٩)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٠٥).
(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٠).
(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٠)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٠٥).
(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في البحر المحيط (٩/ ٥٦٠)، وكان الأولى التنبيه على قراءة حمزة والكسائي وحفص بتخفيف الذال.

وقوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾ أَمْرٌ بالدخول في الإِيمان وطاعة الله تعالى، وجعل الأَمر بذلك بلفظ الفِرار؛ لينبِّه على أَن وراءَ الناس عقاباً وعذاباً وأَمراً حقُّه أَن يُفَرَّ منه، فجمعت لفظة (فِرُّوا) بين التحذير والاستدعاءِ، وينظر إِلى هذا المعنى قول النبي ﷺ: «لا ملجأَ ولا منجى منك إِلَّا إِلَيْك...»، الحديث[١].

قال الحسين بن الفضل: من فرَّ إِلى غير الله تعالى لم يمتنع من الله عزَّ وجلَّ[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ﴾ الآية: نهيٌ عن عبادة الأَصنام والشياطين وكل مدعوٍّ من دون الله تعالى، وفائدة تكرار قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ الإِبلاغ وهزُّ النفس وتحكيم التحذير، وإِعادةُ الأَلفاظ بعينها في هذه المعاني بليغة بقرينة شدة الصوت.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ تقديره: سيرة الأُمم كذلك، أو الأَمر في القديم كذلك، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ معناه: إِلَّا قال بَعْضٌ هذا، وبعضٌ هذا، وبعضٌ الجميع، أَلا ترى أَن قوم نوح لم يقولوا قط: هو ساحر، وإِنما قالوا: به جِنَّة، فلما اختلفت الفِرَق جعل الخبر عن ذلك بإِدخال ﴿أَوۡ﴾ بين الصيغتين؟ وليس المعنى أَن كل أُمَّة قالت عن نبيِّها: إِنه ساحر أَو مجنون، فليست هذه كالمتقدمة في فرعون، بل هذه كأَنه تعالى قال: إِلَّا قالوا: هو ساحر، أَو: هو مجنون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك، فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به». قال: فرددتها على النبي ﷺ، فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: «لا، ونبيك الذي أرسلت».

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ١١٩).

مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾ توقيف وتعجيب من توارد نفوس الكفرة في تكذيب الأَنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم عَلَى تفرُّق أَزمانهم؛ أَي: إِنهم لم يتواصوا، لكنهم فعلوا [فعلاً كأَنه][1] فعل من يتَوَاصوا، والعلَّة في ذلك أَن جميعهم طاغ، و«الطاغي»: المستعلي في الأَرض، المفسد العاتي على الله.

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾؛ أَي: عن الحرص المفرط عليهم وذهاب النفس حسرات.

ويحتمل أَن يراد: فتولَّ عن التعب المفرط في دعائهم وضمهم إِلى الإِسلام، فلست بمصيطر عليهم ولست بملوم إِذْ بلَّغت، فنحِّ نفسك عن الحزن عليهم وذكِّر فقط، فإِن الذكرى نافعة للمؤمنين ولمن قُضي له أَن يكون منهم [في ثاني حال][2]، وعلى هذا التأْويل فلا نَسْخَ في الآية إِلَّا في معنى الموادعة التي فيها، فإِن آية السيف نسخت جميع الموادعات.

وروى قتادة ـ وذكره الطبري ـ عن علي رضي الله عنه: أَنه لما نزلت ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ حزن المسلمون وظنوا أنه أَمْر بالتولِّي عن الجميع وأَن الوحي قد انقطع، حتى نزلت: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فَسُرُّوا بذلك[3].

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) سقط من الأسدية ٤.

(٣) منقطع، هذا الأثر أخرجه إسحاق كما في إتحاف الخيرة المهرة (٥٨٣٣)، والطبري (٢٢/ ٤٤٣)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١٩٨)، وفي الشعب (١٦١٥) وغيرهم من طرق عن أيوب، عن مجاهد قال: خرج علي معتجراً ببرد، مشتملاً بخميصة، فقال: لما نزلت ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أحزننا ذلك وقلنا: أمر رسول الله ﷺ أن يتولى عنا حتى نزل ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. مجاهد بن جبر لم يسمع من علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في جامع التحصيل (٧٣٦)، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، اختلف الناسُ في معناه مع إِجماع أَهل السُّنَّة على أَن الله تعالى لم يُرد أَن تقع العبادة من الجميع؛ لأَنه تعالى لو أَراد ذلك لم يصح وقوع الأَمر بخلاف إِرادته:

فقال علي بن أَبي طالب، وابن عباس: المعنى: ما خلقت الجن والإِنس إِلَّا لآمرهم بعبادتي وليقرُّوا لي بالعبودية، فعبر عن ذلك بقوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾؛ إِذ العبادة هي مضمن الأَمر[١].

وقال زيد بن أَسلم، وسفيان: المعنى خاص، والمراد: وما خلقت الطائعين من الجن والإِنس إِلَّا لعبادتي[٢].

ويؤيد هذا التأْويل: أَن ابن عباس روى عن النبي ﷺ: أَنه قرأَ: «وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدوني»[٣].

وقال ابن عباس أَيضاً: معنى ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾؛ ليتذلَّلُوا لي ولقدرتي وإِن لم يكن ذلك على قوانين الشرع[٤].

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا التأْويل فجميع الجن والإِنس عابد متذلِّل، والكفار كذلك، أَلا تراهم عند القحوط والأَمراض وغير ذلك؟

وتحتمل الآية أَن يكون المعنى: وما خلقت الجن والإِنس إِلَّا مُعَدِّين ليعبدوني،

---

(١) أثر علي بن أبي طالب ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٢٠) بلفظ: إلاّ لآمرهم أن يعبدون، وأدعوهم إلى عبادتي، وأما أثر ابن عباس رضي الله عنه أخرجه الطبري (٢١/ ٥٥٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٤).

(٣) وهي شاذة، والأثر ضعيف، أخرجه الواحدي في الوسيط (٤/ ١٨١) من طريق سليمان القافلاني، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس فذكره من قوله، وسليمان بن أبي سليمان القافلاني متروك الحديث. وانظر الميزان (٢/ ٢١٠).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٤٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: إلا ليقروا بالعبودة طوعاً وكرهاً.

وكأَن الآية تعديد نعمة؛ أَي: خلقت لهم حواسَّ وعقولاً وأَجساماً منقادة لحق العبادة وهذا كما تقول: البقر مخلوق للحرث، والخيل للحرب، وقد يكون منها ما [لا يحرث، وما][1] لا يُحارب به أَصلًا، فالمعنى: أَن الإعداد في خلق هؤلاءِ إِنما هو للعبادة، لكن بعضهم تكسَّب صرف نفسه عن ذلك.

ويؤيد هذا المنزع: قول النبي ﷺ: «اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلق له»[2]، وقوله: «كُلُّ مولود يولد على الفطرة»، الحديث[3].

وقوله تعالى: ﴿مِّن رِّزۡقٖ﴾؛ أَي: أَن يرزقوا أَنفسهم ولا غيرهم.

وقوله تعالى: ﴿أَن يُطۡعِمُونِ﴾ إِمَّا أَن يكون المعنى: أن يطعموا خلقي، فأُضيف إِلى الضمير على جهة التَّجوُّز، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه[4].

وإِما أَن يكون الإِطعام هنا بمعنى النفع على العموم، كما تقول: أَعطيت فلاناً كذا وكذا طُعمةً، وأنت قد أعطيته عرضاً أو بلداً يجبيه، ونحو هذا، فكأَنه تعالى قال: ولا أُريد أَن ينفعونِ، فذكر جزءاً من المنافع وجعله دالاًّ على الجميع.

وقرأَ الجميع: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾.

وروى أَبو إِسحاق السَّبيعي، عن عبد الله بن يزيد ـ قال أَبو عمرو الداني ـ: عن ابن مسعود قال: أَقرأَني رسول الله ﷺ: «إني أنا الرزاق»[5] / . [٥/ ١٣٥]

(١) من المطبوع.
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) لم أقف عليه.
(٥) وهي شاذة، انظرها في «جزء فيه قراءات النبي ﷺ» (ص: ١٥٣)، وفيه عبد الرحمن بن يزيد، وفي الأسدية ٣: «عبد الله بن زيد»، والحديث رجاله ثقات، أخرجه أحمد (١/ ٣٩٤-٣٩٧-٤١٨)، وأبو داود (٣٩٩٣)، والترمذي (٢٩٤٠)، والنسائي في الكبرى (٧٦٦٠-١١٤٦٣) من طرق عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن زيد بن قيس النخعي، عن ابن مسعود.

[وقرأ الجمهور ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾، وقرأ ابن محيصن: (هو الرازق)][1].

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿ٱلْمَتِينُ﴾ بالرفع، إِمَّا على أَنه خبر بعد خبر، أَوْ صفة لـ﴿ ٱلرَّزَّاقُ ﴾.

وقرأ يحيى بن وثَّاب، والأَعمش: (المَتِينِ) بالخفض[2] على النعت لـ﴿ٱلْقُوَّةِ ﴾.

وجاز ذلك من حيث إن تأْنيث ﴿ٱلْقُوَّةِ ﴾ غير حقيقي، فكأَنه قال: ذو الأَيْد والحبْل، ونحوُه قوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾[البقرة: ٢٧٥].

وجوز أبو الفتح أن يكون خفض (المتين) على الجوار، والْمَتِينُ: الشديد.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾، يريد تعالى أَهل مكة، وهذه آيةُ وعيدٍ صُراح.

وقرأ الأَعمش: (فَإِنَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا)[3].

والذَّنُوبُ: الحظُّ والنصيب، وأَصله من الدَّلْو، وذلك أَن الذَّنوب هو مِلْءُ الدلو من الماءِ، وقيل: الذَّنوب: الدَّلْوُ العظيمة، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] إِنَّــا إِذَا نَــازَلَــنَـا غَـريـبُ   لَـهُ ذَنُــوبٌ وَلَـنَـا ذَنُــوبُ

فَـإِنْ أَبَـيْـتُـمْ فَـلَـنَـا القَـلِـيـبُ[4]

وهو السَّجْل، ومنه قول عَلْقَمَة بن عبدة:

[الطويل] وَفي كُلِّ حيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ   فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ[5]

---

(١) سقط من المطبوع، وفي الأصل والحمزوية: ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾، وقراءة (هو الرازق) شاذة، انظر عزوها له في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥١٧).

(٢) وهي شاذة، انظرها لهما مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٨٨)، وانظر مختصر الشواذ (ص: ١٤٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥١٧).

(٣) وهي شاذة، لم نجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٤) بلا نسبة في شرح ديوان الحماسة (ص: ٦٤٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠٧).

(٥) وهو من معلقته، عزاه له في الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٧١)، والأصول في النحو (٣/ ٢٧٢)، =

فيروى أَن الملك لما سمع هذا البيت قال: نعم وأَذْنِبَةٌ[١]، ومنه قول حسَّانٍ:

لَا تَبْعَـدَنَّ رَبيعَـةَ بْـنَ مُكَـدَّمٍ وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوب[٢] [الكامل]

و﴿أَصْحَٰبِهِمْ﴾ يريد به من تقدَّم من الأمم المعذبة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ تحقيق للأمر، بمعنى: هو نازل بهم لا محالة في وقته المحتوم فلا يستعجلوه.

وقرأ ابن وثاب: (فلا تستعجلون) بالتاء من فوق، [وبه قرأت فرقة[٣].

والباقون بالياء][٤].

ثم أوجب تعالى لهم الويل من يومهم الذي يأتي فيه عذابهم.

و«الويل»: الشقاء والهم، وروي: أن في جهنم وادياً يسمى ويلاً، والطبري يذهب أبداً إلى أن التوعد إنما هو به[٥]، وذلك في هذا الموضع قلق، لأن هذا الويل إنما هو من يومهم الذي هو في الدنيا، و﴿مِن﴾ لابتداء الغاية.

= والمفضليات (ص: ٣٩٦)، والاختيارين (ص: ٦٥٦)، وإيضاح الشواهد (١/ ١١٠)، والصحاح للجوهري (٣/ ٩٣٩). وفي المطبوع: «كل يوم»، وفي نجيبويه: «حين».

(١) في المطبوع: وأذنُبٌ، انظر: الشعر والشعراء (١/ ٢١٥)، والكامل للمبرد (١/ ١٥٧)، مع عزو البيت.

(٢) انظر عزوه له في غريب الحديث للخطابي (١/ ٣٦٩)، والكامل للمبرد (٤/ ٧٤)، وفيه فأنشد، والأغاني (١٦/ ٦٣)، قال: وقيل: لضرار بن الخطاب الفهري، وفيه أيضاً نسبته: لمكرز بن حفص، وكذا في جمهرة الأمثال (١/ ٤٠٩)، والحماسة البصرية (١/ ٢٣١)، وفي شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١/ ٣٧٥) أنه لحَفْص بن الأخيف الْكِنَانِي، والأكثر أنه لعمرو بن شقيق بن سلامان، كما في معجم الشعراء (ص: ٢٢١)، ونسب قريش (ص: ٤٤١)، وأنساب الأشراف للبلاذري (١١/ ١٣٩)، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (١/ ١٧٦)، وربيعةُ بن مكدم من أجواد العرب المشهورين.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص:٤٤٩).

(٤) زيادة من أحمد٣ ونور العثمانية والمطبوع والأسدية٣. وفي الأسدية٤: «يحيى» بدل «ابن وثاب»، وهو هو.

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٤٩).

وقال جمهور المفسرين: هذا التوعد هو بيوم القيامة.

وقال آخرون ـ ذكره الثعلبي ـ: هو يوم بدر[1].

وفي ﴿يُوعَدُونَ﴾ ضمير عائد؛ التقدير: يوعدون به، أو: يوعدونه.

* * *

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٢٢).



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الطور

هي مكية بإجماع من المفسرين والرواة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ۝١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾.

هذه مخلوقات أقسم الله تعالى بها تنبيهاً منه[1] وتشريفاً، وليكون ذلك سبب النظر فيها والاعتبار بها، وذلك يؤول إلى التوحيد والمعرفة بحقوق الله تعالى.

والطُّور، قال بعض أهل اللغة: كل جبل طور، فكأنه تبارك وتعالى أقسم بالجبال، إذ هو اسم جنس.

وقال آخرون: الطور: كل جبل أجرد لا ينبت شجراً.

وقال مجاهد ـ في كتاب الطبري ـ: الطور: الجبل بالسُّريانية[2]. وهذا ضعيف،

---

(١) «منه» ليست في نور العثمانية، وفي نجيبويه والأصل: «منها»، وفي أحمد٣: «لها».

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٧٦).

لأن ما حكاه في العربية يقضي على هذا، ولا خلاف أن في الشام جبلاً يُسمَّى بالطُّور، وهو طور سيناءَ.

وقال نَوف البِكَالي: إنه الذي أقسم الله تعالى به لفضله على الجبال[١]، إذ قد روي: أن الله تعالى أوحى إلى الجبال أني مُهبط على أحدكم أمري - يريد رسالة موسى عليه السلام -، فتطاولت كلها إلا الطور فإنه استكان لأمر الله تعالى وقال: حسبي الله، فأهبط الله تعالى الأمر عليه[٢]، ويقال: إنه بمدين، وقال مقاتل بن حيان: هما طوران[٣].

و«الكتاب المَسْطور» معناه بإجماعٍ: المكتوب أَسطاراً.

واختلف الناس في هذا الكتاب المقسَم به:

فقال بعض المفسرين: هو الكتاب المنتسخ من اللوح المحفوظ للملائكة لتعرف منه جميع ما تفعله وتصرفه في العالم.

وقال آخرون: بل أقسم الله تعالى بالقرآن، فإنه قد كان علم أنه يتخذ في رَقٍّ منشور.

وقال آخرون: أقسم الله تعالى بالكتب القديمة المنزلة؛ الإنجيل والتوراة والزبور.

وقال الفراء - فيما حكى الرُّمَّاني -: أقسم بالصحف التي تعطى وتؤخذ يوم القيامة بالأيمان والشمائل[٤].

وقال قوم: أقسم بالكتاب الذي فيه أعمال الخلق، وهو الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلَّا أَحصاها.

---

(١) البحر المحيط (٨/ ١٤٣).

(٢) هذه الرواية أخرجها أبو نعيم في الحلية (٦/ ٤٩) من طريق أبي عمران الجوني، عن نوف البكالي قال: أوحى الله إلى الجبال إني نازل على جبل منكم فشمخت الجبال كلها إلا جبل الطور فإنه تواضع وقال: أرضى بما قسم الله لي، قال: فكان الأمر عليه.

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٢٣).

(٤) لم أقف عليه.

وكتب بعض الناس: «مَصْطُورٍ» بالصاد[١]، والقصد بذلك تشابه النطق بالحروف.

والجمهور على السين.

و«الرَّقُّ»: الورق المعدة للكَتْب، وهي مُرَقَّقَة[٢]، فلذلك سُمِّيت رِقّاً، وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان.

و«المنشور» خلاف المطويِّ، وقد يحتمل أن يكون نَشْرُهُ بمعنى: بَشْره وترقيقه وصنعته.

وقرأ أبو السَّمال: (فِي رِقٍّ) بكسر الراء[٣].

واختلف الناس في (البيتِ المعمورِ):

فقال الحسن بن أبي الحسن البصري: هي الكعبة[٤].

وقال علي بن أبي طالب، وابن عباس، وعكرمة: هو بيت في السماء يقال له: الضُّرَاح، وهو بحيال الكعبة، ويقال: الضَّرِيح، ذكر ذلك الطبري[٥].

وهو الذي ذُكر في حديث الإسراء، قال جبريل للنبي ﷺ: «هذا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه، آخِرَ ما عليهم»[٦]. وبهذا عمارته.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في الأصل: «وهو موفقة».

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في البحر المحيط (٩/ ٥٦٦).

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٣٧٨)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٢٤)، وقول عكرمة في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٦).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٦)، وأثر علي رضي الله عنه صحيح أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية (٣٧٣٠)، والطبري في (٢٢/ ٤٥٥)، والضياء في المختارة (٤٣٨) من طريق سماك ابن حرب، عن خالد بن عرعرة، عن علي رضي الله عنه، فذكره بلفظ مطول، وله طرق أخرى عن علي رضي الله عنه، أما أثر عبد الله بن عباس فقد أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٦٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾. قال: هو بيتٌ حِذاء العرش تعمره الملائكة، يصلي فيه كل ليلة سبعون ألفاً من الملائكة، ثم لا يعودون إليه.

(٦) متفق عليه، هذا الحديث جزء من حديث الإسراء، أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ويروى: أنه في السماء السابعة، وقيل: السادسة[١].

وقيل: إنه مقابل الكعبة، لو خرَّ لسقط عليها.

وقال مجاهد، وقتادة، وابن زيد: في كل سماءٍ بيت معمور، وفي كل أرض كذلك[٢]، وهي كلها على خط مع الكعبة، وقاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣].

و(السَّقفُ المرفوع): السماء، والسَّقْفُ طول في انحناءٍ، ومنه: أسقف النصارى، ومنه السَّقْف؛ لأن الجدار وسَقْفه فيهما طول في انحناءٍ.

[٥/ ١٣٦] واختلف الناس في / ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾:

فقال مجاهد وشِمْر بن عطية: معناه: الموقد ناراً[٤]، وروي: إن البحر هو جهنم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليهودي: أين جهنم؟ فقال: هي البحر، فقال علي: ما أظنه إلا صادقاً، وقرأ: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾[٥].

ومنه: ما روي عن النبي ﷺ: «إن البحر طَبَقُ جهنم»[٦].

---

(١) جاء هذا في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرج الطبري (٢١/ ٥٦٣) من طريق شعبة، عن سماك، عن خالد بن عرعرة قال: سمعت علياً، وخرج إلى الرحبة، فقال له ابن الكَوَّاء أو غيره: ما البيت المعمور؟ قال: بيت السماء السادسة، يقال له: الضُّرَاح. يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون فيه أبداً.

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٦-٤٥٧).

(٣) لم أقف على هذا القول.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٨-٤٥٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٢٤).

(٥) صحيح، أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٥٨)، والبيهقي في البعث (٤٥٠) من طريق داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب عنه.

(٦) ضعيف، هذا الحديث أخرجه أحمد (٢٩/ ٤٧٨) عن أبي عاصم، والطبري (١٢/ ١٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩٦)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٣٤) وغيرهم من طريق أبي عاصم، عن عبد الله بن أمية، عن محمد بن حيي، عن صفوان بن يعلى، عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: «البحر هو جهنم» قالوا ليعلى، فقال: ألا ترون أن الله عز وجل يقول: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾. قال: لا، والذي نفس يعلى بيده، لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله عز وجل، ولا يصيبني منها قطرة =

قال الثعلبي: وروي أن النبي ﷺ قال: «لا يركبنَّ البحرَ إلا حاجٌّ أو معتمر أو مجاهد، فإن تحت البحر ناراً» وفي حديث آخر: «فإن البحر نار في نار»[1].

وقال قتادة: المسجور: المملوءُ ماءً[2]، وهذا معروف من اللغة، ورجَّحه الطبري لوجود ماءِ البحر كذلك[3]، ولهذا يعود القول الأول، لأن قولهم: سَجَرْت التَّنُّور معناه: ملأتها بما يحترق ويتقد، والبحر المسجور: المملوء ماءً، وهكذا هو معرض للعبرة، ومنه قول النَّمر بن تَوْلَب:

إِذَا شَـــاءَ طَـالَـعَ مَـسْـجُـورَةً ... تَـرَى حَوْلَهَـا النَّبْـعَ والسَّمسـما [المتقارب]
سَـقَـتْـهَـا رَوَاعِـدُ مِـنْ صَيِّـفٍ ... وَإِنْ مِـنْ خَرِيـفٍ فَلَـنْ يَعْدَمَا[4]

يصف ثوراً وعيناً مملوءَة ماءً.

= حتى ألقى الله عز وجل. ومحمد بن حيي مجهول، وسقط من سند الحاكم محمد بن حيي، وسقط من إسناد البيهقي في السنن «عبد الله ابن أمية».

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٢٥)، والحديث ضعيف، أخرجه سعيد بن منصور في السنن (٢٣٩٣)، ومن طريقه أبو داود (٢٤٨٩)، والطبراني في الكبير (١٤٤٩٩)، والجصاص في أحكام القرآن (١/ ١٣١)، والبيهقي في البعث والنشور (٤٥٣) عن إسماعيل بن زكريا، عن مطرف، عن بشر أبي عبد الله، عن بشير بن مسلم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يركب البحر إلا حاج، أو معتمر، أو غاز في سبيل الله، فإن تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً». وبشر، أبو عبد الله الكندي، وبشير بن مسلم أبي عبد الله الكندي مجهولان، وقال البخاري: لم يصح حديثه يعني حديث بشير بن مسلم هذا، وقال ابن عبد البر: حديث ضعيف مظلم الإسناد لا يصححه أهل العلم بالحديث لأن رواته مجهولون لا يعرفون.اهـ انظر التمهيد (١/ ٢٤٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٧٩)، والثعلبي (٩/ ١٢٥). و«ماء» ليست في الأصل والأسدية٣، ونور العثمانية.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٩).

(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٣٠)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٢٣)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٤٦٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٢٥)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٦)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٩٤٩)، وشرح أدب الكاتب (ص: ٢٩)، قال: المسجورة: عين مملوءة، والنبع: شجر تعمل منه القسي، والسأسم: قيل شجر الآبنوس، والتطلع: التشوف. ووقع في المطبوع: «السماسما»، وهو خطأ.

وقال ابن عباس: المسجور: هو الذي ذهب ماؤُه[١]، فالمسجور: الفارغ.

ويُروى: أَن البحار يذهب ماؤُها يوم القيامة، [وهذا معروف في اللُّغة، فهو من الأَضداد][٢].

وقيل: يوقد البحر ناراً يوم القيامة، فذلك السَّجْرُ.

وقال ابن عباس أَيضاً: الْمَسْجُور: المحبوسُ[٣]، ومنه: ساجور الكلب، وهو: القلادة من عود أَو حديد التي تمسكه، وكذلك لولا أَن البحر يُمْسَك لفاض على الأَرض.

وقال علي بن أَبي طالب، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: البحر المُقْسم به: هو في السماءِ تحت العرش[٤].

والجمهور على أَنه بحر الدنيا، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

وقال منذر بن سعيد: المعنى: هو القسم بجهنم، وسمَّاها بحراً لِسَعَتها وتموجها، كما قال ﷺ في الفرس: «وإنْ وجدناه لَبحراً»[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٥٦٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (سجره) حين يذهب ماؤه ويفجر.

(٢) سقط من الأصل، وانظره مع القول الذي بعده في تفسير الطبري (٢١/ ٥٦٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٥٩)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٥) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن ابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره.

(٤) أثر علي أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٦٠) عن محمد بن حميد الرازي، عن مهران، عن سفيان، عن إسماعيل ابن أبي خالد، عن أبي صالح، عن علي: قال: بحر في السماء تحت العرش، ومحمد بن حميد متفق على ضعفه، وأما أثر عبد الله بن عمرو فأخرجه أيضاً (٢٢/ ٤٦١) عن محمد بن حميد الرازي، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو والبحر المسجور قال بحر تحت العرش.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٦٢٧)، ومسلم (٢٣٠٧) من حديث أنس: كان فزع بالمدينة، فاستعار النبي ﷺ فرساً من أبي طلحة يقال له المندوب، فركب، فلما رجع قال: «ما رأينا من شيء، وإن وجدناه لبحراً».

والقَسَم واقع على قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾، ويريد عذاب الآخرة للكفار، قاله قتادة، والعامل في ﴿يَوْمَ﴾: (وَاقـعٌ)، ويجوز أَن يكون العامل فيه ﴿دَافِعٍ﴾[١]، والأَول أَبين.

قال مكيٌّ: لا يعمل فيه ﴿دَافِعٍ﴾[٢].

و﴿تَمُورُ﴾ معناه: تذهب وتجيءُ بالرياح متقطِّعة متفتِّتة، والغبارُ الموَّارُ: الذي يجتمع ويذهب ويجيءُ بالرياح ثم هو كلُّه إِلى ذهاب، ومنه قول الأَعرابي: وَغَادَرَت التُّرَابَ مَوْراً[٣]، يصف سنة قحطٍ، وأَنشد معمر بن المثنى بيت الأعشى:

.... مَوْرُ السَّحابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ[٤] [البسيط]

أَراد: مُضِيَّها.

وقال الضحاك: ﴿تَمُورُ﴾: تموج، وقال مجاهد: تدور[٥]، وقال ابن عباس: تشقق[٦].

وهذه كلها تفاسير بالمعنى؛ لأَن السماءَ العلو يعتريها هذا كله.

و«سَيْرُ الجبال»: هو في أَول الأَمر ثم تَتَفَتَّت أَثناءَ السير حتى تصير آخِراً كالعِهْن المنفوش.

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٤).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أمالي القالي (١/ ١١٤).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٣١)، وصدره: كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا، وانظر عزوه له أيضاً في: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٧١)، وغريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٢٧٤)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٤٦١)، والصحاح للجوهري (٢/ ٨٢٠).

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٦٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٧٩).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٦٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره.

والفاءُ في قوله: ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ عاطفة جملة على جملة، وهي تتضمن ربط المعنى وتأْكيدَه وإِثباتَ الويل للمكذِّبين.

و«الوَيْلُ»: السوءُ والمشقة والهمُّ الأَطول، ويروى: أَن في جهنم وادياً يُسمَّى وَيْلاً.

و«الخَوْضُ»: التخبُّط في الأَباطيل، يُشَبَّه بخوض الماءِ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ [الأنعام: ٦٨].

و﴿ يَوْمَ ﴾ الثاني بدل من ﴿يَوْمَئِذٍ ﴾.

و﴿يُدَعُّونَ ﴾؛ قال ابن عباس وغيره: معناه: يدفعون في أَعناقهم بشدَّة وإِهانة وتَعْتَعَة[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ [الماعون: ٢].

وفي الكلام محذوف مختصر، تقديره: يقال لهم: هذه النَّارُ، وإِخبارهم بهذا على جهة التوبيخ والتقريع.

وقرأَ أَبو رجاءٍ العُطَارِدي: (يوم يُدْعَون) من الدعاءِ، بسكون الدال وفتح العين[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾.

لمَّا قيل لهم: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ﴾ وُقِفُوا بعد ذلك على الجهتين اللتين يمكن منهما

---

(١) صحيح بمجموع طرقه، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٦٤) من طريق قابوس، عن أبيه أبي ظبيان، وابن جرير أيضاً (٢١/ ٥٧٥)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٥) من طريق علي ابن أبي طلحة، وابن جرير أيضاً من طريق عطية العوفي ثلاثتهم ـ أبو ظبيان، وعلي بن أبي طلحة، وعطية العوفي ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، بألفاظ مطوله ومختصرة.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير الثعلبي (٩/ ١٢٧).

دخول الشك في أَنها النار، وهي: إِمَّا أَن يكون ثَمَّ سِحْرٌ يُلَبِّس ذات المرئي، وإِمَّا أَن يكون في بصر الناظر اختلال، وأَمرُهم بِصَلْيها على جهة التقريع.

ثم قيل لهم على جهة قطع رجائهم: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ أَي: عذابكم حَتْم؛ فسواءٌ جزعكم وصبركم، لا بد من جزاءِ أَعمالكم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾ الآيات، يحتمل: أَن يكون من خطاب أَهل النار، فيكون إِخبارهم بذلك زيادة في غمِّهم وسوءِ حالهم.

ويحتمل ـ وهو الأَظهر ـ: أَن يكون إِخباراً لمحمد ﷺ ومعاصريه، لما فرغ من ذكر عذاب الكفَّار عقَّب ذلك بنعيم المتَّقين؛ ليبين الفرق، ويقع التحريض على الإِيمان.

و«الـمُتَّقُونَ» هنا: هم مُتَّقُو الشِّرك؛ لأَنهم لا بُدَّ من مصيرهم إِلى الجنَّات، وكلما زادت الدرجة في التَّقوى قَوِيَ الحصول في حكم الآية، حتى إن المتَّقين على الإِطلاق هم في حكم الآية قطعاً على الله تعالى بحكم خبره الصَّادق.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَٰكِهِينَ﴾، ومعناه: فرحين مسرورين.

وقال أَبو عبيدة: هو من باب: لابِنٍ، وتامِرٍ؛ أَي: لهم فاكهة. والمعنى الأَول أَبرع[1].

وقرأَ خالد فيما حكى أَبو حاتم: ﴿فَكِهِينَ﴾، والفَكِهُ والفَاكِهُ: المسرور المتنعِّم[2].

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾؛ أَي: من إِنعامه ورضاه عنهم.

وقوله: [﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾، هذا متمكن في مُتَّقي المعاصي الذي لا يدخل النار، ويكون في مُتَّقي الشِّرك الذي ينفُذ عليه الوعيد؛ بمعنى][3]: ووقاهم ربهم عذاب الخلود في الجحيم.

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٣٢). وفي حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «أبدع» بدل «أبرع».

(٢) وهي عشرية لأبي جعفر، كما في النشر (٢/ ٣٥٤).

(٣) سقط من الأصل.

ويحتمل أَن يكون الْجَحِيم من طبقات جهنَّم ليست بمأْوى العصاة من المؤمنين، بل هي مختصة بالكفرة، فهم وإِن عُذِّبوا في نار، فليسوا في عذاب الجحيم.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾ بتخفيف القاف، وقرأَ أَبو حيوة بتشديدها على المبالغة[١].

وذلك كله مُشْتَقٌّ من الوقاية وهي: الحائل بين الشيءِ وبين ما يضره.

والمعنى: يقال لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾، و﴿هَنِيٓـًٔا﴾ نصب على المصدر.

[٥/ ١٣٧] وقوله / تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ معناه: أَنَّ رُتَبَ الجنة ونعيمها هي بحسب الأَعمال، وأَمَّا نَفْس دخولها فهو برحمة الله تعالى وتغمُّده، والأَكل والشرب والتَّهنِّي ليس من الدخول في شيءٍ، وأَعمال العباد الصَّالحة لا توجب على الله تعالى التنعيم إِيجاباً، لكنه سبحانه قد جعلها أَمَارَةً على مَنْ سَبق في علمه[٢] تنعيمه، وعلَّق الثواب والعقاب بالتكسُّب الذي في الأَعمال.

وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصب على الحال، على حدِّ قوله تعالى: ﴿فَٰكِهِينَ﴾، والعامل في هاتين الحالتين الفعل مقدر في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾، ويجوز غير هذا، وفي ذلك نظر.

وقرأَ أَبو السَّمال: (على سُرَرٍ) بفتح الرَّاءِ الأُولى[٣].

﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ معناه: جعلنا لكل فرد منهم زوجاً.

و(الحُور) جمع حَوْراءَ، وهي البيضاءُ القوية بياضَ بَيَاضِ العَيْن وسوادَ سوادِها.

و(العِينُ) جمع عَيناءَ، وهي الكبيرة[٤] العينين مع جمالهما.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الكامل للهذلي (ص: ٦٣٥).

(٢) «في علمه» ليست في الأصل.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص:٤٥٠).

(٤) في المطبوع: «هو الكسيرة».

وفي قراءَة ابن مسعود وإِبراهيم النَّخَعي: (وزوجناهم بعيسٍ عينٍ)، قال أَبو الفتح: العَيْسَاءُ: البيضاءُ[١].

وقرأَ عكرمة: (وَزَوَّجْنَاهُمْ حُوراً عِيناً)[٢].

وحكى أَبو عمرو عن عكرمة أَنه قرأَ: (بعيسِ عينٍ) على إِضافة (عِيسٍ) إِلى (عِينٍ)[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾.

قرأَ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وطلحة، والحسن، وقتادة، وأَهل مكة: ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

وقرأَ نافع، وأَبو جعفر، وابن مسعود بخلاف عنه، وشيبة، والجَحْدري، وعيسى: ﴿واتَّبَعَتْهم ذُرِّيَّتُهُم بإيمان ألحقنا بهم ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾، وروى خارجة عنه مثل قراءَة حمزة.

وقرأَ ابن عامر، وابن عباس، وعكرمة، وابن جُبَيْر، والضحاك: ﴿واتَّبعتْهم ذُرِّيَّاتُهُمْ بإيمان ألحقنا بهم ذرِّياتِهمْ﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٢٨٩).

(٢) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً وخلفاً، وإنما ورد النصب في (سورة الواقعة) عن ابن مسعود وأُبي كما سيأتي.

(٣) وهي شاذة، ولعل فيها وهماً أيضاً، فقد عزاها له هنا في مختصر الشواذ (ص: ١٤٦)، والبحر المحيط (٩/ ٥٧٠)، بلفظ (بحور عين)، ومثله له في المحتسب (٢/ ٢٦٠)، في (الدخان)، وذكر هنالك الإضافة في (بعيس) عن ابن مسعود، ولم أجد من نقلها عن الداني.

وقرأ أبو عمرو، والأعرج، وأبو رجاء، والشعبي، وابن جبير، والضحاك: ﴿وأَتْبَعْنَاهم ذُرِّياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذُرِيَّاتهم﴾[١]، فكون «الذُّرِّيَّة» جمعاً في نفسه حسُن الإِفراد في هذه القراءَات، ولكون المعنى يقتضي انتشاراً وكثرةً حسُن جمع الذُّرِّيَّة في قراءَة من قرأَ: ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾.

واختلف الناسُ في معنى الآية: فقال ابن عباس، وابن جُبَيْر، والجمهور: أخبر الله تعالى أَن المؤمنين الذين تتَّبعهم ذرِّيَّتهُمْ في الإِيمان فيكونون مؤمنين كآبائهم ـ وإِن لم يكونوا في التقوى والأَعمال كالآباءِ ـ فإِنه يُلْحِق الأَبناءَ بمراتب أُولئك الآباءِ كرامةً للآباءِ[٢].

وقد ورد في هذا المعنى حديث عن النبي ﷺ، فجعلوا الحديث تفسير الآية، وكذلك وردت أَحاديث تقتضي أَن الله تعالى يرحم الآباءَ رعياً للأَبناءِ الصالحين[٣].

وذهب بعض الناس إِلى إِخراج هذا المعنى من هذه الآية، وذلك لا يترتب إِلَّا بأَن يجعل اسْمَ «الذُّرِّيَّة» بمثابة نوعهم على نحو ما في قوله تعالى: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]. وفي هذا نظر.

وقال ابن عباس أَيضاً والضحاك: معنى هذه الآية: أَن الله تعالى يُلحق الأَبناءَ الصغار بأَحكام الآباءِ المؤمنين[٤]؛ يعني: في الموارثة والدفن في قبور الإِسلام، وفي أحكام الآخرة في الجنة.

---

(١) هذه أربع قراءات سبعية، انظر التيسير (ص: ٢٠٣)، والنشر (٢/ ٣٧٧)، ومع رواية خارجة في السبعة (ص: ٦١٢).

(٢) صحيح، أخرجه هناد في الزهد (١٧٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ١٠٥)، والطبري (٢٢/ ٤٦٧) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٦٨) من طريق شعبة، عن عمرو بن مرة، عن ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه. وقول ابن جبير في الطبري (٢٢/ ٤٦٧).

(٣) انظر الدر المنثور (١٣/ ٧٠٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٦٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره، وقول الضحاك في تفسير الثعلبي (٩/ ١٢٧).

وحكى أَبو حاتم عن الحسن أنه قال: الآية في الكبَار من الذُّرِّيَّة، وليس فيها من الصغار شيءٌ، وقال منذر بن سعيد: هي في الصغار لا في الكبار[١].

وحكى الطبري قولاً معناه: أَن الضمير في قوله تعالى: ﴿بِهِمْ﴾ عائد على «الذُّرِّيَّة»، والضمير الذي بعده في ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ عائد على ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ أَي: اتَّبعتهم الكبار وأَلْحقنا نحن بالكبار الصغار[٢]. وهذا قولٌ مستكره.

وقوله تعالى: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ هو في موضع الحال، فمن رأَى أَن الآية في الأَبناءِ الصغار، فالحال من الضمير في قوله تعالى: (اتَّبَعَتْهُم)، فهو من المفعولين.

ومَنْ رأَى أَن الآية في الأَبناءِ الكبار فيحتمل أَن يكون الحال من المفعولين.

ويحتمل أَن يكون من المتَّبِعين الفاعلين.

وأرجح الأَقوال في هذه الآية القول الأَول؛ لأَن الآيات كلها في صفة إِحسان الله تعالى إِلى أَهل الجنة، فذكر من جملة إِحسانه أَنه يرعى المُحْسِن في المسيءِ، ولفظة ﴿أَلْحَقْنَا﴾ تقتضي أَن للمُلْحَق بعض التقصير في الأَعمال.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿أَلَتْنَٰهُم﴾ بفتح اللام من: أَلَتَ.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو يحيى[٣]، وشبل: ﴿أَلِتْنَاهُمْ﴾ من: أَلِتَ، بكسر اللام[٤].

وقرأَ الأَعرج: (وَمَا آلَتْنَاهُمْ) على وزن: أَفْعَلْنَاهُمْ.

وقرأَ أبي بن كعب، وابن مسعود: (لِتْنَاهُمْ) من: لات، وهي قراءَة ابن مصرف، ورواها القوَّاسُ عن ابن كثير[٥].

---

(١) انظر القولين في البحر المحيط (٩/ ٥٧١).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٦٩).

(٣) قال في غاية النهاية (٢/ ٤٠٩): أبو يحيى البَطيح بفتح الموحدة وياء آخر الحروف وحاء مهملة وهو مجهول، روى القراءة عن محمد بن برغوث القروي، وفي القراء من يكنى أبا يحيى غيره لكنهم بأسمائهم أشهر.

(٤) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦١٢).

(٥) وهاتان شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢/ ١٨٩)، والثانية في معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٢).

وتحتمل قراءَة من قرأَ: ﴿أَلَتْنَاهُم﴾ بفتح اللام أَن تكون من: أَلات، فإِنه يقال: أَلاتَ يُليتُ إِلَاتَةً، ولَاتَ يَليتُ لَيتاً، وآلَتَ يُؤلِتُ إِيلاتاً، وأَلِتَ يأْلَتُ، وأَلَتَ يَأْلِتُ إِلْتاً، وَوَلَتَ يَلِتُ وَلْتاً، كلها بمعنى: نقص[1].

ومعنى هذه الآية: أَن الله تعالى يُلحق المقصِّر بالمحسن، ولا يُنقص المحسنَ من أَجره شيئاً، وهذا تأْويل ابن عباس، وابن جُبَير، والجمهور.

ويحتمل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أَن يريد: من عملهم الحسن والقبيح، ويكون الضمير في ﴿عَمَلِهِم﴾ عائداً على الأَبناءِ، وهذا تأْويل ابن زيد[2]، ويُحَسِّن هذا الاحتمال قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾، والرَّهين: المُرْتَهَنُ.

وفي هذه الأَلفاظ وعيد.

وحكى أَبو حاتم عن الأَعمش أَنه قرأَ: (وَمَا لَتْنَاهُمْ) بغير أَلف وبفتح الَّلام[3].

قال أَبو حاتم: لاتجوز هذه القراءَة على وجه من الوجوه.

و«أَمْدَدْتُ الشَّيْءَ»: إِذا سربتَ إِليه شيئاً آخر يكثِّره أَو يكثر لديه.

وقوله تعالى: ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ إِشارة إِلى ما روي من أَن المُنَعَّم إِذا اشتهى لحماً نزل ذلك الحيوان بين يديه على الهيئة التي اشتهاه فيها، وليس يكون في الجنة لحم يَخْنَز، ولا يتكلف فيه الذبح والسلخ والطبخ، وبالجملة لا كلفة في الجنة/ . [٥/ ١٣٨]

و﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ معناه: يتعاطون، ومنه قول الأَخطل:

[البسيط] نَازَعْتُـهُ طَيِّـبَ الـرَّاحِ الشَّـمولِ وَقَـدْ صَاحَ الدَّجاجُ وَحانَتْ وَقْعَةُ السَّاري[4]

---

(١) في المطبوع: «بمعنى بعض».
(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٦٩).
(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في الكامل للهذلي (ص: ٤٠٢).
(٤) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٣٢)، والكامل للمبرد (١/ ٩٠)، والأغاني (١٥/ ١٠١)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٤٧٤).

و«الكَأْسُ»: الإِناءُ وفيه الشراب، ولا يقال في فارغ: كأْسٌ، قاله الزجاج[١].

وقرأ الجمهور من السبعة وغيرهم: ﴿لَّا لَغْوٌ﴾ بالرفع ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ كذلك.

وقرأ ابن كثير، وأَبو عمرو، والحسن: (لَا لَغْوَ فِيها ولَا تأثيمَ) بالنصب على التبرية[٢].

وعلى الوجهين؛ فقوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ هو موضع الْخَبَر، وأَغْنَى خبر الأَول عن ذكر خبر الثاني.

و«اللَّغْوُ»: السَّقْط من القول، و«التَّأْثيم» يلحق خمر الدنيا في نفس شُرْبها وفي الأَفعال التي تكون من شُرَّابها، وذلك كله مرتفع في الآخرة.

و«اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ»: أَجمل اللُّؤْلُؤ؛ لأَن الصَّوْن والكِنَّ يُحَسِّنه.

وقال ابن جبير: أَراد أنه الذي في الصَّدف لم تَنَلْهُ الأَيدي[٣].

وقيل للنبي ﷺ: إِذا كان الغلمان كاللؤلؤ المكنون، فكيف المخدومون؟ فقال ﷺ: «هم كالقمر ليلة البدر»[٤].

ثم وصف تعالى عنهم أَنهم في جملة تَنَعُّمهم ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾؛ أَي: عن أَحوالهم وما نال كل واحد منهم، وأَنهم يتذكرون حال الدنيا وخشيتهم فيها عذاب الآخرة.

وحكى الطبري عن ابن عباس قال: تساؤُلهم إِذا بُعثوا في النفخة الثانية[٥].

و«الإِشفاقُ» أَشد الخشية ورقَّة القلب.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٥٨).

(٢) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦١٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥١٨).

(٣) تفسير الماوردي (٥/ ٤٨).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٨)، والطبري (٢٢/ ٤٧٦) من طريق معمر، عن قتادة، مرسلاً بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٥٩٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره.

وقد قرأَ أَبو حيوة: (وَوَقَّانَا) بتشديد القاف، وقرأَ الجمهور بتخفيفها، وأَمال عيسى الثقفي ﴿وَقَانَا﴾ بتخفيف القاف[١].

و﴿ٱلسَّمُومِ﴾: الحارُّ، قال الرُّمَّاني: هو الذي يبلغ مَسامَّ الإِنسان[٢]، وهو النار في هذه الآية، وقد يقال في حرِّ الشمس وفي الريح: سَمُوم، وقال الحسن: السَّمُوم اسم من أَسماءِ جهنم.

و﴿نَدۡعُوهُ﴾ يحتمل أَن يريد: نعبده[٣]، ويحسن هذا على قراءَة من قرأَ: ﴿أَنَّهُۥ﴾ بفتح الأَلف، وهي قراءَة نافع بخلاف، والكسائي، وأَبي جعفر، والحسن، وأَبي نوفل؛ أَي: من أَجل أَنه.

وقرأَ باقي السبعة، والأَعرج، وجماعة: ﴿إِنَّهُۥ﴾ على القطع والاستئناف[٤].

ويحسن مع هذه القراءَة أن يكون ﴿نَدۡعُوهُ﴾ بمعنى: نعبده، أَو بمعنى الدعاءِ نفسه، ومن رأَى ﴿نَدۡعُوهُ﴾ بمعنى الدعاءِ نفسه فيحتمل أَن يجعل قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ﴾ بالفتح هو نفس الدعاءِ الذي كان في الدنيا.

و﴿ٱلۡبَرُّ﴾: هو الذي يَبرُّ ويُحْسن، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

[البسيط] جَاءَتْ منَ الْبِيضِ زُعْراً لَا لبَاسَ لَهَا إِلَّا الـدِّهَـاسُ وأُمٌّ بَــرَّةٌ وأَبُ[٥]

---

(١) قراءة أبي حيوة شاذة، كما تقدم عن الكامل للهذلي (ص: ٦٣٥)، وأما الإمالة فسبعية لحمزة والكسائي، وقلل ورش بخلفه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٠).

(٤) سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٣)، والنشر (٢/ ٣٧٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥١٦)، وخلاف نافع في السبعة (ص: ٦١٣).

(٥) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ٧٤٤)، وأمالي القالي (١/ ٣٤)، والمحكم (٤/ ٢١٣)، وتاريخ دمشق (٤٨/ ١٧٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

هذا أَمر لرسول الله ﷺ بالدعاءِ إِلى الله تعالى ومتابعة نشر الرسالة، ثم قال تعالى مؤنساً له عليه الصلاة والسلام: فما أنت بإِنعام الله تعالى عليك ولطفه بك كاهن ولا مجنون، وكانت العرب قد عهدت ملابسة الجنِّ الإِنْسَ بهذين الوجهين، فنسبت محمداً ﷺ إِلى ذلك، فنفى الله تعالى عنه ذلك.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ الآية؛ رُوي: أَن قريشاً اجتمعت في دار النَّدوة، فكثرت آراؤُهم في محمد ﷺ، حتى قال قائل منهم: تربَّصوا به ريب المنون فإِنه شاعر سيهلك كما هلك زهير والنَّابغة والأَعشى وغيرهم، فافترقوا على هذه المقالة، فنزلت الآية في ذلك[1].

و«التَّرَبُّص»: الانتظار، ومنه قول الشاعر:

تَرَبَّصْ بهَا رَيْبَ الْمَنُونِ لَعَلَّهَا ... تُطَلَّقُ يَوْماً أَوْ يَمُوتُ حَلِيلُهَا[2] [الطويل]

وأَنشد الطَّبريّ:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٧٩) من طريق ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره بنحوه.
وهو في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٠-٤٨١) قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم من أصحابنا، عن عبد الله بن أبي نجيح، به.

(٢) البيت لفراص بن عتبة الأزدي كما في معجم الشعراء (ص: ٣١٩)، ومحاضرات الأدباء (٢/ ٢٣٠)، وجاء في مصارع العشاق (٢/ ١٥٨)، والجليس الصالح الكافي (ص: ١٢٢) لحمدان البرتي، ولعله إنشاد.

[الطويل] .... لَعَلَّهَا سَيَهْلِكُ عَنْهَا زَوْجُهَا أَوْ سَتجْنَحُ[(١)]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ﴾ وعيدٌ في صيغة أمر.

و﴿ٱلْمَنُونِ﴾ من أَسماءِ الموت، وبه فسَّر ابن عباس، ومن أَسماءِ الدَّهر، وبه فسَّر مجاهد[(٢)].

وقال الأَصمعي: ﴿ٱلْمَنُونِ﴾ واحد لا جمع له، وقال الأَخفش: هو جمع لا واحد له[(٣)].

قال القاضي أَبو محمد: و«الرَّيْب» هنا: الحوادث والمصائب؛ لأَنها تريب من نزلت به، ومنه قول النبي ﷺ في أَمر ابنته فاطمة حين ذُكر أَن علياً يتزوج بنت أَبي جهل: «إِنما فاطمة بَضعة مني يُريبُني ما أَرابَها»[(٤)]، يقال: أَرابَ وَرَابَ، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... فَقَدْ رَابَنِي منْهَا الْغَدَاةَ سُفُورُهَا[(٥)]

وقول الآخر:

[المتقارب] وَقَدْ رابَنِي قَوْلُهَا يَا هَنَاهُ[(٦)] ....

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧٩)، وفيه: أو تسرح، وهي رواية أخرى في البيت.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٨٤)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٠١).

(٣) انظر قول الأصمعي في شرح المعلقات التسع (ص: ٢٣)، ومع قول الأخفش في الهداية (١١/ ٧١٣٠)، والمخصص (٢/ ٧٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٧٢٩)، ومسلم (٢٤٤٩) من حديث المسور بن مخرمة قال: إن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله ﷺ، فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل، فقام رسول الله ﷺ، فسمعته حين تشهد، يقول: «أما بعد، أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله، عند رجل واحد»، فترك علي الخطبة.

(٥) وصدره: وَكُنْتُ إذا ما جِئْتُ لَيْلَى تَبَرْقَعَتْ، وهو لتوبة الحميِّر، انظر العين (٧/ ٢٤٦)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٢٣٣)، وإسفار الفصيح (١/ ٤٣٣)، والشعر والشعراء (١/ ٤٣٦)، وأمالي القالي (١/ ٨٨)، والأغاني (١١/ ٢١١)، وأشعار النساء للمرزباني (ص: ٤٤).

(٦) تمامه: وَيَحكَ أَلحقْتَ شـرّاً بِشرّ، وهو لامرئ القيس كما في الوساطة (ص: ٤٦٣)، واللباب للعكبري (٢/ ٣٤٤).

وأَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بتوعُّدهم بقوله تعالى: ﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بِهَٰذَآ﴾ يحتمل أَن يشير إِلى هذه المقالة: هو شاعر.

ويحتمل أَن يشير إِلى ما هم عليه من الكفر وعبادة الأَصنام.

و«الأَحلام»: العقول.

و﴿أَمۡ﴾ المتكررة في هذه الآية قدَّرها بعض النُّحاة بأَلف الاستفهام، وقدَّرها مجاهد بـ«بَلْ»(١).

والنظر المحرَّر في ذلك: أَن منها ما يتقدَّر بـ«بل» والهمزة، على حدِّ قول سيبويه في قولهم: إِنَّهَا لإِبِلٌ أَمْ شَاءٌ(٢)، ومنها ما هي معادلة، وذلك قوله تعالى: ﴿أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾.

وقرأَ مجاهد: (بل هم قوم طاغون)(٣)، وهو معنى قراءَة الناس، إِلاَّ أَن العبارة بـ﴿أَمۡ﴾ خرجت مخرج التوقيف والتوبيخ.

وحكى الثعلبي عن الخليل أَنه قال: ما في سورة الطُّور من ﴿أَمۡ﴾ كلُّه استفهام، وليس بعطف(٤).

و﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾ معناه: قال عن الغير: إِنه قاله، فهي عبارة عن كذب مخصوص.

ثم عجَّزهم تعالى بقوله: ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ﴾، والمماثلة المطلوبة منهم هي في النظم والرصف والإِيجاز، واختلف الناس، هل كانت العرب قادرة على الإِتيان بمثل القرآن قبل مجيءِ محمد ﷺ؟ فقال شُذَّاذٌ يُسَمَّوْن أَهل الصرفة: كانت قادرة وصُرفت.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٠).

(٢) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٧٢).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: المحتسب (٢/ ٢٩٠).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٢).

وقال الجمهور: لم تكن قطُّ قادرة، ولا في قدرة البشر أَن يأْتي بمثله؛ لأَن البشر لا يفارقه النسيان والسهو والجهل، والله تعالى محيط علمُه بكل شيءٍ، فإذا ترتبت اللَّفظة في القرآن عَلِم بالإِحاطة التي تصلح أَن تَلِيهَا ويَحْسُن معها المعنى، وذلك متعذر في البشر[1].

والهاءُ في ﴿مِّثۡلِهِۦٓ﴾ عائد على القرآن.

[٥/ ١٣٩] وقرأَ الجحدري: / ﴿بحديثِ مِثْلِهِ﴾ بإِضافة «الحديث» إِلى «مِثْلِهِ»[2]، فإِنها ـ على هذا ـ عائدة على محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ﴾، قال الطبري: معناه: أَمْ خُلِقُوا خَلْق الجماد من غير حَيٍّ فهم لا يُؤْمرون ولا يُنْهون كما هي الجمادات عليه؟[3]

وقال آخرون: معناه: أم خُلقوا من غير علَّة ولا لغايةِ عقاب ولا ثواب، فهم لذلك لا يسمعون ولا يتشرَّعون؟ وهذا كما تقول: فعلتُ كذا وكذا من غير علَّة؛ أَي: لغير علَّة.

ثم وقفهم تعالى على جهة التوبيخ على أَنفسهم، أَهم الذين خَلَقوا الأَشياءَ فهم لذلك يتكبَّرون؟ ثم خصَّص تعالى من الأَشياءِ السماوات والأَرض لعظمها وشرفها في المخلوقات، ثم حكم تعالى عليهم بأَنهم لا يوقنون ولا ينظرون نظراً يؤدِّيهم إِلى اليقين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ٣٧ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٣٨ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ٣٩ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٠ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤١ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ٤٢ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٣ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ٤٤﴾.

(١) تقدم الكلام على هذا المبحث في موضعه في (سورة الإسراء).
(٢) انظر المحتسب (٢/ ٢٩١)، وانظر تفسير القرطبي (١٧/ ٧٣).
(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٧٨) بتصرف.

قوله تعالى: ﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ ﴾ بمنزلة قوله تعالى: أم عندهم الاستغناءُ عن الله تعالى في جميع الأُمور؟ لأَن المال والصحة والقوة وغير ذلك من الأَشياءِ كلها مِنْ خزائن الله تعالى.

قال الزهراوي: وقيل: يريد بالخزائن: العلم، وهذا قول حسنٌ إِذا تُؤُمِّل وبُسط.

قال الرُّمَّاني: خزائنه تعالى: مقدوراته[١].

و(المُصَيْطِرُ): المُسَلَّط القاهر، وبذلك فسَّر ابن عباس[٢]. وأَصله بالسِّين، ولكن كتبه بعض الناسِ وقرأَه بالصَّاد مراعاة للطَّاءِ ليتناسب النُّطق[٣].

وحكى أَبو عبيدة: تسيطرتَ عليَّ: إِذا اتخذتني خَوَلاً[٤].

و«السُّلَّم»: السبب الذي يصعد به، كان ما كان؛ من خشب أَو بناءٍ أَو حبال أَو غيره، ومنه قول ابن مُقْبل:

لَا تُحْرِزُ الْمَرْءَ أَحْجَاءُ الْبِلَادِ وَلَا تُبْنَى لَهُ في السماوات السَّلَاليمُ[٥] [البسيط]

وحكى الرُّمَّاني قال: لا يقال «سُلَّم» لِمَا بُني من الأَدراج، وإِنما السُّلَّم المُشَبَّك[٦]. وبيت الشِّعر يردُّ عليه، والمعنى: أَلَهُم سُلَّم إِلى السماءِ يستمعون فيه؟ أَي: عليه ومنه،

(١) انظر القولين في البحر المحيط (٩/ ٥٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٨٢)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٥) من طريق عبد الله بن صالح أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾، يقول: المسلطون.

(٣) سبعيتان، فقنبل وهشام وحفص بخلفه بالسين وحمزة بخلف عن خلاد بين الصاد والزاي والباقون بالصاد، التيسير (ص: ٢٠٤).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٩٦).

(٥) انظر عزوه له في مجاز القرآن (١/ ١٩٠)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٣)، وإيضاح الشواهد (١/ ٤٧١)، وتهذيب اللغة (٥/ ٨٦).

(٦) لم أقف عليه.

وهذه حروف يسدُّ بعضها مسدَّ بعض، والمعنى: يستمعون الخَبر بصحة ما يَدَّعون، فلْيَأْتوا بالحجة المبيِّنة في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ ﴾ الآية؛ معناه: أَم هم أهل الفضيلة علينا، فيلزم لذلك انتخاؤُهم وتكبُّرهم.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ﴾ يا محمد على الإِيمان بالله تعالى وشرعه أُجرةً يُثقلهم غُرْمُها، فهم لذلك يكرهون الدخول فيما يوجب غرامتهم.

ثم قال تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ﴾ علم الغيب، فهم يُبيِّنُون ذلك للناس سُنناً وشرعاً يكتبونه، وذلك عبادة الأَوثان، وتسييب السوائب، وغير ذلك من سيرهم؟

وقيل: المعنى: فهم يعلمون متى يموت محمد الذي يتربَّصون به؟

و﴿يَكْتُبُونَ ﴾ بمعنى يحكمون. وقال ابن عباس: يعني تعالى: أَم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون به؟[١].

ثم قال تعالى: ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك وبالشَّرع؟ ثم جزم الخبر بأَنهم ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾؛ أَي: هم المغلوبون، فسمَّى تعالى غلبتهم كيداً إِذْ كانت عقوبة الكيد.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يعصمهم ويمنعهم ويدفع في صدر إِهلاكهم.

ثم نزَّه تعالى نفسه عما يُشركون به من الأَصنام والأَوثان، وهذه الأَشياءُ التي وقفهم تعالى عليها حصرت جميع المعاني التي توجب الانتخاءَ والتكبُّر والبُعد من الائتمار، فوقَفهم تعالى عليها، أَي ليست لهم، ولا يبقى شيءٌ يوجب ذلك إِلَّا أَنهم قوم طاغون، وهذه صفة فيها تكسُّبهم وإِيثارهم، فيتعلق بذلك عقابهم.

ثم وصفهم تعالى بأَنهم على الغاية من العُتُوِّ والتمسُّك بالأَقوال الباطلة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا ﴾ الآية، وذلك أَن قريشاً كان في جملة ما اقترحت:

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٢).

أن تُنزل من السماءِ عليها كِسَفاً، وهي القطَعُ، واحدها كِسْفَة، وتُجمع أَيضاً على: كِسْف؛ كتَمْرَة وتَمْر[١].

وقال الرُّمَّاني: هي التي تكون بقدر ما يكسف ضوءَ الشمس[٢].

فأَخبر الله تعالى عنهم في هذه الآية: أَنهم لو رأَوْا كِسْفاً ساقطاً حسب اقتراحهم، لبلغ بهم العُتُوُّ والجهل والبعد عن الحق أَن يُغالطوا أَنفسهم وغيرهم ويقولوا: ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾؛ أَي: كثيف قد تراكم بعضه فوق بعض، ولهذه الآية نظائر في آيات أُخر[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ وما جرى مجراه من الموادعة منسوخ بآية السيف.

وقرأَ أَبو جعفر، وأَبو عمرو بخلاف عنه: ﴿يَلْقَوْا﴾، والجمهور على ﴿يُلَٰقُوا۟﴾[٤].

واختلف الناس في اليوم الذي تُوُعِّدُوا؛ فقال بعض المتأَولين: هو موتهم واحداً واحداً، وهذا على تجوُّزٍ.

و«الصَّعْقُ»: التعذيب في الجملة، وإِن كان الاستعمال قد كثر فيه فيما يصيب الإِنسان من الصيحة المفرطة ونحوه.

---

(١) على ما قاله المؤلف رحمه الله: يكون واحدها: كَسْفَة، وجمعها كَسْف؛ كتَمْرة وتَمْر، كما ذكر رحمه الله. إلا أن المشهور فيها: كِسْفَة وكِسْف، على حَدِّ: سِدْرة وسِدْر. وهكذا نقله المؤلف عند تفسير الآية (٩) من (سورة سبأ). وانظر: تاج العروس للزبيدي (مادة: كسف).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) كما في (سورة الإسراء)، (٩٢)، و(سورة الشعراء)، (١٨٧).

(٤) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٧٠)، أما ما نسبه للخلاف عن أبي عمرو فيها فلم أقف عليه.

ويحتمل أَن يكون اليوم الذي تُوعِّدُوا به: يوم بَدْر؛ لأَنهم عُذِّبوا فيه.

وقال الجمهور: التوعُّد بيوم القيامة؛ لأَن فيه صعقة تعمُّ جميع الخلائق، ولكن لا محالة أَن بين صعقة المؤمن وصعقة الكافر فرقاً.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يَصْعَقُونَ﴾ من: صَعِقَ الرَّجلُ بكسر العين.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: (يَصْعِقُونَ) بفتح الياءِ وكسر العين.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وأَهل مكة في قول شبل: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ بضم الياءِ وفتح العين[١]. وذلك من: أَصعق الرجل غيره.

وحكى الأَخفش: صُعِقَ الرجلُ، بضم الصاد وكسر العين[٢].

قال أَبو علي: فجائز أَن يكون منه، فهو مثل: يُضرَبون[٣].

[٥/ ١٤٠] قال أَبو حاتم: وفتح أَهل مكة الياءَ / في قول إِسماعيل[٤].

و﴿يُغْنِى﴾ معناه: يكون منه غَناءٌ ودفاعٌ.

ثم أخبر تعالى بأنهم لهم دون هذا اليوم ـ أي قبله ـ عذاب، واختلف الناس في تعيينه: فقال ابن عباس وغيره: هو بدر والفتح ونحوه[٥].

---

(١) الأولى والثالثة سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦١٣)، والتيسير (ص: ٢٠٤)، دون ذكر أهل مكة، وأما الثانية فشاذة، وهي ظاهر ما في معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٤) عنه، واستغربها في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٧٧)، وضبطها في البحر المحيط (٩/ ٥٧٦) بضم الياء.

(٢) وقاله الفراء في معاني القرآن (٣/ ٩٤).

(٣) الحجة للفارسي (٦/ ٢٢٨).

(٤) البحر المحيط (٩/ ٥٧٦)، دون ذكر أبي حاتم، وهي قراءة ابن كثير مع فتح العين كما في التيسير (ص: ٢٠٤).

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٣٢) عن ابن عباس قال: هو القتل ببدر.

وقال مجاهد: هو الجوع الذي أَصاب قريشاً[١].

وقال البراءُ بن عازب، وابن عباس أَيضاً: هو عذاب القبر[٢].

ونَزَعَ ابنُ عباس وجودَ عذاب القبر بهذه الآية[٣].

وقال ابن زيد: هو مصائب الدنيا في الأَجسام وفي الأَحبة وفي الأَموال، هي للمؤمنين رحمة وللكافرين عذاب[٤].

وفي قراءَة ابن مسعود رضي الله عنه: (دُونَ ذَلكَ قَريباً ولكن لا يَعْلَمُونَ)[٥].

ثم أَمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر لحكم الله تعالى والمضيِّ على نذارته وَوَعْده بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾، ومعناه: بإِدراكنا وأَعْيُن حفظنا لك وحيطتنا، كما تقول: فلان يرعاه الملك بعين. وهذه الآية ينبغي أَن يُقَدِّرها كلُّ مؤمن في نفسه فإِنها تفسح مضايق الدنيا.

وقرأَ أَبو السَّمال: (بِأَعْيُنَّا) بنون واحدة مشدَّدة[٦].

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾:

فقال أَبو الأَحوص عوف بن مالك: هو التَّسبيح المعروف[٧]؛ أَي: يقول في كل قيام: سبحان الله وبحمده.

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٣٨٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٣٢-١٣٣)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٣٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٨٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره.

(٣) منقطع، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٨٧) من طريق سعيد، عن قتادة: أن ابن عباس كان يقول: إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾. وقتادة لم يسمع من ابن عباس.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٧-٤٨٨)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٣٤).

(٥) وهي شاذة، انظرها في تفسير الزمخشري (٤/ ٤١٥).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥١).

(٧) تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٣).

وقال عطاءٌ: المعنى: حين تقوم من كل مجلس[(١)].

وقال ابن زيد: «التسبيح» هنا: هو صلاة النوافل[(٢)].

وقال الضحاك، وابن زيد: هذه إِشارة إِلى الصلوات المفروضة، فقوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾: الظُّهر والعصر؛ أَي: حين تقوم من نوم القائلة، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾: المغرب والعشاءُ، وقوله: ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: الصُّبح[(٣)].

ومَنْ قال هي النوافل جعل (إِدْبَارَ النُّجوم) ركعتي الفجر، وعلى هذا القول جماعة كثيرة منهم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أَبي طالب، وأَبو هريرة، والحسن، رضي الله عنهم، وقد روي مرفوعاً[(٤)].

ومن جعله التسبيح المعروف جعل قوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ مثالاً؛ أَي: حين تقوم وحين تقعد وفي كل تصرُّفك، وحكى منذر عن الضحاك أَن المعنى: حين تقوم في الصلاة بعد تكبيرة الإِحرام فقل: سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدُّك، الحديث[(٥)].

وقرأَ سالم بن أَبي الجعد، ويعقوب: (وأَدبار النجوم) بفتح الهمزة[(٦)] بمعنى: وأَعقاب.

---

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٣)، والأول في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٨٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٩) بنحوه.

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٤٨٩-٤٩١)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٣٧).

(٤) انظر قول الحسن في تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩١)، وقد تقدم تخريجه عند الآية (٤٠) من (سورة ق).

(٥) أخرجه مسلم (٣٩٩) من طريق الأوزاعي، عن عبدة، عن عمر بن الخطاب، كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، وانظر قول منذر في تفسير الثعالبي (٤/ ٢٢٢).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥١)، والصحيح عن يعقوب الكسر كالباقين انظر النشر (٢/ ٣٧٦).

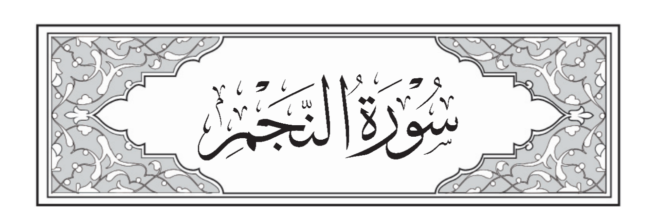
ومنه قول الشاعر:

فَأَصْبَحْـتُ مِـنْ لَيْلَى الغَـدَاةَ كَنَاظِرٍ مَعَ الصُّبْحِ في أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ[1] [الطويل]

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَإِدْبَرَ﴾ بكسر الهمزة.

* * *

(١) هذا البيت لقيس بن الْمُلَوَّح، كما في الأغاني (٢/ ٢١)، والحماسة البصرية (٢/ ٨٩)، والصحاح للجوهري (١/ ١٩١)، وسمط اللآلي (١/ ٤٩٨)، وكان نسبه في (١/ ١٨١) لمحمد بن نمير الثقفي، وينسب إلى أبي حَيَّة النُّمَيْري كما في الكامل للمبرد (١/ ٢٣٣).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة النجم

هي مكِّيَّة بإِجماع من المتأَولين، وهي أَول سورة أَعلن بها رسول الله ﷺ، وجهر بقراءَتها في الحرم والمشركون يستمعون، وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والإِنس غير أَبي لهب، فإِنه رفع حَفنة من تراب إِلى جبهته وقال: يكفيني هذا[1].

وسبب هذه السُّورة: أَن المشركين قالوا: إِنَّ محمداً يتقوَّل القرآن ويختلق أَقواله، فنزلت السُّورة في ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾.

أَقسم الله تعالى بهذا المخلوق تشريفاً له وتنبيهاً منه ليكون معتبراً فيه، حتى تؤول العبرة فيه إِلى معرفة الله تعالى.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٦٧)، ومسلم (٥٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قرأ النبي ﷺ النجم بمكة فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفاً من حصى ـ أو تراب ـ فرفعه إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً.

وقال الزهري: المعنى: وربّ النَّجم[١]. وفي هذا قلق مع لفظ الآية.

واختلف المتأَولون في تعيين النَّجم المُقسم به:

فقال ابن عباس، ومجاهد، والفراءُ، وبيَّنه منذر بن سعيد: هو الجملة من القرآن إِذا تنزَّلت[٢]، وذلك أَنه رُوي أَن القرآن نزل على النبي ﷺ نجوماً؛ أَي: أَقداراً مقدرة في أَوقات ما[٣]، ويجيءُ ﴿هَوَىٰ﴾ ـ على هذا التأْويل ـ بمعنى: نزل، وفي هذا الهُوِيِّ بُعْدٌ وتحاملٌ على اللُّغة، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، والخلاف في هذا كالخلاف في تلك.

وقال الحسن، ومعمر بن المثنى، وغيرهما: النجم هنا: اسم جنس، أَراد: والنجوم إِذا هوت[٤]، واختلف قائلو هذه المقالة في معنى ﴿هَوَىٰ﴾:

فقال جمهور المفسرين: هَوى للغروب، وهذا هو السابق إِلى الفهم من كلام العرب.

وقال الحسن بن أَبي الحسن، وأَبو حمزة الثُّمالي[٥]: هَوَى عند الانكدار في القيامة، فهي بمعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٤)، وقول مجاهد في تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٥)، وقول منذر بن سعيد في البحر المحيط (١٠/ ٩).

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (٣/ ٤٤٥)، والنسائي في الكبرى (١١٦٢٥) وغيرهم من طريق سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، وكان الله عز وجل ينزل على رسول الله ﷺ بعضه في أثر بعض، قالوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾.

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٣٥).

(٥) هو ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثُّمالي الأزدي الكوفي، روى عن أنس وعكرمة وأبي جعفر الباقر، وعنه شريك وأبو نعيم وجماعة. قال أبو حاتم: لين الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة، كثير الوهم، مع غلو في تشيعه، توفي سنة (١٤٨هـ). تاريخ الإسلام (٩/ ٨٤).

وقال ابن عباس ـ في كتاب الثعلبي ـ: هوى في الانقضاض في أَثر العِفْرِيَة، وهي رجوم الشياطين[١]، وهذا القول تُساعده اللغة.

والتأْويلات في ﴿هَوَىٰ﴾ محتملة كلُّها قويةٌ.

ومن الشاهد في «النَّجم» الذي هو اسم الجنس قول الرَّاعي:

فَبَاتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ في مُسْتَحيرَةٍ سَريعٍ بِأَيْدِي الآكِلِينَ جُمُودُهَا[٢] [الطويل]

يصف إِهالةً صافية، والمُسْتحيرة: القِدْرُ التي يُطبخ فيها، قاله الزجاج[٣].

وقال الرُّمَّاني: هي شحمة صافية حين ذابت[٤].

وقال مجاهد، وسفيان: (النَّجم) في قَسَم الآية: الثُّرَيَّا، وسقوطها مع الفجر هو هويُّها[٥]، والعرب لا تقول النجم مطلقاً إلا للثُّريا، ومنه قول العرب: طَلَع النَّجْمُ عشاءً، فابْتَغَى الرَّاعي كسَاءً، طَلَعَ النَّجْمُ غُدَيَّهْ، فابْتَغَى الرَّاعي شُكَيَّهْ[٦].

و﴿هَوَىٰ﴾ ـ على هذا القول ـ يحتمل الغروب ويحتمل الانكدار، و«هَوَى» في اللُّغة معناه: خرق الهواءَ ومقصده السُّفْل، أَو مَصيره وإِن لم يقصده، ومنه قول الشاعر:

هَـوَى ابْني مِـنْ شَفَا جَبَلٍ فَـزَلَّـتْ رِجْـلُـهُ وَيَـــدُهْ[٧] [مجزوء الوافر]

---

(١) قال الثعلبي (٩/ ١٣٥): وروى عكرمة عن ابن عباس: أنّه الرجم من النجوم، يعني ما يرمى به الشياطين عند استراقهم السمع.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٣٥)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٤٩٦)، والمعاني الكبير (١/ ٣٧٥)، والحماسة مع شرح التبريزي (٢/ ٢٢٢).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٦٩).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩٥).

(٦) ذكره في المخصص (٢/ ٣٦٩) في باب أسجاع العرب في طلوع النجوم.

(٧) تقدم في تفسير الآية (٧١) من (سورة الأنعام). والشَّفا: حرف الشيءِ وحدُّه.

وقول الشاعر:

[الطويل] وَإِنَّ كَلامَ الْمَرْءِ في غَيْرِ كُنْهِه لكالنَّبْلِ تَهْوي لَيْسَ فيها نِصَالُهَا[١]

وقول زهير:

[الوافر] .... هُوِيَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ[٢]

[٥/ ١٤١] / ومنه قولهم للجراد: الهاوي، ومنه: هُوِيُّ العقاب.

والقَسَم واقع على قوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾.

و«الضَّلالُ» أَبداً يكون بغير قصد من الإِنسان إِليه.

و«الغَيُّ» كأنه[٣] شيءٌ يتكسبه الإنسان ويريده، فنفى الله تعالى عن نبيه هذين الحالين، وغَوَى الرجل يَغْوي: إِذا سلك سبيل الفساد والعِوَج، ونفى الله تعالى عن نبيِّه ﷺ أَن يكون ضلَّ في هذه السبيل التي أَسلكه الله تعالى إِيَّاها، وأَثبت له تعالى في الضُّحى أَنه قد كان قبل النُّبُوَّة ضالاً بالإِضافة إِلى حاله من الرُّشد بعدها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ يريد تعالى: محمداً ﷺ أنه ليس بمتكلم عن هواه؛ أَي: بهواه وشهوته، وقال بعض العلماءِ: المعنى: وما ينطق القرآن المنزل عن هوًى وشهوة، ونسب تعالى النطق إِليه من حيث تفهم عنه الأمور، كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وأَسند الفعل إِلى القرآن ولم يتقدم له ذكر؛ لدلالة المعنى عليه.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ يُراد به القرآن بإِجماع، و«الوحيُ»: إِلقاءُ المعنى في خفاءٍ، وهذه العبارة تعم المَلَك والإِلهام والإِشارة وكل ما يُحفظ من معاني الوحي.

---

(١) البيت لهبيرة بن أبي وهب المخزومي كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٤٢٠)، والاشتقاق (ص: ١٥٢)، ونسب قريش (ص: ٤٠)، وأنساب الأشراف للبلاذري (٢/ ٤١)، والبيان والتبيين (٣/ ١٣٩). وتمثل به طريف بن العاصي كما في أمالي القالي (١/ ٧٢).

(٢) صدره: فَشَجَّ بِهَا الأَمَاعِزَ فَهْي تَهْوِي، وقد تقدم في تفسير الآية (٨١) من (سورة طه).

(٣) «كأنه» ليست في المطبوع.

والضمير في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ يحتمل أن يكون للقرآن، والأظهر أنه لمحمد ﷺ.

وأمَّا المُعَلِّم: فقال قتادة، والربيع[١]، وابن عباس: هو جبريل عليه السلام؛ أي: علَّم محمداً ﷺ القرآن[٢]، وقال الحسن: المُعَلِّم الشَّديد القُوى: هو الله تعالى[٣].

و﴿ٱلْقُوَىٰ﴾ جمع قُوَّة، وهذا في جبريل عليه السلام متمكن، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير ٢٠].

و﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ معناه: ذو قُوَّة، قاله قتادة، وابن زيد، والربيع[٤].

ومنه قول النبي ﷺ: «لا تَحِلُّ الصَّدقة لِغَنِيٍّ ولا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»[٥].

وأَصْل المِرَّة: من مرائر الحبل، وهي فَتْله وإِحكام عمله، ومنه قول امرئ القيس:

.... بكُلِّ مُمَرِّ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ[٦] [الطويل]

وقال قوم ممن قال إِنَّ «ذا المرَّة» جبريل: معنى ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: ذو هيئة حسنة.

وقال آخرون: بل معناه: ذو جسم طويل حسن، وهذا كله ضعيف.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩٨).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٤)، وقول مجاهد في تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٥)، وقول منذر بن سعيد في البحر المحيط (١٠/ ٩).

(٣) البحر المحيط (١٠/ ١٠).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٩٢).

(٥) صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٧-٣٨٩-٣٨٩)، وابن ماجه (١٨٣٩)، والنسائي في الكبرى (٢٣٨٩)، وأبو يعلى في مسنده (٦٤٠١)، وابن حبان في صحيحه (٣٢٩٠) من طريق سالم بن أبي الجعد، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣٨٧)، وأبو يعلى (٦١٩٩) من طريق أبي حازم كلاهما ـ سالم بن أبي الجعد، وأبي حازم ـ عن أبي هريرة مرفوعاً، وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص أخرجه أحمد (٢/ ١٦٤-١٩٢)، والدارمي (١٦٣٩)، وأبو داود (١٦٣٤) والترمذي (٦٥٢) من طرق عن سعد بن إبراهيم، عن ريحان بن يزيد العامري، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.

(٦) صدره: فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ، انظر جمهرة أشعار العرب (ص: ١٣٣)، وشرح المعلقات للشيباني (ص: ١٥٧)، والكامل للمبرد (٣/ ٦٨)، وأمالي القالي (١/ ٥٨)، والأغاني (٢/ ١٨٨)، والأزمنة والأمكنة (ص: ٤١٨). والرواية الأكثر: مغار.

و(استوى) مُسْند إِلى الله تعالى في قول الحسن الذي قال: إِنه المُتَّصف بـ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾، وكذلك يجيءُ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ صفةً لله تعالى على معنى: وعظمتُه وقدرتُه وسُلطانُه نتلقى نحن أَنه بالأُفق الأعلى، ويجيءُ المعنى نحو قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

ومن قال: إِن المتَّصف بـ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ هو جبريل عليه السلام قال: إِن (استوى) مستند إِلى جبريل عليه السلام، واختلفوا بعد ذلك:

فقال الربيع، والزجاج: المعنى: فاستوى جبريل عليه السلام في الجوِّ وهو إِذ ذاك بالأُفق الأَعلى، إذ رآه رسول الله ﷺ بحراءَ قد سدَّ الأُفق، له ست مئة جناح، وحينئذٍ دنا من محمد ﷺ حتى كان قاب قوسين[١]، وكذلك هو المرئي ـ في هذا القول ـ في «النَّزْلَة الأُخرى» في صفته العظيمة له ست مئة جناح عند السِّدرة.

وقال الطبري والفراءُ: المعنى: فاستوى جبريل[٢].

وقوله: ﴿وَهُوَ﴾ يعني محمداً ﷺ، وقد تقدَّم ذكره في الضمير في ﴿عَلَّمَهُۥ﴾، وفي هذا التأْويل العطفُ على المُضْمر المرفوع دون أَن يؤكد، وذلك عند النحاة مستقبَح.

وأَنشد الفراءُ حُجَّةً على قوله:

[الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ النَّبْـعَ يَصْلُـبُ عُـودُهُ ... ولا يَسْتَوِي وَالْخِرْوَعُ الْمُتَقَصِّفُ[٣]

وقد ينعكس هذا الترتيب فيكون (استوى) لمحمد ﷺ، و(هو) لجبريل عليه السلام.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠١)، وانظر معاني القرآن للزجاج (٥/ ٧٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠١)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ٩٥).

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٥)، قال: أنشدنيه بعضُهم، والرواية فيه «يخلق» بدل «يصلب»، والبيت بلا نسبة في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٣٧)، وأساس البلاغة (٢/ ٨٣)، وفي الأصل: «الخزرع المتنصف»، وفي نجيبويه: «الجروع المتقصف».

وأَمَّا ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ فهو عندي لِقِمَّةِ الرأْس وما جرى معه.

وقال الحسن وقتادة: هو أُفُق مَشْرق الشمس[١]، وهذا التخصيص لا دليل عليه.

واختلف الناس، إلى من استند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾.

فقال الجمهور: استند إِلى جبريل عليه السلام؛ أَي: دنا إِلى محمد ﷺ عند حراءٍ، فقال ابن عباس، وأَنس في حديث الإِسراءِ ما يقتضي أَنه مُسْتند إِلى الله تعالى[٢].

ثم اختلف المتأَولون؛ فقال مجاهد: كان الدُّنُوُّ إِلى جبريل[٣].

وقال بعضهم: كان إِلى محمد ﷺ[٤]، و﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ على هذا القول معه حذف مضاف؛ أَي: دنا سُلطانه ووحيُه وقَدَرُه. والانتقال وهذه الأَوصاف منتفيةٌ في حق الله تعالى.

والصحيح عندي: أَن جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾، فإِن ذلك يقضي بنزلة متقدمة، وما روي قطُّ أَن محمداً ﷺ رأَى ربَّه عزَّ وجلَّ قبل ليلة الإِسراءِ، أَما إِنَّ رؤْية القلب لا تُمنع بحال.

و﴿دَنَا﴾ أَعم من (تَدَلَّى)، فبيَّن تعالى بقوله: ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ هيئة الدُّنُوِّ كيف كانت.

و﴿قَابَ﴾ معناه: قَدْرَ، وقال قتادة وغيره: معناه: من طرف العود إِلى طرفه الآخر[٥].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠١).

(٢) أثر ابن عباس رضي الله عنه أخرجه الطبري (١٤/ ١٢٥) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن ابن عباس قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ قال: دنا ربه فتدلى، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٣٢٨) عبد الرحمن بن شريك، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن عكرمة، وعطاء، عن ابن عباس، ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ قال: هو محمد ﷺ دنا فتدلى إلى ربه عز وجل. وأما حديث أنس بن مالك فأخرجه البخاري (٧٥١٧).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٣٨).

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٩٣) بتصرف.

وقال الحسن ومجاهد: من الوَتر إِلى العود في وسط القوس عند المقبض[١].

وقرأ محمد بن السَّمَيْفَع اليماني: (فكان قيسَ قَوْسَيْنِ)[٢]، والمعنى قريب من قاب، ومن هذه اللفظة قول النبي ﷺ: «لَقَابُ قَوْسِ أَحدكم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»[٣]، وفي حديث آخر: «لَقَابُ قوس أَحدكم في الجنة»[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ معناه: على مقتضى نظر البشر؛ أَي: لو رآه أَحدكم لقال في ذلك: قوسان أَو أَدنى، وقال أَبو رزين: ليست بهذه القوس، ولكن قدر الذراعين أَو أَدنى[٥].

وحكى الزهراوي عن ابن عباس: أَن القوس في هذه الآية: ذراع تُقاس به الأَطوال، وذكره الثعلبي، وأَنه من لغة الحجاز[٦].

قوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾، قال ابن عباس: المعنى: فأَوحى الله تعالى إِلى عبده محمد ﷺ ما أَوحى[٧]، وقال بعض العلماءِ: المعنى: فأَوحى الله تعالى

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٣).

(٢) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٤٥١) عن زيد بن علي: (قاد قوسين)، وعن ابن عمير: (قدر).

(٣) لم أهتد إليه بهذا اللفظ.

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب»، وقال: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب». وأخرجه البخاري (٢٦٤٣) وفيه: «خير من الدنيا وما فيها» بدل «خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب».

(٥) الطبري (٢٢/ ٥٠٣).

(٦) حسن، أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٦٠٣) عن يوسف بن يزيد بن كامل القراطيسي، عن، يعقوب بن أبي عباد المكي، عن إبراهيم بن طهمان، عن عاصم، عن زر، عن ابن عباس: في قوله ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ قال: القاب: القيد، والقوسين: الذراعين. ومن طريق الطبراني أخرجه الضياء في المختارة (٣٩) به. وانظر نقل الثعلبي (٩/ ١٣٩) عن أبي إسحاق.

(٧) رجاله ثقات، أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢٨٥)، والنسائي في الكبرى (١١٥٣٨)، والطبري =

إِلى عبده جبريل عليه السلام ما أَوحى، وفي قوله تعالى: ﴿مَآ أَوۡحَىٰ﴾ إِبهام على جهة التفخيم والتعظيم، والذي عُرف من ذلك فرض الصلاة.

وقال الحسن: المعنى: فأَوحى جبريل إِلى عبد الله محمد ﷺ ما أَوحى، كالأَول في الإِبهام(١).

وقال ابن زيد: المعنى: فأَوحى جبريل إِلى عبد الله محمد ما أوحى الله / تعالى إِلى جبريل(٢). [٥/ ١٤٢]

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، قرأَ جمهور القُرَّاءِ بتخفيف الذَّال على معنى: لم يكذب قلب محمد ﷺ الشيءَ الذي رأَى، بل صدَّقه وتحقَّقه نظراً، و«كَذَبَ» يَتَعَدَّى.

وقال أَهل التأْويل، ومنهم ابن عباس، وأَبُو صالح: رأَى محمد ﷺ الله تعالى بفؤاده(٣).

وقال النبي ﷺ: «جعل الله تعالى نور بصري في فؤادي فنظرتُ إِليه بفؤادي»(٤).

وقال آخرون من المتأَولين: المعنى(٥): ما رآه بعينه لم يكذب ذلك قلبه، بل صدَّقه وتحققه.

ويحتمل أَن يكون التقدير: فيما رأَى.

= (٢٢/ ٢٠)، من طريق معاذ بن هشام، عن أبيه، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ قال: عبده محمد.

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٦)، تفسير الثعلبي (٩/ ١٣٩) بتصرف.

(٢) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٣٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٦) عن ابن عباس قال: رآه بقلبه، وفي لفظ: رآه بفؤاده مرتين، وقول الضحاك في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٠٨).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢٥) من سعيد بن زربي، عن عمر بن سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ مطول. وسعيد بن زربي أبو عبيدة البصري متفق على ضعفه. انظر الميزان (٢/ ١٣٦).

(٥) «المعنى» ليست في المطبوع والأسدية والحمزوية.

وقال ابن عباس فيما رُوي عنه، وعِكْرِمة، وكعب الأَحبار: إِن محمداً ﷺ رأَى ربَّه عزَّ وجلَّ بعيني رأْسه، وبسط الزهراوي هذا الكلام عنهم[١].

وأَبت عائشة رضي الله عنها، وقالت: أَنا سأَلت رسول الله ﷺ عن هذه الآيات فقال لي: «هو جبريل فيها كلها»[٢].

وقال الحسن: المعنى: ما رأَى من مقدورات الله تعالى وملكوته[٣].

وسأَل أَبو ذرٍّ النبيَّ ﷺ: هل رأَيت ربَّك؟ فقال: «هو نورٌ أَنَّى أَرَاه»[٤].

وهذا هو قول الجمهور، وحديث عائشة عن النبي ﷺ قاطع لكل تأْويل في اللفظ؛ لأَن قول غيرها إِنما هو منتزعٌ من أَلفاظ القرآن.

وقرأَ ابن عامر فيما روى عنه هشام: ﴿ما كذَّب﴾ بتشديد الذَّال، وهي قراءَة أَبي رجاءٍ، وأَبي جعفر، وقتادة، والجحدري، وخالد[٥]، ومعناه بيِّن على بعض ما قلناه.

وقال كعب الأَحبار: إِن الله تعالى قسم الكلام والرؤْية بين موسى ومحمد عليهما السلام: فكلَّم موسى مرَّتين، ورآه محمد مرَّتين[٦].

وقالت عائشة رضي الله عنها: لقد قَفَّ شعري لسماع هذا، وتلت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣][٧].

---

(١) انظر: «رؤية الله» للدارقطني (ص: ٣٤٤) فقد أخرج جميع الروايات عن ابن عباس في هذا الباب.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧) عن مسروق، قال: كنت متكئاً عند عائشة...، الحديث.

(٣) البحر المحيط (١٠/ ١٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٧٨) عن عبد الله بن شقيق، عن أبي ذر، قال: سألت رسول الله ﷺ، هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه».

(٥) والباقون بالتخفيف، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٤)، والنشر (٢/ ٢٧٩). وفي المطبوع: «ابن عباس» بدل «ابن عامر».

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ٥١٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٩٥).

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٦٥٥)، ومسلم (١٧٧). وفي المطبوع: «وقلت» بدل «وتلت».

وذهبت هي وابن مسعود، وقتادة، وجمهور العلماءِ: إلى أَن المرئي هو جبريل عليه السلام في المرتين: في الأَرض وعند سِدرة المنتهى ليلةَ الإِسراءِ[1]، وقد ذكرتها في (سورة سبحان)، وهي مشهورة في كتب الصحاح.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم، وابن عامر هذه السُّورة كلها بفتح أَواخر الآيات فيها.

وأَمال عاصم ـ في رواية أَبي بكر ـ ﴿رَأَىٰٓ﴾.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، بين الفتح والكسر.

وأَمال حمزة والكسائي جميع ما في السُّورة.

وأَمال أَبو عمرو ـ فيما روى عنه أَبو عبيد ـ ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ و(تَدَلَّى)[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ خطاب لقريش، وهو من الْمِرَاءِ، والمعنى: أَتجادلونه في شيءٍ رآه وأَبصره؟ وهذه قراءَة الجمهور وأَهل المدينة.

وقرأَ علي بن أَبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وحمزة والكسائي: ﴿أَفَتَمْرُونَهُ﴾ بفتح التاءِ دون أَلف بعد الميم[3]، والمعنى: أَفتجحدونه، وذلك أَن

(١) أثر عبد الله بن مسعود أخرجه أحمد (١/ ٣٩٤-٤١٨)، والترمذي (٣٢٨٣)، والنسائي في الكبرى (١١٤٦٧-١١٤٧٧) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل، في حلة من رفرف، قد ملأ ما بين السماء والأرض.

(٢) غير دقيق، فمذهب أبي عمرو تقليل جميع رؤوس الآي إلا الرائي فبالإضجاع.

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٤)، وانظر الباقين في تفسير الثعلبي (٩/ ١٤١) وزاد عائشة ومسروقاً.

قريشاً لـما أَخبرها رسول الله ﷺ بأَمره في الإِسراءِ مستقصى كذَّبوا واستخفُّوا حتى وصف لهم بيت المقدس وأَمْرَ عِيرهم وغير ذلك مما هو في حديث الإِسراءِ مستقصى.

ورواها سعيد عن النَّخَعي: (أَفَتُمْرُونَهُ) بضم التاءِ، قال أَبو حاتم: وذلك غلط من سعيد[١].

وقوله تعالى: ﴿يَرَىٰ﴾ مستقبلاً، والرُّؤْية ـ قد مضت ـ: عبارة تعُمُّ جميع ما مضى وتشير إِلى ما يمكن أَن يقع بَعْدُ. وفي هذا نظر.

واختلف الناس في الضمير في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ حسب ما قدَّمناه:

فقال ابن عباس، وكعب الأَحبار: هو عائد على الله تعالى.

وقال ابن مسعود، وعائشة، ومجاهد، والربيع: هو عائد على جبريل[٢].

و﴿نَزْلَةً﴾ معناه: مَرَّة، ونصبه على المصدر في موضع الحال.

و﴿سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾: هي شجرة نَبْق.

قال كعب: هي في السماءِ السابعة[٣]، وروى ذلك مالك بن صَعْصَعة، عن النبي ﷺ[٤].

وقال ابن مسعود: في السماء السادسة[٥].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له مع قول أبي حاتم في تفسير الثعلبي (٩/ ١٤٢).

(٢) تقدم مقتضى هذه الأقوال كلها، وانظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥١٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥١٤)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٤٢-١٤٣).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٤) بلفظ مطول، وهو عند الطبري (٢٢/ ٣٦) عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة قال: قال نبي الله ﷺ: «لما انتهيت إلى السماء السابعة أتيت على إبراهيم، فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. قال: ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فحدث نبي الله أن نبقها مثل قلال هجر وأن ورقها مثل آذان الفيلة».

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٤) من طريق سهل بن عامر، عن مالك بن مِغْول، عن الزبير بن عدي، عن طلحة اليامي، عن مرة، عن عبد الله بلفظ مطول. وسهل بن عامر البجلي ضعيف. وانظر الميزان (٢/ ٢٣٩).

وقيل لها ﴿سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾؛ لأَنها إِليها ينتهي علم كل عالم، ولا يعلم ما وراءَها صُعُداً إِلَّا الله تعالى، وقيل: سُمِّيت بذلك: لأَنها إِليها ينتهي من مات على سُنَّة النبي ﷺ.

قال القاضي أبو محمد: هم المؤمنون حقّاً من كل جيل.

وقيل: سُمِّيت بذلك: لأَن ما نزل من أَمر الله تعالى فعندها يُتَلَقَّى، ولا يتجاوزها ملائكة العلو، وما صَعِدَ من الأَرض فعندها يُتَلَقَّى ولا يتجاوزها ملائكة السُّفل.

ورُوي عن رسول الله ﷺ: أَن الأُمة من الأُمم تستظل بظلِّ الفَنَن منها[١]، وقال رسول الله ﷺ: «رُفعت لي سدْرَة المنتهى فِإذا نَبقُهَا مثل قِلال هَجَر، وإِذا ورقها مثل آذان الفيَلَة»[٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا﴾ [السجدة: ١٩]، قال الجمهور: أَراد تعالى أَن يعظم مكان السِّدْرة ويشرفه بأَن جنة المأْوى عندها، قال الحسن: وهي الجنة التي وعد بها العالم المؤمن[٣].

وقال قتادة، وابن عباس ـ بخلاف ـ: هي جنة تأْوي إِليها أَرواح الشهداءِ والمؤمنين وليست بالجنة التي وعد بها المؤمنون جنة النعيم[٤]. وهذا يحتاج إِلى سند، وما أَراه يصح عن ابن عباس.

---

(١) حسن، أخرجه الترمذي (٢٥٤١)، والطبري (٢٢/ ٥١٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣١٤١)، والطبراني في الكبير (٢٣٤) من طريق يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى ابن عباد، عن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ، وذكر سدرة المنتهى، قال: «يسير الراكب في ظل الفنن منها مئة سنة، أو يستظل بظلها مئة راكب ـ شك يحيى ـ فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال».

(٢) هذا جزء من حديث الإسراء الذي أخرجه البخاري (٣٢٠٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) انظره مع قول قتادة الآتي في تفسير القرطبي (١٧/ ٩٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥١٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هي عن يمين العرش، وهي منزل الشهداء.

وقرأ علي بن أَبي طالب، وأَنس بن مالك ـ بخلاف ـ وابن الزبير، وأَبو الدرداءِ، وزِرُّ ابن حُبَيْش، وقتادة، ومحمد بن كعب: (جَنَّهُ المَأْوَى) بالهاءِ في (جَنَّهُ)[١]، وهو ضمير محمد ﷺ، والمعنى: سَتَرَه وضمَّه إِيواءُ الله تعالى وجميلُ صنعه به، يقال: جَنَّه الليلُ، وأَجَنَّه.

وردَّت عائشة وصحابة معها ـ رضي الله عنهم ـ هذه القراءَة وقالوا: أَجَنَّ الله من قرأَها[٢].

والجمهور قرأَ: ﴿جَنَّةُ﴾ كالآية الأُخرى: ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًا﴾ [السجدة: ١٩].

وحكى الثعلبي أَن معنى (جنه المأوى): ضَمَّه المبيتُ والليل[٣].

وقوله: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾، العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿رَءَاهُ﴾، والمعنى: رآه في هذه الحال.

و﴿مَا يَغْشَىٰ﴾ معناه: من قدرة الله تعالى وأَنواع الصِّفات التي يخترعها لها، وذلك مُبْهَم على جهة التفخيم والتعظيم، وقال مجاهد: ذلك تَبَدُّل أَغصانها دُرّاً وياقوتاً ونحوه[٤].

وقال ابن مسعود[٥]، ومسروق، ومجاهد، وإِبراهيم: ذلك جراد من ذهب كان يغشاها[٦].

وروى ابن عباس: أَن النبي ﷺ قال: «رأَيتها ثم حال دونها فراش من الذهب»[٧].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في: المحتسب (٢/ ٢٩٢).

(٢) انظر البحر المحيط (١٠/ ١٣).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٤٤).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٠).

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥١٩) من طريق سهل بن عامر، عن مالك بن مِغْول، عن الزبير ابن عدي، عن طلحة اليامي، عن مرة، عن عبد الله: قال: غشيها فراش من ذهب. وسهل بن عامر البجلي ضعيف. وانظر الميزان (٢/ ٢٣٩).

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ٥١٩). «وإبراهيم» ليست في الأصل.

(٧) ضعيف جدّاً، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥١٩)، وأبو يعلى في مسنده (٢٦٥٦) من طريق =

وقال الربيع[١]، وأَبو هريرة: كان يغشاها الملائكة كما تغشى الطير/ الشجر[٢]. [٥/ ١٤٣]

وقيل غير هذا مما هو تكلُّف في الآية؛ لأَن الله تعالى أَبهم ذلك وهم يريدون شرحه.

وقد قال رسول الله ﷺ: «فغشيها أَلوان لا أَدري ما هي»[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾، قال ابن عباس: معناه: ما جال هكذا ولا هكذا[٤]، وقوله: ﴿وَمَاطَغَىٰ﴾ معناه: ولا تجاوز الحدَّ المرئي، بل وقع عليه وقوعاً صحيحاً، وهذا تحقيق للأَمر ونفْيٌ لوجوه الريب عنه.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾؛ قالت جماعة من أَهل التأويل: لقد رأَى الكبرى من آيات ربِّه، والمعنى: من آيات ربِّه التي يمكن أَن يراها البشر، فـ﴿رَأَىٰ﴾.

وقال آخرون: المعنى: لقد رأَى بعضاً من آيات ربِّه الكبرى، فـ﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ على هذا وصف للآيات، والجمع مما لا يعقل في المؤنث يوصف أَبداً على حدِّ وصف الواحدة.

= أبي خالد الأحمر، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه. وجويبر بن سعيد الأزدي ضعيف جدّاً، والضحاك بن مزاحم لم يلق ابن عباس، ولم يسمع منه. وانظر: جامع التحصيل (٣٠٤). و«من» من المطبوع والأسدية ٤.

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٤٣).

(٢) ضعيف، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٢٠) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره ـ شك أبو جعفر الرازي ـ قال: «لما أسري بالنبي ﷺ انتهى إلى السدرة، قال: فغشيها نور الخلاق، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر قال: «فكلمه عند ذلك، فقال له: سل»». وأبو جعفر الرازي سيئ الحفظ لا يقبل تفرده.

(٣) متفق عليه، هذا جزء من حديث الإسراء الذي أخرجه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٢١) من طريق سفيان، عن منصور، عن مسلم البطين، عن ابن عباس في قوله: ﴿مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَاطَغَىٰ﴾. قال: ما زاغ يميناً ولا شمالاً، ﴿وَمَاطَغَىٰ﴾: وما جاوز ما أمر به. ومسلم بن البطين وإن كان لم يدرك ابن عباس، فروايته عنه بواسطة سعيد بن جبير، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٩) من طريق سفيان، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس بنحوه.

وقال ابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهما: رأى رفرفاً أخضر من الجنة قد سدَّ الأُفق[١].

وقال ابن زيد: رأى جبريل عليه السلام في الصورة التي هو بها في السماوات[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ مخاطبة لقريش، وهي من رؤْية العين؛ لأَنه أَحال على أَجرام مرئية، ولو كانت «رأى» التي هي استفتاءٌ لم تَتَعَدَّ.

ولما فرغ من ذكر عظمة الله تعالى وقدرته قال ـ على جهة التوقيف ـ: أَرأَيتم هذه الأَوثان وحقارتها وبُعدها عن هذه القدرة والصفات العلية؟

و﴿ٱللَّٰتَ﴾: اسم صنم كانت العرب تُعظِّمه، قال أَبو عبيدة وغيره: كان في الكعبة[٣].

وقال قتادة: كان بالطائف، وقال ابن زيد: كان بِنَخْلَة عند سوق عكاظ[٤].

وقول قتادة أَرجح، ويؤيده قول الشاعر:

[المتقارب]

وَفَـرَّتْ ثَـقِيـفٌ إِلَـى لَاتِـهَـــا ... بِمُـنْقَلَـبِ الْخَـائِـفِ الْخَاسِـرِ[٥]

---

(١) أثر عبد الله بن مسعود أخرجه البخاري (٣٢٣٣) من طريق الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود رضي الله عنه، وأما قول ابن عباس فقد ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ١٥٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٢).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٣٦).

(٤) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٤٥).

(٥) لضرار بن الخطاب الفهري كما في الأغاني (٢٢/ ٧٤)، وسيرة ابن هشام (١/ ٤٧)، قال: أنشدنيه له أبو عبيدة النحوي.

والتَّاءُ في «الَّـلاتِ» لام فعل، كالباءِ من باب، وقال قوم: هي تاءُ التأْنيث، والتصريف يمنع ذلك.

وقرأَ ابن عباس، ومجاهد، وأَبو صالح: ﴿اللَّاتَّ﴾ بشدِّ التاءِ[١].

وقالوا: كان هذا الصنم حجراً، وكان عنده رجل من بَهز يَلُتُّ سَوِيق الحاج على ذلك الحجر ويخدم الأَصنام، فلما مات عبدوا الحجر الذي كان عنده إِجلالاً لذلك الرجل وسمَّوه باسمه.

ورُويت هذه القراءَة عن ابن كثير، وابن عامر[٢].

و(العُزَّى) صخرة بيضاءُ كانت العرب أَيضاً تعبدها وتُعَظمها، قاله سعيد بن جبير.

وقال مجاهد: كانت شُجيرات تُعبد، ثمَّ بِبِلاها انتقل أَمرها إِلى صخرة[٣].

و(عُزَّى) مؤنثة «عزيز»؛ ككُبْرى وعُظْمَى، وكانت هذه الأَوثان [تُعَظِّم الوثنَ منها قبيلةٌ وتَعبدها][٤]، ويجيءُ كل من عزَّ من[٥] العرب فيعظمها بتعظيم حاضرها.

وقال أَبو عبيدة مَعْمر: كانت العُزَّى ومناة في الكعبة.

وقال ابن زيد: كانت العُزَّى في الطائف، وقال قتادة: كانت بنَخْلة[٦].

وأَمَّا مناة فكانت بالمشلَّل من قَديد، وذلك بين مكة والمدينة، وكانت أَعظم

---

(١) وهي عشرية لرويس كما في النشر (٢/ ٣٧٩)، وانظر نسبتها للمذكورين فيه، وفي الثعلبي (٩/ ١٤٥)، ومختصر الشواذ (ص: ١٤٧).

(٢) وهي رواية الوليد بن مسلم عن يحيى عن ابن عامر، واللهبي عن البزّي عن ابن كثير، كما في جامع البيان (٤/ ١٦١٢).

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٤)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٥٩) بتصرف.

(٤) في المطبوع: «تعظمُ وتُعبد، الوثنُ منها له قبيلة تعبده».

(٥) «من» زيادة من نور العثمانية، وفي أحمد٣: «على».

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٣٦)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٤٥).

هذه الأَوثان قدراً، وأَكثرها عابداً، وكانت الأَوس والخزرج تُهِلُّ لَهَا[(١)]، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾، فأَكَّدها بهاتين الصفتين، كما تقول: رأَيت فلاناً وفلاناً، ثم تذكر ثالثاً أَجلَّ منهما فتقول: وفلاناً الآخر الذي من أَمره وشأْنه، ولفظة «آخر» و«أُخرى» يوصف بهما الثالث من المعدودات، وذلك نصٌّ في الآية، ومنه قول ربيعة بن مكرم:

وَلَقَدْ شَفَعْتُهُمَا بِآخَرَ ثَالِثٍ[(٢)] .... [الكامل]

وهو التأْويل الصحيح في قول الشاعر:

جَعَلت لَـهَـا عُـودَيْـنِ مِـنْ نَـشَـمٍ وَآخَـرَ مِـنْ ثُـمَـامَـهْ[(٣)] [مجزوء الكامل]

وقرأَ ابن كثير وحده: ﴿وَمَنَاءَةَ﴾ بالهمز والمدِّ، وهي لغة فيها، والأَول أَشهر وهي قراءَة الناس[(٤)]، ومنها قول جرير:

أَزَيْـدَ مَنَـاةَ تُوعِـدُ يابْـنَ تَيْـمٍ تَأَمَّـلْ أَيْـنَ تَـاهَ بِـكَ الْوَعِيـدُ[(٥)] [الوافر]

ووقف تعالى الكفارَ على هذه الأَوثان وعلى قولهم فيها؛ لأَنهم كانوا يقولون: هي بناتُ الله، فكأَنه قال: أَرأَيتم هذه الأَوثان وقولكم هي بنات الله؟ ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾؟ أَي: النَّوْعُ المستحسنُ المحبوبُ هو لكم وموجودٌ فيكم، والمذمومُ المستثقلُ عندكم هو له بزعمكم؟ ثم قال تعالى ـ على جهة الإِنكار ـ: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾؛ أَي: عوجاءُ، قاله مجاهد[(٦)].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٤٥).

(٢) تقدم في تفسير الآية (٨١) من (سورة النمل)، وأنه لربيعة بن مكدم.

(٣) تقدم في تفسير الآية (٨١) من (سورة النمل). والنَّشَم: شجر جبليٌّ تُتَّخذ منه القِسِيُّ، والثُّمام: نبت ضعيف له خوصٌ أو ما يُشبهه.

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٤).

(٥) البحر المحيط (١٠/ ١٦)، والدر المصون (١٠/ ٩٣)، وهو في ديوانه من قصيدة مطلعها: ألا زارت وأهل منى هجود.

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٩٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٤٦).

وقيل: ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ معناه: جائرة، قاله ابن عباس[١] وقتادة.

وقال سفيان: معناه: منقوصة، وقال ابن زيد: معناه: مُخَالِفَة[٢].

والعرب تقول: ضِزْتُه حقَّه، أَضيزُه؛ بمعنى: منعتُه منه وظلمتُه فيه، و«ضِيزَى» من هذا التصريف، وأَصْلها فُعْلَى بضم الفاءِ «ضُوزَى» لأَنه القياسُ؛ إِذْ لا يوجد في الصفات فِعْلى بكسر الفاءِ، كذا قال سيبويه وغيره[٣]، فإِذا كان هذا فهي «ضُوزَى» كسروا أَولها كما كُسِر أَوَّل: عِينٍ وبيضٍ؛ طلبَ التخفيف؛ إِذ الكسرة والياءُ أَخف من الضمة والواو، كما قالوا: بِيُوتٌ وعِصيٌّ، وهي في الأصل فُعول بضم الفاءِ، وتقول العرب: ضُزْتُه أَضُوزُه، فكان يلزم على هذا التصريف أَن يكون «ضُوزَى» فُعْلَى، وفي جميع هذا نظر.

وقرأَ ابن كثير: ﴿ضِئْزَى﴾ بالهمز على أَنه مصدر كـ: ذِكْرى، وقرأَ الجمهور بغير همز[٤].

ثم قال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾؛ يعني تعالى: أَن هذه الأَوصاف ـ من أَنها إِناثٌ، وأَنها تُعبد من دون الله آلهة ونحو هذا ـ ما هي إِلَّا أَسماءٌ، أَي تسمياتٌ اخترعتموها أَنتم وآباؤُكم، لا حقيقة لها، ولا أَنزل الله تعالى بها بُرهاناً ولا حُجَّة.

وقرأَ عيسى بن عمر: (سُلُطَانٍ) بضم اللام[٥].

وقرأَ هو وابن مسعود، وابن عباس، وابن وثاب، وطلحة، والأَعمش: (إن تَتَّبِعُونَ) بالتَّاءِ على المخاطبة[٦].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٢٧) من طريق ابن لهيعة، عن ابن أبي عمرة، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره، وابن لهيعة ضعيف.

(٢) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٩٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٤٦).

(٣) انظر الكتاب لسيبويه (٤/ ٣٦٤).

(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٤).

(٥) وهي شاذة، تقدم مثلها مراراً.

(٦) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٢)، وقراءة الجمهور هي المتواترة.

وقرأ أبو عمرو، وعاصم، ونافع، والأعمش أيضاً، والجمهور: ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ بالياءِ على الحكاية عن الغائب / . [٥/ ١٤٤]

و﴿ٱلظَّنَّ﴾: مَيْلُ النفس إِلى أَحد معتقدَيْن متخالفيْن دون أَن يكون ميلها بحجَّة ولا بُرهان.

و«هَوَى الأَنْفس»: هو إِرادتها الملذة لها، وإِنما تجد هوى النفس أبداً في ترك الأَفضل لأَنها مجبولة بطبعها على حب الملاذ، وإِنما يردعها ويسوقها إِلى حسن العاقبة العقلُ والشرع.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ اعتراضٌ بين الكلام فيه توبيخ لهم؛ لأَن سرد القول إِنما هو: (إِن يتبعون إِلَّا الظن وما تهوى الأَنفس، أَم للإِنسان ما تمنى)، [وقف على جهة التوبيخ والإنكار لحالهم ورأيهم][1]، ثم اعترض بعد قوله: ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ بقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾؛ أَي: يفعلون هذه القبائح والهدى حاضر والحالُ هذه، فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ جملة في موضع الحال.

و﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾ المشار إِليه هو محمد ﷺ وشرعُه.

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس: (ولقد جاءكم من ربكم) بالكاف فيهما.

وقال الضحاك عنهما: إِنهما قرأا: «ولقد جاءك من ربك»[2].

و(الإِنْسانُ) في قوله: ﴿أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ﴾ اسم الجنس، كأَنه تعالى يقول: ليست الأَشياءُ بالتمني والشهوات، إِنما الأَمر كله لله تعالى، والأَعمال جارية على قانون أَمره ونهيه، فليس لكم أَيُّها الكفرة مرادكم في قولكم: هذه آلهتنا وهي تنفعنا وتُقَرِّبنا زُلفى، ونحو هذا.

وقال ابن زيد، والطبري: (الإِنسان) هنا هو محمد ﷺ[3]؛ بمعنى: أَنه لم ينل

---

(١) سقط من المطبوع والحمزوية.

(٢) وهما شاذتان، لم أجد للمصنف فيهما سلفاً ولا خلفاً.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢٩).

كرامتَنا بتأْميل، بل بفضل من الله تعالى، أَو بمعنى: بل إِنه تمنى كرامتنا فنالها؛ إِذ الكلُّ لله تعالى يهب ما شاء، وهذا لا[١] تقتضيه الآية وإِن كان اللفظ يعمه.

و﴿ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾: الدَّاران؛ أَي: له كل أَمرهما ملكاً، ومقدوراً، وتحت سلطانه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ الآية؛ ردٌّ على قريش في قولهم: الأَوثان شفعاؤُنا، كأَنه تعالى يقول: هذه حال الملائكة الكرام فكيف بأَوثانكم؟ و﴿كَمْ﴾ للتكثير، وهي في موضع رفع بالابتداءِ، والخبر ﴿لَا تُغْنِى﴾، والغِنَى: جَلْبُ النَّفع ودفع الضرِّ بحسب الأَمر الذي يكون فيه الغِنَى، وجمع الضمير في ﴿شَفَٰعَتُهُمْ﴾ على معنى ﴿كَمْ﴾.

ومعنى الآية: أَنْ يأْذن الله تعالى في أَن يُشفع لشخص ما يرضى عنه، كما أذن في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ [غافر: ٧] الآية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: هم كفَّار العرب.

وقوله: ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ معناه: ليصفون الملائكة بأَوصاف الأُنوثة، وأَخبر الله تعالى عنهم أَنهم لا علم لهم بذلك، وإِنما هي ظنون منهم لا حُجَّة لهم عليها.

وقرأَ ابن مسعود: (مِنْ عِلْم إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ)[٢].

---

(١) في المطبوع: «ما» بدل «لا».

(٢) وهي شاذة، لم أجد للمصنف فيهما سلفاً ولا خلفاً، وعزاها الخطيب في معجم القراءات (٩/ ١٩٣) لبعض المصادر وليست فيها.

وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ يعني: في المعتقدات والمواضع التي يريد الإِنسان أَن يُحَرِّر ما يفعل ويعتقد، فإِنها مواضع حقائق لا تنفع الظُّنون فيها، وأَما في الأَحكام وظواهرها فَيُجْتَزَى فيها بالظنونات.

ثم سلَّى تعالى نبيَّه ﷺ وأَمره بالإِعراض عن هؤلاءِ الكفرة، وما في الآية من موادعتهم منسوخ بآية السيف.

وقوله: ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ معناه: أَنه لا يُصدق بغيرها، وسعيُه كله وعملُه إِنما هو لدنياه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ معناه: هنا انتهى تحصيلهم من المعلومات، وذلك أَن المعلومات منها ما هي معقولات نافعة في الآخرة، ومنها ما هي في أُمور فانية وأَشخاص بادية؛ كالفلاحة، وكثير من الصنائع، وطلب الرياسة على الناس بالمخرقة، وكلها معلومات ولها علم، ومبلغ علم الكفرة إِنما هو في هذه الدُّنياويَّات.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ الآية؛ متصلٌ في معنى التَّسلية بقوله: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ الآية، وعيدٌ للكفَّار ووعْدٌ للمؤمنين.

وأَسند الضَّلَالَة والهدى إِليهم بكَسْبِهِم وإِن كان الجميع خلْقاً له واختراعاً.

واللَّام في قوله: ﴿لِيَجۡزِيَ﴾ متعلقة بقوله تعالى: ﴿ضَلَّ﴾، وبقوله تعالى: ﴿ٱهۡتَدَىٰ﴾، فكأَنه تعالى قال: ليصير أَمرهم جميعاً إِلى أَن يجزيَ.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ اعتراضٌ بين الكلام.

وقال بعض النحويين: اللام متعلقة بما في المعنى من التقدير، لأَن تقديره: ولله ما في السماوات وما في الأَرض، يضل من يشاءُ ويهدي من يشاءُ لِيَجْزيَ.

والنظر الأَول أَقل تكلُّفاً من هذا الإِضمار.

وقال قوم: اللام متعلقة بقوله تعالى في أَول السورة: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾، وهذا بعيد.

و(الْـحُسْنَى): هي الجنة، ولا حُسْنى دونها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعتٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ المتقدم قبله.

و﴿يَجۡتَنِبُونَ﴾ معناه: يَدَعُونَ جانباً.

وقرأَ جمهور القراءِ والناس: ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾، وقرأَ ابن وثاب، وطلحة، والأَعمش، وعيسى، وحمزة، والكسائي: ﴿كبير الإثم﴾ على الإِفراد الذي يراد به الجمع(١).

وهذا كقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]، وكقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩] ونحو هذا.

واختلف الناس في الكبائر، ما هي؟ فذهب الجمهور: إِلى أَنها السَّبع الموبقات التي وردت في الأَحاديث، وقد مضى القول في ذكرها واختلاف الأَحاديث فيها في (سورة النساءِ)/. [٥/ ١٤٥]

وتحرير القول في الكبائر: أَنها كل معصية يوجد فيها حدٌّ في الدنيا وتَوَعُّدٌ بنار في الآخرة، أَو لعنة، أَو نحو هذا خاصّاً بها، فهي كثيرة العدد، ولهذا قال ابن عباس حين قيل له: أَسَبْعٌ هي؟ فقال: هي إِلى السبعين أَقربُ منها إِلى السبع(٢).

---

(١) انظر نسبتها لجمهور السبعة وحمزة والكسائي في: التيسير (ص: ١٢٦)، وانظر نسبتها للأعمش في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٤٩٣)، وانظر موافقة ابن وثاب في: تفسير القرطبي (١٧/ ١٠٦)، ولم أقف على نسبتها للباقين.

(٢) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٥٥)، وفي المصنف (١٩٧٠٢)، والطبري (٨/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (٥٢١٦) وغيرهم من طرق صحيحة عن طاوس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقد رواه ابن أبي حاتم (٥٢١٧) بإسناد حسن عن سعيد بن جبير قال: إن رجلاً سأل ابن عباس: كم الكبائر؟ سبعاً هي؟ قال: هي إلى سبع مئة أقرب منها إلى سبع، وإنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار.

وقال زيد بن أَسلم: كبير الإِثم هنا يرادُ به الكفر[١].

و(الفواحش) الفواحش هي المعاصي المذكورة.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ هو استثناءٌ يصح أَن يكون متصلاً، وإِن قدرتَه منقطعاً؛ ساغ ذلك.

واختلف في معنى ﴿ٱللَّمَمَ﴾:

فقال ابن عباس[٢]، وابن زيد: معناه: ما أَلَـمُّوا به من الشرك والمعاصي في الجاهلية قبل الإِسلام[٣].

قال الثعلبي، عن ابن عباس، وزيد بن ثابت[٤]، وزيد بن أَسلم، وأَبيه: إِن سبب الآية أَن الكفار قالوا للمسلمين: قد كنتم بالأَمس تعملون أَعمالنا، فنَزلت الآية[٥]. فهي مثل قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣].

وقال ابن عباس وغيره: معناه ما أَلَمُّوا به من المعاصي؛ الفلتة والسقطة دون دوام، ثم يتوبون منه[٦].

وذكر الطبري عن الحسن بن أَبي الحسن أَنه قال: هي اللَّمَّة من الزِّنا والسرقة

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٣١-٥٣٢)، بتصرف.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٣٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً.

(٣) انظر تفسير الماوردي (٥/ ٤٠٠)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٥٣٢) بتصرف يسير.

(٤) أثر ابن عباس أورده الثعلبي بلا سند (٩/ ١٤٨)، وأما أثر زيد فأخرجه الطبري (٢٢/ ٥٣٢) من طريق عبد الله بن عون، عن محمد بن سيرين، عن زيد بنحوه.

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ١٤٨).

(٦) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٢٨٤)، والطبري (٢٢/ ٥٣٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٨٥)، وفي الشعب (٧٠٥٦) من طريق زكريا ابن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: هو أن يأتي الرجل الفاحشة ثم يتوب منها. قال: وقال رسول الله ﷺ «اللهم إن تغفر تغفر جماً، وأي عبد لك لا ألما».

وشرب الخمر ثم لا يعود[١]، وهذا كالذي قبله.

فكأَن هذا التأْويل يقتضي الرِّفق بالنَّاس في إِدخالهم في الوعد بالحسنى؛ إِذ الغالب في المؤمنين مواقعة المعاصي، وعلى هذا أَنشدوا؛ وقد تمثل به النبي ﷺ:

[الرجز]

إِنْ تَـغْـفِـرِ اللَّـهُـمَّ تَـغْفـرْ جَـمّـاً وَأَيُّ عَـبْـدٍ لَـكَ لَا أَلَـمَّـا[٢]

وقال أَبو هريرة، وابن عباس، والشعبي، وغيرهم: اللَّمَم: صغار الذنوب التي بين الحدَّيْن الدنيا والآخرة، وهي ما لا حدَّ فيه ولا وعيد مختصّاً بها مذكوراً لها[٣]، وإِنما يقال صغار بالإِضافة إِلى غيرها، وإِلَّا فهي بالإِضافة إِلى الناهي عنها كبائر كلها، ويعضد هذا قولُ النبي ﷺ: «إِن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والفرج يكذِّب ذلك أَو يصدِّقه، فإِن تقدم فرجه فهو زانٍ، وإِلَّا فهو اللَّمَم»[٤].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥٣٥).

(٢) البيت لأُمَيَّة بن أبي الصَّلت، كما في طبقات فحول الشعراء (١/ ٢٦٧)، والأغاني (٤/ ١٣٥)، وتاريخ دمشق (٩/ ٢٨٣)، ومسائل نافع بن الأزرق (ص: ٢٥٢)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٢٥٠)، ونسب لأبي خراش في غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٣٠٣)، والحماسة البصرية (٢/ ٤٣١)، وقال في خزانة الأدب (٢/ ٢٩٥): هو لأمية، وأخذه أبو خراش، وقد تمثل به النبي ﷺ كما ذكر المؤلف هنا.

(٣) أثر أبي هريرة أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٥٨-٧٠٥٩) من طريق يزيد بن زريع، عن يونس، عن الحسن، عن أبي هريرة أراه رفعه: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ قال: «اللَّمة من الزنا، ثم يتوب ولا يعود، واللَّمة من السرقة، ثم يتوب ولا يعود؛ واللَّمة من شرب الخمر، ثم يتوب ولا يعود، قال: فتلك الإلـمام». والحسن لم يسمع من أبي هريرة. أما أثر ابن عباس فقد أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قوله ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ قال: كلّ شيء بين الحدّين، حدّ الدنيا وحدّ الآخرة تكفِّره الصلوات، وهو اللمم، وهو دون كل موجب؛ فأما حدّ الدنيا فكلّ حدّ فرض الله عقوبته في الدنيا؛ وأما حدّ الآخرة فكلّ شيء ختمه الله بالنار، وأخَّر عقوبته إلى الآخرة. وانظر قول الشعبي في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٣٤).

(٤) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٥٥) عن معمر، والطبري (٢٢/ ٥٣٤) من طريق =

ورُوي: أَن هذه الآية نزلت في نبْهَان التَّـمَّار[١]، فالناس لا يتخلصون من مواقعة هذه الصغائر، ولهم مع ذلك الحسنى إِذا اجتنبوا التي هي في أَنفسها كبائر.

وتظاهر العلماءُ في هذا القول وكثُر المائل إِليه.

وذكر الطبري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أَنه قال: اللَّمَم ما دون الشِّرك[٢].

وهذا عندي لا يصح عن عبد الله بن عمرو.

وذكر المهدوي عن ابن عباس، والشعبي: اللَّمم ما دون الزِّنا[٣].

وقال نفطويه: اللَّمم ما ليس بمعتاد.

وقال الرُّمَّاني: اللَّمم: الهَمُّ بالذنب وحديث النفس به دون أَن يواقع[٤].

وحكى الثعلبي عن سعيد بن المسيب: أَنه ما خطر على القلب، وذلك هو لمَّة الشَّيطان[٥].

قال الزهراوي: وقيل اللَّمم نظرة الفجأَة، وقاله الحسين بن الفضل.

ثم أَنَّس تعالى بعد هذا بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ الآية؛ رُوي عن عائشة: أَنها نزلت بسبب قوم من اليهود كانوا يُعظِّمون أَنفسهم، ويقولون للطفل إِذا مات عندهم: هذا صدِّيق عند الله تعالى، ونحو

= معمر، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن ابن مسعود موقوفاً عليه، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٠)، والبيهقي في الشعب (٧٠٦٠).

(١) انظر تفسير الثعلبي (٩/ ١٤٩)، وتقدم خبره في آخر (سورة هود).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٣٦) من طريق المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب: أن عبد الله ابن عمرو بن العاص، قال: اللمم ما دون الشرك. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف المثنى بن الصباح، ولعدم إدراك عمرو بن شعيب عبد الله بن عمرو.

(٣) انظر التحصيل: (٦/ ٢٥٦).

(٤) انظر القولين في البحر المحيط (١٠/ ٢١)، والأول في تفسير القرطبي (١٧/ ١٠٨).

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ١٤٩)، وانظر فيه قول الحسين بن الفضل الآتي.

هذا من الأَقاويل المُتوهِّمة، فنزلت الآية فيهم[١]، ثم هي بالمعنى: عامة جميع البشر.

وحكى الثعلبي عن الكلبي ومقاتل: أنها نزلت في قوم من المؤمنين فخروا بأَعمالهم[٢].

وقوله: ﴿أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ قال مكي بن أَبي طالب في «المشكل»: معناه: هو عالم بكم[٣].

وقال جمهور أَهل المعاني: بل هو التفضيل بالإِطلاق؛ أَي: هو أعلم من الموجودين جملة، والعامل في ﴿إِذْ﴾ هو ﴿أَعْلَمُ﴾، وقال بعض النحاة: العامل فيه فعل مضمر تقديره: اذكروا إِذ، والمعنى الأَول أَبْين؛ لأَنَّ تقديره: فإِذا كان علمه قد أَحاط بكم وأَنتم في هذه الأَحوال [ووقع بكم التخفي][٤]، فأَحرى أن يقع بكم وأَنتم تغفلون وتجترحون.

و«الإِنشاءُ من الأَرض»: يراد به خلق آدم عليه السلام، ويحتمل أَن يراد به: إِنشاءُ الغذاءِ، و﴿أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين.

وقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ ظاهره النهي عن أَن يُزَكِّي أَحدٌ نفسه، ويحتمل أَن يكون نهياً عن أَن يُزَكِّي بعض الناس بعضاً، وإِذا كان هذا فإِنما ينهى عن تزكية السُّمعة والمدح للدنيا، أَو القطع بالتزكية، ومن ذلك الحديث في عثمان بن مظعون عند موته.

وأَمَّا تزكية الإِمام والقدوة أَحداً ليؤتم به أَو ليَتَهَمَّمَ الناسُ بالخير فجائز، وقد زكَّى

---

(١) ذكره الثعلبي (٩/ ١٥٠) عن عائشة، وقد روي مرفوعاً ولا يصح، فقد أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٦٨)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٩٨) من طريق ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: هو صديق، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «كذبت اليهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا أنه شقي أو سعيد»، فأنزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾، وانظر الضعيفة (٦١١٦).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ١٥٠).

(٣) مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٦٩٣).

(٤) سقط من الأصل.

رسول الله ﷺ بعض أَصحابه؛ أَبا بكر وغيره[١]، وكذلك تزكية الشهود في الحقوق جائز للضرورة إِليها.

وأَصل التزكية إِنما هو التقوى، والله تعالى هو أَعلم بتقوى الناس منكم.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ الآية؛ قال مجاهد، وابن زيد، وغيرهما: نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي[٢]، وذلك أَنه كان قد سمع قراءَة النبي ﷺ، وجلس إِليه، وَوَعَظَهُ رسول الله ﷺ، فَقَرُبَ من الإِسلام، وطَمِعَ النبيُّ ﷺ فيه، ثم إِنه عاتبه رجل من المشركين وقال له: أَتترك مِلَّة آبائك؟ ارجع إِلى دينك واثْبت عليه وأَنا أَتحمل لك بكل شيءٍ تخافه في الآخرة، لكن على أَن تعطيني كذا وكذا من المال، فوافقه الوليد بن المغيرة على ذلك، ورجع عمَّا همَّ به من الإِسلام، وضلَّ ضلالاً بعيداً، وأَعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل ثم أَمسك عنه وشَحَّ، فنزلت الآية فيه[٣].

وذكر الثعلبي عن قوم: أَنها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه في قصة جرت له مع عبد الله بن سعد بن أَبي سَرْح. وذلك كله عندي باطل، وعثمان عن مثله مُنَزَّهٌ.

وقال السُّدي: نزلت في العاص بن وائل، فقوله تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ على هذا القول: هو في المال.

وقال مقاتل بن حيان ـ في كتاب الثعلبي ـ: المعنى: وأَعطى من نفسه قليلاً في قربه من

---

(١) منها ما أخرجه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري، قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إن الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله»، فبكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: «يا أبا بكر لا تبك، إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر».

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ١٥١)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٠٢).

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٧٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٥١)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٠٢).

الإِيمان، ثُمَّ أَكْدَى؛ أَي: انقطع ما أَعطى[١]، وهذا بينٌ من اللَّفظ، والآخر يحتاج إلى رواية.

و﴿تَوَلَّىٰ﴾ معناه: أَدبر وأَعرض، والمراد: عن أَمر الله تعالى.

و(أكدى) معناه: انقطع عطاؤُه، وهو مُشَبَّه بالحافر في الأرض، فإِنه إِذا انتهى إِلى كُدْية ـ وهي ما صلب من الأَرض ـ وقف وانقطع حفره، وكذلك: أَجْبَل الحافر: إِذا انتهى إِلى جبل، ثم قيل لمن انقطع عمله: أَكْدَى وأَجْبَل.

وقوله / تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ معناه: أَعَلِم من الغيب أَنَّ من تحمَّل [٥/ ١٤٦] ذنوب آخر فإِن المُتَحَمَّل عنه ينتفع بذلك، فهو لهذا الذي عَلِمَه يرى الحقَّ وهو له فيه بصيرة، أَم هو جاهل لم يُنَبَّأْ بما في صحف موسى ـ وهي التوراة ـ وفي صحف إِبراهيم ـ وهي كتب نزلت عليه من السماءِ ـ من أَنه لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى؟ أَي: لا تحمل حاملة حِمْل أُخرى، وإِنما يؤخذ كل أَحد بذنوب نفسه، فلما كان جاهلاً بهذا وقع في إِعطاءِ ماله للذي قال له: إني أَتَحَمَّل عنك دَرَك الآخرة.

واختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَفَّىٰٓ﴾، وفي ما هو المُوَفَّى؟ فقال ابن عباس: كانوا قبل إِبراهيم عليه السلام يأْخذون الوليَّ بالوليِّ في القتل ونحوه، فوفَّى إِبراهيم عليه السلام وَبَلَّغ هذا الحكم من أَنه لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى[٢].

وقال ابن عباس أيضاً، والربيع: وفَّى طاعة الله تعالى في ذبح ابنه[٣].

وقال الحسن، وابن جبير وقتادة: وَفَّى تبليغ رسالته والمجاهدة في ذات ربه تعالى.

---

(١) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير الثعلبي (٩/ ١٥١) بتصرف في بعضها، وانظر تفسير الماوردي (٥/ ٤٠٢).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤٣) عن محمد بن حميد الرازي، عن مهران، عن سفيان، عن عطاء، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره بنحوه. ومحمد بن حميد الرازي ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس فذكره بنحوه، وقول الربيع في تفسير الثعلبي (٩/ ١٥٢).

وقال عكرمة: وفَّى هذه العشر الآيات: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فما بعدها[(١)].

وقال ابن عباس[(٢)]، وقتادة، وعكرمة: وفَّى ما افْتُرِض عليه من الطَّاعات على وجهها، وتكمَّلت له شعب الإِيمان والإِسلام، فأَعطاه الله تعالى براءَته من النَّار[(٣)].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: وفَّى شرائع الإِسلام ثلاثين سهماً[(٤)].

وقال أَبو أمامة ـ ورفعه إِلى النبي ﷺ ـ: «وفَّى أَربع صلوات في كل يوم»[(٥)].

والأَقوى من هذه الأقوال كلها: القول العامُّ لجميع الطَّاعات المستوفية لدين الإِسلام، فروي أَنها لم تُفرض على أَحد مُكَمَّلة فوفَّاها، إِلَّا على إِبراهيم ومحمد عليهما السلام، ومن الحجَّة لذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقرأَ ابن جُبَيْر، وأَبو مالك، وابن السَّميفع: (وَفَى) مخفَّفة الفاءِ[(٦)]، والخلاف فيما وَفَى به كالخلاف فيما وَفَّاه على القراءَة الأُولى التي فَسَّرنا، ورويت هذه القراءَة عن النبي ﷺ، وقرأَها أَبو أُمامة[(٧)].

---

(١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٤٣)، وبعضها في تفسير الثعلبي ٩/ ١٥٢) بتصرف.

(٢) حسن: هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤٥) من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، به بنحوه.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٤٣).

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤٥)، وابن أبي حاتم (١١٦٦) وغيرهم من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ قال: لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم، ابتلاه الله بكلمات، فأتمهن، قال: فكتب الله له البراءة فقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾. قال: عشر منها في (الأحزاب)، وعشر منها في (براءة)، وعشر منها في (المؤمنون) و(سأل سائل)، وقال: إن هذا الإسلام ثلاثون سهماً.

(٥) ضعيف جدًّا، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤٥) من طريق إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ قال: أتدرون ما وفى؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «وفى عمل يومه أربع ركعات في النهار». وجعفر بن الزبير الحنفي ساقط الحديث.

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في المحتسب (٢/ ٢٩٣).

(٧) لم أجدها مسندة.

و«الوِزْرُ»: الثقل، وأَنَّث الْوَازِرَةَ؛ إِمَّا لأَنه أَراد النَّفس، وإِمَّا لأَنه أَراد المبالغة؛ كَعَلَّامة ونسَّابة، وما جرى مجراهما.

و«أَنْ» في قوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ مخفَّفة من الثقيلة، وتقديرها: أَنه لا تزر، وحسَّن الحائل بينها وبين الفعل أن بقي الفعل مرتفعاً، فهي كقوله تعالى: ﴿أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ [المزمل: ٢٠] ونحوه، و«أَنْ» في موضع رفع أَو خفض كلاهما مترتب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ﴾، وقوله بعد ذلك: ﴿وَأَنَّهُۥ...وَأَنَّهُۥ﴾ معطوف كل ذلك على (أَن) المقدرة [أولاً][1] في قوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾، وهي كلها بفتح الألف في قراءَة الجمهور.

وقرأ أَبو السمال قعنب: (وَإِنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى) بكسر الهمزة فيها وفيما بعدها[2].

ورُوي عن ابن عباس: أَن قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ منسوخ بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١][3].

---

(١) سقط من المطبوع والحمزوية.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له ولآخرين في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٢).

(٣) الأثر أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٤٦-٥٤٧)، والنحاس في ناسخه (ص: ٦٨٩) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: قوله تعالى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ فأنزل الله جل وعز بعد ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فأدخل الله عز وجل الأبناء الجنة بصلاح الآباء.

وهذا لا يصح عندي عن ابن عباس؛ لأَنه خبر لا يُنْسخ، ولأَن شروط النسخ ليست هنا، اللهم إِلَّا أَن يُتَجَوَّز في لفظة النسخ ليفهم سائلاً.

وقال عكرمة: هذا الحكم كان في قوم إِبراهيم وموسى عليهما السلام، وأَمَّا هذه الأُمَّة فلها سَعْيُ غيرها[(١)]، والدليل: حديث سعد بن عبادة، قال: يا رسول الله! هل لأُمِّي إِن تطوعت عنها أَجر؟ قال: «نعم»[(٢)].

وقال الربيع بن أَنس: هذا الإِنسان الذي[(٣)] في هذه الآية هو الكافر، وأَمَّا المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره[(٤)].

وسأَل عبد الله بن طاهر بن الحسين[(٥)] والي خراسان الحسيْنَ بْنَ الفضل عن هذه الآية مع قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فقال له: ليس له بالعدل إِلَّا ما سَعَى، وله بفضل الله ما شاءَ اللهُ، فقبَّل عبدُ الله رأَس الحسين[(٦)]، وقال الجمهور: الآية محكمة.

والتحرير عندي في هذه الآية: أَنَّ مَلاك المعنى هو في اللام من قوله: ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾،

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٥٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن سعد بن عبادة رضي الله عنه توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال: «نعم»، قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عليها. ولفظة «أجر» ليست في الأصل ونجيبويه والحمزوية.

(٣) «الذي» ليست في المطبوع.

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٥٣).

(٥) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب، الأمير العادل أبو العباس الخزاعي المصعبي، أمير إقليم خراسان وما يليه، تأدب في صغره، وقرأ العلم والفقه، كان حسن الشعر، تنقل في الأعمال الجليلة شرقا وغربا، توفي سنة (٢٣٠هـ). تاريخ الإسلام (١٦/ ٢٣٠).

(٦) البحر المحيط (١٠/ ٢٤).

فإِذا حققت الشيءَ الذي حقُّ الإِنسان أَن يقول فيه: لي كذا، لم تجده إِلَّا سعيه، وما تَمَّ بَعْدُ من رحمةٍ، بشفاعة، أَو رعايةِ أَبٍ صالح أَو ابن صالح، أَو تضعيف حسنات، أَو تغمُّد بفضل أو رحمة دون هذا كله، فليس هو للإِنسان ولا يَسَعُهُ أَن يقول: لي كذا وكذا، إِلَّا على تجوُّز وإِلْحاق بما هو له حقيقة.

واحتج بهذه الآية من يرى أَنه لا يعمل أَحدٌ عن أَحد بعد موته ببدن ولا مال، وفرَّق بعض العلماءِ بين البدن والمال، وهي عندي كلها فضائل للعامل وحسناتٌ تُذكر للمعمول عنه، وقد أَمر رسول الله ﷺ سعداً رضي الله عنه بالصدقة عن أُمه.

و«السَّعْيُ»: التكسب.

وقوله تعالى: ﴿يُرَىٰ﴾ فاعلُه حاضرو القيامة؛ أَي: يراه الله تعالى ومَنْ شاهد الأَمر، وفي عرض الأَعمال على الجميع تشريف للْمُحْسنين وتوبيخ لِلْمُسيئين، ومنه قول النبي ﷺ: «من سمَّع بأَخيه فيما يكره، سمَّع الله به سامع خلقه يوم القيامة»[١].

وفي قوله: ﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ وعيدٌ للكافرين ووعْدٌ للمؤمنين.

و﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: يحتمل أَن يريد به الحشر والمصير بعد الموت، فهو مُنتهى بالإِضافة إِلى الدنيا وإِن كان بعده مُنْتَهى آخر هو الجنة أَو النار، ويحتمل أَن يريد بالمنتهى: الجنة أَو النار، فهو منتهى على الإِطلاق، ولكن في الكلام حذفُ مضاف؛ أَي: إِلى عذاب ربك أو رحمته.

وقال أُبَيُّ بن كعب: قال النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: «لا

---

(١) أخرج الخرائطي في مساوئ الأخلاق (٢٢٢) من طريق يونس بن عبيد، عن الحسن البصري أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل بأخيه المسلم أكلة، أطعمه الله مثلها من النار، ومن لبس بأخيه المسلم ثوباً، كساه الله مثله من النار، ومن سمع بأخيه المسلم وراءى به، سمع الله به، وراءى به يوم القيامة».

فِكْرة في الرَّبِّ»[١]، وروى أَنس: أَن النبي ﷺ قال: «إِذا ذُكر الرَّبُّ فانتهوا»[٢].

وقال أَبو هريرة رضي الله عنه: خرج رسول الله ﷺ يوماً على أَصحابه فقال: «فيم أَنْـتُـمْ»؟ قالوا: نتفكَّر في الخالق سبحانه وتعالى، فقال ﷺ: «تَفَكَّرُوا في الخَلْق ولا تَتَفَكَّروا في الخالق، فإِنه لا تحيط به الفكرة...» الحديث[٣].

وذكر تعالى الضحك والبكاء؛ لأنهما صفتان تجمعان أصنافاً كثيرة من الناس؛ إِذ الواحدة / دليل السرور والأخرى دليل الحزن في الدنيا والآخرة، فنَبَّه تعالى على هاتين الخاصَّتين اللتين هما للإنسان وحده. [٥/ ١٤٧]

وقال مجاهد: المعنى: أَضحك أَهل الجنة وأبكى أهل النار.

وحكى الثعلبي في هذا أقوالاً استعاريَّة كَمَنْ قال: أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماءَ بالمطر، ونحوه.

و﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ بَيِّنٌ، وحكى الثعلبي قولاً: أَنه أَحيا بالإِيمان وأَمات بالكفر[٤].

و﴿ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ في هذه الآية: يريد به المُصْطَحِبَيْن من الناس؛ من الرجل والمرأَة، وما ضارع من الحيوان، والخُنْثَى مُتَمَيِّزٌ ولا بُدَّ لإِحدى الجهتين.

---

(١) ضعيف، أخرجه الدارقطني في الغرائب كما في أطراف الغرائب (١/ ٣٩٧)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ١٥٤)، ومن طريقه البغوي في تفسيره (٧/ ٤١٧) من طريق العباس بن زفر، عن أبي جعفر الرازي، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب به، بنحوه. أبو جعفر الرازي صدوق سيئ الحفظ.

(٢) لم أقف عليه من حديث أنس، وأخرجه الثعلبي (٩/ ١٥٥) من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد: أن النبي ﷺ قال: «إذا ذكر الله عز وجل فانتهوا»، وابن لهيعة ضعيف، وسنان بن سعد المصري من صغار التابعين، قال فيه الذهبي: ليس بحجة.

(٣) ضعيف، أخرجه الثعلبي (٩/ ١٥٥) من طريق قتادة، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ مطول. وفيه عنعنة قتادة وهو مدلس، وشهر بن حوشب صدوق كثير الإرسال والأوهام.

(٤) انظر قولي الثعلبي وقول مجاهد في تفسير الثعلبي (٩/ ١٥٦).

و«النُّطْفَةُ» في اللغة: القطعة من الماءِ كانت يسيرة أَو كثيرة، ويراد بها هاهنا؛ ماء[١] الذُّكْران.

وقوله: ﴿تُمۡنَىٰ﴾ يحتمل أن يكون من قولك: أمْنَى الرجل: إذا خرج منه المنيُّ.

ويحتمل أن يكون من قولك: منى الله الشيء: إذا خلقه، فكأنه قال: إذا تُخْلَق وتُقَدَّر.

و﴿ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾: هي إعادة الأجسام إلى الحشر بعد البِلى في التراب[٢].

وقرأ الناس: ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾ بسكون الشين والهمز والقصر.

وقرأ أبو عمرو، والأعرج: ﴿النَّشَاءَةَ﴾ ممدودة[٣].

و(أَقْنَى) معناه: أكْسَبَ، تقول: قنيتُ المال؛ أي: كسبته، ثمَّ يعَدَّى بعد ذلك بالهمزة، وقد يعَدَّى بالتضعيف، ومنه قول الشاعر:

كَمْ مِنْ غَنِيٍّ أَصابَ الدَّهْرُ ثَرْوَتَهُ ... وَمِنْ فَقِير يقنَّى بَعْدَ إِقْـلالِ[٤] [البسيط]

وعبَّر المفسرون عن (أَقْنَى) بعبارات مختلفة:

فقال بعضهم: أَقْنَى معناه: اكْتَسَب ما يقتنى.

وقال مجاهد: معناه: أَرْضى وأَغْنَى[٥].

وقال حضرمي: معناه: أَغنى نفسه، وأَقْنَى: أفقر عباده إِليه[٦].

وقال الأَخفش: أَغْنى: أفقر[٧].

---

(١) «ماء» ليست في المطبوع ونجيبويه والحمزوية وأحمد٣.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «التركيب».

(٣) وهما سبعيتان، والثانية لأبي عمرو وابن كثير، كما تقدم في العنكبوت، وانظر التيسير (ص: ١٧٣).

(٤) استشهد به في المخصص (٤/ ٩)، والبحر المحيط (١٠/ ٧)، بلا نسبة.

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٤٩)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٧٤).

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٥٦).

(٧) تفسير الثعلبي (٩/ ١٥٦).

وهذه عبارات لا تقتضيها اللفظة، والوجه فيها بحسب اللغة: أَكْسَبَ ما يُقْتَنَى.

وقال ابن عباس: أَقْنَى: أقنع[١].

قال القاضي أَبو محمد: والقناعة خير قُنية، والغِنَى عَرَضٌ زائل، فَـللَّهِ دَرُّ ابن عباس.

و﴿ٱلشِّعۡرَىٰ﴾: نجم في السماءِ، وقال مجاهد وابن زيد: هو مرْزَم الجوزاءِ، وهما شعرَيان: إِحداهما الغميصاءُ والأُخرى العَبُور[٢]، لأنها عبرت المَجَرَّة، وكانت خزاعة ممن يعبد هذه الشِّعرى، ومنهم أَبو كبشة، ذكره الزهراوي والثعلبي[٣]، واسمه عبد الشِّعرى[٤]، فلذلك خُصَّت بالذكر؛ أَي: وهو ربُّ هذا المعبود الذي هو لكم.

و(عاد): هم قوم هود، واختلف في معنى وصفها بالأُولى:

فقال ابن زيد والجمهور: ذلك لأَنها في وَجْه الدَّهر وقديمه[٥]، فهي أُولى بالإِضافة إِلى الأُمم المتأَخرة.

وقال الطبري: سميت أُولى لأَن ثَمَّ[٦] عاداً أخيرة، وهي قبيلة كانت بمكة مع العماليق وهم بَنُو لُقَيْم بن هزَّال[٧]. والقول الأول أَبْيَن؛ لأن هذا الأخير لم يصح.

وقال المبرد: عاد الأَخيرة هي ثمود، والدليل قول زهير:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٥٠)، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٤/ ٣٢٤)، والإتقان (٢/ ٤٥) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ يقول: أعطاه وأرضاه.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥١).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٥٧).

(٤) في الأصل: «عبد العزى».

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٣)، بتصرف.

(٦) «ثم» ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٧) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٢).

.... كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ[١] [الطويل]

ذكره الزهراوي[٢]، وقيل: الأَخيرة: الجَبَّارُون.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿عَادًا﴾ منونةً، وبهمز.

وقرأَ نافع فيما يُروى عنه: (عَادَ الاولَى) بإِزالة التنوين والهمز، وهذا كقراءَة من قرأَ: (أَحَدَ اللهُ)[٣]، وكقول الشاعر:

.... وَلَا ذاكِــرِ اللَّـهَ إِلَّا قَـليــلاً[٤] [المتقارب]

وقرأَ قوم: ﴿عَادٍ الأُولَى﴾، والنطق بها: «عادَنِ الأُولَى»، اجتمع سكون نون التنوين وسكون لام التعريف فكُسرت النون لالتقاءِ الساكنين، ولا فرق بينها وبين قراءَة الجمهور إِلَّا ترك الهمز.

وقرأَ نافع أَيضاً، وأَبو عمرو بالوصل والإِدغام: ﴿عَاداً لُّولَى﴾ بإِدغام النون في اللام ونقل حركة الهمزة إِلى اللام.

وعاب أَبو عثمان المازني والمبرِّد هذه القراءَة وقالا: إِن هذا النقل لا يخرج اللام عن حدِّ السكون، وحقُّ أَلف الوصل أَن تبقى كما تقول العرب إِذا نقلت الهمزة من قولهم: «الأَحْمَر»، فإِنهم يقولون: «الَحْمَرُ جاءَ»، فكذلك يقال هنا: (عاداً الُولَى)[٥].

---

(١) من المعلقة، وصدره: فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ، انظر نسبته له في تفسير الطبري (٣/ ٣٥١)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٩٠)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٨٩)، وجمهرة اللغة (٣/ ١٣٢٨)، والمعاني الكبير (٢/ ٨٧٩)، والموشح (ص: ٤٧).

(٢) انظر قول المبرد في شرح المعلقات التسع (ص: ٢٠٢).

(٣) إشارة إلى الآيتين الأولى والثانية من (سورة الإخلاص)، وهي قراءة شاذة تقدمت الإشارة إليها.

(٤) هذا عَجُز بيت لأبي الأسود الدؤَلي وصدره: فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ، وقد تقدم في تفسير الآية (١٦٨) من (سورة البقرة).

(٥) انظر حجة القراءات لابن زنجلة (ص: ٦٨٧).

قال أَبو علي: والقراءَة سائغة، وأيضاً فمن العرب من يقول: «لَحمَرُ جاءَ» فيحذف الأَلف مع النقل ويَعْتَدُّ بحركة اللام ولا يراها في حكم السكون[١].

وقرأَ نافع فيما رُوي عنه: ﴿عاداً اللُّؤْلَى﴾ بهمز (اللُّؤْلى)، يهمز الواو[٢]، ووجه ذلك: أَنَّه لم يكن بين الواو والضمة حائل يحيل[٣] الضمة عليها، فهمزها كما تهمز الواوُ المضمومة.

وكذلك فعل من قرأَ: (على سؤقِهِ)[٤]، وكما قال الشاعر:

[الوافر] لَحَبَّ المُؤْقِدَانِ إِلَيَّ مُؤْسَى[٥] ....

وهي لغة.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَثَمُوداً﴾ بالنصب عطفاً على ﴿عَادًا﴾.

وقرأَ عاصم، والحسن، وعصمة: ﴿وَثَمُودَاْ﴾ بغير صرف.

وهي في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه بغير أَلف بعد الدال[٦].

وقوله: ﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ ظاهره: فما أَبقى عليهم.

وتأَول ذلك بعضهم: فما أَبقى منهم عيناً تَطْرِف، وقد قال ذلك الحجاج حين سمع قول من يقول: إِن ثقيفاً من ثمود، فأَنكر ذلك وقال: إِن الله تعالى قال: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾[٧]، وهؤلاءِ يقولون: بقي منهم باقية.

---

(١) انظر: الحجة للفارسي (٦/ ٢٣٩).

(٢) هذه خمس قراءات، الأولى والأخيرتان سبعية، والأخيرة لقالون، انظر التيسير (ص: ٢٠٤)، وعزا الثانية في جامع البيان (٤/ ١٦١٢) للحلواني عن قالون وابن جبير عن إسماعيل وابن ذكوان عن المسيّبي، وابن أبي أويس وابن أبي الزناد وكردم عن نافع، والثالثة لم أجدها.

(٣) في الأصل: «يخيل»، وفي المطبوع والأسدية ٣ والحمزوية: «يحمل»، وفي المطبوع: «الهمزة» بدل «الضمة».

(٤) إشارة إلى الآية (٢٩) من (سورة الفتح)، وهي شاذة كما تقدم هناك.

(٥) هذا صدر بيت لجرير وتمامه: وَجَعْدَةُ إِذْ أَضَاءَهُمَا الْوَقُودُ، وقد تقدم في تفسير الآية (٤٤) من (سورة النمل).

(٦) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦١٦)، وما نسبه لابن مسعود في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٣).

(٧) الكامل للمبرد (٢/ ٥٠).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾﴾.

نصب ﴿قَوْمَ نُوحٍ﴾ عطفاً على ﴿ثَمُودَ﴾.

وقوله: ﴿مِّن قَبْلُ﴾ لأَنهم كانوا أَول أُمَّة كذبت من أَهل الأَرض، ونوح أَول الرُّسل، وجعلهم أَظلَم وأَطْغى؛ لأَنهم سبقوا إِلى التكذيب دون اقتداءٍ بأَحد قبلهم، وأَيضاً: فَإِنهم كانوا في غاية من العُتُوِّ، وكان عُمْر نوح عليه السلام قد طال في دعائهم، وكان الرجل يأْتي إِليه مع ابنه فيقول: أحذِّرك من هذا الرجل فإِنه كذَّاب، ولقد حذَّرني منه أَبي وأَخبرني أَن جَدِّي حذَّره منه، فمشت على هذا أَخلاقهم أَلْفاً إِلَّا خمسين عاماً.

و﴿الْمُؤْتَفِكَة﴾: قرية قوم لوط عليه السلام بإِجماع من المفسِّرين.

ومعنى الْمُؤْتَفِكَة: المنقلبة؛ لأَنها أَفِكَت فأْتفكت، ومنه: الإِفْكُ؛ لأَنه قلْب الحق كذباً.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (وَالْمُؤْتَفِكَاتِ) على الجمع[(١)].

و﴿أَهْوَى﴾ معناه: طرحها من هواءٍ عال إِلى أَسفل، وهذا ما رُوي من أَن جبريل عليه السلام اقتلعها بجناحه حتى بلغ بها قرب السماءِ ثم حولها ـ قلبها ـ / فهبط الجميع، وأُتْبعوا حجارة، وهي التي غشَّاها الله تعالى[(٢)]. [٥/ ١٤٨]

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ مخاطبة للإِنسان الكافر، كأَنه قيل له: هذا هو الله[(٣)] الذي له هذه الأَفاعيل، وهو خالقك المنعم عليك بكل النِّعم، ففي أَيها تشكُّ؟ و﴿تَتَمَارَى﴾ معناه: تَتَشَكَّك.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٣).

(٢) انظر الطبري (٢٢/ ٩١)، ولفظة «قلبها» مثبتة من الأصل فقط.

(٣) لفظ الجلالة «الله» ليس في المطبوع ونجيبويه.

وقرأ يعقوب: ﴿ربِّك تَّمارَى﴾ بتاءٍ واحدة مشدَّدة[١].

وقال أَبو مالك الغِفَاري: إِن قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ إِلى قوله تعالى: ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ هو في صحف إِبراهيم وموسى[٢].

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ يحتمل أَن يشير إِلى محمد ﷺ، وهو قول قتادة، وأَبي جعفر، ومحمد بن كعب القرظي[٣].

ويحتمل أَن يشير إِلى القرآن، وهو تأْويل قوم.

وقال أَبو مالك: الإِشارة بهذا النَّذير إِلى ما سلف من الأخبار عن الأُمم[٤].

و﴿نَذِيرٌ﴾ يحتمل أَن يكون بناءَ اسم فاعل، ويحتمل أَن يكون مصدراً، و(نُذُر) جمع نذير، وقال: ﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾ بمعنى: أَنه في الرتبة والأَوصاف والمنزلة من تلك المتقدمة، والأَشبه أَن تكون الإِشارة إِلى محمد ﷺ.

وقوله: ﴿أَزِفَتِ﴾ معناه: قربت القريبة، و﴿ٱلْأَزِفَةُ﴾: عبارة عن القيامة بإِجماع من المفسرين.

و«أَزِفَ» معناه: قَرُبَ جدّاً، وقال كعب بن زهير:

[البسيط] بَانَ الشَّبَابُ وأَمْسَى الشَّيْبُ قَدْ أَزِفَا ... وَلَا أَرَى لِشَبَابٍ ذاهبٍ خَلَفَا[٥]

وقوله تعالى: ﴿كَاشِفَةٌ﴾ يحتمل أَن يكون صفةً لمؤنثة، والتقدير: حالٌ كاشفة، أَو منَّةٌ كاشفة، أَو سعاية، قال الرُّمَّاني: أَو جماعة[٦].

---

(١) وهي عشرية، انظر عزوها له في النشر (١/ ٣٠٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٤٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٦)، وقول محمد بن كعب القرظي في: البحر المحيط (٨/ ١٦٧).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٧)، وتفسير الثعلبي (/ ١٥٧).

(٥) كما في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٧)، والبحر المحيط (١٠/ ٨).

(٦) البحر المحيط (١٠/ ٢٩).

ويحتمل أَن يكون مصدراً كـ: العاقبة، وخائِنَة الْأَعْيُنِ.

ويحتمل أَن يكون بمعنى: كاشف، والهاءُ للمبالغة، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨].

وأَما معنى ﴿كَاشِفَةٌ﴾، فقال الطبري، والزجاج: هو من كشف السِّرِّ؛ أَي: ليس من دون الله من يكشف وقتها ويعلمه[١].

وقال الزهراوي عن منذر بن سعيد: هو من كشف الضُّرِّ ودَفعه؛ أَي: ليس من يكشف خطبها وهولها[٢].

وقرأَ طلحة: (لَيْسَ لَهَا مِمَّا تَدْعُونَ مِنْ دُون الله كَاشِفَةٌ وَهيَ عَلَى الظَّالِمِينَ سَاءتِ الْغَاشِيَةُ)[٣].

و﴿هَٰذَا الْحَدِيثِ﴾: هو القرآن.

وقوله: ﴿أَفَمِنْ﴾؟ توقيف وتوبيخٌ.

وفي حرف أُبَيٍّ، وابن مسعود: (تَعْجَبُونَ تَضْحَكُونَ) بغير واو العطف[٤].

[وقرأ الحسن: (تُعْجِبُونَ تُضْحِكُونَ) بضم التاءِ فيهما وكسر الجيم والحاء وحذف واو العطف][٥].

وفي قوله عز وجلَّ: ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ حضٌّ على البكاءِ عند سماع القرآن، وروى

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٨)، ومعاني القرآن للزجاج (٥/ ٧٨)، بتصرف.

(٢) لم أقف عليه لأي منهما.

(٣) وهي شاذة، مخالفة لمصاحف المسلمين، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٢٩٤).

(٤) وهي شاذة، عزاها لهما في البحر المحيط (١٠/ ٢٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٥٣).

(٥) سقط من الأصل والأسدية ٣ والحمزوية، وسقطت «والحاء» من نجيبويه. والقراءة شاذة، انظرها في البحر المحيط (١٠/ ٢٩).

سعد ابن أَبي وقَّاص رضي الله عنه: أَن رسول الله ﷺ قال: «إِن هذا القرآن أُنزل يُخَوِّف، فإِذا قرأْتموه فابكوا، فإِن لم تبكوا فتباكوا»[(١)]، ذكره الثعلبي.

و«السَّامِدُ»: اللاعبُ اللاهي، وبهذا فسَّر ابن عباس وغيره من المفسِّرين[(٢)]، وقال الشاعر:

[مجزوء الرمل] قِيلَ قُمْ فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ دَعْ عَنْكَ السُّمُودَا[(٣)]

وسَمَدَ بلغة حِمْير: غَنَّى. وهذا كله معنى قريب بعضه من بعض.

وأَسند الطبري عن أَبي خالد الوالبي[(٤)]، قال: خرج علينا عليٌّ رضي الله عنه ونحن قيام ننتظره للصلاة فقال: مالي أَراكم سامدين؟[(٥)].

قال القاضي أَبو محمد: يشبه أَنه رآهم في أَحاديث ونحوها مما يُظن أَنه غفلة مَّا.

---

(١) ضعيف جدّاً، أخرجه ابن أبي الدنيا في الهم والحزن (٨٧)، وابن ماجه (١٣٣٧)، والآجري في أخلاق أهل القرآن (٨٥)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ١٥٨) وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم، عن إسماعيل بن رافع، عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن السائب قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص بعدما كفّ بصره، فأتيته مسلّماً عليه، فانتسبني فانتسبت، فقال: مرحباً بابن أخي، بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا». وإسماعيل بن رافع أبو رافع الأنصاري المدني ضعيف، وله روايات أخرى بألفاظ مختلفة لا تسلم من ضعف، وانظر تفسير الثعلبي (٨/ ١٥٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٥٩)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٥) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿سَمِدُونَ﴾، يقول: لاهون، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس بنحوه.

(٣) ورد في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٥٦) منسوباً لهزيلة بنت بكر تبكي قوم عاد. وانظر جمهرة اللغة (٢/ ٦٤٨).

(٤) أبو خالد الوالبي اسمه هرمز، ويقال هرم، روى عن أبي هريرة، وابن عباس وعنه: منصور، والأعمش. وتاريخ الإسلام (٦/ ٥١٥).

(٥) حسن، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٦٠، ٥٦١) من طريق عن أبي خالد الوالبي، عن علي به. وأبو خالد هو هرمز الكوفي صدوق.

وقال إِبراهيم: كانوا يكرهون أَن ينتظروا خروج الإِمام قياماً[١].

وفي الحديث: «إِذا أُقيمت الصلاة فلا تقوموا حتَّى تروني»[٢].

ثم أَمر تعالى بالسجود وعبادة الله تعالى تحذيراً وتخويفاً، وهاهنا سجدة في قول كثير من أَهل العلم؛ منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣]، وردت بها أَحاديث صحاح[٤].

وليس يراها مالك رحمه الله[٥].

وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: إِنه قرأ بها عند النبي ﷺ فلم يسجد[٦].

❊ ❊ ❊

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٦١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٣٧)، ومسلم (٦٠٤) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٣) أثر عمر رضي الله عنه عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤/ ٦٢) لسعيد بن منصور.

(٤) أخرج البخاري (١٠٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.

(٥) النوادر والزيادات (١/ ٥١٨)، وعقد الجواهر الثمينة (١/ ١٢٧).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٧٢)، ومسلم (٥٧٧).



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة اقتربت الساعة

وهي مكيَّة بإجماع إلَّا آية واحدة اختلف فيها، فقال جمهور الناس: هي مكيَّة، وقال قوم: هي مما نزل يوم بدر، وقيل: بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ [القمر: ٤٥]، وسيأْتي القول في ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾.

﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾ معناه: قربت إِلَّا أنه أَبلغ، كما أَن «اقْتدر» أَبلغ من «قَدر».

و﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامة، وأَمرها مجهول التحديد، لم يعلم إِلَّا أنها قَرُبت دون تحديد.

وقال النبي ﷺ: «بُعثت أَنا والسَّاعة كهاتين» وأَشار بالسَّبَّابة والوسطى[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر رضي الله عنهما.

وقال أَنس: خطب رسول الله ﷺ وقد كادت الشمس تغيب، فقال: «ما بقي من الدنيا فيما مضى إِلَّا كمثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى»(١).

وقال ﷺ: «إِنِّي لأَرجو الله أَن يُؤَخِّر أُمتي نصف يوم»(٢)، وهذا منه ﷺ على جهة الرجاءِ والظن، لم يجزم به خبراً، فأَناف الله تعالى على أَمله وأَخَّر أُمته أَكثر من رجائه، وكل ما يُروى في عمر الدنيا من التحديد فضعيف واهن.

وقوله: ﴿انْشَقَّ الْـقَمَرُ﴾ إِخبارٌ عما وقع في ذلك.

وذكر الثعلبي في ذلك أَنه قيل: إِن المعنى: ينشق القمر يوم القيامة(٣).

وهذا ضعيف، والأُمَّة على خلافه، وذلك أَن قريشاً سأَلت رسول الله ﷺ آية، فقيل: مجملة؛ وهذا قول الجمهور، وقيل: بل عيَّنوا شق القمر، ذكره الثعلبي عن ابن عباس(٤)،

---

(١) حسن، أخرجه البزار في مسنده (٧٢٤٢) من طريق خلف بن موسى بن خلف، عن أبيه، عن قتادة، عن أنس: أن رسول الله ﷺ خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق منها إلا شيء يسير فقال: «والذي نفسي بيده ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه»، وما نرى من الشمس إلا يسيراً.

(٢) حسن لغيره، أخرجه أحمد (٣/ ٦٧-٦٨)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٤٧١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١١٧) من طريق أبي بكر بن أبي مريم، عن راشد بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ: أنه كان يقول: «لا تعجز أمتي عند ربي أن يؤخرها نصف يوم»، وسألت راشداً: هل بلغك ماذا النصف يوم؟ قال: «خمس مئة سنة». وأبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي ضعيف، وراشد بن سعد الحمصي، روايته عند سعد مرسلة كما في جامع التحصيل (١٨١)، وأخرجه أبو داود (٤٣٥٠) من طريق شريح بن عبيد، عن سعد بن أبي وقاص به، وفيه: قيل لسعد: وكم نصف ذلك اليوم؟ قال: «خمس مئة سنة». وشريح بن عبيد بن شريح ثقة ولم يدرك سعداً رضي الله عنه، وله شاهد من حديث أبي ثعلبة الخشني أخرجه أبو داود (٤٣٤٩)، والطبراني في الكبير (٥٧٦) من طريق عبد الله بن وهب، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبي ثعلبة الخشني عن النبي ﷺ، قال: «لن يعجز ربي أن يؤخر أمتي نصف يوم». وإسناده حسن.

(٣) تفسير الثعلبي (٦/ ٥) في تفسير أول (سورة النحل).

(٤) انظر تفسير الثعلبي (٩/ ١٦١).

فأَراهم الله تعالى انشقاق القمر، فرآه رسول الله ﷺ وجماعة من المسلمين والكفار، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»[(١)]، وممن قال من الصحابة رأَيتهُ: عبد الله بن مسعود، وجبير ابن مطعم، وأَخبر به عبد الله بن عمر، وأَنس، وابن عباس، وحذيفة بن اليمان[(٢)].

وقال المشركون عند ذلك: سحرنا محمد، وقال بعضهم: سَحَر القمر، وقالت قريش: استخبِروا المسافرين القادمين عليكم، فما ورد أَحد إِلَّا أَخبر بانشقاقه.

وقال / ابن مسعود: رأَيته انشق فذهبت فرقة وراءَ جبل حراءَ[(٣)]. [٥/ ١٤٩]

وقال ابن زيد: كان يُرى نصفه على قُعَيْقِعَان، والآخر على أَبي قُبيس[(٤)].

وقرأ حذيفة: (اقْتربَت السَّاعَةُ وقَد انْشَقَّ الْقَمَرُ).

وذكر الثعلبي عنه: أَن قراءَته: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ انْشَقَّ الْقَمَرُ) دون واو[(٥)].

قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ﴾، جاءَ اللفظ مستقبلاً لينتظم ما مضى وما يأْتي، فهو إِخبارٌ بأَن حالهم هكذا.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أثر عبد الله بن مسعود أخرجه البخاري (٤٣٦٠)، ومسلم (٢٨٠٠)، وأما أثر جبير بن مطعم فأخرجه أحمد (٤/ ٨١)، والترمذي (٣٢٨٩)، والطبري (٢٢/ ٥٦٨)، والبزار في مسنده (٣٤٣٥)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٩٧) من طرق عن حصين بن عبد الرحمن السلمي، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بمكة، وأما أثر ابن عمر فقد أخرجه مسلم (٢٨٠١)، وأما أثر أنس فأخرجه مسلم (٢٨٠٢)، وأثر ابن عباس قد أخرجه البخاري (٤٨٦٦)، ومسلم (٢٨٠٣)، وأما أثر حذيفة فقد أخرجه عبد الرزاق (٥٢٨٥)، وابن أبي شيبة (٥٢٠٥-٣٤٧٩٨)، وأبو داود في الزهد (٢٧٤)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٧٠٦) من طرق عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن حذيفة، فذكره بلفظ مطول.

(٣) صحيح، أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٦٦) من طريق الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عنه، وهو في مسلم (٢٨٠٠) دون ذكر حراء.

(٤) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٨٥).

(٥) وهما شاذتان، انظر الأولى في مختصر الشواذ (ص: ١٤٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٠)، وأما الثانية فلم أقف عليها.

واختلف الناسُ في معنى ﴿مُّسۡتَمِرّٞ﴾:

فقال الزجاج: قيل: معناه دائمٌ مُتَمَادٍ[(١)].

وقال قتادة، ومجاهد، والكسائي، والفراءُ: معناه: ذاهبٌ مارٌّ عن قريب يزول[(٢)].

وقال الضحاك، وأَبو العالية: معناه: مشدودٌ[(٣)]، من مراير الحبل، كأَنه سحْرٌ قد أمَرَّ، أَي: أُحْكمَ، ومنه قول الشاعر:

[البسيط]

حَتَّى اسْتَمَرَّت عَلَى شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ ... صَدْقَ العَزِيمةِ لَا رَتّاً وَلَا ضَرَعا[(٤)]

ثم أَخبر تعالى بأَنهم كذَّبوا واتبعوا شهواتهم وما يَهْوَوْن من الأُمور، لَا بِدَلِيلٍ ولا بِتَثَبُّت.

ثم قال تعالى ـ عَلَى جهة الخبر الجزم ـ: ﴿وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ﴾، كأَنه تعالى يقول: وكلُّ شيءٍ إِلى غاية، فالحق يستقر ثابتاً ظاهراً، والباطل يستقر زاهقاً ذاهباً.

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع: ﴿وكلُّ أمرٍ مُسْتَقِرٍّ﴾ بالجرِّ في ﴿مُسْتَقر﴾[(٥)]؛ يعني: بذلك أشراطها.

والجمهور على كسر القاف من ﴿مُّسۡتَقِرّٞ﴾ وقرأَ نافع بخلاف، وابن نصاح بفتحها، قال أَبو حاتم: لا وجه لفتحها[(٦)].

و﴿ٱلۡأَنۢبَآءِ﴾ جمع نبأٍ، ويدخل في هذا جميع ما جاءَ به القرآن من المواعظ والقصص ومثلات الأُمم الكافرة.

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٨٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٠)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٠٤).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٦٢).

(٤) البيت لِلَقيط بن يَعْمَر الإيادي، كما في الشعر والشعراء (١/ ١٩٦)، والكامل للمبرد (٢/ ١١٣)، والأوائل للعسكري (ص: ٩٥)، والحماسة البصرية (١/ ٨٩)، والأغاني (٢٢/ ٣٥٩). وفي المطبوع: «شذر»، وفي الأصل ونجيبويه: «رثا»، وفي نور العثمانية: «قد استمرت».

(٥) وهي عشرية، انظر نسبتها له في النشر (٢/ ٢٨٠).

(٦) وهي شاذة، انظرها مع نقل أبي حاتم في تفسير الثعلبي (١/ ١٦٢).

و﴿مُزۡدَجَرٌ﴾ معناه: موضع زجر وانتهاءٍ، وأَصله: مُزْتَجَرٌ؛ قلبت التاءُ دالاً؛ ليناسب مخرجها مخرج الزاي، وكذلك تبدل تاءُ «افتعل» من كل فعل أَوله زايٌ كـ: ازْدَلَف، وازْداد، ونحوه.

وقوله تعالى: ﴿حِكۡمَةُۢ﴾ مرتفع إِمَّا على البدل من ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا فِيهِ﴾، وإِمَّا على خبر ابتداءٍ مضمر تقديره: هذه حكمة.

و﴿بَٰلِغَةٞ﴾ معناه: يبلغ المقصد بها من وعظ النفوس والبيان لمن له عقل.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يحتمل أَن تكون (ما) نافية، أَي: ليس تُغْني مع عُتُوِّ هذه الناس، ويحتمل أَن تكون استفهاماً بمعنى التقرير؛ أَي: فَمَا غَنَاءُ النُّذر مع هؤلاءِ الكفرة؟

ثم سلَّى تعالى نبيَّه ﷺ بقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾؛ أَي: لا تذهب نفسك عليهم حسرات.

وتمَّ القول في قوله: ﴿عَنۡهُمۡ﴾، ثم ابتدأَ وعيدهم.

والعامل في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ﴾ قوله: ﴿يَخۡرُجُونَ﴾.

و﴿خُشَّعًا﴾ حالٌ من الضمير في ﴿يَخۡرُجُونَ﴾، وتصرف الفعل يقتضي تقدم الحال.

قال المهدوي: ويجوز أَن يكون حالاً من الضمير في ﴿عَنۡهُمۡ﴾[(١)].

وقال الرُّمَّاني: المعنى: فَتَولَّ عنهم واذكر يومَ[(٢)].

وقال الحسن: المعنى: فتولَّ عنهم إلى يوم[(٣)].

وانحذفت الواو من ﴿يَدۡعُ﴾ لأَن كَتبَةَ المصحف اتَّبعوا اللَّفظ لا ما يقتضيه الهجاءُ[(٤)].

---

(١) انظر التحصيل (٦/ ٢٧٩).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) البحر المحيط (١٠/ ٣٥).

(٤) انظر المحكم في نقط المصاحف للداني (ص: ١٥٨).

وأَمَّا حذف الياءِ من ﴿ٱلدَّاعِ﴾ ونحوه، فقال سيبويه: حذفوها تخفيفاً.

وقال أَبو عليٍّ: حذفت مع الأَلف واللَّام؛ إِذ هي تحذف مع معاقبها وهو التنوين[١].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿نُّكُرٍ﴾ بضم الكاف.

وقرأَ ابن كثير، وشبل، والحسن: ﴿نُكْرٍ﴾ بسكون الكاف[٢].

وقرأَ مجاهد، والجحدري، وأَبو قُلابة: (نُكِرَ) بكسر الكاف وفتح الراءِ على أنه فعل مبني للمفعول[٣]، والمعنى في ذلك كله: أَنه منكور غير معروف ولا مرْئي مثلُه.

قال الخليل: «النُّكُر» نعتٌ للأَمر الشديد والرجل الداهية[٤]، وقال مالكُ بن عوف النَّصْري:

[الرجز] أَقْـدِمْ مـحـاجُ إِنَّـهُ يَـوْمٌ نُـكُـر ... مِثْلِـي عَلَـى مِثْلِكَ يَحْمِـي وَيَكُر[٥]

و﴿نُّكُرٍ﴾: فُعُل، وهو صفة، وذلك قليل في الصِّفات، ومنه: مِشْيَةٌ سُجُحٌ، قال الشاعر:

[البسيط] دَعُوا التَّخَاجُؤَ وامْشُوا مشْيَةً سُجُحاً ... إِنَّ الرِّجَـالَ ذوُو عَصْـبٍ وتَذْكير[٦]

ومثله: رجلٌ شُلُلٌ، ونَاقَةٌ أُجُدٌ[٧].

---

(١) انظر الحجة للفارسي (٦/ ٢٤١).

(٢) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦١٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٤).

(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٣).

(٤) البحر المحيط (١٠/ ٣٥).

(٥) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٤٧)، ومعجم الشعراء (ص: ٣٦١)، وأنساب الخيل (ص: ٤٦).

(٦) البيت لحسَّان بن ثابت كما في الدلائل في غريب الحديث (٣/ ١١٠٤)، ومقاييس اللغة (٤/ ٣٣٦)، والمحكم والمحيط الأعظم (١/ ٤٥٠)، وأساس البلاغة (١/ ٤٣٨)، والخصائص (٢/ ١١٨). والتَّخَاجُؤُ: التباطُؤ في المشي.

(٧) ناقةٌ أُجُدٌ: متصلة الفَقار، تراها كأنها عظم واحد، والمراد: أنها قوية موثَّقَةُ الخَلْق.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿خُشَّعًا﴾، وهي قراءَة الأعرج، وأَبي جعفر، وشيبة، والحسن، وقتادة.

وقرأَ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿خَاشعاً﴾ وهي قراءَة ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، والجحدري[١]، وهي إِفراد بمعنى الجمع، ونظيره قول الشاعر:

وَشَبَابٌ حَسَنٌ أَوْجُهُهُمْ ... مِنْ إِيادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدْ[٢] [الرمل]

ورَجَّح أَبو حاتم هذه القراءَة، وذكر أن رجلاً من المتطوعة قال قبل أَن يستشهد: رأَيت النبي ﷺ في النوم فسأَلته عن ﴿خُشَّعًا﴾ و﴿خَاشِعاً﴾، فقال: ﴿خَاشِعاً﴾ بالأَلف.

وفي مصحف أُبَيِّ بن كعب، وعبد الله: (خاشعة)[٣].

وخصَّ تعالى الأَبصار بالخشوع؛ لأَنه فيها أَظهر منه في سائر الجوارح، وكذلك سائر ما في نفس الإِنسان من حياءٍ أَو صَلَف أَو خوف ونحوه إِنما يظهر في البصر.

و﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾ جمع جَدَث وهو القبر، وشبَّههم تعالى بالجراد المنتشر، وقد شبَّههم في أُخرى بالفراش المبثوث[٤]، وفيهم من كل هذا شبه، وذهب بعض المفسرين إِلى أَنهم أَولاً كالفراش حين يموجون بعضٌ في بعض، ثم في رتبة أُخرى كالجراد إِذا توجَّهوا نحو المحشر والدَّاعي.

وفي الحديث: أَن مريم بنت عمران عليها السلام دعت للجراد فقالت: اللهم أَعشها بغير رضاع، وتابع بينها بغير شياع[٥].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٥)، والنشر (٢/ ٢٧٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٤).

(٢) عزاه في سيرة ابن هشام (١/ ٧٤) للحارس بن دوس الإيادي، قال: ويروى لأبي دُواد الإيادي.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في مختصر الشواذ (ص: ١٤٨)، والرؤيا التي ذكر أبو حاتم لم أقف عليها.

(٤) في الآية (٤) من (سورة القارعة).

(٥) منكر، أخرجه الطبراني في الكبير (٧٦٣١)، وفي مسند الشاميين (١٢٤٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٤٣٣) من طريق بقية بن الوليد، عن نمير بن يزيد القيني، عن أبيه، عن أبي أمامة عن رسول الله =

و«الْمُهْطِعُ»: المُسْرِع في مَشْيه نحو الشيءِ مع هزٍّ ورَهَق ومَدِّ بصر نحو المقصد؛ إِمَّا لخَوْف أَو طمع ونحوه.

و﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ لما يَرَوْنَ من مخايل هَوله وعلامات مشقته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾.

سَوْقُ هذه القصة وعيدٌ لقريش وضَرْبُ مَثَل لهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ إِخبارٌ من الله تعالى أَنهم زَجروا نوحاً عليه السلام بالسَّبِّ والنَّجْه والتخويف، قاله ابن زيد، وقرأَ: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦][(١)].

[٥/ ١٥٠] وذهب مجاهد إِلى أَن ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ / من كلام قوم نوح، كأَنهم قالوا: مجنون وازدُجِرَ، والمعنى: استطير جُنُوناً واستعر جنوناً. وهذا قول فيه تعسُّفٌ وتحكُّم.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وعاصم، والأَعرج، والحسن: ﴿أَنِّى﴾ بفتح الأَلف، أَي: بأَنِّي، كأَن دعاءَه كان هذا المعنى.

وقرأَ عاصم أَيضاً، وابن أَبي إِسحاق، وعيسى: (إِنِّي) بكسر الأَلف، كأَن دعاءه كان هذا اللفظ[(٢)].

قال سيبويه: المعنى: قال إِنِّي[(٣)].

= ـ ﷺ ـ: أن مريم سألت ربها لحماً بلا دم فيه فأطعمها الجراد، فقالت: اللهم أحيه بغير رضاع وتابع بينه بغير شباع. ونمير بن يزيد القيني، الشامي مجهول، وأبوه لا يعرف، كما في الميزان (٣/ ٣٨٥).

(١) انظره مع قول مجاهد في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٣) بتصرف.

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٤).

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٤٣).

وذهب جمهور المفسِّرين إِلى أَن المعنى: قد غلبني الكفَّار بتكذيبهم وتخويفهم فانتصر لي منهم بأَنْ تُهلكهم.

ويحتمل أَن يريد: فانتصر لنفسك إِذ كذبوا رسولك، ويؤيده قول ابن عباس رضي الله عنه: إِن المراد بقوله: ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ الله تعالى، فوقعت الإِجابة على نحو ما دعا نوح[١].

وذهبت المتصوفة إِلى أَن المعنى: إِنِّي قد غلبتني نفسي في إِفراطي في الدعاءِ على قومي، فانتصر منِّي يا ربِّ بمعاقبة إِن شئتَ[٢].

والقولُ الأول هو الحق إِن شاءَ الله تعالى، يدل على ذلك اتصال[٣] قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ﴾ الآية، وذلك هو الانتصار من الكفار.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿فَفَتَحْنَآ﴾ بتخفيف التَّاءِ.

وقرأَ ابن عامر، وأَبو جعفر، والأَعرج: ﴿فَفَتَّحْنَا﴾ بشدِّها على المبالغة، ورجَّحها أَبو حاتم بقوله تعالى: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠][٤].

قال النقاش: يعني بالأَبواب: المجرَّة، وهي شَرَج السماءِ كشَرَج العَيْبَة[٥].

وقال قوم من أَهل التأْويل: الأَبواب حقيقة، فتحت في السماءِ أَبوابٌ جَرَى منها الماءُ، وقال جمهور المفسِّرين: هو تشبيه ومجاز؛ لأَن المطر كثُر كأَنه من أَبواب.

و«الـمُنْهَمر»: الشديدُ الوقوعِ، الغزيرُ، قال امرؤ القيس:

رَاحَ تَمْرِيـهِ الصَّبَـا ثُـمَّ انْتَحَـى فيـه شُـؤْبُوبُ جَنُـوبٍ مُنْهَمِـرْ[٦] [الرمل]

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أشار له في البحر المحيط (١٠/ ٣٨).

(٣) في نجيبويه مكانها: «أيضاً».

(٤) القراءتان سبعيتان، انظر التيسير (ص: ١٠٢)، والنشر (٢/ ٢٥٨)، وقول أبي حاتم لم أقف عليه.

(٥) البحر المحيط (١٠/ ٣٨).

(٦) كما في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤١٢). وتَمْرِيهِ: تَسْتَدِرُّهُ.

وقرأ الجمهور: ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ بشدِّ الجيم.

وقرأ ابن مسعود وأصحابه، وأبو حَيْوة، والمفضل عن عاصم بتخفيفها[(١)].

وقرأ الجمهور: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ على اسم الجنس الذي يعُمُّ ماءَ السماءِ وماءَ العيون.

وقرأ علي بن أبي طالب، والحسن، وعاصم الجَحْدري: (فالْتَقَى الماءَان).

ويروى عن الحسن: (فالتقى الماوان)[(٢)].

وقوله: ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ قال فيه الجمهور: المعنى: على رُتبة وحالة قد قدرت في الأزل[(٣)] وقضيت.

وقال جمهور من المتأَولين: المعنى: على مقادير قد قدرت في الأزل[(٤)] ورتبت وقت التقائه، ورَوَوْا أَن ماءَ الأَرض علا سبعة عشر ذراعاً، وكان ماءُ السماءِ ينزل عليه بقية أَربعين ذراعاً أَو نحو هذا لأَنه مما اختلفت فيه الروايات، ولا خبر يقطع العذر في شيءٍ من هذا التحديد[(٥)].

وقرأ أَبو حَيْوة: (قُدِّر) بشدِّ الدَّال[(٦)].

و﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾: هي السَّفينة، قيل: كانت أَلواحها وخشبها من ساج.

و«الدُّسُر»: المسامير، واحدها دسارٌ، وهذا هو قول الجمهور، وهو عندي من الدفع المُتَتَابع؛ لأَن المسمار يدفع أَبداً حتى يستوي.

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٤).

(٢) وهما شاذتان، انظر ما نسبه للجحدري والرواية الثانية عن الحسن في: تفسير الثعلبي (٩/ ١٦٤)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٥٤)، وفي المطبوع: «عاصم والجحدري».

(٣) في المطبوع: «الأول».

(٤) ليس في أحمد٣ إلى: «نحو هذا».

(٥) انظر البحر المحيط (١٠/ ٣٩).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٤).

وقال الحسن، وابن عباس أَيضاً: الدُّسر: مقادم السَّفينة؛ لأَنها تَدْسُر الماءَ؛ أَيْ: تدفعه[(١)]، والدَّسْر: الدَّفْع.

وقال مجاهد وغيره: الدُّسُر: نُطُق السَّفينة، وقال أَيضاً: الدُّسُر: هو أرض السَّفينة، وقال أَيضاً: أَضلاع السَّفينة[(٢)]. وقد تقدم القول في شرح قصة السَّفينة مستوعباً.

وجمهور الناس على أَنها كانت كهيئة السُّفن اليوم، كجُؤجؤ الطائر.

وورد في بعض الكتب: أَنها كانت مربَّعة طويلة في السماءِ، واسعة السُّفل، ضيقة العُلْو، وكان أَعلاها مفتوحاً للهواءِ والتنفس، قالوا: لأَن الغرض منها إِنما كان السلامة حتى يزول الماءُ، ولم يكن طلبَ الجري وقَصْدَ المواضع المعيَّنة، ومع هذه الهيئة فلها مجرى ومرسى، والله أَعلم كيف كانت، والجميع محتمل.

وقوله تعالى: ﴿ بِأَعۡيُنِنَا ﴾، قال الجمهور: معناه: بحفظنا وحفايتنا[(٣)] وتحت نظر منَّا لأَهلها، فسمَّى هذه الأَشياءَ أَعْيُناً تشبيهاً، إِذ الحافظ المُتَحَفِّي من البشر إِنما يكون ذلك الأَمْر نُصْب عينيه، وقيل: المراد: مَنْ حَفِظها من الملائكة، سمَّاهم عيوناً.

وقال الرُّمَّاني: وقيل: إِن قوله تعالى: ﴿ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ يريد به العيون المتفجرة من الأَرض[(٤)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.

وقرأَ أَبو السَّمال: (بِأَعْيُنَّا) مُدْغمةً[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥٨٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَدُسُرٍ﴾ قال: الدسر كلْكل السفينة.

(٢) لفظه في تفسير مجاهد (ص: ٦٣٤): أضلاع السفينة، وفي تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٤): عوارضها.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «كفايتنا»، وسقط أول الكلمة من نور العثمانية.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص:١٤٨)، وهي من رواية العباس عن أبي عمرو.

وقرأ جمهور الناس: ﴿كُفِرَ﴾ بضم الكاف وكسر الفاءِ، واختلفوا في المعنى:

فقال ابن عباس، ومجاهد: يُراد بها الله تعالى، كأَنه قال: غَضَباً وانتصاراً لله[١]؛ أَي: انتصر لنفسه فأَنجى المؤمنين وأَغرق الكافرين.

وقال مكي: وقيل: (مَنْ) يُرادُ بها نوحٌ عليه السلام والمؤمنون؛ لأَنهم كُفرُوا من حيث كُفِر بهم، فجازاهم الله تعالى بالنجاة[٢].

وقرأ يزيد بن رومان وقتادة وعيسى: (كَفَر) بفتح الكاف والفاء[٣].

والضمير في ﴿تَّرَكْنَٰهَآ﴾ قال مكي بن أَبي طالب: هو عائد على هذه الفعلة والقصة[٤].

وقال قتادة، والنقاش، وغيرهما: هو عائد على هذه السَّفينة، قالوا: وإِن الله تعالى أَرساها على الجودي حين تطاولت الجبال وتواضع هو، وهو جُبَيْل بالجزيرة بموضع يقال له: بَاقِرْدَى، وأَبقى خشبها هنالك حتى رأَت بعضه أَوائلُ هذه الأُمَّة[٥]، قال قتادة: وكم من سفينة كانت بعدها قد صارت رماداً[٦].

و﴿مُّدَّكِرٍ﴾ أَصله: مُذْتَكِر، أَبدلوا من التاءِ دالاً لتناسب الذَّال في النطق، ثم أَدغموا الذَّال في الدَّال، وهذه قراءَة الناس، قال أَبو حاتم: رويت عن النبي ﷺ بإِسناد صحيح[٧].

وقرأ قتادة: (مُذَّكِرٍ) بإِدغام الثاني في الأول[٨]، قال أَبو حاتم: وذلك رديءٌ،

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢١)، وقول ابن عباس لم أقف عليه.

(٢) الهداية لمكي (١١/ ٧١٨٩).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٤).

(٤) الهداية لمكي (١١/ ٧١٩٠).

(٥) تفسير الطبري (٠٢٢/ ٥٨٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٥).

(٦) في الأصل: «رمود»، وانظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٥) بتصرف.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٤١)، ومسلم (٨٢٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٨) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٤٨).

ويلزمه أَن يقرأَ: (وَادَّكَرَ بعد أمة)، و(وما تدَّخرون في بيوتكم)[١].

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ توقيف لقريش، و«النُّذُرُ» هنا جمع: نَذير؛ المصدر، بمعنى: كيف كان عاقبة إِنذاري لمن لم يَحْفل به كأَنتم أَيها القوم؟

و﴿يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ معناه: سهَّلناه وقرَّبناه، و(الذِّكْر): الحفظ عن ظهر قلب.

قال ابن جبير: لم يُستظهر من كتب الله تعالى سوى القرآن[٢].

قال القاضي أَبو محمد: يُسِّر بما فيه من حُسْن النظم وشرف المعنى، فله لَوْطَةٌ بالقلوب، وامتزاج بالعقول السليمة.

وقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ استدعاءٌ وحضٌّ على ذكره / وحفظه؛ لتكون زواجره [٥/ ١٥١] وعلومه وهداياته حاضرة في النفس.

قال مطر ـ في قوله تعالى ـ: (هل من مُدَّكر) معناه: هل من طالب عِلْم فيُعَانُ عليه؟[٣].

قال القاضي أَبو محمد: الآية تعديد نعمه في أَن الله تعالى يسَّر الهدى ولا بخل من قبله، فـللَّهِ درُّ من قبل واهتدى، وتقدم تعليل: ﴿مُّدَّكِرٍ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٦)﴾.

---

(١) إشارة إلى الآيتين من (سورة يوسف)، (٤٥)، و(آل عمران)، (٤٩).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ١٦٥) بتصرف.

(٣) مطر هو الوراق، انظر تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢٠)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٤). وفي المطبوع: «مطرف».

عادٌ: قبيلة، وقد تقدَّم قصصها.

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، موضع ﴿كَيْفَ﴾ نصب؛ إِمَّا على خبر ﴿كَانَ﴾ وإِمَّا على الحال، و﴿كَانَ﴾ بمعنى: وُجِدَ وَوَقع في هذا الوجه.

و(نُذُر) نُذُر جمع: نَذِيرٍ، وهو المصدر.

وقرأ ورش وحده: ﴿نُذُرِي﴾ بالياءِ، وقرأ الباقون: ﴿نُذُرِ﴾ بغير ياءٍ على خط المصحف[١].

و«الصَّرْصَرُ» قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك: معناه: الباردة، وهو من الصرِّ[٢].

وقال جماعة من المفسِّرين: معناه: المُصَوِّتة نحو هذين الحرفين، مأْخوذ من: صرَّت الرِّيح: إِذا هبت دُفَعاً كأَنها تنطق هذين الحرفين: الصَّاد والرَّاءَ، وضوعف الفعل كما قالوا: كَبْكَب وكَفْكَف من: كَبَّ وكفَّ، وهذا كثير.

ولم يختلف القراءُ في سكون الحاءِ من ﴿نَحْسٍ﴾ وإِضافة اليوم إِليه إِلَّا ما رُوي عن الحسن أَنه قرأَ: (فِي يَوْمٍ) بالتنوين (نَحِسٍ) بكسر الحاءِ[٣].

و﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ معناه: متتابع، قال قتادة: استمر بهم ذلك النحس حتى بلغهم جهنم[٤].

قال الضحاك ـ في كتاب الثعلبي ـ: المعنى: كان مُرّاً عليهم[٥]، وذكره النقاش عن الحسن.

ورُوي: أَن ذلك اليوم الذي كان لهم فيه نحس مستمر كان يوم أَربعاءٍ، وورد في

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٨٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، وقول الباقين في الطبري (٢٢/ ٥٨٥)، والماوردي (٩/ ٤١٤).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٤).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٧)، بتصرف يسير.

(٥) لم أقف عليه في المطبوع من تفسير الثعلبي، وانظره في تفسير القرطبي (١٧/ ١٣٥)، ومع قول الحسن في البحر المحيط (١٠/ ٤١).

بعض الأَحاديث في تفسير هذه الآية: يوم نحس مستمر يوم الأَربعاءِ[١]، فتَأول بعض الناس في ذلك أَنه يصحبُ في الزمان كله.

وهذا عندي ضعيف، وإِن كان أَبو بشر الدولابي[٢] ذكر حديثاً رواه أَبو جعفر المنصور عن أَبيه محمد عن أَبيه علي عن أَبيه عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «آخر أَربعاء من الشهر يوم نحس مستمر»[٣].

ويوجد نحو هذا في كلام الفرس والأَعاجم، وقد وجد ذكر الأَربعاء التي لا تدور في بعض شعر الخراسانيين المولَّدين[٤].

وذكر الثعلبي عن زِرِّ بن حُبَيْش في تفسير هذا اليوم لعادٍ أَنه كان في أَربعاء لا تدور[٥].

---

(١) موضوع، أخرجه أبو عوانة في مستخرجه (٦٠٢٢)، والطبراني في الأوسط (٧٩٧-٦٤٢٢)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٨٦)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (١/ ٣٧٩) وغيرهم من طريق إبراهيم بن أبي حية، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام فأمرني أن أقضي باليمين مع الشاهد، وقال: إن يوم الأربعاء يوم نحس مستمر»، وإبراهيم بن أبي حية اليسع بن الأشعث المكي متروك الحديث، وانظر «الموضوعات» (٢/ ٧٤).

(٢) هو أبو بشر الأنصاري الدولابي الحافظ الوراق، من أهل الري، سمع: أحمد بن أبي سريج الرازي، وخلقاً كثيراً ببلده، وبالكوفة، والبصرة، وبغداد، ودمشق، والحرمين، وصنَّف، قال ابن يونس: كان من أهل الصنعة، وكان يضعف، تاريخ الإسلام (٢٣/ ٢٧٦)

(٣) موضوع، أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٦/ ٥٨٤) من طريق محمد بن صالح الهاشمي، قال: حدثنا مسلمة بن الصلت، قال: حدثنا أبو الوزير صاحب ديوان المهدي، قال: حدثنا المهدي أمير المؤمنين، عن أبيه، عن أبيه، عن ابن عباس، عن النبي، ﷺ أنه قال: «آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر»، ومسلمة بن الصلت متروك الحديث، وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٧٣-٧٤) من عدة طرق أخرى، وقال: لا يصح منها شيء».

(٤) من ذلك كما في ثمار القلوب (ص: ٦٥٠) قول بعضهم: لقاؤك للمبكر يَوْم سوء... ووجهك أربعاء لَا تَدور.

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ١٦٥)، لكن لم ترد فيه نسبة القول لزر بن حبيش، وفي المطبوع: تفسير هذه الآية.

وذكره النقاش عن جعفر بن محمد، وقال: كان القمر منحوساً بزحل[١].

وهذه نَزغة سوءٍ عياذاً بالله تعالى أن تصح عن جعفر بن محمد.

وقوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ معناه: تنقلهم من مواضعهم نَزْعاً فتطرحهم.

وروي عن مجاهد: أَنها كانت تلقي الرجل على رأسه فيتفتَّت رأْسُهُ وعنقه وما يلي ذلك من بدنه[٢]، فلذلك حَسُن التشبيه بأَعجاز النخل، وذلك أَن المُنْقَعر هو الذي ينقلع من قعره، فذلك التشعث[٣] والتشعُّب الذي لأَعجاز النخل كان يشبهها ما تقطَّع وتشعَّث[٤] من شخص الإِنسان.

وقال قوم: إِنما شبَّههم بأَعْجاز النخل؛ لأَنهم كانوا يحفرون حُفَراً ليمتنعوا فيها من الريح، فكأَنه شبَّه تلك الحُفَر بعد النَّزع بحفر أَعجاز النَّخل، والنَّخل تُذَكَّر وتُؤَنث فلذلك قال تعالى هنا: ﴿مُّنقَعِرٍ﴾، وفي غير هذه السُّورة ﴿خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

والكاف في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ في موضع الحال، قاله الزجاج[٥].

وما رُوي من خبر الخُلْجان وغيره وقوتهم؛ ضعيف كله[٦].

وفائدة تكرار قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ التخويف وهزُّ الأَنْفُس.

قال الرُّمَّاني: لما كان الإِنذارُ أَنواعاً؛ كرَّر التذكير والتَّنبيه[٧].

وفائدة تكرار قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ التأكيد والتحريض

---

(١) لم أقف عليه، في المطبوع والأسدية٣: «في رجل» بدل «بزحل».

(٢) في المطبوع: «بين يديه»، والقول في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٨٩)، بتصرف.

(٣) سقط من الأصل.

(٤) سقط من المطبوع.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٨٩).

(٦) انظر الطبري (٢٢/ ١٣٦)، «وقوتهم» ليست في المطبوع.

(٧) لم أقف عليه.

وتنبيه الأَنْفُس، وهذا موجود في تكرار الكلام، مثل قول النبي ﷺ: «أَلَا هل بلَّغت؟ أَلَا هل بلَّغت؟ أَلَا هل بلَّغت؟»[١]، ومثل قوله ﷺ: «أَلَا وقولُ الزُّور، أَلا وقولُ الزُّور، أَلَا وقولُ الزُّور»[٢]، وكان رسول الله ﷺ إِذا سلَّم على قوم سلَّم عليهم ثلاثاً[٣]، فهذا كلُّه نحوٌ واحد وإِن تنوع.

و﴿ثَمُودُ﴾ قبيلة صالح عليه السلام، وهم أَهل الحِجْر.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا﴾، ونصبه بإِضمار فعل يدلُّ عليه ﴿نَّتَّبِعُهُۥ﴾، و﴿وَاحِدًا﴾ نعت لـ﴿أَبَشَرًا﴾.

وقرأَ أَبو السَّمَّال: (أَبَشَرٌ مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ)[٤]، ورفعه إِمَّا على إِضمار فعل مَبْني للمفعول، والتقدير: أَيُنَبَّأُ بَشَرٌ؟ وإِمَّا على الابتداءِ، والخبرُ في قوله تعالى: ﴿نَّتَّبِعُهُۥ﴾، و﴿وَاحِدًا﴾ على هذه القراءَة حالٌ، إِمَّا من الضمير في ﴿نَّتَّبِعُهُۥ﴾ وإِمَّا من المقدَّر مع ﴿مِّنَّا﴾، كأَنهم يقولون: أَبَشَرٌ كائن منَّا واحد؟ وفي هذا نظر.

وحكى أَبو عمرو الداني: أَن قراءَة أَبي السَّمَّال: (أَبَشَرٌ مِنَّا وَاحِدٌ) بالرفع فيهما[٥].

وهذه المقالة من ثمود حسدٌ منهم [لصالح عليه السلام][٦]، واسْتبعادٌ منهم

---

(١) جاء ذلك في أكثر من حديث منها: ما أخرجه البخاري (٧١٧٤)، ومسلم (١٨٣٢) عن أبي حميد الساعدي، قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من بني أسد يقال له ابن الأتبية على صدقة، وفي آخره: «ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه «ألا هل بلغت»، ثلاثاً.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٤) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٩٥) عن أنس عن النبي ﷺ: أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً، حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم... إلخ.

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٥).

(٥) وهي شاذة أيضاً، انظر نسبتها له في تفسير القرطبي (١٧/ ١٣٧) وأشار لها في تفسير الزمخشري (٤/ ٤٣٧).

(٦) سقط من الأصل ونجيبويه.

أَن يكون نوع من البشر يفضل بعضه بعضاً هذا الفضل، فقالوا: أَنكون جميعاً ونتبع واحداً، ولم يعلموا أَن الفضل بيد الله تعالى يُؤْتيه من يشاءُ، ويُفيض نور الهدى على من رَضيه.

وقولهم: ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ معناه: في أَمْرٍ مُتلِف مُهْلك بالإِتلاف.

و﴿سُعُرٍ﴾ معناه: في احتراق أَنْفُسٍ واسْتعارُهَا؛ حنقاً وهمّاً باتباعه.

وقيل في «السُّعُر»: العناءُ، وقاله قتادة[1].

وقيل: الجنون[2]، ومنه قولهم: ناقة مسعورة: إِذا كانت تَفرط في سيرها.

ثم زادوا بالتوقيف بقولهم: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾؟ و(أُلْقيَ) بمعنى: أُنْزِلَ، وكأَنه يتضمن عجلة في الفعل، والعرب تستعمل هذا الفعل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: ٣٩]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

و﴿ٱلذِّكْرُ﴾ هنا: الرِّسالةُ وما يمكن أَن يكون جاءَهم به من الحكمة والموعظة.

ثم قالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾؛ أَي: ليس الأَمر كما يزعم.

و«الأَشِر»: البَطِرُ المَرِحُ، فكأَنهم رَمَوْه بأَنَّه أَشِرَ، فأَراد العُلُوَّ عليهم وأَن يقتادهم ويتملَّك طاعتهم، فقال الله تعالى لصالح عليه السلام: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾، وهذه بالياءِ من تحت قراءَةُ علي بن أَبي طالب وجمهورِ الناس.

[٥/ ١٥٢] وقرأَ ابن عامر، وحمزة،/ وعاصم، وابن وثاب، وطلحة، والأَعمش: ﴿سَتَعْلَمُونَ﴾ بالتاءِ[3] على معنى: قُل لهم يا صالح.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤١٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٧٠).

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٤١٥).

(٣) وهما سبعيتان، الثانية لابن عامر وحمزة كما في التيسير (ص: ٢٠٦)، وعزاها لعاصم من طريق هبيرة في السبعة (ص: ٦١٨).

وقوله تعالى: ﴿غَدًا﴾ تقريب يراد به الزَّمان المسْتَقْبل لا يوماً بعينه، ونحوه المثل: مع اليوم غدٌ.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلۡأَشِرُ﴾ بكسر الشين؛ كـ: حذر بكسر الذال.

وقرأَ مجاهد فيما ذكر عنه: (الأَشُرُ) بضم الشين؛ كـ: حَذُر بضم الذال، وهما بناءَان من اسم الفاعل.

وقرأَ أَبو حَيوة: (الأَشَرُ) بفتح الشين، كأَنه وصف بالمصدر.

وقرأَ أَبو قِلابة: (الأَشَرُّ) بفتح الشين وشدِّ الراءِ[1]، وهو الأَفعل، ولا يستعمل إِلاَّ بالأَلف واللام، وهو كان الأَصل[2]، لكنه رفض تخفيفاً وكَثْرَةَ استعمال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةً لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٍ مُّحۡتَضَرٞ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾.

هذه النَّاقة التي اقترحوها أَن تخرج من صخرة صَمَّاءَ من الجبل، وقد تقدَّم قصصها، فأَخبر الله تعالى صالحاً عليه السلام ـ على وجه التأْنيس ـ أَنه يُخرج لهم النَّاقة ابتداءً واختباراً، ثم أَمره تعالى بارتقاب الفرج وبالصبر.

و(اصطبر) أصله: اصتبر؛ افتعل، أبدلت التاء طاء لتناسب الصاد.

ثم أمره بأن يخبر ثمود أن الماء قسمة بينهم، والماء هو ماء البئر التي كانت لهم.

---

(١) ثلاث قراءات شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٤٨)، والأولى والأخيرة في المحتسب (٢/ ٢٩٨).

(٢) في المطبوع: «الأصيل».

واختلف المتأَولون في معنى هذه القسمة ـ فقال جمهور منهم: قسمة بينهم، يتواسونه[١] في اليوم الذي لا تَرِدُه الناقة، وذلك ـ فيما روي ـ أَن الناقة كانت ترد البئر غِبّاً، وتحتاج جميع مائه يومها، فنهاهم الله تعالى عن أَن يستأْثر أَهل اليوم الذي لا ترد الناقة فيه بيومهم، وأَمرهم بالتساوي مع الذين ترد الناقة في يومهم.

وقال آخرون: معناه: الماءُ بين جميعهم وبين الناقة قسمة.

و﴿مُّحۡتَضَرٞ﴾ معناه: محضور مشهود مُتَوَاسى فيه.

وقال مجاهد: المعنى: ﴿كُلُّ شِرۡبٖ﴾؛ أَي: من الماءِ يوماً ومن لبن الناقة يَوْماً ﴿مُّحۡتَضَرٞ﴾ لَهُمْ[٢]، فكأَنه أَنبأَهم بنعمة الله تعالى عليهم في ذلك.

و﴿صَاحِبَهُمۡ﴾ هو قُدار[٣] بن سالف، وبسببه سُمِّي الجزار القُدارَ؛ للشبه في الفعل، قال الشاعر:

[الكامل]

إِنَّا لَنَضْرِبُ بالسُّيُوف رُءُوسَهُمْ ضَرْبَ الْقُدَار نَقيعَةَ القُدَّام[٤]

وقد تقدَّم شرح أَمر قدار بن سالف.

و(تَعَاطَى) هو مطاوع: عاطى، فكأَن هذه الفعلة تدافعها الناسُ وأَعطاها بعضهم بعضاً، فتعاطاها هو وتناول العقر بيده، قاله ابن عباس[٥]، ويقال للرجل الذي يُدخل نفسه في تحمُّل الأُمور الثقال: متعاطٍ على الوجه الذي ذكرناه، والأَصل: عَطَا يعطو: إِذا

---

(١) في المطبوع: «يتساوون فيه».

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٨). بتصرف.

(٣) في بعض النسخ: «قذار».

(٤) البيت للْمُهَلْهِل، كما في العين (١/ ١٧٢)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٤٤)، والمعاني الكبير (١/ ٣٧٧)، وتهذيب اللغة (٩/ ٥٦).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥٩٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره بلفظ مطول.

تناول، ثم يقال: عاطى غيره، ثم يقال: تعاطى، وهذا كما يقال: جَرَى وجارَى وتجارى، وهذا كثير.

ويُروى: أَنه كان مع شَرْب ـ وهم التسعة رهط ـ فاحتاجوا ماءً فلم يجدوه بسبب وِرْد الناقة، فحمله أَصحابه على عقرها.

ويُروى: أَن ملأَ القبيل اجتمع على عقرها، ورويت أَسباب غير هذين، وقد تقدَّم ذلك.

و«الصَّيْحَةُ» يروى: أَن جبريل عليه السلام صاحها في طرف من منازلهم فتفتَّتوا وهمدوا فكانوا كهشيم المحتظر.

و«الهشيم»: ما تهشَّم وتفتَّت من الأَشياءِ.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ بكسر الظاءِ، ومعناه: الذي يصنع حظيرة من الرعاءِ ونحوهم، قاله أبو إسحاق السبيعي، والضحاك، وابن زيد[١].

وهي مأْخوذة من الحَظْر وهو: المَنْع، والعرب وأَهل البوادي يصنعونها للمواشي والسكنى أَيضاً من الأَغصان والشجر المورق والقصب ونحوه، ولهذا كله هشيم يتفتَّت، إِمَّا في أَول الصنعة وإِمَّا عند بلى الحظيرة وتساقط أَجزائها، وحكى الطبري عن ابن عباس[٢]، وقتادة أَن ﴿ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ معناه: المحترق، قال قتادة: كهشيم مُحْرَق[٣].

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن، وأَبو رجاءٍ: (الْمُحْتَظَرِ) بفتح الظَّاءِ[٤]، ومعناه الموضع الذي احتَظر، فهو مُفْتَعَل من الحظْر، أَو الشيءُ الذي احتُظر به.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٤-٥٩٥)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٩٩) بتصرف.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٩٣) من طريق أبي كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره، ومن طريق عطية العوفي بنحوه.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٤).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها للحسن في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٥).

وقد روي عن سعيد بن جبير أنه فسَّر ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ بأَن قال: هو التراب الذي يسقط من الحائط البالي[١]. وهذا متوجه؛ لأَن الحائط حظيرة، والسَّاقط هشيم.

وقال أَيضاً هو وغيره: الْمُحْتَظِرِ معناه: المحرق بالنار[٢]؛ أَي: كأَنه ما في الموضع المحتظر بالنار، وما ذكرناه عن ابن عباس وقتادة هو على قراءَة كسر الظاءِ[٣]، وفي هذا التأْويل بعض البُعد.

وقال قوم: (المحتظَر) بالفتح: الهشيم نفسه، وهو مفتعَل، وهو كمسجد الجامع، وشبهه.

وقد تقدم قصص قوم لوط عليه السلام.

و«الحاصبُ»: السحابُ الرامي بالبَرَد وغيره، فشبه تلك الحجارة التي رُمي بها قومُ لوط به في الكثرة والتوالي، وهو مأْخوذ من الحصباءِ، كأَن السحاب تحصب مقصده.

ومنه قول الفرزدق:

[البسيط]
مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّامِ تَحْصِبُهُمْ ... بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْشُورِ[٤]

وقال ابن المُسَيَّب: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأَهل المدينة: حصِّبوا المسجد[٥].

و﴿ءَالَ لُوطٍ﴾: ابنتاه فيما رُوي.

و(سَحَرٍ) مصروف؛ لأَنه نكرة لم يُرَد به يوم بعينه.

وقوله: ﴿نِّعْمَةً﴾ نصب على المصدر؛ أَي: فعلنا ذلك إِنعاماً على القوم الذين نجيناهم، وهذا هو جزاؤُنا لمن شكر نعمنا وآمن وأَطاع.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٤)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٦٨)، والهداية لمكي (١١/ ٧١٩٩).
(٢) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٤).
(٣) لم أجد شيئاً في هذا المعنى، وتقدم العزو لقول قتادة قريباً.
(٤) تقدم في تفسير الآية (٦٨) من (سورة الإسراء).
(٥) انظر تفسير الثعلبي (٩/ ١٦٩).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾.

المعنى: ولقد أَنذر لوط قومه أَخْذنا إِيَّاهم وبَطْشتنا/ بهم؛ أَي: عذابنا لهم. [٥/ ١٥٣]

و(تَـمَارَوا) معناه: تشككوا وأَهدى بعضهم الشك إِلى بعض بتعاطيهم الشُّبَه والضلال.

و(النُّذُر) جمع نذير، وهو المصدر، ويحتمل أَن يراد بالنُّذر هنا وفي قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾ جمع نذير الذي هو اسم الفاعل.

و«الضَّيْف» يقع للواحد وللجميع، وقد تقدَّم ذكر أَضيافه وقصصهم مستوعباً.

وقوله: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ قال قتادة: هي حقيقة، جرَّ جبريل شيئاً من جناحه على أَعينهم فاستوت مع وجوههم[١]، قال أَبو عبيدة: مَطْموسة بجلد كالوجه[٢].

وقال ابن عباس، والضحاك: هي استعارة، وإِنما حجب إِدراكهم فدخلوا المنزل فلم يروا شيئاً، فجعل ذلك كالطمس[٣].

وقوله تعالى: ﴿بُكْرَةً﴾ قيل: كان ذلك عند طلوع الفجر.

وأَدغم ابن محيصن الدال في الصاد من قوله: ﴿وَلَقَد صَّبَّحَهُمْ﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٩٧).

(٢) انظر كلامه على هذه اللفظة في مجاز القرآن: (٢/ ١٦٥)، و(٢/ ٢٤١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٩٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ قال: عمى الله عليهم الملائكة حين دخلوا على لوط.

والجمهور على غير الإدغام[١].

و﴿بُكۡرَةً﴾ نكرةٌ هاهنا فلذلك صُرفت.

وقوله: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي﴾ يحتمل أَن يكون من قول الله تعالى لهم، ويحتمل أَن يكون من قول الملائكة، و(نذري) جمع المصدر؛ أَي: وعاقبة نُذُري التي كذَّبتم بها.

وقال تعالى: ﴿مُّسۡتَقِرٌّ﴾ في صفة العذاب؛ لأَنه لم يكشفه عنهم كاشف، بل اتصل ذلك بموتهم، وهم مدة موتهم تحت الأَرض معذبون بانتظار جهنم، ثم يتصل ذلك بعذاب النار، فهو أَمر متصل مستقر.

وكرر: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ تأْكيداً وتوبيخاً.

وروى ورش عن نافع: ﴿وَنُذُرِي﴾ بياءٍ[٢].

و﴿ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾: قومُه وأَتباعه، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]

فَـلَا تَبْـكِ ميْتـاً بَعْـدَ مَيْـتٍ أَجَنَّهُ ... عَلِـيٌّ وَعَبَّـاسُ وَآلُ أَبِـي بَكْـرِ[٣]

يريد المسلمين في مواراة النبي ﷺ، ويحتمل أَن يريد بـ﴿ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ قرابته على عُرف الآل، وخصهم بالذكْر لأَنهم عمدة القوم وكبراؤُهم.

وقوله: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يحتمل أَن يريد آل فرعون المذكورين أَخذناهم كذلك، يريدهم بالضمير؛ لأَن ذلك الإِغراق الذي كان في البحر كان بالعزَّة والقدرة، ويكون قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يريد بها التِّسع، ثم أَكَّد بـ: ﴿كُلِّهَا﴾.

ويحتمل أَن يكون قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ﴾ كلاماً تامّاً ثم يكون قوله:

---

(١) بل نصف السبعة أدغموا وهم أبو عمرو وحمزة والكسائي وهشام، انظر التيسير (ص: ٤٢)، والنشر (٢/ ٣-٤).

(٢) كما تقدم قريباً.

(٣) قد تقدم في تفسير الآية (٤٩) من (سورة البقرة).

﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا ﴾ يعود الضمير في ﴿ كَذَّبُواْ ﴾ على جميع من ذكر من الأُمم، [ويجيءُ جميع الآيات مستقيماً، ويجيءُ قوله تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ﴾ كذلك يعود على جميع الأُمم المذكورة][1].

وقوله تعالى: ﴿ أَكُفَّارُكُمۡ ﴾ الآية، خطابٌ لقريش، وَقَفَهم على جهة التوبيخ، أَثَمَّ خصلة من مال أَو قوَّة أَبدان وبسطة أَو عقول أَو غير ذلك مما يقتضي أَنكم خير من هؤلاءِ المعذبين لمَّا كذَّبوا فتُرْجَى لكم بذلك الفضل النجاء من العذاب حين كذبتم رسولكم؟ أَم لكم في كتب الله المنزَّلة براءَة من العذاب؟ قاله الضحاك، وابن زيد، وعكرمة[2].

ثم قال تعالى لمحمد ﷺ: أَمْ يقولونَ نَحْنُ جَميعٌ واثقون بجماعتنا بأَنَّا منتصرون بقوتنا على جهة الإِعجاب والتعاطي؟ سَيُهزمون فلا ينفع جمعهم.

وقرأ أَبو حيْوة: (أم تَقُولُونَ) بالتَّاءِ من فوق[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾.

هذه عِدَةٌ من الله تعالى لرسوله ﷺ أَن جَمْع قريش سيهزم نُصرة له، والجمهور على أَن الآية مكيَّة، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: كنت أَقول في نفسي: أَي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأَيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[4].

---

(١) سقط من الأصل.
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٢).
(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في الكامل للهذلي (ص: ٦٤٢).
(٤) ظاهره الانقطاع، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٦١) عن معمر، والطبري في تفسيره =

قال القاضي أَبو محمد: فإِنما كان رسول الله ﷺ في بدر مستشهداً بالآية.

وقال قوم: إِن الآية نزلت يوم بدر، [وذلك ضعيف، والصواب أن الوعد أُنجز يوم بدر](١).

قال أَبو حاتم: قرأَ بعض القراءِ: (سَيَهْزِمُ) بفتح الياءِ وكسر الزَّاي (الْجَمْعَ) نصباً.

قال أَبو عمرو الداني: قرأَ أَبو حيْوة: (سَنَهْزِمُ) بالنون وكسر الزَّاي (الْجَمْعَ) نصباً (وَتُوَلُّونَ) بالتاءِ من فوق(٢).

ثم تُركت هذه الأَقوالُ وأُضرب عنها تهمُّماً بأَمر السَّاعة التي عذابها أَشدُّ عليهم من كل هزيمة وقِتَال، فقال تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾.

و﴿أَدْهَىٰ﴾ أَفْعَل من الداهية وهي الرَّزِيَّةُ العظمى تنزل بالمرءِ.

و(أَمَرّ) من المرارة، واللفظة هاهنا مستعارة لأَنها ليست فيما يُذاق.

ثم أَخبر تعالى عن المجرمين أَنهم في الدنيا في حيرة وانتلاف وفَقْد هُدى، وفي الآخرة في احتراقٍ وتَسَعُّر من حيث هم صائرون إِليه.

وقال ابن عباس: المعنى: في خُسران وجنون، والسُّعُر: الجنون(٣).

وأَكثر المفسِّرين على أَن المجرمين هنا يراد بهم الكفَّار.

= (٢٢/ ٦٠٣) من طريق معمر، عن أيوب، عن عكرمة: أن عمر قال لما نزلت ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ سيهزم الجمع» جعلت أقول: أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ سيهزم الجمع ويولون الدبر، قال الحافظ في فتح الباري (٨/ ٦١٩): فكأن ابن عباس حمل ذلك عن عمر وكأن عكرمة حمله عن بن عباس عن عمر، وأخرجه إسحاق ابن راهويه كما في المطالب العالية (٣٧٣٥) عن عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، أن عمر فذكره. ولفظة: «يثب». ليست في المطبوع.

(١) ليس في الأصل.

(٢) وهما شاذتان، انظرهما في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٦)، وعزا الأولى لابن أبي عبلة.

(٣) لم أقف عليه.

وقال قوم: المراد بالمجرمين: القدرية الذين يقولون إن أَفعال العباد ليست بِقَدَر من الله تعالى.

قال القاضي أَبو محمد: وهم المُتَوَعَّدون بالسَّحب في جهنم، والسَّحْبُ هو الجَرُّ.

وفي قراءَة ابن مسعود: (إِلَى النَّارِ)[1].

[وقوله تعالى ﴿ذُوقُواْ مَسَّ﴾ استعارات، والمعنى: يقال لهم على جهة التوبيخ][2].

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾:

فقرأَ الجمهور من الناس: ﴿إِنَّا كُلَّ﴾ بالنصب، والمعنى: إِنَّا خلقنا كلَّ شيءٍ خلقناهُ بِقَدَر، وليست ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ في موضع الصفة لـ﴿شَيْءٍ﴾، بل هو فعل دالٌّ على الفعل المضمر، وهذا المعنى يقتضي أَن كل شيءٍ مخلوق إِلَّا ما قام دليل العقل على أَنه ليس بمخلوق كالقرآن والصفة.

وقرأَ أَبو السَّمَّال ـ ورجَّحه أَبو الفتح ـ: (إِنَّا كُلُّ) بالرفع[3] على الابتداءِ، والخبرُ ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾، قال أَبو حاتم: هذا هو الوجه في العربية، وقراءَتنا بالنصب مع الجماعة.

وقرأَها قوم من أَهل السُّنَّة بالرفع، والمعنى عندهم على نحو ما هو عند الأَولين من أَن كلَّ شيءٍ فهو مخلوق بقَدَرٍ سابق، و﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ ـ على هذا ـ ليست صفةً لـ﴿شَيْءٍ﴾، وهذا هو مذهب أَهل السُّنَّة، ولهم احتجاجٌ قويٌّ بالآية على هذين القولين.

وقالت القَدَرِيَّةُ ـ وهم الذين يقولون: لا قَدَر، والمرءُ فاعلٌ وحده أَفْعَالَهُ ـ: القراءَةُ: (إنا كلُّ شيء خلقناه) برفع (كُلُّ)، و(خَلَقْنَاهُ) في موضع الصفة لـ(كُلُّ)؛ أَي: إِنَّ أَمْرَنَا وشأْننا كلُّ شيءٍ خلقناه فهو بقَدَر؛ أَي: بمقدارٍ، وعلى حدٍّ ما في هيئته / وزمنه [٥/ ١٥٤] وغير ذلك، فيزيلون بهذا التأْويل موضع الحُجَّة عليهم بالآية.

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٤)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١١٠).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) وهي شاذة، انظرها مع الترجيح والتوجيه في المحتسب (٢/ ٢٩٩).

وقال ابن عباس: إِنِّي أَجد في كتاب الله تعالى قوماً يُسحبون في النَّار على وجوههم لأَنهم كانوا يُكذِّبون بالقَدَر، ويقولون: المرءُ يخلق أَفعاله، وإِنِّي لا أَراهم، فلا أَدري أَشَيْءٌ مضى قبلنا أَم شيءٌ بقي[1].

وقال أَبو هريرة رضي الله عنه: خاصمت قريش رسول الله ﷺ في القَدَر، فنزلت هذه الآية، قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: فقال رجلٌ: يا رسول الله، ففيم العمل؟ أَفي شيءٍ نستأْنفه أَمْ في شيءٍ قد فُرغ منه؟ فقال رسول الله ﷺ: «اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلق لَهُ، سَنُيَسِّرُه لليُسْرَى، وسَنُيَسِّرُهُ للعُسْرَى»[2].

وقال أَنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «القدرية الذين يقولون الخيرُ والشرُّ بأَيدينا، ليس لهم في شفاعتي نصيب، ولا أَنا منهم ولا هم منِّي»[3].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ أَي: إِلَّا قَولةٌ واحدةٌ، وهي: كُنْ.

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٧١٥) عن الحسن بن عرفة، والبيهقي في الكبرى (١٩/ ٣٤٥) من طريق الحسن بن عرفة عن مروان بن شجاع الجزري عن عبد الملك بن جريج، عن عطاء بن أبي رباح قال: أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له: قد تكلم في القدر، فقال: أو فعلوها؟ قلت: نعم، قال: فو الله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم، إن رأيت أحداً منهم فقأت عينيه بإصبعي هاتين.

(٢) حديث أبي هريرة أخرجه مسلم (٢٦٥٦) والطبري (٢٢/ ٦٠٥) وغيرهما، وقول أبي عبد الرحمن السلمي أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٠٥) وهو مرسل.

(٣) موضوع، أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٣٨٧)، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٥٥) من طريق سعيد بن ميسرة، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه، وسعيد بن ميسرة البكري البصري قال البخاري: عنده مناكير، وقال أيضاً: منكر الحديث.
وقال ابن حبان: يروي الموضوعات، وقال الحاكم: روى عن أنس موضوعات، وكذبه يحيى القطان. انظر الميزان (٢/ ١٦٠).

وقوله تعالى: ﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ تفهيم للناس بأَعجل ما يحسُّون، وفي أَشياءَ من أَمر الله تعالى أَوحى من لمح البصر.

و«الأَشياعُ»: الفِرَقُ المتشابهة في مذهب أَو دين ونحوه، الأَول شيعة للآخر، والآخر شيعة للأَول.

ثم أَخبر تعالى أَن كل أَفعال الأُمم المُهْلَكَة مكتوب محفوظ عليهم إِلى يوم الحساب، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وابن زيد[١].

و(مُسْتَطَرٌ) مُفْتَعل من السَّطْر، تقول: سطرتُ وأَسْطرتُ؛ بمعنى.

وروي عن عاصم شدُّ الراءِ من (مُسْتَطَرٌ)[٢]، قال أَبو عمرو: وهذا لا يكون إِلاَّ عند الوقف، لغة معروفة.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَنَهَرٍ﴾ بفتح الهاءِ والنون على أَنه اسم الجنس يريد به الأَنهار، أَو على أَنه بمعنى سعة في الرِّزق والمنازل، ومنه قول قيس بن الحطيم:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَى قَائِمٌ منْ دونهَا مَا وَرَاءَهَا[٣] [الطويل]

فقوله: (أَنْهَرْتُ) معناه: جعلت فتقها كنهر.

وقرأَ زهير الفُرْقبيُّ، والأَعمش: (وَنُهُر) بضم النون والهاءِ على أَنه جمع نهارٍ[٤]، إِذْ لا لَيْل في الجنة، وهذا سائغ في اللَّفظ قَلِقٌ في المعنى، ويحتمل أَن يكون جمع نَهَر.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٠٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ يقول: مكتوب، فإذا أراد الله أن ينزل كتاباً نسخته السفرة. وانظر قول الباقين في تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠٨).

(٢) وهي شاذة، عزاها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٥٧).

(٣) وقد تقدم في تفسير الآية (٣) من (سورة الفاتحة).

(٤) وهي شاذة، انظر نسبتها للأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٥)، ولزهير في المحتسب (٢/ ٢٩٩).

وقرأ مجاهد، وحميد، وأَبو السَّمَّال، والفياض بن غزوان: (نَهْرٍ) ساكنة الهاءِ على الإِفراد[(١)].

وقوله تعالى: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ يحتمل أَن يريد الصدق الذي هو ضد الكذب؛ أَي: في المقعد الذي صدقوا في الخبر به، ويحتمل أَن يكون من قولك: عُودٌ صِدْقٌ؛ أَي: جيِّدٌ، ورجُلٌ صِدْقٌ؛ أَي: خيِّرٌ وذو خلال حسان.

وقرأ جمهور الناس: ﴿فِي مَقْعَدِ﴾ على اسم الجنس.

وقرأ عثمان البتِّي: (في مَقَاعد) على الجمع[(٢)].

و«المليكُ المقتدرُ»: هو الله تعالى.

❊ ❊ ❊

(١) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (١٠/ ٤٩)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٥٧) لابن عمر.

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في مختصر الشواذ (ص: ١٤٩)، وانظر تفسير القرطبي (١٧/ ١٥٠).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الرحمن

وهي مكِّيَّة فيما قال الجمهور من الصحابة والتابعين.

وقال نافع بن أَبي نُعَيم، وعطاءٌ، وقتادة، وكُرَيْب، وعطاءٌ الخراساني، عن ابن عباس: هي مدنية نزلت عند إباية سهيل بن عمرو وغيرِهِ أَن يكتب في الصلح: «بسم الله الرحمن الرحيم»[١].

والأَول أَصح، وإِنما نزلت حين قالت قريش بمكة: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٦٠][٢].

وفي «السيرة»: أن ابن مسعود جهر بقراءَتها في المسجد حتى قامت إِليه أَندية قريش فضربوه، وذلك قبل الهجرة[٣].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٧٣)، وعزا القول أنها مدنية في البيان في عد آي القرآن (ص: ٢٣٧) لقتادة، وفي تفسير الماوردي (٥/ ٤٢٢) لابن مسعود، ومقاتل، وفي جمال القراء (ص: ٤٥) لعطاء بن أبي مسلم، ونقله ابن الفرس عن الجمهور كما في الإتقان (١/ ٥٠)، واقتصر عليه بعض المفسرين، كما في تفسير الزمخشري (٤/ ٤٤٢)، تفسير ابن جزي (٢/ ٣٢٧).

(٣) ذكره ابن هشام في السيرة (١/ ٢٧٥) قال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه، فذكره بلفظ مطول.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بناءُ مبالغة من الرحمة، وهو اسم اختص الله تعالى بالاتصاف به.

وحكى ابن فُورك عن قوم: أنهم يجعلون ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ آية تامة، كأَن التقدير: الرحمنُ ربُّنا، قاله الرُّمَّاني وأَن التقدير: اللهُ الرحمنُ.

وقال الجمهور: إِنما الآية ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، فهو جزءُ آية.

وقوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ تعديد نِعْمة؛ أي: هوَ مَنَّ به، وعلَّمه الناس، وخصَّ حُفَّاظه وفهمته بالفضل، قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[(١)].

ومن الدليل على أن القرآن غير مخلوق: أَن الله تعالى ذكر القرآن في كتابه في أَربعة وخمسين موضعاً، ما منها موضع صرَّح فيه بلفظة الخلق ولا أَشار إِليه، وذكر الإِنسان على الثُّلث من ذلك في ثمانية عشر موضعاً كلها نصت على خلقه، وقد اقترن ذكرهما في هذه السورة على هذا النحو.

و﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هنا اسم الجنس، حكاه الزهراوي وغيره[(٢)].

و﴿ٱلْبَيَانَ﴾: النطق والفهم والإِبانة عن ذلك بقول، قاله ابن زيد والجمهور، وذلك هو الذي فُضل به الإِنسان من بين سائر الحيوان.

وقال قتادة: هو بيان الحلال والحرام والشرائع، وهذا جزءٌ من البيان العام[(٣)].

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٢) تفسير الثعالبي (٤/ ٢٤٠).

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٨)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٧٧) بتصرف.

وقال قتادة: ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾: آدم، وقال ابن كيسان: ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾: محمد ﷺ[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا التخصيص لا دليل عليه، وكل المعلومات داخلة في البيان الذي عُلِّمه الإنسان، فكأنه قال: من ذلك البيان، وفيه معتبر كون الشمس والقمر بحسبان، فحذف هذا كله، ورفع ﴿ٱلشَّمْسُ﴾ بالابتداءِ، وهذا ابتداءُ تعديد نِعَم.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿بِحُسْبَانٍ﴾:

فقال مكي، والزهراوي، عن قتادة: هو مصدر كالحساب في المعنى، وكالغُفْران والطُّغْيان في الوزن[٢].

وقال أَبو عبيدة معمر بن المثنى، والضحاك: هو جمع حِسَابٍ، كشِهَابٍ وشُهْبان[٣].

والمعنى: إِن هذين لهما في طلوعهما وغروبهما وقطعهما / البروج وغير ذلك حساباتٌ شتى، وهذا مذهب ابن عباس[٤]، وأَبي مالك، وقتادة[٥]. [٥/ ١٥٥]

وقال ابن زيد: لولا الليل والنهار لم يدر أَحد كيف يحسب شيئاً يريد من مقادير الزمان.

وقال مجاهد: الحُسْبان: الفَلَك المستدير، شبَّهه بحسبان الرَّحى، وهو العود المستدير الذي باستدارته تدور المطحنة[٦].

---

(١) انظر قول قتادة في تفسير الطبري (٢٢/ ٧)، وقول ابن كيسان في تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٧).

(٢) الهداية لمكي (١١/ ٧٢١٢-٧٢١٣).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١١٩)، وقول الضحاك في الهداية لمكي (١١/ ٧٢١٣).

(٤) صحيح، أخرجه الطبري (٢٢/ ٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٤) من طريق إسرائيل عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، قال: بحساب ومنازل يرسلان، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس.

(٥) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٩)، بتصرف.

(٦) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٢/ ٩)، والثاني في تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٧). و«يريد» ليست في المطبوع.

وقوله: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾، قال ابن عباس، والسدي، وسفيان: (النَّجْم): النباتُ الذي لا ساق له[١]، وسُمِّي نجماً لأَنه نَجَم؛ أَي: ظهر وطلع، وهو مناسب للشجر [نسبة بينة][٢].

وقال مجاهد، وقتادة، والحسن: (النَّجم): اسم الجنس من نجوم السماءِ، والنِّسبة التي لها من السماءِ هي التي للشجر من الأَرض لأَنهما في ظاهرهما[٣].

وسُمي الشجر من اشتجار غصونه، وهو تداخلها.

واختلف الناس في هذا السجود:

فقال مجاهد والحسن: ذلك في النجم بالغروب ونحوه، وفي الشجر بالظل واستدارته[٤]، وكذلك في النجم على القول الآخر.

وقال مجاهد أَيضاً ما معناه: إِن السجود في هذا كله تجوُّز، وهو عبارة عن الخضوع والتذلل ونحوه، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] .... تَرَى الأُكْـمَ فيه سُـجَّداً لِلْحَوَافِرِ[٥]

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الإتقان» (٢/ ٤٦)، من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَٱلنَّجۡمُ﴾. قال: النجم ما ينبسط على الأرض، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٤) من طريق المنهال بن خليفة، عن حجاج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (النجم) ما أنجمت الأرض والشجر ما كان على ساق. قال الذهبي في التلخيص: منهال بن خليفة ضعفه ابن معين. وقول الباقين في تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٨).

(٢) في المطبوع والأسدية٣: «يشبه به».

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٧٨).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٨)، وانظر الهداية لمكي (١١/ ٧٢١٤).

(٥) عجز بيت لزيد الخيل بن مهلهل صدره بِجَمْعٍ تَضِلُّ الْبُلْقُ في حَجَراتِهِ، وقد تقدم في تفسير الآية (٣٣) من (سورة البقرة).

وقال تعالى: ﴿يَسۡجُدَانِ﴾ وهما جمعان لأَنه راعى اللفظة؛ لأَنه اسم مفرد اسم للنوع، وهذا كقول الشاعر:

أَلَـمْ يَحْزُنْـكِ أَنَّ حِبـالَ قَوْمِـي ... وَقَوْمِـكِ قَـدْ تَبَايَنَـتَـا انْقِطَاعَا[1] [الوافر]

وقرأ الجمهور: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ بالنصب عطفاً على الجملة الصَّغيرة وهي ﴿يَسۡجُدَانِ﴾؛ لأَن هذه جملة من فعل وفاعل، وهذه كذلك.

وقرأ أَبو السَّمَّال: (والسَّماءُ) بالرفع[2] عطفاً على الجملة الكبيرة وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾؛ لأَن هذه جملة من مبتدأ وخبر، والأُخرى كذلك.

وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه: (وخَفَضَ الميزان)[3].

ومعنى (وضع): أَقَرَّ وأَثْبَت.

و﴿ٱلۡمِيزَانَ﴾: العَدْلُ فيما قال الطبري، ومجاهد، وأَكثر الناس[4].

وقال ابن عباس، والحسن، وقتادة: إِنَّهُ الميزان المعروف[5]، وهو جزءٌ من الميزان الذي يعبَّر به عن العدل.

قال القاضي أبو محمد: ويظهر عندي أَن قوله تعالى: (وضع الميزان) يريد به العدل، وأَن قوله: ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾، وقوله:

---

(١) البيت للقطامي كما تقدم في تفسير الآية (١١) من (سورة فصلت).

(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في: مختصر الشواذ (ص: ١٤٩)، والمحتسب (٢/ ٣٠١).

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير الطبري (٢٢/ ١٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١١٣).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٧٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٢٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٧٨) من طريق مغيرة بن مسلم، عن أبي المغيرة، قال: سمعت ابن عباس يقول في سوق المدينة: يا معشر الموالي، إنكم قد ابتليتم بأمرين أهلكت فيه أمتان من الأمم؛ الكيل والميزان. وأبو المغيرة هذا مجهول، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق مغيرة بن مسلم قال رأى ابن عباس رجلاً يزن قد أرجح، فقال: أقم اللسان، أليس قد قال الله عز وجل ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾، وقول الباقين في تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٨) بتصرف.

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ ﴾ يريد به الميزان المعروف، وكل ما قيل محتمل سائغ.

وقوله: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْاْ ﴾ نهي عن التعمد الذي هو طغيان بالميزان، وأَمَّا ما لا يقدر البشر عليه من التحرير بالميزان فذلك موضوع عن الناس.

و﴿ أَلَّا ﴾ هو بتقدير: «لِئَلَّا»، أَو مفعولٌ من أَجله، و﴿تَطْغَوْاْ﴾ نصب.

ويحتمل أَن تكون ﴿أَنْ﴾ مفسرة فيكون ﴿تَطْغَوْاْ﴾ جزماً بالنهي.

وفي مصحف ابن مسعود: (لَا تَطْغَوْا في الميزان) بغير (أَنْ)[١].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَلَا تُخْسِرُواْ﴾ من أَخْسَرَ؛ أَي: نَقَصَ وأَفْسَدَ.

وقرأَ بلال بن أَبي بُردة: (ولا تَخسِرُوا) بفتح التاءِ وكسر السين؛ من خَسَر.

ويقال: خَسَرَ بمعنى: نقص وأَفسد؛ كـ: جَبَرَ وأَجْبَر.

وقرأَ بلالٌ أَيضاً ـ فيما حكى عنه ابن جني ـ: (تَخْسَرُوا) بفتح التاءِ والسين من خَسِر بكسر السين[٢].

واختلف الناس في (الأَنام):

فقال ابن عباس في بعض ما روي عنه: هم بنو آدم فقط[٣].

وقال الحسن بن أَبي الحسن: هم الثقلان الجن والإِنس[٤].

وقال ابن عباس أَيضاً[٥]، وقتادة، وابن زيد، والشعبي: هم الحيوان كله[٦].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في معاني القرآن للفراء (٣/ ١١٣).

(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٨)، والثانية في المحتسب (٢/ ٣٠٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٥)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٦) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله ﴿لِلْأَنَامِ﴾، يقول: للخلق.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٢٥).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾، والأرض وضعها للأنام». قال: كل شيء فيه الروح.

(٦) تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٨) بتصرف، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٢٥).

و﴿ ٱلْأَكْمَامِ ﴾ في النخل موجودة في موضعين: فجملة فروع النخلة في أكمام من ليفها، وطلع النخلة في كِمٍّ من جهة، وقال قتادة: أَكمام النخل: رقابها(١).

قال القاضي أَبو محمد: والكِمُّ من النبات: كل ما التفَّ على شيءٍ وستره، ومنه: كمائم الزهر، وبه شبه كُمُّ الثوب.

﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴾، الحَبُّ ذو العصف: هو البر والشعير وما جرى مجراه من الحب الذي له سنبل وأَوراق متشعبة على ساقه، وهي العصيفة إِذا يبست.

ومنه قول عَلْقمة بنِ عَبَدَة:

تَسْقِي مَذَانِبَ قَدْ مَالَتْ عَصِيفَتُهَا حَدُورُهَا مِنْ أَتِيِّ الماءِ مَطْمُومُ(٢) [البسيط]

قال ابن عباس: العصف: التِّبن(٣).

وتقول العرب: خرجنا نتعصَّف؛ أَي: يستعجلون عصيفة الزرع.

وقرأَ ابن عامرٍ، وأَبو البرهسم: (وَالْحبَّ)، بالنصب عطفاً على (الأَرْضَ)، (ذَا العَصْفِ وَالرَّيْحَانَ)، إِلَّا أَن أَبا البَرهْسَم خَفَضَ النون.

واختلفوا في (الريحان):

فقال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: معناه: الرِّزْقُ(٤).

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٧)، وتفسير الثعلبي ٩/ ١٧٩).

(٢) كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٢)، وسيرة ابن هشام (١/ ٥٥)، وأساس البلاغة (١/ ٦١٤)، والاختيارين (ص: ٦٣٣)، قال: واحد «المذانب»: مذنبٌ، «مطموم»: ممتلئ، و«الأتي»: السيل يأتيك من غير بلدك، و«عصيفتها»: من العصف، وهو ورق النبات كله.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في الإتقان (٢/ ٤٦)، والبيهقي في الدلائل (١/ ١٢٣) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ ﴾، قال: العصف ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤوسه، فهو يسمى العصف إذا يبس.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ١٩-٢٠) عن زيد بن أخزم، والمحاملي كما في تغليق التعليق =

ومنه قول الشاعر وهو النَّمِرُ بنُ تَوْلَب:

[المتقارب] سَلامُ الإلهِ وَرَيْحَانُهُ وجَنَّتُهُ وَسَماءٌ دِرَرْ[١]

وقال الحسن: هو ريحانكم هذا[٢].

وقال ابن جبير: هو كلُّ ما قام على ساقٍ[٣].

وقال ابن زيد، وقتادة: (الريحانُ): هو كل مشموم طيب الريح من النبات[٤].

وفي هذا النوع نعمة عظيمة، فمنه الأَزهار والمندل والعقاقير وغير ذلك.

وقال الفراءُ: (العصف): فيما يؤكل، و(الريحانُ): كلُّ ما لا يؤكل[٥].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ بالرفع، وهذه القراءَة في المعنى كالأُولى، وفي الإعراب حسنة الاتساق عطفاً على ﴿فَٰكِهَةٌ﴾.

وقرأَ حمزة، والكسائي وابن محيصن: ﴿وَٱلْحَبُّ﴾ بالرفع ﴿ذو العصف والريحانِ﴾ بخفض (الرَّيْحَانِ) عطفاً على (الْعَصْفِ)[٦]، كأَن (الْحَبَّ) هُمَا لَهُ، على أَن (العَصْفَ) منه الورق وكل ما يُعصف باليد وبالريح فهو رزق البهائم، و(الريحان) منه الحبُّ فهو رزقُ الناس. والريحان ـ على هذه القراءَة ـ لا يدخل فيه المشموم إِلَّا بتكلُّف.

= (٤/ ٢٣٩) من طريق زيد بن أخزم، عن عامر بن مدك، عن عتبة بن يقظان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كل ريحان في القرآن فهو الرزق. وفيه عتبة بن يقظان الراسبي البصري ضعيف، وأقوال الباقين في تفسير الطبري (٢٢/ ٢٠).

(١) كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٣)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٢١)، والسماءُ الدِّرَرُ: هي التي تصب المطر كثيراً فيأتي بالخير الكثير.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٢٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٧٩).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٩)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢١٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٠)، بتصرف.

(٥) معاني القرآن للفراء (٣/ ١١٣).

(٦) وهاتان سبعيتان، وكذلك قراءة ابن عامر بالنصب، انظر التيسير (ص: ٢٠٦)، أما تلفيق أبي البرهسم فشاذ.

و«ريحان» هو من ذوات الواو، قال أَبو علي: إِمَّا أَن يكون «ريحان» اسماً وُضع موضع المصدر، وإِمَّا أَن يكون مصدراً على وزن: فَعْلان كاللَّيَّان وما جرى مجراه، أَصله: رَوْحان، أُبدلت الواو ياءً، كما أَبدلوا الياءَ واواً في: أَشاوي، وإِمَّا أَن يكون مصدراً شاذّاً في المعتل كما شذَّ كَيْنُونَة وبَيْنُونة، فأَصله: رَيْوَحان، قُلبت الواوُ ياءً وأُدغمت الياءُ في الياءِ فجاءَ (رَيِّحان) فخفف، كما قالوا: مَيِّتٌ ومَيْتٌ، وهَيِّن وهَيْن[١].

و«الآلَاءُ»: النِّعم، واحدها إِلًى؛ مثل: مِعًى، وَأَلًى؛ مثل: قفًى[٢]، حكى هذين أَبو عبيدة، وأَلْيٌ؛ مثل: أَمْرٍ، وإِلْيٌ؛ مثل: حِصْنٍ، حكى هذين الزهراوي.

والضمير في قوله تعالى: ﴿رَبِّكُمَا﴾ للجن والإِنس، وساغ ذلك ولم يُصَرَّح لهما بذكر على أَحد وجهين: إِمَّا أَنهما قد / ذكرا في قوله تعالى: ﴿لِلْأَنَامِ﴾ على ما تقدم [٥/ ١٥٦] من أَن المراد به الثقلان، وإِمَّا على أَن أَمرهما مفسَّر في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ و(خَلَقَ الـجَانَّ) فساغ تقديمهما في الضمير اتساعاً.

وقال الطبري: يحتمل أَن يقال: هذا من باب ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤]، و: يا غلام اضربا عنقه[٣]، وقال منذر بن سعيد: خوطب من يعقل لأَن المخاطبة بالقرآن كله هي لِلإِنس والجن[٤]، ويُروى: أَن هذه الآية لما قرأَها النبي ﷺ سكت أَصحابه رضي الله عنهم، فقال: «إن جواب الجن خيرٌ من سكوتكم، إني لما قرأتها على الجن قالوا: لا، بأيها نكذب يا ربنا»[٥].

---

(١) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٤٦).

(٢) في المطبوع: «نِقًى».

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٢٣).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) غريب من حديث نافع، أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر (٦٨)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٣)، والبزار في مسنده (٥٨٥٣)، عن يحيى بن سليم الطائفي، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله قرأ (سورة الرحمن) أو قرئت عنده، فقال: «ما لي أسمع الجن خيراً منكم جواباً لردها منكم؟ ما أتيت على قول ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالت الجن: ولا بشيء من نعمة ربنا نكذب». وفي إسناد ابن أبي الدنيا زيادة عمرو بن سعد بن العاصي بين إسماعيل، ونافع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّـارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾.

قال كثير من المفسرين: ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾: آدم عليه السلام.

وقال آخرون: أَراد اسم الجنس، وساغ ذلك من حيث أَبوهم مخلوق من الصلصال.

واختلف الناس في اشتقاق الصلصال، فقال مكي فيما حكي، والنقاشُ: هو من: صَلَّ اللَّحْمُ وغيره: إِذا نَتِن[1]، فهي إِشارة إِلى الحمأَة.

وقال الطبري وجمهور المفسرين: هو من صَلَّ: إِذا صَوَّت[2]، وذلك في الطين لكرمه وجودته، فهي إِشارة إِلى ما كان في تربة آدم عليه السلام من الطين الحُرِّ، وذلك أَن الله تعالى خلقه من طين طيِّب وخبيث ومختلف اللون، فمرَّة ذكر في خلقه هذا، ومرَّة هذا، وكل ما في القرآن في ذلك صفات ترددت على التراب الذي خُلق منه.

و(الفَخَّار): الطين الطيب إِذا مسَّه الماءُ فَخَر؛ أَي: رَبَا وعَظُم.

و﴿ٱلْجَآنَّ﴾: اسم جِنْس كالجِنَّة، و«المارج»: اللهبُ المضطرب من النار، قال ابن عباس: وهو أَحسنُ النار المختلطُ من الأَلوان شتَّى[3].

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو: «كيف بك إِذا كنت في حُثالة من الناس قد مَرَجت عهودُهم وأَماناتُهم»[4].

---

(١) الهداية لمكي (١١/ ٧٢١٩).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٩٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٦) من طريق محمد بن كثير، عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ﴾ قال: من أوسطها وأحسنها، وأخرجه أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: يقول: خلقه من لهب النار، من أحسن.

(٤) صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٢١٢)، وأبو داود (٤٣٤٣) من طريق يونس بن أبي إسحاق، عن هلال بن خباب، عن أبي العلاء، عن عكرمة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ،=

وكرر قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ تأْكيداً وتنبيهاً للنفوس وتحريكاً لها.

وهذه طريقةٌ من الفصاحة معروفة، وهي من كتاب الله تعالى في مواضع، وفي حديث النبي ﷺ، وفي كلام العرب.

وذهب قوم منهم ابن قُتَيْبَة وغيره: إِلى أَن هذا التكرار إِنما هو لمَّا اختلفت النعم المذكورة كرَّر التوقيف مع كل واحدة منها، وهذا أَحسن.

قال الحسين بن الفضل: التكرار لطرد الغَفْلة ولا تأْكيد[١].

وخصَّ تعالى ذكر الْمَشْرِقَيْنِ والْمَغْرِبَيْنِ بالتشريف في إِضافة الربِّ إِليهما لِعظَمِهما في المخلوقات، وأَنهما طرفا آية عظيمة وعبرة وهي الشمسُ وجريها.

وحكى النقاش: أَن المشرقين: هما مشرق الشمس والقمر، والمغربين كذلك، على ما في ذلك من العِبَر، وكلٌّ مُتَّجه.

ومتى وقع ذكر المشرق والمغرب فهي إِشارة إِلى الناحيتين بجملتهما، ومتى وقع ذكر المشارق والمغارب فهي إِشارة إِلى تفصيل[٢] مشرق كل يوم ومغربه.

ومتى ذكر المشرقان والمغربان فهي إِشارة إِلى نهايتي المشارق والمغارب؛ لأَن ذكر نهايتي الشيءِ ذكْرٌ لجميعه.

= إذ ذكر الفتنة، فقال: «إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا»، وشبك بين أصابعه. قال: فقمت إليه. فقلت: كيف أفعل عند ذلك، جعلني الله فداك؟ قال: «الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة». والحديث أصله في البخاري (٤٨٠) بلفظ: «يا عبد الله بن عمرو كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس»، قال الحافظ في الفتح (١/ ٥٦٦): وقد ساقه الحميدي في الجمع بين الصحيحين نقلاً عن أبي مسعود وزاد هو: «قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فصاروا هكذا» وشبك بين أصابعه.

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٠)، وفي نجيبويه وأحمد٣ ونور العثمانية والأسدية٣: «وللتأكيد».

(٢) «تفصيل» ليست في المطبوع.

وقال مجاهد: هو مشرق الصيف ومغربه، ومشرق الشتاءِ ومغربه[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ معناه: أَرسلهما إِرسالاً غير منحاز بعضهما من بعض، ومنه: مَرَجت الدابةُ، ومنه: الأمر المريج؛ أَي: المختلط الذي لم يتحصل منه شيءٌ، ومنه: ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾.

واختلف الناسُ في البحرين:

فقال الحسن، وقتادة: بحر فارس وبحر الروم[٢].

وقال الحسن أَيضاً: بحر القُلْزم واليمن وبحر الشام[٣].

وقال ابن عباس[٤]، وابن جبير: هو: بحرٌ في السماء وبحر في الأَرض.

وقال ابن عباس أَيضاً: هو مطر السماءِ ـ سمَّاهُ بحراً ـ وبحر الأَرض[٥].

والظاهر عندي: أَن قوله تعالى: ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ يريد بهما: نوعي الماءِ العذب والأُجاج، أَي خلطهما في الأرض وأَرسلهما متداخلين في وضعهما في الأَرض قريب

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٢٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٨١).

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قال: بحر في السماء، وبحر في الأرض.

(٥) لم أهتد إليه.

بعضهما من بعض ولا بغي[١]، والعبرة في هذا التأْويل منيرة، وأَنشد منذر بن سعيد:

وَمَمْزُوجَـةُ الأَمْـوَاهِ لَا الْعَـذْبُ غَالِبٌ عَلَى المِلْحِ طِيبـاً لَا وَلَا المِلْحُ يَعْـذُبُ[٢] [الطويل]

وأَمَّا قوله تعالى: ﴿يَلۡتَقِيَانِ﴾ فعلى التأْويلين الأَوَّلين معناهما: مُعَدَّان للالتقاءِ وحقُّهما أَن يلتقيا لولا البرزخ، وعلى القول الثالث: أَنهما يلتقيان كل سنة مرة. فمن ذهب إِلى أَنه بحر يجتمع في السماءِ؛ فهو قول ضعيف، وإِنما يتوجه اللقاءُ فيه وفي القول الرابع: بنزول المطر، وفي القول الخامس: بالأَنهار في البحر، وبالعيون قرب البحر.

و«الْبَرْزَخُ»: الحاجز في كل شيءٍ، فهو في بعض هذه الأقوال: أَجرام الأَرض، قاله قتادة[٣]، وفي بعضها: القدرة.

و«البرزخُ» أَيضاً: المُدَّة التي بين الدنيا والآخرة للموتى، فهي حاجز.

وقال بعض الناس: إِن ماءَ الأَنهار لا يختلط بالماءِ المِلْح، بل هو بذاته باق فيه، وهذا يحتاج إِلى دليل أَو حديث صحيح، وإِلَّا فالعيان لا يقتضيه.

وذكر الثعلبي في ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ أَلْغازاً وأَقوالاً باطنة لا يجب أَن يُلتفت إِلى شيءٍ منها[٤].

واختلف الناس في قوله: ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾:

فقال ابن عباس[٥]، ومجاهد، وقتادة: معناه: لا يبغي واحد منهما على الآخر[٦].

---

(١) «ولا بغي» ليست في المطبوع.

(٢) نقله عنه في البحر المحيط (١٠/ ٦٠) بلا نسبة.

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٣١).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨١).

(٥) الذي وقفت عليه ما أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٠) وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٤/ ٣٣٣)، والإتقان (٢/ ٤٦) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ يقول: حاجز.

(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ٣١).

وقال قتادة أَيضاً، والحسن: لا يبغيان على الناس والعُمران[١]، وهذان القولان على أَن اللفظة من البَغْي، وقال بعض المتأَولين: هي من قولك: بَغَى: إِذا طلب، فمعناه: لا يبغيان حالاً من الأَحوال غير حالهما التي خُلقا وسُخِّرا لها.

وقال ابن عباس، وقتادة، والضحاك: ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾: كبارُ الجوهر، و(المرجانُ): صغاره[٢].

وقال ابن عباس أَيضاً، ومُرَّة الهَمْدَاني عكس هذا[٣].

والوصف بالصغر هو الصواب في اللؤلؤ.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه وغيره: (المرجان): حجر أَحمر[٤]، وهذا هو الصواب في المرجان.

[٥/ ١٥٧] و«اللُّؤْلُؤ» بناءٌ غريب، / لا يُحفظ منه في كلام العرب أَكثر من خمسة: اللُّؤْلُؤ، والجُؤْجُؤ، والدُّؤْدُؤ، واليُؤْيُؤ ـ وهو طائر ـ والبُؤْبُؤ، وهو الأَصل.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿مِنْهُمَا﴾:

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٢١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، وقول الضحاك وقتادة في تفسير الطبري (٢٣/ ٣٣).

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٤) من طريق جابر الجعفي، عن عبد الله بن نجي، عن علي، وعن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: المرجان عظام اللؤلؤ. وجابر الجعفي ضعيف، وقول مرة في تفسير الطبري (٢٣/ ٣٤).

(٤) هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٤) عن محمد بن حميد، عن مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾. قال: المرجان حجر، وأخرجه هناد في الزهد (١٠) عن أبي الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون، قال: قال عبد الله: إن المرأة من أهل الجنة ليكون عليها سبعون حلة فيرى ساقها ومخ ساقها من وراء الحلل. قال: بأن الله تبارك وتعالى قال ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] والياقوت حجر فلو أدخلت خيطا لرأيته من فوق الحلل»، وفي رواية «١١» مرفوعاً، وأخرجه الترمذي (٢٥٣٣) به مرفوعاً، وفي (٢٥٣٤) موقوفاً وقال: وهذا أصح، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٦٧) من طريق مسروق، عن ابن مسعود قال: (المرجان): الخرز الأحمر.

فقال أَبو الحسن الأَخفش في كتاب «الحجة»: وزعم قومٌ أنه قد يخرج اللؤلؤ والمرجان من المِلْح ومن العذب[1]، وردَّ الناسُ على هذا القول؛ لأَن الحِسَّ يخالفه، ولا يخرج ذلك إِلَّا من المِلْح، وقد ردَّ الناسُ على الشاعر في قوله:

فَجَـاءَ بِهَـا مـا شِـئْتَ مِـنْ لَطَمِيَّةٍ   عَلى وَجْهِهَا مَاءُ الْفُرَاتِ يَمُوجُ[2]   [الطويل]

وقال الجمهور من المتأَولين: إِنما يخرج ذلك من الأُجاج في المواضع التي تقع فيها الأَنهار والمياه العذبة، فلذلك قال تعالى: ﴿مِنۡهُمَا﴾، وهذا مشهور عند الغواصين.

وقال ابن عباس، وعكرمة: إِنما تتكون هذه الأَشياءُ في البحر بنزول المطر؛ لأَن الصدف وغيرها تفتَّح أَجوافها للمطر، فلذلك قال تعالى: ﴿مِنۡهُمَا﴾[3].

وقال أَبو عبيدة ما معناه: إِن خروج هذه الأَشياءِ إِنما هي من المِلْح[4]، لكنه تعالى قال: ﴿مِنۡهُمَا﴾ تَجَوُّزاً، كما قال الشاعر:

....   مُـتَـقَـلِّـداً سَيْفاً وَرُمْـحَـا[5]   [مجزوء الكامل]

وكما قال الآخر:

....   عَلَفْتُهَا تِبْناً وَمَـاءً بَـارِدَا[6]   [الرجز]

---

(١) البحر المحيط (١٠/ ٦٠).

(٢) البيت لأبي ذُؤَيْب الهُذَلي، كما تقدم في تفسير الآية (١٢) من (سورة فاطر).

(٣) حسن، أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٥-٣٦)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٧/ ٤٦٨) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن عبد الله بن عبد الله الرازي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره. وقول عكرمة في تفسير الطبري (٢٣/ ٣٦).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٤٤).

(٥) عجز بيت لعبد الله بن الزِّبَعْرى وصدره: وَلَقِيتُ زَوْجَكِ في الوَغَى، وقد تقدم في تفسير الآية (٧) من (سورة البقرة).

(٦) ينسب لذي الرُّمَّة، وقد تقدم ما فيه في تفسير الآية (٧) من (سورة البقرة).

فمن حيث هما نوعٌ واحدٌ، فخروج هذه الأَشياء إِنما هي منهما وإِن كانت تختص عند التفصيل المبالغ بأَحدهما.

وهذا كما قال تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَوَٰتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ [نوح: ١٥-١٦]، وإِنما هو في إِحداهن، وهي الدنيا إِلى الأَرض.

وقال الرُّمَّاني: العذب فيهما كاللقاح للملح، فهو كما يقال: الولد يخرج من الذكر والأنثى(١).

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وأَهل المدينة: ﴿يُخْرَجُ﴾ بضم الياء وفتح الراءِ ﴿اللُّؤْلُؤُ﴾ رفعاً.

وقرأَ ابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿يَخْرُجُ﴾ بفتح الياءِ وضم الراءِ على بناءِ الفعل للفاعل، وهي قراءَة الحسن، وأَبي جعفر(٢).

وقرأَ أَبو عمرو في رواية حُسين الجعفي عنه: ﴿يُخْرِجُ﴾ بضم الياءِ وكسر الراءِ على إِسناده إِلى الله تعالى؛ أَي: بتمكينه وقدرته، ﴿اللُّؤْلُؤَ﴾ نصباً، ورواها عنه أَيضاً بالنون مضمومة وكسر الراءِ(٣).

و﴿ٱلْجَوَارِ﴾: جمع جارية، وهي السُّفُن.

وقرأَ الحسن، والنَّخَعي: (الْجَوَارِي) بإِثبات الياءِ، وقرأَ أَبو جعفر، وشيبة بحذفها(٤).

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: ﴿ٱلْمُنشَآتُ﴾ بفتح الشين؛ أَي: أَنشأَها الله تعالى، أَو الناسُ.

---

(١) البحر المحيط (١٠/ ٦٠).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٦)، والنشر (٢/ ٣٨٠-٣٨١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٦).

(٣) انظر نسبة الروايتين له في السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٧٩ - ٦١٩).

(٤) الحذف قراءة الجماعة، وأما الإثبات ففي الوقف ليعقوب على قاعدته، كما في النشر (٢/ ١٣٨)، وفي الوصل غير متأت أصلاً.

وقرأ حمزة، وأبو بكر بخلاف عنه: ﴿الْـمُنْشِآتُ﴾ بكسر الشين[١]، أي تُنشئ هي السَّيْرَ إِقْبَالاً وإدباراً.

و(الأَعْلَامُ): الجِبالُ وما جرى مجراها من الظِّرَاب والآكام.

وقال مجاهد: ما له شراع فهو من المنشآت، وما لم يرفع له شراع فليس من المنشآت[٢].

قال القاضي أبو محمد: قوله تعالى: ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ هو الذي يقتضي هذا الفرق، وأما لفظة (المنشآت) فتعم الكبير والصغير.

والضمير في قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ للأَرْض، وكنَّى تعالى عنها ولم يتقدم لها ذِكْرٌ؛ لوضوح المعنى، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] إلى غير ذلك من الشواهد.

والإشارة بالفناءِ إلى جميع الموجودات على الأَرض من حيوان وغيره، فغلب عبارة من يعقل فلذلك قال: ﴿مَنْ﴾.

و«الوَجْهُ» عبارة عن الذات؛ لأَن الجارحة منفية في حق الله تعالى، وهذا كما تقول: هذا وجه القول والأَمر؛ أي: حقيقته وذاتُه.

وقرأ جمهور الناس: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ على صفة لفظة الوجه.

وقرأ عبد الله بن مسعود، وأُبَيٌّ: (ذِي الْجَلَالِ) على صفة الرَّبِّ تعالى[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٧)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٢٣).

(٣) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٣٨).

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾ يحتمل أَن يكون في موضع الحال من «الوجه»، والعامل فيه (يبقى)؛ أَي: هو دائم في هذه الحال.

ويحتمل أَن يكون فعلاً مُسْتَأْنفاً إِخباراً مجرداً، والمعنى: إِن كل مخلوق من الأَشياءِ فهو في قوامه وتماسكه ورزقه ـ إِن كان مما يُرزق ـ بحالِ حاجةٍ إِلى الله تعالى، فمن كان يسأَل بنطق؛ فالأَمر فيه بيِّنٌ، ومن كان من غير ذلك؛ فحاله تقتضي السؤال، فأَسند فعل السؤال إِليه.

وقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾؛ أَيْ: يظهر شأْنٌ من قدرته التي سبقت في الأَزل في ميقاته من الزمن، من إِحياءٍ وإِماتة ورِفْعة وخَفْض وغير ذلك من الأُمور التي لا يعلم نهايتها إِلَّا هو تعالى وجلَّ. و«الشَّأْنُ» اسم جنس للأُمور.

قال الحسين بن الفضل: معنى الآية سوْقُ المقادير إِلى المواقيت[(١)].

وقد ورد في بعض الأَحاديث: «أَن الله تعالى له في كل يوم في اللوح المحفوظ ثلاث مئة وستون نظرة، يُعِزُّ فيها ويُذلُّ، ويُحيي ويُميت، ويُغني ويُعدم، إِلى غير ذلك من الأَشياءِ، لا إِله إِلَّا هو»[(٢)].

وفي الحديث: أَن النبي ﷺ قرأَ هذه الآية فقيل: ما هذا الشأْنُ يا رسول الله؟ قال: «يغفرُ ذنباً، ويفرجُ كرباً، ويَرْفعُ ويَضَعُ»[(٣)].

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٦٧) من طريق ثابت البناني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكره بنحوه، وقد جاء من طرق أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولا تسلم من ضعف.

(٣) حسن، أخرجه البزار في مسنده (٤١٣٧)، وابن حبان في صحيحه (٦٩٨)، والطبراني في الأوسط (٣١٤٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٤٧٩) من طريق وزير بن صبيح، عن يونس بن ميسرة، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ قال: «من شأنه أن يغفر ذنباً، أو يكشف كرباً، أو يجيب داعياً، ويرفع قوماً ويضع آخرين»، وقال رسول الله ﷺ: «فرغ الله إلى كل عبد من أجله ورزقه ومضجعه وأثره». قال البزار: وهذا الحديث قد روي عن أبي الدرداء من غير =

وذكر النَّقَّاش: أَن سبب هذه الآية قول اليهود: إِن الله استراح يوم السبت فلا ينفذ فيه شيئاً[١].

وقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ عبارة عن إِتيان الوقت الذي قدَّر فيه وقضى أَن ينظر في أَمور عباده، وذلك يوم القيامة، وليس المعنى: أَنَّ ثمَّ شغلاً يتفرغ منه، وإِنما هي إِشارة وعيد، وقد قال ﷺ لِأَزَبِّ العَقَبَة: «لأَفْرُغَنَّ لك يا خبيث»[٢].

و«التَّفَرُّغ» من كل آدمي حقيقة، وفي قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ جَرْيٌ على استعمال العرب.

ويحتمل أَن يكون التوعُّد بعذاب في الدُّنيا، والأَول أَبين.

وقرأَ نافع، وابن كثير، وعاصم، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿سَنَفْرُغُ﴾ بضم الراءِ وبالنون[٣].

وقرأَ الأَعرج، وقتادة ذلك بفتح الراءِ والنون، ورويت عن عاصم[٤]/ . [٥/ ١٥٨]

ويقال: فَرَغَ بفتح الراءِ، وفَرِغَ بكسرها، ويصح منهما جميعاً أن يقال: يَفْرُغُ بفتح الراءِ.

= وجه وهذا من أحسن إسناد يروى عنه.اهـ، وفي الباب عن ابن عمر، ومنيب بن عبد الله الأزدي، ولا تسلم من ضعف.

(١) تفسير الثعالبي (٤/ ٢٤٤).

(٢) حسن، أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٤٤) وغيرهما من طريق ابن إسحاق، قال: حدثني معبد بن كعب بن مالك بن القين، أخو بني سلمة، عن أخيه عبد الله، عن أبيه، كعب بن مالك، قال: خرجنا في الحجة التي بايعنا فيها رسول الله ﷺ بالعقبة... القصة. وفيه «هذا أزب العقبة، هذا ابن أزيب، اسمع، أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك».

(٣) هذه سبعية وكذلك قراءة حمزة والكسائي التي ستأتي، وفي حاشية المطبوع: في الأصول: «بضم النون والراءِ»، وهو خطأ.

(٤) وهي شاذة، عزاها في جامع البيان (٤/ ١٦٢١) لهارون وخلاّد عن حسين عن أبي بكر عن عاصم، لم يروه غيره، وانظر العزو للباقين في مختصر الشواذ (ص:١٥٠)، والمحتسب (٢/ ٣٠٣).

وقرأ عيسى [بكسر النون وفتح الراءِ][(١)]، قال أَبو حاتم: هي لغة سُفْلَى مضر.

وقرأ أَبو عمرو، وحمزة، والكسائي بالياءِ المفتوحة.

وقرأ حمزة، والكسائي بضم الراءِ[(٢)]، وقرأ أَبو عمرو بفتحها وضم الراءِ[(٣)].

وقرأ الأَعمش بخلاف وأَبو حيوة: (سَيُفْرَغُ) بضم الياءِ وفتح الراءِ وبناءِ الفعل للمفعول[(٤)].

وقرأ عيسى بن عمر أَيضاً: (سَنَفْرِغُ) بفتح النون وكسر الراءِ[(٥)].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (سَنَفْرُغُ إِلَيْكُمْ أيها)[(٦)].

و﴿ٱلثَّقَلَانِ﴾: الجنُّ والإِنس، يقال لكل ما يعظم أَمره: ثقل، ومنه: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، وقال النبي ﷺ: «إِني تاركٌ فيكم الثقلين: كتابَ الله وعِتْرتي»[(٧)].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٢٠٣)، وفي الأصل والحمزوية: «بفتح النون وكسر الراء».

(٢) وهذه والأولى سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٦)، وفي المطبوع: «بضم الياء»، وهي خطأ.

(٣) كذا في المطبوع ونجيبويه والأسدية٣ والحمزوية، وهو خطأ، إذ لا فرق بينها، وبين قراءة الأخوين، مع أن قراءة أبي عمرو بالنون، كما تقدم، وسقط ذكر الراء من الأصل، فيكون إشارة لرواية حسين عنه بالياء وفتح الراء كما في جامع البيان (٤/ ١٦٢١) قال: لم يروه غيره.

(٤) وهي شاذة، نسبها للأعمش في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٢٧)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٥٩) للجعفي عن أبي عمرو.

(٥) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (١٠/ ٦٤).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٥).

(٧) صحيح، أخرجه أحمد (١/ ١١٨)، والنسائي في الكبرى (٨٠٩٢-٨٤١٠) واللفظ له من طريق الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، لما رجع رسول الله ﷺ عن حجة الوداع، ونزل غدير خُمٍّ، أمر بدَوحات فقُمِّمْنَ، ثم قال: «كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا، حتى يردا علي الحوض، ثم قال: إن الله مولاي، وأنا ولي كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي، فقال: من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه». وله طرق أخرى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه بألفاظ مختلفة، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري، وجابر.

ويقال لبيض النعام: ثَقَلٌ، قال لبيد:

فَتَذَكَّرا ثَـقَـلاً.................... .... [الكامل]

البيت[١]

وقال جعفر بن محمد الصادق: سُمِّي الجن والإِنس ثقلَيْن؛ لأَنهما ثقلا بالذنوب[٢].

وهذا بارع ينظر إِلى خلقهما من طين ونار.

وقرأَ ابن عامر: ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ بضم الهاءِ[٣].

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ﴾ الآية:

فقال الطبري: قال قوم: في الكلام محذوف تقديره: يقال لكم: يا معشر الجن والإِنس، قالوا: وهذه حكاية عن حال يوم القيامة (يوم التنادِّ)، على قراءَة من شدّد الدَّال[٤].

قال الضحاك: وذلك أَنه يفرُّ النَّاس في أَقطار الأَرض، والجنُّ كذلك، لما يرون من هول يوم القيامة، فيجدون سبعة صفوف من الملائكة قد أَحاطت بالأَرض فيرجعون من حيث جاؤوا، فحينئذ يقال لهم: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[٥].

وقال بعض المفسرين: بل هي مخاطبة في الدنيا، والمعنى: إِن استطعتم الفرار من الموت بأَن تنفذوا من أَقطار السماوات والأَرض.

---

(١) بيت لبيد هو:

حتىٰ إذا ألقت يداً في كافر ... وأجن عورات الثغور ظلامها

وقال في المحتسب (٢/ ٢٣٣) وأصله لثعلبة بن صعير المازني:

فتـذكرا ثـقـلاً رثيـداً بعدمـا ... ألقـت ذكـاء يمينهـا في كـافر

وقد تقدما في الآية (٧) من (سورة البقرة)، فبسبب الشبه بينهما وقع الخطأ.

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٦).

(٣) وهي سبعية، كما تقدم في نظيرتيها في (النور) و(الزخرف)، وانظر السبعة (ص: ٦٢٠).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٢)، وفيه إشارة إلى الآية (٣٢) من (سورة غافر)، وقد تقدم تخريج هذه القراءة الشاذة هناك.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٢)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٢٦-٧٢٢٧)، بتصرف.

وقال ابن عباس: إن استطعتم بأذهانكم وفكركم أَن تَنْفُذُوا، فتعلموا علْم أَقطار السماوات والأَرض(١).

و«الأَقطارُ»: الجهات.

وقوله: ﴿فَٱنفُذُواْ﴾ صيغته الأَمر ومعناه التعجيز.

و«السُّلطان» هنا: القوة على غرض الإنسان، ولا يستعمل إِلَّا في الأَعظم من الأَمر والحجج أَبداً من القوي في الأُمور، فلذلك يعبِّر كثير من المفسرين عن السلطان بأَنه الحُجَّة.

وقال قتادة: السلطان هنا الملك، وليس لهم ملك(٢).

و«الشُّوَاظ»: لهبُ النار، قاله ابن عباس وغيره(٣).

وقال أَبو عمرو بن العلاءِ: لا يكون الشواظ إِلَّا من النار وشيءٍ معها(٤).

قال القاضي أَبو محمد: وكذلك النار كلها لا تُحَسُّ إِلَّا وشيءٌ معها.

وقال مجاهد: «الشُّواظُ»: هو اللهب الأخضر المنقطع(٥)

ويؤيد هذا القولَ قولُ حسَّان بن ثابت يهجو أُميَّة بن أَبي الصَّلْت:

[الوافر] هَجَوْتُـكَ فاخْتَضَعْتَ حَليفَ ذُلٍّ   بِقَـافِـيَـةٍ تَـأَجَّـجُ كـالشُّـوَاظ(٦)

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢١٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره.
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٣٤).
(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٥)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٤٦) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره، وأخرجه أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٤) انظر تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٦).
(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٦).
(٦) كما في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٤٩)، وسيرة ابن هشام (١/ ٣٥٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٨٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٣٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٣٣) إلا أنه جعلها في أبي سفيان بن الحارث، ولعله خطأ منه.

وقال الضحاك: هو الدخان الذي يخرج من اللهب، وليس بدخان الحطب[(١)].

وقرأ الجمهور: ﴿شُوَاظٌ﴾ بضم الشين.

وقرأ ابن كثير وحده، وشبل، وعيسى: ﴿شِوَاظٌ﴾ بكسر الشين، وهما لغتان[(٢)].

وقال ابن عباس، وابن جُبَيْر: «النُّحاسُ»: الدُّخان[(٣)]، ومنه قول الأعشى:

يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّليـ ... ـطِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فيهِ نُحَاسَا[(٤)] [المتقارب]

والسليط: دُهن الشَّيْرَج.

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ بالرفع عطفاً على ﴿شُوَاظٌ﴾، فمن قال: إِن النحاس هو المعروف ـ وهو قول مجاهد، وابن عباس أَيضاً ـ قال: ويرسَلُ عليهما نحاسٌ؛ أَي: يُذاب ويُرْسَل عليهما[(٥)]، ومن قال: هو الدخان، قال: يُعذبون بدخان يُرسل عليهما.

وقرأ ابن كثير، وأَبو عمرو، والنَّخَعي، وابن أَبي إِسحاق: ﴿وَنُحَاسٍ﴾ بالخفض[(٦)] عطفاً على ﴿نَّارٍ﴾، وهذا مستقيم على ما حكيناه عن أَبي عمرو بن العلاءِ.

ومن رأَى أَن «الشواظ» يختص بالنار؛ قدَّر هنا: وشيءٍ من نحاس.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٧).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٦).

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٧) من طريق موسى بن عمير، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره. وموسى بن عمير القرشي متروك، وأبو صالح هو باذام مولى أم هانيء بنت أبي طالب، وقول ابن جبير في تفسير الطبري (٢٣/ ٤٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٨٧).

(٤) البيت للنابغة الجعدي، كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٤)، والشعر والشعراء (١/ ٢٨٥)، والكامل للمبرد (١/ ٢٩١)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٤٨)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٨٧)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٨)، والبحر المحيط (١٠/ ٥٢)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٧٢)، وقد تابع المؤلف في نسبته للأعشى الحلبي في الدر المصون (١٠/ ١٧٢) عازياً للخليل.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وقول مجاهد في تفسير الطبري (٢٣/ ٤٨).

(٦) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٦).

وحكى أَبو حاتم عن مجاهد أَنه قرأَ: (وَنِحَاسٍ) بكسر النون والجرِّ.

وعن عبد الرحمن بن أَبي بكر: أَنه قرأَ: (وَنَحُسُّ) بفتح النون وضم الحاءِ والسين المشددة [على أَنه فعل][1]، كأَنه يقول: وَنَقْتُلُ بالعذاب.

وعن ابن جندب أَنه قرأَ: (وَنَحْسٌ) كما تقول: يومٌ نحْسٌ.

وحكى أَبو عمرو مثل قراءَة مجاهد عن طلحة بن مصرف، وذلك لغة في نُحاس، وقيل: هو جمع نَحس[2].

ومعنى الآية مستمر في تعجيز الجن والإِنس؛ أَي: أَنتما بحال من يُرسل عليه هذا فلا تنتصران.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾.

جواب (إذا) محذوف مقصود به الإِبهام، كأَنه تعالى يقول: فإِذا انشقت السماءُ فما أَعظم الهول، وانشقاقُ السماءِ: انْفطارُها عند القيامة.

وقال قتادة: السماءُ اليوم خضراءُ، وهي يوم القيامة حمراءُ[3].

فمعنى قوله: ﴿وَرۡدَةٗ﴾؛ أَي: كحمرة الورد، وهو النوار المعروف، وهذا قول الزجاج والرمَّاني[4].

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) وكلها شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص:١٥٠)، والمحتسب (٢/ ٣٠٢)، والشواذ للكرماني (ص:٤٥٩).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٨٧).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٠١).

وقال ابن عباس، وأَبو صالح، والضحاك: هي من لون الفرس الورد[١]، فأُنِّث لكون السماءِ مؤنثة.

واختلف الناس في قوله: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾:

فقال مجاهد، والضحاك: هو جمع دهن، قالوا: وذلك أن السماءَ يعتريها يوم القيامة أَلوانٌ[٢] وذَوبٌ وتميُّعٌ من شدة الهول[٣]، وقال بعضهم: شبَّه لَمعانها بلمعان الدُّهن، وقال جماعة من المتأَولين: الدهان: الجِلْد الأَحمر، وبه شبهها، وأَنشد منذر بن سعيد:

يَبِعْنَ الدِّهَان الحُمْرَ كُلَّ عَشِيَّة بِمَوْسمِ بَدْرٍ أَوْ بِسُوق عُكَاظِ[٤] [الطويل]

وقوله تعالى: ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾ نفي للسؤال، وفي القرآن الكريم آيات تقتضي أَن في القيامة سؤالاً، وآياتٌ تقتضي نفيه؛ كهذه وغيرها.

فقال بعض / الناس: ذلك في مواطن دون مواطن، وهو قول قتادة وعكرمة[٥]. [٥/ ١٥٩]

وقال ابن عباس، وهو الأَظهر في ذلك: إِن السؤال متى أُثبت فهو بمعنى التقرير والتوبيخ، ومتى نُفي فهو بمعنى الاستخبار المحض والاستعلام[٦]؛ لأَن الله تعالى عليم بكل شيءٍ.

---

(١) حسن، أخرجه الطبري (٢٢/ ٤٩) من طريق قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس، وانظر فيه قول الباقين (٢٣/ ٥٠).

(٢) «أَلوانٌ»: ليست في الأصل ونجيبويه والحمزوية.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٠).

(٤) نقله عنه أيضاً الحلبي في الدر المصون (١٠/ ١٧٤)، بلا نسبة.

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٨).

(٦) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يسألهم عن أعمالهم، ولا يسأل بعضهم عن بعض وهو مثل قوله: ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ومثل قوله لمحمد ﷺ ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

وقال الحسن، ومجاهد: لا تسأَل الملائكة عنهم لأَنهم يعرفونهم بسيماهم، والسِّيما التي يُعرف بها المجرمون هي سواد الوجوه وزرق العيون في الكفرة، قاله الحسن[١].

ويحتمل أَن يكون غير هذا من التشويهات.

واختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾:

فقال ابن عباس: يؤخذ كل كافر بناصيته وقدمه فيُطوى ويُجمع كالحطب، ويُلقى كذلك في النار[٢].

وقال النقاش: رُوي أَن هذا الطيَّ على ناحية الصلب قَعَساً، وقاله الضحاك[٣].

وقال آخرون: بل على ناحية الوجه، قالوا: فهذا معنى ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾.

وقال قومٌ ـ في كتاب الثعلبي ـ: إِنما يُسحب الكفرة سحباً، فبعضهم يُجر بقدميه، وبعضهم بناصيته، فأخبر في هذه الآية أَن الأخذ يكون بالنواصي ويكون بالأقدام[٤].

وقوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ قبلها محذوف تقديره: يُقال لهم على جهة التوبيخ والتقرير.

وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه: (هَذِهِ جَهَنَّمُ التي كُنْتُمَا بِهَا تُكَذِّبان، تَصلَيَانها لا تَموتَانِ فيها وَلَا تَحْيَيَان)[٥].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَطُوفُونَ﴾ بفتح الياءِ وضم الطاءِ وسكون الواو.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (يُطَوَّفُونَ) بضم الياءِ وفتح الطاءِ وشد الواو.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن: (يُطَافُونَ)، وهي قراءَة علي بن أَبي طالب[٦]، والمعنى في هذا

---

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٨)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٣٠-٧٢٣١)، بتصرف.

(٢) انظر البحر المحيط (١٠/ ٦٦).

(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ١٧٥). والقَعَس: نقيض الحَدَب.

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٨)، بتصرف.

(٥) وهي شاذة، مخالفة للمصحف، انظر نسبتها له في تفسير الطبري (٢٣/ ٥٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١١٧).

(٦) وهما شاذتان، انظر نسبتهما لطلحة وعلي في مختصر الشواذ (ص: ١٥٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٦٠).

كله: أَنهم يتردَّدون بين نار جهنم وجمرها وبين حميم، وهو ما غلي في جهنم من مائع عذابها.

و«الحميم»: الماءُ السخن.

وقال قتادة: إِن العذاب الذي هو الحميم يُغلى منذ خلق الله تعالى جهنم[1].

وأَنَى الشيءُ: حَضَر، وأَنَى اللحم أَو ما يُطبخ أو يُغلى: نضج وتناهى حرُّه والمرادُ منه.

ويحتمل أَن يكون من هذا ومن هذا، وكونه من الثاني أَبين، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ومن المعنى الآخر قول الشاعر:

.... أَنَـى وَلِـكُلِّ حَامِلَـةٍ تَمَـامُ[2] [الوافر]

ويشبه أَن يكون الأَمر في المعنيين قريباً بعضه من بعض، والأَولُ أَعمُّ من الثاني.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾.

(مَن) في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ﴾ يحتمل أَن تقع على جميع المتصفين بالخوف الزاجر عن معاصي الله تعالى، ويحتمل أَن تقع لواحد منهم، وبحسب هذا قال بعض الناس في هذه الآية: إِن كل خائف له جنتان، وقال بعضهم: إِن جميع الخائفين لهم جنتان.

و«الْمَقَامُ»: هو وقوف العبد بين يدي ربه تعالى، يفسره ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، وأَضَافَ المقام إِلى الله تعالى من حيث هو بين يديه.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٤)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٨٨) بتصرف.

(٢) هذا عجز بيت، صدره: تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ، وقد تقدم في تفسير الآية (٥٣) من (سورة الأحزاب) بلفظ: ولكل خاتمة.

قال الثعلبي: وقيل: ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: قيامُه على العبد[١]، بيانه ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، وحكى الزهراوي هذا المعنى عن مجاهد[٢].

وفي هذه الإضافة تنبيه على صعوبة الموقف، وتحريض على الخوف الذي هو أَسرع المطايا إِلى الله عزَّ وجلَّ.

وقال قوم: أَراد جنة واحدة وثَنَّى على نحو قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤]، وقول الحجاج: يا غلام اضربا عنقه[٣].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف؛ لأَن معنى التثنية متَّجه بلا وجه للفرار إِلى هذه الشَّاذَّة، ويؤيد التثنية قوله: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾، وهي تثنية «ذات» على الأصل؛ لأَن أَصل «ذات»: «ذوات».

و«الأَفْنَان»: يحتمل أَن يكون جمع فَنَنٍ؛ وهو الغُصْن، وهذا قول مجاهد[٤]، فكأَنه تعالى مدحها بظلالها وتكاثف أَغصانها.

ويحتمل أَن يكون جمع فَنٍّ، وهو قول ابن عباس[٥]، فكأَنه تعالى مدحها بكثرة أَنواع فواكهها ونعيمها.

و﴿زَوْجَانِ﴾ معناه: نوعان.

و﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حالٌ، إِمَّا من محذوف تقديره: يتنعمون متكئين، وإِما من قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾، والاتكاء: جلسة المتنعِّم المتمتِّع.

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ١٨٩). ولفظة: «وقيل» سقطت من المطبوع.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) تقدم في تفسير آية (سورة ق).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٠)، وتفسير الثعلبي (٨/ ١٨٩) بتصرف يسير.

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٦٠) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، قوله: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ يقول: فيما بين أطراف شجرها، يعني: يمس بعضها بعضاً كالمعروشات، ويقال: ذواتا فضول عن كل شيء.

وقرأ جمهور النـاس: ﴿فُرُشٍ﴾ بضم الراء، وقرأ أبو حيوة: (فُرْشٍ) بسكـون الراء[١].

وروي في الحديث: أنه قيل لرسول الله ﷺ: هذه البطائن من إستبرق، فكيف الظواهر، قال ﷺ: «هي من نور يتلألأ»[٢].

و«الإستبرق»: ما خشن وحسن من الديباج.

و«السُّنْدُسُ»: ما رَقَّ منه، وقد تقدم القول في لفظة (الإستبرق).

وقرأ ابن محيصن: (مِن اسْتَبْرَقَ) على أنه فعل والألف وصل[٣].

والضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ للفُرُش، وقيل: للجنات؛ إذ الجنتَّان جنات في المعنى.

و«الجَنَى»: ما يُجْتَنَى من الثمار، ووصفه بالدنُوِّ؛ لأنه فيما رُوي في الحديث يتناوله المرء على أي حالة كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع؛ لأَنه يدنو إلى مشتهيه.

و﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾: هنَّ الحور العين قصرن ألحاظهن على أزواجهن.

وقرأ أبو عمر عن الكسائي وحده، وطلحةُ، وعيسى، وأصحابُ علي، وابنُ مسعود: ﴿يَطْمُثْهُنَّ﴾ بضم الميم، وقرأ جمهور القراءِ: ﴿يَطۡمِثۡهُنَّ﴾ بكسر الميم[٤].

---

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير القرطبي (١٧/ ١٧٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٦٠).

(٢) لم أهتد إليه بهذا اللفظ، وقد أخرج الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٤٣) من طريق سفيان عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن يريم، عن ابن مسعود، في قوله: ﴿فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾ قال: قد أخبرتم بالبطائن، فكيف لو أخبرتم بالظواهر.

(٣) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٠٣).

(٤) وهما سبعيتان، والضم في الأول لأبي عمر الدوري عن الكسائي، وفي الثاني لأبي الحارث عنه، انظر التيسير (ص: ٢٠٧)، وللباقين في معاني القرآن للفراء (٣/ ١١٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩٧). وفي المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «أبو عمرو»، وهو خطأ.

والمعنى: لم يَفْتَضَّهُنَّ؛ لأن الطمْثَ دم الفرج، فيقال لدم الحيض: طمثٌ، ويقال لدم الافتضاض: طَمْثٌ، فإذا نفي الافتضاض، فقد نُفي القرب منهن على جهة الوطء.

قال الفراءُ: لا يقال «طَمَثَ» إلَّا إذا افتضَّ(١).

وقال غيره: «طَمَثَ» معناه: جامع بِكْراً أو غيرها.

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾:

فقال مجاهد: الجن قد تجامع نساءَ البشر مع أزواجهن إذا لم يذكر الزوجُ الله تعالى، فنفى في هذه الآية جميع المجامعات(٢).

وقال ضمرة بن حبيب(٣): الجِنُّ في الجنَّة لهم قاصرات الطرف من الجن نوعهم، فنفى في هذه الآية الافتضاض عن البشريَّات والجنِّـيَّات(٤).

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل اللفظ أن يكون مبالغة وتأكيداً كأنه تعالى قال: لم يطمثهن شيءٌ، أراد العموم التام لكنه صرَّح من ذلك بالذي يُعقل منه: أنه يَطْمِث.

[٥/ ١٦٠] / وقال أبو عبيدة والطبري: إن من العرب من يقول: ما طَمَثَ هذا البعيرَ حبلٌ قط؛ أي: ما مسَّه(٥)، فإن كان هذا المعنى: ما أدماه حبلٌ فهو يقرب من الأَول، وإلاَّ فهو معنى آخر غير ما قدمناه.

وقرأَ الحسن، وعمرو بن عبيد: (وَلَا جَأْنٌ) بالهمز(٦).

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ١١٩).

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩١)، بتصرف.

(٣) في المطبوع: «حمزة»، وهو ضمرة بن حبيب الزبيدي الحمصي، روى عن شداد بن أوس، وعوف ابن مالك الأشجعي، وأبي أمامة، وجماعة، وعنه ابنه عتبة، وأبو بكر بن أبي مريم، ومعاوية بن صالح، وآخرون، قال أبو حاتم: لا بأس به. تاريخ الإسلام (٧/ ٣٨٥).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩١)، بتصرف.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٣)، ومجاز القرآن (٢/ ١٢٠).

(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها لهما في المحتسب (٢/ ٣٠٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ هي من الأَشياء التي قد برع حُسْنُها، واستشعرت النفوسُ جلالها، فوقع التشبيه بها لَا في جميع الأوصاف، لكن فيما يُشبه ويحسن بهذه المشبهات.

فالياقوت في امِّلَاسِهِ وشفوفه، ومنه قول النبي ﷺ في صفة المرأة من نساء أهل الجنة: «يُرَى مخُّ ساقها من وراء العظم»[(١)].

والمرجان في امِّلاسِهِ وجمال منظره، وبهذا النحو من النظر سمَّت العربُ النساءَ بهذه الأشياء؛ كدُرَّة بنت أبي لهب، ومَرْجانة أم سعيد، وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ آيةُ وعْدٍ وبسط لنفوس جميع المؤمنين لأنها عامة، قال ابن المنكدر، وابن زيد، وجماعة من أهل العلم: هي للبَرِّ والفاجر[(٢)].

والمعنى: إن جزاء من أحسن بالطاعة أن يُحسن إليه بالتنعيم.

وحكى النقاش: أن النبي ﷺ فسَّر هذه الآية فقال: «هل جزاءُ التوحيد إلَّا الجنة»[(٣)].

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري (٣٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ، قال: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكرة وعشياً، لا يسقمون، ولا يمتخطون، ولا يبصقون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة».

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٦٨).

(٣) لم أقف عليه.

قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾، اختلف الناس في معنى ﴿مِن دُونِهِمَا﴾:

فقال ابن زيد وغيره: معناه إن هاتين دون تَيْنك في المنزلة والقدر، والأُولَيان جَنَّتا السابقين، والأخريان جَنَّتَا أصْحَاب اليمين[١].

قال الرُّمَّاني: قال ابن عباس: الجنات الأَربع للخائف مقام ربِّه.

وقال الحسن: الأُولَيان للسابقين والأُخريان للتابعين.

وقال ابن عباس: المعنى: هما دونهما في القرب إلى المُنعَّمين، وهاتان المُؤَخَّرتا الذِّكر أفضل من الأُولَيَيْن[٢]، يدل على ذلك: أنه وصف عينَي هاتين بالنَّضْخ، والأُخريين بالجري فقط، وجعل هاتين مُدْهَامَّتَيْن من شدة النِّعمة، والأُولَيَيْن ذواتا أفنان، وكل جنة ذات أفنان وإن لم تكن مُدْهَامَّة.

وأكثر الناس على التأويل الأول، وهذه استدلالات ليست بقواطع.

ورُوي عن أبي موسى الأشعري أنه قال: «جنتان للمقربين من ذهب، وجنتان لأهل اليمين من فضة هما دون الأُولَيَيْن»[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩٣).

(٢) انظر قولي الحسن وابن عباس في البحر المحيط (١٠/ ٧٠).

(٣) صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٨١٤) عن عبد الصمد بن عبد الوارث، ومن طريقه الحاكم (٢/ ٥١٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥٧)، والبيهقي في البعث والنشور (٢١٩) من طريق آدم بن أبي إياس، وأبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١٤١٤)، والبيهقي في البعث والنشور (٢١٨) من طريق سليمان بن حرب جميعهم ـ عبد الصمد، وآدم، وسليمان ـ عن حماد بن سلمة، عن أبي عمران الجوني، وثابت البناني، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري، عن أبيه قال: في هذه الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من فضة للتابعين، وفي رواية ابن أبي شيبة، والحاكم في أحد روايتيه بدون ثابت البناني، وقد اختلف على حماد فرواه عنه الجماعة موقوفاً، وخالفهم مؤمل بن إسماعيل فرواه عنه به مرفوعاً، أخرجه الدينوري في المجالسة (١٤١٥-٢٧٨٧)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٤٣٦) من طريق مؤمل، عن حماد به، وأخرجه أحمد في الورع (٣٧٥) عن عفان، عن بكر بن أبي موسى، عن أبيه، فذكره موقوفاً عليه.

و﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ معناه: قد علا لونَها دُهْمةٌ وسوادٌ من النضرة والخضرة، كذا فسَّره ابن الزبير على المنبر[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ * فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ [الأعلى: ٤-٥].

و«النَّضَّاخة»: الفوَّارة التي يهيج ماؤُها، قال ابن جبير: المعنى: نضاختان بأنواع الفواكه[٢].

وهذا ضعيف.

وكرر تعالى «النَّخْل» و«الرُّمَّان»؛ لأنهما ليسا من الفاكهة.

وقال يونس بن حبيب وغيره، كررهما ـ وهما من أفضل الفاكهة ـ تشريفاً لهما وإشادة بهما، كما قال تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨][٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧١ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٧٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٥ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ٧٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾.

﴿خَيۡرَٰتٌ﴾ جمع خَيْرَةٍ، وهي أَفضل النساءِ، ومنه قول الشاعر:

[الكامل]

ولَقَـدْ طَعَنْـتُ مَجَامِـعَ الرَّبَلَاتِ   رَبَلَاتِ هِنْـدٍ خَيْـرَةِ الملكاتِ[٤]

---

(١) ضعيف، أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٣٨)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٧٠) من طريق مروان بن معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن جارية بن سليمان، أن ابن الزبير قال: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾، قال: خضراوان من الري. وجارية بن سليمان المسلي الحارثي مجهول الحال؛ فلم يرو عنه غير إسماعيل بن أبي خالد وقد ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٣٨)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٥٢٠)، وابن حبان في الثقات (٤/ ١١٥) ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٧٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٤١)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩٣).

(٣) انظر قوله في البحر المحيط (١٠/ ٧٠).

(٤) البيت تقدم في تفسير الآية (٨٨) من (سورة التوبة). وسقط شطره الأول من الأصل والأسدية٣ والحمزوية.

وقالت أمُّ سلمة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله! أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾، قال: «خيرات الأخلاق، حسان الوجوه»[١].

وقرأ بكر بن حبيب السهمي: (خَيِّراتٌ) بشد الياء المكسورة، وقرأ أبو عمرو بفتح الياءِ[٢].

وقوله: ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ معناه: محجوباتٌ مصوناتٌ، وكانت العرب تمدح النساء بملازمة البيوت، ومنه قول الشاعر:

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٧٥)، والطبراني في الكبير (٧٨٠)، وفي الأوسط (٣١٤١) من طريق عمرو بن هشام البيروتي، عن سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قال: حور بيض عين ضخام العيون شقر الجرداء بمنزلة جناح النسور، قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾. قال: صفاؤهن صفاء الدر في الأصداف التي لم تمسه الأيدي. قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾. قال: خيرات الأخلاق حسان الوجوه. قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾. قال: رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو العرفى. قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾. قال: هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمضاء شمطاء خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عرباً متعشقات محببات أتراباً على ميلاد واحد. قلت: يا رسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة. قلت: يا رسول الله وبما ذاك؟ قال: بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفراء الحلي مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن ألا نحن الخالدات فلا نموت أبداً، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا. قلت: يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها؟ قال: يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول: أي رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقاً في دار الدنيا فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة. وسليمان بن أبي كريمة ضعيف، وانظر الميزان (٢/ ٢٢١).

(٢) وهما شاذتان، انظر الأولى في تفسير الثعلبي (٩/ ١٩٤)، وتابعه على الثانية في البحر المحيط (١٠/ ٧٠).

. . . . وَتَـعْـتَـلُّ عَـنْ إِتْـيَانِهِـنَّ فَتُعْـذَرُ[١] [الطويل]

يصف: أن جيرانها يَزُرْنَها ولا تزورهن، ويروى أن بيت الأعشى قد ذُمَّ، وهو قوله:

كَأَنَّ مِشْـيَتَهَا مِـنْ بَيـتِ جَارَتِهَـا مَـرُّ السَّـحَابَةِ لا رَيْـثٌ وَلَا عَجَلُ[٢] [البسيط]

فقيل في ذمِّه: هذه جوَّالةٌ خرَّاجةٌ ولَّاجةٌ[٣]، ومن مَدْح القصر قولُ كُثَيِّـر:

وأَنـتِ الَّـتي حَبَّبْـتِ كُلَّ قَصِيـرةٍ إلَـيَّ وَلَـمْ تَشْـعُرْ بِـذاكَ القَصَائـرُ [الطويل]

أُرِيـدُ قَصِيـرَاتِ الحِجـَالِ وَلَـمْ أُرِدْ قِصَارَ الخُطَى، شـرُّ النِّساءِ البَحَاتِرُ[٤]

وقال الحسن: ﴿مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾: لَسْن بطوَّافات في الطُّرق[٥].

و﴿ٱلۡخِيَامِ﴾: البيوت من الخشب والثُّمام وسائر الحشيش، وهي بيوت المرتحلين من العرب.

وخيام الجنة: بيوت اللؤلؤ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هي دُرٌّ مجوَّف[٦]، ورواه ابن مسعود عن النبي ﷺ[٧]، وإذا كان المسكن عند العرب من شعر

---

(١) صدره: وَتَكْسَلُ عَنْ جَارَاتِهَا فَيَزُرْنَهَا، وهو لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري، انظر عيون الأخبار (٣/ ٣١)، والأغاني (١٧/ ١٣٣)، والعقد الفريد (٤/ ٣١٠)، وحماسة الخالديين (ص: ٢٣). وفي المطبوع: «وَتَغفُلُ».

(٢) انظر عزوه له في العين (٨/ ٢٣٥)، والكامل للمبرد (٣/ ٤٢)، وعيار الشعر (ص: ٢٩).

(٣) انظر الأغاني (١٧/ ١٣٣)، والموشح للمرزباني (ص: ٥٥).

(٤) انظر عزوهما له في إصلاح المنطق (ص: ١٣٩)، والصحاح للجوهري (٢/ ٥٩٩)، والمحكم (٦/ ١٩٥)، والمعاني الكبير (١/ ٥٠٥).

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٢١٤).

(٦) منقطع، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢ / ٨٠) من طريق شمر بن عطية، عن أبي الأحوص قال: قال عمر، فذكره. وأبو الأحوص هو عوف بن مالك بن نضلة الأشجعي ثقة، ولكنه لم يسمع من عمر رضي الله عنه.

(٧) ضعيف جداً، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٨٢) عن الحسين بن الفرج الخياط، عن أبي معاذ الفضل بن خالد، عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك يقول: كان ابن مسعود يحدث عن النبي ﷺ =

فهو بيتٌ، ولا يقال له خيمة، ومن هذا قول جرير:

[الوافر] مَتَـى كانَ الْخِيَـامُ بـذي طُلُـوحٍ   سُـقيتِ الْغَيْـثَ أَيَّتُهَـا الخِيَـامُ[١]

ومنه قول امرئ القيس:

[المتقارب] أَمَـرْخٌ خِيَـامُـهُـمُ أَمْ عُـشُـرْ[٢]   ....

فاستفهم: هل هم مُنْجِدون أَمْ غائرون؟ لأن العُشُر مما لا ينبت إلَّا في تِهامة، والمَرْخُ مما لا ينبت إلَّا في نَجد.

و«الرَّفْرَفُ»: ما تدلَّى من الأَسرة من غالي الثياب والبُسُط، وكذلك قال ابن عباس وغيره: إنها فضول المحابيس والبسط[٣]، وقال ابن جبير: «الرَّفرفُ»: رياضُ الجنة[٤].

قال القاضي أبو محمد: والأول أَصوبُ وأَبْيَن، وَوَجْهُ قولِ ابن جبير أَنه من: رفَّ النَّبت: إذا نعُم وحسُن، وما تدلَّى حول الخباء من الخرقة الهفافة[٥] يسمى رفرفاً، وكذلك يسميه الناسُ اليوم.

= أنه قال: هي الدر المجوف. يعني الخيام. والحسين بن الفرج الخياط قال فيه ابن معين: كذاب يسرق الحديث، ومشاه غيره، وقال أبو زرعة: ذهب حديثه.انظر الميزان (١/ ٥٤٥)، ثم هو أيضاً منقطع؛ فإن الضحاك لم يسمع من ابن مسعود، والله أعلم.

(١) عزاه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٦)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٥٠)، والأغاني (٢/ ٢٠٦)، وسر صناعة الإعراب (٢/ ١٦١)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٣٧٨)، والعقد الفريد (٧/ ٨٦)، والحماسة البصرية (٢/ ٢٠٢).

(٢) وتمامه: أَمِ الْقَلْبُ في إِثْرِهِمْ مُنْحَدِرْ، عزاه له في جمهرة اللغة (٢/ ١٠٤٠)، وقواعد الشعر (ص: ٤٩)، والأَزمنة والأمكنة (ص: ٣٥٦)، والعمدة في محاسن الشعر (١/ ١٧٤). وقد جاء هذا الشطر في الحماسة البصرية (١/ ٥٧) عجز بيت لأَعْرَابِي جاهلي من ربيعَة صدره: فَوَلوا شلالا وَلَا يعلمُونَ.

(٣) هذا الأثر أخرج الطبري (٢٢/ ٨٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الرفرف»: فضول المحابس والبسط.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٤٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩٧).

(٥) في المطبوع: «الشفافة».

وقال الحسن بن أبي الحسن: الرَّفرف: المرافق، والعبقري: بُسطٌ حسان فيها صور وغير ذلك تصنع بعبقر، وهو موضع يعمل فيه الوشي والديباج ونحوه[١].

قال ابن عباس: العبقري: الزَّرابي[٢].

وقال ابن زيد: هي الطَّنافس.

وقال مجاهد: هي الديباج الغليظ[٣].

وقرأ زهير الفُرْقُبي: (رَفَارِفَ) بالجمع وترك الصرف[٤].

وقرأ أبو طعمة المدني[٥]، / وعاصم في بعض ما روي عنه: (رَفَارِفٍ) بالصرف، [٥/ ١٦١] وكذلك قرأ عثمان بن عفَّان رضي الله عنه: (رَفَارِفٍ وعَبَاقِرِيٍّ) بالجمع والصرف[٦]، ورويت عن النبي ﷺ[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٤)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٨٥)، والبيهقي في البعث والنشور (٣٣٨-٣٤٧) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به، وأخرجه أيضاً من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: العبقري: الزرابي الحسان.

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٣/ ٨٥)، والثاني في تفسير الماوردي (٥/ ٤٤٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٩٧).

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها له في تفسير الطبري (٢٣/ ٨٦)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٠). وزهير تقدم ذكره، وفي حاشية المطبوع: اختلف الأصول في كتابته، ففي بعضها: زهير الفرفلي، وفي بعضها: زهير العرقبي، وفي بعضها: زهير فقط.

(٥) هو هلال مولى عمر بن عبد العزيز أبو طعمة، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، كان ثقة، من قرّاء المدينة، روى عن مولاه، وعن ابن عمر، وعنه: عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو قليل الحديث. غاية النهاية (٢/ ٣٥٦)، تاريخ الإسلام (٧/ ٤٩٣).

(٦) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٠٤)، والبحر المحيط (١٠/ ٧١).

(٧) منقطع، أخرجه حفص بن عمر في «جزء فيه قراءات النبي ﷺ» (١١٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥١) من طريق حسين بن محمد المروزي، عن عبد الله بن حفص الأرطباني، عن عاصم الجحدري، عن أبي بكرة مرفوعاً. قال الذهبي في التلخيص: منقطع؛ عاصم لم يدرك أبا بكرة.

وغلَّط الزجاج والرُّماني هذه القراءَة[١].

وقرأ أيضاً عثمان بن عفان في بعض ما رُوي عنه: (عَبَاقِرِيَّ) بفتح القاف والياءِ[٢].

وهذا على أن اسم الموضع «عَبَاقَر» بفتح القاف، والصحيح في اسم الموضع «عَبْقَر»، قال امرؤ القيس:

[الطويل] كأَنَّ صَليـلَ المَـرْوِ حيـنَ تَشـدُّهُ صلِيلُ زُيُـوفٍ يُنْتَقَـدْنَ بِعَبْقَرَا[٣]

قـال الخليل والأصمعي: العرب إذا استحسنت شيئـاً واستجادتـه قالت: عَبْقَرِي[٤].

قال القاضي أبو محمد: ومنه قول النبي ﷺ: «فلم أرَ عبقرياً من الناس يَفْري فَرِيَّهُ»[٥].

وقال عبد الله بن عمر: العَبْقَرِيُّ: سيِّد القوم وعينهم[٦]، وقال زهير:

[الطويل] بِخَيْـلٍ عَـلَيْهَـا جِنَّـةٌ عَـبْـقَـرِيَّــةٌ جَديرونَ يَوْماً أَنْ ينَالُوا ويسْـتَعْلُوا[٧]

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٠٤).

(٢) وهي شاذة، نقلها في المحتسب (٢/ ٣٠٥) عن أبي حاتم، عنه.

(٣) انظر عزوه له في الكامل للمبرد (٣/ ٧٩)، والبديع في البديع لابن المعتز (ص: ١٦٧)، وزهر الآداب وثمر الألباب (٣/ ٦٦٤)، والدلائل في غريب الحديث (٢/ ٩٢٤)، والمحكم (٩/ ٩٣). وفي المطبوع: «تَشذه».

(٤) انظر تهذيب اللغة (٣/ ١٨٧).

(٥) متفق عليه، هذا جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٣٩٣) عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت الناس مجتمعين في صعيد فقام أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي بعض نزعه ضعف والله يغفر له، ثم أخذها عمر فاستحالت بيده غرباً فلم أر عبقرياً في الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن».

(٦) لم أقف على هذا القول مسنداً، وانظر تفسير الماوردي (٥/ ٤٤٤).

(٧) كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٦)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٠٥)، والعين (٢/ ٢٩٨)، وغريب الحديث للقاسم بن سلام (١/ ٨٨)، ورسالة الملائكة (ص: ٢٥٢)، وأساس البلاغة (١/ ١٢٥).

ويقال: عَبْقَر: مسكنٌ للجن، وقال ذو الرُّمَّة:

حَتَّى كأَنَّ رِياضَ القُفِّ أَلْبَسَهَا مِنْ وَشْيِ عَبْقَرَ تَجْلِيلٌ وَتَنْجِيدُ[1] [البسيط]

وقرأ الأعرج: (خُضُرٌ) بضم الضاد[2].

وقرأ جمهور الناس: ﴿ذِى ٱلْجَلَـٰلِ﴾ على إتباع «الرَّبِّ».

وقرأ ابن عامر وأهل الشَّام: ﴿ذو الجلال﴾[3] على إتباع «الاسم»، وكذلك في الأَول[4].

وفي حرف أُبيّ، وابن مسعود: (ذِي الجَلَالِ) في الموضعين[5].

وهذا الموضع ممَّا أُريد فيه بالاسم مُسَمَّاه، والدعاءُ بهاتين الكلمتين حسَنٌ مرجُوُّ الإِجابة، وقال رسول الله ﷺ: «أَلِظُّوا بِيَاذَا الجلالِ والإِكرام»[6].

كمل تفسير سورة الرحمن

والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على مولانا محمد سيد ولد عدنان.

* * *

---

(١) كما في أمالي القالي (١/ ٢٦)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨١٣)، وغريب الحديث للقاسم ابن سلام (١/ ٨٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٤٧)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٣٥١)، والصحاح للجوهري (٢/ ٥٤٢).

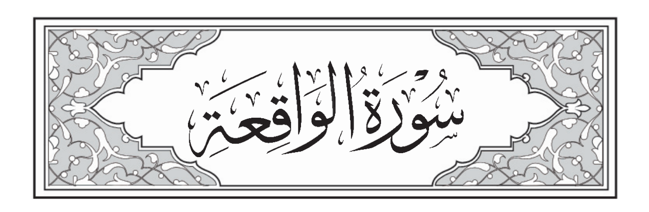
(٢) وهي شاذة، انظر نسبتها له في المحتسب (٢/ ٣٠٤)، ومختصر الشواذ (ص: ١٥١).

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٧).

(٤) في الآية: ٢٧.

(٥) وهي شاذة، في الأول كما تقدم عن تفسير الطبري (٢٣/ ٣٨).

(٦) صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ١٧٧)، والنسائي في الكبرى (٧٦٦٩-١١٤٩٩) من طريق عبد الله بن المبارك، عن يحيى بن حسان الفلسطيني، عن ربيعة بن عامر بن الهاد، مرفوعاً به، وفي الباب عن أنس بن مالك، وابن عمر رضي الله عنهم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الواقعة

وهي مكيَّة بإِجماع ممن يُعتد بقوله من المفسرين.

وقيل: إِن فيها آيات مدنية، أَو ممَّا نزل في السفر، وهذا كله غير ثابت.

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «من داوم على قراءَة سورة الواقعة لم يفتقر أبداً».

ودعا عثمانُ ابنَ مسعود إِلى عطائه فأَبى أَن يأْخذ، فقيل له: خذ للعيال، فقال: إِنهم يقرؤون سورة الواقعة، وسمعت النبي ﷺ يقول: «من قرأَها لم يفتقر أَبداً»[1].

---

(١) ضعيف، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢٥٧)، والحارث في مسنده (بغية الباحث ـ ٧٢١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٧٩)، والخلال كما في المنتخب (٤٩)، والثعلبي في الكشف والبيان (٩/ ١٩٩)، والبغوي في تفسيره (٨/ ٢٨) من طريق أبي شجاع، عن أبي طيبة، عن ابن مسعود به. قال أحمد: هذا حديث منكر، قال الذهبي: أبو شجاع نكرةٌ لا يعرف عن أبي طيبة، ومن أبو طيبة؟ عن ابن مسعود بهذا الحديث مرفوعاً، وقال الزيلعي تبعاً لجمع: هو معلول من وجوه أحدها الانقطاع كما بينه الدارقطني وغيره، الثاني نكارة متنه كما ذكره أحمد، الثالث ضعف رواته كما قاله ابن الجوزي، الرابع اضطرابه، وقد أجمع على ضعفه أحمد وأبو حاتم وابنه والدارقطني والبيهقي وغيرهم، وقد اختلف على رواته وفي تعيينهم على أكثر من وجه بينها الحافظ في اللسان (٧/ ٦٠-٦١)، وانظر: العلل المتناهية (١/ ١٠٥)، وفيض القدير (٦/ ٢٦١)، والضعيفة (٢٨٩).

قال القاضي أَبو محمد: فيها ذكر القيامة وحظوظ الناس[١] في الآخرة، وفَهْم ذلك غنًى لا فقر معه، ومن فهمه شغل[٢] بالاستعداد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾.

﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾: اسمٌ من أَسماءِ القيامة؛ كالصَّاخَّة والآزفة والطَّامة، قاله ابن عباس[٣].

وهذه كلها أَسماءٌ تقتضي تعظيمها وتشنيع أَمرها.

وقال الضحاك: ﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾: الصيحة، وهي النفخة في الصُّور[٤].

وقال بعض المفسرين: ﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾: صخرة بيت المقدس تقع عند القيامة. فهذه كلها معان لأَجل القيامة.

و﴿كَاذِبَةٌ﴾ يحتمل أَن يكون مصدراً؛ كالعاقبة والعافية وخائنة الأَعين، فالمعنى: ليس لها تكذيب ولَا ردٌّ ولَا مَثْنَوِيَّة، وهذا قول قتادة والحسن[٥]، ويحتمل أَن يكون صفة لمقدَّر، كأَنه تعالى قال: ليس لوقعتها حال كاذبة، ويحتمل الكلام ـ على هذا ـ معنييْن: أَحدهما كاذبةٌ؛ أَي: مكذوبة فيما أَخبر به عنها، وسمَّاها كاذبة لهذا، كما تقول: هذه قصة كاذبة؛ أَي: مكذوب فيها، والثاني حالٌ كاذبة؛ أَي: لا يمضي وقوعها، كما تقول: فلان إِذا حمل لم يكذب.

---

(١) في الأصل: «النفس».

(٢) في الأسدية٣، وأحمد٣ والأسدية٤: «اشتغل».

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٨٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٤٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٧)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٥٣).

وقوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ رفع على خبر ابتداءٍ؛ أَي: هي خافضة رافعة.

وقرأ الحسن، وعيسى الثقفي، وأَبو حَيْوة: (خَافِضَةً رَافِعَةً) بالنصب[١] على الحال بعد الحال التي هي ﴿لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾، ولك أَن تُتابع الأَحوال، كما لك أن تُتابع أَخبار المبتدأ.

والقراءَة الأُولى أَشهر وأَبرع معنى، وذلك أَن موقع الحال من الكلام موقع ما لو لم يُذكر لاستُغني عنه، وموقع الجمل التي يجزم الخبر بها موقع ما يُتَهَمَّم به.

واختلف الناس في معنى هذا الخفض والرفع في هذه الآية:

فقال قتادة، وعثمان بن عبد الله بن سُراقة[٢]: القيامة تخفض أَقواماً إِلى النار، وترفع أَقواماً إِلى الجنة[٣]، وقال ابن عباس[٤]، وعكرمة، والضحاك: الصيحة تخفض قوتها[٥] لتُسمع الأَدنى، وترفعها[٦] لتُسمع الأَقصى[٧]، وقال جمهور من المتأَولين: القيامة تنفطر بها السماءُ والأَرض والجبال، وانهدامُ هذه البِنْية ترفع طائفة من الأَجرام وتخفض أُخرى، فكأَنها عبارة عن شدة الهول والاضطراب.

والعامل في قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ﴾ ﴿وَقَعَتِ﴾؛ لأَن ﴿إذا﴾ هذه بدلٌ من ﴿إِذَا﴾ الأُولى، وقد قالوا: إِنَّ ﴿وَقَعَتِ﴾ هو العامل في الأُولى، وذلك لأَن معنى الشرط فيهما

---

(١) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٠٦).

(٢) هو عثمان بن عبد الله بن سراقة بن المعتمر القرشي العدوي المدني، وأمه زينب بنت عمر بن الخطاب، روى عن أبي هريرة، وجابر، وابن عمر. وولي إمرة مكة، وعنه الزهري، وثقه أبو زرعة والنسائي، توفي سنة ١١٨هـ. تاريخ الإسلام (٧/ ٤١٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٩١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٥٤) بتصرف يسير.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩١) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أسمعت القريب والبعيد.

(٥) في الأسدية٣، وأحمد٣ والمطبوع: «صوتها».

(٦) في الأسدية٣، والمطبوع: «ترفعه». وفي نجيبويه: «ترفع».

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ٩١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٥٤)، بتصرف يسير.

قوي، فهي كـ«مَنْ» وَ«مَا» في الشرط يعمل فيها ما بعدها من الأَفعال، وقد قيل: إنَّ ﴿إِذَا﴾ مضافة إلى ﴿وَقَعَتِ﴾، فلا يصح أَن تعمل فيها، وإنما العامل فيها فعل مقدَّر.

ومعنى ﴿رُجَّتِ﴾: زُلزلت وحُرِّكت بعنف، قاله ابن عباس[١]، ومنه: ارتَجَّ السهم في الغرض[٢]: إذا اضطرب بعد وقوعه، والرَّجة في الناس: الأَمر المحرِّك.

واختلف اللغويون في معنى (بُسَّت):

فقال ابن عباس[٣]، ومجاهد، وعكرمة: معناه: فُتِّتَتْ كما تُبَسُّ البَسيسةُ، وهي السويق[٤]، ويقال: بَسَسْتُ الدقيق: إذا ثريته بالماءِ وبقي متفتتاً، وأَنشد الطبري في هذا:

[الرجز] لَا تَخْبِـزَا خَبْـزاً وَبُسَّـا بَسَّـا[٥] ....

وقال: هذا قول لصٍّ[٦] أَعجله الخوف عن العجين فقال هذا لصاحبه[٧].

وقال بعض اللغويين: بُسَّت معناه: سُيِّرت، قالوا: والخَبْزُ: السَّيْر الشديد، وضرب الأَرض بالأَيدي، والبسُّ: السَّيْر الرفيق، وأَنشدوا البيت:

[الرجز] لَا تَـخْبِـزَا خَـبْـزاً وَبُـسَّـا بَـسَّـا وجنّبَـاهَـا نَـهْـشَـلاً وعَـبْسـا

ولا تُـطِـيـلا بِـمُـنَـاخ حَـبْسـا[٨]

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: زلْزَلها.

(٢) في الأصل: «العرض».

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فُتتت فتاً.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٢).

(٥) البيت للص من غطفان كما في تفسير الطبري (٢٣/ ٩١)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٤٨)، وجمهرة اللغة (١/ ٦٩)، ومعجم ديوان الأدب (٢/ ١٦٠)، والحيوان (٤/ ٥٠٤)، وأنشده في العين (٤/ ٢١١): ونسا نسا، قال: والنَّسُّ: السَّوْق اللطيف، ومن رَوَى بَسّاً فقد غلط.

(٦) في الأسدية: «لمن».

(٧) في الأسدية٣: «لصاحبته»، وفي المطبوع وأحمد٣: «لصاحبيه».

(٨) عجز البيت سقط من الأسدية٣، والأسدية٤، والمطبوع ونجيبويه والحمزوية.

[٥/ ١٧٠] / ذكر هذا أَبو عثمان اللغوي في كتاب «الأَفعال»[(١)].

و«الْهَبَاءُ»: ما يتطاير في الهواءِ من الأَجزاءِ الدقيقة ولا يكاد يُرَى إِلَّا في الشَّمس إِذا دخلت من كُوَّة، قاله ابن عباس[(٢)] ومجاهد[(٣)]، وقال قتادة: الهباءُ: ما تطاير[(٤)] من يبس النبات[(٥)].

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: الهباءُ: ما يتطاير من حوافر الخيل والدواب[(٦)].

وقال ابن عباس أَيضاً: الهباءُ: ما يتطاير من شَرَر النار، فإِذا طُفِئ لم يوجد شيءٌ[(٧)].

و«الْمُنْبَثُّ» بالثاءِ المثلثة: الشائع في جميع الهواءِ.

وقرأَ النَّخَعيُّ: (مُنْبَتّاً) بالتاءِ بنقطتين؛ أَي: متقطعاً، ذكر ذلك الثعلبي[(٨)].

قال القاضي أبو محمد: والقول الأَول في الهباءِ أَحسن الأَقوال.

والخطاب في قوله: ﴿وَكُنتُمْ﴾ لجميع العالم؛ لأَن الموصوفين من أَصحاب المشأَمة ليسوا في أُمة محمد ﷺ.

---

(١) كتاب الأفعال (٤/ ٧١)، وليس فيه: وجنباها نهشلا وعبسا، ولكنه في بعض المصادر السابقة.

(٢) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٨٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شعاع الشمس.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٧٤)، وتفسير الثعلبي (٧/ ١٢٩).

(٤) في المطبوع: «ينطاير».

(٥) في الأسدية٣: «لبس الشباب»، وفي أحمد٣: «من لُبْس الثياب»، وأشار لها في حاشية المطبوع. وانظر تفسير الطبري (٢٣/ ٩٤).

(٦) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٦٩)، والطبري (٢٣/ ٩٣) من طريق سفيان، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: رَهْجُ الدواب. والحارث بن عبد الله الأعور ضعيف.

(٧) أخرجه الطبري (٢٣/ ٩٤) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الهباء: الذي يطير من النار إذا اضطرمت، يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئاً.

(٨) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٩/ ٢٠١).

و«الأَزْوَاجُ»: الأَنواعُ والضروب، قال قتادة: هذه منازل الناس يوم القيامة[١].

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ ابتداءٌ، و﴿مَآ﴾ ابتداءٌ ثانٍ، و﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ خبر ﴿مَآ﴾، والجملة خبر الابتداءِ الأَول، وفي الكلام معنى التعظيم، كما تقول: زيدٌ ما زيدٌ.

ونظير هذا في القرآن كثير.

و﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ أَظهر ما في اشتقاقها أَنها من ناحية اليمين، وقيل: من اليُمْن.

وكذلك ﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾؛ إِمَّا أَن تكون من اليد الشُّؤْمى، وإِمَّا أَن تكون من الشُّؤْم، وقد فُسِّرت هذه الآية بهذين المعنيين؛ إِذ أَصحاب المَيْمَنة الميامينُ على أَنفسهم، قاله الحسن والربيع[٢].

ويشبه أَن اليُمْن والشُّؤْمَ إِنما اشْتُقَّا من اليمين والشمال، وذلك على طريقتهم في السانح والبارِح، وكذلك اليَمَن والشَّامُ اشْتُقَّا من اليُمْنى والشؤْمَى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ ابتداءٌ، و﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الثاني قال بعض النحويين: هو نعت للأَول، ومذهب سيبويه أَنه خبر الابتداءِ، وهذا كما تقول: الناسُ الناسُ، وأَنت أَنت، وهذا على معنى التفخيم للأَمْر وتعظيمه، والمعنى هو أَن تقول: السَّابقُون إِلى الإِيمان السَّابِقُونَ إِلى الجنة والرحمة، أُولئك...، ويتَّجه هذا المعنى على الابتداءِ والخبر.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ ابتداءٌ وخبر، وهو في موضع الخبر على قول من قال: ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الثاني صفة.

و﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ معناه: من الله تعالى في جنة عدن، قال جماعة من أَهل العلم: وهذه الآية متضمنة أَن العالم يوم القيامة على ثلاثة أَصناف: مؤمنون هم على يمين العرش

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٤).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٠١)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٤٨).

وهنالك هي الجنة، وكافرون وهم على شؤمى[١] العرش، وهنالك النار، والقول في يمين العرش وشماله نحو من الذي مرَّ في (سورة الكهف) في اليمين والشمال.

وقد قيل في أَصحاب الميمنة واليمين: إِنهم مَنْ أَخذ كتابه بيمينه، وفي أَصحاب المشأَمة والشمال: إِنهم مَنْ أَخذه بشماله، فعلى هذا ليست نسبة اليمين والشمال إِلى العرش.

وقال علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: أَصحاب اليمين: أَطفالُ المؤمنين[٢].

وقيل: المراد ميمنةُ آدم عليه السلام ومشأَمتُه المذكورتان في حديث الإِسراءِ في الأَسْوِدَة[٣].

و﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ معناه: قد سبقت لهم السعادة وكانت أَعمالهم في الدنيا سبقاً إِلى أَعمال البرِّ وإِلى ترك المعاصي، فهذا عموم في جميع الناس، وخصَّص المفسرون في هذا أَشياءَ:

فقال عثمان بن أَبي سودة[٤]: هم السابقون إِلى المساجد.

وقال ابن سيرين: هم الذين صلَّوا للقبلتين[٥].

وقال كعب: هم أَهل القرآن[٦].

---

(١) في الأسدية٤، وأحمد٣ والمطبوع: «شمال».

(٢) ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٠-٣٢٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٦٥٢)، والطبري (٢٣/ ١٠٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٧)، والبيهقي في القضاء والقدر (٥٧٢) وغيرهم من طريق الأعمش، عن عثمان أبي اليقظان، عن زاذان أبي عمر البزاز، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه به. وعثمان أبو اليقظان هو ابن عمير ويقال: ابن قيس ضعيف واختلط وكان يدلس ويغلو في التشيع. وانظر التقريب (٤٥٠٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) هو عثمان بن أبي سودة المقدسي أخو زياد، يروي عن أبي هريرة، وأم الدرداء، وعنه زيد بن واقد، وشبيب بن شيبة، وعبد الرحمن بن يزيد، والأوزاعي، وكان كثير الجهاد، له فضل وعبادة، وأبوه من موالي عبد الله بن عمرو. تاريخ الإسلام (٧/ ٤١٧).

(٥) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٣/ ٩٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٤٨)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٠٢).

(٦) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٠٢).

وقيل: هم غير هذا مما هو جزءٌ من الأَعمال الصالحة.

ورُوي: أَن النبي ﷺ سئل عن السابقين فقال: «هم الذين إِذا أُعطوا الحق قبلوه، وإِذا سُئلوه بذلوه، وحكموا للناس بحكمهم لأَنفسهم»(١).

وقرأَ طلحة بن مصرف: (في جَنَّةِ النَّعِيمِ) على الإِفراد(٢).

و﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ عبارة عن أَعلى منازل البشر في الآخرة، [على سُرُر مَوْضُونَةٍ متكئين](٣).

وقيل لعامر بن عبد قيس في يوم حلبة: من سبق؟ فقال: المقربون(٤).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾﴾.

«الثُّلَّةُ»: الجماعة والفرقة، وهي تقع للقليل والكثير، واللفظ في هذا الوضع يعطي أَن الجملة من الأَولين أَكثر من الجملة من الآخرين، وهي التي عبَّر عنها بالقليل.

واختلف المتأَولون في معنى ذلك:

---

(١) ضعيف، أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٦٧-٦٩) وأحمد بن منيع في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٤٨٧٤) والبيهقي في شعب الإيمان (١١١٣٩) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦-٢/ ١٨٦-١٨٧) من طريق عبد الله بن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة به مرفوعاً. وعبد الله بن لهيعة ضعيف، وقال الحافظ: وتابعه يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي ابن يزيد الألهاني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن عائشة، رواه أبو العباس بن القاص في أدب القضاء. اهـ. انظر تلخيص الحبير (٤/ ٤٤٢)، والألهاني ضعيف أيضاً.

(٢) وهي شاذة، نسبها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤٦٢).

(٣) من المطبوع.

(٤) البيان والتبيين (٣/ ١١٠)، وعيون الأخبار (٢/ ٣٩٩).

فقال قوم ـ حكى قولهم مكي ـ: المراد بذلك الأَنبياءُ عليهم السلام؛ لأَنهم كانوا في صدر الدنيا أَكثر عدداً[١].

وقال الحسن بن أبي الحسن وغيره: المراد: السابقون من الأُمم والسابقون من هذه الأُمة[٢].

وذلك إِمَّا أَن يقرن أَصحاب الأنبَياءِ بجموعهم إِلى أَصحاب محمد ﷺ، فأولئك أَكثر[٣] عدداً لا محالة، وإِمَّا أَن يقرن[٤] أَصحاب الأَنبياءِ عليهم السلام ممن سبق في أَثناءِ الأُمم السَّالِفَة إِلى السابقين من جميع هذه الأُمة؛ فأولئك أكثر.

وروي: أن الصحابة[٥] رضي الله تعالى عنهم حزنوا لقلة سابقي هذه الأمة على هذا التأويل، فنزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ فرضُوا.

ورُوي عن عائشة رضي الله عنها: أَنها تأَوَّلت أَن الفريقين في أُمة كل نبي هي في الصَّدر ثُلَّة، وفي آخر الأُمة قليل[٦].

وقال النبي ﷺ فيما رُوي عنه: «الفرقتان في أُمتي، فسابقُ أَولِ الأُمة ثُلَّة، وسابقُ سائِرِها إِلى يوم القيامة قليل»[٧].

---

(١) الهداية لمكي (١١/ ٧٢٦٠).

(٢) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢١٩).

(٣) في الأسدية٣: «أكبر».

(٤) في الأصل ونجيبويه ونور العثمانية والحمزوية: «يقترن» في الموضعين.

(٥) في الحمزوية: «الضحاك».

(٦) لم أقف عليه.

(٧) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢٨)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٦٧) من طريق سفيان، عن أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «هما جميعاً في أمتي» هكذا مختصراً، وأبان بن أبي عياش مجمع على ضعفه، وله شاهد من حديث أبي بكرة أخرجه الطيالسي (٩٢٧) وغيره من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن عقبة بن صهبان، عن أبي بكرة مرفوعاً بنحوه. وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

وقرأ الجمهور: ﴿سُرُرٍ﴾ بضم الراءِ، وقرأ أبو السَّمال: (سُرَرٍ) بفتح الراءِ[١].

و«الْمَوْضُونَة»: المنسوجة بتركيب بعض أجزائها على بعض كحلق الدرع، فإن الدرع موضونة، ومنه قول الأعشى:

[المتقارب] وَمِنْ نَسْجِ داودَ مَوْضُونَةٌ تَسيرُ مَعَ الحَيِّ عِيراً فَعِيراً[٢]

[٥/ ١٧١] وكذلك سقيفة الخوص ونحوه موضونة، ومنه / وضينُ الناقة: وهو حزامها؛ لأنه موضون، فهو كقتيل وجريح، ومنه قوله:

[الرجز] إِلَيْكَ تَعْدُو قَلِقاً وضِينُها مُعْترضاً في بَطْنِها جَنينُهَا

مُخَالِفاً دينَ النَّصارى دِينُها[٣] ....

قال ابن عباس: هذه السُّرر الموضونة هي مَرْمُولَةٌ بالذهب[٤].

وقال عكرمة: هي مشبكة بالدُّرِّ والياقوت[٥].

و﴿مُّتَّكِئِينَ﴾ و﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ حالان، وفيهما ضمير مرفوع.

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (مُتَّكئينَ عليها ناعمين)[٦].

و«الْوِلْدَانُ»: صغارُ الخدم، عبارة عن أنهم صغار الأسنان، ووصفهم تعالى بالخُلْد

---

(١) وهي شاذة، نسبها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤٦٢).

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٨)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٩٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١١٠)، والمحكم (٨/ ٢٤٩).

(٣) عزاه ابن هشام في السيرة (١/ ٥٧٤) وابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ٣٠٢) لأحد رؤساء نجران، وسماه في الطبقات الكبرى (١/ ١٦٥): أبا الحارث بن علقمة بن ربيعة، وفي الاستيعاب (٣/ ٨٩٠)، والعقد الفريد (٦/ ١٨٢) أن عمر تمثل به في بعض حجَّاته.

(٤) صحيح، أخرجه هناد في الزهد (٧٧)، والطبري (٢٣/ ٩٩)، والبيهقي في البعث (٣٣٧-٣٤٦) من طريق حصين بن عبد الرحمن السلمي، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٩).

(٦) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢٣/ ١٠٠).

وإِن كان جميع ما في الجنة كذلك؛ إِشارة إِلى أَنهم في حال الولدان مخلدون لا تكبر لهم سِنٌّ.

وقال مجاهد: لا يموتون[١].

وقال الفراءُ: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ معناه: مُقَرَّطُون بالخَلَدَات، وهي ضرب من الأَقراط[٢].

والأَول أَصوب؛ لأَن العرب تقول للذي كبر ولم يشب: إِنه مخلَّد.

و«الأَكواب»: ما كان من أَواني الشرب لا أُذن له ولا خرطوم.

قال ابن عباس: هي جِرارٌ من فضة[٣].

وقال أَبو صالح: مستديرة أَفواهها، وقال قتادة والضحاك: ليست لها عُرى.

و«الإِبريقُ»: ما له خرطوم، وقال مجاهد: وأُذن[٤]، وهو من أَواني الخمر عند العرب.

ومنه قول عديٍّ بن زيد:

وَتَدَاعَوْا إِلَى الصَّبُوحِ فقامتْ قَيْنَةٌ في يَمِينِها إِبْرِيقُ[٥] [الخفيف]

و«الكَأْسُ»: الآنية المُعَدَّة للشرب بها، بشريطة أَن يكون فيها خمر ونبيذ، أَو بسبيل ذلك، ومتى كان فارغاً فهو مُنْتَسب إِلى جنسه زجاجاً كان أَو غيره، ولا يقال لآنية فيها ماءٌ أَو لبن: كأْسٌ.

وقوله تعالى: ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ قال ابن عباس: معناه: من خمر سائلة [جارية معينة[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠١)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٠٤).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) انظر الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري (٢٣/ ١٠١).

(٥) انظر عزوه له في الأغاني (٦/ ٨٥)، ورسالة الغفران (ص: ١٠)، والحماسة البصرية (٢/ ١٩٥)، وتاريخ دمشق (١٥/ ١٥٢).

(٦) الأثر أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٩٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الخمر.

ولفظة ﴿مَّعِينٍ﴾ يحتمل أن يكون من معنى الماء إذا غزر][١]، فوزنها مفعول، أَصلها معيون، وهذا تأْويل قتادة[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ ذهب أَكثر المفسرين إِلى أَن المعنى: لا يلحق رؤُوسهم الصداع الذي يلحق من خمر الدنيا، وقال قوم: معناه: لا يتفرقون عنها، بمعنى: لا تُقطع عنهم لذَّتهم بسبب من الأَسباب كما يفرق أَهل خمر الدنيا بأَنواع من التفريق، وهذا كما قال: فتصدَّع[٣] السحاب عن المدينة[٤]، الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ قال مجاهد، وقتادة، وابن جبير، والضحاك: معناه: لا تذهب عقولهم سُكْراً، والنَّزيف: السكران[٥]، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] .... شُرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ مَاءِ الْحَشْرَجِ[٦]

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق: (ولا يَنْزِفُونَ) بكسر الزاي وفتح الياءِ[٧]، من: نَزَفَ البِئْرَ: إِذا استقى ماءَهَا، فهي بمعنى: تمَّ خمرهم ونَفدت، هكذا قال أَبو الفتح.

وحكاه أَبو حاتم عن ابن أَبي إِسحاق، والجحدري، والأَعمش، وطلحة، وابن مسعود، وأَبي عبد الرحمن، وعيسى بضم الياءِ وكسر الزاي[٨]، قال: ومعناها: لا يفنى شرابهم، والعرب تقول: أَنزف الرجلُ عَبْرَتَه، وتقول أَيضاً: أَنْزَفَ: إِذا سكر، ومنه قول الأُبَيْرِد:

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) انظر تفسير الطبري (٢١/ ٣٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢١١)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٤).

(٣) في المطبوع: «يتصدَّع».

(٤) هذا جزء من حديث الاستسقاء الذي أخرجه البخاري (٦٠٩٣).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠٤).

(٦) تقدم في تفسير الآية (٨٣) من (سورة الكهف).

(٧) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب لابن جني (٢/ ٣٠٧).

(٨) هذه سبعية للكوفيين، والباقون بفتح الزاي، انظر التيسير (ص: ٢٠٧)، والسبعة (ص: ٥٤٧).

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ   لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنْتُم آلَ أَبْجَرَا[(١)]   [الطويل]

وعطف الفاكهة على الكأس والأباريق.

وقوله: ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾، رُوي أَن العبد يرى الطائر يطير فيشتهيه، فينزل له كما اشتهاه، وربما أَكل منه أَلواناً بحسب تصرف شهوته، إِلى كثير مما رُوي في هذا المعنى.

وقرأَ حمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم: ﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾ بالخفض، وهي قراءَة الحسن، وأَبي عبد الرحمن، والأعمش، وابن القعقاع، وعمرو بن عبيد.

وقرأَ أُبيُّ بن كعب، وابن مسعود: (وحوراً عيناً) بالنصب[(٢)].

وقرأَ الباقون من السبعة: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالرفع[(٣)].

كل هذه القراءَات محمولة الإِعراب على المعنى لا على اللفظ، فالخَفْض[(٤)] كأَن المعنى: قيل: تنعمون بهذا كله وبحورٍ عينٍ، وكأَن المعنى في قراءَة النصب: وتُعطون هذا كله وحُوراً عيناً، وكأَن المعنى في الرفع: لهم هذا كله وحُورٌ عِينٌ.

ويجوز أَن يعطف ﴿وَحُورٌ﴾ على الضمير المستقر في ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾.

قال أَبو علي: ولم يؤكد لكون طول الكلام بدلاً من التوكيد[(٥)].

ويجوز أن يعطف على «الولدان» وإن كان طواف الحور يقلق.

ويجوز أَن يعطف على الضمير المقدَّر في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾. وفي هذا كله نظر.

وقد تقدم معنى (حور عين).

---

(١) قد تقدم في الآية (٤٧) من (سورة الصافات)، وتقدم أنه الأبيرد الرياحي، وفي نجيبويه هنا: «الأسودي».
(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٠٨)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٤).
(٣) وهي والأولى سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٧)، ورواية المفضل في السبعة (ص: ٦٢٢).
(٤) «فالخفض» ليست في الأصل.
(٥) الحجة للفارسي (٦/ ٢٥٥).

وقرأ إبراهيم النَّخَعيُّ: (وَحِيرٌ عِينٌ)[١].

وخصَّ المكنون من اللؤلؤ لأَنه أَصفى لوناً وأَبعد عن الغَير، وسأَلت أُمُّ سَلَمة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن هذا التشبيه فقال: «صفاؤُهن كصفاءِ الدُّرِّ في الأَصداف الذي لا تمسه الأَيدي»[٢].

و﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ أَيْ أَن هذه الرُّتب والنعم هي بحسب أَعمالهم؛ لأَنه رُوي أَن المنازل والقسم في الجنة هي مقتسمة على قدر الأعمال، ونفس دخول الجنة هو برحمة الله تبارك وتعالى وفضله لا بعمل عامل، فأَمَّا هذا الفضل الأخير[٣] وأَن دخولها ليس بعمل عامل ففيه حديث صحيح، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة أَحد بعمله»، قالوا: ولا أَنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أَنا إِلَّا أَن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة»[٤].

و«اللَّغْوُ»: سقط القول من فحش وغيره.

و«التَّأْثِيمُ» مصدر بمعنى: لا يُؤَثِّم أحدٌ هناك غيرَه ولا نَفْسَه بقول فكأَن يسمع ويتأَلَّم بسماعه، و﴿قِيلٗا﴾ مستثنى، والاستثناءُ متصل، وقال قوم: هو منقطع.

و﴿سَلَٰمٗا﴾ نعت لِلْقِيلِ، كأَنه تعالى قال: إِلَّا قيلاً[٥] سالماً من هذه العيوب وغيرها.

---

(١) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٩/ ٢٠٧)، وأشار لها الخليل في العين (٣/ ٢٨٨).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠٨)، والطبراني في الكبير (٨٧٠)، وفي الأوسط (٣١٤١)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ١٣٨)، وابن عدي في الكامل (٣/ ١١١٢) من طريق عمرو بن هاشم البيروتي، عن سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة به. وسليمان بن أبي كريمة شامي ضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: عامة أحاديثه مناكير. انظر الميزان (٢/ ٢٢١).

(٣) «الأخير» ليست في المطبوع.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وفي الحمزوية: «برحمته»، وفي أحمد٣: «بفضله ورحمته».

(٥) في المطبوع: «إلا قليلًا»، ولعله خطأ.

وقال أَبو إسحاق الزجاج أَيضاً: ﴿سَلَـٰمًا﴾ مصدر وناصبه ﴿قِيلًا﴾، كأَنه تعالى ذكر أَنهم يقول بعضهم لبعض: سلاماً سلاماً[1].

وقال بعض النحاة: ﴿سَلَـٰمًا﴾ منتصب بفعل مضمر تقديره: اسلموا سلاماً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ/ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ [٥/ ١٧٢] وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

«السِّدْرُ» شجرٌ معروف، وهو الذي يقال له: شجر أُم غيلان، وهو من العَضَاه، له شوك، وفي الجنة شجر على خلقته له ثمر كقِلال هَجَر، طيب الطعم والريح، ووصفه تعالى بأَنه ﴿مَّخْضُودٍ﴾، أَي: مقطوع الشوك لا أَذى فيه، وقال أُمَيَّة بن أَبي الصلت:

إِنَّ الْحَدائِقَ في الجِنَانِ ظَلِيلَةٌ ... فيها الْكَوَاعِبُ سِدْرُها مَخْضُود[2] [الكامل]

وعبَّر بعض المفسِّرين عن ﴿مَّخْضُودٍ﴾ بأَنه الْمُوقَر حملاً، وقال بعضهم: هو قطع الشوك، وهو الصواب، أَما إِن وقره هو كرمه، ورُوي عن الضحاك أَن بعض الصحابة أَعجبهم سدْرُ وَجٍّ، فقالوا: ليت لنا في الآخرة مثل هذا، فنزلت الآية[3].

قال القاضي أبو محمد: ولأَهل تحرير النظر هنا إِشارة في أَن هذا الخضد بإِزاء أَعمالهم التي سلموا فيها؛ إِذ أَهل اليمين تَوَّابون لهم سلام، وليسوا بسابقين.

و«الطَّلْحُ» كذلك من العَضَاه، شجرٌ عظيمٌ كثير الشوك وشبهه في الجنة على صفات كثيرة[4] مباينة لحال الدنيا.

---

(١) معاني القرآن للزجاج وإعرابه (٥/ ١١٢).

(٢) انظر عزوه له في مسائل نافع بن الأزرق (ص: ١٣٢)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٠٧).

(٣) لم نقف عليه، ووَجٌّ: قيل: وادٍ بالطائف، وقيل: موضع بالبادية، وقيل: هو الطائف.

(٤) من الأسدية٣، والمطبوع.

و﴿مَّنضُودٖ﴾ معناه: مركَّب ثمره بعضه على بعض من أَرضه إِلى أَعلاه.

وقرأَ علي بن أَبي طالب، وجعفر بن محمد، وغيرُهما: (وَطَلْعٍ مَنْضُود)[(١)]، فقيل لعلي بن أَبي طالب رضي الله عنه: إِنما هو ﴿وَطَلۡحٖ﴾ فقال: وما لِلطَّلْح والجَنَّة؟ فقيل له: أَنصلحها في المصحف؟ فقال: إِن المصحف اليوم لا يُهاج ولا يُغير[(٢)].

وقال علي بن أَبي طالب، وابن عباس: «الطَّلْحُ»: الموز، وقاله مجاهد وعطاءٌ[(٣)].

وقال الحسن: ليس بالموز ولكنه شجر ظلُّه بارد رطب[(٤)].

و«الظِلُّ الْمَمْدُودُ» معناه: الذي لا تنسخه شمسٌ، ويُفَسِّر ذلك قول النبيِّ ﷺ: «إِن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر في ظِلِّها مئة سنة لا يقطعها، واقرؤُوا إِن شئتم ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾»، إِلى غير هذا من الأَحاديث في هذا المعنى[(٥)].

وقال مجاهد: هذا الظل هو من طَلْحها وسدرها[(٦)].

---

(١) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢٣/ ١١١)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٠٧).

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ١١١) من طريق مجالد بن سعيد، عن الحسن بن سعد القرشي، عن قيس بن عباد القيسي، قال: قرأ رجل عند عليّ: ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾ فقال عليّ: ما شأن الطلح، إنما هو: (وطَلْعٍ مَنْضُودٍ). وفي الحمزوية ونجيبويه بدل «لا يهاج»: بياض.

(٣) أثر علي لا يصح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٠)، وهناد في الزهد (١٢٢)، والطبري في تفسيره (٢٣/ ١١٢) من طريق الثوري، عن الكلبي، عن الحسن بن سعد، عن علي رضي الله عنه به. ومحمد بن السائب الكلبي متهم بالكذب، وأثر ابن عباس أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٠)، وهناد في الزهد (١١١)، والطبري (٢٣/ ١١٢) من طريق سفيان الثوري، عن سليمان التيمي، عن أبي سعيد الرقاشي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وأبو سعيد هو بيان بن جندب الرقاشي البصري قال ابن حبان يخطئ، وأخرجه البيهقي في البعث (٢٦٧) من طريق النضر بن عربي، عن عكرمة، عن ابن عباس به، وأقوال الباقين في تفسير الطبري (٢٣/ ١١٣).

(٤) في الأسدية٣، والمطبوع وأحمد٣ والحمزوية: «طيب»، وانظر تفسير القرطبي (١٧/ ٢٠٨).

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر الدر المنثور (١٤/ ١٩٥).

(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ١١٤)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٢٠) بتصرف.

[وقوله تعالى: ﴿وَمَآءٍ مَّسۡكُوبٍ﴾؛ أي: جار في غير أخاديد، قاله سفيان وغيره[١].

وقيل المعنى: ينساب لا تعب فيه بِسَانية ولا رشاء][٢].

وقوله تعالى: ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٍ﴾ أي: بزوال الإِبَّان كحال فاكهة الدُّنيا، ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٍ﴾ بِبُعد التَّناول، ولا بشوك يؤذي في شجراتها، ولا بوجه من الوجوه التي تمتنع بها فاكهة الدنيا.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَفُرُشٍ﴾ بضم الراءِ، وقرأ أبو حيوة: (وَفُرْشٍ) بسكونها[٣].

و«الفُرُش»: الأَسِرَّة، وروي من طريق أَبي سعيد الخدري أَن في ارتفاع السرير منها مسيرة[٤] خمس مئة سنة[٥].

قال القاضي أبو محمد: وهذا ـ والله أَعلم ـ لا يثبت، وإِنْ قُدِّر فمتأَولٌ خارج عن ظاهره.

وقال أَبو عبيدة وغيره: أَراد بالفُرُش: النساءَ[٦].

و﴿مَّرۡفُوعَةٍ﴾ معناه في الأَقدار والمنازل، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

ظَلَلْتَ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتُمُني ... عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبِ[٧] [البسيط]

---

(١) من نور العثمانية وأحمد٣، وانظر تفسير الطبري (٢٣/ ١١٧).

(٢) ليس في المطبوع، في الأسدية٣: «منسكب»، وفي الأسدية٤: «ساكب»، وفي نجيبويه والحمزوية: «ينساب».

(٣) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٢).

(٤) ليست في الأصل.

(٥) ضعيف، أخرجه أحمد (١٨/ ٢٤٧)، والترمذي (٢٥٤٠-٣٢٩٤) وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (١٥٧)، وأبو يعلى (١٣٩٥)، والطبري (٢٣/ ١١٨) وغيرهم من طريق دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، مرفوعاً بلفظ: «إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض، وإن مابين السماء والأرض لمسيرة خمس مئة عام»، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السمح ـ في روايته عن أبي الهيثم ـ وهو سليمان بن عمرو العتواري.

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٥٠-٢٥١)، بتصرف.

(٧) هو عمرو بن الأهتم كما في الأغاني (٤/ ١٥٧)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٥٦٧)، والاستيعاب (٣/ ١١٦٤).

ومنه قول الآخر في تَعْديده على صِهْره: وَأَفْرَشْتُكَ كريمتي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ قال قتادة: الضمير عائد على الحور العِين المذكورات قبل. وهذا فيه بُعْد؛ لأَن تلك قصة قد انقضت جملة(١).

وقال أَبو عبيدة مَعْمر: قد ذكرهُنَّ في قوله تعالى: (فُرُش)، فلذلك رَدَّ الضمير وإِنْ لم يتقدم ذكر لدلالة المعنى على المقصد، وهذا كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص:٣٢](٢) ونحوه.

و﴿أَنشَأۡنَٰهُنَّ﴾ معناه: خلقناهن شيئاً بعد شيءٍ.

وقال رسول الله ﷺ في تفسير هذه الآية: «عجائز كُنَّ في الدنيا عُمْشاً رُمْصاً»(٣).

وقال ﷺ لعجوز: «إِن الجنة لا يدخلها العجز»، فحزنت فقال: «إِنَّك إِذا دخلت الجنة أُنشئت خلقاً آخر»(٤).

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١١٩).

(٢) انظر مجاز القرآن (٢/ ٢٥١).

(٣) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣٢٩٦)، وهناد في الزهد (٢١)، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٨٧)، والطبري (٢٣/ ١١٩)، والبيهقي في البعث (٣٣٣)، والبغوي في تفسيره (٨/ ١٤) وغيرهم من طريق موسى بن عبيدة الربذي، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً بألفاظ متقاربة، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى ابن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث. اهـ، وفي الأسدية٤: «رمشاً».

(٤) ضعيف، أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٣٣٢) من طريق ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن عائشة قالت: دخل النبي ﷺ على عائشة، وعندها عجوز فقال: من هذه؟ قالت: إحدى خالاتي، قال: «أما إنه لا يدخل الجنة العجز»، فدخل العجوز من ذلك ما شاء الله. فقال النبي ﷺ: «إنا أنشأناهن إنشاء خلقاً آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، وأول من يكسى إبراهيم خليل الرحمن». ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾، وليث بن أبي سليم ضعيف، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٥٥٤٥) من طريق مسعدة بن اليسع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد ابن المسيب، عن عائشة به، بنحوه، ومسعدة بن اليسع الباهلي هالك قال أحمد: ليس بشيء خرقنا حديثه وتركنا حديثه منذ دهر، وكذبه أبو داود. انظر الميزان (٤/ ٩٨)، وأخرجه عبد بن حميد كما =

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾، قيل: معناه دائمات البكارة، متى عاود الواطئ وجدها بكراً.

و«الْعُرُبُ» جمع عَروب، وهي المُتَحَبِّبَةُ إِلى زوجها بإِظهار محبته، قاله ابن عباس، والحسن[1].

وعبَّر عنهن ابن عباس أيضاً بالعواشق[2]، ومنه قول لبيد:

وفي الحُدُوجِ عَروبٌ غَيْرُ فَاحِشَةٍ رَيَّا الرَّوادِفِ يَعْشَى دُونها الْبَصَرُ[3] [البسيط]

وقال ابن زيد: العَرُوبُ: الحَسَنَةُ الكلام[4]، وقد تجيءُ الْعَروب صفة ذَمٍّ على غير هذا المعنى، وهي الفاسدة الأَخلاق كأَنها عرَّبت، ومنه قول الشاعر:

وَمَا بَدَلٌ مِنْ أُمِّ عُثْمَانَ سَلْفَعٌ مِنَ السُّودِ وَرْهاءُ العِنانِ عَرِيبُ[5] [الطويل]

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي: ﴿عُرُبًا﴾ بضم الراءِ.

وقرأَ حمزة، والحسن والأعمش: ﴿عُرْباً﴾ بسكونها، وهي لغة بني تميم، واختُلف عن نافع، وأَبي عمرو، وعاصم[6].

= عند ابن كثير (٧/ ٥٣٢) وعنه الترمذي في الشمائل (٢٤١)، والبيهقي في البعث (٣٣٥) من طريق المبارك بن فضالة، عن الحسن مرسلاً.

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وقول الحسن في تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢١)، والبيهقي في البعث (٣٧٧) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عنه.

(٣) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٥١)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١٢٠)، والجيم (٢/ ٣٣٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٥٥).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٥٥).

(٥) بلا نسبة في مقاييس اللغة (٤/ ٢٠)، وقال ابن سيده في المحكم (٢/ ١٢٨): أنشده ثعلب.

(٦) سبعيتان، الإسكان لشعبة وحمزة، انظر التيسير (ص: ٢٠٧)، وانظر الباقين في السبعة (ص: ٣٦٢)، والأعمش ليس في المطبوع.

وقوله: ﴿أَتۡرَابٗا﴾ معناه: في الشكل والقَدِّ، حتى يقول الرائي: هم أَتْرابٌ، والتِّرْبُ: هو الذي مسَّ التُّرابَ مع تِرْبِهِ في وقت واحدٍ، وقال قتادة: ﴿أَتۡرَابٗا﴾ بمعنى: سنّاً واحدة[(١)].

ويروى: أَن أَهل الجنة هم على قدر ابن أَربعة عشر عاماً في الشباب والنُّضرة.

وقيل: على أَمثال أَبناءِ ثلاث وثلاثين سنة، مُرْداً بيضاً مكحَّلين.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾:

فقال الحسن بن أَبي الحسن وغيرُه: الأَوَّلون: سالِفُ الأُمم، منهم جماعةٌ عظيمة هم أَصحاب اليمين، والآخِرُون: هذه الأُمَّة، منهم جماعة عظيمة أَهل يمين[(٢)].

قال القاضي أَبو محمد: بل جميعُهم إِلَّا من كان من السَّابقين.

وقال قوم من المتأَولين: هاتان الفرقتان في أُمة محمد ﷺ، وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أَنه قال: «الثُّلَّتَانِ مِنْ أُمَّتي»[(٣)]، فعلى هذا: التابعون بإِحسان ومن جرى مجراهم ثُلَّةٌ أُولى، وسائر الأُمة ثُلَّةٌ أُخرى في آخر الزمان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ / ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ [٥/ ١٧٣] وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾﴾.

إِعراب قوله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ قد تقدَّم في نظيره، وفي الكلام هنا معنى الإِنحاءِ عليهم وتعظيم مصابهم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٨)، بتصرف.

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢٨) وابن عدي في الكامل (١/ ٣٨٦) من طريق الثوري، عن أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، به، بنحوه. وأبان بن أبي عياش متروك.

و«السَّمُومُ»: أَشدُّ ما يكون من[١] الحَرِّ اليابس الذي لا بلل معه.

و«الحَمِيمُ»: الأَسود، وهو بناءُ مبالغة.

واختلف الناس في هذا الشيءِ الأَسود الذي يُظِلُّ أَهل النار، ما هو؟

فقال ابن عباس[٢] ومجاهد، وأَبو مالك، وابن زيد: هو الدخان[٣]، وهذا قول الجمهور.

وقال ابن عباس أَيضاً: هو سرادق النار المحيط بأَهلها[٤]، فإِنه يرتفع من كل ناحية حتى يُظلَّهم.

وحكى النقاش: أَن اليَحْمُوم اسمٌ من أَسماءِ جهنم، وقاله ابن كيسان[٥].

وقال ابن أَبي بُريدة، وابن زيد أَيضاً ـ في كتاب الثعلبي ـ: هو جبلٌ في النار أَسودُ يَفْزَع أَهلُ النار إِلى ذُراه فيجدونه أَشد شيءٍ وأَمرَّه[٦].

قوله: ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾، قال الطبري وغيره: معناه: ليس له صفة مدح في الظلال، وهذا كما تقول: ثوب كريم ونسب كريم، تعني بذلك: أَن له صفات مدح[٧].

---

(١) في المطبوع: «عند».

(٢) قوي بطرقه، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٢٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٦) من طريق سليمان ابن أبي سليمان فيروز أبي إسحاق الشيباني، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وفي لفظ: «هو ظل الدخان»، وأخرجه الطبري (٢٣/ ١٢٩) من طريق عكرمة، وابن جرير أيضاً من طريق علي بن أبي طلحة، كلاهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٣٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٥٦).

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (١٨/ ١١) من طريق حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس في قوله ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾. قال: حائط من نار، وابن جريج لم يدرك ابن عباس.

(٥) قول ابن كيسان ورد في تفسير الثعلبي (٩/ ٢١٣)، وفي نجيبويه: «أن النجوم».

(٦) تفسير الثعلبي (٩/ ٢١٣). وابن أبي بريدة سقط من نجيبويه، وفيها: «ابن أبي زيد».

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ١٣٠)، بتصرف.

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل أَن يصفه بعدم الكرم على معنى أَلَّا كرامة لهم، وذلك أَن المرءَ في الدنيا قد يصبر على سوءِ الموضع لقرينة إِكرام يناله فيه من أَحد، فجمع هذا الظلُّ في النار أَنه سَيِّءُ الصفة وهم فيه مُهانون.

و«الْمُتْرَفُ»: المنعَّم في سرف وتخوُّض.

و﴿يُصِرُّونَ﴾ معناه: يعتقدون اعتقاداً لا يَنْوُون عنه إِقلاعاً.

قال ابن زيد: لا يتوبون ولا يستغفرون(١).

و﴿ٱلْحِنثِ﴾: الإِثم، ومنه قول النبي ﷺ: «من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْثَ» الحديث(٢)، أَراد ﷺ: لم يبلغوا الحُلْم فتتعلَّق بهم الآثام.

وقال الخطابي: الحنْثُ في كلام العرب: العِدْلُ الثقيل، يشبّه الإِثم به(٣).

واختلف المفسرون في المراد بهذا الإِثم:

فقال قتادة، والضحاك، وابن زيد: هو الشرك(٤)، وهذا هو الظاهر.

وقال قوم ـ فيما ذكر مكي ـ: هو الحنث في قَسَمهم الذي يتضمنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩](٥) الآية في التكذيب بالبعث، وهذا أَيضاً يتضمن الكفر، فالقول به على عمومه أَولى.

وقال الشعبي: ﴿ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾: اليمين الغَمُوسُ(٦).

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٣١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٢)، ومسلم (٢٦٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) غريب الحديث للخطابي (١/ ٥٣٩)، بلفظ: «والأحناث عندنا: الأعدال الثقال».

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ١٣٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٣٥٧)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٨٠).

(٥) انظر الهداية لمكي (١١/ ٧٢٨٠).

(٦) تفسير الماوردي (٥/ ٤٥٧).

وقد تقدم ذكر اختلاف القراءِ في قوله تعالى: ﴿أَإِذَا﴾ و﴿أَإِنَّا﴾، ويختص من ذلك بهذا الموضع: أن ابن عامر يخالف فيه أَصله فيقرأُ: ﴿أَإِذَا﴾ ﴿أَإِنَّا﴾ بتحقيق الهمزتين فيهما [على الاستفهام][(١)].

ورواه أَبو بكر عن عاصم في قوله تعالى: ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[(٢)].

والعامل في قوله تعالى: ﴿أَإِذَا﴾ فعل مضمر يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾، تقديره: [أَنُبْعَثُ أَو أَنُحْشَرُ؟][(٣)]، ولا يعمل فيه ما بعده لأَنه مضاف إِليه.

وقرأَ عيسى الثقفي: ﴿مُتْنَا﴾ بضم الميم، وقرأَ جمهور الناس: ﴿مِتْنَا﴾ بكسرها[(٤)].

وهذا على لغة من يقول: مِتُّ أَموت على وزن فَعِل بكسر العين يفعُل بضمها، ولم يُحك منها عن العرب إِلَّا هذه اللفظة وأُخرى هي: فَضِل يفضُل.

وقرأَ بعض القراءِ: ﴿أَوْ آبَاؤُنَا﴾ بسكون الواو من ﴿أَوْ﴾، ومعنى الآية: استبعاد أَن يبعثوا هم وآباؤُهم على حدٍّ واحد من الاستبعاد.

وقرأَ الجمهور: ﴿أَوَءَابَآؤُنَا﴾ بتحريك الواو على أَنها واو العطف دخل عليها أَلف الاستفهام[(٥)]، ومعناها شدة الاستبعاد في الآباءِ، كأَنهم استبعدوا أَن يُبعثوا ثم أَتَوْا بذكر مَنِ البعثُ فيهم أَبعد، وهذا بيِّن لأَهل العلم بلسان العرب.

ثم أَمر الله تعالى نبيه ﷺ أَن يعلمهم بأَن العالم محشور مبعوث ليوم معلوم مؤقت.

و﴿مِيقَٰتِ﴾ مِفْعال من الوقت، كميعاد من الوعد.

---

(١) سقط من نجيبويه، وكذا فعل في (النمل) و(النازعات)، انظر التيسير (ص: ١٣٣)، وهشام على أصله في الهمز.

(٢) والباقون بالخبر، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٧).

(٣) في الحمزوية وأحمد٣ بدلًا منه: «البعث الحشر».

(٤) أبعد بالأولى فهي لابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، انظر التيسير (ص: ٩١). وفي الحمزوية: «حمزة» بدل «جمهور الناس».

(٥) وهما سبعيتان، والأولى لقالون وابن عامر، انظر التيسير (ص: ١٨٦).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ مخاطبة لكفار قريش ومن كان في حالهم.

و﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن شَجَرٍ﴾ يحتمل أَن يكون للتبعيض، ويحتمل أَن تكون لابتداءِ الغاية، و﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن زَقُّومٍ﴾ لبيان الجنس.

والضمير في ﴿مِنْهَا﴾ عائد على الشجر، و﴿مِن﴾ للتبعيض أَو: لابتداءِ الغاية.

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على المأْكول أَو على الأَكل.

وفي قراءَة ابن مسعود رضي الله عنه: (لآكِلُونَ مِنْ شَجَرَةٍ) على الإِفراد[(١)].

و﴿ٱلْهِيمِ﴾ قال ابن عباس[(٢)]، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك: هو جمع أَهْيَم، وهو الجمل الذي أَصابه الهُيَام[(٣)] بضم الهاءِ، وهو داءٌ معطش يشرب معه[(٤)] الجمل حتى يموت أَو يسقم سقماً شديداً، والأُنثى هيماءُ، وقال بعضهم: هو جمع هيماءَ؛ كعيْنَاءَ وعِينٍ وبَيْضاءَ وبِيضٍ، وقال قوم آخرون: هو جمع هايم وهايمة، وهو أَيضاً من هذا المعنى؛ لأَن الجمل إِذا أَصابه ذلك الداء هام على وجهه وذهب.

---

(١) وهي شاذة، انظر تفسير الطبري (٢٣/ ١٣٣)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٢٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٥) من طريق علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي مفرقين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شرب الإبل العطاش.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٣٥) بتصرف.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «منه».

وقال سفيان الثوري وابن عباس،: الهِيمُ هنا: الرمال التي لا تُرْوَى من الماءِ[(١)].

وذلك أَن الهَيَام بفتح الهاءِ: هو الرمل الدِّق الغَمْر المتراكم.

وقال ثعلب: الهُيام بضم الهاءِ: الرَّمل الذي لا يتماسك[(٢)].

وقرأَ ابن كثير، وابن عامر، وأَبو عمرو، والكسائي: ﴿شَرْبَ الـهِيمِ﴾ بفتح الشين، وهي قراءَة الأَعرج، وابن المسيَّب، وشعيب بن الحبحاب، ومالك بن دينار، وابن جريج، ولا خلاف أَنه مصدر.

وقرأَ مجاهد: (شِرْبَ الْهِيمِ) بكسر الشين، ولا خلاف أَنه اسم.

وقرأَ أَهل المدينة وباقي السبعة: ﴿شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ بضم الشين[(٣)]، واختلف فيه:

فقال قوم: هو مصدر، وقال آخرون: هو اسم لما يُشرب.

و«النُّزُلُ»: أَول ما يأْكل الضيف، وقرأَ أَبو عمرو في رواية عباس[(٤)]: ﴿نُزْلُهُمْ﴾ بسكون الزاي.

وقرأَ الباقون، واليزيديُّ عن أَبي عمرو بضم الزاي[(٥)]، وهما بمعنى؛ كالشُّغْل والشُّغُل.

و﴿ٱلدِّينِ﴾: الجزاءُ.

ثم أَخبر تعالى أَنه الخالق، وحضَّ على التصديق على وجه / التقريع، ثم ساق تعالى الحجة الموحية للتصديق، كأَن معترضاً من الكفار قال: ولِمَ أُصَدِّق؟ فقيل له: [٥/ ١٧٤]

---

(١) أخرجه سفيان بن عيينة في جامعه كما في الدر المنثور (١٤/ ٢١٣) قال: هيام الأرض. يعني: الرمال، وانظر الطبري (٢٣/ ١٣٦).

(٢) الدر المصون (١٠/ ٢١٢).

(٣) الأولى والثالثة سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٧)، والثانية شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٣).

(٤) في الأسدية٤: «عيَّاش»، وفي المطبوع: «ابن عياش»، وفي نجيبويه: «ابن عباس».

(٥) هذه هي قراءة الجماعة، وانظر الأولى في السبعة (ص: ٦٢٣).

أَفرأَيت كذا وكذا؟ الآيات، وليس يوجد مفطورٌ يخفى عليه أَن المنيَّ الذي يخرج منه ليس له[١] فيه عمل ولا إِرادة ولا قدرة.

و﴿أَمْ﴾ في قوله: ﴿أَمْ نَحْنُ﴾ ليست المعادِلة عند سيبويه؛ لأَن الفعل قد تكرَّر، وإِنما المعادِلة عنده: أَقام زيدٌ أَم عمرو؟ وهذه التي في هذه الآية معادِلة عند قوم من النحاة، وأَما إِذا تغاير الفعلان فليست بمعادِلة إِجماعاً.

وقرأَ الجمهور: ﴿تُمْنُونَ﴾ بضم التاءِ.

وقرأ ابن عباس، وأَبو السَّمال: (تَمْنُونَ) بفتح التاءِ[٢].

ويقال: أَمْنى الرجل ومَنَى؛ بمعنى واحد.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿قَدَّرْنَا﴾ بشد الدال، وقرأَ ابن كثير وحده: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا﴾ بتخفيفها[٣].

والمعنى فيهما يحتمل أَن يكون بمعنى: قضينا وأَثبتنا، ويحتمل أَن يكون بمعنى: سوَّينا وعدَّلنا التَّقدُّم[٤] والتَّأَخُّر؛ أَي: جعلنا الموت رُتَباً، ليس يموت العالَمُ دفعة واحدة، بل بترتيب لا يعدوه أَحد.

وقال الطبري: معنى الآية: قدرنا بينكم الموت على أَن نبدلَ أَمثالكم، أَي تموت طائفة ونبدلها بطائفة، وهكذا قرناً بعد قرن[٥].

وقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾؛ أَي: على تبديلكم إِن أَردناه، وأَن ننشئكم بأَوصاف لا يصلها علمكم[٦] ولا تحيط بها فكركم، قال الحسن: من كونهم قردة وخنازير[٧].

---

(١) «له» ليست في المطبوع.
(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لأبي السمال في الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢١٤).
(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٧).
(٤) ليست في الحمزوية وأحمد٣، وفيه: «في التأخر».
(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ١٣٧) بتصرف.
(٦) في الأصل ونجيبويه: «عملكم».
(٧) تفسير الثعلبي (٩/ ٢١٥).

قال القاضي أَبو محمد: تأَول الحسن هذا لأَن الآية تنحو إِلى الوعيد، وجاءَت لفظة السبق هنا على نحو قوله ﷺ: «فإِن استطعتم أَلا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا، لا تفوتنكم»[١].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾ بسكون الشين.

وقرأَ قتادة وأَبو الأَشهب، وأَبو عمرو بخلاف: ﴿النَّشَاءَةَ﴾ بفتحها وبالمدِّ[٢].

وقال أَكثر المفسرين: أَشار إِلى خلق آدم عليه السلام ووقف عليه لأَنك[٣] لا تجد أَحداً ينكر أَنه من ولد آدم عليه السلام، وأَنه من طين، وقال بعضهم: أَراد تعالى بالنشأَة الأُولى: نشأَة إِنسان إِنسان في طفولته، فيعلم المرءُ نشأَته كيف كانت بما يرى من نشأَة غيره.

ثم حضَّض تعالى على التذكُّر والنظر المؤدي إِلى الإِيمان.

وقرأَ الجمهور: ﴿تذَّكرون﴾ مشددة الذال.

وقرأَ طلحة: (فَلَوْلَا تَذْكُرُونَ) بسكون الذال وضم الكاف[٤].

وهذه الآية نَصٌّ في استعمال القياس والحضِّ عليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، إلا قوله «لا تفوتنكم».

(٢) بل هما سبعيتان، والثانية لابن كثير وأبي عمرو كما تقدم في العنكبوت، وانظر السبعة (ص: ٤٩٨).

(٣) في الأصل: «لأنه».

(٤) وهي شاذة، وتابعه هكذا في البحر المحيط (١٠/ ٨٩)، وبقيت عليهما قراءة حفص والأخوين.

وقف تعالى الكفار على أَمر الزرع الذي هو قوام العيش، وبيَّن لكل مفطور أن الحراث الذي يثير الأَرض ويفرق الحَبَّ ليس يفعل في نبات الزرع شيئاً، وقد يُسمَّى الإِنسان زارعاً، ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩]، لكن معنى هذه الآية: أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ زرعاً يتم أَم نحن؟ وروى أَبو هريرة عن النبي ﷺ أَنه قال: «لا تقولنَّ زرعت، ولكن قل: حَرَثْتُ»، ثم تلا أَبو هريرة رضي الله عنه هذه الآية[١].

و«الْحُطَامُ»: الْيَابِس المتفتِّت من النبات الصائر إِلى ذَهاب، وبه شبه حطام الدنيا.

وقيل: المعنى: نبتاً[٢] لا قَمْحَ فيه.

و﴿تَفَكَّهُونَ﴾ قال ابن عباس[٣]، ومجاهد، وقتادة: معناه: تعجبون.

وقال عكرمة: تلاومون[٤]، وقال الحسن: معناه: تندمون، وقال ابن زيد: تتفجَّعون[٥].

وهذا كله تفسير لا يخصُّ اللفظة، والذي يخصُّ اللفظة هو: تطرحون الفكاهة عن أَنفُسكم، وهي المَسَرَّة والجزلُ، ورجلٌ فَكِهٌ: إِذا كان منبسط النفس غير مكترث بالشيء[٦].

و«تَفَكَّهَ» من أَخوات: تَحَرَّجَ، وتَحَوَّب.

---

(١) إسناده غير قوي، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٩)، وابن حبان في صحيحه (٥٧٢٣)، والطبراني في الأوسط (٨٠٢٤)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ١٣٨)، وفي الشعب (٥٢١٧)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٦٧) وغيرهم من طريق مسلم بن أبي مسلم الجرمي، عن مخلد بن الحسين المصيصي، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، به، وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن هشام إلا مخلد تفرد به مسلم الجرمي. اهـ، قال ابن حجر في الفتح (٥/ ٤): غير قوي، رجاله ثقات إلا أن مسلم بن أبي مسلم الجرمي قال فيه ابن حبان: ربما أخطأ، وروى عبد بن حميد من طريق أبي عبد الرحمن السلمي بمثله من قوله غير مرفوع».

(٢) في الأسدية٤، والمطبوع وأحمد٣: «تبنا».

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٣٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) في الأصل: «تلامون».

(٥) انظر الأقوال كلها في تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢١٦).

(٦) في المطبوع: «بشيء».

وقرأ الجمهور: ﴿فَظَلْتُمْ﴾ بفتح الظاءِ.

وروَى سفيان الثوريُّ في قراءَة عبد الله كسْرَ الظَّاءِ، قال أَبو حاتم: طُرحت عليها حركة اللام المحذوفة، وذلك رديءٌ في القياس، وهي قراءَة أَبي حَيْوة[١].

وروى أَحمد بن موسى: (فَظَلَلْتُمْ) بلامَيْن الأُولى مفتوحة عن الجحدري.

ورويت عن ابن مسعود رضي الله عنه بكسر اللام الأُولى[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ قبله حذف تقديره: «يقولون».

وقرأ الأَعمش، وعاصم الجحْدري: ﴿أَئِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ بهمزتين على الاستفهام[٣].

والمعنى يحتمل أَن يكون: إِنا لمعذبون، من الغرام وهو أَشد العذاب.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، ومنه قول الأَعشى:

إِنْ يُعَذِّبْ يَكُنْ غَرَاماً وَإِنْ يُعْـ ـطِ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لَا يُبالي[٤] [الخفيف]

ويحتمل أَن يكون المعنى: إِنا لمحمَّلون الغَرام، أَي غرمنا في النفقة وذهاب زرعنا، تقول: «غَرِمَ الرجلُ وأَغْرَمْتُه فهو مُغْرم»، وتقدم تفسير «المحروم» وأَنه المحدود والمُحَارَف[٥].

و﴿الْمُزْنِ﴾: السحابُ بلا خلاف، ومنه قول الشاعر:

ونَحْنُ كَمَاءِ المُزْنِ ما في نِصَابِنَا كَهَامٌ وَلَا فينا يُعَدُّ بَخيلُ[٦] [الطويل]

---

(١) وهي شاذة، انظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٢٧)، وفي الأصل بدل المحذوفة: «المجزومة».

(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٣).

(٣) بل هما سبعيتان، والثانية لشعبة، انظر التيسير (ص: ٢٠٧).

(٤) تقدم في تفسير الآية (٦٥) من (سورة الفرقان).

(٥) في الأصل: «المحارب»، وفي أحمد٣: «المحازف»، وفي نور العثمانية: «المجدود والمجازف».

(٦) البيت للسَّمَوْأَل، كما في أمالي القالي (١/ ٢٧٠)، والبيان والتبيين (٣/ ١٢٨)، والعقد الفريد (١/ ٢٠٩)، وفي الأصل: «كمام».

و«الأُجَاجُ»: أَشدُّ المياه ملوحة، وهو ماءُ البحر الأَخضر.

و﴿تُورُونَ﴾ معناه: تقتدحون من الأَزْنُد، تقول: أَوريت النار من الزنادِ، وورى الزِّنادُ نفسه، والزناد قد يكون من حجرين ومن حجر وحديدة ومن شجر لا سيَّما في بلاد العرب، [فإِن أَزْنُدَهم من شجر][1] ولا سيَّما في الشجر الرخو كالمرخ والعفار والكلخ وما أَشبهه، ولعادة العرب في أَن زنادهم من شجر قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ﴾.

وقال بعض أَهل النظر: أَراد بالشجرة نفس النار، كأَنه تعالى يقول: نوعها أَو جنسها، فاستعار الشجرة لذلك.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول فيه تكلُّف.

وقرأَ الجمهور: ﴿آنْـتُمْ﴾ بالمدِّ.

وروي عن أَبي عمرو، وعيسى: (أَنْـتُمْ) بغير مدٍّ، وضعَّفها أَبو حاتم[2].

و﴿تَذۡكِرَةً﴾ معناه: تُذكِّر نار جهنم، قاله مجاهد وقتادة[3]، و«الـمَتَاعُ»: ما يُنْتَفَع به.

و(الْمُقْوِينَ) في هذه الآية: الكائنون في الأَرض القواءِ، وهي الفيافي. / [٥/ ١٧٥]

وعبَّر الناسُ في تفسير (الْمُقْوِينَ) بأَشياءَ ضعيفة، كقول ابن زيد: للجائعين[4] ونحوه، ولا يقوم منها إلَّا ما ذكرناه، ومن قال معناه: المسافرون فهو نحو ما قلناه، وهي عبارة ابن عباس، تقول: أَصبح الرجل: دخل في الصباح[5]، وأَصْحَرَ: دخل في

---

(١) من المطبوع وأحمد٣، وسقط منه إلى «من شجر» التي بعدها.

(٢) لعله يقصد بالمد الاستفهام، وبعدمه الخبر، وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٤)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٨٧).

(٤) في المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه: «الخائفين»، وفي الحمزوية: «الخاضعين»، وانظر تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢١٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٥٦) من طريق علي بن أبي طلحة، ومن طريق عطية العوفي، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ﴾ قال: للمسافرين.

الصحراءِ، وأَقوى: دخل في الأرض القَوَاءِ، ومنه: أَقْوَت الدارُ، أَقوى الطَّلَلُ؛ أَي: صار قواءً، ومنه قول النابغة:

. . . . أَقْـوَتْ وطالَ عَلَيْهَا سـالِفُ الأَبَدِ(١) [البسيط]

وقول الآخر:

. . . . أَقْـوَى وأَقْفَـرَ بَعْـدَ أُمِّ الْهَيْثَـمِ(٢) [الكامل]

والفقير والغني إِذا أَقْوَيَا سواءٌ في الحاجة إِلى النار، ولا شيءَ يغني غناها في البرد.

ومن قال: إِن أَقوى من الأَضداد من حيث يقال: أَقوى الرجل: إِذا قويت دابته؛ فقد أَخطأَ، وذلك فعل آخر؛ كأَترب: إِذا أَثْرَى(٣).

ثم أَمر تعالى نبيَّه ﷺ بتنزيه ربِّه عزَّ وجلَّ وتنزيه أَسمائه العُلَى عما يقوله الكفرة الذين حُجُّوا في هذه الآيات.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٨٧﴾.

اختلف الناس في (لا) من قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾:

فقال بعض النحويين: هي زائدة، والمعنى: فأُقسم، وزيادتها في بعض المواضع

---

(١) صدره: يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ، عزاه له في الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٢٠)، والقوافي للتنوخي (ص: ٧٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٧٨).

(٢) من معلقة عنترة، وصدره: حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ. انظر جمهرة أشعار العرب (ص: ٣٥٠)، والأغاني (٨/ ٢٢٣).

(٣) في الأصل: «أترب».

معروف، كقوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩]، وغير ذلك.

وقال سعيد بن جبير وبعض النحويين: هي نافية[١]، كأَنه تعالى يقول: فلا صحة لما يقوله الكفار، ثم ابتدأَ تعالى فقال: ﴿أُقۡسِمُ﴾.

وقال بعض المتأَولين: هي مؤكدة تعطي في القَسَم مبالغة، وهي كاستفتاح كلام مشبه[٢] في القَسَم لا في شائع الكلام [القسم وغيره][٣]، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]

فَلَا وَأَبي أعدائها لَا أَخُونُهَا[٤] ....

المعنى: فَوَ أَبي، ولهذا نظائر.

وقرأ الحسن والثّقفي: (فَلأُقْسِمُ) بغير أَلف[٥]، قال أَبو الفتح: التقدير: فَلَأنا أُقْسِم.

وقرأَ الجمهور من القراءِ: ﴿بِمَوَٰقِعِ﴾ على الجمع.

وقرأَ عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن مسعود، وأَهْلُ الكوفة، وحمزة، والكسائي ﴿بِمَوْقِعِ﴾ على الإِفراد، وهو مرادٌ به الجمع[٦].

ونظير هذا كثير، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، جَمَع من حيث لكل حمار صوت مختص، وأَفرد من حيث الأَصوات كلها صوتٌ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٧).

(٢) في الأسدية٣ والأسدية٤ والحمزوية: «مشبهه»، والمطبوع وأحمد٣: «يشبهه»، وفي نجيبويه ونور العثمانية: «مشبهة».

(٣) سقط من المطبوع، وفي نور العثمانية: «سائغ الكرم»، وليس فيه القسم.

(٤) صدره: فإن تك ليلى حمّلتني لبانة، نسبه في الحيوان (٥/ ١٠٤) للبعيث، وحماسة الخالديين (ص: ٧٤) لابن الدُّمَيْنة، وهو في أمالي القالي (١/ ٧٠)، بلا نسبة. وفي المطبوع: بدل «أعدائها» نقط، وفي الأسدية٤: «أعاديها»، في الأسدية٣ وأحمد٣: «ما أخونها».

(٥) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٣٠٨).

(٦) وهما سبعيتان، الثانية لحمزة والكسائي كما في التيسير (ص: ٢٠٧).

واختلف الناس في النُّجوم هنا:

فقال ابن عباس، وعكرمة ومجاهد وغيرهم: هي نجوم القرآن التي نزلت على محمد ﷺ[١].

وذلك أَنه رُوي أَن القرآن نزل من عند الله عزَّ وجلَّ في ليلة القدر إِلى السماءِ الدنيا، وقيل: إِلى البيت المعمور جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك على محمد ﷺ نجوماً مقطعة في مدَّة من عشرين سنة.

قال القاضي أبو محمد: ويؤيد هذا القول عودُ الضمير على القرآن في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾، وذلك أَنَّ ذكْرَهُ لم يتقدم إِلَّا على هذا التأْويل، ومن لا يتأَول بهذا التأْويل يقول: إِن الضمير يعود على القرآن وإِن لم يتقدم له ذكْر لشُهرة الأَمر ووضوح المعنى، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، و﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ﴾ [الرحمن: ٢٦]، وغير ذلك.

وقال جمهور كثير من المفسرين: النجوم هنا الكواكبُ المعروفة، واختُلف في مواقعها:

فقال مجاهد وأَبو عبيدة: هي مواقعها عند غروبها وطلوعها[٢].

وقال قتادة: مواقعها هي مواضعها من السماءِ[٣].

---

(١) صحيح، روي من طرق عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما أصحها ما أخرجه النسائي في الكبرى (١١٥٠١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٨)، وابن منده في الإيمان (٧٠٥) من طريق حصين بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جبير به بلفظ: نزل القرآن جميعاً في ليلة القدر إلى سماء الدنيا ثم فصل بعد ذلك وذلك قول الله ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾، ومن طريق النسائي أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١٧/ ٥١)، وانظر للباقين تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٨)، والهداية (١١/ ٧٢٩٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٨)، ومجاز القرآن (٢/ ٧٢٩٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٨)، بتصرف.

وقيل: مواقعها عند الانقضاض إِثر العفاريت.

وقال الحسن: مواقعها عند الانكدار يوم القيامة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ تأْكيدٌ للأَمر وتنبيه من المقسم به، وليس هذا باعتراض بين الكلامين، بل هذا معنى قصد التَّهمم به، وإِنما الاعتراض قوله تعالى: ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقد قال قوم: إِن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ اعتراض، وإِنَّ ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعتراضٌ في اعتراض، والتحرير هو الذي ذكرناه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ﴾ هو الذي وقع القَسَم عليه، ووصفه بالكرم على معنى إِثبات صفات المدح له ودفع صفات الحطيطة عنه.

واختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ ـ بعد اتفاقهم على أَن «الْمَكْنُونَ» المصونُ ـ:

فقال ابن عباس[٢]، ومجاهد: أَراد الكتاب الذي في السماءِ.

وقال عكرمة: أَراد التوراة والإِنجيل[٣]، كأنه تعالى قال: إِنه لكتابٌ كريمٌ ذُكر كرمه وشرفه في كتاب مكنون.

قال القاضي أبو محمد: فمعنى الآية ـ على هذا ـ الاستشهاد بالكتب المنزلة، وهذا كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٦].

وقال بعض المتأَولين: أَراد مصاحف المسلمين، وكانت يوم نزلت الآية لم

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٨)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٩٠)، وفي المطبوع: «انكدار النجوم».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٤٩)، والبيهقي في معرفة السنن (١٠٨) من طريق حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الكتاب الذي في السماء. وحكيم ابن جبير مولى آل الحكم بن أبي العاص الثقفي ضعيف.

(٣) انظر قول مجاهد في تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٩)، وعكرمة في تفسير الماوردي (٥/ ٤٦٣)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٩١).

تكن، فهي ـ على هذا ـ إِخبار بغيب، وكذلك هو كتاب مصون إِلى يوم القيامة، ويؤيد هذا لفظة «المَسِّ»، فإِنها تشير إِلى المصاحف، وهي مستعارة في مسِّ الملائكة.

واختلف الناس في معنى قوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ وفي حكمه:

فقال بعض[١] من قال: إِن الكتاب المكنون هو الذي في السماءِ، قال: ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ هنا: الملائكة، قال قتادة: فأَما عندكم فيمسُّه المشرك النجس والمنافق[٢].

قال الطبري: ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾: الملائكة والأَنبياءُ عليهم السلام ومَن لا ذنب له[٣]، وليس في الآية على هذا القول حكم مسِّ المصحف لسائر بني آدم.

ومن قال بأَنها مصاحف المسلمين قال: إِن قوله: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ ﴾ إِخبار مضمنه النهي، وضَمَّةُ السين على هذا إِعرابٌ، وقال بعض هذه الفرقة: بل الكلام نهيٌ، وضمَّة السِّين ضمَّة بناءٍ.

قال جميعهم: فلا يمسُّ المصحف من جميع[٤] بني آدم إِلاَّ الطاهر من الكفر والجنابة والحدث الأَصغر، قال مالك: لا يحمله غير طاهر بعلاقته ولا على وسادة[٥].

وفي كتاب رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: «ولا يمسُّ المصحف إِلَّا طاهر»[٦]./ [٥/ ١٧٦]

---

(١) «بعض» من المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٢)، الهداية لمكي (١١/ ٧٢٩٢)، تفسير الثعلبي (٩/ ٢١٩). و«النجس» ليست في الحمزوية وأحمد٣، وفي المطبوع زيادة «قال» قبل «المطهرون»، وسقط من نور العثمانية منها إلى «المطهرون» الثانية.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٠)، بتصرف.

(٤) «جميع» ليست في المطبوع والحمزوية ونور العثمانية وأحمد٣.

(٥) انظر قول مالك ومذهب جمهور العلماء في الاستذكار (٢/ ٤٧٢).

(٦) مرسل صحيح، وروي موصولًا ولا يصح، أخرجه مالك في الموطأ (٢٩٦) رواية محمد بن الحسن قال: أخبرنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: إن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: «لا يمس القرآن إلا طاهر»، قال ابن عبد البر: والدليل على صحته =

وقد رخَّص أَبو حنيفة وقوم بأَن يمسَّه الجنب والحائض على حائلٍ؛ غلافٍ ونحوِه[١].

ورخَّص بعض العلماءِ في مسِّه في الحدث الأَصغر وفي قراءَته عن ظهر قلب، منهم ابن عباس وعامر الشعبي، لا سيما للمعلم والصبيان[٢]، وقد رخَّص بعضهم للجنب في قراءَته[٣].

وهذا الترخيص كله مبني على القول الذي ذكرناه من أَن «المطهرين» هم الملائكة، أو على مراعاة لفظة المسِّ، فقد قال سلمان[٤] رضي الله عنه: لا أَمسُّ المصحف، ولكن أَقرأُ القرآن[٥].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ بفتح الطاءِ والهاءِ المشددة.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو بخلاف عنهما: (الْمُطْهَرُونَ) بسكون الطاءِ وفتح الهاءِ خفيفة، وهي قراءَة عيسى الثقفي.

وقرأَ سلمان الفارسي: (المُطَهِّرُونَ) بفتح الطاءِ خفيفة وكسر الهاءِ وشدها، على معنى: الذين يُطَهِّرُون أَنفسهم، ورويت عنه بشد الطاءِ والهاءِ.

= تلقي جمهور العلماء له بالقبول.اهـ. انظر التمهيد (١٧/ ٣٩٧)، ومن طريق مالك أخرجه أبو داود في المراسيل (٩٠)، قال ابن دقيق العيد في الإلمام (ح٨٤): وَبَعض الروَاة يَقُول: عَن عبد الله عَن أَبِيه، وَبَعْضهمْ عَن أَبِيه، عَن جده. وَمن النَّاس من يثبت هَذَا الحَدِيث بشهرة الْكتاب وتلقيه بِالْقبُولِ، وانظر البدر المنير (٢/ ٥٠١)، والدراية في تخريج أحاديث الهداية (١/ ٨٦)، ونصب الراية (١/ ١٩٦). وفي الأسدية٣ والأسدية٤ وأحمد٣ والمطبوع ونور العثمانية: «لا يمس القرآن».

(١) انظر قول أبي حنيفة في: الجامع الصغير (١/ ٨٢).

(٢) انظر قول ابن عباس والشعبي في: تفسير القرطبي (١٧/ ٢٢٦).

(٣) قال بهذا داود، انظر قوله في: الاستذكار (٢/ ٤٧٤).

(٤) في الأصل والأسدية ٣: «سليمان».

(٥) انظر قول سلمان في: السنن الصغرى للبيهقي (١/ ٣٢١).

وقرأ الحسن، وعبد الله بن عون، وسلمان الفارسي بخلاف عنه: (الْمُطَّهِّرُون) بشدِّ الطاء[1] بمعنى: الْمُتَطَهِّرين.

قال القاضي أبو محمد: والقول بأَن ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ نهيٌ؛ قولٌ فيه ضعف، وذلك [أنه إذا كان خبراً فهو في موضع الصفة، وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿تَنزِيلٌ﴾ صفة أَيضاً، فإذ جعلناه نهياً جاءَ معنى أَجنبياً مُعْتَرضاً بين الصفات، وذلك][2] لا يحسن في رصف الكلام، فتدبَّره.

وفي حرف ابن مسعود: (مَا يَمَسُّهُ)[3]، وهذا يُقَوِّي ما رجَّحته من الخبر الذي معناه: حَقُّهُ وَقَدْرُهُ أَلَّا يَمسَّه إِلَّا طاهر.

وقوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ مخاطبة للكفار.

و﴿ٱلْحَدِيثِ﴾ المشار إِليه هو القرآن المتضمن البعث، وأَن الله تعالى هو خالق الكل، وأَن ابن آدم مصرف بقدره وقضائه، وغير ذلك.

و﴿مُّدْهِنُونَ﴾ معناه: يُلَاينُ بعضكم بعضاً ويتبعه في الكفر، مأْخوذ من الدُّهن؛ لِلينه وامِّلَاسِهِ، وقال أَبو قيس بن الأَسلت:

الْـحَـزْمُ والْـقُـوَّةُ خَيْرٌ منْ الْـ إِدْهَـانِ والْـفَـهَّـةِ والْـهَـاعِ[4] [السريع]

وقال ابن عباس: هي المهاودة فيما لا يحلُّ[5]، والمداراة: هي المهاودة فيما يحلُّ.

---

(١) «بشد الطاء» ليست في المطبوع، وهذه ثلاث قراءات شاذة، انظر عزو الأولى لعيسى والثالثة لسلمان في الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٣)، وذكر جواز الثانية عن الزجاج، وانظر الكل في البحر المحيط (١٠/ ٩٣).

(٢) سقط من الأصل.

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٢).

(٤) انظر عزوه له في العين (٢/ ١٧٠)، وعمدة الكتاب للنحاس (ص: ٣٢٦)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٧).

(٥) لم نقف عليه مسنداً.

وقال ابن عباس: ﴿مُّدۡهِنُونَ﴾: مكذبون[١].

قوله تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾، أَجمع المفسِّرون على أَن الآية توبيخ للقائلين في المطر الذي نزله الله تعالى رزقاً للعباد: هذا بِنَوْءِ كذا وكذا، وهذا بعثانين[٢] الأَسد، وهذا بِنَوْءِ الجوزاءِ، وغير ذلك، والمعنى: وتجعلون شكر رزقكم، كما تقول لرجل: جعلت يا فلان إِحساني إِليك أَن سببتني[٣]، فالمعنى: جعلت شكر إِحساني.

وحكى الهيثم بن عدي[٤] أَن من لغة أَزد شَنوءَة: ما رزْق فلان؟ بمعنى: ما شكْره؟[٥]

وكان علي بن أَبي طالب رضي الله عنه يقرؤُها: (وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ)، وكذلك قرأَ ابن عباس، ورويت عن النبي ﷺ[٦]، إِلا أَن ابن عباس ضم التاءِ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٣) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) في المطبوع ونجيبويه: «بنوء».

(٣) في الأصل: «شتمتني».

(٤) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد، أبو عبد الرحمن الطائي الأخباري المؤرخ الكوفي، روى عن هشام بن عروة، وغيره وعنه الواقدي، وله تاريخ صغير، قال أبو زرعة: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك، توفي سنة ٢٠٧هـ، تاريخ الإسلام (١٤/ ٤٢٣).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ١٥٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٢٢).

(٦) لا يصح قراءة مرفوعة، وثبت تفسيراً، أخرجه عبد بن حميد في تفسيره كما في فتح الباري (٢/ ٥٢٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٢١٥) من طريق إسرائيل بن يونس، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٢٢) من طريق هارون بن سعد كلاهما ـ إسرائيل، وهارون ـ عن عبد الأعلى ابن عامر الثعلبي، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب مرفوعاً، بلفظ: في قوله عز وجل! ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾! قال: شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا ونجم كذا وكذا. وهذا لفظ الطحاوي وهو يدل على تفسير الآية لا على القراءة كما قال الحافظ في الفتح (٢/ ٥٢٣): وقد روى نحو أثر بن عباس المعلق مرفوعاً من حديث علي لكن سياقه يدل على التفسير لا على القراءة أخرجه عبد بن حميد من طريق أبي عبد الرحمن السلمي عن علي مرفوعاً ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾. قال: تجعلون شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا. اهـ، وقد اختلف على =

وفتح الكاف، وعلي رضي الله عنه فتح التاءَ وسكن الكاف وخفف الذال[١]، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

وكانَ شُكْرُ الْقَوْمِ عِنْدَ المننِ   كـيَّ الصَّحيحاتِ وفَـقْءَ الأَعْيُنِ[٢]   [الرجز]

وقد أَخبر الله تعالى أَنه أَنزل من السماءِ ماءً مباركاً فأَنبت به جنات وحبَّ الحصيد، والنخل باسقات لها طلع نضيد، رزقاً للعباد[٣]، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، أَي بهذا الخبر.

وقرأَ عاصم في رواية المفضل عنه: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ بفتح التاءِ وسكون الكاف وتخفيف الذال كقراءَة علي بن أَبي طالب[٤].

وكَذِبهم في مقالاتهم بيِّنٌ لأَنهم يقولون: هذا بنوءِ كذا، وذلك كذب منهم وتخرُّص.

وذكر الطبري أَن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: مُطرنا ببعض عثانين الأَسد، فقال له: «كذبتَ بلْ هو رزق الله»[٥].

= عبد الأعلى الثعلبي فرواه عنه إسرائيل، وهارون مرفوعاً، وخالفهم الثوري، فرواه عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي موقوفاً أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٧١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٢١٥)، وأخرجه الطبراني في الدعاء (٩٦٢) من طريق عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي من قوله، قال الدارقطني في العلل (٤/ ١٦٣) بعد ما ذكر الخلاف: وَيُشبِهُ أَن يَكُون الاختِلَافُ مِن جِهَةِ عَبدِ الأَعلَى، قلت: وعبد الأعلى بن عامر الثعلبي ضعيف، قال ابن أبي حاتم: سئل أبو زرعة عن عبد الأعلى الثعلبي؟ فقال: ضعيف الحديث ربما رفع الحديث وربما وقفه، وقال ابن عدي: يحدث عن سعيد بن جبير، وابن الحنفية، وأبي عبد الرحمن السلمي بأشياء لا يتابع عليها. انظر الجرح والتعديل (٦/ ٢٦)، والكامل (٥/ ٣١٦).

(١) وكلتاهما شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣٠٩).

(٢) بلا نسبة في البيان والتبيين (٣/ ٦٦)، وعيار الشعر (ص: ٥٤)، وجمهرة الأمثال (١/ ٣١٤)، والروض الأنف (١/ ٢١١).

(٣) إشارة إلى الآيات (٩، ١٠) من (سورة ق). في المطبوع: «فأنشأ» بدل «فأنبت».

(٤) وليست من طرق التيسير، انظر عزوها للمفضل في السبعة (ص: ٦٢٤)، وجامع البيان (٤/ ١٦٢٨).

(٥) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٥٥) من طريق سفيان الثوري، عن إسماعيل بن أمية، قال: أحسبه =

قال القاضي أبو محمد: والمنهي عنه المكروه هو أَن يعتقد أَن للطَّالع من النجوم تأْثيراً في المطر، وأَما مراعاة بعض الطوالع على مقتضى العادة، فقد قال عمر للعباس وهما في الاستسقاءِ: يا عباس، يا عم النبي ﷺ: كم بقي من نَوْءِ الثُّريا؟ فقال العباس رضي الله عنه: العلماءُ يقولون إِنها تعترض في الأُفق بعد سقوطها سبعاً، قال ابن المسيَّب: فما مضت سبعٌ حتى مُطِروا[١].

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ توقيف على موضع عجز يقتضي النظرُ فيه أَن الله تبارك وتعالى مالك كل شيءٍ.

والضمير في ﴿بَلَغَتِ﴾ لنفس الإِنسان، والمعنى يقتضيها وإِن لم يتقدم لها ذكر.

و﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾ مجرى الطعام، وهذه الحالُ هي نزاع المرءِ للموت.

وقوله تعالى: (أَنْتُم) إِشارة إِلى جميع البشر، وهذا من الاقتضاب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

وقرأَ عيسى بن عمر: (حِينِئذٍ) بكسر النون[٢].

= أو غيره: أن رسول الله، فذكره. وهذا إسناد منقطع فإن إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد ابن العاص ثقة ثبت من الذين عاصروا صغار التابعين.

(١) أخرجه الحميدي (٩٧٩)، والطبري (٢٣/ ١٥٥)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٥٩) من طريق محمد ابن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ لَيُصَبِّحُ القَوْمَ بالنِّعْمَةِ، أَوْ يُمَسِّيهِم بِهَا، فَيُصْبِحُ بِهَا قَوْمٌ كَافِرِينَ يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوءِ كَذَا وَكَذَا»، قال محمد: فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب، فقال: ونحن قد سمعنا من أبي هريرة، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وفي رواية: حدثني من لا أتهم، عن عمر ـ وهو يستسقي، فلما استسقى التفت إلى العباس فقال: يا عباس يا عمَّ رسول الله ﷺ، كم بقي من نوء الثريا؟ فقال: العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعاً، قال: فما مضت سابعة حتى مُطروا، وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن إسحاق فإنه صدوق وقد صرح بالتحديث في رواية البيهقي ولكن الإشكال في إبهام شيخ ابن المسيب. وانظر في تأويله: معرفة السنن (٥/ ١٧٣)، والتمهيد (١٦/ ٢٨٦).

(٢) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٤).

و﴿نَنظُرُونَ﴾ معناه: إِلى المنازع في الموت.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ يحتمل أَن يريد ملائكته ورسله.

ويحتمل أَن يريد: بقدرتنا وغلبتنا.

فعلى الاحتمال الأَول: يجيءُ قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ من النظر بالعين، وعلى التأْويل الثاني: يجيءُ من النظر بالقلب، وقال عامر بن عبد قيس: ما نظرتُ إِلى شيءٍ إِلَّا رأَيْتُ الله تعالى أَقرب إِليه مني[١].

ثم عاد التوقيف والتقرير ثانية بلفظ التَّخْصِيص[٢].

و«المَدِينُ»: المملوك، هذا أَصح ما يقال في معنى اللفظة هنا.

ومن عبَّر عنها بالمُجَازَى أَو المُحَاسَب؛ فذلك هنا قَلِقٌ، والمملوك يقلَّب كيف شاءَ المالك.

ومن هذا المِلك قول الأَخطل:

رَبَتْ فَرَبَى فِي حِجْرِهَا ابنُ مَدِينَة ... تَـرَاهُ عَلَـى مِسْـحَاتِهِ يَتَـرَكَّلُ[٣] [الطويل]

أَراد: ابن أَمَةٍ مملوكة، وهو عبد يخدم الكَرْمَ، وقد قيل في معنى هذا البيت: أَراد أَكَّاراً حَضَرِيّاً؛ لأَن الأَعراب في البادية لا يعرفون الفلاحة وعمل الكرم، فَنَسَبه إِلى المدينة لما كان من أَهلها، فمعنى الآية: فلولا ترجعون النفس البالغة إِلى الحُلْقُوم إِن كنتم غير مملوكين ولا مقهورين، ودينُ الْمَلِك حُكْمُه وسُلْطَانُه، وقد نحا إِلى هذا المعنى الفراءُ، وذكره مُستوعباً النقاش[٤].

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٢٣) وفيه: «أقرب إلي منه»، وهي أولى وأثبت للمعنى المراد من: «أقرب إليه مني»، فليلاحظ.

(٢) في نجيبويه: «التحقيق».

(٣) تقدم في أول تفسير (سورة الفاتحة)، والمِسْحاةُ: الفأسُ، ومعنى يتركَّلُ: يضغط عليها برجله أو يتورَّك عليها بها لتنزل في الأَرض.

(٤) لم نقف عليه، وانظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٠).

وقوله تعالى: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ سدَّت مَسَدَّ الأَجوبة والبيانات التي تقتضيها التخصيصات.

و﴿إِذَا﴾ من قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا﴾ و﴿إِن﴾ المتكررة، وحمل بعض القول بعضاً إِيجازاً واقتضاباً / . [٥/ ١٧٧]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

ذكر الله تعالى في هذه الآية حال الأَزواج الثلاثة المذكورة في أَول السورة، وحال كل امرئ منهم، فأَما المرءُ من السابقين المقربين فسيلقى عند موته رَوْحاً وريحاناً.

و«الرَّوْحُ»: الرحمةُ والسَّعة والفرج والفرح، ومنه: روح الله.

و«الرَّيْحان»: الطِّيب، وهو دليل النعيم، وقال مجاهد: الريحان: الرِّزْقُ[1].

وقال أَبو العالية، وقتادة، والحسن: الرَّيحان هذا: الشجر المعروف في الدنيا، يَلْقَى المُقَرَّب ريحاناً من الجنة[2].

وقرأَ ابن عباس، والحسن، وجماعة كثيرة: ﴿فَرُوحٌ﴾ بضم الرَّاءِ[3].

وقال الحسن: معناه: روحه تخرج في ريحانة، وقال الضحاك: الريحانُ: الاستراحة[4].

قال القاضي أَبو محمد: الريحان ما تنبسط إِليه النفوس.

وقال الخليل: هو طرف كل بَقْلة طيبة فيها أَوائل النَّوْر.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٢٤).
(٢) الهداية لمكي (١١/ ٧٢٩٧-٧٢٩٩)، وقول قتادة في: تفسير القرطبي (١٧/ ٢٣٣).
(٣) وهي عشرية لرويس كما في النشر (٢/ ٣٨٣)، وانظر المحتسب (٢/ ٣٠٩).
(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٩٨).

وقد قال ﷺ في الحسن والحسين: «هما ريحانتاي من الدنيا»[(١)]، وقال النَّمر بن تَوْلَب:

سَـــلَامُ الإِلَـــهِ ورَيْـحَـانُـهُ وَرَحْـمَـتُـهُ وَسَـمَـاءٌ دِرَرْ[(٢)] [المتقارب]

وقالت عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقرأُ: ﴿فَرُوحٌ﴾ بضم الراءِ[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ عبارة تقتضي جملة مَدْح، وصفةَ تَخَلُّصٍ وحصولاً في عالٍ من المراتب، والمعنى: ليس في أَمرهم إِلَّا السَّلام والنجاة من العذاب، وهذا كما تقول في مدح رجل: أَمَّا فلان فناهيك به، أَو فحسْبك أَمْرُه، فهذا يقتضي جملة غير مُفَصَّلة من مدحه.

وقد اضطربت عبارات المتأَولين في قوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾:

فقال قوم: المعنى: فيقال له: مُسَلَّم لك أَنك من أَصحاب اليمين[(٤)].

وقال الطبري: المعنى: فسلام لك أَنت من أَصحاب اليمين.

وقيل: المعنى: فسلامٌ لك يا محمد، أَي: لا ترى فيهم إِلَّا السَّلامة من العذاب، فهذه الكاف في ﴿لَّكَ﴾ إِمَّا أَن تكون للنبي ﷺ وهو الأَظهر، ثم لكلِّ معتبر فيها من أُمَّته.

وإِمَّا أَن تكون لمن يخاطب من أَصحاب اليمين، وغيرُ هذا مما قيل فيه تكلُّفٌ.

و«المُكَذِّبُونَ الضَّالُّونَ»: هم الكفار أَصحاب الشمال والمشأَمة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٥٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) تقدم قريباً في تفسير الآية (١٢) من (سورة الرحمن).

(٣) صحيح، أخرجه الطيالسي في مسنده (١٦٦١)، وإسحاق بن راهويه (١٣٠٨)، وأحمد (٦/ ٦٤)، وأبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٩٣٨)، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٢)، وأبو يعلى في مسنده (٤٥١٥-٤٦٤٤)، والطبراني في الصغير (٦١٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٧-٢٥١) من طريق بديل بن ميسرة العقيلي، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة به.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦٣).

و«النُّزُلُ»: أَوَّلُ شيءٍ يقدم للضيف.

و«التَّصْلِيَةُ»: أَن تباشر بهم النار.

و«الجحيم»: معظم النار وحيثُ تراكمها.

ولمَّا كَمُلَ تقسيم أَحوالهم وانقضى الخبر بذلك أَكَّد تعالى الإِخبار بأَن قال لنبيِّه محمد ﷺ مخاطبة تدخل معه أُمَّته فيها: إِن هذا الذي أَخبرنا[١] به لَهُوَ حقُّ اليقين.

وإِضافة الحَقِّ إِلى اليقين عبارة فيها مبالغة لأنهما بمعنى واحد:

فذهب بعض الناس إِلى أَنه من باب: دار الآخرة، ومسْجد الجامع.

وذهبت فرقة من الحُذَّاق إِلى أَنه كما تقول في أَمر تؤكده: هذا يقين اليقين، أَو صواب الصواب، بمعنى أَنه نهاية الصواب[٢]، وهذا أَحسن ما قيل فيه، وذلك لأَن: دار الآخرة، وما أَشبهها يحتمل أَن تقدِّر شيئاً أَضفت الدار إِليه ووصفته بالآخرة، ثم حذفته وأَقمت الصفة مقامه، كأَنك قلت: دار الرجعة[٣]، أَو النشأَة، أَو الخلقة[٤] الآخرة، وهنا لا يتَّجه هذا، وإِنما هي عبارة مبالغة وتأْكيد معناها أَن هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ عبارة تقتضي الأَمر بالإِعراض عن أَقوال الكفرة وسائر أُمور الدنيا المختصة بها، والإِقبال على أُمور الآخرة، وعبادة الله تعالى والدعاءِ إِليه.

وروى عقبة بن عامر: أَنه لما نزل ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال النبي ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] قال: «اجعلوها في سجودكم»[٥].

---

(١) في الأسدية٣، والمطبوع: «أخبرتك».

(٢) ممن قال بهذا الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٠٧).

(٣) في المطبوع: «دار الرجعة الآخرة، أو دار النشأة الآخرة».

(٤) في المطبوع والحمزوية: «الحلقة».

(٥) إسناده لين، أخرجه أحمد (٤/ ١٥٥)، والدارمي (١٣٠٥)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه =

ويحتمل أَن يكون المعنى: سبِّح الله تعالى بذكر أَسمائه العُلَى، و(الاسم) هنا بمعنى الجنس، أَي: بأَسماءِ ربِّك، و﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفة للرَّبِّ تعالى.

وقد يحتمل أَن يكون (الاسم) هنا واحداً مقصوداً، ويكون ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفة له، فكأَنه أَمره أَن يسبحه باسمه الأَعظم وإِن كان لم يَنُصَّ عليه، ويؤيد هذا ويشير إِليه اتصال[1] (سورة الحديد) وأَولها فيه التَّسبيحُ وجملةٌ من أَسماءِ الله تعالى، وقد قال ابن عباس: اسم الله الأعظم موجود في ستِّ آيات من أَول سورة الحديد[2]، فتأَمل هذا، فإِنه من دقيق النظر، ولله تعالى في كتابه العزيز غوامض لا تكاد الأَذهان تدركها.

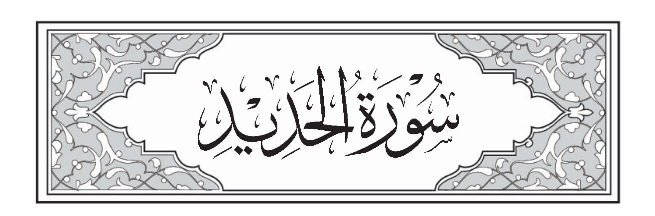
كمل تفسير (سورة الواقعة)، والحمد لله ربِّ العالمين

❊ ❊ ❊

= (٨٨٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٦٠٠-٦٠١-٦٧٠) من طريق موسى بن أيوب الغافقي، عن عمه إياس بن عامر، عن عقبة بن عامر به.

(١) في الأصل: «إيصال».

(٢) لم أهتد إليه.



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الحديد

وهي مدنية، فيما قال النقاشُ وغيره: بإجماع من المفسرين[١]، وقال غيره: هي مكية.

قال القاضي أبو محمد: ولا خلاف أَن فيها قرآناً مدنيّاً لكن يشبه صدرُها أَن يكون مكيّاً، والله تعالى أَعلم، وقد ذكرنا قول ابن عباس أَن اسم الله عزَّ وجلَّ الأَعظم هو في ستِّ آيات من أَول سورة الحديد، ورُوي أَن الدعاءَ مستجاب بعد قراءَتها[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾.

[٥/ ١٧٨] قال أَكثر المفسرين: التَّسبيح هنا هو / التَّنزيه المعروف في قولهم: سبحان الله، وهذا عندهم إِخبارٌ بصيغة الماضي مُضمَّنه الدوامُ وأَن التَّسبيح ممَّا ذُكر دائم مستمر، واختلفوا،

---

(١) البحر المحيط (١٠/ ٩٩).

(٢) لم أقف على شيء في الباب.

هل هذا التسبيح حقيقة أَو مجاز، على معنى أَن أَثر الصنعة فيها يُنَبِّه الرائي على التسبيح؟

قال الزجاج وغيره: والقول بالحقيقة أَحسن[١]، وقد تقدم القول فيه غير مرة، وهذا كله في الجمادات، وأَمَّا ما يمكن التسبيح منه فقول واحد أَن تسبيحهم حقيقة، وقال قوم من المفسرين: التسبيح في هذه السورة الصلاةُ، وهذا قول متكلف، فأَمَّا فيمن يمكن منه ذلك فسائغ، وعلى أَن سجود ظلال الكفار هي صلاتهم، وأَمَّا في الجمادات فيقلق، وذلك أَن خضوعها وخشوع هيئاتها[٢] قد يُسمى في اللغة سجوداً تجوزاً واستعارة، كما قال الشاعر:

[الطويل] .... تَرَى الأُكْمَ فِيه سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ[٣]

ويبعد أَن تُسمَّى تلك صلاة إِلَّا على تجوز[٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ عامٌّ في جميع المخلوقات.

وقال بعض النحاة: التقدير: ما في السماوات وما في الأَرض، فـ﴿مَا﴾ نكرةٌ موصوفةٌ، [فلما تكرر موصوفُها][٥] حذفها وأَقام الصفة مقامها، وهو العزيز بقدرته، وسلطانه، الحكيم بلطفه وتدبيره وحكمته، وملِك السماوات والأرض هو سلطانها الحقيقي الدائم؛ لأَن ملك البشر مجازٌ فانٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾؛ أَي: على كل شيءٍ مقدور.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾؛ الأَول: الذي ليس لوجوده بداية مُفْتَتَحَة، ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾: الذي ليس له نهاية منقضية.

---

(١) راجع معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٢١).

(٢) في المطبوع: «هيئتها».

(٣) صدره: بِجَمْعٍ تَضِلُّ الْبُلْقُ في حَجراتِهِ. وقد تقدم في تفسير الآية (٣٤) من (سورة البقرة).

(٤) في الحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية: «تحامل».

(٥) سقط من الأصل.

وقال أَبو بكر الوراق: هو الأَول بالأَزلية والآخر بالأَبدية، [وهو الأَول بالوجود؛ إِذ كُلُّ موجود فبعده وبه، والآخر إِذا ترقّى[١] العقل في الموجودات حتى يكون إِليه منتهاها[٢]، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]][٣].

و(الظَاهِرُ) معناه: بالأَدلة ونظر العقول في صنعته، و(البَاطِنُ) بلطفه وغوامض حكمته وباهر صفاته التي لا تصل إِلى معرفتها ـ على ما هي عليه ـ الأَوهام.

ويحتمل أَن يريد تعالى بقوله: (الظاهر) و(الباطن) الذي بهر ومَلَكَ فيما ظهر للعقول وفيما خفي عنها، فليس في الظاهر غيره حسب قيام الأَدلة، وليس في باطن الأَمر وفيما خفي عن النظرة[٤] ممَّا عَسَى أَن يُتوهم غيرُه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ عام في الأَشياءِ عموماً تامّاً.

وقد تقدم القول في خلق السماوات والأَرض، وأَكثر الناس على أَن بدأَة الخلق في يوم الأَحد، ووقع في «مسلم»: أَن البداية في يوم السبت[٥].

وقال بعض المفسرين: الأَيام الستة من أَيام القيامة، وقال الجمهور: بل من أَيام الدنيا.

قال القاضي أبو محمد: وهو الأَصوب.

و«الاستواءُ على العرش»: هو بالغلبة والقهر المستمرَّيْن بالقدرة، وليس ما في قهر العباد من المحاولة والتعب، وقد تقدم القول في مسأَلة الاستواءِ مستوعباً في (طه) وغيرها.

---

(١) في المطبوع: «نظر».

(٢) انظر ما نسبه لأبي بكر الوراق في تفسير الثعلبي (٩/ ٢٢٨).

(٣) سقط من نجيبويه ونور العثمانية والحمزوية، وسقط معه «والظاهر معناه بالأدلة» من أحمد٣.

(٤) في المطبوع والحمزوية: «على النظرة»، وفي نجيبويه: «عنها»، دون ذكر النظرة.

(٥) انظر (٢٧٨٩)، وقد تقدم الكلام في هذه المسألة مكرراً.

و﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: هو المطر والأَموات وغير ذلك، و(ما يَخْرُجُ مِنْها): هو النبات والمعادن وغير ذلك، و(ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ): الملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك، و(ما يَعرُجُ فيها): هو الأَعمال صالحها وسَيِّئُهَا والملائكة وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ معناه: بقدرته وعلمه وإِحاطته، [وهذه آية][1] أَجمعت الأُمة على هذا التأْويل فيها، وأَنها مخرجة عن معنى لفظها المعهود، ودخل في الإجماع من يقول بأَن [هذا أَمر][2] المُشْتبَه كله، ينبغي أَن يمر ويؤمن به ولا يُفسَّر، وقد أجمعوا على تأْويل هذه لبيان وجوب إِخراجها عن ظاهرها[3].

قال سفيان الثوري: المعنى: علْمُه معكم. وتأَوُّلهم[4] هذه حجة عليهم في غيرها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ خبر يعم جميع الموجودات.

و﴿ٱلْأُمُورُ﴾ هنا ليست جمع المصدر، بل هي جميع الموجودات؛ لأَن الأَمر والشيءَ والموجود أَسماءٌ شائعة في جميع الموجودات أَعراضها وجواهرها.

وقرأَ الجمهور: ﴿تُرْجَعُ﴾ بضم التاءِ.

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «وهدايته».

(٢) من المطبوع فقط، «والمشتبه» ليست في نجيبويه، وفي نور العثمانية: «المشيئة».

(٣) انظر الإجماع على ذلك في التمهيد (٧/ ١٣٩-١٤٢)، وأقاويل الثقات لابن مرعي (١/ ١٨٥).

(٤) في المطبوع ونجيبويه والحمزوية: «وتأويلهم»، وانظر قول الحسن في الهداية لمكي (١١/ ٧٣٠٧).

وقرأ الأَعرج، والحسن، وابن أَبي إسحاق: ﴿تَرْجِعُ﴾ بفتح التاءِ وكسر الجيم[١].

وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ الآية، تنبيه على العبرة فيما يتجاذبه الليل والنهار من الطُّول والقِصَر، وذلك متشعب مختلف حسب اختلاف الأَقطار والأزمان الأربعة، وذلك بحر من بحار الفكرة لمن تأَمله.

و﴿يُولِجُ﴾ معناه: يُدخل.

و(ذاتُ الصُّدُور): ما فيها من الأَسرار والمعتقدات وذلك أَغمض ما يكون، وهذا كما قالوا: الذِّئب مغبوطٌ بِذِي بطنه، وكما قال أَبو بكر الصديق رضي الله عنه: إِنما هو ذو بطن بنت خارجة[٢].

وقوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية؛ أَمْرٌ للمؤمنين بالثبوت على الإِيمان والنفقة في سبيل الله.

ويروى أَن هذه الآية نزلت في غزوة العُسْرة، وهي غزوة تبوك، قاله الضحاك، وقال: الإِشارة بقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ﴾ إِلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحكمها باقٍ يندب إِلى هذه الأَفعال بقية الدهر[٣].

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ﴾ تزهيدٌ وتنبيهٌ على أَن الأَموال إِنما تصير إِلى الإِنسان من غيره ويتركها لغيره، وليس له من ذلك إِلَّا ما تضمنه قول رسول الله ﷺ: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إِلَّا ما أَكلت فأَفنيت، أَو لَبستَ فأَبليت، أَو تصدقت فأَمضيت»[٤].

---

(١) هي سبعية كما مر، لابن عامر وحمزة والكسائي، وافقهم يعقوب وخلف، انظر التيسير (ص: ٨٠)، والنشر (٢/ ٢٣٨). و«الحسن» ليس في المطبوع، و«كسر الجيم» من الأسدية٣ وأحمد٣.

(٢) صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (١٤٣٨)، كما تقدم مكرراً.

(٣) انظر البحر المحيط (١٠/ ١٠١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٥٨) من حديث عبد الله بن الشخير، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويروى: أَن رجلاً مرَّ بأعرابي له إِبلٌ فقال له: يا أَعرابي، لمن هذه الإِبل؟ فقال: هي لله تعالى عندي. فهذا موفق[١] مصيب إِن كان ممن / صحب قولَه عملُه[٢]. [٥/ ١٧٩]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآية، توطئةٌ لدعائهم وإيجابٌ لأَنهم أهل هذه الرُّتب الرفيعة، فإِذا تقرر ذلك فلا مانع من الإِيمان، وهذا كما تريد أَن تندب رجلاً إِلى عطاءٍ فتقول له: أَنت يا فلان من قوم أَجوادٍ فينبغي أَن تُكْرِم، وهذا مُطَّرد في جميع الأُمور، إذا أَردتَ من أَحد فعلاً خَلَّقْته بخُلُق أَهل ذلك الفعل وجعلتَ له رتبتهم، فإِذا تقرر في هؤلاءِ أَن رسول الله ﷺ يدعو[٣]، وأَنهم مِمَّن أَخذ الله ميثاقهم، فكيف يمتنعون من الإِيمان؟

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وَقَدْ أَخَذَ﴾ [على بناءِ الفعل للفاعل.

وقرأَ أَبو عمرو: ﴿وَقَدْ أُخِذَ﴾] على بناءِ الفعل للمفعول[٤].

والآخذُ على كلِّ قول: هو الله تعالى، وهذا الأَخذ كان حين الإِخراج من ظهر آدم عليه السلام على ما مضى في غير هذه السُّورة، والمخاطبة ببناءِ الفعل للمفعول[٥] أَشد غِلَظاً على المخاطب، ونحوه قول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

وكما تقول لِامْرِئٍ: افعل ما[٦] قيل لك، فهو أَبلغ من قولك: افعل ما قلتُ لك.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قال الطبري: المعنى: إِن كنتم مؤمنين في حالٍ من الأَحوال فالآن[٧].

---

(١) في المطبوع: «موافق».
(٢) تفسير الثعالبي (٤/ ٢٦٢).
(٣) في الأسدية٣، والمطبوع: «يدعوهم».
(٤) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٨)، وما بين المعكوفتين سقط من نور العثمانية والحمزوية.
(٥) في الأسدية٣: «المجهول».
(٦) في الأصل: «كما».
(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٢)، بتصرف.

قال القاضي أبو محمد: وهذا معنى ليس في لفظ الآية وفيه إِضمار كثير، وإِنما المعنى عندي أَن قوله: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يقتضي أَن يُقَدَّر بأَثره: فأَنتم في رُتَب شريفة وأَقدار رفيعة إِن كنتم مؤمنين؛ أَي: إِذا دمتم على ما بدأْتُم به.

وقرأَ بعض السبعة: ﴿يُنَزِّلُ﴾ مثقَّلة.

وقرأَ بعضهم: ﴿يُنْزِلُ﴾ مخففة، وقرأَها الحسن وعيسى بالوجهين[1].

وقرأَ الأَعمش: (أَنْزَلَ)[2].

والعبد في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾ محمد رسوله ﷺ.

و«الآيَات» آيات القرآن، و﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر، و﴿ٱلنُّورِ﴾: الإِيمان.

وباقي[3] الآية وعْدٌ وتأْنيس مؤكد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

المعنى: وَما لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله وأَنتم تموتون وتتركون أَموالكم؟ فناب مناب هذا القول قوله: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وفيه زيادة تذكير بالله عزَّ وجلَّ وعبرة، وعنه يلزم القول الذي قدرناه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم﴾ الآية، رُوي أَنها نزلت بسبب أَن جماعة من الصحابة أَنفقت نفقات كثيرة حتى قال ناسٌ: هؤلاءِ أَعظم أَجراً من كلِّ من أَنفق قديماً،

---

(١) وهما سبعيتان، التخفيف لابن كثير وأبي عمرو على قاعدتهما، انظر التيسير (ص: ٧٥).

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ لابن مسعود (ص: ٤٦٤).

(٣) في المطبوع: «ما في».

فنزلت الآية مبينةً أن النفقة قبل الفتح أَعظم أَجراً[١]، وهذا التأْويل على أَن الآية نزلت بعد الفتح، وقد قيل: إِنها نزلت قبل الفتح تحريضاً على الإِنفاق، والأَول أَشهر.

وحكى الثعلبي: أَنها نزلت في أَبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفي نفقاته[٢].

وفي معناه قول النبي ﷺ لخالد بن الوليد رضي الله عنه: «اتركوا لي أَصحابي، فلو أَنفق أَحدكم مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[٣].

واختلف الناس في الفتح المشار إِليه في هذه الآية:

فقال أَبو سعيد الخدري، والشعبي: هو فتح الحديبية[٤]، وقد تقدم في سورة الفتح تقرير[٥] كونه فتحاً، ورفعَه أَبو سعيد رضي الله عنه إِلى النبي ﷺ: أَنَّ أَفضل ما بين الهجرتين فتح الحديبية[٦].

---

(١) انظر البحر المحيط (١٠/ ١٠٣).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٣٢).

(٣) متفق عليه بنحوه، أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه، واللفظ لمسلم قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه».

(٤) كأنه يعني ما أخرجه الطبري (٢٢/ ٣٩٤)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ١٢) من طريق عبد الله بن وهب، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم» فقلنا: من هم يا رسول الله، أقريش؟ قال: «لا ولكن أهل اليمن، هم أرق أفئدةً وألين قلوباً». فقلنا: أهم خير منا يا رسول الله؟ قال: «لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه، ما أدرك مُدّ أحدكم ولا نَصيفه، ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾»، وقول الشعبي في تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٥)، والثعلبي (٩/ ٢٣٢)، والماوردي (٥/ ٤٧١).

(٥) في المطبوع ونجيبويه: «تقدير».

(٦) بهذا اللفظ لم أقف عليه، وإنما جاء عن الشعبي كما عند الطبري (٢٢/ ٣٩٤): فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية.

وقال قتادة، ومجاهد، وزيد بن أَسلم: هو فتح مكة الذي أَزال الهجرة[(١)].

قال القاضي أبو محمد: وهذا هو المشهور الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونيَّة»[(٢)].

وقال له رجل بعد فتح مكة: أُبايعك على الهجرة، فقال رسول الله ﷺ: «إِن الهجرة قد ذهبت بما فيها، وإِن الهجرة لشأْنها شديد، ولكن أُبايعك على الجهاد»[(٣)].

وحكم الآية[(٤)] باق إِلى غابر الدهر، فمن أَنفق في وقت حاجة السبيل أَعظم أَجراً ممن أَنفق مع استغناءِ السبيل.

وأَكثر المفسرين على أَن قوله تعالى: ﴿يَسْتَوِي﴾ مسند إِلى ﴿مَّنْ﴾ وترك ذكر المعادل الذي لم يسْتَوِ معه؛ لأَن قوله تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ﴾ قد فَسَّره وبَيَّنه.

ويحتمل أَن يكون فاعل ﴿يَسْتَوِي﴾ محذوفاً تقديره: لا يستوي منكم الإِنفاقُ، ويؤيد ذلك أَن ذكره قد تقدم في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا﴾، ويكون قوله تعالى: ﴿مَّنْ أَنفَقَ﴾ ابتداءٌ وخبره الجملة الآتية بَعْدُ.

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾، بالنصب[(٥)] وهي الوجه؛ لِأَن «وَعَدَ» ليس يعوقه عائق عن أَن ينصب المفعول[(٦)] المقدم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٧١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) الذي وقفت عليه ما أخرجه البخاري (١٤٥٢) ومسلم (١٨٦٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن الهجرة؟ فقال: «ويحك إن شأن الهجرة لشديد فهل لك من إبل؟» قال: نعم. قال: «فهل تؤتي صدقتها؟ قال: نعم. قال: «فاعمل من وراء البحار فإن الله لن يَـتِرَكَ من عملك شيئاً».

(٤) في المطبوع: «الجهاد».

(٥) من الأسدية٣، وكذلك بالرفع، وفيها: «وهو».

(٦) في المطبوع والحمزوية: «الفعل».

وقرأ ابن عامر: ﴿وكُلٌّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى﴾ بالرفع[١].

فأَمَّا سيبويه رحمه الله تعالى فقدر الفعل خبراً لابتداءٍ، وفيه ضمير عائدٌ، وحذْفُهُ عنده قبيح لا يجري إِلَّا في الشعر ونحوه[٢]، ومنه قول الشاعر:

[الرجز] قَـدْ أَصْبَحـتْ أُمُّ الْخِيَـارِ تَدَّعِـي عـلَـيَّ ذَنْبـاً كُلُّـهُ لَـمْ أَصْنَـعِ[٣]

قال: ولكن حملوا الخبر على الصفات كقول جرير:

[الوافر] .... وَمَا شَـيْءٌ حَمَيْـتَ بِمُسْـتَبَاحِ[٤]

وعلى الصِّلات كقوله تعالى: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١][٥].

وذهب غير سيبويه إِلى أن ﴿وَعَدَ﴾ في موضع الصفة، كأَنه قال: أُولئك وكُلٌّ وعد الله الحسنى، وصاحبُ هذا المذهب حصل[٦] في هذا التَّعسُّف في المعنى فِراراً من حذف الضمير من خبر الابتداء.

و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنَّة، قاله مجاهد، وقتادة[٧]، والوعدُ يتضمن ما قبل الجنة من نصر وغنيمة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ قولٌ فيه وعْدٌ ووعيد.

وقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ الآية؛ قال بعض النحويين:

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٨).

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٣٥).

(٣) هذا الرجز قاله أبو النجم العجلي، كما تقدم في تفسير الآية (٥٠) من (سورة المائدة).

(٤) صدره: أَبَحْتَ حِمَى تِهَامَةَ بَعْدَ نَجْدٍ، عزاه له في الكتاب لسيبويه (١/ ٨٧)، والجمل (ص: ٦٦)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٣٣٢).

(٥) في المطبوع بدل هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤]، ولا شاهد فيها والله أعلم.

(٦) في المطبوع: «جعل».

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٧١).

﴿مَّن﴾ ابتداءٌ، و﴿ذَا﴾ خبره، و﴿ٱلَّذِى﴾ صفة.

وقال آخرون منهم: ﴿مَّن﴾ ابتداءٌ، و﴿ذَا﴾ زائدةٌ مع ﴿ٱلَّذِى﴾، و﴿ٱلَّذِى﴾ خبر الابتداءِ.

وقال الحسن: نزلت هذه الآية في التطوع في جميع أَمر الدين[١].

والْقَرْضُ والسَّلَفُ ونحوه: أن يعطي الإِنسان شيئاً وينتظر جزاءَه.

والتضعيف من الله تعالى هو في الحسنات، يضاعف الله لمن يشاءُ من عشرة إِلى سبع مئة، وقد ورد أَن التضعيف يربي[٢] على سبع مئة، وقد مرَّ ذكر ذلك في (سورة البقرة) بوجوهه من التأْويل.

وقرأَ أَبو عمرو، ونافع، وحمزة، والكسائي: ﴿فيُضَاعِفُهُ﴾ بالرفع على العطف، أَو على القطع / والاستئناف. [٥/ ١٨٠]

وقرأ عاصم، وابن عامر: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ بالنصب بالفاءِ في جواب الاستفهام[٣].

وفي ذلك قلقٌ، قال أَبو عليٍّ: لأَن السؤال لم يقع عن القرض، وإِنما وقع السؤال عن فاعل القرض، وإِنما تنصب الفاءُ فعلاً مردوداً على فعل مستفهم عنه، لكن هذه الفرقة حملت ذلك على المعنى، كأَن قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ﴾ بمنزلة أَن لو قال: أَيقرضُ اللهَ أَحدٌ فيضاعفَه[٤].

وقرأَ ابن كثير: ﴿فَيُضَعِّفُهُ﴾ مشددة العين مضمومة الفاءِ.

وقرأَ كذلك ابن عامر، إِلَّا أَنه فتح الفاءَ.

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١/ ٢٤٤) في آية البقرة.

(٢) في المطبوع: «يزيد».

(٣) وهما سبعيتان، إلا أن ابن كثير وابن عامر شددا العين وحذفا الألف، كما سيأتي، انظر السبعة (ص: ٦٢٥).

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٦٨).

و«الأَجْرُ الكَرِيم»: الذي يقترنُ به رضًى وإِقبال، وهذا معنى الدعاءِ: يا كريم العفو، أَي: أَنَّ مع عفوه رضًى وتنعيماً[١]، وعفو البشر ليس كذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾.

العامل في ﴿يَوْمَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

والرُّؤْية في هذه الآية رؤْية عين.

و«النُّورُ»، قال الضحاك بن مزاحم: هي استعارة، عبارة عن الهدى والرضوان[٢] الذي هم فيه [وهدايتُهم الناس إلى الحق وصدقُهم في الأفعال والأَقوال[٣].

وقيل: تَتَبُّعهم الرشاد واعتقادُهم به واقتصاصُهم آثاره وعلاماته وأَنواره][٤].

وقال الجمهور: بل هو نور حقيقة، ورُوي في هذا عن ابن عباس وغيره آثار مضمنها: أَن كل مؤمن مُظهر للإِيمان يُعطى يوم القيامة نوراً، فَيُطْفَى نور كل منافق ويبقى نور كل[٥] المؤمنين، حتى إِن منهم مَنْ نوره يضيءُ كما بين مكة وصنعاءَ، رفعه قتادة إِلى النبي ﷺ[٦].

---

(١) في المطبوع: «مغنماً».

(٢) في المطبوع ونور العثمانية: «الحق».

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٧٩)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١٣٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٧٣).

(٤) ليس في الأصل ونجيبويه وأحمد٣، وتوجد بعد قوله: «وأنواره» عبارة مكررة في المطبوع ونور العثمانية، وهي: «وقيل: هي استعارة، عبارة عن الهدى والرضوان الذي هم فيه».

(٥) «كل» من نجيبويه.

(٦) مرسل، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٥) من طريق معمر، والطبري (٢٣/ ١٧٨) =

ومنهم من نوره كالنخلة السَّحُوق، ومنهم من نوره يضيءُ ما يقرب من قدميه، قاله ابن مسعود[١] رضي الله عنه، ومنهم من يهم نوره[٢] بالانطفاءِ مرَّةً ويَبينُ مرَّةً، على قدر المنازل في الطاعة والمعصية، وخص تعالى «بين الأيدي» بالذِّكر[٣]؛ لأنه موضع حاجة الإنسان إلى النور.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾:

فقال بعض المتأولين: المعنى: وعن أيمانهم، فكأنه تعالى خصَّ جهة اليمين تشريفاً، وناب ذلك مناب أن يقول: وفي جميع جهاتهم.

وقال آخرون منهم: المعنى: وبأيمانهم كتبُهم بالرحمة.

وقال جمهور المفسرين: المعنى: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾، يريد تعالى الضوءَ المنبسط من أَصل[٤] النور، ﴿وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ أَصْلُه، والشيءُ الذي هو مُتَّقد فيه.

قال القاضي أبو محمد: فمُضَمَّن هذا القول أنهم يحملون الأنوار، وكونُهم غير حاملين[٥] أكرم، ألا ترى أن فضيلة عَبَّاد بن بشر، وأُسَيْد بن حُضَيْر إنما كانت بنور لا يحملانه؟[٦]، هذا في الدنيا فكيف في الآخرة؟ ومن هذه الآية انتزع حمل المُعْتَق للشمعة.

= من طريق سعيد بن بشير، ومعمر كلاهما عن قتادة مرسلاً، وانظر الدر المنثور (١٤/ ٢٦٦-٢٦٧).

(١) إسناده فيه لين بنحوه، أثر ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٧٠٠) عن عبد الله ابن إدريس، والطبري (٢٣/ ١٧٩) من طريق ابن إدريس، عن أبيه، عن المنهال بن عمرو، عن قيس ابن السكن، عن عبد الله بن مسعود قال: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم منهم من نوره مثل الجبل وأدناهم نورا من نوره على إبهامه يطفىء مرة ويقد أخرى، ومن طريق ابن أبي شيبة أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٩).

(٢) ليست في الأصل ونور العثمانية.

(٣) «بالذكر» ليست في المطبوع وأحمد٣.

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «أهل».

(٥) زاد في المطبوع: «لها»، قال في الحاشية لتوضيح المعنى.

(٦) أخرجه البخاري (٣٨٠٥).

وقرأ الناسُ: ﴿وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ جمع يمين.

وقرأ سهل بن سعد، وأبو حيوة: (وَبِإِيمَانِهِمْ) بكسر الألف[١]، وهو معطوف على قوله تعالى: ﴿بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾، كأنه تعالى قال: كائناً[٢] بين أيديهم وكائناً بسبب إيمانهم.

وقوله تعالى: ﴿بُشۡرَىٰكُمُ﴾ معناه: يقال لهم: بُشْراكم جنات؛ أي: دخولُ جنات، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ إلى آخر الآية مخاطبة لمحمد ﷺ.

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) بدون (هو)[٣].

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ﴾، قال بعض النحاة: ﴿يَوۡمَ﴾ بدلٌ من الأول، وقال آخرون منهم: العاملُ فيه مضمر تقديره: اذكر.

قال القاضي أبو محمد: ويظهر لي أن العامل فيه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾، ويجيءُ معنى الفوز أفخم، كأنه تعالى يقول: إن المؤمنين يفوزون بالرحمة يوم يعتري المنافقين كذا وكذا؛ [لأن ظهور المرءِ يوم خمول عدوه ومضادِّه أبدع وأفخم][٤].

وقولُ المنافقين هذه المقالة المحكية هو عند انطفاءِ أنوارهم كما ذكرنا قبل.

وقولهم: ﴿ٱنظُرُونَا﴾ معناه: انتظرونا، ومنه قول الحطيئة:

[البسيط]

وَقَدْ نَظَرْتُكُمُ إيناء عاشية ... لِلْخِمْسِ طَالَ بِهَا حَبْسِي وتِبْسَاسِي[٥]

---

(١) وهي شاذة، انظر تفسير الثعلبي (٩/ ٢٣٧)، وسماه الكرماني في الشواذ (ص: ٤٦٤) سهل بن شعيب النهمي.

(٢) في المطبوع: «كافياً».

(٣) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٣)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ٣٥٧).

(٤) سقط من نجيبويه.

(٥) تقدم في تفسير الآية (٤٤) من (سورة النساء)، وفي الأصل: «إنباء غاشية»، والأسدية٤: «أبناء عايشة»، وسيأتي في (سورة القيامة).

وقرأ حمزة وحده، وابن وثاب، وطلحة، والأعمش: ﴿أَنْظِرونَا﴾ بقطع الألف وكسر الظاءِ، على وزن أَكْرِم[١]، ومنه قول عمرو بن كُلثوم:

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينَا[٢] [الوافر]

ومعناه: أَخِّرونا، ومنه: النَّظِرةُ إِلى مَيْسَرَة، وقول النبي ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً» الحديث[٣].

ومعنى قولهم «أَخِّرونا»: أَخِّروا مشيكم لنا حتى نلحق فنقتبس من نوركم.

واقْتَبَسَ الرَّجُلُ واسْتَقْبَسَ: أَخذ من نور غيره قبساً.

وقوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ﴾ يحتمل أَن يكون من قول المؤمنين.

ويحتمل أَن يكون من قول الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿وَرَآءَكُمْ﴾ حكى المهدوي وغيره من المفسِّرين: أَنه لا موضع له من الإِعراب، وأَنه كما لو قال: ارجعوا ارجعوا، وأَنه على نحو قول أَبي الأَسود الدؤلي للسائل[٤]: وراءَك أَوسع لك[٥].

قال القاضي أبو محمد: ولستُ أَعرف مانعاً يمنع أَن يكون العامل فيه ﴿ٱرْجِعُواْ﴾.

والقول لهم: ﴿فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾ هو على معنى التوبيخ لهم؛ أَي: أَنكم لا تجدونه.

---

(١) وهي سبعية انظر التيسير (ص: ٢٠٨)، وانظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٣)، وتفسير الثعلبي (١/ ٢٢٣٤).

(٢) من معلقته، انظر عزوه له في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٢٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٨٠)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١٨١)، وشرح المعلقات التسع (ص: ٣١٦)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٦٥)، وأبو هند: عَمْرُو بن المنذر.

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٠٦) من حديث عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت وفيه: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله».

(٤) «للسائل» من نجيبويه ونور العثمانية.

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري (١١/ ١١٥)، وانظر البيان والتبيين (٢/ ١٠١)، والفاخر (ص: ٣٠١)، وانظر التحصيل للمهدوي (٦/ ٦٤٣).

ثم أَعلم عزَّ وجلَّ أَنه يضرب بينهم في هذه الحال بسور حاجز، فيبقى[١] المنافقون في ظلمة، ويأْخذهم العذاب من الله تعالى.

وحكي عن ابن زيد: أَن هذا السور هو الأَعراف المذكور في سورة الأَعراف، وقد حكاه المهدوي[٢].

وقيل: هو حاجز آخر غير ذلك، وقال عبد الله بن عمرو، وكعب الأحبار، وعُبادة ابن الصامت، وابن عباس: هو الجدار الشرقي في مسجد بيت المقدس[٣].

وقال زياد بن أَبي سوادة: قام عُبادة بن الصامت على السور الشرقي من بيت المقدس فبكى وقال: مِنْ هاهنا أَخبرنا النبي ﷺ أَنه رأَى جهنم[٤].

---

(١) في المطبوع: «فيسعى».

(٢) قول ابن زيد في: تفسير الطبري (٢٣/ ١٨٣)، وانظر التحصيل للمهدوي (٦/ ٣٣٧).

(٣) لا تصح هذه الآثار، والصحيح بخلافها، أثر عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٣) والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠١) من طريق سعيد بن عبد العزيز، عن عطية بن قيس، عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إن السُّوْرَ الذي ذَكَرَهُ الله في القرآنِ: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾؛ هو السور الشرقي: «يعني: مسجدَ بيتِ المقدس»؛ باطنُه المسجد، وظاهره وادي جهنم. وأبو العوام سادن بيت المقدس ترجم له البخاري في «التاريخ الكبير» (٩/ ٦٠) وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩/ ٤١٥)، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وابن حبان في «الثقات» (٥/ ٥٦٤)، وأما أثر عبادة بن الصامت فسيأتي تخريجه، وأما أثر عبد الله ابن عباس فقد أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٣) من طريق أبي سنان، قال: كنت مع علي بن عبد الله ابن عباس، فحدث عن أبيه أنه قال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾، فقال: هذا موضع السور عند وادي جهنم، وأبو سنان عيسى بن سنان القسملي الشامي الفلسطيني ضعيف.

(٤) ضعيف، أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٩) من طريق ضمرة بن ربيعة، عن محمد بن ميمون، عن بلال بن عبد الله مؤذن بيت المقدس عن عبادة، بنحوه، ومحمد بن ميمون هذا مجهول كما قال أبو حاتم، وقال الألباني في الضعيفة (ح ٥٦٦٣): منكر، وآخره باطل؛ لأنه ما اجتمع عبادة برسول الله هناك، ثم من هو ابن ميمون وشيخه؟ وبالجملة؛ فهذه الأحاديث مع ضعف أسانيدها منكرة من حيث متونها؛ لمخالفتها لما قبل الآية المذكورة وما بعدها، فهذا السياق صريح بأن =

قال القاضي أَبو محمد: وفيه باب يسمى باب الرحمة، سمَّاه في تفسير هذه الآية عُبادة وكعبٌ[١]، وفي الشرق من الجدار المذكور وادٍ يقال له: وادي جهنم، سمَّاه في تفسير هذه الآية عبد الله بن عمرو[٢]، وابنُ عباس. وهذا القول في السور بعيد، والله تعالى أَعلم.

[٥/ ١٨١] / وقال قتادة، وابن زيد: الرحمةُ الجنةُ، والعذابُ جهنمُ[٣].

والسُّور في اللغة الحجى[٤] الذي للمدن وهو مذكر[٥].

والسُّور أَيضاً جمع سُورة، وهي القطعة من البناءِ فيضاف بعضها إِلى بعض حتى يتم الجدار، فهذا اسم جمع يسوغ تذكيره وتأْنيثه، وهذا الجمع هو الذي أَراد جرير في قوله:

[الكامل]
لمَّـا أَتَـى خَبَـرُ الزُّبَيْـرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ المَدينةِ وَالجِبَالُ الخُشَّعُ[٦]

وذلك أَن المدينة لم يكن لها قط حجًى، وأَيضاً فإِن وصفَهُ أَنَّ جميع ما في المدينة من بناءٍ تواضَعَ أَبْلغُ، ومَنْ رَأَى أَنه قصد قصْدَ[٧] السُّور الذي هو الحِجَى قال: إِن ذلك إِذا تواضع، فغيره من المباني أَحرى بالتواضع.

= ضرب السور إنما هو يوم القيامة. وأن السور حائط بين الجنة والنار؛ كما رواه ابن جرير عن قتادة وغيره، وهو الصحيح؛ كما قال ابن كثير. اهـ.

(١) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ١٨٣) من طريق محمد بن رديح بن عطية، عن سعيد بن عبد العزيز، عن أبي العوام، عن عبادة بن الصامت قال: ﴿بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾. قال: هذا باب الرحمة. ومحمد بن رديح لم أقف له على ترجمة، وأبو العوام سادن بيت المقدس ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٩/ ٦٠) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٩/ ٤١٥) ولم يذْكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وابن حبان في الثقات (٥/ ٥٦٤).

(٢) تقدم التعليق على قولهما، وفي بعض النسخ: «عبد الله بن عمر» في الموضعين.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٨٤).

(٤) في أحمد٣ والمطبوع: «الحجاب»، وأشار في الحاشية إلى النسخة الأخرى.

(٥) في الأصل: «مذكور».

(٦) تقدم في تفسير الآية (٩٠) من (سورة مريم).

(٧) «قصْد» الثانية ليست في المطبوع وأحمد٣، وفيه «الحجر» بدل «الحجاب»، وفي نجيبويه: «قصر».

قال القاضي أبو محمد: فإذا كان السُّور في البيت يحتمل الوجهين فليس هو في قوة مَرِّ الرياح، وصدر القناة، وغير ذلك مما هو مذكَّر محْضٌ استفاد التأْنيث مما أُضيف إِليه.

قوله تعالى: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾، أَي: جهة المؤمنين، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ أَي: جهة المنافقين، والظاهر هنا البادي، ومنه قول الكتاب: من ظاهر مدينة كذا.

وقوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمۡ﴾ معناه: ينادي المنافقون المؤمنين: أَلم نكن معكم في الدنيا؟ فيرد المؤمنون عليهم: بل كنتم معنا ولكنكم عرضتم أَنفسكم للفتنة وهو حُبُّ العاجل والقتال عليه، قال مجاهد: فَتَنْتُمْ أَنفسكم بالنفاق.

و(تَرَبَّصْتُمْ) معناه هنا: بإِيمانكم، فأَبطأْتم به حتى مُتُّم.

وقال قتادة: معناه: تَرَبَّصْتُمْ بنَا وبمحمد ﷺ الدوائر، وشككتم في أَمر الله تعالى[1].

و«الارتيابُ»: التَّشكُّك، و«الأَماني التي غرَّتهم»: هي قولهم: سيهلك محمد هذا العام، ستهزمه قريش، ستأْخذه الأَحزابُ، إِلى غير ذلك من أمانيهم، وطولُ الأمل غرَّارٌ لكل أَحد، و«أَمْر الله الذي جاءَ»: هو الفتحُ وظهور الإِسلام، وقيل: هو موت المنافقين وموافاتهم على هذه الحالة الموجبة للعذاب.

و﴿ٱلۡغَرُورُ﴾: الشيطان بإِجماع من المتأَولين.

وقرأَ سماكُ بن حرب بضم الغين، وأَبو حيوة[2].

وينبغي لكل مؤمن أَن يعتبر هذه الآية في نفسه وتسويفه في توبته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٥ ۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝١٧﴾.

---

(١) انظره مع قول مجاهد في تفسير الطبري (٢٣/ ١٨٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٧٦) بتصرف.

(٢) وهي شاذة، تقدم الإشارة لها، وانظر المحتسب (٢/ ٣١٠).

قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾ استمرارٌ في مخاطبة المنافقين، قاله قتادة وغيره[(١)].

وروي في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حديثٌ؛ وهو: أن الله تعالى يُقَرِّر الكافر فيقول له: «أرأيتك لو كان لك أَضعاف الدنيا أَكنتَ تفتدي بجميع ذلك من عذاب النار؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول الله تعالى: قد سأَلتك ما هو أَيْسر من ذلك وأَنت في صلب أَبيك آدم، لا تشرك بي، فأبيت إِلَّا الشِّرك»[(٢)].

وقرأَ جمهور القراءِ والناس: ﴿يُؤْخَذُ﴾ بالياءِ من تحت.

وقرأَ أَبو جعفر القارئ: ﴿تُؤْخَذُ﴾ بالتاءِ من فوق، وهي قراءَة ابن عامر في رواية هشام عنه، وهي قراءَة الحسن، وابن أَبي إِسحاق، والأَعرج[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾، قال المفسرون: معناه: هي أَولى بكم، وهذا تفسير بالمعنى، وإِنما هي استعارة لأَنها من حيث تضُمُّهُمْ وتباشرهم هي تُوَالِيهِم وتكون لهم مكان المولى، وهذا نحو قول الشاعر:

.... تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[(٤)] [الوافر]

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ الآية ابتداءُ معنى مستأْنف، وروي أنه كثُر المزاح والضحك في بعض تلك المدة في قوم من شبان المسلمين، فنزلت هذه الآية[(٥)].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٨٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٣٣٤) ومسلم (٢٨٠٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) سبعيتان، الثانية لابن عامر بكماله، كما في التيسير (ص: ٢٠٨)، والنشر (٢/ ٤٢٤)، والأولى لابن ذكوان في السبعة (ص: ٦٢٦).

(٤) البيت لعمرو بن معد يكرب، وصدره: وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ، وقد تقدم في تفسير الآية (٢٠٦) من (سورة البقرة).

(٥) معضل، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٨٦٥) عن محمد بن عبد الله الأسدي، عن عبد العزيز بن أبي رواد: أن أصحاب النبي ﷺ ظهر فيهم المزاح والضحك، فأنزل الله تعالى الآية. وعبد العزيز بن أبي رواد المكي من كبار أتباع التابعين، وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها عند ابن مردويه كما في الدر المنثور (١٤/ ٢٧٦).

وقال ابن مسعود: ملَّ الصحابة ملَّةً، فنزلت الآية[١].

ومعنى ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ﴾: أَلَمْ يَحِنْ، ويقال: آن الشيءُ يأني: إذا حان، ومنه قول الشاعر:

[الوافر] تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ أَنَى وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامُ[٢]

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن: (أَلَمَّا يَأنِ)، ورُوي عنه أنه قرأ: (أَلَمْ يَئِن)[٣].

وهذه الآية على معنى الحضِّ والتقريع، قال ابن عباس: عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن[٤].

وسمع الفضل بن موسى[٥] قارئاً يقرأُ هذه الآية والفضلُ يحاول معصية، فكانت الآيةُ سبب توبته.

وحكى الثعلبي عن ابن المبارك أَنه في صباه وقد حرَّك العود ليضربه، [فإِذا به قد نطق بهذه الآية، فتاب ابن المبارك وكسر][٦] العود، وجاءَه التوفيق[٧].

---

(١) ضعيف منقطع، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٣٢٥) من طريق سفيان، عن المسعودي، عن القاسم قال: مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ ثم ملوا ملة. فقالوا: يا رسول الله: حدثنا فنزلت: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ ثم ملوا ملة، فقالوا: حدثنا يا رسول الله فأنزل الله: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

(٢) قد تقدم في تفسير الآية (٥٣) من (سورة الأحزاب)، وتمخَّض: تحرَّك وتهيَّأ، والمنون: المنية وأَنَى: حان.

(٣) وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ٣١١)، والثانية في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٣٥٩).

(٤) منقطع، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٨/ ١٩) من طريق قتادة، عن ابن عباس أنه قال: إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن، فقال: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، وهو منقطع؛ لعدم سماع قتادة من ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) هو الفضل بن موسى أبو عبد الله السيناني المروزي، أحد الأئمة الأعلام، رحل وسمع من هشام ابن عروة، وآخرين، وعنه: إسحاق بن راهويه، وطائفة، قال وكيع: أعرفه ثقة، صاحب سنة، توفي سنة ١٩٢هـ. تاريخ الإسلام (١٣/ ٣٣٨).

(٦) في الأسدية٣: «وسمعت ناطقاً بهذه الآية فكسرت»، ولفظة «قد» من الأسدية٣.

(٧) انظره مع قول الفضل بن موسى في تفسير الثعلبي (٩/ ٢٤٢) بتصرف.

و«الخُشوعُ»: الإِخباتُ والتَّطامن، وهي هيئة تظهر في الجوارح متى كانت في القلب، فلذلك خصَّ تعالى القلب بالذكر، وروى شداد بن أَوس[1] عن النبي ﷺ أَنه قال: «أَول ما يرفع من الناس الخشوعُ»[2].

وقوله تعالى: ﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أَي: لأَجل ذكر الله ووحيه الذي بين أَظهرهم، ويحتمل أَن يكون المعنى: لأَجل تذكير الله تعالى إِيَّاهم وأَمره فيهم.

وقرأ عاصم في رواية حفص ونافع: ﴿وَمَا نَزَلَ﴾ مُخَفَّفَ الزاي، وقرأَ الباقون، وأَبو بكر عن عاصم: ﴿وَمَا نَزَّلَ﴾ بتشديد الزاي[3]، على معنى: نَزَّلَ الله من الحق.

---

(١) هو شدّاد بن أوس بن ثابت الخزرجيّ، عمه حسّان شهد أبوه بدراً، واستشهد بأحد، ويقال شهد شدّاد بدراً، روى عنه ابناه يعلى ومحمد، ومحمود بن الربيع، وكان من الذين أوتوا العلم والحلم، توفي سنة ٥٨هـ. الإصابة (٣/ ٢٥٨).

(٢) له طرق لا تسلم من مقال أو علة، منها ما أخرجه الطبراني في الكبير (٧١٨٣) من طريق عمران القطان، وفي مسند الشاميين (٢٦٣٧) من طريق سعيد بن بشير، كلاهما عن قتادة، عن الحسن، عن شداد بن أوس به، ولا يتبين سماع قتادة ولا الحسن، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٤٣٤)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٤٠) من طريق يزيد بن هارون، عن حسام المصك، عن الحسن به. وحسام ضعيف يكاد أن يترك، وأخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٦)، والنسائي في الكبرى (٥٨٧٨)، وابن حبان في صحيحه (٤٥٧٢-٦٧٢٠)، والطبراني في الكبير (٧٥)، وفي الأوائل (٨١)، والحاكم في مستدركه (١/ ٩٩)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٣٨-٢٤٧) من طريق إبراهيم ابن أبي عبلة، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي، عن جبير بن نفير، عن عوف بن مالك الأشجعي بنحوه مرفوعاً، وأخرجه الترمذي (٢٦٥٣)، والحاكم في مستدركه (١/ ٩٩) من طريق: عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء به بنحوه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن عبد الرحمن بن جبير ابن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ. اهـ، والطبراني في الشاميين (٢/ ٤٠٠) من طريق: عاصم ابن علي ثنا فرج بن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي الدرداء مرفوعاً، وهذا ضعيف مرسل، وأخرج الدارقطني في الفوائد الأفراد (٤٩) من طريق: ابن المبارك، عن سفيان، عن يحيى ابن عبيد الله، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «أول ما يرفع عن هذه الأمة الخشوع»، وقال عقبه: هذا حديث غريب من حديث الثوري عن يحيى بن عبيدالله، ما كتبته إلا عنه. اهـ.

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٨)، و«نافع» ليس في المطبوع.

وقرأَ أَبو عمرو في رواية عبَّاس ـ وهي قراءَة الجحدري، وابن القعقاع ـ: (وَمَا نُزِّلَ) بكسر الزَّاي وشدِّها[١].

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، والأَعرج، وأَبو جعفر: ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ بالياءِ على ذكر الغائب.

وقرأَ حمزة فيما روى عنه سليم: ﴿ولا تكونوا﴾ بالتاء[٢] على مخاطبة الحضور.

والإِشارة في قوله تعالى: ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ إِلى بني إِسرائيل المعاصرين لموسى عليه السلام، ولذلك قال: ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾، وإِنما شَبَّهَ أَهل عصر نَبيٍّ بأَهل عصر نَبيٍّ آخر[٣].

و﴿الْأَمَدُ﴾ قيل: معناه انتظار الفتح، وقيل: انتظار القيامة، وقيل: أَمد الحياة.

و(قَسَتْ) معناه: صلبت وقَلَّ خيرها وانفعالها للطَّاعات وسكنت إِلى معاصي الله تعالى، ففعلوا من العصيان والمخالفة ما هو مأْثور عنهم.

وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الآية مخاطبةٌ لهؤلاءِ المؤمنين الذين ندبوا إِلى الخشوع، وهذا ضَرْب مَثَل واستدعاءٌ إِلى الخير برفق وتقريب بليغ؛ أَي: لا يبعد عنكم أَيها التاركون للخشوع / رجوعكم إِليه وتلبُّسكم به، فإِن الله يُحيي الأَرض بعد موتها، وكذلك يفعل بالقلوب، ويردُّها إِلى الخشوع بَعْد بُعْدها عنه، وترجع هي إِليه إِذا وقعت الإِنابة والتكسُّب من العبد بعد نفورها منه كما يحيي الأَرض بعد أَن كانت ميِّتَةً غبراءَ. وباقي الآية بيِّن جدّاً. [٥/ ١٨٢]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظرها في السبعة (ص: ٦٢٦)، وفي المطبوع: «عيَّاش».

(٢) الأولى للجماعة والثانية عشرية لرويس انظر النشر (٢/ ٣٨٤)، والبحر والمحيط (١٠/ ١٠٨). وفي المطبوع: «سليمان».

(٣) «آخر» من المطبوع.

قرأ جمهور القراءِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ بتشديد الصَّاد المفتوحة، على معنى المتصدِّقين.

وكذا هي في مصحف أُبيّ بن كعب: (إِنَّ الْمُتَصَدِّقِينَ) بالتَّاءِ[١]، وهو يؤيد هذه القراءَة.

وأيضاً فيجيءُ قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ملائماً في الكلام للصدقة.

وقرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: ﴿إِنَّ المُصَدِّقِين﴾ بتخفيف الصاد[٢]، على معنى: الذين صَدَّقوا رسول الله ﷺ فيما بَلَّغ عن الله تعالى، وآمنوا به، ويؤيد هذه القراءَة أَنها أَكثر تناوُلاً للأُمَّة؛ لأَن كثيراً ممَّن لا يتصدَّق يعمه اللفظ[٣] في التصديق، ثم إِن تقييدها بقوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُواْ﴾ يردُّ مقصد القراءَتين بعضه من بعض.

وقوله تعالى: ﴿أَقْرَضُوا﴾ معطوف على المعنى؛ لأَن معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ﴾: إِن الذين تَصَدَّقُوا، ولا يصحُّ هنا عطفٌ لفظيٌّ، قاله أَبو علي في «الحُجَّة»[٤].

وقد تقدَّم معنى القَرْض، ومعنى المُضاعفة التي وعَدَ اللهُ تعالى بها هذه الأُمَّة، وتقدَّم معنى وصف الأَجْر بالكرم، كل ذلك في هذه السُّورة.

قال القاضي أبو محمد: ويؤيد عندي قراءَة من قرأ: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ بشدِّ الصاد: أَن الله تعالى حضَّ في هذه الآية[٥] على الإِنفاق في سبيل الله، ثم ذكر في هذه أَهل الصَّدقة ووعدهم، ثم ذكر أَهل الإِيمان والتصديق في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾.

وعلى قراءَة من قرأَ: ﴿إِنَّ المُصَدِّقِين﴾ بتخفيف الصَّاد فَذِكْرُ المؤمنين مكرر في اللفظ، وكون الأَصناف مفردة بأَحكامها من الوعد أَبْيَن، والإِيمان بمحمد ﷺ يقتضي

---

(١) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٥).

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٨).

(٣) في الأسدية٣، والمطبوع: «تعمه اللفظة».

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٧٥).

(٥) في الأسدية٣، والأسدية٤، والمطبوع: «السورة».

الإِيمان بجميع الرُّسل عليهم السلام، فلذلك قال تعالى: ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾.

و﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ بناءُ مبالغة من الصدق، أَو من التصديق على ما ذكر الزجاج[(١)].

و«فِعِّيل» لا يكون ـ فيما أَحفظه ـ إِلَّا من فعل ثلاثي، وقد أشار بعض الناس إلى أَنه يجيءُ من غير الثلاثي، وقال: مِسِّيكٌ مِنْ أَمْسَكَ. وأَقول إِنه يقال: مَسَكَ الرجلُ، وقد حُكي: مَسَكَ الشيءَ، وفيه نظر.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ اختلف الناسُ في تأْويل ذلك:

فقال ابن مسعود[(٢)]، ومجاهد، وجماعة: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ معطوف على قوله تعالى: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ والكلام متصل[(٣)]، ثم اختلفت هذه الفرقة في معنى هذا الاتصال، فقال بعضها: وصف الله تعالى المؤمنين بأَنهم صِدِّيقون وشهداءُ، فكلُّ مؤمن شهيدٌ، قاله مجاهد.

وروى البراءُ بن عازب: أَن النبي ﷺ قال: «مُؤْمِنُو أُمَّتي شهداء»، وتلا رسول الله ﷺ هذه الآية[(٤)]، وإِنما خصَّ رسول الله ﷺ ذكر الشهداءِ السبعة[(٥)] تشريفاً، ولِأَنهم في أَعلى

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٢٦).

(٢) لعله يعني ما أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٩٢) من طريق شعبة، عن أبي قيس عبد الرحمن بن ثروان، عن هزيل بن شرحبيل الأودي قال: قال: ذكروا الشهداء، فقال عبد الله: الرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، والرجل يقاتل للدنيا، والرجل يقاتل للسمعة، والرجل يقاتل للمغنم، قال شعبة شيئاً هذا معناه: والرجل يقاتل يريد وجه الله، والرجل يموت على فراشه وهو شهيد، وقرأ عبد الله هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾. وليس بواضح.

(٣) راجع: تفسير الطبري (٢٣/ ١٩٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٤٤).

(٤) باطل، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٩٢) من طريق إسماعيل بن يحيى الشيباني، عن محمد ابن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن البراء بن عازب به. وإسماعيل بن يحيى الشيباني متهم بالكذب.

(٥) صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (٦٢٩)، وأحمد (٥/ ٤٤٦) عن روح، وأبو داود (٣١١١) عن القعنبي، والنسائي في الكبرى (١٩٨٥) عن عتبة بن عبد الله بن عتبة، وفي (٧٤٥٥-٧٤٨٧) عن عتبة بن عبد الله والحارث بن مسكين جميعاً عن مالك، عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك، أن عتيك بن الحارث، وهو جد عبد الله بن عبد الله أبو أمه أخبره: أنَّ النبي ﷺ... قال: «الشَّهادة سبع سوى القتل في سبيل الله عزَّ وجلَّ: المطعون شهيد، والمبطون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب =

رتب الشهادة، أَلا ترى أَن المقتول في سبيل الله مخصوص أَيضاً من السبعة بتشريف ينفرد به.

وقال بعضها: وصف الله تعالى المؤمنين بأَنهم صِدِّيقون وشُهداءُ، لكن من معنى الشاهد لا من معنى الشهيد، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]، فكأَنه تبارك وتعالى قال في هذه الآية: هم أَهل الصِّدق والشَّهادة على الأُمم عند ربِّهم.

وقال ابن عباس، ومسروق، والضحاك: الكلام تام في قوله تعالى: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ ابتداءٌ مستأْنف(١).

ثم اختلفت هذه الفرقة في معنى الاستئناف:

فقال بعضها: معنى الآية: والشهداءُ بأنهم صِدِّيقون حاضرون عند ربِّهم، وعنى بالشُّهَدَاءِ الأَنبياءَ عليهم السلام، فكأَن الأنبياءَ عليهم السلام يشهدون للمؤمنين بأَنهم صِدِّيقون.

وهذا يفسِّره قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وقال بعضها: قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ ابتداءٌ يريد به الشهداءَ في سبيل الله، واستأْنف الخبر عنهم بأَنهم عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ، فكأَنه تعالى جعلهم صنفاً مذكوراً وحده، وفي الحديث: «إنَّ أَهل الجنة العُلْيا ليراهم مَنْ دونهم كما ترون الكوكب الدُّرِّيَّ، وإِن أَبا بكر وعمر منهم، وأَنعما»(٢).

= الهدم شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، وصاحب الحرق شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة»، وفي الباب عن عبادة بن الصامت، وأبي هريرة.

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٩١) من طريق العوفي، عن ابن عباس قال: هذه مفصولة. ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

(٢) لا يصح، وهو في الصحيحين بنحوه دون ذكر أبي بكر وعمر، أخرجه باللفظ الذي أورده المصنف =

وقوله تعالى: ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ﴾ خبر عن الشهداءِ فقط على الأَخير من الأَقوال، وهو خبر عن المؤمنين المذكورين في أَول الآية على الأَقوال الثلاثة الأُول.

وقوله تعالى: ﴿وَنُورُهُمۡ﴾ قال جمهور المفسرين هو حقيقة حسب ما رُوي مما تقدم ذكره في هذه السورة، وقال مجاهد وغيره: هو مجاز عبارة عن الهدى والكرامة والبشرى التي حصلوا فيها[1].

ولما فرغ ذكر المؤمنين وأهل الكرامة، عقب ذكر الكفرة المكذبين ليبين الفرق، فذكرهم تعالى بأنهم أَصْحابُ الْجَحِيمِ وسكانه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾.

= الحميدي في مسنده (٧٥٥)، وأحمد (٣/ ٢٧-٥٠-٦١-٧٢-٩٣-٩٨)، وفي فضائل الصحابة (١٣١، ١٦٨-١٦٩-٢١٢-٥٥٩-٥٦٨-٥٦٩)، وعبد بن حميد (٨٨٧)، وأبو داود (٣٩٨٧)، وابن ماجه (٩٦)، والترمذي (٣٦٥٨)، وأبو يعلى (١١٣٠-١٢٧٨)، والطبراني في الأوسط (٣٤٢٧-٧٣٤٠-٩٤٨٨)، وفي الصغير (٣٥٣) وغيرهم من طرق عن عطية بن سعيد العوفي، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً به، بنحوه وفي بعض الروايات زيادة، وعطية العوفي ضعيف، وأخرجه أحمد (٣/ ٢٦-٦١)، وفي فضائل الصحابة (١٦٥-١٦٨)، وعلي بن الجعد في مسنده (٢٠٢٨) من طريق مجالد بن سعيد الهمداني، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد به بنحوه، ومجالد بن سعيد الهمداني ضعيف، وله شاهد أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٣١٤)، والطبراني في الكبير (٢٠٦٥)، وابن عدي في الكامل (٤/ ٨٤) من طريق صباح بن سهل الواسطي، عن حصين بن عبد الرحمن، عن جابر بن سمرة به، وصباح بن سهل الواسطي قال البخاري منكر الحديث، وأخرج البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١) من طريق عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»، وفي المطبوع: «منهما».

(١) لم أقف عليه، وفي المطبوع: «مجازي».

هذه آية وعظ وتبيين لأَمر الدنيا وضَعَة منزلتها، و﴿أَنَّمَا﴾ سادَّة مسدَّ المفعولين للعلم بأَنها لا تدخل على اثنين، وهي ـ وإِن كفَّت عن العمل ـ فالجملة بعدها نافية.

و﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ في هذه الآية عبارة عن الأَشغال والتصرفات والفكر التي هي مختصة بالحياة الدنيا، وأَما ما كان من ذلك في طاعة الله تعالى وفي سبيله، وما كان من الضرورات التي تقيم الأَود وتُعين على الطاعات، فلا مدخل له في هذه الآية، وتَأمل حال الملوك بعد فقرهم يبن لك أَن جميع ترفهم لعبٌ ولهو.

و«الزِّينةُ»: التَّحسين الذي هو خارج من ذات الشيءِ.

و«التفاخر»: هو بالأَنساب والأَموال وغير ذلك.

و«التَّكاثُر»: هو الرغبة في الدنيا وعددها لتكون العِزَّة للكاثر على المذهب الجاهلي.

ثم ضرب تعالى مثلًا للدنيا، فالكاف في قوله: ﴿كَمَثَلِ﴾ / في موضع رفع صفة [٥/ ١٨٣] لما تقدم، وصورة هذا المثل أَن الإِنسان ينشأُ في حجر مملكة فما دون ذلك، فيشبُّ ويقوى ويكسب المال والولد ويغشاه الناس، ثم يأْخذ بعد ذلك في انحطاط فيشيخ ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب في ماله وذريته ويموت ويضمحل أَمْرُه، وتصير أَمواله لغيره وتتغير رسومه، فأَمْره مثل مطر أَصاب أَرضاً فنبت عن ذلك الغيث نبات مُعجب أَنيق، ثم هاج، أَي يَبِسَ واصفر، ثم تحطم، ثم تفرق بالرياح واضْمَحَلَّ.

واختلف المتأَولون في لفظة ﴿ٱلْكُفَّارَ﴾ هنا:

فقال بعض أَهل التأْويل: هو من الكفر بالله تعالى، وذلك أَنهم أَشد تعظيماً للدنيا، وأَشد إِعجاباً بمحاسنها، وقال آخرون منهم: هو من كَفَر الْحَبَّ؛ أَيْ: سَتَرَه في الأَرض، فهم الزُّراع، وخصَّهم بالذكر لأَنهم أَهل البصر بالنبات والفلاحة، فلا يعجبهم إِلَّا المعجب حقيقة الذي لا عيب له[١].

وهَاجَ الزَّرْعُ: معناه: يَبس واصْفَرَّ.

---

(١) في المطبوع: «فيه».

و(حُطام) بناءُ مبالغة، يقال: حطيم وحُطَام بمعنى: محطوم أَو متحطم[١]، كعجيب وعُجاب بمعنى: معجب أَو مُتَعَجَّب منه.

ثم قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾، كأَنه تعالى قال: والحقيقة ما هنا؛ ثم ذكر العذاب أَوَّلاً تَهَمُّماً به من حيث الحذر في الإِنسان ينبغي أَن يكون أَولاً، فإِذا تحذَّر[٢] من المخاوف مدَّ حينئذ أَمله، فذكَر اللهُ تعالى ما يَحْذَرُ قبل ما يطمع فيه وهو المغفرة والرِّضوان.

وروي عن عاصم ضمُّ الراءِ من ﴿وَرُضْوَانٌ﴾[٣].

و﴿مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾: معناه: متاع الشيء الذي لا يُعَظِّمُ الاستمتاعَ به إِلَّا مُغْتَرٌّ.

وقال عكرمة وغيره: ﴿مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾: القوارير[٤]، لِأَن الفساد والآفات تسرع إِليها، فالدنيا كذلك أَو هي أَشد[٥].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾.

لما ذكر تعالى المغفرة التي في الآخرة ندب في هذه الآية إِلى المسارعة إِليها والمسابقة، وهذه الآية حجة عند جميع العلماءِ في الندب إِلى الطَّاعات.

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «محتطم»، وفي أحمد٣: «منحطم».

(٢) في الأسدية٣ والمطبوع ونجيبويه: «تحذَّر».

(٣) وهي سبعية من رواية شعبة كما تقدم، وانظر التيسير (ص: ٨٦).

(٤) في الأسدية٣ وأحمد٣: «العواري»، وفي الأصل: «الغوارير».

(٥) في البحر المحيط (٣/ ٤٦١) عنه: «الفأس، والقصعة، والقدر».

وقد استدل بها بعضهم على أَن أَوَّل أَوقات الصلوات أَفضل[١] لأَنها تقتضي المسارعة والمسابقة، وقد ذكر بعضهم في تفسير هذه الآية أَشياءَ هي على جهة المثال:

فقال قوم من العلماءِ، منهم ابن مسعود: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ معناه: كونوا في أَول صف في القتال.

وقال آخرون منهم أَنس بن مالك: اشهدوا تكبيرة الإِحرام مع الإِمام.

وقال آخرون منهم علي بن أَبي طالب معناه: كن أَول داخل في المسجد وآخر خارج منه[٢]، وهذا كله على جهة المثال.

وذكر تعالى العَرْض من الجنة، إِذ المعهود أَنه أَقل من الطول.

وقال قوم من أَهل المعاني: عبَّر عن المساحة بالعَرْض، ولم يقصد أَن طولها أَكثر ولا أَقل.

وقد ورد في الحديث: أَن سقف الجنة العرش، وورد في الحديث: أَن السماوات السبع في الكرسي كالدرهم في الفلاة، وأَن الكرسي في العرش كالدرهم في الفلاة[٣].

وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتۡ﴾ ظاهره أَنها مخلوقة الآن مُعدَّة، ونصَّ عليه الحسن في «كتاب النقاش»[٤].

---

(١) وبهذا قال جمهور العلماء؛ منهم مالك وغيره، انظر مذهب مالك والجمهور في: الاستذكار (١/ ٣٦).

(٢) انظر الأقوال الثلاثة في البحر المحيط (١٠/ ١١١).

(٣) ضعيف، أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (٤٢٥) عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد قال: ما السماوات والأرض في الكرسي، إلا بمنزلة حلقة ملقاة في أرض فلاة، وسنده ضعيف؛ فالأعمش مدلس ولم يصرح بالسماع، وهو قليل السماع من مجاهد وعامة ما يرويه عن مجاهد مدلس كما قاله أبو حاتم في العلل (٢١١٩)، ومن طريق سعيد أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠١)، وقد جمع ابن كثير في تفسيره عند آية (٢٥٥) الروايات المرفوعة والموقوفة التي في نفس المعنى، وهي لا تسلم من ضعف.

(٤) وتقدم الكلام وذكر من خالف فيه في أول (سورة البقرة).

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾، قال ابن زيد وغيره: المعنى: ما حدث من حادث خيرٍ أَو شرٍّ[١]، فهذا على معنى لفظ «أَصاب» لا على عُرف المصيبة، فإِن عُرفها في الشرِّ.

وقال ابن عباس ما معناه: إِنه أَراد عُرْف المصيبة، وخصها بالذِّكر لأَنها أَهم على البشر[٢]، وهي بعض من الحوادث، فدلَّ على أَن جميع الحوادث خيرها وشرَّها كذلك.

وقوله تعالى: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: بالقحوط والزلازل وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يريد: بالموت والأَمراض وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾ معناه: إِلَّا والمصيبة في كتاب.

و﴿نَّبْرَأَهَآ﴾ معناه: نخلقها، يقال: برأَ اللهُ الخَلق، أَي خلقهم، والضمير عائد على المصيبة، وقيل: على الأَرض، وقيل: على الأَنفس، قاله ابن عباس، وقتادة، وجماعة[٣].

وذكر المهدوي جواز عود الضمير على جميع ما ذكر، وهي كلها معان صحاح؛ لأَن الكتاب السابق أَزلي قبل هذه كلها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يريد تحصيل الأَشياءِ كلها في كتاب.

وقوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟﴾ معناه: فعل الله تعالى ذلك كله وأَعلمكم به ليكون سبب تسليمكم وقلَّة اكتراثكم بأَمر الدُّنيا، فلا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا الفرح المبطر بما آتاكم فيها، قال ابن عباس: ليس أَحد إلا يفرح ويحزن، ولكن من أَصابته مصيبة فجعلها صبراً، ومن أَصاب خيراً فجعله شكراً[٤].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر الدر المنثور (١٤/ ٢٨٣-٢٨٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ١٩٦-١٩٧) وابن أبي حاتم في تفسيره كما في الإتقان (٢/ ٤٧) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وقول قتادة في تفسير الطبري (٢٣/ ١٩٦)، وانظر التحصيل للمهدوي (٦/ ٣٤٠).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٩٣٤)، والطبري (٢٢/ ٤٢١)، والحاكم في المستدرك =

وقرأ أبو عمرو وحده: ﴿أَتَاكُمْ﴾ على وزن فعل ماض، وهذا ملائم لقوله تعالى: ﴿فَاتَكُمْ﴾، وقرأ الباقون من السبعة: ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾ على وزن: أَعْطَاكُمْ؛ بمعنى: آتاكم اللهُ تعالى: وهي قراءَة الحسن، والأَعرج وأَهل مكة[1].

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: (أُوتِيتُمْ)[2] وهي تؤيد قراءَة الجمهور.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ يدل على أَن الفرح المنهي عنه إِنما هو ما أَدَّى إِلى الاختيال والفخر.

[وأَما الفرح][3] بنعم الله تعالى المقترن بالشُّكر والتواضع، فأَمر لا يستطيع أَحد دفعه عن نفسه، ولا حرج فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

اختلف النحاة في إِعراب ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

فقال / بعضهم: هو في موضع رفع على الابتداءِ والخبر عنهم محذوف معناه الوعيد والذم، وحذفه على جهة الإِبهام كنحو حذف الجواب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الرعد: ٣١] الآية. [٥/ ١٨٤]

= (٢/ ٤٧٩) والبيهقي في الشعب (٩٧٧١) من طريق سفيان، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وفي المطبوع: «أحمد لا يفرح».

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير في القراءات السبع (ص: ٢٠٨).

(٢) وهي شاذة، عزاها له ولأبي ابن زنجلة في حجة القراءات (ص: ٧٠٢).

(٣) سقط من الأصل.

وقال بعضهم: لاهو رفع على خبر الابتداءِ، تقديره: هم الذين يبخلون.

وقال بعضهم: هو في موضع نصب بإِضمار: أَعني، أَو نحوه.

وقال بعضهم: هو في موضع نصب صفة لـ﴿كُلَّ﴾؛ لأَن ﴿كُلَّ﴾ وإِن كان نكرة فهو تخصيص لنوع مَّا، يسوغ[1] لذلك وصفُه بالمعرفة، وهذا هو مذهب الأَخفش[2].

و﴿يَبْخَلُونَ﴾ معناه: بأَموالهم وأَفعالهم الحسنة من إِيمانهم وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يحتمل أَن يصفهم بحقيقة الأَمر بأَلسنتهم.

ويحتمل أَن يريد أَنهم يُقتدى بهم في البخل، فهم لذلك كأَنهم يأْمرون.

وقرأَ الحسن: ﴿بِالْبَخَلِ﴾ بفتح الباءِ والخاءِ[3].

وقرأَ جمهور القراءِ وأَهل العراق: ﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ بإِثبات ﴿هُوَ﴾، وكذلك في إِمامهم.

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿فإِن الله الغني الحميد﴾ بترك ﴿هُوَ﴾ وهي قراءَة أَهل المدينة، وكذلك في إِمامهم، وهذا لم يثبت قراءَةً إِلَّا وقد قرئ على النبي ﷺ بالوجهين[4].

قال أَبو علي: فهو في القراءَة التي ثبت فيها يَحْسُنُ أَنْ يكون فصلاً ولا يَحْسُنُ أَن يكون ابتداءً؛ لأَن حذف الابتداءِ غير سائغ[5].

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ اسم جنس لجميع الكتب المنزلة.

و(الـمِيْزَانَ): العدلُ في تأْويل أَكثر المتأَولين، وقال ابن زيد وغيره من المتأَولين:

---

(١) في الأصل: «يسرع».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) بل هي سبعية لحمزة والكسائي كما في التيسير (ص: ٩٦).

(٤) ليست في المطبوع، وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٩٦)، وانظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٣)، والمصاحف (ص: ١٤٥).

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٧٦).

أَراد الموازين المتصرفة بين الناس[١]، وهذا جزء[٢] من القول الأَول.

وقوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ يقوي القول الأَول.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾، عبَّر عن خلقه وإيجاده[٣] بالإِنزال، كما قال تعالى في الثمانية الأَزواج من الأَنعام[٤]، وأَيضاً فإِن الأَمر بكون الأشياءِ لمَّا كان يُلقى[٥] من السماءِ جعل الكل نزولاً منها.

وقال جمهور كثير من المفسرين: ﴿ٱلْحَدِيدَ﴾ هنا أَراد به جنسه من المعادن وغيرها.

قال ابن عباس: نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه السِّنْدَان والكَلْبَتَان والميقَعَةُ[٦].

وقال حذَّاقٌ من المفسرين: أَراد به السلاحَ، ويترتب معنى الآية: فإِن الله تعالى أَخبر أَنه أَرسل رسلاً، وأَنزل كُتُباً وعدلاً مشروعاً، وسلاحاً يحارب به مَنْ عاند ولم يَهْتَد بِهَدْيِ الله، فلم يبق عُذْرٌ.

وفي الآية ـ على هذا التأْويل ـ حضٌّ على القتال وترغيب فيه، وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾ يقوي هذا التأْويل.

ومعنى قوله: (لِيَعْلَمَ)؛ أَي: لِيَعْلَمَهُ موجوداً، فالتَّغَيُّر ليس في عِلْم الله تعالى، بل في هذا الحَدَث الذي خرج من العدم إِلى الوجود.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٤٦).

(٢) في نجيبويه ونور العثمانية والمطبوع: «خير»، مع الإشارة إلى النسخة الأخرى.

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «واتخاذه»، في الأسدية٣: «بالأزواج» بدل «بالإنزال».

(٤) إشارة إلى الآية (٦) من (سورة الزُّمَر).

(٥) سقطت «كان» من نور العثمانية وأحمد ٣، وفي الأصل «لما تُلقِي من السماء».

(٦) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٠١) عن محمد بن حميد، عن يحيى بن واضح، عن الحسين، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به بزيادة «والمطرقة»، ومحمد بن حميد الرازي ضعيف، والمِيقعة: المطرقة.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ معناه: بما سمع من الأَوصاف الغائبة عنه فآمن بها لقيام الأدلة[(١)] عليها.

ثم وصف تبارك وتعالى نفسه بالقوة والعزة ليبيِّن أَنه لا حاجة به إِلى النُّصرة لكنها نافعة من عصم[(٢)] بها نفسه من الناس.

ثم ذكر تعالى رسالة نوح وإِبراهيم عليهما الصلاة والسلام تشريفاً لهما بالذِّكر، ولأَنهما من أَول الرسل عليهم السلام، ثم ذكر تعالى نعمه على ذريتهما.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: الكتب الأَربعة، فإِنها جميعاً في ذريَّة إِبراهيم عليه السلام، وذكر تعالى أَنهم مع ذلك منهم من فَسَقَ وعَنَدَ، فكذلك ـ بل أَحْرَى ـ جميع الناس ولذلك يشرع السلاح للقتال.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿قَفَّيْنَا﴾ معناه: جئنا بهم بعد الأَولين، وهو مأْخوذ من القفا؛ أَي: جاءَ بالثاني في قفا الأَول، فيجيءُ الأول بين يدي الثاني، ومنه القوافي التي تأْتي في أَواخر أَبيات الشِّعر.

ثم ذكر تعالى عيسى عليه السلام تشريفاً وتخصيصاً.

وقرأَ الحسن: (الأَنْجِيلَ) بفتح الهمزة[(٣)]، قال أَبو الفتح: هذا مثال لا نظير له.

و﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾ مفعولات ﴿جَعَلْنَا﴾، والجَعْلُ في هذه الآية بمعنى: الخَلْق.

---

(١) في المطبوع: «دلالة».

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «عظَّم».

(٣) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٣١٢)، و«مثال» سقطت من الأصل.

وقوله تعالى: ﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ صفة لـ(رَهْبَانِيَّةً)، وخَصَّها بأَنها ابتُدعت لأَن الرَّأْفة والرَّحمة في القلب لا كسْب للإِنسان فيهما، وأَمَّا الرهبانية فهي أَفعال بَدَن مع شيءٍ في القلب، ففيها موضع للتَّكسُّب.

قال قتادة: الرَّأْفة والرَّحمة من الله تعالى، والرهبانية هم ابتدعوها، والمراد بالرَّأْفة والرَّحمة: حبُّ بعضهم في بعض وتوادُّهم[١]، والمراد بالرهبانية: رفض النِّساءِ واتخاذ الصَّوامع.

والمعتزلة تعرب (رَهْبَانِيَّةً) أَنها نصب بإِضمار فعل يفسِّره ﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾، وليست بمعطوفة على الرَّأْفة والرَّحمة، ويذهبون في ذلك إِلى أَنَّ الإِنسان يخلق أَفعاله، فيعربون الآية على هذا، وكذلك أَعربها أَبو علي[٢].

ورُوي في ابتداعهم الرَّهبانيَّة أَنهم افترقوا ثلاث فرق:

ففرقة قاتلت الملوك على الدين فَغُلبت وقُتلت.

وفرقة قعدت في المدن يدعون إِلى الدِّين ويُبَيِّنُونه، [ولم تُقاتل][٣]، فأَخذتها الملوكُ فنشرتها بالمناشير، وقُتلوا.

وفرقة خرجت إِلى الفيافي وبنت الصَّوامع والدِّيارات، وطلبت أَن تسلم على[٤] أَن تعتزل، فتركت وذاكَ[٥]، وتَسَمَّوْا بالرُّهبان، واسمهم مأْخوذ من الرهب وهو الخوف، وهذا هو ابتداعهم، ولم يفرض[٦] الله تعالى ذلك عليهم لكنهم فعلوا ذلك ابتغاءَ رضوان الله، هذا

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٣).

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٤/ ٢٩٠)، وفي أحمد٣: «فَيَكْذِبُونَ»، وأشار لها في حاشية المطبوع، ولنسخة أخرى فيها «فيعذَّبون».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) في المطبوع: «قبل».

(٥) «وذاك» ليست في الأصل، والأسدية٣، وفي الأسدية٤: «ولذلك تسموا».

(٦) في المطبوع: «يعرض».

تأْويل أَبي أُمَامَةَ وجماعة[١]، وقال مجاهد: المعنى: كتبناها عليهم ابتغاءَ رضوان الله[٢].

فـ«كَتَبَ» ـ على هذا ـ بمعنى: قَضَى، ويحتمل اللفظ أَن يكون المعنى: ما كتبناها عليهم إِلَّا في عموم المندوبات؛ لأَن ابتغاءَ مرضاة الله تعالى بالقُرب والنوافل مكتوب على كل أُمَّة، فالاستثناءُ ـ على هذا الاحتمال ـ متَّصلٌ.

واختلف النَّاسُ في الضمير الذي في قوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾، مَن المراد به؟

فقيل: إِنَّ الذين ابتدعوا الرَّهبانيَّة لأَنفسهم لم يدوموا على ذلك ولا وَفَّوْهُ حقَّه، بل غيَّروا وبدَّلوا، قاله ابن زيد وغيره[٣]، والكلام سائغ وإِن كان فيهم مَن رَعَى، أَي: لم يرعوها بأَجمعهم، وفي هذا التأْويل لزوم الإِتمام لكل من بدأَ بتطوُّع وَنَفل، وأَنه يلزمه أَن يرعاه حقَّ رعاية، وقال ابن عباس وغيره: الضمير للملوك الذين حاربوهم وأَجلوهم[٤]، وقال الضحاك / وغيره: الضمير للأَخلاف الذين جاؤوا بعد المبتدعين لها[٥]. وباقي الآية بَيِّنٌ. [٥/ ١٨٦]

وقرأَ ابن مسعود رضي الله عنه: (ما كَتَبْنَاهَا عَلَيهِمْ لكِنِ ابْتَدَعُوهَا)[٦].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ اختلف النَّاس مَن المخاطب بهذا؟

فقالت فرقة من المتأَولين: خوطب بها أَهل الكتاب، فالمعنى: يا أَيُّهَا الذين آمنوا بعيسى اتقوا الله وآمنوا بمحمد.

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٦).
(٢) الهداية لمكي (١١/ ٧٣٣٥).
(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٣).
(٤) لا بأس به، أخرجه النسائي (٥٤٠٠)، وفي الكبرى (٥٩٠٨)، والطبري (٢٣/ ٢٠٣-٢٠٤) عن الحسين بن الحريث أبي عمار المروزي، عن الفضل بن موسى، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ مطول.
(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٦)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٣٥)، بتصرف.
(٦) وهي شاذة، انظر نسبتها له في تفسير الثعالبي (٥/ ٣٩٤)، وتفسير ابن جزي (٢/ ٣٤٩).

ويؤيد هذا المعنى: الحديثُ الصحيح عن النبي ﷺ: «ثلاثة يؤتيهم الله أَجرهم مرتين، رجل من أَهل الكتاب آمن بنبيِّه وآمن بي»[١] الحديث.

وقال آخرون: المخاطبة للمؤمنين من أُمَّة محمد ﷺ، قيل لهم: يا أَيُّها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله؛ أَي: اثبتوا على ذلك ودوموا عليه، وهذا هو معنى الأَمر أَبداً لمن هو متلبِّس بما يؤمر به.

وقوله: ﴿كِفْلَيْنِ﴾؛ أَي: نصيبين بالإِضافة إلى ما كان الأُمم قبلُ يعطونه، قال أَبو موسى الأَشعري رضي الله عنه: ﴿كِفْلَيْنِ﴾: ضعفين بلسان الحبشة[٢]، ورُوي أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبعض الأَحبار: كم كان التضعيف للحسنات فيكم؟ فقال: ثلاث مئة وخمسون، فقال عمر رضي الله عنه: الحمد لله الذي ضاعف لنا إِلى سبع مئة[٣]، ويؤيد هذا المعنى: الحديثُ الصحيح الذي يقتضي أَن اليهود عملت إِلى نصف النهار على قيراط، والنصارى من الظهر إِلى العصر على قيراط، وهذه الأُمة من العصر إِلى الليل على قيراطين، فلمَّا احتجت اليهود والنصارى عن ذلك وقالوا: نحن أَكثر عملاً وأَقلُّ أَجراً، قال تعالى: هل نقصتكم من أَجركم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإِنَّه فضلي أُوتيه من أَشاءُ[٤].

و«الكِفْلُ»: الحظُّ والنَّصيب.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رجاله ثقات، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٥٩١)، والطبري (٢٣/ ٢١٠)، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٥/ ٩٢)، وابن الجوزي في تنوير الغبش في فضل السودان والحبش (٣٠)، والحافظ في تغليق التعليق (٥/ ٩٢) من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن عوف بن مالك بن نضلة أبي الأحوص، عن أبي موسى به.

(٣) منقطع، أخرجه الطبري (٢٣/ ٢١٠) عن العباس بن الوليد بن مزيد العذري، عن أبيه قال: سألت سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخي عن الكفل؛ كم هو؟ قال: ثلاث مئة وخمسون حسنة، والكفلان: سبع مئة حسنة. قال سعيد: سأل عمر بن الخطاب حبراً فذكره، وسعيد بن عبد العزيز لم يدرك عمر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

و«النُّور» هنا إِمَّا أَن يكون وعداً بالنُّور الذي يسعى بين الأَيدي يوم القيامة، وإِمَّا أَن يكون استعارة للهدى الذي يُمْشَى به في طاعة الله تعالى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)﴾.

رُوي أَنه لمَّا نزل هذا الوعد للمؤمنين، حسد أَهلُ الكتاب على ذلك، وكانت اليهود تعظِّم دينها وأَنفسها، وتزعم أَنها أَحباءُ الله وأَهل رضوانه، فنزلت هذه الآية مُعلمة أَن الله تعالى فعل ذلك وأَعلم به، ليعلم أَهل الكتاب أَنهم ليسوا كما يزعمون[1].

و(لَا) في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا﴾ زائدة، كما هي في قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥] على بعض التأْويلات.

وقرأَ ابن عباس، والجحدري: (لِيَعْلَمَ أهل الكتاب).

وروى إِبراهيم التيمي عن ابن عباس: (كَيْ يَعْلَمَ).

وروي عن ابن عباس: (لكَيْلَا يعْلم).

وروي عن حِطَّان الرقاشي أَنه قرأَ: (لأَن يعلم).

وقرأَ ابن مسعود، وابن جبير، وعكرمة: (لِكَيْ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ).

وقرأَ الحسن فيما روى ابن مجاهد: (لَيْلَا يَعْلَم) بفتح الَّلام الأُولى وسكون الياءِ.

فأَمَّا فتح اللام فلغة في لام الجر مشهورة، وأَصْلُ هذه القراءَة: (لأَنْ لَا)، استغني عن الهمزة بلام الجرِّ فحذفت فجاءَ (لَنْ لَا)، فأُدغمت النون في اللام للتشابه فجاءَ (لَلَّا)، فاجتمعت أَمثلة فقلبت اللام الواحدة ياءً.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٧٦) عن معمر، وابن جرير في تفسيره (٢٣/ ٢١٤) من طريق معمر، وسعيد بن بشير كلاهما عن قتادة به بلفظ مطول.

وقرأَ الحسن فيما روى مطرف: (لِيْلَا) بكسر اللام الأُولى وسكون الياءِ، وتعليلها كالتي تقدمت[١].

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَقۡدِرُونَ﴾ معناه أَنهم لا يملكون فضل الله تبارك وتعالى، ولا[٢] يدخل تحت قدرهم[٣].

وقرأَ ابن مسعود: (أَلَّا يَقْدِرُوا) بغير نون[٤].

وباقي الآية بَيِّنٌ.

كمل تفسير (سورة الحديد)، والحمد لله ربِّ العالمين

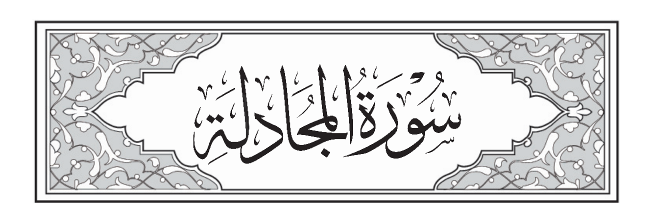
* * *

(١) هذه سبع قراءات شاذة كلها، انظر الأولى والثالثة في مختصر الشواذ (ص: ١٥٣)، والرابعة والخامسة في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٤٥)، والسادسة والسابعة في المحتسب (٢/ ٣١٢)، والثانية مع الكل في البحر المحيط (١٠/ ١١٧).

(٢) «ولا» ليست في الأصل.

(٣) في المطبوع: «قدرتهم».

(٤) وهي شاذة، انظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٤٦).



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة المجادلة

وهي مدنية بإجماعٍ، إلا أن النقاش حكى أن قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ الآية مكيٌّ، وروى أُبيُّ بن كعبٍ: أن النبيَّ ﷺ قال: «من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى»[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ① ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ②﴾.

﴿سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ عبارة عن إدراكه[٢] المسموعات على ما هي عليه بأكمل وجوه ذلك دون جارحة ولا محاذاة[٣] ولا تكييف ولا تحديد، تعالى الله عن ذلك.

وقرأ الجمهور: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ بالبيان، وقرأ ابن مُحَيْصن: ﴿قد سَّمِعَ﴾ بالإِدغام[٤].

---

(١) ضعيف، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٥٢) من طريق سلام بن سليم المدائني، عن هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب به. وسلام بن سليم المدائني متروك، وهارون بن كثير مجهول.

(٢) في المطبوع وأحمد٣: «إدراك».

(٣) «محاذاة» سقط من المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية.

(٤) وهما سبعيتان، الإدغام لأبي عمرو وحمزة والكسائي وهشام، انظر التيسير (ص: ٤٢).

وفي قراءَة ابن مسعود: (قَدْ يَسْمع اللهُ قول التي).

وفيها: (واللهُ قد يَسْمع تحاورَكُمَا)[١].

واختلف الناس في اسم التي تجادل:

فقال قتادة: هي خوَيْلة بنت ثعلبة[٢].

وقيل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَنه قال: هي خولة بنتُ حكيم[٣].

وقال بعض الرواة، وأَبو العالية: هي خُوَيْلة بنت دليج[٤].

وقال المهدوي: وقيل: خولة بنت دليج[٥].

وقالت عائشة رضي الله عنها: هي جميلة[٦].

وقال ابن إِسحاق: هي خولة بنت الصامت[٧].

وقال ابن عباس رضي الله عنه فيها: خَوْلَة بنتُ خُوَيْلد[٨].

---

(١) وهما شاذتان، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٢٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٥٣).

(٣) لم أقف عليه، وهو في البحر المحيط (١٠/ ١٢٠) بلا نسبة.

(٤) انظر قوله في تفسير الطبري (٢٣/ ٢١٩)، بلفظ: «الدليج»، معرفاً.

(٥) التحصيل للمهدوي (٦/ ٣٥٨)، وورد هذا القول في أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٨٥) بلا نسبة.

(٦) الصواب فيه الإرسال، أخرجه أبو داود (٢٢٢٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٢)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٨٢) من طريق محمد بن الفضل، والطبري (٢٣/ ٢٢٦) من طريق أسد بن موسى، كلاهما ـ محمد، وأسد ـ عن حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، به، وخالفهما موسى بن إسماعيل التبوذكي فرواه عن حماد، عن هشام، عن أبيه مرسلاً، أخرجه أبو داود (٢/ ٢٣٥)، ورجح هذه الرواية الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٧٤) وهو خلاف المشهور من قول عائشة رضي الله عنها. وفي الأصل: «خميلة».

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٢٤).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٢٢) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ مطول.

وقال محمد بن كعب القُرَظي، ومنذر بن سعيد: هي خولة بنت ثعلبة[1].

قال ابن سلام: (تُـجَادِلُ) معناه: تفاتل في القول[2]، وأَصْلُ «الجَدْل»: الفَتْل.

وأَكثر الرواة على أَن الزوج في هذه الآية أَوْسُ بن الصامت الأَنصاري، أَخو عُبادة ابن الصامت[3].

وحكى النقاش ـ وهو في المصنفات ـ حديثاً عن سَلَمة بن صخر البياضي[4] أَنه ظاهر من امرأَته إِنْ واقعها مدة شهر رمضان، فواقعها ليلة، فسأَل قومه أَن يسأَلوا له رسول الله ﷺ، فأَبَوْا وهابوا ذلك، وعظَّموا عليه جريرته، فذهب هو إِلى رسول الله ﷺ بنفسه فسأَله واسترشد، فنزلت الآية وقال له رسول الله ﷺ: «أَتعتق رقبة؟» فقال: والله ما أَملك غير رقبتي، فقال: «أَتصوم شهرين متتابعين؟» فقال: يا رسول الله! وهل أُتيتُ إِلَّا / في الصوم؟ فقال: «أَتطعم ستين مسكيناً؟» فقال: لا أَجد، فأَعطاه رسول الله ﷺ صدقات قومه فكفَّر بها، فرجع سَلَمة إِلى قومه فقال: إِني وجدت عندكم الشدَّة والغلظة، ووجدت عند رسول الله ﷺ الرخصة والرفق، وقد أَعطاني صدقاتكم[5]. [٥/ ١٨٦]

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٢٣).

(٢) لم أقف عليه، وفي المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «تقاتل».

(٣) أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم، شهد بدراً والمشاهد، وهو أول من ظاهر في الإسلام، توفي سنة ٣٤هـ. الإصابة (١/ ٣٠٢).

(٤) هو سلمة بن صخر بن سلمان الجشمي الخزرجي، يقال له البياضي، لأنه كان حالفهم، ويقال: اسمه سلمان. الإصابة (٣/ ١٢٦).

(٥) حسنه الترمذي، وليس فيه قول سلمة الأخير، أخرجه أحمد (٤/ ٣٧) و(٥/ ٤٣٦)، والدارمي (٢٢٧٣)، وأبو داود (٢٢١٥)، والترمذي (٣٢٩٩)، وابن ماجه (٢٠٦٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣٧٨)، والطبراني في الكبير (٦٣٣٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٠٤) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سليمان بن يسار، عن سلمة بن صخر البياضي... به، قال البخاري: سليمان بن يسار لم يسمع عندي من سلمة بن صخر. قال: ويقال سلمة بن صخر وسليمان ابن صخر. =

وأَما ما رواه الجمهور في شأْن أَوس بن الصامت فاختصاره: أَن أَوْساً ظاهر من امرأَته خولة بنت خُوَيْلد، وكان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فُرْقةً مُؤَبَّدةً، قاله أَبو قلابة وغيره[١]، فلما فعل أوس ذلك جاءَت زوجتُه رسولَ الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إِن أَوساً أَكل شبابي، ونثرتُ له بطني، فلما كبرتُ ومات أَهلي ظاهرَ مني، فقال رسول الله ﷺ: «ما أَراك إِلَّا حرمت عليه»، فقالت: يا رسول الله لا تفعل؛ إِني وحيدة ليس لي أَهل سواه، فراجعها رسول الله ﷺ بمثل مقالته، فراجَعَتْهُ، فهذا هو مجادلتُها، وكانت في خلال جدالها تقول: اللهم إِليك أَشكو حالي وانفرادي وفقري إِليه، وروي أَنها كانت تقول: اللهم إِن لي منه صِبية[٢] صغاراً، إِن ضممتهم إِليه ضاعوا، وإِن ضممتهم إِليَّ جاعوا، فهذا هو اشتكاؤُها إِلى الله، فنزل الوحي ـ عند جدالها ـ على رسول الله ﷺ بهذه الآية.

وكانت عائشة رضي الله عنها حاضرة لهذه القصة كلها، فكانت تقول: سبحان مَنْ وَسِعَ سمعُه الأَصوات، لقد كنت حاضرة [لهذه القصة كلها][٣]، وكان بعض كلام خَوْلة يخفى علي، وسمع الله تعالى جدالَها.

فبعث رسولُ الله ﷺ في أثر[٤] أَوْس وقال له: «أَتعتق رقبة؟» فقال: والله ما أَملكها، فقال: «أَتصوم شهرين متتابعين؟» فقال: والله ما أَقدر أَن أَصبر إِلَّا على أَكلات ثلاث في اليوم، ومتى لم أَفعل ذلك غشي بصري، فقال له: «أَتطعم؟» فقال: لا أَجد إِلَّا

= قلت: ومحمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، وأخرجه الترمذي (١٢٠٠)، والطبراني في الكبير (٦٣٢٩)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٩٠) من طريق علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان: أن سلمة بن صخر الأنصاري أحد بني بياضة جعل امرأته عليه كظهر أمه... به، قال الترمذي: هذا حديث حسن، يقال سلمان بن صخر ويقال سلمة ابن صخر البياضي، والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم في كفارة الظهار. اهـ.

(١) انظر قوله في تفسير الطبري (٢٣/ ٢٢٨).

(٢) «صبية» سقط من المطبوع.

(٣) سقط من الأصل.

(٤) من الأسدية٣ وأحمد٣.

أن يُعينني رسول الله بمعونة وصلاة ـ يريد الدعاءَ، فأَعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً، ودَعَا لَهُ، وقيل: بثلاثين صاعاً، فكفَّر بالإِطعام وأَمْسَك أَهله[١].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (تُحاورُكَ في زوجها)[٢].

والمحاورةُ: مراجعةُ القول ومعاطاتُه.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو: ﴿يَظَّهَّرُونَ﴾ بالتشديد.

وقرأَ أُبيٌّ بن كعب بخلاف عنه: (يَتَظَهَّرُون).

وقرأَ ابن عامر، وحمزة والكسائي: ﴿يَظَّاهَرُونَ﴾.

وقرأَ أُبيٌّ بن كعب أَيضاً: (يَتَظَاهَرُونَ).

وقرأَ عاصم، وأَبو جعفر، والحسن، وقتادة: ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾ بضم الياءِ[٣] من قولك: فَاعَلَ، وهذه مستعملة جدّاً، وقولهم: «الظِّهَارُ» دليلٌ عليها.

والمراد بهذا كله قول الرجل لامرأَته: أَنت عليَّ كَظَهْرِ أُمِّي، يريد: في التحريم،

---

(١) صحيح، هذا الحديث أورده المؤلف من عدة روايات منها ما أخرجه أحمد (٦/ ٤٦)، وعبد ابن حميد (١٥١٤)، وابن ماجه (١٨٨-٢٠٦٣)، والنسائي في الكبرى (٣٤٦٠)، والطبري (٢٣/ ٢٢٥-٢٢٦)، وابن أبي حاتم (١٨٨٣٩)، وأبو يعلى في مسنده (٤٧٨٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٢)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٨٢) من طريق تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وأخرجه الطبري (٢٣/ ٢٢٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ مطول.

(٢) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٨)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٢٢٧).

(٣) هذه خمس قراءات، الأولى والثالثة والخامسة سبعية، انظر التيسير في القراءات السبع (ص: ٢٠٩)، وقراءتا أبي شاذتان، الأولى في مختصر الشواذ (ص: ١٥٤)، والثانية في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٩). و«بالتشديد» سقطت من الأصل.

كأَنها إِشارة إِلى الركوب إِذْ عُرْفُه في ظهور الحيوان، وكان أَهل الجاهلية يفعلون[١] ذلك، فردَّ الله تعالى بهذه الآية على فعلهم، وأَخبر بالحقيقة من أَن الأُمَّ هي الوالدة، وأَما الزوجة فلا يكون حكمها حكم الأُمِّ.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أُمَّهَٰتِهِمۡ﴾ بنصب الأُمَّهات.

وقرأَ عاصم في رواية المفضل عنه: (أُمَّهَاتُهُمْ) بالرفع[٢].

وهذا على اللغتين في «مَا»، لغة أَهل الحجاز ولغة تميم.

وقرأَ ابن مسعود رضي الله عنه: (مَا هُنَّ بأُمَّهَاتِهِمْ) بزيادة باءِ الجرِّ[٣].

وجعل الله تعالى القول بالظهار مُنكراً وزوراً، فهو مُحَرَّم لكنه إِذا وقع لزم، هكذا قال فيه أَهل العلم، لكن تحريمه تحريم المكروهات جدّاً، وقد رَجَّى الله بعده بأَنه عَفُوٌّ غفورٌ مع الكفَّارة[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤﴾.

اختلف الناس في معنى قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ ـ فقال قوم: المعنى: والذين يظاهرون من نسائهم في الجاهلية، كأَنه تعالى قال: والذين كان الظهار عادتهم ثم يعودون إِلى ذلك في الإِسلام، وقاله القتبي[٥].

---

(١) في المطبوع: «يقولون».

(٢) وليست من طرق التيسير، انظر السبعة (ص: ٦٢٨).

(٣) وهي شاذة، انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٩).

(٤) انظر معنى ما ذكره المؤلف من النهي عن الظهار ولزومه في: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٩١).

(٥) لم أقف عليه.

وقال أَهل الظاهر: المعنى: والذين يظاهرون ثم يظاهرون ثانية، فلا يلزم عندهم كفارة إِلَّا بأَن يعيد الرجل التظاهر[١].

قال مُنذر بن سعيد: حينئذ هو عائد إِلى القول الذي هو منكر وزور[٢].

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول ضعيف وإِن كان القشيريُّ قد حكاه عن بُكَير[٣] بن عبد الله بن الأَشج[٤].

وقال بعض الناس: في هذه الآية تقديم وتأْخير، وتقديرها: فتحرير رقبة لما قالوا.

وهذا أَيضاً قولٌ يُفْسد نَظْم الآية، وحُكي عن الأَخفش لكنه غير قوي[٥].

وقال قتادة، وطاوس، ومالك، والزهري، وجماعة كبيرة من أَهل العلم معنى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أَي للوطءِ، المعنى: ثم يعودون لما قالوا إِنَّهم لا يعودون إِليه، فإِذا ظاهر الرجل ثم وَطِئ فحينئذ تلزمه الكفارة في ذمته وإِن طَلَّق أَو ماتت امرأَته[٦].

وقال الشافعي، وأَبو حنيفة، ومالك أَيضاً، وفريق من أَهل العلم: ﴿يَعُودُونَ﴾ معناه: بالعزم على إِمساك الزوجة وَوَطْئِهَا والتزام التكفير لذلك، فمتى وقع من المظاهِر هذا العزم فقد لزمت الكفارة ذمته، طلَّق أَو ماتت امرأَته[٧].

---

(١) انظر قول أهل الظاهر في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٤٥١).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في الحمزوية ونجيبويه: «بكر»، وهو بكير بن عبد الله بن الأشج المدني الفقيه مولى الأسود بن مخرمة، كان من أوعية العلم، مجمع على ثقته وجلالته، روى عن أبي أمامة بن سهل وسعيد بن المسيب وعنه ابنه مخرمة والليث، توفي سنة (١٢٧هـ). تاريخ الإسلام (٨/ ٤٨).

(٤) انظر قو ل بكير في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٤٥١).

(٥) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٤٨).

(٦) انظر قول مالك في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٤٥٠)، وانظر قول الباقين في: الأوسط (٩/ ٣٩٠).

(٧) انظر قول مالك في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٤٥٠)، وقول أبي حنيفة في المبسوط (٦/ ٢٧٣)، والشافعي في: أحكام القرآن للشافعي (١/ ٢٢٣-٢٢٥).

قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان في مذهب مالك، وهما حَسَنان، لزمت الكفارة فيهما بشرطين: ظِهَارٌ وَعَوْدٌ.

واختلف في «العَوْد»، ما هو؟ فقال الشافعي: العَوْد الموجب للكفارة أَن يمسك عن طلاقها بَعْد الظِّهار، ويمضي[1] بعد الظِّهار ما يمكنه أَن يُطلِّق فيه فلا يُطلِّق[2].

والرَّقَبَة في الظِّهار لا تكون عند مالك إِلَّا مؤمنة[3]، ردَّ هذا المُطْلَق[4] إِلى المُقَيَّد الذي في كفارة القتل الخطأ.

واختلف الناس في قوله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ ـ فقال الحسن، والثوري، وجماعة: من قَبْل الوطءِ، وجَعَلَت المسيس هاهنا: الوطءَ، فأَباحت للمظاهِر التقبيل والمضاجعة والاستمتاع بأَعلى المرأَة كالحائض[5].

وقال الجمهور من أَهل العلم: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ عامٌ في نوعَي المسيس: الوطءِ / والمباشرة، فلا يجوز لِمُظَاهر أَن يطأَ ولا يقبِّل ولا يلمس بيده ولا يفعل شيئاً من هذا النوع إِلَّا بعد الكفارة، وهذا قول مالك رحمه الله[6]. [٥/ ١٨٧]

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ إِشارة إِلى التَّحرير، أَي فَعَل ذلك عِظَةً لكم لتنتهوا عن الظِّهَار.

والـمُتَتَابِعُ في الشهرين صيامُهما، ولا يفرق بين أَيامهما، وجائز أَن يصومهما الرجل بالعدد فيصوم ستين يوماً تباعاً، وجائز أَن يصومهما بالأَهلة، يبدأُ مع الهلال ويفطر مع الهلال، وإِن جاءَ أَحد شهريه ناقصاً فذلك يجزئ عنه.

---

(١) في المطبوع: «وبمضي».
(٢) الأم (٥/ ٤٠٠).
(٣) المدونة (٢/ ٣٢٨).
(٤) «المطلق» ليست في الأصل.
(٥) في المطبوع: «الحيض»، وانظر قولهم في الأوسط (٩/ ٣٩٨).
(٦) انظر الاستذكار (٦/ ٥٤).

وجائز أَن يبدأَ صومه في وسط شهرين بِبعض الشهر الأَول فيصوم إِلى الهلال، ثم يصوم شهراً بالهلال، ثم يُتم الشهر الأَول بالعدد، ولا أَحفظ خلافاً من أَهل العلم أَن الصائم في الظِّهار إِن أَفسد التتابع باختياره أَنه يبدأُ صومهما[١].

واختلف الناس إِذا أَفسده لعذر غالب كالمرض والنسيان ونحوه: فقال أَصحاب الرأْي، والشافعي في أَحد قوليه، والنَّخعي، وابن جبير، والحكم بن عُتيبة، والثوري: يبتدئُ.

وقال مالك، والشافعي، وغيره: يَبْني[٢].

وأَجمعوا على الحائض أَنها تبني في صومها المُتتابع[٣].

وإِطعامُ المساكين في الظِّهار هو بالمُدِّ الهاشمي عند مالك، وهو مُدٌّ وثلث بِمُدِّ النبي ﷺ، وقيل: مُدَّان غير ثُلث[٤].

وروى عنه ابن وهب: أَنه يطعم [كل مسكين][٥] مُدَّين بِمُدِّ النبي ﷺ.

وفي العلماءِ من يرى إِطعام الظِّهار مُدّاً بِمُدِّ النبي ﷺ[٦].

ولا يُجزئ في إِطعام الظِّهار إِلَّا إِكمال عدد المساكين، ولا يُجزئ أَن يُطعم ثلاثين مَرَّتين ولا ما أَشبهه[٧].

---

(١) انظر الإجماع على صيام الشهرين بالأهلة والعدد وعلى المسألة التي بعدها في الإقناع (٣/ ١٣٤٧).

(٢) انظر قول أصحاب الرأي في: المبسوط (٧/ ١٣)، وقول الشافعي الأول في الأم (٥/ ٤٠٧)، والثاني في: الحاوي للماوردي (١٠/ ٤٩٩)، ومالك في المدونة (٢/ ٣٢٢)، وأحمد وإسحاق في: رواية الكوسج (٧٩٧)، والباقين في: الأوسط (٩/ ٤١٦). في أكثر النسخ «الحكم بن عيينة»، والتصويب من نجيبويه، وسقط ما بين الشافعي إلى الشافعي من أحمد **٣**، والحمزوية.

(٣) انظر الإقناع (٣/ ١٣٤٧).

(٤) انظر مد هاشم المعتمد عند مالك واختلاف أتباع مذهبه في تقديره؛ في النوادر (٥/ ٣٠٧).

(٥) من الحمزوية ونجيبويه وأحمد**٣** ونور العثمانية، وانظر رواية ابن وهب عن مالك في تفسير القرطبي (١٧/ ٢٨٦).

(٦) قال بذلك الشافعي في مذهبه الجديد، كما في معرفة السنن والآثار للبيهقي (٥/ ٥٣٩-٥٤٠).

(٧) وهو قول مالك في تفسير القرطبي (١٧/ ٢٨٦)، والشافعي في الأم (٥/ ٤٠٨)، وأبي ثور وابن المنذر في الأوسط (٩/ ٤٢٩).

والطعام هو غالب قوت البلد[١].

وقال مالك رحمه الله، وعطاءٌ، وغيره: إِطعام المساكين أَيضاً هو قبل التَّماسِّ حَمْلاً على العتق والصوم[٢]، وقال أَبو حنيفة، وجمهور من أَهل العلم: لم يَنُصَّ اللهُ تعالى على الشرط هنا، فنحن لا نلتزمه[٣]، وللمُظَاهر إِذا كان من أَهل الإطعام أَن يطأَ قَبْل الكفارة ويستمتع.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟﴾ إِشارة إِلى الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير إِلى الصوم والإِطعام، ثم شدَّد تعالى بقوله: (تِلْكَ حُدُودُ الله)؛ أَي: فالتزموها وقفوا عندها، ثم توعَّد الكافرين بهذا الحديث والحكم الشرعي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾.

هذه الآية نزلت في المنافقين وقوم من اليهود كانوا في المدينة يَتَمَرَّسُون برسُول الله ﷺ والمؤمنين[٤]، ويتربصون بهم الدوائر، ويديرون عليه، ويتمنون فيه المكروه، ويتناجون بذلك، فنزلت هذه الآياتُ إِلى آخر أَمر النجوى فيهم.

و«المُحَادَّةُ»: أَن يعطي الإِنسان صاحبه حدَّ قوله أَو سلاحه وسائر أفعاله، وقال قوم: هي أَن يكون الإِنسان في حدٍّ وصاحبه في حدٍّ مخالف.

---

(١) انظر في هذا المعنى: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٢٧-١٢٨).

(٢) انظر قول مالك في المدونة (٢/ ٣٢٢)، وقول عطاء وغيره في الأوسط (٩/ ٤٠٠).

(٣) في المطبوع: «نلزمه»، وفي الحمزوية هنا زيادة: «جائز»، وانظر قول أبي حنيفة في: المبسوط (٦/ ٢٦٤)، وانظر مذهب من وافقوه في: الأوسط (٩/ ١٠٤).

(٤) «والمؤمنين» ليست في المطبوع.

وكُبت الرجلُ: إِذا بقي حزيناً يبصر ما يكره ولا يقدر على دفعه.

وقال قوم منهم أَبو عبيدة: أَصْلُه: كُبِدُوا؛ أَيْ: أَصابهم داءٌ في أَكبادهم، فأُبدلت الدال تاءً[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذا غير قوي.

و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ: هم منافقو[٢] الأُمم الماضية الذين حادُّوا الرسل عليهم السلام قديماً.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ يريد: في هذا القرآن، فليس هؤلاءِ المنافقون بأَعذر من المتقدمين.

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾، العامل في ﴿يَوۡمَ﴾ قوله: ﴿مُّهِينٞ﴾.

ويحتمل أَن يكون فعلاً مضمراً تقديره: اذكر.

وقوله تعالى: ﴿وَنَسُوهُۚ﴾ نسيانٌ على بابه؛ لأَن الكافر لا يحفظ تفاصيل أَعماله، ولما أَخبر تعالى أنه على كل شيءٍ شهيد وَفَّقَ محمداً ﷺ توفيقاً تشاركه فيه أُمته.

وقوله تعالى: ﴿مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾، يحتمل من ﴿نَّجۡوَىٰ﴾ أَن يكون مصدراً مضافاً إِلى ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾، كأَنه تعالى قال: مِن سِرَار ثلاثة.

ويحتمل ﴿نَّجۡوَىٰ﴾ أَن يكون المراد به جمعاً من الناس فسُمِّي بالمصدر، كما قال تعالى في آية أُخرى: ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧]؛ أَي: أُولُو نجوى، فيكون قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ على هذا بدلاً من ﴿نَّجۡوَىٰ﴾ أَو صفة. وفي هذا نظر.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾؛ أَي: بِعِلْمِهِ وإِحاطته ومقدرته.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿مَا يَكُونُ﴾.

---

(١) انظر قوله في الهداية لمكي (١١/ ٧٣٥٨).

(٢) في الأصل: «سابقوا»، والمثبت من النسخ الأخرى.

وقرأَ أَبو جعفر القارئ، وأَبو حَيْوَة: ﴿مَا تَكُونُ﴾ بالتاءَ منقوطة من فوق[١].

وفي مصحف ابن مسعود: (وَلَا أَربعَة إِلَّا اللهُ خامسهم)، وكذلك: (إِلَّا اللهُ رابِعُهُم) و(إِلَّا اللهُ سَادِسُهُم)[٢].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وَلَآ أَكۡثَرَ﴾ عطفاً على اللفظ المخفوض.

وقرأَ الحسن، والأَعمش، وابن أَبي إِسحاق: ﴿وَلَا أَكْثَرُ﴾ بالرَّفع[٣] عطفاً على الموضع؛ لأَن التقدير: ما يكون نجوى، ومَنْ جعل «النجوى» مصدراً محضاً قدَّر قبل ﴿أَدۡنَىٰ﴾ فعلاً تقديره: ولا يكون أَدنى.

وقرأَ الخليل بن أَحمد: (ولا أكبر) بالباءِ بواحدة من تحت[٤].

وباقي الآية بَيِّنٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨﴾.

هذه الآية نزلت في قوم من اليهود نهاهم رسول الله ﷺ عن التناجي بحضرة المؤمنين وإِظهار ما يُستراب به من ذلك فلم ينتهوا فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد وقتادة[٥].

وقال ابن عباس: نزلت في اليهود والمنافقين[٦].

---

(١) وهي عشرية، انظر النشر (٢/ ٣٨٥)، والمحتسب (٢/ ٣١٤).

(٢) وهي شاذة، نقلها في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٥٠) عن أبي حاتم، عنه.

(٣) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٤٢٥)، وانظر عزوها للحسن في مختصر الشواذ (ص: ١٥٤).

(٤) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (١٠/ ١٢٦)، وعزاها في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٣٥) للحسن.

(٥) الهداية لمكي (١١/ ٧٣٦٢)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٢٣٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٩٠).

(٦) أخرج الطبري (٢٣/ ٢٣٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ إلى ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ قال: كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه: سام عليكم، فقال الله: ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

وقرأ جمهور القراءِ والناسُ: ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ﴾ على وزن: يَتَفَاعلون.

وقرأ حمزة، والأعمش، وطلحة، وابن وثاب: ﴿وَيَنْتَجُونَ﴾ على وزن: يفتعلون(١).

وهما بمعنى واحد أبداً؛ كـ: يَقْتَتِلُونَ ويتقاتلون / . [٥/ ١٨٨]

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (وعِصْيَان الرَّسول)(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ﴾ الآية، يريد بذلك ما كانت اليهود تفعله من قولهم في التحية: السَّامُ عليك يا محمد، وذلك أنه رُوي أن اليهود كانت تأْتي فتقول: السَّامُ عليك يا محمد ـ والسَّامُ: الموت، وإِيَّاه كانوا يريدون ـ فكان رسول الله ﷺ يقول: وعليكم، فسمعتهم عائشة رضي الله عنها يوماً فقالت: بل عليكم السَّام والذَّام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة، إِن الله يكره الفُحْش والتَّفَحُّش»، قالت: أَما سمعتَ ما قالوا؟ قال: «أَما سمعتِ ما قُلتُ لهم؟ إِني قلتُ: وعليكم»(٣).

ثمَّ كشف الله تعالى خُبث طويَّتهم والحُجَّة التي إِليها يستريحون، وذلك أَنهم كانوا يقولون: نحن الآن نلقى محمداً بهذه الأُمور التي تَسوؤُه ولا يُصيبنا سوءٌ، ولا يُعاقبنا الله تعالى بذلك، ولو كان نبيّاً لهلكنا بهذه الأَقوال، وجهلوا أَن أَمرهم مؤخر إِلى عذاب جهنم، فأَخبر الله تعالى بذلك، وأَنها كافِيَتُهم، وقال ابن عباس رضي الله عنه: هذه الآية كلها في المنافقين، ويُشبه أَن يكون في المنافقين من تخلَّق بخُلُق اليهود.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٢٨)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٥١).

(٢) وهي شاذة، انظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٥١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٩٣٥)، ومسلم (٢١٦٥) من حديث عائشة، واللفظ لمسلم. و«الذام» من الأسدية٣ وأحمد٣.

وصَّى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بأَلَّا يكون منهم تَناجٍ في مكروه، وذلك عام في جميع الناس إِلى يوم القيامة، وخصَّ تبارك وتعالى الإِثم بالذكر لعمومه، والعُدْوان لعظمته في نفسه؛ إِذ هي ظُلَاماتُ العباد.

وكذلك معصية الرسول ذكرها طعناً على المنافقين إِذْ كان تناجيهم في ذلك.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ﴾ على وزن: تَتَفَاعلوا.

وقرأَ ابن محيصن: (فَلا تَنَاجَوْا) بحذف التاءِ الواحدة.

وقرأَ بعض القراءِ: (فَلَا تَّنَاجُوا) بتشديد التاءِ، لأَنها أُدغمت في التاءِ[١].

وقرأَ الأَعمش وأَهل الكوفة: ﴿فَلَا تَنْتَجُوا﴾ على وزن: تَفْتَعِلُوا[٢].

والناس على ضم العين من (العُدْوان)، وقرأَها أَبو حيوة بكسر العين حيث وقع[٣].

وقرأَ الضحاكُ وغيره: (وَمَعْصِيَاتِ الرُّسُلِ) على الجمع فيهما[٤].

ثم أَمر تعالى بالتَّناجي في البرِّ والتَّقوى، وذكَّر بالحشر الذي معه الحساب ودخول إِحدى الدارين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ﴾، ليست ﴿إِنَّمَا﴾ للحصر ولكنها لتأْكيد الخبر.

واختلف الناس في النجوى التي هي من الشيطان التي أَخبر عنها في هذه الآية:

فقال جماعة من المفسِّرين: أَرادَ: إِنما النَّجوى في الإِثم والعُدوان ومعصية الرَّسول من الشيطان.

---

(١) وهما شاذتان، انظرهما في إتحاف فضلاء البشر (١/ ٥٣٦)، والأولى في الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٧).

(٢) وهي عشرية لرويس كما في النشر (٢/ ٤٢٥)، وانظر الأعمش في البحر المحيط (١٠/ ١٢٧).

(٣) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٧).

(٤) في أحمد٣: «وَمَعْصِيَاتِ الرَّسُولِ، على الجمع فيها»، وأشار لها في حاشية المطبوع وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٧).

وقال قتادة وغيره: الإِشارة إِلى نجوى المنافقين واليهود.

وقال عبد الله بن زيد بن أَسلم: الإِشارة إِلى نجوى قوم من المسلمين كانوا يقصدون مناجاة رسول الله ﷺ وليس لهم حاجة ولا ضرورة إِلى ذلك، وإِنما كانوا يريدون التَّنجح بذلك، وكان المسلمون يظنون أَن تلك النجوى في إِخبارٍ بعَدُوٍّ قاصِدٍ ونحوه[١].

قال القاضي أبو محمد: وهذان القولان يُعَضِّدهما ما يأْتي من أَلفاظ الآية، ولا يُعضِّد القول الأَول.

وقال عطية العَوْفي في هذه الآية: نزلت في المنامات[٢] التي يراها المؤمن فتسوؤُه، وفيما يراه النائم، فكأَنه نجوى يناجى بها.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول أَجنبي من المعنى الذي قبله والذي بعده.

وقرأَ نافع وأَهل المدينة: ﴿لِيُحْزِنَ﴾ بضم الياءِ وكسر الزاي، والفعل منسوب إِلى الشيطان، وقرأَ أَبو عمرو، والحسن، وعاصم، وغيرهم: ﴿لِيَحْزُنَ﴾ بفتح الياءِ وضم الزاي[٣].

تقول: حَزَنْتُ قلْبَ الرَّجلِ: إِذا جعلتَ فيه حُزناً، فهو كقولك: كَحَلْتُ العين، وهو ضرب من التعدِّي؛ كأَن المفعول ظرف.

وقد ذكر سيبويه رحمه الله تعالى هذا النوع[٤] من تَعَدِّي الأَفعال.

وقرأَ بعض الناس: (لِيَحْزَنَ) بفتح الياءِ والزاي[٥]، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ على هذه القراءَة رفعٌ بإِسناد الفعل إِليهم، يقال: حَزِنَ الرجل بكسر الزَّاي.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٣٦٣).

(٢) في المطبوع: «المناجاة»، وفي نور العثمانية: «المقامات»، وانظر قوله في تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤٢)، بتصرف.

(٣) وهما سبعيتان، الأولى لنافع خاصة، والثانية للباقين، كما تقدم مرارا، انظر التيسير (ص: ٩١).

(٤) في المطبوع: «المعنى».

(٥) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (١٠/ ١٢٧)، بلا نسبة.

ثم أَخبر تعالى أَن الشيطان والتناجي الذي هو منه ليس بضارٍّ أَحداً إِلَّا أَن يكون ضرٌّ بإِذن الله؛ أَي: بأَمره وقدره.

ثم أَمر تعالى بتوكل المؤمنين عليه تبارك وتعالى، وهذا كلُّه يُقوِّي أن التناجي الذي من الشيطان إِنما هو الذي وقع للمؤمنين منه خوف، وللخوف اللاحق للقلوب في هذا قال رسول الله ﷺ: «لا يتناجى اثنان دون الثالث»(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

قرأَ جمهور الناس: ﴿تَفَسَّحُواْ﴾، وقرأ الحسن، وداود بن أَبي هند: (تَفَاسَحُوا)(٢).

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿في المجلس﴾، وقرأَ عاصم وحده وقتادة، وعيسى: ﴿فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾(٣).

واختلف الناس في سبب الآية والمقصود بها:

فقال ابن عباس(٤)، والحسن، ومجاهد: نزلت في مقاعد الحرب والقتال(٥).

---

(١) في المطبوع: «واحد»، وفي الأسدية٤: «ثالث»، والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٩٣٥) ومسلم (٢١٨٤) واللفظ له من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه».

(٢) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣١٤).

(٣) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٤٤-٢٤٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذلك في مجالس القتال.

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٤٩٢)، والهداية لمكي (١١/ ٧٣٦٥)، بتصرف. ولم أقف على هذا القول منسوباً لمجاهد.

وقال زيد بن أَسلم، وقتادة: نزلت بسبب تضايق الناس في مجلس[(١)] النبي ﷺ، وذلك أَنهم كانوا يتنافسون في القرب منه وسماع كلامه والنظر إِليه، فيأْتي الرجل الذي له الحق والسنُّ والقدم في الإِسلام فلا يجد مكاناً، فنزلت الآية بسبب ذلك[(٢)].

وقال مقاتل: أَقام رسول الله ﷺ قوماً ليجلس أَشياخ من أَهل بدر ونحو ذلك، فنزلت الآية[(٣)].

وروى أَبو هريرة رضي الله عنه: أَن النبي ﷺ قال: «لا يقم أَحدٌ من مجلسه ثم يجلس فيه الرجل، ولكن تفسَّحوا يفسح الله لكم»[(٤)].

وقال بعض الناس: إِنما الآية مخصوصة في مجلس النبي ﷺ وليست في سائر المجالس، ويدل على ذلك قراءَة من قرأَ: ﴿في المجلس﴾.

ومن / قرأَ: ﴿فِي ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ فذلك مرادٌ أَيضاً؛ لأَن لكل أَحد مجلساً في بيت النبي ﷺ وموضعه، فجمع لذلك. [٥/ ١٨٩]

وقال الجمهور من أَهل العلم: السبب مجلس النبي ﷺ والحُكم مُطَّردٌ في سائر المجالس التي هي للطَّاعات، ومنه قول النبي ﷺ: «أَحبكم إِلى الله أَلْيَنُكُمْ مناكب في الصلاة ورُكَباً في المجالس»[(٥)]، وهذا قول مالك رحمه الله تعالى، وقال: ما أَرى الحكم

(١) في الأصل: «المسجد»، والمثبت من النسخ الأخرى.
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤٤)، والهداية لمكي (١١/ ٧٣٦٥).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٢٦٢).
(٤) متفق على معناه من حديث ابن عمر، أخرج حديث أبي هريرة: ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٠٩٢، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٨-٤٨٣ ٥٢٣) من طريق فليح بن سليمان، عن أيوب بن عبد الرحمن، عن يعقوب بن أبي يعقوب، عن أبي هريرة مرفوعاً.
والحديث في الصحيحين من حديث ابن عمر، أخرجه البخاري (٦٢٦٩) بلفظ: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه»، ومسلم (٢١٧٧) وعنده زيادة في أحد الطرق: «ولكن تفسحوا وتوسعوا».
(٥) ضعيف، أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ١٨٤) من طريق عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحبكم إلى الله ألينكم =

إِلَّا يطردُ في مجالس العلم ونحوها غابرَ الدهر[(١)].

ويؤيد هذا القول قراءَة من قرأَ: ﴿فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾، ومن قرأَ: ﴿في المَجْلِسِ﴾ فذلك ـ على هذا التأْويل ـ اسم جنس، فالسُّنَّة المندوب إِليها هي التَّفَسُّح، والقيامُ منهيٌّ عنه، في حديث النبي ﷺ حيث[(٢)] نهى أَن يقوم الرجلُ فيجلسُ الآخرُ في مكانه.

فأَمَّا القيام إِجلالاً؛ فجائز بالحديث، وهو قوله ﷺ حين أَقبل سعد بن معاذٍ رضي الله عنه: «قوموا إِلى سيدكم»[(٣)]، وواجب على المعظَّم أَلَّا يُحِب ذلك ويأْخذ الناس به[(٤)]، لقوله ﷺ: «من أَحبَّ أن يتمثل له الرجال قياماً فَلْيَتَبَوَّأْ مقعده من النار»[(٥)].

= ركباً في الناس وألينكم مناكب في الصفوف»، وعبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير قال فيه: متروك الحديث، ضعيف الحديث، وانظر الجرح والتعديل (٥/ ١٥٨). وأخرج أبو داود (٦٧٢) والبزار (٥١٩٥)، وابن خزيمة (١٥٦٦)، وابن حبان (١٧٥٦) والبيهقي في الكبرى (٣/ ١٠١) من طريق أبي عاصم، عن جعفر بن يحيى بن ثوبان، عن عمه عمارة بن ثوبان، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم ألينكم مناكب في الصلاة»، وإسناده ضعيف؛ لجهالة جعفر بن يحيى ابن ثوبان الحجازي، هو وعمه.

(١) انظر قول مالك في: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٠١)، وقول الجمهور في: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٦٢-٦٣).

(٢) في المطبوع: «حديث»، وفي أحمد٣: «حين»، والحديث سبق قريباً.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) انظر في ذلك: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٧٨)، وشرح النووي على مسلم (١٢/ ٩٣).

(٥) حسنه الترمذي، أخرجه أحمد (٤/ ٩١-٩٣-١٠٠)، وعبد بن حميد (٤١٣) والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٧)، وأبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥)، والطبراني في الكبير (٨٢٠)، وفي الأوسط (٨٣٧) من طريق حبيب بن الشهيد، عن أبي مجلز لاحق بن حميد قال: خرج معاوية، فقام عبد الله بن الزُّبير، وابن صفوان، حين رأوه، فقال: اجلسا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرَّه أن يتمثَّل له الرِّجال قياماً، فليتبوَّأ مقعده من النَّار»، قال الترمذي: حديث حسن، وحدثنا هناد حدثنا أبو أسامة عن حبيب بن الشهيد عن أبي مجلز عن معاوية عن النبي ﷺ مثله.اهـ. قال ابن القيم في حاشيته على أبي داود (١٤/ ٨٥): وهذا الإسناد على شرط الصحيح.

وقوله تعالى: ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ معناه: في رحمته وجنَّته.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ معناه: إِذا قيل لكم ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك، ومنه نُشوز العظام؛ أَي: نباتها، والنشز من الأَرض: المرتفع، واختلف الناس في هذا النشوز الذي أُمروا بامتثاله إذا دعوا إليه[١]، ما هو؟

فقال الحسن، والضحاك، وقتادة: معناه: إِذا دُعوا إِلى قتال أَو طاعة أَو صلاة ونحوه[٢].

وقال آخرون: إِذا دعوا إِلى القيام عن النبي ﷺ؛ لأَنه ﷺ أَحياناً كان يُحب الانفراد في أَمر الإِسلام، فربما جلس قوم وأَراد كل أَحد أَن يكون آخر الناس عهداً بالنبي ﷺ، فنزلت الآية آمرةً بالقيام عنه متى فهم ذلك بقول أَو فعل[٣].

وقال آخرون: معناه: انشزوا في المجلس بمعنى: التَّفَسُّح؛ لأَن الذي يريد التوسعة يرتفع إِلى فوق في الهواءِ، فإِذا فعل ذلك جملة اتسع الموضع، فيجيءُ ﴿ٱنشُزُواْ﴾ في غرض واحد مع قوله تعالى: ﴿تَفَسَّحُواْ﴾.

وقرأَ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿ٱنشُزُواْ﴾ برفع الشين، وهي قراءَة أَبي جعفر، وشيبة، والأَعرج.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿انْشِزُوا﴾ بكسر الشين فيهما، وهي قراءَة الحسن، والأَعمش، وطلحة[٤].

يقال: نَشَزَ يَنْشُزُ ويَنْشِز؛ كَحَشَرَ يَحْشُرُ ويَحْشِر، وعَكَفَ يَعْكُف ويَعْكِف.

وقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ﴾ جواب الأَمر.

---

(١) «إذا دعوا إليه» ليس في المطبوع.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤٥-٢٤٦)، وتفسير الماوردي (٥/ ٤٩٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٤٦) عن ابن زيد من قوله.

(٤) وهما سبعيتان، وبقي شعبة، وله الوجهان، انظر التيسير (ص: ٢٠٩).

واختلف الناس في ترتيب قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾:

فقال جماعة من المتأَولين: المعنى: يرفع الله المؤمنين العلماءَ منكم درجات، فلذلك أَمر بالتَّفَسُّح من أَجلهم، ويجيءُ ـ على هذا ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ منزلة قولك: جاءَني العاقلُ والكريمُ والشجاعُ، وأَنت تريد بذلك رجلاً واحداً.

وقال آخرون: المعنى: يرفع اللهُ المؤمنين والعلماءَ، الصِّنْفين[1] جميعاً درجات، لكنا نعلم تفاضلهم في الدرجات من مواضع أُخر، ولذلك جاءَ الأَمر بالتَّفسُّح عامّاً للعلماءِ وغيرهم.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره: المعنى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾، وتمَّ القولُ، ثم ابتدأَ بتخصيص العلماءِ بالدرجات[2]، ونصبهم بإِضمار فعل، فالمؤمنون رفع على هذا التأْويل، وللعلماءِ درجات.

وعلى هذا التأْويل قال مطرِّف بن عبد الله بن الشخِّير: فضل العلم أَحب إِلي من فضل العبادة، وخير دينكم الورع[3].

ثم توعَّد تعالى وحذَّر بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية، رُوي عن ابن عباس، وقتادة في سببها: أَنَّ قوماً من شباب المؤمنين وأغفالهم[4] كثرت مناجاتهم للنبي ﷺ في غير حاجة إِلَّا لتظهر منزلتهم، وكان رسول الله ﷺ سمحاً لا يردُّ أَحداً، فنزلت هذه الآية مشدِّدة عليهم في أَمر المناجاة[5].

---

(١) في الأصل: «المصنفين».

(٢) انظر الدر المنثور (١٤/ ٣٢٤).

(٣) انظر قول مطرف في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١٤٢).

(٤) «وأغفالهم» سقط من المطبوع والحمزوية، وفي الأسدية٣ وأحمد٣: «وأعقابهم».

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٤٩) وغيره من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

وقال مقاتل: نزلت في الأَغنياءِ لأَنهم غلبوا الفقراءَ على مناجاة رسول الله ﷺ وعلى مجلسه[١].

وقال جماعة من الرواة: لم يُعمل بهذه الآية بل نُسخت قبل العمل، لكن استقر حكمها بالعزم عليه، كأَمر إِبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه عليه السلام، وصحَّ عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أَنه قال: ما عمل بها أَحدٌ غيري، وأَنا كنتُ سبب الرُّخصة والتخفيف عن المسلمين، وذلك لأَني أَردت مناجاة النبي ﷺ في أَمر ضروري، فصرفت ديناراً بعشرة دراهم، ثم ناجيته عَشْر مرَّاتٍ، أُقدِّم في كل مرَّة درهماً. وروي عنه: أَنه تصدَّق في كل مرَّة بدينار، قال عليٌّ رضي الله عنه: ثم فهم رسول الله ﷺ أَن هذه العبادة قد شقَّت على الناس، فقال لي: «يا عليُّ! كم ترى أَن يكون حدُّ هذه الصدقة؛ أَتراه ديناراً؟» قلت: لا، قال: «فنصف دينار؟» قلت: لا، قال: «فكم؟» قلت: حبَّةٌ من شعير، قال: «إِنَّكَ لزهيد».

فأَنزل الله تعالى الرخصة[٢].

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٦١).

(٢) الشطر الأول منه صحيح، دون الثاني، أخرج الأول: ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٧٨٨)، وإسحاق ابن راهويه في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٥٨٥٤) من طريق ليث بن أبي سليم، عن مجاهد قال: قال علي، رضي الله عنه: إن في كتاب الله، عَزَّ وَجلَّ، لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ إلى آخر الآية. قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فناجيت النبي ﷺ فكنت، كلما ناجيته قدمت بين يدي نجواي درهماً، ثم نسخت، فلم يعمل بها أحد فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَـٰتٖ﴾ إلى آخر الآية، وهذا ضعيف ومنقطع، لعدم سماع مجاهد من علي بن أبي طالب، لكن أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨٢-٤٨٣) من طريق منصور، عن مجاهد، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، عن علي بن أبي طالب به، وهذا إسناد صحيح، أما الشطر الثاني منه فقد أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٩٠)، والترمذي (٣٣٠٠)، والنسائي في الكبرى (٨٤٨٤)، وأبو يعلى (٤٠٠)، والبزار (٦٦٨)، وابن حبان (٦٩٤١-٦٩٤٢) من طريق سفيان الثوري، عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ﴾ قال لي رسول الله ﷺ: «ما ترى =

قال القاضي أبو محمد: يريد للواجدين[١]، وأَمَّا من لا يجد فالرخصة له ثابتة أولا بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقال مقاتل: بقي هذا الحكم عشرة أيامٍ[٢].

وقال قتادة: بقي ساعة من نهار[٣].

وقرأ الجمهور من الناس: ﴿صَدَقَةً﴾ بالإِفراد، وقرأ بعض القراءِ: (صَدَقَاتٍ) بالجمع[٤].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ

= ديناراً»؟ قلت: لا يطيقونه. قال: «فكم»؟ قلت: شعيرة. قال: «إنك لزهيد» فنزلت ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ قال: «فبي خفف الله عن هذه الأمة». وعلي بن علقمة الأنماري الكوفي لم يرو عنه إلا سالم بن أبي الجعد، قال البخاري: في حديثه نظر، وقال ابن حبان: منكر الحديث ينفرد عن علي بما لا يشبه حديثه، فلا أدري سمع منه سماعاً أو أخذ ما يروى عنه عن غيره، والذي عندي ترك الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات من أصحاب علي في الروايات.اهـ. انظر التاريخ الكبير (٦/ ٢٨٩)، والمجروحين (٢/ ١٠٩)، وفي الباب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أخرجه الطبراني في الكبير (٣٣١) من طريق سلمة ابن الفضل، عن محمدبن إسحاق، عن أبي إسحاق الهمداني، عن مصعب بن سعد عن سعد رضي الله عنه قال: نزلت في ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل نزل تحريم الخمر نادمت رجلاً فعارضته وعارضني فعربدت عليه فشججته فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ ونزلت في ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ إلى آخر الآية ونزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ فقدمت شعيرة فقال رسول الله ﷺ: «إنك لزهيد» فنزلت الأخرى ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ الآية كلها، قال الهيثميُّ في المجمع (٧/ ٢٦٠): فيه سلمة بن الفضل الأبرش وثقه ابن معين وغيرُهُ، وضعَّفه البخاريُّ وغيرُهُ اهـ. قلت: وابن إسحاق مدلس وقد عنعن.

(١) في المطبوع: «للواجد»، وسقطت منه: «يريد»، وسقطت «أو لا» من المطبوع والحمزوية ونجيبويه.

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٦٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٤٩)، والهداية لمكي (١١/ ٧٢٦٩).

(٤) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (١٠/ ١٢٩).

تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾.

«الإِشفاقُ»: الفزع من العجز عن الشيءِ المُتَصَدَّق به أَو من ذهاب المال في الصدقة، وله وجوه كثيرة يقال فيها الإِشفاق، لكنه في هذا الموضع كما ذكرت.

و(تَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ): معناه: رجع بكم.

وقوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية، / معناه: دوموا على هذه الأَعمال التي هي قواعد شرعكم، ومَنْ قال: إِن هذه الصدقة منسوخةٌ بآية الزكاة؛ فقوله ضعيف لا يحصِّل كيفية النسخ، وما ذُكر في نحو هذا عن ابن عباس لا يصح عنه[1]، والله تعالى أَعلم. [٥/ ١٩٠]

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾؛ نزلت في قوم من المنافقين تولوا قوماً من اليهود وهم المغضوب عليهم.

وقال الطبري: ﴿مَّا هُم﴾ يريد به المنافقين، و﴿مِّنكُمْ﴾ يريد به المؤمنين، و﴿مِنْهُمْ﴾ يريد به اليهود[2].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا التأْويل يجري مع قوله تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣]، ومع قوله ﷺ: «مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين»[3]؛ لأَنه مع المؤمنين بقوله، ومع الكافرين بقلبه.

لكن هذه الآية تحتمل تأْويلاً آخر: وهو أَن يكون قوله تعالى: ﴿مَّا هُم﴾ يريد به اليهود.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٤٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٥٢-٢٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٨٤) وغيره من حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تَعِيرُ إلى هذه مرة وإلى هذه مرة».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ يريد به المنافقين، فيجيءُ فعل المنافقين ـ على هذا التأْويل ـ أَخَسَّ؛ لأَنهم تولَّوْا قوماً مغضوباً عليهم ليسوا من أَنفسهم فيلزمهم ذِمامُهم، ولا من القوم المُحِقِّين فتكون الموالاة صواباً.

وقوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ﴾ يعني المنافقين؛ لأَنهم كانوا إِذا وُقفوا على ما يأْتون به من بُغض النبي ﷺ وشتمه وموالاة عدُوِّه حلفوا أَنهم لا يفعلون ذلك واستسهلوا الحنث.

ورُوي من هذا نوازل كثيرة اختصرتها إِيجازاً، وإِذا تُتُبِّعت في المصنفات وُجدت؛ كقول ابن أُبَيٍّ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [المنافقون: ٨]، وحَلْفه على أنه لم يفعل، وغير ذلك.

و«الْعَذَابُ الشَّدِيدُ»: هو عذاب الآخرة.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾ جمع يَمين.

وقرأَ الحسن: (إِيمَانَهُمْ)[1]؛ أَي: ما يظهرونه من الإِيمان.

و«الْـجُنَّةُ»: ما يُتَسَتَّر به ويُتَّقى المحذور، ومنه: المِجَنُّ، وهو التُّرْسُ.

وقوله: ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أَن يكون الفعل غير مُتَعَدٍّ، كما تقول: صَدَّ زيْدٌ، أَي: صدُّوا هم أَنفُسهم عن سبيل الله وعن الإِيمان برسوله، ويحتمل أَن يكون الفعل متعدياً؛ أَي: صدُّوا غيرهم من الناس عن الإِيمان ممَّن اقتدى بهم وجرى في مضمارهم، ويحتمل أَن يكون المعنى: فصدُّوا المسلمين عن قتلهم، وتلك سبيل الله فيهم لكن ما أَظهروه من الإِيمان صدُّوا به المسلمين عن ذلك، و«الْمُهين»: المُذِلُّ، من الهوان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣١٤).

رُوي أَن المنافقين فخروا بكثرة أَموالهم وأَولادهم وأَظهروا السرور بذلك، فنزلت الآية معلمةً أَن ذلك لا غَناءَ له عنهم ولا مدفع بسببه[١].

والعامل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾: ﴿أَصْحَٰبُ﴾ على تقدير فعل.

وأَخبر الله تعالى عنهم في هذه الآية أَنه[٢] ستكون لهم أَيْمان يوم القيامة وبين يدي الله تعالى يُخَيَّل إِليهم بجهلهم أَنها تنفعهم وتُقبل منهم، وهذا هو حسابُهم أَنهم على شيءٍ؛ أَي: على فِعْل أَيِّ شيءٍ نافع لهم، وقال ابن عباس ـ في كتاب الثعلبي ـ: قال ﷺ: ينادي منادٍ يوم القيامة: أَين خُصماءُ الله؟ فتأْتي القدرية مسودَّةً وجوههم، مزرقة أَعينهم، فيقولون: والله ما عبدنا شمساً ولا قمراً، ولا صنماً[٣]، ولا اتخذنا من دونك إلـهاً[٤]»، قال ابن عباس: صَدَقوا والله ولكن أَتاهم الإِشراك من حيث لا يعلمون، ثمَّ تَلَا ابن عباس هذه الآية[٥].

وقوله: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ معناه: تملَّكهم من كل جهة وغَلَب على نفوسهم، وهذا الفعل ممَّا استُعمل على الأَصل، فإِن قياس التعليل يقتضي أَن يقال: اسْتَحَاذَ.

وحكى الفراءُ في «كتاب اللغات»: أَن عمر رضي الله عنه قرأَ: (اسْتَحَاذَ)[٦].

و﴿يُحَآدُّونَ﴾ معناه: يعطون الحدَّ من الأَفعال والأَقوال.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في المطبوع: «أنهم».

(٣) «ولا صنماً» ليست في المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية.

(٤) في الأصل: «أولياء».

(٥) ضعيف، أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٦٣) قال أخبرنا الحسن بن محمّد قال: حدّثنا أحمد ابن يعقوب الأنباري قال: حدّثنا أبو حنيفة محمّد بن حنيفة بن ماهان الواسطي قال: حدّثنا إبراهيم ابن سليم الهجمي قال: إبراهيم بن سليمان الدباس، عن ابن أخي رواد، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، بنحوه، ومحمد بن حنيفة بن ماهان قال فيه الدارقطني. ليس بقوي، وإبراهيم بن سليمان الدباسي لم يوثق توثيقاً معتبراً. و«ابن عباس» ليست في المطبوع.

(٦) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٨).

وقال بعض أَهل العلم بالمعاني: معناه: يكونون في حدٍّ غير الحدِّ الذي شرع الله تبارك وتعالى، ثم قضى الله تعالى على مُحادِّه بالذل، وأَخبر بأَنه كتب فيما أَمضى من قضائه وقدره في الأَزل أنه يغلب هو ورسله كلَّ من حادَّ الله والرُّسل.

وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿وَرُسُلِيَ﴾ بفتح الياءِ، وقرأَ الباقون بسكونها(١).

وقال الحسن وغيره: ما أَمر الله تعالى قطُّ رسولاً بالقتال إِلَّا وأَغلبه وظفَّره بقوته وعزَّته، لا ربَّ سواه، وقال غيره: ومن لم يؤمر بقتال فهو غالبٌ بالحُجَّة(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

نفت هذه الآية أَن يوجد من يؤمن بالله تعالى حق الإِيمان ويلتزم شُعبه على الكمال يُوادُّ كافراً أَو منافقاً، ومعنى (يُوَادُّ): يكون بينهما من اللطف بحيث يودُّ كل واحد منهما صاحبه، وعلى هذا التأْويل قال بعض الصحابة رضي الله عنهم: اللهم لا تجعل لمشرك قِبَلي يداً فتكون سبباً للمودَّة، فإِنَّك تقول؛ وتلا هذه الآية(٣).

وتحتمل الآية أَن يُراد بها: لا يوجد من يؤمن بالله والبعث يُوَادُّ من حادَّ الله من حيث هو محادٌّ؛ لأَنه حينئذ يودُّ المحادَّة، وذلك يوجب أَلَّا يكون مؤمناً.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٩).

(٢) لم أقف عليه، ولفظة «وغيره» ليست في المطبوع ونجيبويه ونور العثمانية.

(٣) ضعيف بنحوه، ولكن جاء عن ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١٤/ ٣٢٩) من رواية كثير بن عطية، عن رجل لم يسم: أن النبي ﷺ قال: «اللهم لا تجعل لفاجر عندي يداً فيحبه قلبي»، وأخرجه أبو منصور الديلمي في الفردوس من حديث معاذ كما في الدر المنثور (١٤/ ٣٣١)، قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٦٠١) وأخرجه أبو موسى المديني في كتاب تضييع العمر والأيام من طريق أهل البيت مرسلاً، وأسانيده كلها ضعيفة.اهـ.

ويُروى أَن هذه الآية نزلت في شأْن حاطب بن أَبي بَلْتعة ومخاطبته أَهل مكة[١].

وظاهر هذه الآيات أَنها متصلة المعنى، وأَن هذه في معنى الذَّم للمنافقين الموالين لليهود، وإِذا قُلنا إِنها في أَمر حاطب جاءَ ذلك أَجنبيّاً في أَمر المنافقين وإِن كان شبيهاً به.

و«الإِخوان» هنا: إِخوة النَّسب؛ بدليل اقترانه بالآباءِ والأبناء[٢].

وعُرْفُ الإِخوان أَنه في الأَودَّاءِ، كما أَن عُرْفَ الإِخوة أَنه في النسب، وقد / [٥/ ١٩١] يكون مستعملاً في إِخاءِ الوُدِّ.

و﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ﴾ معناه: أَثبته وخلَقه بالإِيجاد، وذهب أَبو علي الفارسي وغيره من المعتزلة إِلى أَن المعنى: جعل في قلوبهم علامات تعرف الملائكة بها أَنهم مؤمنون، وذلك لأَنهم يرون أن العبد يخلق إِيمانه[٣]، وقد صرَّح النقَّاشُ بهذا المذهب.

وما أُراه قاله إِلَّا غير مُحَصِّل لما قال، وأَمَّا أَبو علي الفارسي فَعَن بصرٍ به[٤].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿كَتَبَ﴾ على بناءِ الفعل للفاعل، و﴿ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ بالنصب.

وقرأَ أَبو حَيْوة، وعاصم في رواية المفضل عنه: (كُتِبَ) على بناءِ الفعل للمفعول، و(الإِيمَانُ) بالرفع[٥].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إِشارة إِلى المؤمنين الذين تقتضيهم معنى الآية؛ لأَن المعنى: لكنك تجدهم لا يُوادُّون من حادَّ الله.

---

(١) ذكر هذا القول الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٦٤).

(٢) «الأبناء» ليست في المطبوع.

(٣) انظر قول أبي علي في كتابه الحجة (٦/ ٢٨٢)، ونسبة القول للمعتزلة في مفاتيح الغيب للرازي (٢٩/ ٢٤١).

(٤) في الأصل ونجيبويه والحمزوية ونور العثمانية: «بصيرته».

(٥) وهي شاذة، نسبها للمفضل في السبعة (ص: ٦٣٠).

وقوله تعالى: ﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾: بِهُدًى وَلُطف ونور وتوفيق إِلهي ينقدح من القرآن ومن كلام النبي ﷺ.

وقيل: المعنى: بالقرآن، لأَنه روحٌ.

وقيل: المعنى: بجبريل عليه الصلاة والسلام.

و«الْحِزْبُ»: الفريق الذي يجمعه مذهب واحد.

و«الْمُفْلِحُ»: الفائز بِبُغْيَتِه.

وباقي الآية بَيِّنٌ.

كمل تفسير (سورة المجادلة)، والحمد لله ربِّ العالمين

❊ ❊ ❊



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الحشر

هذه السُّورة مدنيَّة باتفاق من أَهل العلم، وهي سورة بني النَّضير؛ وذلك أَن رسول الله ﷺ كان قد عاهد بني النَّضير على سِلْمٍ وهم يرون أَنه لا تُردُّ له رايةٌ، فلما جرت هزيمة أُحُد ارتابوا وداخلوا قريشاً وغدروا، فلما رجع النبي ﷺ من أُحد تبيَّن له معتقد بني النَّضير وغدرهم بعهده وموالاتهم للكفَّار، فجمع إِليهم وحاصرهم وعاهدهم على أَن يُجليهم عن أَرضهم، فارتحلوا إِلى بلاد مختلفة: خيبر والشام وغير ذلك من البلاد، ثم كان أَمر بني قُرَيْظَة مرجعه ﷺ من الأَحزاب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾.

قد تقدَّم القول في تسبيح الجمادات التي يتناولها عموم ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وأَن أَهل العلم اختلفوا في ذلك، فقال قوم: ذلك على الحقيقة، وقال آخرون: ذلك مجاز؛ أَي: أَن آثار الصنعة فيها والإِيجاد لها كالتسبيح وداعية إِلى التسبيح مِمَّن له أَن يسبح.

وقال مكي: ﴿سَبَّحَ﴾ معناه: صلَّى وسجد[(١)]، فهذا كله بمعنى الخضوع والطوع.

و﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ صفتان مناسبتان لما يأْتي بعد من قصة العدو الذين أَخرجهم من ديارهم.

و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: هم بنو النَّضير، وكانت قبيلة عظيمة من بني إِسرائيل موازية في الْقَدْر والمنزلة لبني قريظة، وكان يقال للقبيلتين: الكاهنان؛ لأَنهما من ولد الكاهن بن هارون، وكانت أَرضُهم وحصونهم قريبةً من المدينة، ولهم نخل وأَموال عظيمة، فلما رجع رسول الله ﷺ من أُحُد خرج إِلى بني النضير فحاصرهم وأَجلاهم على أَن يحملوا من أَموالهم ما أَقلَّته إبلهم حاشا الحلقة ـ وهي جميع السلاح ـ، فخرجوا إِلى بلاد مختلفة؛ فذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ اختلف الناس في معنى ذلك بعد اتفاقهم على أَن «الْحَشْر»: هو الجمع والتوجيه إِلى ناحية ما:

فقال الحسن بن أَبي الحسن، وغيره: أَراد تعالى حَشْر القيامة؛ أَي: هذا أَوله، والقيام من القبور آخره[(٢)].

وروى الحسن: أَن النبي ﷺ قال لهم: «امضوا، هذا أَول الحشر وأَنا على الأَثر»[(٣)].

وقال عكرمة، والزهري[(٤)]، وغيرهما: المعنى: لِأَوَّل موضع الحشر وهو الشام، وذلك أَن أَكثر بني النضير جاءَت إِلى الشام.

---

(١) الهداية لمكي (١١/ ٧٣٧٧).

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٤٩٩) بتصرف.

(٣) مرسل، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٥٨)، والطبري (٢٣/ ٢٦٣)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٥٩) من طريق عوف بن أبي جميلة، عن الحسن مرسلاً. وضبطت في بعض المصادر «إنا» بكسر الهمزة على صيغة الجمع.

(٤) في المطبوع: «والزهراوي».

وقد رُوي أَن حشر القيامة هو إِلى الشام[١]، وأن النبي ﷺ قال لبني النضير: «اخرجوا»، قالوا: إِلى أَين يا محمد؟ قال: «إِلى أَرض المحشر»[٢].

وقال قوم - في كتاب المهدوي -: المرادُ الحشر في الدنيا الذي هو الجلاءُ والإِخراج[٣].

فهذا الذي فعل رسول الله ﷺ ببني النَّضير أَوَّلُه، والذي فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأَهل خيبر آخره، وأَخبرت الآية بمغيب، وقد أَخبر النبي ﷺ أيضاً بجلاءِ أَهل خيبر[٤].

ويحتمل أن يكون آخر الحشر في قول النبي ﷺ في مرضه: «لَا يَبْقَيَنَّ دينان في جزيرة العرب»[٥]، فإِن ذلك يتضمن إِجلاءَ بقاياهم.

قال الخليل - فيما حكى الزجاج: سميت جزيرة لأَنه أَحاط بها بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات[٦]. وفي هذه الإِحاطة نظر.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٦٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٥٨)، والهداية لمكي (١١/ ٧٣٧٨).

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٨٥٠) من طريق ابن عيينة عن أبي سعد عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: من شك في أن أول المحشر هاهنا يعني الشام، ليتل هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ﴾ قال لهم رسول الله ﷺ: «اخرجوا» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر». وأبو سعد، هو سعيد بن المرزبان العبسي ضعيف مدلس.

(٣) التحصيل للمهدوي (٦/ ٣٧٢).

(٤) الذي وقفت عليه ما أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٦٢) من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ﴾ قيل: الشام، وهم بنو النضير حي من اليهود، فأجلاهم نبي الله ﷺ من المدينة إلى خيبر، مرجعه من أحد.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٨٣) - رواية الليثي - عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول: كان من آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقين دينان بأرض العرب». وهذا مرسل، وفي الباب عن أبي هريرة، وعائشة رضي الله عنهما. وانظر البدر المنير (٩/ ١٩٢)، والتلخيص الحبير (٤/ ٣١٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٤٤).

وقوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ﴾ معناه: لِمَنَعَتِهِم وكثرة عددهم، فلم تكن آمالكم وظنونكم تنتهي إِلى أَنهم يخرجون ويَدَعون أَموالهم لكم، وبحسب ذلك من المنعة والعُدَّة والتَّحصُّن ظنُّوا أَنهم لن يُقْدَرَ عليهم.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يريد: من جُند الله وحزب الله.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ عبارة عن إِظهار الله تعالى المسلمين عليهم وإِلقائهم في حيِّز الهزم والذل.

وقرأَ الجمهور: ﴿ٱلرُّعْبَ﴾ بسكون العين.

وقرأَ أَبو جعفر، وشيبة: ﴿الرُّعُبَ﴾ بضم العين[1].

واختلف المتأَولون في معنى قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

فقال الضحاك، والزجاج، وغيرهما: كلما هدم المسلمون من تحصينهم في القتال هدموا هم من البيوت وجبروا[2] الحِصْن دأباً، فهذا معنى تخريبهم[3].

وقال الزهري[4] وغيره: كانوا لما أُبيح لهم ما تستقل به الإِبل لا يدعون خشبةً حسنةً ولا نِجافاً[5] ولا ساريةً إِلاَّ قلعوها وخربوا البيوت عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من حيث فِعْلُهم بكفرهم داعية إِلى تخريب المؤمنين بيوتَهم، فكأَنهم قد خربوها هم بأيدي المؤمنين.

---

(١) وهي سبعية، لابن عامر والكسائي كما في التيسير في (ص: ٩١)، وأبي جعفر ويعقوب كما في النشر (٢/ ٢١٦).

(٢) في الأصل: «وخربوا».

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٦٥)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٠٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٦٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٥/ ١٤٤).

(٤) في الأصل ونجيبويه: «الزهراوي»، ولم أقف عليه.

(٥) النِّجاف: أسكُفَّةُ الباب، أو هو الذي يستقبل الباب من أَعلى الأسْكُفَّة، ويقال له: الدَّوَّارة، والأسْكُفة هي العَتَبَة.

وقال جماعة من المفسرين: إنهم لما أَزمعوا الجلاءَ شحوا / على ترك البيوت [٥/ ١٩٢] سليمة للمؤمنين فهدموا وخربوا بمعنى الإِفساد على من يأْتي.

وقال قتادة: خرب المؤمنون من خارج ليدخلوا وخربوا هم من داخل(١).

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بسكون الخاءِ وتخفيف الراءِ.

وقرأَ أَبو عمرو وحده، والحسن بخلاف عنه، وقتادة، وعيسى: ﴿يُخَرِّبُونَ﴾ بفتح الخاءِ وشد الرَّاءِ(٢).

فقال فريق من العلماءِ اللغويين: القراءَتان بمعنى واحد.

وقال أَبو عمرو بن العلاءِ: خرَّب: معناه: هدم وأَفسد، وأَخْرَبَ: معناه: ترك الموضع خراباً وذهب عنه(٣).

ثم نبَّه تعالى المؤمنين وغيرهم ممَّن له أَن ينظر على نُصرة رسوله ﷺ وصنعه له فيمن حادَّه وناوأَه بقوله: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾، أَي العيون(٤) والأَفهام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾.

أَخبر تعالى في هذه الآية أَنه كتب على بني إِسرائيل جلاءً، وكانت بنو النَّضير ممَّن حلَّ بالحجاز بعد(٥) موت موسى عليه السلام بيسير؛ لِأَنهم كانوا من الجيش الذي

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٩٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٦٩)، بتصرف.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢٠٩).

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٨٣).

(٤) في المطبوع: «العقول».

(٥) في المطبوع: «عند».

رجع، وقد عصوا في أَن لم يقتلوا الغلام ابن مَلِك العماليق لجماله وعقله، وقد كان موسى عليه السلام قال لهم: لا تستحيوا أَحداً، فلما رجع ذلك الجيش إِلى بني إِسرائيل بالشام وجدوا موسى عليه السلام ميتاً، وقال لهم بنو إِسرائيل: أَنتم عصاة، والله لا دخلتم علينا بلادنا، فقال أَهل ذلك الجيش عند ذلك: ليس لنا أَحب من البلاد التي غلبنا أَهلها، فانصرفوا إِلى الحجاز فكانوا فيه، فلم يجر عليهم الجلاءُ الذي أَجراه بختنصر على أَهل الشام، وقد كان الله تعالى كتب في الأزل[1] على بني إِسرائيل جلاءً، فنالهم هذا الجلاءُ على يدي محمد ﷺ، ولولا ذلك لعذبهم الله تعالى في الدنيا بالسيف والقتل كأَهل بدر وغيرهم، ويقال: جَلَا الرجلُ، وأَجلاه غيرُه، وقد يقال: أَجلى الرجل نفسه؛ بمعنى: جلا.

و«الْمُشَاقَّةُ»: كون الإِنسان في شق ومخالفه في شق.

وقوله تعالى: ﴿مَاقَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ سببها: أَن بعض أَصحاب النبي ﷺ وضعوا أَيديهم في نخل بني النضير يقطعون ويحرقون، فقال بنو النضير: ما هذا الإِفساد يا محمد وأَنت تنهى عن الفساد؟ فكف عن ذلك بعض الصحابة، وذلك في صدر الحرب معهم، فنزلت الآية[2] مُعْلِمةً أَن جميع ما جرى من قطع أَو إِمساك فبإِذن الله تعالى، وردَّت الآية على قول بني النضير إِنَّ محمداً ينهى عن الفساد وها هو ذا يُفسد، فأَعلم الله تعالى أَن ذلك بإِذنه وليجزي الفاسقين من بني النضير.

واختلف الناسُ في اللِّينَةِ:

فقال الحسن، ومجاهد، وأَبو زيد، وعمرو بن ميمون: اللِّينة: النخلة، اسمان بمعنى واحد[3].

---

(١) «في الأزل» ليست في المطبوع.

(٢) مرسل، هذا الحديث أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٧١) من طريق محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رمان مرسلاً.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٦٩-٢٧٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٧١).

وجَمْعها لِينٌ وليانٌ، وقال الشاعر:

وَسَالِفَةٌ كَسَحُوقِ اللِّيَانِ أَضْرَمَ فيها الْغَوِيُّ السُّعُرْ[١] [المتقارب]

وقال آخر:

طِرَاقُ الْخَوَافي وَاقعٌ فَوْقَ لينَة نَدَى لَيْلِه في ريشه يَتَرَقْرَقُ[٢] [الطويل]

وقال ابن عباس وجماعة من اللغويِّين: اللِّينة من النَّخل ما لم تكن عجوة[٣].

وقال سفيان بن سعيد الثوري: اللِّينة: الكريمة من النَّخل[٤].

وقال أَبو عبيدة فيما رُوي عنه، وسفيان: اللِّينة: ما تمرها لوِنٌ، وهو نوعٌ من التمر يقال له: اللَّوِن، قال سفيان: هو شديد الصُّفرة يشِفُّ عن نواه من التمر فيُرى من خارج[٥].

وأَصلها: لِوْنَة، فأُبدلت الواو[٦] لموافقة الكسرة.

وقال أَيضاً أَبو عبيدة: اللِّين: أَلوان النَّخل المختلطة التي ليس فيها عجوة ولا بَرْني[٧].

وقرأَ ابن مسعود والأَعمش[٨]: (أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قُوَّماً عَلَى أُصُولِها)[٩].

---

(١) البيت لامرئ القيس، كما تقدم في تفسير الآية (١١٥) من (سورة آل عمران).

(٢) البيت لِذِي الرُّمَّة، كما تقدم في تفسير الآية (١٢٣) من (سورة الشعراء).

(٣) جيد، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٨٣٠)، والطبري (٢٢/ ٢٦٩) من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ مَاقَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾. قال: النخلة دون العجوة.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٧٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٠٢)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٧١).

(٥) البحر المحيط (١٠/ ١٣٩). و«من التمر» ليست في الأسدية (٣، و٤) والمطبوع.

(٦) الواو ليست في المطبوع.

(٧) في المطبوع: «نوى»، وانظر الهداية لمكي (١١/ ٧٣٨٦).

(٨) سقطت من نجيبويه.

(٩) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤٦٨)، وهي في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٤٤)، بلفظ: (ولا تركتم قُوَّماً).

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ الآية؛ إعلامٌ أَنَّ ما أُخذ من بني النَّضير ومن فَدَكَ فهو خاصٌّ للنبي ﷺ، وليس على حكم الغنيمة التي يُوجَف عليها ويُقاتل فيها، بل على حكم خُمس الغنائم، وذلك أَن بني النضير لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال، فأَخذ منها رسول الله ﷺ لنفسه قوتَ عياله، وقسَّم سائرها في المهاجرين ولم يُعط الأَنصار منها شيئاً، غير أَن أَبا دُجانة سِمَاك بن خَرَشَة وسَهْل بنَ حُنَيْف شكيا فاقة عظيمة فأَعطاهما[١]، هذا قول جماعة من العلماءِ[٢].

وفي ذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كانت أَموال بني النَّضير ممَّا أَفاءَ الله تعالى على رسوله ﷺ ممَّا لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكان رسول الله ﷺ ينفق منها على أَهله نفقة سنة، وما بقي منها جعله في السلاح والكُراع عُدَّة في سبيل الله تعالى[٣].

قال بعض العلماءِ: وكذلك كل ما فُتح على الأَئمة ممَّا لم يوجف عليه فهو لهم خاصة[٤].

والوجيف دون التقريب، يقال: وجف الفرس وأَوجفه الراكب، والإِيجاف: سرعة السير والاجتهاد فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾.

---

(١) مرسل، أخرجه أبو داود (٢٩٧١)، والطبري (٢٢/ ٥١٤)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٢٩٦) من طريق محمد بن ثور الصنعاني، عن معمر، عن الزهري مرسلاً، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٨٣) عن معمر به.

(٢) انظر بداية المجتهد (٢/ ٣٧٦-٣٧٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٩٠٤)، ومسلم (١٧٥٧).

(٤) انظر حكاية القول في معالم السنن للخطابي (٢/ ٩٦).

أَهل القرى المذكورون في هذه الآية: هم أَهل الصفراءِ والينبوع ووادي القرى وما هنالك من قرى العرب التي تُسمى قرى عربية، وحكمها مخالف لبني النَّضير، ولم يحبس رسول الله ﷺ من هذه لنفسه شيئاً، بل أَمضاها لغيره؛ وذلك أَنها في ذلك الوقت فتحت.

واختلف الناس في صفة فتحها:

فقيل: غزاها[١] رسول الله ﷺ، وبعث بعثاً إِلى كل مكان فأَطاع وأَعطاه / أَهله فكان ممَّا لم يوجف عليه، وكان حكمه حكم الغنائم، وليس في الآية نسخ على هذا التأْويل، وأَعطى رسول الله ﷺ جميع ذلك للمهاجرين ولم يعط الأَنصار منها[٢] شيئاً. [٥/ ١٩٣]

وقال قتادة، ويزيد بن رُومان: كانت هذه القرى قد أُوجف عليها ولكن كان هذا حكم ما لم يوجف عليه، ثم نسخ الله تعالى هذا الحكم بآية الأَنفال[٣] فجعل فيها الخُمس لهذه الأَصناف وبقيت الأَربعة الأَخماس للمقاتلة، وآية هذه السُّورة لم يكن فيها للمقاتلة شيءٌ[٤]. وهذا القول يضعف؛ لأن آية الأَنفال نزلت إِثر بَدْر قبل بني النضير وقبل أَمر هذه القرى بسنة ونيِّف.

و﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ في هذه الآية قرابةُ النبي ﷺ، مُنعوا الصدقة فعُوضوا من الفيءِ.

وقوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ مخاطبة للأَنصار لأَنه لم يكن للمهاجرين في ذلك الوقت غنى.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَكُونَ﴾ بالياءِ.

وقرأَ ابن مسعود، وأَبو جعفر، وهشام عن ابن عامر بالتاءِ، وهي «كان» التامة[٥].

---

(١) في الأصل: «عزلها»، وفي نجيبويه: «عن لها».

(٢) «منها» ليست في المطبوع.

(٣) في الحمزوية: «القتال».

(٤) تفسير القرطبي (١٨/ ١٢).

(٥) وهي سبعية لهشام بخلفه كما في التيسير (ص: ٢٠٩)، ولأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٨٦).

وقرأ جمهور الناس: ﴿دُولَةَۢ﴾ بضم الدال ونصب الهاءِ.

وقرأَ أَبو عبد الرحمن السُّلَمي: (دَوْلَةً) بفتح الدال ونصب الهاءِ[١].

وقرأَ أَبو جعفر بن القعقاع، وهشام عن ابن عامر: ﴿دُولَةٌ﴾ بضم الدال والهاءِ[٢].

وقال عيسى بن عمر: هما بمعنى واحد[٣].

وقال الكسائي وحُذَّاق النظرة: الفتح في المُلْك بضم الميم، لأَنها الفعلة في الدَّهر، والضم في المِلْك بكسر الميم[٤].

والمعنى أَنها كالعواري، فيتداول الأَغنياءُ ذلك المال بتصرفاتهم ويبقى المساكين بلا شيءٍ، ولا حظَّ في شيءٍ من هذه الأَموال ليتيم غني ولا لابن سبيل حاضر المال[٥].

وقد مضى القول في الغنائم في سورة الأَنفال.

ورُوي: أَن قوماً من الأنصار تكلموا في هذه القرى المُفْتَتَحَة وقالوا: لنا منها سهمنا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الآية[٦] مؤدباً في ذلك وزاجراً، ثم اطَّرد بعْدُ معنى الآية في أَوامر النبي ﷺ ونواهيه، حتى قال قوم: إِن الخمر محرمة في كتاب الله تعالى بهذه الآية، وانتزع منها ابن مسعود لعنةَ الواشمة والمستوشمة... الحديث[٧]، ورأَى مُحرماً في ثيابه المخيطة فقال له: اطرح هذا عنك، فقال له الرجل: أَتقرأُ عليَّ بذلك آية من كتاب الله تعالى؟ فقال ابن مسعود رضي الله عنه: نعم، وتلا هذه الآية[٨].

---

(١) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٦٩).

(٢) وهي سبعية لهشام بخلفه كما في التيسير (ص: ٢٠٩)، ولأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٣٨٦).

(٣) إصلاح المنطق (ص: ٩٠).

(٤) أدب الكتاب لابن قتيبة (ص: ٣١٩).

(٥) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٣/ ١٠٥٧).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨٨٦-٤٨٨٧)، ومسلم (٢١٢٥)، وأما الأثر الثاني فأورده القرطبي في تفسيره (١٨/ ١٧).

(٨) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٧٧) من طريق سفيان الثوري، عن الأشتر، عن إبراهيم، عن =

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ بيان لقوله تعالى: ﴿وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، فكرَّر لام الجر لما[1] كانت الأُولى مجرورة باللام؛ ليبين أَن البدل إِنما هو منها، ثم وصفهم تعالى بالصفة التي تقتضي فقرهم وتوجب الإِشفاق عليهم، وهي إِخراجهم من ديارهم وأَموالهم.

وجميع المهاجرين إِمَّا أخرجهم الكفار وإِمَّا أَحوال الكفار وظهورهم وفرض الهجرة في ذلك الوقت، ووصفهم بالفقر وإِن كان لهم بعض أَمْوال وهي حال الفقراءِ في اللغة، وقد مضى بيان هذا في سورة الكهف.

وقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ﴾ في موضع الحال. و«الفضلُ والرضوان»: يراد بهما الآخرة والجنة. و«نَصْرُ الله»: هو نَصْر شرعه ونبيِّه ﷺ.

و﴿الصَّادِقُونَ﴾ في هذه الآية يجمع صدق اللسان وصدق الأَفعال لأَن أَفعالهم في أَمر هجرتهم إِنما كانت وفق أَقوالهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا﴾: هم الأنصار، والضمير في ﴿قَبْلِهِمْ﴾ للمهاجرين، و﴿الدَّارَ﴾ هي المدينة.

= عبد الرحمن بن يزيد قال: لقي عبد الله بن مسعود رجلاً محرماً وعليه ثيابه، فقال: انزع عنك. فقال الرجل: أتقرأ علي بهذا آية من كتاب الله؟ قال: نعم ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٣٣٨) من طريق أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن زيد موقوفاً عليه.

(١) في المطبوع: «كما».

والمعنى: تَبَوَّءُوا الدَّار مع الإِيمان معاً، وبهذا الاقتران يصح معنى قوله: ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، فتأَمَّله، والإِيمان لَا يُتبَوَّأُ لأَنه ليس مكاناً، ولكن هذا من بليغ الكلام، ويتخرج على وجوه كلُّها جميل حَسَن.

وأَثنى الله تعالى في هذه الآية على الأَنصار بأَنهم يحبون المهاجرين رضي الله عن جميعهم، وبأَنهم يُؤثرُون على أَنْفُسهم، وبأَنهم قد وُقُوا شُحَّ أَنفُسهم؛ لأَن مقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾ الآية: أَن هؤلاءِ الممدوحين قد وُقُوا الشُّحَّ.

و«الْحَاجَةُ»: الحَسَد في هذا الموضع، قاله الحسن[1]، وتعمُّ بعْدُ جميع الوجوه التي هي بخلاف ما فعله النبي ﷺ في إِعطاءِ المهاجرين أَموال بني النَّضير والقرى.

و﴿أُوتُواْ﴾ معناه: أُعطوا، والضمير المرفوع بأَن لم يُسَمَّ فاعله هو للمهاجرين.

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ﴾ الآية؛ صفة للأنصار، وقد روي من غير ما طريق أَنها نزلت بسبب رجل من الأَنصار؛ قال أَبو المتوكِّل: هو ثابت بن قيس[2].

وقال أَبو هريرة رضي الله عنه ـ في كتاب مكي ـ: كنية هذا الرجل أَبو طلحة.

وخَلَّط المهدوي في ذكر هذا الرجل. نَدَبَ رسولُ الله ﷺ إِلى ضيافة مهاجري، فانتدب الأَنصاري ولم يكن له مال فذهب بالضيف وقال لامرأَته: هذا ضيف رسول الله ﷺ، قالت: والله ما عندي إِلَّا قُوت الصِّبية، فقال لها: نَوِّمي صبيانك، وأَطفئي السراجَ، وقدِّمي ما عندك للضيف ونوهمه أَنَّا نأْكل، فَفَعَلَا ذلك، فَلَمَّا غَدَا على رسول الله ﷺ قال: «عجب الله من فعلكما البارحةَ»، ونزلت الآية في ذلك[3].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٨٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٠٥).

(٢) انظر تفسير ابن أبي زمنين (٤/ ٣٦٩)، وأبو المتوكل الناجي البصري اسمه علي بن دؤاد، حدث عن عائشة، وأبي هريرة، وابن عباس، وعنه: قتادة، وحميد، وخالد الحذاء، وكان ثقة نبيلاً من جلة التابعين، توفي سنة ٢٠٢هـ. تاريخ الإسلام (٧/ ٢٩٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر قول مكي في الهداية (١١/ ٣٧٩٤)، وتخليط المهدوي في التحصيل (٦/ ٣٧٠). وفي المطبوع: «عندنا»، بالجمع، وفيه: «فعلك» بالإفراد.

والإيثارُ على النفس أَكْرم خُلُق، وقال حذيفة العدوي[١]: طلبت يوم اليرموك ابن عمٍّ لي في الجرحى ومعي شيءٌ من ماءٍ، فوجدته، فقلت: أَسقيك؟ فأَشار أَن نعم، فإِذا رجل يصيح: آهٍ، فأَشار ابن عمِّي أَن انطلق إِليه، فجئته[٢] فإِذا هو هشام بن العاص، فقلت: أَتشرب؟ فإِذا آخر يقول: آهٍ، فأَشار هشام أَن انطلق إِليه، فجئته فإِذا به قد فاضت نفسه، فرجعت إِلى هشام فإِذا هو قد مات، فرجعتُ إِلى ابن عمي فإِذا هو قد مات، فعجبت من إِيثارهم رحمهم الله تعالى[٣].

وقال أَبو يزيد البسطامي[٤]: قَدِم علينا شاب من بَلْخ حاجّاً[٥] فقال لي: ما حدُّ الزُّهد عندكم؟ فقلت: [إِذا فقدنا صَبَرْنا، وإِذا وجدنا أكلنا، قال: هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ، قلت: فما الزهد عندكم][٦]؟ قال: إِذا فقدنا صبرنا، وإِذا وجدنا آثَرْنا.

وروي / أَن سبب هذه الآية: أن النبي ﷺ لمَّا قسَّم هذه القرى في المهاجرين [٥/ ١٩٤] قال للأَنصار: «إِن شئتم قسمتم للمهاجرين من أَموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه

---

(١) الصواب أنه أبو الجهم بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي من مسلمة الفتح، وكان من معمري قريش ومن مشيختهم، وممن يؤخذ عنهم النسب؛ حضر بناء الكعبة مرتين، وكان ممن تولى دفن عثمان، ومات في آخر خلافة معاوية، الإصابة (٧/ ٦٠).

(٢) «فجئته» ليست في المطبوع.

(٣) هذه القصة أخرجها ابن المبارك في الجهاد (١١٦)، وفي زوائد الزهد للمروزي (**٥٢٥**)، ومن طريق البيهقي في الشعب (**٣٤٨٣**) عن عمر بن سعيد أبي حسين، عن ابن سابط، أو غيره، عن أبي جهم ابن حذيفة العدوي، به.

(٤) هو: طيفور بن عيسى بن شروسان أبو يزيد البسطامي، الزاهد العارف من كبار مشايخ القوم وهو بكنيته أعرف، وقد نقلوا عنه أشياء من متشابه القول، الشأن في صحتها عنه، ولا تصح عن مسلم، فضلا عن مثله، توفي سنة **٢٦١**هـ. تاريخ الإسلام (٢٠/ ١١٠).

(٥) «حاجاً» ليس في المطبوع.

(٦) سقط من الحمزوية، وفي أحمد**٣** والأسدية**٣**، والمطبوع: «شكرنا» بدل «أكلنا»، و«كذا» بدل «صبرنا»، وانظر القرطبي (١٨/ ٢٨).

الغنيمة، وإِن شئتم أَمسكتم أَموالكم وتركتم لهم هذه»، فقالوا: بل نقسم لهم من أَموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة، فنزلت هذه الآية[١].

و«الْخَصَاصَةُ»: الفاقة والحاجة، وهو مأْخوذ من خصاص البيت، وهو ما يبقى بين عيدانه من الفروج والفتوح، فكأَن حال الفقير هي كذلك يتخلَّلُها النقص والاحتياج.

و«شُحُّ النَّفس»: هو كثرة طمعها وضبطها على المال والرغبة فيه وامتداد الأَمل، هذا جماع شح النفس، وهو داعية كل خلق سوءٍ، وقد قال رسول الله ﷺ: «من أَدى الزكاة المفروضة، وقَرَى الضيف، وأَعطى في النائبة، فقد برئ من الشُّح»[٢].

واختلف الناس بعد هذا الذي قلناه؛ فذهب الجمهور والعارفون بالكلام إِلى هذا، وعلى هذا التأْويل كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يطوف وهو يقول: اللهم قِني شُحَّ نفسي، لا يزيد على ذلك، فقيل له في ذلك فقال: إِذا وُقِّيتُه لم أَفعل سوءاً[٣].

---

(١) لم أقف عليه مسنداً، وانظر تفسير الثعلبي (٩/ ٢٨٠)، وقال الحافظ في الفتح (٧/ ٣٣٣): وروى الحاكم في الإكليل من حديث أم العلاء قالت قال: النبي ﷺ للأنصار لما فتح النضير: «إن أحببتم قسمت بينكم ما أفاء الله علي وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا عنكم»، فاختاروا الثاني.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٨٦) عن محمد بن إسحاق، والبيهقي في الشعب (١٠٨٤٢) من طريق محمد بن إسحاق، عن سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، عن إسماعيل بن عياش، عن مُجمِّع بن جارية الأنصاري، عن عمه يزيد بن جارية الأنصاري، عن أنس بن مالك، مرفوعاً به. وإسماعيل بن عياش الحمصي صدوق فى روايته عن أهل بلده، مخلط فى غيرهم، وهو يروي هذا الحديث عن مجمع ابن يحيى بن جارية الأنصاري الكوفي، وله طرق أخرى مرسلة، وروي من حديث ابن عمر وهو ضعيف.

(٣) جيد، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٨٦) من طريق الثوري، عن طارق بن عبد الرحمن الأحمسي، عن سعيد بن جبير، عن أبي الهياج الأسدي، قال: كنت أطوف بالبيت، فرأيت رجلاً يقول: اللهمّ قني شحّ نفسي، لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل شيئاً، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف. وهذا إسناد جيد.

قال القاضي أَبو محمد: شُحُّ النفس فقر لا يُذْهِبُهُ غِنى المال بل يزيده وينصب به.

وقال ابن زيد، وابن جبير، وجماعة: من لم يأْخذ شيئاً نهاه الله تعالى عنه ولم يمنع الزكاة المفروضة؛ فقد برئ من شُحِّ النفس[١].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: شُح النفس هو أَكل مال الغير بالباطل، وأَما منع الإِنسان ماله فهو بُخل، وهو قبيح ولكنه ليس بالشُّح[٢].

وقرأ عبد الله بن عمر: (شِحَّ) بكسر الشين[٣].

و﴿يُوقَ﴾ وزنه: يُفْعَل، مِنْ وقَى يقي، مثال: وَزَن يَزِنُ.

وقرأَ أَبو حيوة: (يُوَقَّ) بفتح الواو وشد القاف[٤].

و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون ببغيتهم.

واختلف الناس في تأْويل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾:

فقال الفراءُ: أَراد الفرقة الثالثة من الصحابة، وهي التي آمنت أَو كبرت في آخر مُدَّة النبي ﷺ، وقال جمهور العلماءِ: أَراد من يجيءُ من التابعين وغيرهم إِلى يوم القيامة،

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٨٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٢٨٠)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٣٧).

(٢) صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٧١٤٣)، والطبري (٢٣/ ٢٨٦)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٧٢) وغيرهم من طريق جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال قال: جاء رجل إلى عبد الله فقال: يا أبا عبد الرحمن، إني أخاف أن أكون قد هلكت، فقال له عبد الله: وما ذاك؟ قال: سمعت الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وأنا رجل شحيح، لا أكاد أن أخرج من يدي شيئاً! فقال عبد الله: ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً، ولكن ذلك البخل، وبئس الشيء البخل.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص:١٥٥)، وأوردها في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٦١) بلا نسبة.

(٤) وهي شاذة، نسبها له ولابن أبي عبلة في الدر المصون (١/ ٥٢٣٧)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٥٥)، لمحمد بن النضر.

فوصف الله تبارك وتعالى القول الذي ينبغي أَن يلتزمه كل من لم يكن من الصدر الأَول[١].

وإِعـراب (الْذينَ) رفع عطفاً على ﴿ هُمُ ﴾ أَو على ﴿وَٱلَّذِينَ ﴾، أو رفع بالابتداءِ. وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ ﴾ حالٌ فيها الفائدة، والمراد: والذين جاءُوا قائلين كذا، أَو يكون ﴿يَقُولُونَ ﴾ صفة.

ولهذه الآية قال مالك وغيره: إِنه من كان له في أَحد من الصحابة قول سوءٍ أَو بغض فلا حظَّ له في الغنيمة أَدباً له[٢].

وجاءَ عراقيون إِلى علي بن الحسين رضي الله عنه فسبُّوا أَبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فقال لهم: أَمِنَ المهاجرين الأَولين أَنتم؟ قالوا: لا، قال: أَفَمِن الذين تبوَّءُوا الدار والإِيمان أَنتم؟ قالوا: لا، قال: فقد تبرأْتم من هذين الفريقين، وأَنا أَشهد أَنكم لستم من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ الآية؛ فقوموا، فَعَل الله تعالى بكم وفَعَل[٣].

وقال الحسن: أَدركت ثلاث مئة من الصحابة منهم سبعون بدريّاً كلهم يحدثني أَن النبي ﷺ قال: «من فارق الجماعة قِيْدَ شبر فقد خلع رِبْقَة الإِسلام من عنقه»[٤]، فالجماعة أَلَّا تسبُّوا الصحابة، ولا تُماروا في دين الله تعالى، ولا تُكفِّروا أَحداً من أَهل التوحيد بذنب.

و«الْغِلّ»: الحِقْد والاعتقاد الرديءُ.

---

(١) انظر كلام الفراء على هذه الآية في معاني القرآن (٣/ ١٤٥) له.

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٢١).

(٣) انظر القصة في: حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ١٣٧). وفي المطبوع: «بعض العارفين» بدل «عراقيون».

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٨٢) من طريق كثير بن مروان الشامي، عن عبد الله بن يزيد الدمشقي، عن الحسن به. وكثير بن مروان أبو محمد المقدسي ضعفوه، وانظر ترجمته في الميزان (٣/ ٤٠٩)، وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي ذر، وجابر بن عبد الله وغيرهم.

وقرأ الأَعمش: (في قُلُوبنَا غِمْراً)[١]، والغِمْر: الحِقْد.

وقد تقدم الاختلاف في قراءَة: ﴿رَءُوفٌ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾.

هذه الآية نزلت في عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول، ورفاعة بن التابوت، وقوم من منافقي الأَنصار كانوا بعثوا إِلى بني النَّضير وقالوا لهم: اثبتوا في معاقلكم فإِنَّا معكم كيفما تقلبت حالكم، وإِنما أَرادوا بذلك أَن تقوى نفوسهم عسى أَن يثبتوا حتى لا يقدر محمد عليه الصلاة والسلام عليهم فيتم لهم مرادهم، وكانوا كَذَبَة فيما قالوا من ذلك، ولذلك لم يخرجوا حين أُخرج بنو النَّضير بل قعدوا في ديارهم[٢].

وقوله عزَّ وجلَّ: (لَئِنْ نَصَروهم) معناه: ولَئِن حاولوا ذلك[٣] فإِنهم ينهزمون ثم لا ينصر الله تعالى أَحداً منهم.

وجاءَت الأَفعال غير مجزومة في قوله تعالى: ﴿لَا يَخْرُجُونَ﴾ و﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾؛ لأَنها راجعة على حكم القسم[٤] لا على حكم الشرط، وفي هذا نظر.

ثم خاطب تعالى أُمة محمد ﷺ مُخبراً أَن اليهود والمنافقين أَشد خوفاً [من

(١) وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣١٧).
(٢) انظر تفسير الطبري (٢٢/ ٥٣٥) ذكره عن مجاهد.
(٣) في المطبوع ونجيبويه: «نصرهم».
(٤) في الأسدية٣، وأحمد٣ والمطبوع والحمزوية: «أنفسهم».

المؤمنين منهم من الله تعالى؛ لأَنهم يتوقعون عاجل الشَّر][1] من المؤمنين ولا يؤمنون بآجل العذاب من الله تعالى، وذلك لقلَّة فهمهم للأُمور وتوفيقهم للحق.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ لبني النضير وجميع اليهود، هذا قول جماعة من المفسِّرين، ويحتمل أَن يريد بذلك اليهود والمنافقين؛ لأَن دخول المنافقين في قوله تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متمكن بَيِّن، ومعنى الآية: لا يقاتلونكم في جيش مفحصٍ[2].

و«الْقُرَى»: المدن، قال الفراءُ: هذا جمع شاذٌّ، قال الزجاج: ما في القرآن فليس بشاذ، وهو مثل: ضَيْعَةٍ وضُيَع[3].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وكثير من المكِّيين: ﴿جِدَارٍ﴾ على معنى الجنس.

وقرأَ كثير من المكِّيين، وهارون عن ابن كثير: (جَدْرٍ) بفتح الجيم وسكون الدال، ومعناه: أَصل بنيان كالسُّور ونحوه.

وقرأَ الباقون من القراءِ: ﴿جُدُرٍ﴾ بضم الجيم والدال، وهو جمع جِدَارٍ.

[وقرأَ أَبو رجاءٍ، وأَبو حَيْوة: (جُدْرٍ) بضم الجيم وسكون الدال، وهو تخفيف في جمع جِدارٍ][4] / . [٥/ ١٩٥]

---

(١) سقط من نجيبويه، وفي المطبوع وأحمد٣: «لا يتوقعون».

(٢) في الأسدية (٣، و٤)، والمطبوع: «بفحص».

(٣) انظر القولين في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٤).

(٤) هذه أربع قراءات الأولى والثالثة سبعيتان، كما في التيسير (ص: ٢٠٩)، السبعة (ص: ٦٣٢)، =

ويحتمل أَن يكون من جدر النخيل؛ أَي: من وراءِ نخلهم إِذ هي ممَّا يُتَّقى به عند المضايقة[١].

وقوله تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾؛ أَي: في غائلتهم وإِحَنِهم.

وفي قراءَة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُم أشتُّ)[٢].

قال أبو محمد: وهذه حال الجماعات المتخاذلة، وهي المغلوبة أَبداً في كل ما تحاول، واللفظة مأْخوذة من الشتات وهو التفرُّق ونحوه.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ معناه: مثلهم كمثل الذين من قبلهم.

قال ابن عباس رضي الله عنه: هم بنو قَيْنُقَاع؛ لأَن النبي ﷺ أَجلاهم عن المدينة قبل بني النَّضير، وكانوا مِثْلاً لَهُم[٣].

وقال قتادة ومجاهد: ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أَهلُ بدر الكفَّار؛ فإِنهم قبلهم ومِثْلٌ لهم في أَن غُلبوا وقُهروا[٤].

وقال بعض المتأَولين: الضمير في قوله تعالى: ﴿قَبْلِهِمْ﴾ للمنافقين، وهم منافقو الأُمم المتقدِّمة؛ وذلك أَنهم غُلبوا ونالتهم الذِّلَّة على وجه الدهر، فهم مثل لهؤلاءِ.

ولكن قوله تعالى: ﴿قَرِيبًا﴾ إِمَّا أَن يكون في زمن موسى عليه السلام، وإِلَّا

= والثانية في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٤)، والثالثة في المحتسب (٢/ ٣١٥) وهما شاذتان، والأخيرة سقطت من الحمزوية.

(١) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «عند المصافقة»، والمصافقة هي الضرب.

(٢) وهي شاذة، انظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٤)، معاني القرآن للفراء (٣/ ١٤٦). وفي الأصل: «أشتات»، وفي الأسدية٣: «شتٌّ».

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٩٣) عن محمد بن حميد، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٨٤)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٠٩)، وفي تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٧) عن قتادة: أنهم بنو النضير.

فالتَّأْويل المذكور يضعف، إِلَّا أَن يجعل ﴿قَرِيبًا﴾ ظرفاً للذَّوْقِ، فيكون التقدير: ذاقوا وبَالَ أَمرهم قريباً من عصيانهم وبحدثانه، ولا يكون المعنى أَنَّ المثلَ قريب في الزَّمن مِنَ المُمَثَّل له، وعلى كل تأْويل فـ﴿قَرِيبًا﴾ ظرفٌ أَو نعت لظرف.

و«الْوَبَالُ»: الشِّدَّة والمكروه وعاقبة السوءِ، و«الْعَذَابُ الأَلِيمُ»: هو في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ معناه: مثل هاتين الفرقتين من المنافقين وبني النَّضير كمثل الشيطان والإِنسان، فالمنافقون مثلهم الشَّيطان، وبنو النَّضير مثلهم الإِنسان.

وذهب مجاهد وجمهور من المتأَوِّلين إِلى أَن الشَّيطان والإِنسان في هذه الآية اسْمَا جِنْس؛ لأَن العرف أَن يَعمل هذا الشَّياطينُ بناس، كما يغوي الشَّيطان الإِنسان ثمَّ يفرُّ عنه بعد أَن يُورِّطه، كذلك أَغوى المنافقون بني النضير وحرَّضوهم على الثُّبوت ووعدوهم النصر، فلما غدر بنو النَّضير وكشفوا عن وجوههم، تركهم المنافقون في أسوأ حال[1].

وذهب قوم من رواة القصص: أَن هذا في شيطان مخصوص مع عابد من العُبَّاد مخصوص، وذكر الزجاج أَن اسمه برصيصا، قالوا: إِنَّه استُودع امرأَةً، وقيل: سيقَتْ إِليه ليشفيها بدعائه من الجنون، فسوَّل له الشَّيطان الوقوع عليها، فحملت، فخشي الفضيحة، فسوَّل له قَتْلَها ودَفْنها، ففعل، ثم شهره، فلمَّا استُخْرِجت المرأَة وحُمِل العابد شرَّ حمل، وهو قد قال: إِنها ماتت فقُمتُ عليها ودفنتها، فلما وُجدت مقتولة علموا كذبه، فتعرَّض له الشَّيطان وقال له: اكفر واسجد لي وأَنا أُنجِّيك، ففعل، وتركه عند ذلك وقال: إِنِّي بريءٌ منك[2].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٢٩٧)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٠٩).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٤٨)، وهذه القصة أخرجها الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٨٤) من طريق مقاتل بن سليمان البلخي، عن عطاء بن أبي رباح، وعبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما وذكر قصة برصيصاً. ومقاتل بن سليمان البلخي متروك.

قال أبو محمد: وهذا كله حديث ضعيف، والتأْويل الأَول هو وجه الكلام.

وقول الشيطان: إِنِّي أَخاف الله؛ رياء وسُمعة[١] من قوله، وليست على ذلك عقيدته، ولا يعرف اللهَ تعالى حق معرفته، ولا يحجزه خوفُه عن سوءٍ يوقع فيه ابن آدم من أَول إِلى آخر.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ﴾ الآية، يحتمل الضمير أَن يعود على المخصوصيْن المذكوريْن.

ويحتمل أَن يعود على اسمي الجنسين، أَي: هذا هو عاقبة كل شيطان وإِنسان يكون أَمرهما هكذا.

وقرأَ الحسن، وعمرو بن عبيد: (عَاقِبَتُهُمَا) بالرفع[٢].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿عَـٰقِبَتَهُمَآ﴾ بالنصب.

وموضع (أَنَّ) يخالف إِعراب «العاقبة» في القراءَتين.

وقرأَ ابن مسعود، والأَعمش: (خَالِدَانِ) بالرفع على أَنه خبر (أَنَّ)، والظَّرف ملغى[٣].

ويلحق هذه القراءة[٤] من الاعتراض إِلغاءُ الظرف مرتين، قاله الفراءُ، وذلك جائز عند سيبويه على التأْكيد[٥].

---

(١) من المطبوع، وليست فيه: «من قوله».

(٢) وهي شاذة، نسبها لهما للحسن النحاس في إعراب القرآن (٤/ ٢٦٥)، والكرماني في الشواذ (ص: ٤٦٩) له ولابن محيصن.

(٣) وهي شاذة، انظر نسبتها للأعمش في مشكل إعراب القرآن (٢/ ٧٢٦)، ولابن مسعود في تفسير الطبري (٢٣/ ٢٩٨)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٤٦) بلفظ: أنهما خالدان في النار.

(٤) في الأصل: «الآية».

(٥) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٥).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾.

هذه آية وعظ وتذكير وتقريب للآخرة، وتحذير ممَّن لا تخفى عليه خافية.

وقرأ جمهور الناس: ﴿وَلۡتَنظُرۡ﴾ بسكون اللام وجزم الراءِ على [أَصل لام](١) الأَمر.

وقرأ يحيى بن الحارث، وأَبو حيوة، وفرقة كذلك بلام الأَمر، إِلَّا أنها كسرت على أَصل لام الأَمر.

وقرأ الحسن بن أَبي الحسن فيما رُوي عنه: (وَلِتَنْظُرَ) بنصب الراءِ على لام «كيْ»(٢)، كأَنه تعالى قال: وأَمرنا بالتقوى لتنظر، أَو كأَنه تعالى قال: اتقوا الله وليكن تقواكم لتنظر.

وقوله تعالى: ﴿لِغَدٖ﴾: يريد يوم القيامة، قال قتادة: قرب الله تعالى القيامة حتى جعلها غداً، وذلك لأَنها آتية لا محالة، وكلُّ آتٍ قريب(٣)، ويحتمل أَن يريد تعالى بقوله: ﴿لِغَدٖ﴾: لِيَوْم الموت لأنه لكل إِنسان كغده، ومعنى الآية: ما قدمت من الأَعمال، فإِذا نظرها الإِنسان تزيَّد من الصَّالحات وكفَّ عن السَّيِّئات، وقال مجاهد، وابن زيد: الأَمس الدُّنيا، وغدٌ الآخرة(٤).

وقرأ الجمهور: ﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾ بالتاءِ من فوق على مخاطبة جميع الذين آمنوا.

---

(١) من الأسدية٣، والمطبوع ونجيبويه.

(٢) وهما شاذتان، انظر البحر المحيط (١٠/ ١٤٨) وزاد رواية الثانية عن حفص، وعزا الأولى للحسن: الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٩٩)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥١٠)، والهداية لمكي (١١/ ٧٤٠٦).

(٤) الهداية لمكي (١١/ ٧٤٠٦)، ولم أقف على قول مجاهد.

وقرأَ أَبو حيوة: (ولا يكونوا) بالياءِ من تحت[1]، كناية عن (نَفْس) التي هي اسم الجنس.

والذين ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: هم الكفَّار، والمعنى: تركوا الله تعالى وغفلوا عنه حتى كانوا كالنَّاسين، وعبَّر تعالى عمَّا خصَّهم به من الضَّلَالة بـ(أَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ)، سمَّى عقوبتهم باسم ذنبهم بوجْهٍ مَّا، وهذا أَيضاً هو الجزاءُ بالذنب على الذنب، فكسبوا هم نسيان جهة الله تعالى، فعاقبهم الله تعالى بأَن جعلهم ينسون أَنفسهم.

قال سفيان: المعنى: حظَّ أَنفسهم، ويعطي لفظ هذه الآية أَن من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه تعالى[2].

وقد قال علي بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنه: اعرف نفسك تعرف ربك.

ورُويَ عنه أَنه قال أَيضاً: من لم يعرف نفسه لم يعرف ربَّه[3].

وقرأَ ابن مسعود رضي الله عنه: (وَلَا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) بزيادة (لا)[4].

وقوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ الآية؛ موعظةٌ للإِنسان، وذمٌّ لأَخلاقه في غفلته وإِعراضه عن داعي[5] الله تعالى، وذلك أَن القرآن نزل عليهم وفهموه وأَعرضوا عنه، وهو لو نزل على جبل وفهم الجبل منه ما فهم الإِنسان لخشع واستكان / وتصدَّع [٥/ ١٩٦] من خشية الله تبارك وتعالى، وإِذا كان الجبل على عِظَمِهِ وقوته يفعل هذا فما عسى أَن يحتاج ابن آدم ليفعل؟! لكنه يُعرض ويصُدُّ على حقارته وضعفه. وضرب الله تبارك وتعالى هذا المثل ليتفكر فيه العاقل ويخشع ويلين قلبه.

---

(١) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (١٠/ ١٤٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٣/ ٣٠٠)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥١١)، وفيه: «حق» بدل «حظ».

(٣) هذا الأثر والذي قبله لم أقف عليهما.

(٤) وهي شاذة، انظر إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٦).

(٥) في المطبوع: «داعية».

وقرأ طلحة بن مصرف: (مُصَّدِّعاً) على إدغام التاءِ في الصاد[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

لمَّا قال تعالى: ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ جاءَ بالأوصاف التي توجب لمخلوقاته هذه الخشية.

و﴿ٱلْغَيْبِ﴾: ما غاب عن المخلوقين، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما شهدوه[٢].

وقال حرب المكي: ﴿ٱلْغَيْبِ﴾: الآخرة، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: الدُّنيا[٣].

وقرأ جمهور الناس: ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ بضم القاف، وهو فعول[٤] من تَقَدَّسَ: إذا تَطَهَّر، وحظيرة القدس: الجنة لأنها طاهرة، ومنه: رُوحُ القُدس، والأرض المقدَّسة، وبيت المقدس.

ورُوي عن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه أنه قرأَ: (الْقَدُّوسُ) بفتح القاف، وهي لغة[٥].

و﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ معناه: الذي سُلِم من جوره، وهذا اسم على حذف مضاف؛ أي: ذو السلام، لأَن الإِيمان به وتوحيده وأَفعاله هي لمن آمن سلامٌ كلها.

و﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: اسم فاعل من آمَنَ بمعنى: أَمَّنَ، وقال أَحمد بن يحيى ثعلب: معناه: المُصَدِّقُ المؤمنين في أَنهم آمنوا، قال النحاسُ: أَو في شهادتهم على الناس في القيامة[٦].

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٠).
(٢) في الحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية ونجيبويه: «شاهدوه».
(٣) لم أقف عليه.
(٤) في المطبوع: «فعل».
(٥) وهي شاذة، نسبها في المحتسب (٢/ ٣١٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٧)، لأبي دينار الأعرابي.
(٦) انظر القولين في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٧).

وقال ناسٌ من المتأَولين: معناه: المُصَدِّقُ نفسه في أقواله الأَزلية، لا إِله غيره.

و﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ معناه: الأَمين والحفيظ، قاله ابن عباس[١].

وقال مُؤرِّج: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾: الشاهد بلغة قريش[٢]

وهذا بناءٌ لم يجئ منه في الصفات إِلَّا: مُهَيْمِن ومُسَيْطِر ومُبَيْقِر ومُبَيْطِر، وجاءَ منه في الأَسماءِ: مُحَيْمِر، وهو اسم وادٍ، ومُدَيْبِر.

[و﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي لا يغلب، والقاهر الذي لا يقهر، يقال عزيز: إذا غلب برفع العين في المستقبل. قال الله تعالى: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]؛ أي: غلبني، وفي المثل: من عز بزّ[٣]؛ أي: من غلب سلب][٤].

و﴿ٱلْجَبَّارُ﴾: هو الذي لا يدانيه شيءٌ ولا يلحق رتبته، ومنه: نخلةٌ جبارةٌ: إِذا لم تلحق، وأَنشد الزهراويُّ:

أَطَافَتْ بِهِ جِيلانُ عِنْدَ قِطَافِهِ وَرَدَّتْ إِلَيْهِ المـاءَ حَتَّى تَجَبَّرَا[٥] [الطويل]

و﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ الْمُتكَبِّرُ معناه: الذي له التكبُّر حقّاً.

ثم نزَّه تعالى نفسَه عن إِشراك الكفار به الأَصنامَ التي ليس لها شيءٌ من هذه الصِّفات.

---

(١) الذي وجدت ما في الطبري (٢٣/ ٣٠٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: المهيمن الأمين. وفي رواية الشهيد.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أمثال العرب للضبي (ص: ١٢٤)، مجاز القرآن (٢/ ١٥٨).

(٤) سقط من المطبوع والحمزوية ونور العثمانية وأحمد٣ ونجيبويه.

(٥) البيت لامرئ القيس، كما في مقاييس اللغة (١/ ٤٩٩)، بلفظ: أطافت به جيلان عند جداده... وردد فيه: الماء حتى تحيرا، وهو في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٨)، بلا نسبة، ولم أقف على نقل الزهراوي.

و﴿ٱلۡبَارِئُ﴾ بمعنى: الخالق، بَرَأَ اللهُ تعالى الخَلْقَ؛ أَي: أَوجدهم.

و﴿ٱلۡمُصَوِّرُ﴾: هو الذي يوجد الصُّور.

وقرأَ عليٌّ بن أَبي طالب رضي الله عنه: (الْمُصَوَّرَ)، على إعمال (الْبَارِئ) فيه، وهي حسنة، يُراد بها الحُسْن في الصور.

وقال قوم عن علي بن أَبي طالب رضي الله عنه: إِنه قرأ: (الْمُصَوَّرِ) بفتح الواو وكَسْر الراءِ[1]، على قولهم: الحَسنُ الوَجه.

وقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾؛ أَي: ذات الحسن في معانيها القائمة بذاته لا إِله إِلَّا هو، وهذه الأَسماءُ هي التي حصرها رسول الله ﷺ بقوله ﷺ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وتسعين اسماً، مئة إِلَّا واحداً، من أَحصاها دخل الجنة»[2]، وقد ذكرها الترمذي وغيره مُسْنَدَةً[3]، واختلف الرواة في بعضها، ولم يصحَّ فيها شيءٌ إِلاَّ إِحصاؤُها دون تَعْيين، وباقي الآية بَيِّنٌ.

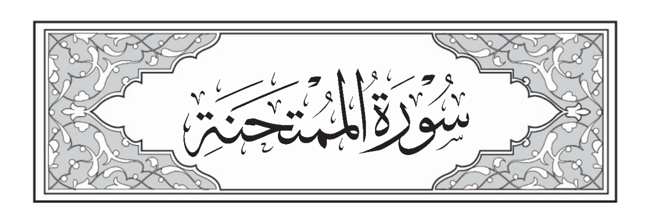
كمل تفسير (سورة الحشر)، والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

(١) شاذتان، انظر البحر المحيط (١٠/ ١٤٩)، والأولى للحسن في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٠)، وللباقر في مختصر الشواذ (ص: ١٥٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سنن الترمذي (٥/ ٥٣١)، وتقدم الكلام على هذا الحديث عند آية (١٨١) من (سورة الأعراف).



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة الممتحنة

وهي مدنيَّة بإِجماع من المفسِّرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾.

الْعَدُوّ: اسم يقع للجمع والمفرد، والمراد به هاهنا كفار قريش.

وهذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أَبي بَلْتَعَة، وذلك أَن رسول الله ﷺ أَراد الخروج إِلى مكة عام الفتح، فورَّى عن ذلك بِخَيْبَر، فشاع في الناس أَنه خارج إِلى خيبر، وأَخبر هو جماعة من أَصحابه بقصده إِلى مكة، منهم حاطب بن أَبي بَلْتَعَة، فكتب حاطب إِلى قوم من كفَّار مكة يخبرهم بقصد رسول الله ﷺ إِيَّاهم، فجاءَ الخبر إِلى رسول الله ﷺ بذلك، فبعث علياً والزُّبيرَ وثالثاً، قيل هو المقداد، وقيل أَبو مَرْثَد.

وقال: انطلقوا حتى تأْتوا روضة خاخ[1]، فإِن بها ظعينة معها كتاب من حاطب

(١) مكان بين مكة والمدينة، على بعد اثني عشر ميلًا من المدينة. وفي المطبوع: «خاح».

إِلى المشركين، فانطلقوا حتى وجدوا المرأَة، واسمها سارة، مولاة لقوم من قريش، وقيل: بل كانت امرأةً من مزينة ولم تكن سارة، فقالوا لها: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، ففتَّشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئاً، فقال بعضهم: ما معها كتاب، فقال عليٌّ رضي الله عنه: ما كذب رسول الله ﷺ ولا كُذب، والله لتخرجِنَّ الكتاب أَو لَنُجَرِّدَنَّكِ، فقالت: أعرضوا عني، فحلَّته من فروة رأْسها، وقيل: أَخرجته من حُجزتها، فجاءُوا به رسول الله ﷺ، [فقال لحاطب: من كتب هذا؟ فقال: أنا يا رسول الله، ولكن لا تعجل عليَّ، فو الله / ما فعلت ذلك ارتداداً عن ديني، ولا رغبة عنه، ولكني كنت امرءاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، فأحببت أن تكون لي عندهم يد يرعونني بها في قرابتي، فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «صدق حاطب إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمر لعلَّ الله قد اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ولا تقولوا لحاطب إلا خيراً»، فنزلت الآية] بهذا السبب(١). [٥/ ١٩٧]

وروي أَن حاطباً كتب: إِن رسول الله ﷺ يريد غزوكم في مثل الليل والسيل، وأُقسم بالله لو غزاكم وحده لنُصر عليكم، فكيف وهو في جَمع كثير؟!(٢).

و﴿تُلْقُونَ﴾ في موضع الصِّفة لـ﴿أَوْلِيَآءَ﴾.

و«أَلْقَيْتُ» يتعدى بحرف الجر وبغير حرف الجر، فدخول الباءِ وزوالها سواءٌ، وهذا نظير قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١].

---

(١) متفق عليه ببعضه، أخرجه البخاري (٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عدا قوله «ولا تقولوا لحاطب إلا خيراً» فقد أخرجها الطبري في تفسيره (٢٢/ ٥٦٠)، وابن أبي حاتم كما عند ابن كثير (٨/ ٨٤)، وأبو يعلى في مسنده (٣٩٧) من طريق آخر عن علي رضي الله عنه، وما بين المعكوفتين سقط من الأسدية٤، والمطبوع.

(٢) لم أقف عليه، وفي المطبوع: «جمٍّ كثير».

وروى المعلى[١] عن عاصم أنه قرأَ: (وقد كفروا لما) بلام[٢].

وقوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُونَ﴾ في موضع الحال من الضمير في ﴿كَفَرُواْ﴾، والمعنى: يُخرجون الرَّسول ويُخرجونكم، وهي حال مؤكدة فلذلك ساق الفعل مستقبلاً.

و«الإِخراج» قد مرَّ، وتضييق الكفَّار على النبي ﷺ والمؤمنين إِخراج؛ إِذ كان مؤدياً إِلى الخروج[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَن تُؤۡمِنُواْ﴾ مفعول من أَجله؛ أَي: أَخرجوكم من أَجل أَن آمنتم بربكم.

وقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ﴾ شرط جوابه متقدمٌ في معنى ما قبله، وجاز ذلك لما لم يظهر عمل الشرط، والتقدير: إِنْ كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاءَ مرضاتي فلا تتَّخذوا عدُوِّي وعدوكم أَولياءَ.

و﴿جِهَٰدٗا﴾ نصب على المصدر، وكذلك (ابتغاء)، ويجوز أَن يكون ذلك مفعولاً من أَجله.

و«الْمَرْضَاةُ» مصدرٌ كالرِّضا.

و﴿تُسِرُّونَ﴾ بدلٌ من ﴿تُلۡقُونَ﴾، ويجوز أَن يكون في موضع خبر ابتداءٍ كأنه تعالى قال: أنتم تُسرُّون، ويصح أن يكون فعلاً مرسلاً ابتدأً به القول، والإِلْقاءُ بالمودَّة معنىً مَّا، والإِسرارُ بها معنى زائد على الإِلقاءِ، فيترجح بهذا أَن ﴿تُسِرُّونَ﴾ فعلٌ ابتُدئ به القول؛ أَي: تفعلون ذلك وأَنا أَعلم.

وقوله تعالى: ﴿أَعۡلَمُ﴾ يحتمل أَن يكون: أَفعل، ويحتمل أَن يكون فعلاً؛ لأَنك تقول: علمتُ بكذا، فتُدخل الباءَ.

---

(١) في الحمزوية وأحمد٣: «الثعلبي»، وفي الأصل: «ابن المعلى». وهو المعلى بن منصور تقدم، وأحمد بن المعلى يروي عن رواة ابن عامر.

(٢) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (١٠/ ١٥٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص:٤٧٠) للجحدري.

(٣) في المطبوع ونجيبويه: «الإخراج».

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ﴾ الآية؛ جملةٌ في موضع الحال.

وقرأ أهل المدينة: ﴿وَأَنَا﴾ بإشباع الألف في الإدراج.

وقرأ غيرهم: ﴿وَأَنَا۠﴾ بطرح الألف في الإدراج[(١)].

والضمير في ﴿يَفۡعَلۡهُ﴾ عائد على الاتخاذ المذكور.

و﴿سَوَآءَ﴾ يجوز أن يكون مفعولاً بـ﴿ضَلَّ﴾، وذلك على تعدِّي ﴿ضَلَّ﴾.

ويجوز أن يكون ظرفاً على غير التعدِّي لأنه يجيءُ بالوجهين، والأَول أحسن في المعنى.

و«السَّوَاءُ»: الوسط، وذلك لأنه تتساوى نسبته إلى أطراف الشيءِ.

و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ هنا شرعُ الله تعالى وطريق دينه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٣ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٤﴾.

أَخبر الله تعالى أَن مداراة هؤلاءِ الكفَّار غير نافعة في الدُّنيا وأَنها ضارَّة في الآخرة، ليبيِّن فساد رأْي مصانعهم[(٢)]، فقال تعالى: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾؛ أَي: إِن يتمكَّنوا منكم وتَحْصُلُوا في ثِقَافِهِم ظهرت العداوة وانبسطت أَيديهم بضرركم وقَتْلكم، وأَلسنتُهم بسَبِّكم، وهذا هو السُّوءُ، وأَشد من هذا كله أَنهم إِنما يُقْنِعُهم منكم أَن تكفروا، وهذا هو وُدُّهم.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٨٢).

(٢) في المطبوع: «مصانعتهم».

ثم أَخبر تعالى أَن هذه الأَرحام التي رغبتم في وصلها ليست بنافعة يوم القيامة، فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَنفَعَكُمْ﴾.

وقال بعض النحاة ـ في كتاب الزهراوي ـ: العامل فيه ﴿يَفْصِلُ﴾، وهو ممَّا بعده لا ممَّا قبله[١].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، والعامة: ﴿يُفْصَلُ﴾ بضم الياءِ وسكون الفاءِ وتخفيف الصَّاد مفتوحة.

وقرأَ ابن عامر، والأَعرج، وعيسى: ﴿يُفَصَّلُ﴾ بضم الياءِ وفتح الفاءِ وشد الصاد منصوبة.

واختُلف على هاتين القراءَتين في إِعراب قوله تعالى: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ فقيل: نُصب على الظرف، وقيل: رُفع على ما لم يُسَمَّ فاعله، إِلَّا أَن لفظه بقي منصوباً لأَنه كذلك كثر استعماله.

وقرأَ عاصم، والحسن والأَعمش: ﴿يَفْصِلُ﴾ بفتح الياءِ وسكون الفاءِ وكسر الصاد خفيفة.

وقرأَ حمزة والكسائي، وابن وثاب: ﴿يُفَصِّلُ﴾ بضم الياءِ وفتح الفاءِ وشدِّ الصاد المكسورة[٢].

وإِسناد الفعل في هاتين القراءَتين إِلى الله تعالى.

وقرأَ النَّخَعي، وطلحة بن مصرِّف: (نُفَصِّلُ) بنون العظمة مرفوعة وفتح الفاءِ وشدِّ الصَّاد [المكسورة.

وقرأَ بعض الناس: (نَفصلْ) بنون العظمة مفتوحة وسكون الفاء.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) هذه أربع قراءات سبعية، انظرها في التيسير (ص: **٢١٠**)، والسبعة (ص: **٦٣٣**)، وسقط الحسن من المطبوع.

وقرأ أبو حيوة، بضم الياء وسكون الفاء وكسر الصاد خفيفة من: أفصل][(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وعيد وتحذير.

وقرأ جمهور السبعة: ﴿إِسۡوَةٌ﴾ بكسر الهمزة، وقرأ عاصم وحده: ﴿أُسۡوَةٌ﴾ بضمها[(٢)].

وهما لغتان، والمعنى: قُدوة وإِمام ومثال[(٣)].

و﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ ﷺ هو خليل الرحمن، واختلف الناس في (ٱلَّذِينَ مَعَه):

فقال قوم من المتأولين: أَراد من آمن به من الناس.

وقال الطبري وغيره: أَراد الأَنبياءَ الذين كانوا في عصره عليه السلام وقريباً من عصره[(٤)].

وهذا القول أَرجح؛ لأَنه لم يُرْوَ أَن إِبراهيم عليه السلام كان له أَتباع مؤمنون في مكافحته نمروذ، وفي «البخاري»: أَنه عليه السلام قال لسارة حين رحل بها إِلى الشام مهاجراً من بلد النمروذ: ما على الأَرض من يعبد الله غيري وغيرك[(٥)].

وهذه الأُسوة مفيدة[(٦)] في التَّبري عن الإِشراك وهو مُطَّرد في كل ملَّة، وفي نبينا ﷺ أُسوة حسنة على الإِطلاق لأَنها في العقائد وفي أَحكام الشرع كلها.

وقرأ جمهور الناس: ﴿بُرَءَٰٓؤُاْ﴾ على وزن فُعَلاءَ، والهمزة الأُولى لام الفعل.

وقرأ عيسى الثقفي: (بِرَاءٌ) على وزن فِعال بكسر الباءِ[(٧)]؛ ككريم وَكِرَامٍ.

---

(١) سقط من المطبوع، وهذه القراءات شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص:٤٧٠)، وعزا الثانية لزيد ابن علي وللسابقين بخلفهما.

(٢) وهما سبعيتان، انظر السبعة (ص: ٦٣٣)، والتيسير (ص: ١٧٨).

(٣) «ومثال» ليست في المطبوع.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٣١٧).

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) في نجيبويه وأحمد٣: «مقيدة».

(٧) في الأسدية٣، والمطبوع: «الفاء»، وهي شاذة، انظر المحتسب (٢/ ٣١٨).

وقرأ يزيد بن القعقاع: (بُرَاءٌ) / على وزن فُعال بضم الفاءِ؛ كَتُوَامٍ، وقد رُويت عن [٥/ ١٩٨] عيسى قراءَة، قال أَبو حاتم: زعموا أَنه عيسى الهمداني(١).

ويَجوُز: (بَرَاءٌ) على المصدر بفتح الباءِ، يُوصفُ به الجمع والإِفراد.

وقوله تعالى: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ معناه: كذَّبْناكم في أَقوالكم ولم نؤمن بشيءٍ منها، ونظير هذا قوله ﷺ حكاية عن قول(٢) الله عزَّ وجلَّ: «فهو مؤمن بي كافر بالكوكب»(٣).

ولم يُلحق العلامة في (بدا)(٤)؛ لأَن تأْنيث العداوة والبغضاءِ غير حقيقي.

ثم استثنى تعالى استغفار إِبراهيم عليه الصلاة والسلام لأَبيه، فذكر أَنه كان عن موعدة، وقد فسَّرنا ذلك في موضعه، وهذا استثناءٌ ليس من الأَول، والمعنى عند مجاهد، وقتادة، وعطاءٍ الخراساني، وغيرهم أَن الأُسوة لكم في هذا الوجه لا في هذا الآخر لأَنه كان في علَّة ليست في نازلتكم(٥).

ويحتمل أَن يكون الاستثناءُ من التَّبري والقطيعة التي ذكرت، أَي لم تبق صلة إِلَّا كذا.

---

(١) وهي شاذة، نسبها لعيسى الكوفة: الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧١)، ولأبي جعفر: النحاس في إعراب القرآن (٤/ ٢٧٢)، قال: وما أحسب هذا عنه إلا غلطاً، وانظر قول أبي حاتم في البحر المحيط (١٠/ ١٥٥).

(٢) «قول» ليست في المطبوع.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٠٣٨)، ومسلم (٧١) عن زيد بن خالد الجهني، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

(٤) في حاشية المطبوع: في أكثر النسخ: ولم تُلحق العلامة في ﴿بُرَءَاءُ﴾، وهو خطأ من النُّسَّاخ.

(٥) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٣١٨).

وقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ الآية؛ حكايةٌ عن قول إِبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه أَنه هكذا كان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا﴾ الآية، حكايةٌ عن إبراهيم عليه السلام ومن معه، والمعنى: لا تغلِّبهم علينا فنكون لهم فتنةً وسببَ ضلالة؛ لأَنهم يتمسَّكون بكفرهم ويقولون: إِنما غلبناهم لأَنا على الحق وهم على الباطل، نحا هذا المعنى قتادة، وأَبو مجلز[1].

وقال ابن عباس: لا تُسَلِّطهم علينا فيفتنونا عن أَدياننا[2]، فكأَنه قال: لا تجعلنا مفتونين، فعبَّر عن ذلك بالمصدر.

وهذا أَرجح الأَقوال لأَنهم إِنما دعَوْا لأَنفُسهم، وعلى منحى قتادة: إِنما دعوا للكفَّار، أَما إِن مقصدهم إِنما هو أَن يندفع عنهم ظهور الكفَّار الذي بسببه فُتن الكفَّار، فجاءَ في المعنى تحليق بليغ، ونحوه قول النبي ﷺ: «بئس الميت سعد ليهود»؛ لأَنهم يقولون: لو كان محمد نبيّاً لم يمت صاحبه[3].

---

(١) راجع تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٠)، وتفسير الماوردي (٢/ ٤٤٦)، وتفسير الثعلبي (٥/ ١٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في الإتقان (٢/ ٤٧) من طريق عبد الله ابن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

(٣) مرسل، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦١١)، وعبد الرزاق في المصنف (١٩٥١٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣٨)، والطبراني في الكبير (٥٥٨٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢١٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٦١) من طرق عن الزهري، عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف وهو ابن بنت أسعد بن زرارة قال: إن رسول الله ﷺ عاد أبا أمامة أسعد بن زرارة بن عدس وكان رأس =

وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ﴾ الآية؛ خطاب لأُمة محمد ﷺ.

وقوله سبحانه: ﴿لِّمَن﴾ بدل من قوله: ﴿لَكُمۡ﴾، وكرر حرف الجر ليتحقَّق البدل، وذلك عُرف هذه المبدلات، ومنه قوله تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨].

وهو في القرآن كثير، وأَكثر ما يلزم من الحروف في[١] اللام.

ثم أَعلم تعالى باستغنائه عن العبادة، وأَنه الحميد في ذاته وأَفعاله، لا يُنقص ذلك كفر كافر ولا نفاق منافق.

ورُوي أَن هذه الآيات لما نزلت وأَزمع المؤمنون امتثال أَمرها وصَرْم حبال الكفرة وإِظهار عداوتهم، لحقهم تأَسف على قراباتهم وهم من[٢] أَن لم يؤمنوا ولم يهتدوا حتى يكون بينهم الوُدُّ والتواصل، فنزلت ﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ الآيةُ مُؤنسةً في ذلك، ومُرَجِّيَةً أَن يقع، فوقع ذلك بإِسلامهم في الفتح، وصار الجميع إِخواناً.

ومن ذكر أَن هذه المودَّة تزوُّج النبي ﷺ أُم حبيبة بنت أَبي سفيان وأَنها كانت بعد الفتح[٣]؛ فقد أَخطأَ؛ لأَن النبي ﷺ تزوجها وقت هجرة الحبشة، وهذه الآيات نزلت سنة ست من الهجرة[٤].

= النقباء ليلة العقبة فأخذته الشوكة فجاءه رسول الله ﷺ يعوده فقال: بئس الميت هذا اليهود يقولون: لولا دفع عنه لا أملك لك ولا لنفسي شيئاً لا يلومن في أبي أمامة وأمر به رسول الله ﷺ فكوي من الشوكة طوق عنقه بالكي طوقاً قال فلم يلبث أبو أمامة إلا يسيراً حتى توفي، وأبو أمامة أسعد بن سهل بن حنيف له رؤية ولم يسمع من النبى ﷺ، وله شاهد أخرجه الطبراني في الكبير (٧٣٩) من طريق شعبة، عن محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، عن يحيى بن أسعد بن زرارة فذكره به. ويحيى هذا مختلف في صحبته.

(١) «في» ليست في المطبوع.

(٢) «وهم من» ليست في المطبوع.

(٣) انظر هذا القول في تفسير الثعلبي (٩/ ٢٩٣-٢٩٤)، ومعاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٠).

(٤) في المطبوع ونجيبويه: «ثمان».

ولا يصح ذلك عن ابن عباس إِلَّا أَن يسوقَه مثالاً وإِن كان متقدماً لهذه الآية[١]؛ لأَنه استمر بعد الفتح كسائر ما نشأَ من المودَّات.

و﴿عَسَىٰ﴾ من الله واجبة الوقوع إِن شاءَ الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ...﴾.

اختلف الناس في هؤلاءِ الذين لم ينْه عنهم أَن يتبرَّؤوا منهم:

فقال مجاهد: هم المؤمنون من أَهل مكة الذين آمنوا ولم يهاجروا وكانوا لذلك في رتبة سوءٍ لتركهم فرض الهجرة[٢].

وقال آخرون: أَراد المؤمنين التاركين للهجرة كانوا من أَهل مكة أو من غيرها[٣].

وقال الحسن، وأَبو صالح: أَراد خُزاعة وبني[٤] الحارث [بن كعب][٥] وقبائل من العرب كفاراً إِلَّا أَنهم كانوا مظاهرين للنبي ﷺ، مُحبِّين فيه وفي ظهوره، ومنهم كنانة وبنو الحارث بن عبد مناة ومُزَيْنَة[٦].

---

(١) ضعيف، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٩٩)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢١٢٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٤٥٩) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قوله ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾. قال: حين تزوج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان. والكلبي متروك.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٢)، والهداية لمكي (١١/ ٧٤٢٢).

(٣) في المطبوع: «وغيرهم».

(٤) في الأسدية٣: «النضير».

(٥) من الأسدية٣ ونجيبويه والحمزوية.

(٦) الهداية لمكي (١١/ ٧٤٢٢) بتصرف.

وقال قوم: أَراد من كفار قريش من لم يقاتل ولا أَخرج ولا أَظهر سوءاً، وعلى هذين القولين فالآية منسوخة بالقتال.

وقال عبد الله بن الزبير: أَراد النساءَ والصبيان من الكفرة، وقال: إِن الآية نزلت بسبب أُمِّ أَسماءَ حين استأْذنت النبي ﷺ في بِرِّها وصلتها فأَذن لها[١]، وكانت المرأَة خالتها فيما رُوي فسمَّتها في حديثها أُمّاً.

وقال أَبو جعفر بن النحاس، والثعلبي: أَراد المستضعفين من المؤمنين الذين لم يستطيعوا الهجرة[٢]، وهذا قول ضعيف.

وقال مُرَّة الهمداني، وعطية العوفي: نزلت في قوم من بني هاشم منهم العباسُ[٣].

وقال قتادة: نسختها ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥][٤].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَبَرُّوهُمۡ﴾ بدل، وهذا هو بدل الاشتمال.

و«الإِقْسَاطُ»: العدلُ.

و(ظَاهَرُوا) معناه: عاونوا.

والَّذِينَ قَاتَلُوا في الدِّين وأَخرجوهم: مَرَدَةُ قريش.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ﴾ الآية؛ نزلت إِثْر صلح الحديبية، وذلك أَن الصُّلْح تَضَمَّن أَنْ يردَّ المؤمنون إِلى الكفَّار كلَّ من جاءَ مسلماً من رجل أَو امرأَة، فنقض الله تعالى من ذلك أَمر النساءِ بهذه الآية، وحكم بأَن المهاجرة

---

(١) ضعيف، أخرجه الطيالسي (١٧٤٤)، وأحمد (٢٦/ ٣٧)، والطبري (٢٣/ ٣٢٢)، وأبو يعلى كما في المطالب (٣٧٥٥) وغيرهم من طريق عبد الله بن المبارك، عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه به. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف مصعب بن ثابت، وكونها خالتها لم أقف عليه، وتقدم الكلام على مثل هذا أول الكتاب.

(٢) نقله عنهما في البحر المحيط في التفسير (١٠/ ١٥٦)، ولم أجده صريحاً في كتابيهما.

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٩٤).

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٣).

المؤمنة[١] لا تُرَدُّ إلى دار الكُفْر بل تبقى تستبرئ وتتزوج، ويُعطى زوجها الكافر الصداق الذي أَنفق، وأَمر أَيضاً المؤمنين بطلب صداق من فرَّت امرأَته من المؤمنين، وحكم تعالى بهذا في النازلة، وسمَّاهُنَّ تعالى مؤمنات قبل أَن يُتيَقَّن ذلك إذ هو ظاهر أَمرهن.

و﴿مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ نصب على الحال.

و(امْتَحِنُوهُنَّ) معناه: جربوهن واستخبروا حقيقة ما عندهن.

[٥/ ١٩٩] واختلف / الناس في هذا الامتحان، كيف كان؟

فقال ابن عباس[٢]، وقتادة، ومجاهد، وعكرمة: كان بأَن تُسْتَحْلف المرأَة أَنها ما هاجرت لبغضٍ في زوجها، ولا بجريرة جَرَّتها، ولا بسبب من أَعراض الدنيا سوى حبِّ الله تعالى ورسوله ﷺ والدَّار الآخرة[٣].

وقال ابن عباس أَيضاً: الامتحان أن تُطالب بأَن تشهد أَن لا إِله إِلَّا الله وأَن محمداً رسول الله، فإِذا فعلت ذلك لم تُرد[٤].

وقال فريق منهم عائشة أُم المؤمنين رضي الله تعالى عنها: الامتحان هو أَن تعرض عليها الشروط التي في الآية بعد هذا من ترك السرقة والزنى والبهتان والعصيان، فإِذا أَقرَّت المرأَة بذلك فهو امتحانها[٥].

وقيل: إِن هذه الآية نزلت في أُميمة بنت بشر امرأَة حسَّان بن الدحداحة[٦].

---

(١) «المؤمنة» ليست في الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٢٥)، والبزار كما في كشف الأستار ٢٢٧٢)، والحارث بن أبي أسامة كما في البغية (٧٢٢)، من طريق قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر الأسدي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وأبو نصر الأسدي مجهول.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٦)، والهداية لمكي (١١/ ٧٤٢٤-٧٤٢٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٢٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٧١٣) ومسلم (١٨٦٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٣٢). وفي نجيبويه: «بن ثابت».

وفي كتاب الثعلبي: أنها نزلت في سُبيعة بنت الحارث[١].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾ إشارةٌ إِلى الاسترابة ببعضهن، وحضٌّ على امتحانهن، وذكر تعالى العلة في أَلَّا يُرَدَّ النساءُ إِلى الكفَّار وهي امتناع الوطءِ وحُرْمته.

وقرأ طلحة: (لَا هُنَّ يَحْلِلْنَ لَهُمْ)[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠ وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١﴾.

أَمر الله تعالى بأَن يُؤْتى الكفَّار مهور نسائهم اللاتي هاجرن مؤمنات، ورفع الجناح في أَن يتزوجن بصدقات هي[٣] أُجورهن، وأَمر المسلمين بفراق الكافرات وأَلَّا يمسكوا بِعصَمِهِنَّ، فقيل: الآيات في عابدات الأَوثان ومن لا يجوز نكاحها ابتداءً، وقيل: هي عامة نُسخ منها نساءُ أَهل الكتاب.

و«العِصَمُ» جمع عصمة، وهي أَسباب الصحبة والبقاءِ في الزوجية، وكذلك العصمةُ في كل شيءٍ هي[٤] السبب الذي يُعتصم به ويعتمد عليه.

وقرأَ جمهورُ السبعة والناسُ: ﴿تُمۡسِكُواْ﴾ بضم التاءِ وكسر السين وتخفيفها، من: أَمسك.

---

(١) ذكره تفسير الثعلبي (٩/ ٢٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً، إلا أن في البحر المحيط (١٠/ ١٥٨): (لا هن يحلان)، فلعله خطأ طباعة.

(٣) في الأسدية٣، والمطبوع وأحمد٣: «بعد إيتاء».

(٤) «هي» من المطبوع.

وقرأ أَبو عمرو وحده [بتشديدها وهي قراءة][1]، وابن جبير، ومجاهد، والأَعرج، والحسن بخلاف: ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا﴾، من: مسَّك، بالشد في السين[2].

وقرأ الحسن، وابن أَبي ليلى، وابن عامر في رواية عبد الحميد: (وَلَا تَمَسَّكُوا) بفتح التاءِ والميم وفتح السين وشدها[3].

وقرأ الحسن: (وَلَا تَمْسِكُوا) بفتح التاءِ وسكون الميم وكسر السين مخففة[4].

ورأَيت لأَبي علي الفارسي أنه قال: سمعتُ الفقيه أَبا الحسن الكرخي يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾: إِنه في الرجال والنساءِ، فقلت له: النحويون لا يرون هذا إِلَّا في النساء؛ لأَن «كَوَافر» جمع «كافرة»، فقال: وأَيْش يمنع من هذا؟ أَليس الناسُ يقولون: طائفة كافرة وفرقة[5] كافرة؟ فَبُهِتُّ وقلت: هذا تأْييد[6].

وأَمر الله تعالى أَن يُسأَل أَيضاً الكافرون أَن يدفعوا الصدقات التي أَعطاها المؤمنون لمن فرَّ من أَزواجهم إِلى الكفار، وقرر الحكْم بذلك على الجميع:

فروي عن ابن شهاب: أَن قريشاً قالت: نحن لا نرضى هذا الحكم ولا نلتزمه ولا ندفع لأَحدٍ صداقاً، فنزلت بسبب ذلك هذه الآية الأُخرى ﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ الآية، فأَمر الله تعالى المؤمنين أَن يدفعوا إِلى من فرَّت زوجته ففاتت بنفسها إِلى الكفار صداقه الذي أَنفق[7].

---

(١) من الأسدية٣.

(٢) وهما سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢١٠).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لهم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧١)، ولعبد الحميد في جامع البيان (٤/ ١٦٣٧)، وفي الأصل: «عبد المجيد».

(٤) وهي شاذة، انظرها في الدر المصون (١٠/ ٣٠٧).

(٥) في المطبوع: «قرية».

(٦) لم أجده.

(٧) أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٣٥).

قال ابن عباس ـ في كتاب الثعلبي ـ: خمس نسوة من نساءِ المهاجرين رجعن عن الإِسلام ولَحِقْنَ بالمشركين:

أُمُّ الحكم بنت أَبي سفيان(١)، وكانت تحت عياض بن شداد(٢).

وفاطمة بنت أَبي أُميَّة(٣) أُخت أُمِّ سَلَمة، وكانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعَبْدة بنت عبد العزيز، كانت تحت هشام بن العاص(٤).

وأُم كلثوم بنت جرول، كانت تحت عمر بن الخطاب(٥).

فأَعطاهم النبي ﷺ مهور نسائهم من الغنيمة(٦).

واختلف الناس، من أَي مال يُدفع إِليه الصداق؟

فقال محمد بن شهاب الزهري: يُدفع إِليه من الصدقات التي كانت تدفع إِلى

---

(١) هي أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب الأموية شقيقة معاوية، أسلمت يوم الفتح، وكانت ممن نزل فيه: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾، ففارقها عياض بن غنم، وتزوّجها عبد الله بن عثمان الثقفي، فهي أم ابنه عبد الرحمن الذي ينسب لها، الإصابة (٨/ ٣٧٨).

(٢) كذا في أكثر كتب التفسير، وفي الاستيعاب (٣/ ١٢٣٤) وكتب السيرة: أنه عياض بن غنم بن زهير ابن أبي شداد القرشي الفهري، أسلم قبل الحديبية، وشهدها، افتتح عامة بلاد الجزيرة والرقة، وصالحه وجوه أهلها. وهو أول من اجتاز الدرب إلى الروم، وكان شريفاً في قومه وهو ابن عم أبي عبيدة بن الجراح، ويقال كان ابن امرأته، فلما توفي استخلفه فأقره عمر حتى توفي سنة ٢٠هـ.

(٣) كذا في تفسير البغوي (٥/ ٧٥)، والذي في سيرة ابن هشام (٢/ ٣٢٧) أنها قريبة بنت أبي أمية ابن المغيرة، قال: وتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وهما على شركهما بمكة، قلت: فلعل فاطمة اسمها، والظاهر أنها قريبة الكبرى التي هي أم بني زمعة بن الأسود كما في الإصابة (٤/ ٨٣)، وأما قريبة الصغرى فهي أم بعض آل عبد الرحمن بن أبي بكر كما في الطبقات الكبرى (٨/ ٢٠٦).

(٤) في نور العثمانية والأصل: «بنت عبد العزى»، وفي تفسير البغوي (٥/ ٧٥) «عزة بنت عبد العزيز»، وفي تفسير الثعلبي (٩/ ٢٩٦): «عبدة بنت عبد العزى وزوجها عمر بن عبد ود».

(٥) قال ابن هشام في السيرة (٢/ ٣٢٧): وهي أم ابنه عبيد الله، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم، وهما على شركهما.

(٦) انظر تفسير الثعلبي (٩/ ٢٩٦).

الكفار بسبب من هاجر من أَزواجهم، أَراد الله تعالى دفعها إِليهم حين لم يرضوا حكمه حسب ما ذكرناه.

وهذا قول صحيح يقتضيه قوله تعالى: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾، وسنبين ذلك عند تفسير اللفظة إن شاء الله تعالى[١].

وقال مجاهد، وقتادة: يُدفع إِليه من غنائم المغازي[٢].

وقال هؤلاءِ: [التعقيب بالغزو والمغنم][٣]، وتأَوَّلوا اللَّفظة بهذا المعنى.

وقال الزهري[٤] أَيضاً: يُدفع إِليه من أَيِّ وجوه الفيءِ أَمكن[٥].

و«المعاقبة» في هذه الآية ليست بمعنى مجازاة السوءِ بسوءٍ، ولكنها بمعنى: فَصِرْتُم منهم إِلى الحال التي صاروا إِليها منكم، وذلك بأَن يفوت إِليكم شيءٌ من أَزواجهم، وهكذا هو التعقيب على الجمل[٦] والدواب، أَن يركب هذا عُقْبَة وهذا عُقْبَة.

وقرأَ ابن مسعود: (وَإِنْ فَاتَكُم أَحَدٌ من أَزواجكم)[٧].

ويقال: عاقب الرجل صاحبه في كذا؛ أَي: جاءَ فعْل كل واحد منهما بعقب فعْل الآخر، ويقال: أَعقب الرجل، ومنه قول الشاعر:

وَحَارَدَتِ النُّكْدُ الْجِلادُ ولَمْ يَكُنْ ... لِعُقْبَةِ قِدْرِ الْمُسْتَعِيرِينَ مُعْقِبُ[٨] [الطويل]

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٣٣)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٣٨)، وتفسير الماوردي (٥/ ٥٢٣)، والهداية لمكي (١١/ ٧٤٣٠).

(٣) في المطبوع: «المعاقبة هي الغزو والمغنم».

(٤) في الأسدية٤، والمطبوع: «الزهراوي».

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٣٩).

(٦) في المطبوع: «الحمل».

(٧) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥١).

(٨) البيت للكميت، كما في معجم ديوان الأدب (١/ ١٥٢)، وأمالي القالي (١/ ٨)، وتهذيب اللغة (١/ ١٨٢)، والمحكم (٦/ ٧٥٨).

ويقال: عقَّب بشدِّ القاف؛ أَي: أَصاب عُقْبَى، والتَّعقيب: غزْوٌ إِثْر غزْو، ويقال: عَقَب بتخفيفها، ويقال: عَقِب بكسرها، كلُّ ذلك بمعنى يقرُب بعضه من بعض، ويجمع ذلك قُربى.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾.

وقـرأَ الأَعرج، ومجاهد، والزهري، وعكرمة، وحميد: (عَقَّبْـتُمْ) بالتشديد في القاف(١).

وقرأَ الأَعرج أَيضاً وأَبو حيوة، والزهري أَيضاً: (عَقَبْتُمْ) بفتح القاف خفيفة.

وقرأَ النَّخَعي، والزهري أَيضاً: (عَقِبْتُمْ) بكسر القاف، وكلها بمعنى: غَنِمْتُمْ.

ورُوي عن مجاهد: (أَعْقَبْتُمْ) بأَلف مقطوعة قبل العين(٢).

وهذه الآية كلُّها قد ارتفع حكمها.

ثم ندب تعالى إِلى التقوى وأَوجبها، وذكر العِلَّة التي بها تجب التقوى وهي الإِيمان بالله تعالى والتصديق بوحدانيته وصفاته وعقابه وإِنعامه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ / أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾. [٥/ ٢٠٠]

هذه بيعة النساءِ في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا، وهي كانت في المعنى بيعة الرجال قبل فرض القتال، وسمَّاهم تعالى: ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ بحسب الظاهر من أَمرهن،

---

(١) وهي شاذة، انظرها في البحر المحيط (١٠/ ١٥٩)، وعزاها الفراء في معاني القرآن (٣/ ١٥٢) لحميد الأعرج.

(٢) وكلها شاذة، انظرها في المحتسب (٢/ ٣١٩)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٧١). وفي المطبوع بدل «الزهري» الثاني: «الزهراوي».

ورفضُ الإِشراك: هو محض الإِيمان، وقتل الأَولاد: هو من خوف الفقر والفاقة، وكانت العرب تفعل ذلك.

وقرأَ الحسن، وأَبو عبد الرحمن: (يُقَتِّلْنَ) بضم الياءِ وفتح القاف وكسر التاءِ مشدَّدة[١].

و«الإِتْيانُ بالبهتان»: قال أَكثر المفسِّرين: معناه أَن تَنْسُب إِلى زوجها ولداً ليس هو له.

واللَّفظ أَعم من هذا التخصيص، فإِن الفِرْية بالقول على أَحد من الناس بعظيمة لَمِنْ هذا، وإِن الكذب فيما اؤْتُمِنَّ عليه من الحيض والحمل لفِرية بهتان، وبعض أَقوى من بعض، وذلك أَن بعض الناس قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ يراد به اللسان والفم في الكلام، والقُبلة ونحوه، و«بين الأَرْجُل»: يراد به الفروج، وولد الإِلحاق ونحوه.

و«المعروف» الذي نُهي عن العصيان فيه، قال أَنس[٢]، وابن عباس[٣]، وزيد ابن أَسلم: هو النَّوح وشق الجيوب ووشم الوجوه ووصل الشعر وغير ذلك من أَوامر الشريعة فرضها وندبها[٤].

---

(١) وهي شاذة، عزاها للسلمي في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٢)، ولهما في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧١).

(٢) منكر مرفوعاً، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦٦٩٠-٩٨٢٩) عن معمر، ومن طريقه أحمد (٣/ ١٩٧)، وعبد بن حميد (١٢٥٣)، وأبو داود (٣٢٢٢)، والترمذي (١٦٠١)، والنسائي في الكبرى (١٩٩١)، وابن ماجه (١٨٨٥)، والبزار (٦٩١٧-٦٩١٨)، وابن حبان في صحيحه (٣١٤٦) عن ثابت، عن أنس قال: أخذ النبي ﷺ على النساء، حين بايعهن، أن لا ينحن، فقلن: يا رسول الله، إن نساء أسعدننا في الجاهلية، أفنسعدهن في الإسلام؟ فقال النبي ﷺ: «لا إسعاد في الإسلام، ولا شغار، ولا عقر في الإسلام، ولا جلب في الإسلام، ولا جنب، ومن انتهب فليس منا»، قال الدارقطني في أطراف الغرائب (٧٣٩): تفرد به معمر عن ثابت عنه ولا نعلم رواه عنه غير عبد الرازق.اهـ، وقال أبو حاتم كما في العلل (١٠٩٦): هذا حديث منكر جداً. اهـ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٤١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله بلفظ: «لا ينحن».

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٤١) بتصرف يسير.

ويُروى: أَن جماعةً من النساءِ فيهن هند بنت عتبة بايَعْن رسول الله ﷺ، فقرأَ عليهن الآية، فلما قَرَّرهن على أَلَّا يُشْرِكن قالت هند: وكيف نطمع أن تقبل منَّا ما لم تقبله من الرجال، بمعنى أن هذا بَيِّنٌ لزومه.

فلما وقف على السَّرقة قالت: والله إِني لأُصيب الهنة من مال أَبي سفيان لا أَدري ما يحلُّ لي من ذلك، فقال أَبو سفيان ـ وكان حاضراًـ: ذلك حلالٌ فيما مضى وبقي، وقال لها رسول الله ﷺ: «كُلي وولدك بالمعروف» وقد تكرر هذا المعنى في الحديث الآخر، قولها: «إِن أَبا سفيان رجل مسِّيك»[1].

فلما وقف على الزِّنا قالت: يا رسول الله! وهل تزني الحُرَّة؟ قال لها رسول الله ﷺ: «لا، ما تزني الحُرَّة»[2].

وذلك أَن الزِّنا في قريش إِنما كان في الإِماءِ في أَغلب الأَمر، وفيما يعرِف مثل هند، وإِلَّا فالبغايا قد كُنَّ أَحراراً.

فلما وقف على قتل الأَولاد قالت: نحن ربَّيناهم صغاراً، وقتلتهم أَنت ببدرٍ كباراً، فضحك رسول الله ﷺ، فلما وقف على العصيان في المعروف قالت: ما جلسنا هذا المجلس وفي أَنفسنا أَن نعصيك[3].

---

(١) أصل الحديث متفق عليه أخرجه البخاري (٢٤٦٠)، ومسلم (١٧١٤) عن عائشة قالت: جاءت هند بنت عتبة بن ربيعة فقالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسِّيكٌ فهل عليَّ حرج أن أُطعم من الذي له عيالنا؟ فقال: «لَا حَرَجَ عَلَيْكِ أَنْ تُطْعِمِيهِمْ بِالْمَعْرُوفِ».

(٢) هذا مرسل، قولها «وهل تزني الحرة» أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٩ / ٢٣٧) من طريق عمر ابن أبي زائدة قال سمعت الشعبي يذكر أن النساء جئن يبايعن فقال النبي ﷺ: «تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئاً» فقالت هند: إنا لقائلوها، قال: «فلا تسرقن» فقالت هند: كنت أصيب من مال أبي سفيان، قال أبو سفيان فما أصبت من مالي فهو حلال لك، قال: «ولا تزنين» فقالت هند: وهل تزني الحرة؟ قال: «ولا تقتلن أولادكن» قالت: أنت قتلتهم، وأخرجه أيضاً ابن سعد (٨/ ٩) من طريق أبي المليح، عن ميمون بن مهران أن نسوة أتين النبي ﷺ فيهن هند فذكر نحوه، قال في الإصابة (٨/ ١٥٥): وأخرجه ابن سعد بسند صحيح مرسل عن الشعبي وعن ميمون بن مهران.

(٣) أخرجه الطبري (٢٢/ ٥٩٦) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ أطول من هذا.

ويروى: أَن جماعة نساءٍ بايعن النبي ﷺ فقلن: يا رسول الله! نبايعك على كذا وكذا؛ الآية.

فلما فرغن، قال رسول الله ﷺ: «فيما اسْتَطَعْتُنَّ وأَطَقْتُنَّ»، فقُلْن: اللهُ ورسوله أَرحم بنا منَّا بأَنفُسنا[١].

وقوله تعالى: ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ معناه: امْض معهن صفقة الإِيمان بأَن يُعْطِينَ ذلك من أَنْفُسهن ويُعْطَيْن عليه الجنة.

واختلفت هيئات مبايعة رسول الله ﷺ النساءَ ـ بعد الإِجماع على أَنه لم تمسَّ يده الشريفة[٢] يد امرأَة أَجنبية قط[٣] ـ فيروى عن عائشة رضي الله عنها وغيرها أَنها قالت: إِنه بايع النساءَ قولاً، وقال: «إِنما قولي لمئة امرأَة كقولي لامرأَةٍ واحدة»[٤].

وقالت أَسماءُ بنت يزيد بن السَّكن[٥]: كنتُ في النسوة المبايعات، فقلت: يا رسول الله، ابسُطْ يدك نبايعك، فقال لي رسول ﷺ: «إِنِّي لا أُصافح النساءَ لكن آخُذُ عليهن ما أَخذ الله عليهن»[٦].

---

(١) صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (٦٠٨)، والحميدي (٣٤١)، وأحمد (٦/ ٣٥٧)، والترمذي (١٥٩٧)، والنسائي في الكبرى (٧٧٥٦-٧٧٦٥-٨٦٧٢-٨٦٦٠-٩١٩٦)، وابن ماجه (٢٨٧٤) وغيرهم من طرق عن محمد بن المنكدر، عَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ؛ أَنَّهَا قالت: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ.

(٢) «الشريفة» من المطبوع.

(٣) «قط» ليست في المطبوع، لم أقف على من نقل هذا الإجماع غير المؤلف.

(٤) أثر عائشة تقدم، وقد أخرجه البخاري (٢٧١٣)، ومسلم (١٨٦٦) من حديث عائشة رضي الله عنها بنفس المعنى.

(٥) أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع الأنصارية الأوسية الأشهلية تكنى أم سلمة، وكان يقال لها خطيبة النساء، الإصابة (٨/ ٢١).

(٦) حسن، أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٦)، وإسحاق في مسنده (٢٣٠٩)، والحميدي في مسنده، وأبو يعلى كما في المطالب (١٥٨٦)، والطبراني في الكبير (٤٥٩) وغيرهم من طرق شهر بن حوشب أنه لقي أسماء بنت يزيد قال: فحدثتني: أنها بايعت رسول الله ﷺ يوم بايع النساء فمدت يدها لتبايعه فقبض يده وقال: إني لا أصافح النساء ولكن إنما آخذ عليهن بالقول.

وذكر النقاش حديثاً: أَن النبي ﷺ مدَّ يده المكرمة من خارج بيت، ومدَّ نساءٌ من الأَنصار أَيديهن من داخله فَبَايَعْن[١]، وما قَدَّمتُه أَثبت.

وروي عن الشعبي: أَنه ﷺ لفَّ ثوباً كثيفاً قطريّاً[٢] على يده، وجاءَ نسوة فَلَمَسْنَ يده كذلك[٣].

ورُوي عن الكلبي: أَنَّه قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلمس النساءُ يده وهو خارج من بيتٍ وهُنَّ فيه بحيث[٤] لا يراهُنَّ[٥].

وذكر النقاش وغيره: أَن النبي ﷺ بايعه النساءُ بمكَّةَ على الصَّفَا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يصافحهن[٦].

ورُوي من حديث عمرو بن شعيب، عن أَبيه، عن جدِّه، رفعه النقاش عن ابن عباس[٧].

وعن عروة بن مسعود الثَّقفي: أَنه ﷺ غَمَس يده في إِناءٍ فيه ماءٌ، ثم دفعه إِلى النساءِ يغمسن أَيديهن فيه[٨].

---

(١) منكر؛ لمخالفته للأحاديث الصحيحة التي تدل على عدم مصافحته عليه الصلاة والسلام للنساء.

(٢) «قطرياً» ليس في المطبوع ونجيبويه، وأحمد٣، وفي الأسدية٣ ونور العثمانية: «قطوباً».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) من نجيبويه وأحمد٣ والحمزوية.

(٥) ضعيف، ذكره الثعلبي (٩/ ٢٩٨) عن الكلبي قال: كان رسول ﷺ يشرط على النساء وعمر يصافحهن، والكلبي متروك.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (٣٧٣)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ٢٦١) من طريق جبارة بن مغلس، عن عبد الله بن حكيم، عن حجاج، عن داود بن أبي عاصم عن عروة بن مسعود الثقفي قال: كان رسول الله ﷺ عنده الماء فإذا بلغ النساء غمس أيديهن فيه. وجبارة بن المغلس الحماني ضعيف.

ثم أَمره تعالى بالاستغفار لهنَّ ورجَّاهُنَّ في غُفرانه ورحمته بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، قال ابن زيد، والحسن، ومنذر بن سعيد: هم اليهود لأَن غضب الله عزَّ وجلَّ قد صار عُرفاً لهم(١).

وقال ابن عباس: هم في هذه الآية كفار قريش؛ لأَن كل كافر فعليه غضب من الله تعالى، لا يردُّ ذلك ثبوت غضب الله على اليهود(٢).

قال القاضي أَبو محمد: ولا سيَّما في المَرَدَة ككفَّار قريش، إِذ أَعمالهم معصية ليست بمجرد ضلال بل فيها شرارات(٣) مقصودة، وفي الكلام في التشبيه الذي في قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ يتبيَّن الاحتياج إِلى هذا الخلاف، وذلك أَن اليأْس من الآخرة إِمَّا أَن يكون بالتكذيب بها، وهذا هو يأْس كفار مكة، [وإِمَّا أَن يكون باليأْس عن الحظ فيها(٤) والنعمة مع التصديق بها، وهذا هو يأْس اليهود.

فمن قال: إِن القوم المشار إِليهم هم كفَّار مكَّة، قال](٥): معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾: كما يئس الكافر من صاحب قبر؛ لأَنه إِذا مات له حميم قال: هذا آخر العهد به، لن يُبعث أَبداً، فمعنى الآية: أَن اعتقاد أَهل مكَّة في الآخرة كاعتقاد الكافر في البعث ولقاءِ موتاه، وهذا هو تأْويل ابن عباس، والحسن، وقتادة في معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾(٦).

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٥٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٤٥).

(٢) أخرجه ابن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور (١٤/ ٤٣٨) عن ابن عباس: هم الكفار أصحاب القبور الذين يئسوا من الآخرة.

(٣) في المطبوع: «مناورات»، وفي حاشيته: اختلفت الأصول في هذه الكلمة، ففي بعضها جاءت: شرارات، وفي بعضها كانت سرارات.

(٤) في الأسدية٣: «الخلود فيها».

(٥) سقط من الأصل.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٤٦-٣٤٧) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله=

ومن قال: إِن القومَ المشار إِليهم هم اليهود، قال: معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾: كما يئس الكافر من الرَّحمة إِذا ماتَ وكان صاحب قبر.

وذلك أَنه يُروى: أَن الكافر إِذا كان في قبره عُرِض عليه مقعده في[1] الجنة أن لو كان مؤمناً، ثم يُعرض عليه مقعده من النار الذي يصير إِليه، فهو يائس من رحمة الله تعالى مع علمه بها ويقينه، وهذا تأْويل مجاهد، وابن جبير، وابن زيد في قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾[2].

فمعنى الآية: أَن يأَس اليهود من رحمة الله تعالى في الآخرة مع علمهم بها كيأْس ذلك الكافر في قبره، وذلك لأَنهم قَدْ رِينَ على قُلوبهم، وحملهم الحسد على ترك الإِيمان، وغلب على ظنونهم أَنهم مُعَذَّبون، وهذه كانت صفة كثير من مُعاصري النبي ﷺ.

و﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنَ أَصْحَٰبِ﴾ على القول الأَول لابتداءِ الغاية، وفي القول الثاني هي لبيان الجنس أَو للتبعيض، يتوجَّهان فيها، وبيان الجنس أَظهر.

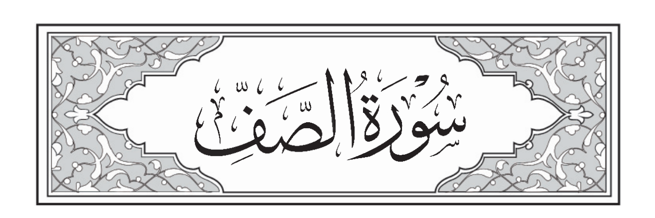
كمل تفسير (سورة الممتحنة)، والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

= عنهما قال: من مات من الذين كفروا، فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم، أو يبعثهم الله، وانظر قول الباقين في الهداية لمكي (١١/ ٧٤٣٣).

(١) في المطبوع ونجيبويه: «من».

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٤٧)، والهداية لمكي (١١/ ٧٤٣٤).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الصف / [٥/ ٢٠١]

وهي مدنية في قول الجمهور، وقال مكي عن ابن عباس، والمهدوي عن عطاءٍ ومجاهد: إِنها مكِّيَّة، والأَول أَصح؛ لأَن معاني السُّورة تعضده، ويشبه أَن يكون فيها المكي والمدني[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾.

قد تقدَّم القول غير مرَّة في تسبيح الجمادات.

و﴿الْحَكِيمُ﴾ في سلطانه وقدرته، و﴿الْحَكِيمُ﴾ في أَفعاله وتدبيره.

---

(١) انظر: التحصيل للمهدوي (٦/ ٤٠٢)، وقول ابن عباس في الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٧٤٥)، والذي في الهداية لمكي (١١/ ٧٤٣٥) أنها مدنية عند قتادة وابن عباس. ولفظة «والمدني» ليست في المطبوع ونجيبويه.

واختلف الناس في السبب الذي نزلت فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾، فقال ابن عباس، وأَبو صالح: نزلت بسبب أَن جماعة قالوا: لَوَددنا أَن نعرف أَحب الأَعمال إِلى ربنا حتى نعتني به، ففرض الله تعالى الجهاد، وأَعلمهم بفضله لديه، وأَنه يحب المقاتلين في سبيله كالبنيان المرصوص، وكان إِذْ فُرض قد تكرَّهه قوم منهم، وفرَّ من فرَّ يوم أُحد، فعاتبهم الله تعالى بهذه الآية[١].

[وقال قتادة والضحاك: نزلت هذه الآية][٢] بسبب أَن جماعة من شباب المسلمين كانوا يتحدثون عن أَنفسهم في الغزو بما لم يفعلوا، ويقولون: فعلنا وصنعنا، وذلك كذب، فنزلت الآية في ذلك[٣].

وقال ابن زيد: نزلت في المنافقين لأَن جملة منهم كانوا يقولون للمؤمنين: نحن منكم ومعكم، ثم يظهر من أَفعالهم خلاف ذلك، فنزلت الآية عتاباً لهم[٤].

وحكم هذه الآية باق غابر الدهر، وكل من يقول ما لا يفعل فهو ممقوت مَذِق الكلام.

والقول الأَخير في المنافقين إِنما يتوجه بأَن يكونوا غير مُجَلِّحين بالنفاق، فلذلك خوطبوا بالمؤمنين، أَي: في زعمكم وما تُظهرون.

والقول الأَول يترجَّح بما يأْتي بعد من أَمر الجهاد والقتال.

و«الْمَقْتُ»: البغض من أَجل ذنب أَو ريبة أَو دناءَة يصنعها الممقوت، وهذا حدُّ المقت، فتأَمَّله، و﴿مَقۡتًا﴾ نصب على التمييز، والتقدير: كَبُر فِعْلكم مقتاً، والمراد: كبر مَقْتُ فِعْلكم، فحذف المضاف إِليه ونصب المضاف على التمييز، وهذا كما تقول: تَفَقَّأَ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٦٠٦) من طريق علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) سقط من الأصل.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٥٤)، بتصرف.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٥٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣٠٢) بتصرف.

شحمُ بطنِك[١]، ثم تقول: تَفَقَّأَ بطنُك شحماً.

و﴿أَن تَقُولُواْ﴾ يحتمل أن يكون بدلاً من المقدر، [ويحتمل أن يكون خبر ابتداءٍ مضمَر.

ويحتمل ـ على غير هذا التقدير ـ][٢]: أن يكون فاعلًا بـ﴿كَبُرَ﴾.

وقول المرءِ ما لا يفعل يوجب مقت الله تعالى، ولذلك فرَّ كثير من العلماءِ من الوعظ والتذكير وآثروا السكوت.

ثم أَكَّد تعالى الإِخبار بمحبته للمقاتلين صفّاً، ومحبة الله تعالى هي ما يظهر عليهم من نصره وكرامته، وهي هنا صفة فعل وليست بمعنى الإِرادة؛ لأَن الإِرادة لا يصح أَن يقع ما يخالفها، ونحن نجد المقاتلين على غير هذه الصفة كثيراً.

وقال بعض الناس: قتال الرَّجَّالة أَفضل من قتال الفرسان؛ لأَن التَّراصَّ فيه يتمكن.

وهذا ضعيف خَفِيَ على قائله مقصد الآية، وليس المراد نفس التصافِّ، وإِنما المقصد: الجدُّ في كل أَوطان القتال وأحواله، وقصد بالذِّكْر أَشدّ الأحوال وهي الحالة التي تحوج إِلى القتال صفّاً متراصّاً، ونابَت هذه الحال المذكورة مناب جميع الأَحوال، وقضت الآية بأَن الذين يبلغ جِدُّهم إِلى هذه الحال حريُّون أَلَّا يُقَصِّروا عن حال.

و«الْمَرْصُوصُ»: المصفوف المُتَضَام.

وقال أَبو بَحْرِيَّة[٣]: إِذا رأيتموني أَلتفت في الصف فجبوا[٤] فؤادي. ومنه قول الشاعر:

---

(١) في المطبوع: «تفقأ شحماً بطنك»، وهو خلاف الصواب.

(٢) سقط من الأصل.

(٣) هو أبو بحرية التراغمي الحمصي، عبد الله بن قيس، شهد خطبة الجابية، حدث عن معاذ، وأبي هريرة، أدرك الجاهلية، ووثقه ابن معين، وكان فقيهاً ناسكاً يحمل عنه الحديث، عثماني الهوى وكان معاوية يعظمه، مات في زمن الوليد، تاريخ الإسلام (٥/ ٥٤٤).

(٤) في الأسدية٣، وأحمد٣ والمطبوع: «فجزّوا»، وفي نجيبويه: «فخذوا»، وفي الحمزوية ونور العثمانية: «فجوا».

[مجزوء الكامل] بِـالـشَّـامِ بَـيْـنَ صَـفَـائِـحٍ صُـمٍّ تَـرَصَّـصُ بالْجبوبِ[١]

وقال منذر بن سعيد، والفراءُ، وغيرهما: المرصوصُ: المعقود بالرصاص، وهذا يحتمل أَن يكون أَصل اللفظة[٢].

ثم ذكر تعالى مقالة موسى عليه السلام، وذلك ضرب مثل للمؤمنين الذين يقولون ما لا يفعلون، ذكَّرهم الله تعالى بقوم آذوا نبيَّهم على علم منهم بنبوَّته، وَزَاغُوا فأَزَاغَ اللهُ تعالى قلوبهم، أي: فاحذروا أَيها المؤمنون أَن يُصَيِّركم العصيان وقول الباطل إِلى مثل حالهم.

وقال أَبو أُمامة: هم الخوارج[٣]، وقال سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه: هم الحرورية[٤].

قال القاضي أَبو محمد: المعنى أَنهم أَشباههم في أَنهم لما زاغوا أَزاغ الله تعالى قلوبهم.

وقوله تعالى: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ تقرير، والمعنى: تؤذونني بِتَعَنُّتكم وعصيانكم واقتراحاتكم، وهذه كانت أَفعال بني إِسرائيل.

---

(١) عزاه في مصارع العشاق (٢/ ١٣٩) لابن أبي العنبس الثقفي، في ابنه، وعزاه في الأغاني (٦/ ٣٢٤)، لمكين العذري يرثي أباه، وعزاه أيضاً (٨/ ٣٦١) لسلامة ترثي الوليد بن يزيد، وعندهم: «ترصف»، بالفاء، وفي المطبوع والحمزوية: «الجنوب»، وفي نجيبويه: «الحتوف».

(٢) في الأصل: «البراء»، وانظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٣)، وقول منذر بن سعيد في البحر المحيط (١٠/ ١٦٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٦١٢)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٥٣٥)، والخلال في السنة (١٣٨) من طريق هشيم، عن العوام بن حوشب، عن أبي غالب البصري ـ وهو صدوق، عن أبي أمامة به. وإسناده لين.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٩٠٨١)، والطبري (١٨/ ١٢٦)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٥٢٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧١) من طرق، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: قلت لأبي: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الحرورية هم؟قال: لا ولكنهم أصحاب الصوامع، والحرورية قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم.

وانظر أنه تعالى أَسند الزَّيْغ إِليهم لكونه فعل حطيطة، كما قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ﴾ [الحشر: ١٩] وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨] فقد أَسند التوبة إِلى نفسه لكونها فعل رِفْعة، ومنه قوله تعالى حكاية عن إِبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

و(زَاغَ) معناه: مالَ، وصار عُرفها في الميل عن الحق.

و﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ معناه: طبع عليها وختم وكثُر مَيْلُها عن الحق، وهذه هي العقوبة على الذنب بالذنب، وأَمال ابن أَبي إسحاق: ﴿زَاغُوٓاْ﴾[1].

قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٦ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨﴾.

المعنى: واذكر يا محمد إِذ قال عيسى، وهذا مثال آخر ضربه الله تعالى لكفار قريش، وحكى عن موسى عليه السلام أنه قال: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾، وعن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ من حيث لم يكن له فيهم أَب.

و﴿مُّصَدِّقٗا﴾ حال مؤكدة، و(مُبَشِّراً) عطف عليه.

وقوله تعالى: ﴿يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي﴾، وقوله: ﴿ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ جملتان كل واحدة منهما في موضع خفض على الصفة لـ﴿رَسُولٖ﴾ / . [٥/ ٢٠٢]

و﴿أَحۡمَدُ﴾ فعل سمِّي به، ويحتمل أَن يكون أَفْعل؛ كأَسود، وهو في هذه الآية للكلمة[2] لا الشخص، وليست على حدِّ قولك: جاءَنا أَحمد؛ لأنك هاهنا أَوقعت الاسم

(١) وهي سبعية لحمزة كما في التيسير (ص: ٤٩). وفي الحمزوية: «ابن إسحاق».

(٢) في نجيبويه والحمزوية: «الكلمة».

على مسمَّاه، وفي هذه الآية إِنما أَراد: اسمه هذه الكلمة، وذكر أَبو علي هذا الغرض[١]، ومنه ينفك إِعراب قوله تعالى: ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، ونافع، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿من بعديَ﴾ بفتح الياءِ.

وقرأَ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وعاصم في رواية حفص: ﴿مِنۢ بَعۡدِى﴾ بسكون الياءِ[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الآية؛ يحتمل أَن يريد عيسى عليه السلام، وتكون الآية وما بعدها تمثيلاً بأُولئك لهؤلاءِ المعاصرين لمحمد ﷺ.

ويحتمل أَن يكون التمثيل قد فرغ عند قوله: ﴿ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾، ثم خرج إِلى ذكر أَحمد، لمَّا تطرَّق ذكره فقال تعالى مخاطبة للمؤمنين: فلمَّا جاءَ أَحمد هؤلاءِ الكفار قالوا: هذا سحر مبين.

و(البيِّنَات): هي الآيات والعلامات.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿هَٰذَا سِحۡرٞ﴾ إِشارة إِلى ما جاءَ به.

وقرأَ ابن مسعود، وطلحة، والأَعمش، وابن وثاب: ﴿هذا ساحر﴾ إِشارة إِليه بنفسه[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ تعجيب وتقرير؛ أي: لا أَحد أَظلم منه، و«افتراءُ الكذب»: هو قولهم: ﴿هَٰذَا سِحۡرٞ﴾ وما جرى مجرى هذا من الأَقوال [التي هي اختلاق و][٤] بغير دليل.

---

(١) في المطبوع والحمزوية: «العرض».
(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٠)، والقراءة الثانية ليست في الأصل.
(٣) وهما سبعيتان، الثانية لحمزة والكسائي، كما في التيسير (ص: ١٠١).
(٤) سقط من المطبوع ونجيبويه.

وقرأَ الجمهور: ﴿يُدۡعَىٰٓ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول.

وقرأَ طلحة بن مصرف: (يَدَّعِي)[١] بمعنى: ينتمي وينتسب، ومن ذلك قول الشاعر:

فَرَمَيْتُ فَوْقَ مُلاءَةٍ مَحْبُوكَةٍ وَأَبَنْتُ لِلأَشْهَادِ حَزَّةَ أَدَّعِي[٢] [الكامل]

والمعنى - على هذه القراءَة - إِنما هو إِشارة إِلى الأَنبياءِ عليهم السلام، لمَّا حكى عن الكفار أَنهم قالوا: ﴿هَٰذَا سِحۡرٞ﴾ بيَّن بعد ذلك أَن العقل لا يقبله، أَي: وهل أَظلم من هذا الذي يزعم أَنه نبيٌّ ويدَّعي إِلى الإِسلام وهو مع ذلك مُفْتَر على ربِّه؟ وهذا دليل واضح لأَن مسالك أَهل الافتراءِ والْمَخْرَقَة إِنما هي دون هذا وفي أُمور خسيسة.

وضبط النقاشُ هذه القراءَة (يُدَّعَى) بضم الياءِ وفتح الدال المشددة على ما لم يسمَّ فاعله.

والضمير في ﴿يُرِيدُونَ﴾ للكفار، واللام في قوله تعالى: ﴿لِيُطۡفِـُٔواْ﴾ لام مؤكدة دخلت على المفعول؛ لأَن التقدير: يريدون أَن يطفئوا، و«أَنْ» مع الفعل في تأْويل المصدر، فكأَنه تعالى قال: يريدون إِطفاءَ، وأَكثر ما تلزم هذه اللامُ المفعولَ إِذا تقدَّم، تقول: لِزيدٍ ضربت ولِـرُؤْيتك قصدت.

و﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾: هو شرعه سبحانه وبراهينه، وقوله تبارك وتعالى: ﴿بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ إِشارة إِلى الأَقوال، أَي بقولهم: سِحْر وشِعْر وتكَهُّن وغير ذلك.

وقرأَ نافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وأَبو بكر عن عاصم، وابن محيصن، والحسن وطلحة، والأَعرج: ﴿واللهُ مُتِمٌّ﴾ بالتنوين ﴿نُورَهُ﴾ بالنصب.

وقرأَ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، والأَعمش: ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾[٣] بالإِضافة، وهي في معنى الانفصال. وفي هذا نظر.

---

(١) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢٠).

(٢) عزاه في المعاني الكبير (٢/ ١٠٤١)، وأمالي القالي (١/ ٦٠)، للهذلي، وهو ساعدة بن العَجْلان كما في سمط اللآلي (١/ ٢٢٣).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٠).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

هذا تأْكيد لأَمر الرِّسالة وشدٌّ لأَزْرها، كما يقول الإِنسان لأَمر يثبته ويُقَوِّيه: أَنا فعلتُه؛ أَي: فمن يقدر على معارضته فليعارض.

و«الرَّسولُ» المشار إِليه: هو محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ لفظ يصلح للعموم، وأَن يكون المعنى: أَلَّا يبقى موضع فيه دين غير الإِسلام، وهذا لا يكون إِلَّا عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام، قاله أَبو هريرة[1]، ومجاهد.

ويحتمل أَن يكون المعنى: أَن يظهره حتى لا يوجد دين إِلَّا والإِسلام أَظهر منه، وهذا قد كان وَوُجد.

ثم نَدب تعالى المؤمنين وحضَّهم على الجهاد بهذه التجارة التي بيَّنها، وهي أَن يعطي المرءُ نفسه وماله ويأْخذ ثمناً جنة الخُلْد.

وقرأَ جمهور الناس والقراءِ: ﴿تُنجِيكُم﴾ بتخفيف النون وكسر الجيم دون شدٍّ.

وقرأَ ابن عامر وحده، والحسن، والأَعرج، وابن أَبي إِسحاق: ﴿تُنَجِّيكُمْ﴾ بفتح النون وشدِّ الجيم[2].

وقوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ لفظه لفظ الخبر ومعناه الأَمر؛ أَي: آمنوا.

---

(١) جيد، هذا الأثر أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٦١) من طريق سفيان، عن أبي المقدام ثابت بن هرمز، عن نبيح بن عبد الله العنزي، عن أبي هريرة ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ قال: خروج عيسى بن مريم. وقد تصحف «سفيان» في المطبوع إلى «شقيق»، و«نبيح» إلى «شيخ».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٠).

وفي مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (أَلِيمٌ، آمِنوا باللَّهِ ورسوله وجاهِدُوا)[١].

وقوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ فعل مرفوع تقديره: ذلك أَنه تؤمنون.

وقال الأَخفش: هو عطف بيان على ﴿تِجَرَةٍ﴾.

وقال المبرد: هو بمعنى: آمنوا على الأَمر، ولذلك جاءَ ﴿يَغْفِرْ﴾ مجزوماً[٢].

[وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى الجهاد والإيمان، و﴿خَيْرٌ﴾ هنا يحتمل أن يكون للتفضيل فالمعنى: من كل عمل، ويحتمل أن يكون إخباراً أن هذا خير بذاته ونفسه][٣].

والجزمُ في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ﴾ على الجواب للأَمر المقدر في ﴿تُؤْمِنُونَ﴾، أَو على ما يتضمنه قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ من الحضِّ والأَمر، وإِلى نحو هذا ذهب الفراءُ[٤].

ورُوي عن أَبي عمرو بن العلاءِ أَنه قرأَ: ﴿يَغْفِلَّكُم﴾ بإِدغام الراءِ في اللام[٥].

ولا يجوِّز ذلك سيبويه[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَسَكِنَ﴾ عطف على ﴿جَنَّتٍ﴾، و«طيبُ المساكن»: سَعَتُها وجمالُها، وقيل: طيبُها المعرفةُ بدوام أَمرها.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو الصحيح، وأَيُّ طيب مع الفناءِ والموت؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٤).

(٢) انظر القولين في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٨).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٤).

(٥) هكذا كتبت في جميع النسخ إلا الحمزوية ففيها: «يغفر لكم» على الأصل، وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ٤٤)، والسبعة (ص: ١٢١)، وللدوري وجه بالإظهار.

(٦) الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٤٨).

قوله تعالى: ﴿وَأُخۡرَىٰ﴾، قال الأَخفش: هي في موضع خفض عطفاً على ﴿تِجَٰرَةٍ﴾[١].

وهذا قولٌ قلقٌ قد ردَّ عليه ناسٌ واحْتَجَّ له آخرون، والصحيح ضعفه؛ لأَن هذه «الأُخرى» ليست ممَّا دلَّ عليه، إِنما هي ممَّا أُعطي ثمناً وجزاءً على الإِيمان والجهاد بالنفس والمال.

وقال الفراءُ: ﴿وَأُخۡرَىٰ﴾ في موضع رفع[٢].

وقال قوم: إن (أُخْرَى) في موضع نصب بإِضمار فعل، كأَنه تعالى قال: يغفرْ لكم ذنوبكم / ويُدخلْكم جنات ويمنحْكُم أُخرى وهي النصر والفتح القريب. [٥/ ٢٠٣]

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (نصراً من الله وفتحاً) بالنصب فيهما[٣].

ووصفها تعالى بأَن النفوس تحبها من حيث هي عاجلة في الدنيا، وقد وكلت النفس بحب العاجل، ففي هذا تحريض، ثم قوَّاه تعالى بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وهذه الأَلفاظ في غاية الإِيجاز وبراعة المعنى.

ثم ندب الله تعالى المؤمنين إِلى النصرة، ووضع لهم هذا الاسم وإِن كان العُرْف قد خصَّ به الأَوس والخزرج، وسمَّاهم الله تعالى به.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، والأَعرج، وعيسى: ﴿أَنْصَاراً﴾ منوَّناً ﴿لِلَّهِ﴾.

وقرأَ الباقون، والحسن، والجحدري بالإِضافة[٤].

وفي حرف عبد الله: (أنتم أنصار الله)[٥].

---

(١) انظره مع الرد عليه في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٨).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٤).

(٣) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٢).

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٠).

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٥)، في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «وفي حرف أُبَيٍّ».

ثم ضرب تعالى المثل بقوم بادروا حين دُعوا، وهم الحواريُّون.

و﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾: خُلْصان الأَنبياءِ عليهم السلام، سُمُّوا بذلك [لأَنه ردَّد اختيارهم وتصفيتهم، وكذلك ردَّد تنخيل الحواري، واللفظتان من «الحَوَر».

وقيل: سُمُّوا بذلك][1] لبياض ثيابهم، وكانوا غسَّالين نصروا عيسى عليه السلام، واستُعمل اسمهم حتى قيل للناصر العاضد: حواري، وقال النبي ﷺ: «وحواري الزبير»[2].

وافتراق طوائف بني إِسرائيل هو في أَمر عيسى عليه السلام؛ قال قتادة: والطائفة الكافرة ثلاث فرق:

اليعقوبية وكلُّهم قالوا: هو الله.

والإِسرائيلية وهم قالوا: هو ابن الله.

والنسطورية وهم قالوا: هو إِله، وأُمُّه إِله، والله تعالى ثالثهما. تعالى الله سبحانه عن أَقوالهم عُلُوّاً كبيراً[3].

قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾، قيل: ذلك قبل محمد ﷺ، وبعد فترة من رفع عيسى عليه السلام، ردَّ الله تعالى الكرَّة عليهم لمن آمن به فغلبوا الكافرين الذين قتلوا صاحبه الذي أُلقي عليه الشبه.

وقيل: ذلك لمحمد ﷺ، أَصبح المؤمن بعيسى عليه السلام ظاهراً لإِيمانه بمحمد ﷺ، وذلك لأنه لا يؤمن أَحد حق الإِيمان بعيسى عليه السلام إِلَّا وفي ضمن

---

(١) سقط من نجيبويه، وفي المطبوع: «ردد تخيل..»، وفي أحمد٣: «تنخيل الحوريين» بالجمع، والجملة في الأصل غير واضحة بسبب سوء التصوير.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٨٤٦) ومسلم (٢٤١٥).

(٣) انظر قول قتادة في: تفسير عبد الرزاق (٢/ ٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٣٠)، وانظر: الملل والنحل لابن حزم (١/ ٤٨).

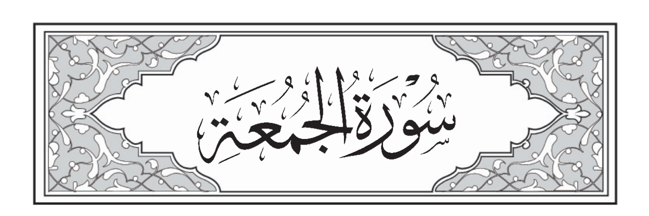
ذلك الإِيمان بمحمد ﷺ؛ لأَنه بشَّر به وحرَّض عليه، وقيل: كان المؤمنون قديماً به ظاهرين بالحُجَّة وإِن ظلُّوا مفترقين في البلاد، مغلوبين في ظاهر الحياة الدنيا.

وقرأَ مجاهد، وحُميد، والأَعرج، وابن محيصن: (فَآيَدْنَا) مخفَّفة الياءِ ممدودة الأَلف[1].

كمل تفسير (سورة الصَّف)، والحمد لله ربِّ العالمين

❊ ❊ ❊

(١) وهي شاذة، انظر نسبتها لهم في الكامل للهذلي (ص: ٣٨٠).



تفسير سورة الجمعة

وهي مدنيَّة، وذكر النقاش قولاً أنها مكِّيَّة[١]، وذلك خطأٌ ممَّن قاله؛ لأَن أَمر اليهود لم يكن إِلَّا بالمدينة، وكذلك أَمْر الجمعة لم يكن قط بمكَّة، أَعني إِقامتها وصلاتها، وأَمَّا أَمْر الانفضاض فلا مرية في كونه بالمدينة.

وذكر النقاش عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنَّا جلوساً عند رسول الله ﷺ حين نزلت سورة الجمعة[٢]. وهذا أَيضاً ضعيف؛ لأَن أَبا هريرة رضي الله عنه إِنما أَسلم أَيَّام خيبر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦) عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ قال رجلٌ: مَن هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً قال: وفينا سلمان الفارسي قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء»، قال الحافظ في الفتح (٨/ ٦٤٢): قوله فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ كأنه يريد أنزلت عليه هذه الآية من سورة الجمعة وإلا فقد نزل منها قبل إسلام أبي هريرة الأمر بالسعي. اهـ.

تقدَّم القول في مثل أَلفاظ الآية الأُولى بأَجمعها، واختلفت القراءَة في إِعراب الصفات في آخرها، فقرأَ جمهور الناس: ﴿ٱلْمَلِكِ﴾ بالخفض نعتاً ﴿لِلَّهِ﴾، وكذلك ما بعده.

وقرأَ أَبو وائل شقيق، ومسلمة، وأَبو الدينار: (الْمَلِكُ) بالرفع على القطع، وكذلك ما بعده.

وفتح أَبو الدينار القاف من (الْقَدُّوس)[1].

و«الأُمِّـيُّونَ»: يراد بهم العرب، والأُمِّي في اللغة: الذي لا يكتب ولا يقرأُ كتاباً[2]، منسوب إِلى [«الأم»؛ أي: هو على الخلقة الأولى في بطن أمه.

وقيل: هو منسوب إلى الأمة، أي: على سليقة البشر دون تعلم، وقيل: هو منسوب][3] إلى «أُمِّ القرى» وهي مكَّة.

وهذا ضعيف؛ لأَن الوصف بالأُمِّيين على هذا يقف على قريش، وإِنما المراد جميع العرب، وفيهم قال النبي ﷺ: «إِنَّا أُمَّـةٌ أُمِّـيَّةٌ لا نحسب ولا نكتب، الشهر هكذا وهكذا»[4].

وهذه الآية تعديد نعم الله تعالى عليهم فيما أَولاهم.

و«الآياتُ المتْلُوَّةُ»: القرآن.

و(يُزَكِّيهِمْ) معناه: يطهِّرهم من الشِّرك، وينمِّي الخير فيهم.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: الوحي المتْلُوُّ.

و(الحِكْمَة): السُّنَّـةُ التي هي على لسانه ﷺ.

ثم أَظهر تعالى تأْكيد النعمة بذكر حالهم التي كانت في الضد من الهداية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

---

(١) وهما شاذتان، انظرهما في تفسير الثعلبي (٩/ ٣٠٥)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٧٢).

(٢) «كتاباً» ليست في المطبوع.

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

و(آخَرِين) في موضع خفض عطفاً على ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾، أَو في موضع نصب عطفاً على الضمائر المتقدِّمة.

واختلف الناس في المَعْنِيِّين بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾:

فقال أَبو هريرة رضي الله عنه وغيره: أَراد فارس، وقد سُئل رسول الله ﷺ: من الآخرون؟ فأَخذ بيد سلمان الفارسي رضي الله عنه وقال: «لو كان الدين في الثريَّا لناله رجال من هؤلاءِ»، خرجه مسلم[١].

وقال سعيد بن جبير، ومجاهد: أَراد الرُّوم والعجم[٢].

فقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾ على هذين القولين إِنما يريد به: في البشرية والإِيمان، كأَنه تعالى قال: وآخرين من الناس.

وقال مجاهد أَيضاً، وعِكْرِمة، ومقَاتل: أَراد التابعين من أَبناءِ العرب[٣].

فقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾ يريد به: النَّسب والإِيمان.

وقال ابن زيد ومجاهد والضحاك وابن حبان: أراد بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ جميع طوائف الناس[٤].

ويكون ﴿مِنْهُمْ﴾ في البشرية والإيمان على ما قلناه، وذلك أَنَّا نجد بعثه ﷺ إِلى جميع الخلائق.

وقال ابن عمر لأَهل اليمن: أَنتم هم[٥].

---

(١) مسلم (٢٥٤٦).

(٢) الهداية لمكي (١١/ ٧٤٥٨).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٠٦)، وقول مجاهد في: تفسير الثعالبي (٤/ ٢٩٨).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٧٥)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣٠٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٤٥٩).

(٥) في إسناده جهالة، أخرجه الطبري (٢٣/ ٣٧٤) من طريق هشام بن يوسف الصنعاني، عن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن القاص، عن أبيه، عن جده، عن ابن عمر أنه قال له: أما إن سورة =

وقوله تعالى: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا﴾ نفيٌ لما قَرُب من الحال، والمعنى أَنهم مزمعون أَن يلحقوا بهم، فهي «لم» زيدت عليها «ما» تأْكيداً، قال سيبويه: «لَـمَّا» نَفْي قولك: قد فعل، / و«لَمْ» نفْي قولك: فعل دون «قَدْ»[1]. [٥/ ٢٠٤]

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ الآية؛ تَبيينٌ لموقع النعمة وتخْصيصه إِيَّاهم بها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)﴾.

﴿الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾: هم بنو إِسرائيل والأَحبار المعاصرون لرسول الله ﷺ.

و﴿حُمِّلُوا﴾ معناه: كُلِّفُوا القيام بأَوامرها ونواهيها، فهذا كما حمل الإِنسان الأَمانة، وليس ذلك من الحمل على الظهر وإِن كان مُشْتَقّاً منه.

وذكر تعالى أَنهم لم يَحْملوها، أَي: لم يُطيقوا[2] أَمرها ويَقِفوا عند حدِّها حين كذبوا بمحمد ﷺ، والتوراةُ تنطق بِنُبُوَّته، فكأَن كل حبر[3] [لم ينتفع بما حمل][4]،

= الجمعة أنزلت فينا وفيكم في قتلكم الكذّاب، ثم قرأ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ حتى بلغ ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال: فأنتم هم. وعبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن يزيد القاص مجهول الحال فلم يرو عنه غير هشام بن يوسف، وقد ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٣٢٩)، وابن حبان في الثقات (٨/ ٣٧١)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٥/ ٢٦٣) ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(١) الكتاب لسيبويه (٣/ ١١٧).

(٢) في الأصل ونور العثمانية: «يطيعوا».

(٣) في الأسدية٣، ونور العثمانية والمطبوع: «خير».

(٤) في المطبوع: «لم ينتفع به من حمله».

كمثل حمارٍ عليه أَسفارٌ فهي عنده والزِّبل وغير ذلك بمنزلة واحدة.

وقرأ يحيى بن يَعْمَر: (حَمَلُوا) بفتح الحاءِ والميم مخففة[١].

وقرأ المأْمون العباسي: (يُحَمَّل) بضم الياءِ وفتح الحاءِ وشدِّ الميم المفتوحة[٢].

وفي مصحف ابن مسعود: (كَمَثَلِ حِمَارٍ) بغير تعريف[٣].

و«السِّفْرُ»: الكتابُ المجتمع الأَوراق مُنَضَّدة.

ثم بيَّن تعالى حال مثلهم وفساده بقوله تعالى: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾، [والتقدير: بئس المثل مثل القوم][٤].

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ﴾ الآية؛ رُوي أَنها نزلت بسبب أَن يهود المدينة لمَّا ظهر رسول الله ﷺ خاطبوا يهود خيبر في أَمره، فذكروا لهم نُبُوَّته، وقالوا: إِن رأَيتم اتِّباعه أَطعناكم، وإِن رأَيتم خلافه خالفناه معكم، فجاءَهم جواب أهل خيبر يقولون: نحن أَبناءُ إِبراهيم خليل الرحمن، وأَبناءُ عُزَيْر ابن الله، ومنَّا الأَنبياءُ، ومتى كانت النُّبوَّة في العرب؟ نحن أَحق بالنبوة من محمد، ولا سبيل إِلى اتباعه، فنزلت الآية[٥]، بمعنى: إِنكم إِذا كنتم من الله بهذه المنزلة فقُربه وفِراقُ هذه الحياة الخسيسة أَحب إِليكم، فتمنوا الموت إِن كنتم صادقين[٦] تعتقدون في أَنفسكم هذه المنزلة.

ثم أَخبر تعالى عنهم أَنهم لا يَتَمَنَّوْنه ولا يلقونه إِلَّا كرهاً لعلمهم بسوءِ حالهم عند الله تعالى وبعدهم منه، هذا هو اللازم من أَلفاظ الآية، وروى كثير من المفسِّرين:

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها له ولزيد بن علي في البحر المحيط (١٠/ ١٧٢)، وللثاني في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٢).

(٢) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (١٠/ ١٧٢).

(٣) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٥).

(٤) سقط من الأصل.

(٥) انظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦٤).

(٦) «صادقين» من المطبوع.

أَن الله تعالى جعل هذه الآية معجزة لمحمد ﷺ، وآية باهرة، وأَعلمه أَنه إِن تمنى أَحد منهم الموت في أَيام معدودة ماتَ وفارق الدُّنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: تمنوا الموت في جهة التعجيز وإِظهار الآية، فما تمنَّاه أَحدٌ خوفاً من الموت وثقةً بصدق محمد ﷺ.

ثمَّ توعَّدهم تعالى بالموت الذي لا محيد لهم عنه، ثمَّ بما بعده من الرَّدِّ إِلى الله تعالى.

وقرأَ ابن مسعود رضي الله عنه: (تَفِرُّونَ منْهُ مُلَاقِيكُمْ) بإِسقاط (فَإِنَّهُ)[1].

وقوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ أَي: إِنباءَ مُعَاقِبٍ مُجازٍ عليه بالتعذيب.

وقرأَ ابن أَبي إِسحاق: (فَتَمَنَّوِا المَوتَ) بكسر الواو، وكذلك يحيى بن يَعْمَر[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾.

النداءُ بالجمعة: هو في ناحية من المسجد، وكان على الجدار في مسجد رسول الله ﷺ.

وقال السائب بن يزيد[3]: كان للنبي ﷺ مؤذن واحد على باب المسجد[4].

---

(١) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٦).

(٢) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢١).

(٣) هو السائب بن يزيد بن سعيد بن ثُمامة الكندي، ويعرف بابن أُخت النَّمِر، صحابي صغير، له أحاديث قليلة، وولاه عمر سوق المدينة، مات سنة ٩١هـ، وقيل: قبل ذلك، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، الإصابة (٣/ ٢٣).

(٤) أخرج البخاري (٩١٣)، وأبو داود (١٠٨٩) عن السائب بن يزيد: أَن الأذان كان أوله حين يجلس الإمام على المنبر يوم الجمعة فى عهد النبي ـ ﷺ ـ وأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فلما كان خلافة عثمان وكثر الناس أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث فأذن به على الزوراء فثبت الأمر على ذلك. وقد روي بألفاظ مختلفة.

وفي «مصنف أَبي داود»: وكان بين يديه وهو على المنبر أَذان، وهو الذي استعمل بنو أُمَيَّة، وبقي بقرطبة إِلى الآن، ثم زاد عثمان رضي الله عنه النداءَ على الزوراءِ ليسمع الناس[١].

فقوم عبَّروا عن زيادة عثمان بالثاني، كأَنهم لم يتعدُّوا الذي كان بين يدي النبي ﷺ، وقومٌ عبَّروا عنه بالثالث.

وقرأَ ابن الزبير، والأَعمش: (الْجُمْعَةِ) بإِسكان الميم[٢]، وهي لغة.

والمأْمور بالسَّعي: هو المؤمن الصحيح البالغ الحرُّ الذَّكَر[٣].

ولا جمعة على مسافر في طاعة، فإِن حضرها أَحسن وأَجْزَته[٤].

واختلف الناس في الحدِّ الذي يلزم منه السَّعي؛ فقال مالك: ثلاثة أَميال[٥].

قال القاضي أبو محمد: من منزل الساعي إِلى المنادي.

وقال فريق: من منزل الساعي إِلى أَول المدينة التي فيها النداءُ[٦].

وقال أَصحاب الرأْي: يلزم أَهل المدينة كلها السَّعي؛ مَنْ سمع النداءَ ومن لم يسمع، وإِن كانت أَقطارها فوق الثلاثة أَميال.

وقال أَبو حنيفة: ولا يلزم مَنْ منزله خارج المدينة كزرارة من الكوفة، وإِنما بينهما مجرى نهر[٧].

---

(١) أبو داود (١٠٨٩)، وهو حديث السائب بن يزيد المتقدم، في المطبوع: مصحف أبي داود، وفيه: على الزوراء يسمع.

(٢) وهي شاذة، نسبها لهما القرطبي (١٨/ ٩٧) ونسبها النحاس في إعراب القرآن (٤/ ٢٨٢) للأعمش، قال: وهي لغة بني عقيل.

(٣) وهذا بإجماع العلماء، انظر الإقناع (٢/ ٤٤٢-٤٤٣).

(٤) انظر: المدونة (١/ ٢٣٨)، والأوسط (٤/ ٢١-٢٢)، والإقناع (٢/ ٤٤٣).

(٥) انظر قول مالك في: النوادر (١/ ٤٥١).

(٦) انظر: البيان والتحصيل (١/ ٤٣٧).

(٧) انظر قول أبي حنيفة في: المبسوط للشيباني (١/ ٣٦٦).

ولا تجوز لهم إِقامتُها؛ لأَن منْ شروطها الجامع والسُّلطان القاهر والسُّوق القائمة[١].

وقال بعض أَهل العلم: يلزم السعي من خمسة أَميال[٢].

وقال الزهري: من ستَّة أَميال، وقال أَيضاً: من أَربعة أَميال، وقاله ابن المنكدر[٣].

وقال ابن عمر[٤]، وابن المسيّب، وابن حنبل: إِنما يلزم السعي من سمع النداءَ[٥].

وفي هذا نظر.

والسَّعي في الآية ليس الإِسراع في المشي كالسَّعي بين الصَّفا والمروة، وإِنما هو بمعنى قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، فالقيامُ والوضوءُ ولبسُ الثوب والمشيُ سعيٌ كلُّه إِلى ذكر الله تعالى، قال الحسن، وقتادة، ومالك، وغيرهم: إِنما تُؤْتَى الصلاة بالسَّكينة[٦].

فالسَّعيُ: هو بالنِّـيَّة والإِرادة والعمل[٧].

و«الذِّكْرُ»: هو وعظ الخطبة، قاله ابن المسيَّب[٨].

ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ: «إِنَّ الملائكة على أَبواب المسجد يوم الجمعة، يكتبون الأَول فالأَول، فإِذا خرج الإِمامُ طُويت الصُّحف وجلست الملائكة يستمعون الذِّكر»[٩].

---

(١) انظر شروط وجوب الجمعة عند الحنفية في المبسوط للسرخسي (٢/ ٢١).

(٢) لم أقف على من قال به، وانظر: البحر المحيط (١٠/ ١٧٥).

(٣) انظر قولي الزهري وقول ابن المنكدر وقول ربيعة في: الأوسط (٤/ ٤٠-٤١).

(٤) لعله ابن عمرو، فقد جاء عند أبي داود (١٠٥٨) عن عبد الله بن عمرٍو عَنِ النبي ـ ﷺ ـ قَالَ «الْجُمُعَةُ عَلَى كُلِّ مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ»، وقد اختلف في رفعه ووقفه، وانظر إرواء الغليل (٣/ ٥٨).

(٥) انظر قول أحمد في: مسائل أحمد وإسحاق ـ رواية الكوسج (٥١٦)، وانظر قول ابن عمر وابن المسيب في: الأوسط (٩/ ٤٠).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٨٠-٣٨١)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣١١)، والهداية لمكي (١١/ ٧٤٦٦).

(٧) في الأسدية٣: «لا بالعمل»، وانظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ٥٠٠).

(٨) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٨٤).

(٩) أخرجه مسلم (٨٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والخطبة عند جمهور العلماءِ شرط في انعقاد الجمعة، وقال الحسن: هي مستحبَّة[١].

وقرأ عمر بن الخطاب، / وعليٌّ، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وجماعة من التابعين رضوان الله عليهم أَجمعين: (فامضوا إلى ذكر الله)[٢]. [٥/ ٢٠٥]

وقال ابن مسعود: لو قرأْتُ: ﴿فَٱسْعَوْاْ﴾ لأَسرعتُ حتى يقع ردائي[٣].

واختَلف الناسُ في البيع في الوقت المنهي عنه إِذا وقع: ما الحكم فيه؟ بعد إِجماعهم على وجوب امتناعه بدءاً[٤]:

فقال الشافعي: يُمضى، وقالَ مَرَّةً: يُفسخ ما لم يفت، فإِن فات مضى[٥].

وقال مالك: يُفسخ ما لم يفت، فإِن فات أَصلح بالقيمة، واختُلف في وقت التقويم؛ فقيل: وقت القبض، وقيل: وقت الحكم[٦].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إِشارة إِلى السعي وترك البيع، وقوله: ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾ أَجمع الناس على أَن مقتضى هذا الأَمر الإِباحة، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أَنه للإِباحة في طلب المعاش[٧]، وأَن ذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾ [المائدة: ٢]، إِلَّا ما رُوي عن أَنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنه قال: «ذلك

---

(١) انظر قول الجمهور وقول الحسن في: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ٥٠٧)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١١٤).

(٢) وهي شاذة، مخالفة للمصحف، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢١).

(٣) مرسل صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٦٠٤)، والطبري (٢٣/ ٣٨١) من طريق الأعمش، وابن جرير أيضاً من طريق شعبة، كلاهما ـ الأعمش، وشعبة ـ عن إبراهيم النخعي قال: قال عبد الله... إلخ.

(٤) انظر حكاية الإجماع على حرمة البيع وقت النداء في: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٤٩).

(٥) انظر: الأم (١/ ١٩٥).

(٦) انظر: المدونة (١/ ٢٣٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٤٦٨).

(٧) انظر الإجماع على حمل الآيتين على الإباحة في: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٠٨).

الفضلُ المُبْتَغَى هو عيادة مريض، أَو صِلَة صديق، أَو اتباع جنازة»[١].

قال القاضي أَبو محمد: وفي هذا ينبغي أَن يكون المرءُ بقيةَ يوم الجمعة، ويكون تخيُّره[٢] صبيحة يوم السبت، قاله جعفر بن محمد الصادق.

وقال مكحول: الفضل المُبْتَغَى: العلم، فينبغي أَن يطلب إِثر الجمعة[٣].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ الآية، نزلت بسبب أَن رسول الله ﷺ كان قائماً على المنبر يخطب يوم الجمعة، فأَقبلت عيرٌ من الشام تحمل مِيرَةً، وصاحبُ أَمْرها دِحْيةُ بن خليفة الكلبي[٤]، قال مجاهد: وكان من عُرفهم أَن تدخل العير المدينة بالطبل والمعازف والصياح سروراً بها [من ورائها][٥]، فدخلت العير بمثل ذلك، فانفض أَهل المسجد إِلى رؤْية ذلك وسماعه، وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر، ولم يبق معه غير اثني عشر رجلاً، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أَنا أَحدهم[٦].

قال القاضي أَبو محمد: ولم تَمُرَّ بي تسميتهم في ديوان فيما أَذكره، إِلَّا أَني سمعت أَبي رحمه الله تعالى يقول: هم العشرة المشهود لهم بالجنة، واختُلف في الحادي عشر، فقيل: عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقيل: عبد الله بن مسعود.

---

(١) موضوع، أخرجه الطبري في التفسير (٢٣/ ٣٨٥) من طريق أبي عامر الصائغ، عن أبي خلف، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾: «ليس لطلب دنيا، ولكن عيادة مريض، وحضور جنازة، وزيارة أخ في الله». وأبو عمر الصائغ، عن أبي خلف، عن أنس بن مالك قال الأزدي: كان يضع الحديث، الميزان (٤/ ٥٤٣).

(٢) في الأصل: «نحوه»، وفي نجيبويه: «تجره».

(٣) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٩/ ٣١٧)، والأول في تفسير الماوردي (٦/ ١٠).

(٤) صحيح بشواهده، أخرجه أبو داود في مراسيله (٦٠) من طريق بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان فذكر القصة مرسلة، ويشهد له حديث جابر بن عبد الله الذي سيأتي.

(٥) من المطبوع فقط، وانظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٨٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣١٨).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٨٧٧)، ومسلم (٨٦٣).

وقال عبد الله بن عباس ـ في كتاب الثعلبي ـ: بقي معه ثمانية نفر[١].

وروي أَن رسول الله ﷺ قال: «لولا هؤلاءِ لقد كانت الحجارة سُوِّمت على المُنْفَضِّين من السماءِ»[٢]، وفي حديث آخر: «والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أَحدٌ لسال عليكم الوادي ناراً»[٣].

وقال قتادة: بلغنا أَنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات[٤]؛ لأَن قدوم العير كان يوافق يوم الجمعة، بسبب أَن المراحل كانت تُعطي ذلك.

وقال تعالى: ﴿إِلَيۡهَا﴾ ولم يقل: «إِليهما» تهمماً[٥] للأَهم؛ إِذ كانت هي سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها.

وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه: (ومِن التجارة لِلَّذين اتَّقوا والله خير الرازقين)[٦].

وتأَمَّلْ أَن قُدِّمت التجارة مع الرؤْية لأَنها أَهمُّ، وأُخِّرت مع التفضيل؛ لتقع النفس أَولاً على الأَبْيَن.

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣١٧) من رواية الكلبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما. والكلبي متهم بالكذب.

(٢) مرسل ضعيف، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦٤٩٥) عن مقاتل بن حيان مرسلًا بلفظ مطول.

(٣) مرسل، أخرجه عبد بن حميد في تفسيره كما في الدر المنثور (١٤/ ٤٨٦) عن الحسن، وقتادة، والطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٨٧) كذلك من طريق معمر، وسعيد بن بشير عن قتادة مرسلاً بلفظ أطول من هذا.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٨٧)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣١٨)، بتصرف يسير.

(٥) في الأسدية٣، والمطبوع: «تقديماً».

(٦) وهي شاذة، مخالفة للمصحف، لم أجدها لغيره، وعزاه الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٣) لطلحة، وفي تفسير الثعلبي (٩/ ٣١٨)، وتفسير القرطبي (١٨/ ١٢٠): وقرأ أبو رجاء العطاردي: (قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة للذين آمنوا).

وفي هذه الآية قيام الخطيب[1].

وأَول من استراح في الخطبة عثمان رضي الله عنه[2].

وأَول من خطب جالساً معاوية رضي الله عنه[3].

و«الرَّزَّاق» صفة فعل، وقد يتصف بها بعض البشر تجوُّزاً إِذا كان سبب رزق الحيوان، والله تعالى خير الرازقين.

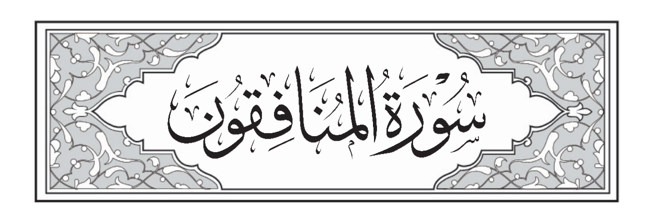
كمل تفسير (سورة الجمعة)، والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

(١) وهو سنة عند الحنفية كما في فتح القدير (١/ ٤١٤)، والحنابلة، كما في كشف القناع (٢/ ٣٩، ٤٣)، والمغني (٢/ ٣٠٢)، وقال الشافعية: هو شرط لصحة الخطبة، كما في المهذب (١/ ٢٨٥)، وكذا عند أكثر المالكية كما في الشرح الكبير (١/ ٣٧٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٢٦٦) عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: من أول من جعل في الخطبة جلوساً؟ قال: عثمان في آخر زمانه حين كبر وأخذته رعدة فكان يجلس هنيهة ثم يقوم. قلت: وكان يخطب إذا جلس؟ قال: لا أدري. وقال البخاري: باب القعدة بين الخطبتين يوم الجمعة، ثم ذكر حديث ابن عمر (٩٢٨) قال: كان النبي ﷺ يخطب خطبتين يقعد بينهما. وفي صحيح مسلم (٨٦٢) من حديث جابر بن سمرة: أن رسول الله ﷺ كان يخطب قائماً ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائماً.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٨٨٥) وغيره عن جرير، عن مغيرة، عن الشعبي قال: أول من خطب جالساً معاوية حين كبر وكثر شحمه وعظم بطنه.



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المنافقون

وهي مدنيَّة بإِجماع، وذلك أَنها نزلت في غزوة بني المصطلق بسبب أَن عبد الله ابن أُبَيٍّ ابن سلول كان منه في تلك الغزوة أَقوال، وكان له أَتباع يقولون قوله، فنزلت السُّورة كلها بسبب ذلك، ذكر الله تعالى فيها ما تقدم من المنافقين من حَلِفهم وشهادتهم في الظاهر بالإِيمان، وأَنهم كَذَبة، وذكر تعالى فيها ما تأَخر منهم ووقع في تلك الغزوة، وسيأْتي بيان ذلك فصلاً فصلاً عند تفسير الآيات إِن شاءَ الله تعالى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

فضح الله تعالى بهذه الآية سريرة المنافقين، وذلك أَنهم كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: نشهد إِنَّك لرسول الله، وهم في إِخبارهم هذا كاذبون؛ لأَن حقيقة الكذب أَن يخبر الإِنسان بضد ما في قلبه.

وكسرت الأَلف من ﴿إِنَّ﴾ في الثلاثة؛ لدخول اللام المؤكدة في الخبر وذلك لا يكون مع المفتوحة.

وقوله تعالى: ﴿نَشْهَدُ﴾ وما جرى مجراها من أَفعال اليقين والعلم تجابُ بما يجاب به القَسَم، وهي بمنزلة القَسَم.

وقرأَ الناس: ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾ جمع يمين.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن بخلاف عنه: (إِيمَانَهُمْ) بكسر الأَلف[١]، أي: هذا الذي يُظهرون، وهذا على حذف مضاف تقديره: إِظْهار إيمانهم.

و«الْجُنَّـةُ»: ما يُتَسَتَّر به في الأَجرام والمعاني.

وقوله تعالى: ﴿فَصَدُّواْ﴾ يحتمل أَن يكون غير مُتَعَدٍّ، تقول: صدَّ زيدٌ، ويحتمل أَن يكون متعدِّياً كما قال:

[الوافر] صَدَدْتِ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو[٢] ....

فالمعنى: صدُّوا غيرهم ممن كان يريد الإِيمان، أَو من المؤمنين في أَن يقاتلوهم وينكروا عليهم، وتلك سبيل الله تعالى فيهم، وقد تقدَّم تفسير نظير / هذه الآية. [٥/ ٢٠٦]

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشارةٌ إِلى فعل الله تعالى بهم في فضيحتهم وتوبيخهم، ويحتمل أَن تكون الإِشارة إِلى سوءِ ما عملوا، فالمعنى: ساءَ عملهم بأَن كفروا بعد إِيمانهم.

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ إِمَّا أَن يراد به: منهم من كان آمن ثم نافق بعد صِحَّةٍ من إِيمانه، وقد كان هذا موجوداً، وإِمَّا أَن يريدهم كلهم، فالمعنى: ذلك بأنهم أظهروا الإِيمان ثم كفروا في باطن أمرهم، فسمَّى ذلك الإِظهار إِيماناً.

---

(١) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٥٤٣).

(٢) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم، وتمامه: وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا، وقد تقدم في تفسير الآية: (٣٣) من (سورة الأنفال).

وقرأ بعض القراءِ: (فَطَبَعَ) على بناءِ الفعل للفاعل[١].

وقرأ جمهور القراءِ: ﴿فَطُبِعَ﴾ بضم الطاءِ على بنائه للمفعول بغير إِدغام، وأَدغم أَبو عمرو[٢].

وقرأ الأَعمش: (فطبع الله)[٣].

وعبَّر الله تعالى بالطبع عما[٤] خلق في قلوبهم من الريب والشَّك وخَتَم عليهم به من الكفر والمصير إِلى النار.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ توبيخٌ لهم: لأَنهم كانوا رجالاً أَجمل شيءٍ وأَفصحه، فكان منظرهم يروق وقَوْلُهم يخلب، لكن الله تعالى جعلهم كالخُشُب المُسَنَّدة إِذْ لا أَفهام لهم نافعة، ولا نظر يصيب، فذلك المنظر لا مَخْبَر له كالخُشُب المُسَنَّدة، إِنما هي أَجرام لا عقول لها، معتمدة على غيرها، لا تَثْبُت بنفسها، ومنه قولهم: تساند القوم: إِذا اصطفُّوا وتقابلوا للقتال.

وقد يحتمل أَن يُشَبِّه اصطفافهم في الأَندية باصطفاف الخُشُب المُسَنَّدة، وخلوهم من الأَفهام النافعة بخُلوِّ الخشب من ذلك.

وقال رجل لابن سيرين: رأَيتني في النوم محتضناً خشبة، فقال ابن سيرين: أَظنك من أَهل هذه الآية، وتلا ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[٥].

وقرأ عِكْرمة، وعطية: (يُسْمَعْ) بالياءِ مضمومة[٦].

---

(١) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٤) للأعمش.

(٢) من رواية السوسي على قاعدته في الإدغام الكبير بين المتماثلين.

(٣) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٤) لابن مسعود.

(٤) في المطبوع: «على ما».

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٢٠).

(٦) وهي شاذة، انظر مختصر الشواذ (ص: ١٥٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٧٤).

وقرأَ نافع، وابن عامر، وحمزة، وعاصم: ﴿خُشُبٌ﴾ بضم الخاءِ والشين.

[وقرأَ قنبل وابن كثير، وأَبو عمرو، والكسائي: ﴿خُشْبٌ﴾ بضم الخاءِ وسكون الشين][١]، وهي قراءَة البَرَاءِ بن عازب رضي الله عنه، واختيار أَبي عُبَيد.

وقرأَ سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيَّب: (خَشَبٌ) بفتح الخاءِ والشين[٢]، وذلك كله جمع «خَشَبَة» بفتح الخاءِ والشين، فالقراءَتان أَولاً كما تقول: بَدَنَةٌ وبُدُنٌ وبُدْنٌ، قاله سيبويه[٣]، والأَخيرة على الباب في: ثَمَرَة وثَمَر.

وكان عبد الله بن أُبَيٍّ من أَبْهى المنافقين وأَطولهم، ويدل على ذلك أَنه لم يوجد قميص يكسو العباس رضي الله عنه غير قميصه[٤].

وقد تقدم في صدر[٥] سورة البقرة تحرير أَمر المنافقين وكيف سترهم الإِسلام.

وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ فَضْحٌ أَيضاً لما كانوا يُسِرُّونه من الخوف، وذلك أَنهم كانوا يتوقعون أَن يأْمر النبي ﷺ عن الله بقتلهم.

قال مقاتل: فكانوا متى سمعوا نُشدان ضالة، أَو صياحاً بأَيِّ وجه كان، أَو أُخبروا بنزول وحي، طارت قلوبهم وطاشت عقولهم حتى يسكن ذلك ويكون في غير شأْنهم[٦].

وجرى هذا اللَّفظ مثلاً في الخائف، ونحوه قول الشاعر:

---

(١) سقط من الحمزوية، وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١١)، وفي الأسدية٣ والمطبوع ونجيبويه زيادة: «وابن كثير»، ولا داعي لها.

(٢) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٤) لابن جبير وابن عباس.

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٩٤).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٠٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر أتي بأسارى وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي ﷺ له قميصاً، فوجدوا قميص عبد الله بن أبيٍّ يقدر عليه فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه.

(٥) «صدر» ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٦) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٢٠).

يُـرَوِّعُـهُ الـسِّـرَارُ بِـكُــلِّ أَرْضٍ مَخَافَـةَ أَنْ يكُـونَ بِـهِ السِّـرَارُ[١] [الوافر]

وقول جرير:

مَازِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلاً تَكُرُّ عَلَيْهِمُ وَرِجَـالا[٢] [الكامل]

ثم أَخبر تعالى بأَنهم هم العدو، وحذَّر منهم، و«العَدُوُّ» يقع للواحد وللجمع.

وقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاءٌ يتضمن الإِقصاءَ والمنابذة وتمني الشَّر لهم.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ معناه: كيف يُصرفون، فيحتمل أَن تكون ﴿أَنَّىٰ﴾ استفهاماً، كأَنه تعالى قال: كيف يُصرفون؟ أَوْ: لأَيِّ سبب لا يرون رُشْد أَنفسهم؟ ويحتمل أَن تكون ﴿أَنَّىٰ﴾ ظرفاً لـ﴿قَٰتَلَهُمُ﴾ كأَنه تعالى قال: قاتَلَهُم اللهُ كيف انصرفوا وصُرفوا، فلا يكون في القول استفهام على هذا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

كان من أَمر عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول: أَنه خرج مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فبلغ الناسُ إِلى ماءٍ سبق إِليه المهاجرون، وكأَنهم غلبوا الأَنصار عليه بعض

---

(١) استشهد بهذا البيت الجاحظ في الحيوان (٦/ ٤٣٢)، وغيره بلا نسبة.

(٢) البيت لجرير كما في الحيوان (٦/ ٤٢٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٢٦٩)، والأغاني (١٢/ ٢٣٥)، والعقد الفريد (٣/ ٩٠)، ونسبه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٤٣) للأخطل، وأورده في التذكرة الحمدونية (١/ ٢٦٩) ضمن أبيات لمالك بن أبي كعب.

الغَلَبَة، فقال عبد الله بن أُبَيٍّ لأَصحابه: قد كنتُ قلت لكم في هؤلاءِ الجلابيب ما قلتُ، فلم تسمعوا مني[١].

وكان المنافقون ومَنْ لا يتحرى، يُسَمُّون المهاجرين رضي الله عنهم الجلابيب، ومنه قول حسَّان بن ثابت:

[البسيط] أَرَى الْجَلَابِيبَ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا ... وابْنُ الفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ[٢]

فقال النبي ﷺ: «أَتحضُّ علينا يا حسَّان؟»[٣].

ثم إن الجَهْجَاهَ الغفاريَّ ـ وكان أجيراً لِعمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وَرَد إلى الماءِ بفرس لِعُمر، فازدحم هو وسِنانُ بن وبرة الجهني وكان حليفاً للأَوس، فكسع الجَهْجَاهُ سِناناً، فغضب سِنَان وتَثَاوَرا، ودعا الجهجاه بالمهاجرين، ودعا سِنان بالأَنصار، فخرج رسول الله ﷺ فقال: «ما بال دَعوى الجاهلية»، فلما أُخبر بالقصة قال: «دعوها فإنها مُنْتِنَة»[٤].

واجتمع في الأَمر عند عبد الله بن أُبَيٍّ قوم من المنافقين، كان فيهم زَيْدُ بن أَرقم فتًى صغيراً لم يُتَحَفَّظ منه، فقال عبد الله بن أُبَيٍّ: أَوَ قَدْ تداعوا علينا؟ والله ما مَثَلنا ومَثَلهم إِلَّا كما قال الأَوَّلُ: سمِّن كلبك يَأْكُلْكَ، وقال لهم: لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٤٠٥).

(٢) انظر نسبته له في السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٧٠)، وكتاب التنبيه على أوهام أبي علي (ص: ٧٦)، والأغاني (٤/ ١٦٢).

(٣) روى هذه القصة ابن شبة في تاريخ المدينة بإسناد معضل (١/ ٢٧٢) من طريق العطاف بن خالد قال: كان حسان بن ثابت رضي الله عنه يجلس في أطمه فارع، ويجلس معه أصحاب له، ويضع لهم بساطا يجلسون عليه فقال يوماً، وهو يرى كثرة من يأتي رسول الله ﷺ من العرب يسلمون: أرى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا ... وابن الفريعة أمسى بيضة البلد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «من لي من أصحاب البساط؟» فقال صفوان بن المعطل: أنا لك يا رسول الله منهم فخرج إليهم واخترط سيفه، فلما رأوه مقبلاً عرفوا في وجهه الشر، ففروا وتبددوا، وأدرك حساناً داخلاً بيته، فضربه، فغلق بيته، فضربه ففلق أليتيه، فبلغني أن النبي ﷺ عوضه وأعطاه حائطاً فباعه من معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بعد ذلك بمال كثير، فبناه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قصراً، وهو الذي يقال له بالمدينة: قصر الداريين. اهـ. والخبر بهذا الإسناد لا يصح، العطاف بن خالد توفي حوالي سنة ١٧٩هـ، ولم أجده باللفظ الذي أورده المصنف.

(٤) متفق عليه، البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، وقال لهم: إِنما يقيم هؤلاءِ المهاجرون مع محمد بسبب معونتكم لهم وإِنفاقكم عليهم، ولو قطعتم ذلك عنهم لَفَـرُّوا[١].

فذهب زيد بن أَرقم إِلى عمِّه، وكان في حِجره، وأَخبره، فأَتى به رسول الله ﷺ فأَخبره، وقال له رسول الله ﷺ: «يا زيد، غضبتَ على الرجل، أَو لعلَّك وهمتَ»؟ فأَقسم زيدٌ ما كان شيءٌ من ذلك، ولقد سمع من عبد الله بن أُبَيٍّ ما حكى، فعاتب رسول الله ﷺ عبد الله بن أُبَيٍّ عند رجال من الأَنصار، فبلغه ذلك / فجاءَ وحلف ما قال، وكذَّب زيداً، [٥/ ٢٠٧] وحلف معه قوم من المنافقين، فكذَّب رسولُ الله ﷺ زيداً وصدَّق أَيْمان[٢] عبد الله بن أُبي، فبقي زيد في منزله لا يتصرف حياءً من الناس، فنزلت هذه السورة عند ذلك.

فبعث رسول الله ﷺ في زيد وقال: «لقد صدَّقك الله يا زيد، ووفت أُذُنك»[٣].

فخزي عند ذلك عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول، ومقته الناس، ولامه المؤمنون من قومه.

وقال بعض منهم: امض إِلى رسول الله ﷺ واعترف بذنبك فيستغفر لك، فلوى رأْسه إِنكاراً لهذا الرأْي وقال لهم: لقد أَشرتم عليَّ بالإِيمان فآمنت، وأَشرتم عليَّ أَن أُعطي زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إِلَّا أن تأْمروني بالسُّجود لمحمد[٤].

قال القاضي أَبو محمد: فهذا هو قصص هذه السُّورة موجزاً.

و(تعال) نداءٌ يقتضي لفظه أَنه دعاءُ الأَعلى للأَسفل، ثم استعمل في كل داعٍ لما فيه من حسن الأَدب.

وقرأَ نافع، والمفضَّل عن عاصم: ﴿لَوَوْا﴾ بتخفيف الواو، وهي قراءَة الحسن بخلاف، ومجاهد، وأَهل المدينة.

---

(١) في الأسدية٣: «كفروا».

(٢) «أيمان» ليست في الأصل.

(٣) ذكره الواقدي في سيرته (٢/ ٤١٥) بغير سند.

(٤) بعضه متفق عليه، أصل الحديث أخرجه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢) مختصراً، وانظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩٠)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٣٩٩).

وقرأ الباقون، وأبو جعفر، والأعمش: ﴿لَوَّوْا﴾ بشد الواو على تضعيف المبالغة، وهي قراءة طلحة، وعيسى، وأبي رجاءٍ، وزِرٍّ، والأعرج[١].

وقرأ بعض القراءِ هنا: (يَصِدُّونَ) بكسر الصاد، والجمهور بضمها[٢].

قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، رُوي أنه لمَّا نزلت: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] قال رسول الله ﷺ: «لأزيدنَّ على السبعين»[٣]، وفي حديث آخر: «لو علمتُ أني إنْ زدتُ على السبعين غُفر لهم؛ لزِدْتُ»[٤]، فكأنه ﷺ رجا أن هذا الحدَّ ليس على جهة الحتم جملة، بل على أن ما يجاوزه يخرج عن حكمه.

فلما فعل ابن أُبَيٍّ وأصحابه ما فعلوا شدَّد الله تعالى عليهم في هذه السُّورة، وأعلم أنه لن[٥] يغفر لهم دون حدٍّ في الاستغفار.

وفي قول النبي ﷺ: «لو علمتُ أني لو زدتُ غُفر لهم» نصٌّ على رفض دليل الخطاب[٦].

وقرأ جمهور الناس: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾ بالقطع وألف الاستفهام.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: (آسْتَغْفَرْتَ) بمدَّة على الهمزة، وهي ألف التسوية.

وقرأ أيضاً بوصل الألف دون همز على الخبر[٧].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١١)، وموافقة المفضل في جامع البيان (٤/ ١٦٤١)، ومخالفة أبي جعفر في النشر (٢/ ٣٨٨).

(٢) وهي شاذة، تابعه عليها بلا نسبة في البحر المحيط (١٠/ ١٨٢)، وتقدم نظيرها في (سورة الزخرف).

(٣) مرسل، أخرجه الطبري (١٤/ ٣٩٥)، وابن أبي حاتم (١٠٥٠٠) من طريق عبدة بن سليمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه مرسلاً.

(٤) مرسل، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٨٤)، والطبري (١٤/ ٣٩٧) عن معمر، وابن جرير عن سعيد كلاهما عن قتادة مرسلاً. ولفظة «على السبعين» من الأصل والأسدية٤.

(٥) في المطبوع: «لا».

(٦) دليل الخطاب يسمى مفهوم المخالفة وهو إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت البحر المحيط في أصول الفقه (٥/ ١٣٢).

(٧) وهما شاذتان، نقلهما عنه في المحتسب (٢/ ٣٢١)، وفي النشر (٢/ ٣٨٨): أن المد رواية النهرواني عن ابن شبيب عن الفضل عن عيسى بن وردان عنه، قال: فانفرد بذلك، ولم يتابعه عليه أحد إلا أن الناس أخذوه عنه، وليست من طرق الدرة.

وفي هذا كله ضعف؛ لأَنه في الأُولى أَثبت همزةَ الوصل وقد أَغنت عنها همزة الاستفهام، وفي الثانية حَذَفَ همزةَ الاستفهام وهو يريدها، وهذا مما لا يُستعمل إِلَّا في الشِّعر.

وقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ﴾ إِشارة إِلى عبد الله بن أُبي ومَنْ قال بقوله، قاله عليُّ ابن سليمان[1].

ثمَّ سفَّه تعالى أَحْلَامَهم في أَن ظنُّوا أَن إِنفاقهم هو سبب رزق المهاجرين، ونسوا أَن جريان[2] الرِّزق بيد الله تعالى، إِذا انسد بابٌ انفتح غيره.

وقرأَ الفضل بن عيسى الرَّقاشي: (حَتَّى يُنْفِضُوا) بضم الياءِ وتخفيف الضاد[3].

يقال: أَنْفَضَ الرجلُ: إِذا فني طعامُه، فنفض وعاءَه.

و«الخزائن»: موضع الإِعداد، ونجد القرآن قد نطق في غير موضع بالخزائن، ونجد في الحديث: «خزنة الريح»[4]، وفي القرآن: ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣].

فجائز أَن يكون هذه عبارة عن القدرة، وأَن هذه الأَشياءَ إِيجادُها عند ظهورها.

وجائز ـ وهو الأَظهر ـ أَن منها أَشياءَ مخلوقة موجودة يصرِّفها الله تعالى حيث يشاءُ، وظواهر أَلفاظ الشريعة تعطي هذا، ومعناه[5] في التفسير قال: عتت على الخُزَّان، وفي الحديث: «ما انفتح باب من خزائن الريح على قوم عادٍ إِلَّا قدر حلقة الخاتم، ولو انفتح من خزائن الريح على قدر منخر الثور لهلكت الدنيا»[6].

---

(١) انظر قول الأخفش في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٦).

(٢) في المطبوع: «حرمان».

(٣) وهي شاذة، عزاها له في البحر المحيط (١٠/ ١٨٣)، وهي في مختصر الشواذ (ص:١٥٦)، بلا نسبة.

(٤) إشارة إلى حديث طغيان الريح على الخزان الذي تقدمت الإشارة له في قصة هلاك عاد.

(٥) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: ومعنا في التفسير... إلخ، وعلى كل فالتعبير قلِقٌ مما يدل على أن فيه تحريفاً من النساخ.

(٦) تقدم تخريجه عند (سورة فصلت) آية (١٦).

وقال رجل لحاتم الأَصمِّ: من أَين تأْكل؟ فقرأ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وقال الجُنَـيْد: خزائن السماءِ الغيوب، وخزائن الأَرض القلوب[١].

وقرأ الجمهور: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾ بضم الياءِ وكسر الراءِ، بمعنى أَن العزيز يُخرج الذليل ويُبعده.

وقرأ أَبو حاتم: (لَنَخْرُجَنَّ) بنون الجماعة مفتوحة وضم الراءِ (الأَعَزَّ) نصباً (منها الأذلَّ) أَيضاً نصباً على الحال، وذكرها أَبو عمرو الداني عن الحسن[٢].

ورُويت هذه القراءَة: (لَنُخْرِجَنَّ) بضم النون وكسر الراءِ[٣].

وقرأ قوم فيما حكى الفراءُ والكسائي، وذكرها المهدوي: (لَيَخْرُجَنَّ) بفتح الياءِ وضم الراءِ ونصب (الأَذَلَّ) على الحال[٤]، بمعنى: أَنَّنا نحن الذين كنَّا أَعِزَّةً سنخرج أَذِلَّاءَ.

وجاءَت هذه الحال معرفة وفيها شذوذ، وقد حكى سيبويه: ادخلوا الأَوَّلَ فالأَوَّلَ[٥].

ثم أَعلم الله تعالى أَن العزَّة لله سبحانه، وللرسول ﷺ، وللمؤمنين، وفي ذلك وعيد.

وروي: أَن عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ ـ وكان رجلاً صالحاً ـ لمَّا سمع الآية جاءَ إِلى أَبيه وقال له: أَنت والله يا أَبت الذليل ورسول الله ﷺ العزيز، فلما وصل إِلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله على باب السِّكَّة التي يسلكها أَبوه، وجرد السيف ومنعه الدخول[٦]،

---

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (٩/ ٣٢٢).

(٢) وهي شاذة، نقلها عنه في البحر المحيط (١٠/ ١٨٣)، وذكرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٦٠) بلا نسبة.

(٣) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٤) للفضل بن عيسى وابن أبي عبلة.

(٤) وهي شاذة، أشار لجوازها الفراء في معاني القرآن (٣/ ١٦٠)، وانظر النقل عن الكسائي في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٧)، وانظر: التحصيل للمهدوي (٦/ ٢١٤).

(٥) الكتاب لسيبويه (١/ ٣٩٨).

(٦) في المطبوع: «الوصول».

وقال: والله لا دخلت إِلى منزلك إِلَّا أَن يأْذن لك في ذلك رسول الله ﷺ، وعبد الله بن أُبَيٍّ في أَذل حال[١]، وبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فبعث إِليه أَن خلِّه يمضي إِلى منزله، فقال: أَما الآن فنعم[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾.

«الإِلْهَاءُ»: الاشتغال بشهوة ولذَّة، و﴿ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ هنا عامٌّ في التوحيد والصلاة والدعاءِ وغير ذلك من فرض ومندوب، هذا قول الحسن وجماعة من المفسِّرين.

وقال الضحاك، وعطاءٌ وأَصحابُه: المراد بالذِّكر: الصلاةُ المكتوبة[٣]. والأَول أَظهر.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ قال جمهور من المتأَولين: المراد الزكاة، وقال آخرون: ذلك عامٌّ في مفروض ومندوب.

وقوله تعالى: ﴿يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾؛ أَي: علاماتُه وأَوائل أَمره.

وقوله: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ طلباً للكَرَّة والإِمهال.

وفي مصحف أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه: (أَخَّرْتَنِ) بغير ياءٍ[٤] / . [٥/ ٢٠٨]

---

(١) في الأصل والأسدية٤: «الرجال».

(٢) أخرجه الحميدي في مسنده (١٢٤٠) عن سفيان، عن أبي هارون المدني مسعود بن الحكم، قال: قال: عبد الله بن عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول لأبيه: والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول: رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل قال: وجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له وإن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك فإني أكره أن أرى قاتل أبي. وانظر تفسير الطبري (٢٣/ ٤٠٣) فإن فيه بعض الألفاظ التي ذكرها المؤلف.

(٣) الهداية لمكي (١٢/ ٧٤٩١).

(٤) وهي شاذة، عزاها الكرماني له في الشواذ (ص: ٤٧٥).

وسماه تعالى قريباً؛ لأَنه آت، وأَيضاً فإِنما يتمنى ذلك ليقضي فيه العمل الصالح فقط، وليس يتسع الأَمل حينئذ لطلب العيش وتصرفه.

وفي مصحف أُبي: (فَأَتَصَدَّقَ)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ظاهره العموم، وقال ابن عباس: هو الحجُّ، ورُوي عنه أَنه قال في مجلسه يوماً: ما من رجل لا يؤدي الزكاة والحج إِلَّا طلب الكَـرَّة عند موته، فقال له رجل: أَما تتَّقي الله؟ أَمُؤْمن يطلب الكَرَّة؟ فقال له ابن عباس: نعم، وقرأَ الآية[٢].

وقرأَ جمهورُ السبعة والناسُ: ﴿وَأَكُن﴾ بالجزم عطفاً على الموضع؛ لأَن التقدير: إِن تُؤَخِّرني أَصَّدَّق وأَكُنْ من الصَّالحين، هذا مذهب أَبي علي الفارسي[٣].

فأَمَّا ما حكاه سيبويه عن الخليل؛ فهو غير هذا، وهو أَنه جزم على تَوَهُّم الشَّرط الذي يدل عليه التمني[٤]، ولا موضع هنا لِأَن الشرط ليس بظاهر، وإِنما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط، كقوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، فمن قرأَ بالجزم عطف على موضع ﴿فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾؛ لأَنه لو وقع هناك فعل كان مجزوماً، وكذلك من قرأَ: ﴿ونُكَفِّرْ﴾ بالجزم عطفاً على موضع ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١][٥].

---

(١) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٥٧) لابن جبير.

(٢) ضعيف، أخرجه الترمذي (٣٣١٦)، والطبري (٢٣/ ٤١١) من طريق أبي جناب الكلبي، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنه به بنحوه، ويحيى بن أبي حية: أبو جناب الكلبي ضعيف، وأخرجه الطبراني في معجمه (١٢٦٣٥) من طريق أبي جناب مرفوعاً، وأخرجه الترمذي (٣٣١٦)، والطبري (٢٣/ ٤١١)، والطبراني (١٢٦٣٦) من طريق الثوري، عن أبي سنان، عن رجل، عن الضحاك به.

(٣) الحجة للفارسي (٦/ ٢٩٣).

(٤) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٠٠).

(٥) هذا كله من بقية كلام أبي علي في الحجة (٦/ ٢٩٣). وتقدم أن «يذرهم» بالياء والجزم سبعية =

وقرأ أبو عمرو، والحسن، وأبو رجاءٍ، وابن أبي إسحاق، ومالك بن دينار، وابن محيصن، والأعمش، وابن جبير، وعُبَيْد الله بن الحسن العنبري، قال أبو حاتم: وكان من العلماءِ الفصحاءِ: ﴿وَأَكُونَ﴾ بالنصب عطفاً على ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾[1].

وقال أبو حاتم في كتبها في المصحف بغير واو: إنهم حذفوا الواو كما حذفوها من «اتَّخَذَ» وغيره، ورجَّحها أبو علي[2].

وفي مصحف أُبي بن كعب، وابن مسعود: (فَأَتَصَدَّقَ وَأَكُونَ)[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ حضٌّ على المبادرة ومسابقة الأَجل بالعمل الصَّالح.

وقرأ السبعة والجمهورُ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتَّاءِ على المخاطبة لجميع الناس.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالياءِ على تخصيص الكفَّار بالوعيد[4].

كمل تفسير (سورة المنافقون)، والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

= للكسائي، و«أن نكفر» بالنون والجزم سبعية لنافع وحمزة والكسائي، وكتبت بالياء في المطبوع ونجيبويه ونور العثمانية وأحمد ٣، وهي شاذة.

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١١)، وانظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٨)، وفي المطبوع: «فأتصدق».

(٢) الحجة للفارسي (٦/ ٢٩٣)، ولم أقف على قول أبي حاتم.

(٣) وهي شاذة، انظر البحر المحيط (١٠/ ١٨٥)، وعزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٥٧) لابن جبير، كما مر.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١١).



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة التغابن

قال بعض المفسِّرين: هي مدنية، وقال آخرون منهم: هي مكية إِلَّا من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [التغابن: ١٤] إِلى آخر السُّورة؛ فإِنه مدني.

وذكر الثعلبي عن ابن عمرو: أَن النبي ﷺ قال: «ما من مولود يولد إِلَّا وفي تشابيك رأْسه مكتوب خمس آيات من فاتحة سورة التغابن»[(١)].

---

(١) ضعيف جداً، أخرجه ابن حبان في المجروحين (٣/ ٨١-٨٢)، والطبراني في الأوسط (١٧٦٣)، وفي مسند الشاميين (٩٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٣/ ١٥٠) من طريق الوليد بن الوليد، عن عبد الرحمن بن ثوبان، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عمرو به، والوليد بن الوليد بن زيد العنسي الدمشقي ضعيف جداً. وانظر ترجمته الميزان (٤/ ٣٥٠)، وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٥٢)، والسيوطي في اللآلي المصنوعة (١/ ٩٠)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (١/ ٤٥١)، وقد تصحف في المطبوع من الأوسط: «إلا وهو مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من فاتحة الكتاب»، وقد أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤٤٥) قال: قال لي علي ابن عياش، عن معاوية، عن الأسود، عن بكر بن عمرو المعافري، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري، عن عبد الله بن عمرو موقوفاً عليه، والأسود بن خير أبو الخير البصري ذكره البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤٤٥)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٢٩٤) بغير جرح أو تعديل وذكره ابن حبان في الثقات (٨/ ١٢٩)، وانظر: تفسير الثعلبي (٩/ ٣٢٥). وفي المطبوع: «بن عمر».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ عُمومٌ معناه التنبيه، و«الشيءُ»: هو الموجود.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ تعديد نعمة، والمعنى: فمنكم كافر لنعمته في الإِيجاد حين لم يوجد كافر[1] لجهله بالله، وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ بالله، والإِيمان بالله تعالى شكر لنعمته.

فالإِشارة ـ على هذا التأْويل في الإِيمان والكفر ـ هي إِلى اكتساب العبد، هذا قول جماعة من المتأَولين، وحجتهم قول النبي ﷺ: «كلُّ مولود يولد على الفطرة»[2]، وقول الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم ٣٠]، وكأَن العبارة في قوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ﴾ تعطي هذا كله[3]، وكذلك يقوِّيه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وقيل: المعنى: خلقكم منكم مؤمن ومنكم كافر في أَصل الخِلْقَة، فهي جملة في موضع الحال، فالإِشارة ـ على هذا ـ في الإِيمان والكفر هي إِلى اختراع الله تعالى وخلقه، وهذا تأْويل ابن مسعود، وأَبي ذَرٍّ[4].

---

(١) «كافر» ليست في المطبوع.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «كله» سقط من الأصل ونجيبويه والحمزوية، والمثبت من الأسدية (٣)، والمطبوع.

(٤) أثر ابن مسعود أخرجه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١٤/ ٥١٣) وستأتي رواية ابن مسعود المرفوعة بنحوه.

وأما أثر أبي ذر فقد أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٦)، والفريابي في «القدر» (١٢٣) من طريق ابن لهيعة، عن بكر بن سوادة، عن أبي تميم الجيشاني، عن أبي ذر قال: إذا مكث المني في الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس فعرج به إلى الرب فيقول: يا رب أذكر أم أنثى فيقضي الله ما هو =

ويجري مع هذا المعنى قول النبي ﷺ: «إِنَّ أَحدكم يكون في بطن أُمه نطفة أَربعين يوماً، ثم علقة أَربعين يوماً، ثم مضغة أَربعين يوماً، ثم يجيءُ المَلَك فيقول: يا ربِّ، أَذكر أَم أُنثى؟ أَشقيٌّ أَم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأَجل؟ فيكتب ذلك في بطن أُمه»[1].

فقوله في الحديث: «أَشقيٌّ أَم سعيد»؟ هو في هذه الآية ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾.

ويجري مع هذا المعنى: قوله في الغلام الذي قتله الخضر: «إِنه طبع يوم طبع كافراً»[2].

وما رَوى ابن مسعود رضي الله عنه: أَنه ﷺ قال: «خلق الله فرعون في البطن كافراً، وخلق يحيى بن زكرياءَ مؤمناً»[3].

وقال عطاءُ بن أَبي رباح: معنى الآية: فمنكم كافرٌ بالله مؤمن بالكوكب، ومؤمن بالله كافر بالكوكب»[4]، وقدم الكافر لأَنه أَعرف من جهة الكثرة.

وقوله تعالى: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أَي: حين خلقها محقوقاً في نفسه ليس عبثاً ولا لغير معنى.

= قاض فيقول أشقي أم سعيد فيكتب ما هو لاق، وقرأ أبو ذر من فاتحة التغابن خمس آيات إلى قوله: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣) واللفظ له عن عبد الله بن مسعود به مرفوعاً.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٤٠١) ومسلم (٢٦٦١) واللفظ له عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً».

(٣) ضعيف، أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١٠٢١) وابن بطة في الإبانة (١٤١٥)، والبيهقي في القضاء والقدر (٧٠) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٤/ ١٨١) من طريق نصر بن طريف، عن قتادة، عن أبي حسان الأعرج، عن ناجية بن كعب، عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً به. ونصر بن طريف أبو جزء القصاب مجمع على ترك حديثه، كما في الميزان (٤/ ٢٥١)، ولنصر متابعات لا يحتج به.

(٤) تفسير البغوي (٥/ ١٠٣).

وقرأ جمهور الناس: ﴿صُوَرَكُمْ﴾ بضم الصاد، وقرأ أَبو رَزِيْن: (صِوَرَكُمْ) بكسرها[١].

وهذا تعديد النعمة في حسن الخلقة لأَن أَعضاءَ ابن آدم متصرفة في جميع ما تتصرف به أَعضاءُ الحيوان وبزيادات كثيرة فُضِّل بها، ثم هو مفضَّل بحسن الوجه وجمال الجوارح، وحُجَّة هذا قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وقال بعض العلماءِ: النعمة المُعَدَّدَة هنا إِنما هي صورة الإِنسان من حيث هو إِنسان مدرك عاقل، فهذا هو الذي حَسُن له حتى لحق ذلك كمالات كثيرة.

قال القاضي أَبو محمد: والقول الأَول أَجرى على لغة العرب لأَنها لا تعرف الصور إِلَّا الشكل[٢]، وذكر تعالى علمه بما في السماوات والأَرض، فعم عظام[٣] المخلوقات.

ثم تدرَّج القول إِلى أَخفى من ذلك وهو جميع ما يقوله الناس في سرٍّ وعَلَن.

ثم تدرَّج إِلى خفيٍّ وهو ما يهجس بالخواطر.

و«ذاتُ الصَّدْر»: ما فيه من خطرات واعتقادات، كما يقال: الذئب مغبوطٌ بذي بطنه، [وكما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إنما هو ذو بطن بنت خارجة][٤].

[٥/ ٢٠٩] والصدر هنا عبارة عن القلب، [إذ القلب في الصدر][٥] / .

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٦ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾.

---

(١) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٩١).

(٢) في الحمزوية: «النسل».

(٣) في المطبوع: «فعلم أعظم»، وفي نجيبويه: «فعم عظم».

(٤) سقط من المطبوع، هذا جزء من حديث أخرجه مالك في الموطأ (١٤٣٨) وسبق تخريجه.

(٥) من نجيبويه، وفي الحمزوية: «في الصدر» فقط.

﴿يَأْتِكُمْ﴾ جزمٌ، أَصله: يأْتيكم، قال سيبويه: واعلم أَن الآخر إِذا كان يُسكَّن في الرفع حذف في الجزم[١].

والخطاب في هذه الآية لقريش، ذُكِّروا ما حلَّ بعادٍ وثمود [وقوم إِبراهيم عليه الصلاة والسلام][٢] وغيرهم ممن سمعت قريش أَخبارهم.

و«وَبَالُ الأَمْرِ»: مكروهُهُ وما يسوءُ منه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ﴾ إِشارة إِلى ذوق الوبال وكون عذاب الآخرة لهم.

ثم ذكر تعالى من مقالات أُولئك الماضين ما هو مشبه لقول كفار قريش من استبعاد بعثة الله تعالى للبشر، ونُبوَّة أَحد[٣] من بني آدم، وحسَد الشخص المبعوث.

وقوله: ﴿أَبَشَرٌ﴾ رفع بالابتداءِ، وجمع الضمير في ﴿يَهْدُونَنَا﴾ من حيث كان «البَشَر» اسم هذا النوع الآدمي، كأنهم قالوا: أَناسٌ هداتُنَا؟

وقوله تعالى: (استَغْنَى الله) عبارة عمَّا ظهر من هلاكهم وأَنهم لن يضرُّوا الله شيئاً، فبان أَنه كان غنيّاً أَولاً، وبسبب ظهور هلاكهم بعد أَن لم يكن ظاهراً ساغ استعمال هذا البناء[٤] مُستنداً إِلى اسم الله تعالى؛ لأَن بناءَ «اسْتَفْعَلَ» إِنما هو لطلب الشيءِ وتحصيله بالطلب.

وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يخصُّ قريشاً ثم هي بعْدُ تعُمُّ كل كافر بالبعث، وقال عبد الله بن عمر: الزَّعْم كنية الكذب[٥]، وقال ﷺ: «بئس مطيَّةُ الرجل زعموا»[٦].

(١) الكتاب لسيبويه (١/ ١٩)، بمعناه.

(٢) في الحمزوية بدلا منه: «قوم فرعون».

(٣) في الأسدية٣: «أحمد».

(٤) في المطبوع: «الغناء».

(٥) منقطع، أخرجه الطبري (٢٣/ ٤١٨) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن بعض أصحابه، عن ابن عمر فذكره.

(٦) مرسل، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٧٧) عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي قلابة، =

ولا توجد «زَعَم» مستعملة في فصيح من الكلام إِلَّا عبارة عن الكذب أَو قول انفرد به قائله فيريد ناقله[١] أَن يلقي عهدته على الزاعم، ففي ذلك ما ينحو إِلى تضعيف الزعم، وقول سيبويه: «زَعَم الخليل»، إِنما يجيءُ فيما ينفرد به الخليل[٢].

ثم أَمره الله تعالى أَن يجيب نفيهم بما يقتضي الردَّ عليهم وإِيجاب البعث وأَن يُؤكد ذلك بالقَسَم، ثم توعَّدهم تعالى في آخر الآية بأَنهم يُخْبَرون بأَعمالهم على جهة التوقيف والتوبيخ المؤدي إِلى العقاب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٠ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١١﴾.

هذا دعاءٌ إِلى الله تعالى وتبليغٌ وتحذيرٌ.

و(النُّورِ): القرآن.

والعامل في ﴿يَوْمَ﴾ يحتمل أَن يكون ﴿تُنَبَّؤُنَّ﴾، ويحتمل أَن يكون ﴿خَبِيرٌ﴾، وهو تعالى خبير في كل يوم لكن يخصُّ ذلك اليوم لأَنه يومٌ تضرهم فيه خِبْرة الله تعالى بأُمورهم.

= عن أبي مسعود الأنصاري قال: قيل له: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في زعموا؟ قال: «بئس مطية الرجل».

وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٣٠٧)، وأحمد (٥/ ٤٠١) والبخاري في الأدب المفرد (٧٦٢)، وأبو داود (٤٩٧٢) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ١٧٣-١٧٤) وغيرهم من طريق الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي قلابة قال: قال أبو عبد الله لأبي مسعود، أو أبو مسعود لأبي عبد الله ـ يعني حذيفة ـ، فذكره.

(١) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه: «قائله».

(٢) الكتاب لسيبويه (١/ ٧٢)، وقد وردت فيه أكثر من (١٤٠) مرة.

وقرأ جمهور السبعة: ﴿يَجۡمَعُكُمۡ﴾ بضم العين.

وقرأ أبو عمرو بسكونها، ورُوي عنه أنه أَشمَّها الضمَّ[١].

وقرأ سلام ويعقوب: ﴿نَجْمَعُكُمْ﴾ بالنون وضم العين[٢].

وهذا على جواز تسكين الحركة وإِن كانت للإِعراب، كما قال جرير:

.... لا تَعْرِفْكُمُ الْعَرَبُ[٣] [البسيط]

و(يوم الجمع): هو يوم القيامة، وهو يوم التغابن؛ وذلك أَن كل واحد يُبعث من قبره وهو يرجو حظّاً أَو منزلةً، فإِذا وقع الجزاءُ غبن[٤] المؤمنون الكافرين لأَنهم يُجزون الجنة ويحصل الكفار في النار، نحا هذا المنحا[٥] مجاهد وغيره، وليس هذا الفعل في التَّغابن من اثنين، بل هو: كَتَواضَعَ وتَحَامَل.

وقرأ نافع، وابن عامر، والمفضل عن عاصم: ﴿نُكَفِّرْ عنه﴾ بنون، وكذلك ﴿نُدْخِلْهُ﴾، وهي قراءَة الأَعرج، وأَبي جعفر، وشيبة، والحسن بخلاف، وطلحة.

وقرأ الباقون، والأَعمش، وعيسى، والحسن في الموضعيْن بالياءِ[٦]، على معنى: يُكَفِّر الله، والأَول هو نون العظمة.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ يحتمل أَن يريد المصائب التي هي رزايا، وخصها بالذِّكر لأَنها الأَهمُّ على الناس والأَبْيَنُ أَثراً في نفوسهم، ويحتمل أَن

---

(١) وهما شاذتان، نسبهما له في السبعة (ص: ٦٣٨).

(٢) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٨٨)، ولم ترد هذه القراءة في الأصل، والإشارة في هذا التي بعدها للقراءة التي قبلها.

(٣) تمامه: سِيرُوا بَني العَمِّ فالأَهْوَازُ مَنْزِلُكُمْ... ونهْرُ تِيرى فَلَمْ تَعْرِفْكُمُ الْعَرَبُ، وقد تقدم في تفسير الآية (٥٥) من (سورة البقرة).

(٤) في المطبوع: «عيَّر».

(٥) في المطبوع: «المعنى».

(٦) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١١)، وللمفضل: السبعة (ص: ٦٣٨).

يريد جميع الحوادث من خيرٍ وشرٍّ، وذلك أَن الحكم واحد في أَنها بإِذن الله تعالى.

و«الإِذْنُ» في هذا الموضع: عبارة عن العلم والإِرادة وتمكين الوقوع.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ قال فيه المفسِّرون: المعنى: ومن آمن بالله تعالى وعرف أَن كل شيءٍ بقضاءِ الله وقدره وعلمه، هانت عليه مُصيبَتُه، وسلَّم الأَمر لله تعالى.

وقرأَ سعيد بن جبير، وطلحة بن مُصَرِّف: (نَهْدِ) بالنون.

وقرأَ الضحاك: (يُهْدَ) بضم الياءِ وفتح الدال (قَلْبُهُ) برفع الباء.

وقرأَ عكرمة، وعمرو بن دينار: (يَهْدَأْ قَلْبُهُ) برفع القلب.

ورُوي عن عكرمة أَنه سكَّن بدل الهمزة أَلفاً[1]، على معنى أَن صاحب المصيبة يُسَلِّم فتسكُن نفسه، ويُرشد الله تعالى المؤمن به إِلى الصَّواب في الأُمور.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ عموم مطلق على ظاهره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ عطف على قوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ إِلى آخر الآية؛ وعيدٌ وتبرئة لمحمد ﷺ إِذا بلَّغ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ تحريضٌ للمؤمنين على مكافحة الكفار والصبر على دين الله تعالى.

---

(١) هذه أربع قراءات شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٥)، وانظر: تفسير الثعلبي (٩/ ٣٢٩)، والمحتسب (٢/ ٣٢٣).

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ إلى آخر السُّورة؛ قُرْآنٌ مَدَنيٌّ، اختلف الناس في سببه:

فقال عطاءُ بن أَبي رباح: إِنه نزل في عوف بن مالك الأَشجعي، وذلك أَنه أَراد غزواً مع النبي ﷺ، فاجتمع أَهله وأَولاده فثبَّطوه / وشكوا إِليه فراقه، فرقّ ولم يَغزُ، ثم إِنه ندم وهَمَّ بمعاقبتهم، فنزلت الآية بسببه محذِّرة من الأَزواج والأَولاد وفتنتهم[١]. [٥/ ٢١٠]

ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟﴾.

وقال بعض المفسِّرين: سبب الآية: أَن قوماً آمنوا بالله تعالى وثَبَّطهم أَزواجهم وأَولادهم عن الهجرة فلم يهاجروا إِلَّا بعد مُدَّة، فوجدوا غيرهم قد تفقَّه في الدِّين، فندموا وأَسفوا وهمُّوا بمعاقبة أَزواجهم وأَولادهم[٢].

ثم أَخبر تعالى أَن الأَموال والأَولاد فتنة تشغل المرءَ عن مراشده، وتحمله من الرَّغبة في الدُّنيا على ما لا يحمده في آخرته، ومنه قوله ﷺ: «الولد مَبْخَلَةٌ مَجْبَنة»[٣].

وخرَّج أَبو داود حديثاً في مُصنَّفه: أَن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة حتى جاءَ الحَسَن والحُسَين، وعليهما قميصان أَحمران يَجُرَّانهما، يَعْثران ويقومان، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر حتى أَخذهما وصعد بهما، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، وقال: «إِني رأَيت هذين فلم أَصبر»، ثم أَخذ في خطبته[٤].

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٢٤) من طريق محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار فذكره.

(٢) إسناده لين، جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما أخرجه الترمذي (٣٣١٧) والطبري (٢٣/ ٤٢٣) وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ١٣٩)، والطبراني في الكبير (١١٧٢٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٠) من طريق إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، به.

(٣) ضعيف، تقدم تخريجه، انظر (سورة الفتح) آية (٢٤).

(٤) حسن غريب، أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٤)، وأبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، والنسائي في الكبرى (١٧٤٣-١٨٠٣٤-١٨٠٤)، وابن خزيمة في صحيحه (١٤٥٦-١٨٠١-١٨٠٢)،=

قال القاضي أَبو محمد: وهذه ونحوها هي فتنة الفضلاءِ، فأَما فتنة الجهال الفسقة فمؤديةٌ إِلى كل فعل مُهْلِك[١].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يقولنَّ أَحدكم: اللهم اعصمني عن الفتنة، فإِنه ليس يرجع أَحد إِلى أَهلٍ ومالٍ إِلَّا وهو مشتمل على الفتنة، ولكن لِيَقُل: اللهم إِني أَعوذ بك من مُضِلَّات الفِتَن[٢].

وقال عمر لحذيفة: كيف أَصبحتَ؟ قال: أَصبحتُ أُحبُّ الفتنة وأَكره الحقَّ، فقال عمر: ما هذا؟ قال: أُحبُّ ولدي وأَكره الموت[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾.

قال قتادة وفريق من الناس: إِنَّ قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ ناسخٌ لقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢][٤].

= والطبري (٢٣/ ٤٢٥) من طرق عن الحسين بن واقد المروزي، عن عبد الله بن بريدة بن الحصيب، عن أبيه به، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد. اهـ.

(١) «فعل» ليست في المطبوع، وفي الأسدية٣، والمطبوع: «مهلكة».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبري (١٣/ ٤٨٦) عن الحارث بن أبي أسامة، عن عبد العزيز بن أبان، عن المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه به، وعبد العزيز بن أبان الأموي متروك، وأخرجه الطبري (١٣/ ٤٧٥)، وابن أبي حاتم (٨٩٨٤) من طريق وكيع عن المسعودي، عن القاسم، عن ابن مسعود به، وهو منقطع لعدم سماع القاسم من ابن مسعود.

(٣) لم أقف عليه، ولم أجده إلا عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير (٢٨/ ٢٨٦) ناقلًا عن ابن عطية في هذا الموضع.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٤٢٧)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٢٧٤).

ورُوي: أَن الأَمر نزل بحقِّ التُّـقَاة فشق ذلك على الناس حتى نزل ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾.

وذهبت فرقة منهم أَبو جعفر النحاس إِلى أَنه لا نَسْخ في الآيتين، وأَن قوله تعالى: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ مقصده: فيما استطعتم، ولا يُعقل[1] أَن يطيع أَحدٌ فوق طاقته واستطاعته، فهذه على هذا التأْويل مُبَيِّنة لتلك المسأَلة[2].

وتحتمل هذه الآية أَن تكون: فاتَّقوا الله مُدَّة استطاعتكم التقوى، وتكون ﴿مَا﴾ ظرفاً للزمان كله، كأَنه يقول: حياتَكُمْ وما دام العمل ممكناً.

قوله تعالى: ﴿خَيۡرًا﴾، ذهب بعض النحاة إِلى أَنه نصب على الحال، وفي ذلك ضعف.

وذهب آخرون منهم إِلى أَنه نصب بقوله سبحانه: (أَنْفِقُوا)، قالوا: والخير هنا المالُ.

وذهب فريق آخرون منهم إِلى أَنه نعت لمصدر محذوف تقديره: إِنفاقاً خيراً.

ومذهب سيبويه أَنه نصب بإِضمار فعل يدل عليه قوله تعالى: (أَنْفِقُوا)[3].

وقرأَ أَبو حيوة: (يُوَقَّ) بفتح الواو وشدِّ القاف، وقرأ ابن عمر: (شِحَّ) بكسر الشين[4].

وتقدم تفسيره في سورة الحشر.

وقال الحسن: نظرك إِلى امرأَة لا تملكها من الشُّحِّ[5].

---

(١) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «ولا يُقْصد».

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٢٧٣).

(٣) انظر كلامه على مثله في الكتاب لسيبويه (١/ ٢٨٢).

(٤) وهما شاذتان، تقدم الكلام عليهما في سورة الحشر.

(٥) «الشح» ليست في نجيبويه، وانظر كلام الحسن في الهداية لمكي (١٢/ ٧٥١٥).

وقيل: يا رسول الله، ما يُدخلُ العَبْدَ النَّارَ؟ قال: «شُحٌّ مطاعٌ، وهوًى مُتَّبَعٌ، وجُبْنٌ هالعٌ، وإِعجاب المرءِ بنفسه»، ذكره النقاش[١].

والحديث في المصنفات: أن النبي ﷺ قال: «إِذا رأَيتَ شُحّاً مُطاعاً، وهوًى مُتَّبعاً، وإِعجابَ كلِّ ذي رأْي برأْيه، فعليك بِخُوَيْصة نفسك»[٢].

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿يُضَٰعِفۡهُ﴾.

وقرأَ ابن كثير وابن عامر: ﴿يُضَعِّفْهُ﴾[٣].

وذهب بعض العلماءِ إِلى أَن هذا الحضَّ هو على أَداءِ الزكاة المفروضة، وذهب آخرون منهم إِلى أَن الآية في المندوب إِليه، وهو الأَصح إِن شاءَ الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ إِخبارٌ بمجرد شكره[٤] تعالى على الشيءِ اليسير[٥]، وأَنه قد يحط به عمن شاءَ الحوب[٦] العظيم، لا ربَّ غيره.

كمل تفسير (سورة التغابن)، والحمد لله ربِّ العالمين

❊ ❊ ❊

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

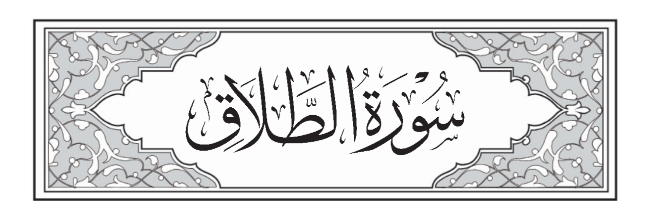
(٢) إسناده لين، أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١٥٥)، وأبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٥١٤) وغيرهم من طريق عتبة بن أبي حكيم، عن عمرو بن جارية، عن أبي أمية الشعباني، قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني، قال: قلت: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ قال: سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحّاً مطاعاً...»، الحديث، وعمرو بن جارية اللخمي، وأبو أمية الشعباني الدمشقي لم يوثقا توثيقاً معتبراً.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٣٨).

(٤) في المطبوع والحمزوية ونجيبويه: «بمجازاته».

(٥) «اليسير» ليست في المطبوع والحمزوية ونجيبويه.

(٦) «الحوب» ليست في المطبوع.



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الطلاق

وهي مدنية بإجماع من أهل التفسير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾.

الطلاق على الجملة مكروه[1] لأنه تبديد شمْل في الإسلام.

وروى أَبو موسى الأَشعري رضي الله عنه: أَن النبي ﷺ قال: «لا تطلِّقوا النساءَ إلَّا من ريبة، فإِن الله لا يحب الذَّوَّاقين ولا الذَّوَّاقات»[2].

---

(١) إذا لم يكن هنالك سبب داع له، انظر هذا المعنى في مواهب الجليل (٥/ ٢٦٨)، وشرح النووي على مسلم (١٠/ ٦١-٦٢).

(٢) أسانيده لا تقوم بها الحجة، والمرسل أشبه، أخرجه البزار في مسنده (٣٠٦٤) من طريق شعيب بن =

وروى أَنس عنه ﷺ قال: «ما حلف بالطلاق ولا استحلف به إِلَّا منافق»[1].

واختُلف في البداية بالنبي ﷺ ثم قوله تعالى بعد ذلك ﴿طَلَّقۡتُمُ﴾:

فقال بعض النحويين، حكاه الزهراوي: ذلك خروج من مخاطبة أفرادٍ إِلى مخاطبة جماعة، وهذا موجود.

وقال آخرون منهم: إِن في نداءِ النبي ﷺ أُريدت أُمته معه، فلذلك قال تعالى: ﴿طَلَّقۡتُمُ﴾.

وقال آخرون منهم: إِن المعنى: يا أَيُّها النبي قل لهم: إِذا طلقتم.

[٥/ ٢١١] وقال آخرون: إِنه من حيث يقول الرجل العظيم: فَعَلْنا، / وَضَعْنَا، خوطب النبي ﷺ في هذه بـ﴿طَلَّقۡتُمُ﴾ إِظهاراً لتعظيمه.

= بيان، عن الضحاك بن يسار، عن أبي تميمة الهجيمي، عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات»، وأخرجه البزار (٣٠٦٥) من طريق شعيب بن بيان، عن عمران القطان، عن قتادة عن أبي تميمة به، وشعيب له مناكير وقد اضطرب في إسناده. وأخرجه البزار أيضاً (٣٠٦٦) من طريق محمد بن شيبة بن نعامة، عن عبد الله بن عيسى، عمن حدثه، عن أبي موسى به مرفوعاً، وفيه جهالة، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢٢٣٠) من طريق عمارة بن راشد، عن عبادة بن نسي عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، وسئل أبو حاتم كما في العلل (١/ ٤٦٧) عن هذا الإسناد، فقال: عبادة عن أبي موسى لا يجيء، وسئل الدارقطني (١١/ ٢٩) عن حديث شهر، عن أبي هريرة، قال رجل لرسول الله ﷺ: طلقت امرأتي، فقال: «تزوج ولا تطلق، فإن الله عز وجل لا يحب الذواقين والذواقات»، فقال: يرويه قتادة، واختلف عنه، فقال بكر بن بكار، عن سعيد، عن قتادة، عن شهر، عن أبي هريرة، وخالفه أبان بن يزيد العطار، فرواه عن قتادة، عن شهر، مرسلاً، وأرسله هشام الدستوائي، عن قتادة لم يجاوز به، والمرسل أشبه.اهـ.

(١) باطل، أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال (١٦/ ٦٨٩)، وأخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٣٤) من طريق عبد الصمد بن سعيد، عن عبد السلام بن العباس بن الوليد الحضرمي، عن علي بن خالد بن خلي، عن سويد بن حميد، عن أنس مرفوعاً به. وفيه أكثر من راو لم أقف له على ترجمة، قال الزركشي: لم أجده، وقال العسقلاني: لا أستحضره. لكن ضعفه الألباني في الجامع الصغير (١١٨٣٩)، وانظر: الأسرار المرفوعة (١/ ٢٤١).

وهذا على نحو قوله تعالى في عبد الله بن أُبَيٍّ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ [المنافقون: ٧] إذا كان قوله مما يقوله جماعة، فكذلك النبي ﷺ في هذه الآية ما يُخاطب به فهو خطاب لجماعة.

قال القاضي أَبو محمد: والذي يظهر لي في هذا: أَنهما خطابان مفترقان، خوطب النبي ﷺ على معنى تنبيه لسماع القول وتَلَقِّي الأَمر، ثم قيل له: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾؛ أَي: أَنت وأُمَّتُك.

فقوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ ابتداءُ كلام كما لو ابتدأَ السُّورة به، وطلاق النساءِ حَلُّ عِصْمتهن، وصورة ذلك وتنويعه مما لا يختص بالتفسير.

وقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أَي: لاستقبال عدتهن وقوامها وتقريبها عليهن.

وقرأَ عثمان، وابن عباس، وأُبَيٌّ بن كعب، وجابر بن عبد الله، ومجاهد، وعليُّ بن الحسين، وزيد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عن الصحابة والتابعين: (فَطَلِّقُوهُنَّ في قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ).

وروي عن بعضهم وعن ابن عمر: [(لِقُبُلِ عِدَّتِهِنَّ)[١]؛ أَي: لاستقبالها.

وروى ابن عمر القراءَتين عن النبي ﷺ[٢].

وقرأَ ابن مسعود رضي الله عنه: (لِقُبُلِ طُهْرِهِنَّ)][٣].

ومعنى هذه الآية: أَلَّا يطلِّق أَحد امرأَته إِلَّا في طُهْر لم يمسَّها فيه، هذا على مذهب مالك رحمه الله وغيره مِمَّن قال: إِنَّ الأَقْرَاءَ: الأَطهارُ، فيطلق عندهم المطلِّق في طُهْر

---

(١) وهما شاذتان، انظر الأولى في المحتسب (٢/ ٣٢٣)، والثانية في اللباب في علوم الكتاب (٨/ ٣٨٠).

(٢) صحيح، أثر عبد الله بن عمر رضي الله عنه أخرجه مالك في الموطأ (١٢٢١) وغيره عن عبد الله بن دينار أنه قال سمعت عبد الله بن عمر قرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾: لقبل عدتهن، وأما الرواية المرفوعة فقد أخرجها مسلم (١٤٧١) وغيره.

(٣) سقط من الأصل، وهي شاذة، قال في البحر المحيط (١٠/ ١٩٦): وهي على التفسير، لا على أنه قرآن، لخلافه سواد المصحف.

لم يمسَّ فيه، وتعتد به المرأَة ثم تحيض حيضتين تعتد بالطهر الذي بينهما، ثم تقيم في الطهر الثالث مُعْتَدَّة به، فإِذا رأَت أَول الحيضة الثالثة حلَّت[١].

ومن قال بأَنَّ الأَقراءَ: الحيضُ ـ وهم العراقيون ـ قال: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ معناه: أن تطلق طاهراً فتستقبل ثلاث حِيض كوامل، فإِذا رأَت الطهر بعد الثالثة حلَّت، ويخفُّ عند هؤلاءِ؛ مسَّ في طهر الطلاق أَو لم يمسّ[٢].

وكذلك مالكٌ يقول: إِن طلَّق في طُهْر قد مسَّ فيه؛ مضى الطلاق[٣].

ولا يجوز طلاق الحائض لأَنها تطول العِدَّة عليها، وقيل: بَلْ ذلك تعبُّدٌ[٤]، ولو علل بالتطويل لا ينبغي أَن يجوز ولو رضيته[٥].

والأَصل في ذلك حديث عبد الله بن عمر، قال: طلقتُ امرأَتي وهي حائض، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لِعُمَر: «مُرْهُ فليراجعها ثم لِيُمْسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم يطلقها إِن شاءَ، فتلك العِدَّة التي أَمر الله تعالى أَن يُطَلَّق لها النساء»[٦].

وروى حذيفة أَنه ﷺ قال: «طلِّقوا المرأَة في قُبُلِ طُهْرِهَا»[٧].

---

(١) انظر هذا القول في الموطأ (٢/ ٤٥١)، والمدونة (٢/ ٢٣٤)، والأم (٥/ ٢٦٩)، والأوسط (٩/ ١٣٧).

(٢) انظر: أحكام القرءان للجصاص (٢/ ٥٥)، والمبسوط للسرخسي (٦/ ٢٠).

(٣) انظر نقل الإجماع على ذلك في الاستذكار (٦/ ١٤٥).

(٤) في المطبوع وأحمد٣: «بل تعتد».

(٥) انظر الإجماع على النهي عن الطلاق في الحيض، في الاستذكار (٦/ ١٤١).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٩٠٨)، ومسلم (١٤٧١) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٧) روي من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً بإسناد لين، هذا الحديث لم أقف عليه من حديث حذيفة وإنما أخرجه الطبري (٥/ ١٤)، والطحاوي في أحكام القرآن (١٧٩٠)، والطبراني في الأوسط (٣٩٥٣)، والروياني في مسنده (٥٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٢٣) من طريق عبد السلام بن حرب، عن يزيد أبي خالد الدلاني، عن أبي العلاء الأودي، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري، عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال لهم: «يقول أحدكم لامرأته: قد طلقتك، قد راجعتك، ليس هذا بطلاق المسلمين، طلقوا المرأة في قبل طهرها».

ثم أَمر تعالى بإِحصاء العِدَّة لما يلحق ذلك من أَحكام الرَّجعة والسُّكنى والميراث وغير ذلك.

ثم أَخبر تعالى بأَنهن أَحق بسُكنى بيوتهن التي طُلِّقن فيها، فنهى عن إِخراجهن وعن خروجهن، وسُنَّة ذلك أَلَّا تبيت المرأَة المطلَّقة بعيدة[1] عن بيتها ولا تغيب عنه نهاراً إِلَّا في ضرورة ومما لا خطب له من جائز التصرف، وذلك لحفظ النسب والتَّحرز بالنساءِ[2].

فإِن كان البيت ملكاً للزوج أو بِكِراءٍ منه؛ فهذا حُكْمه، فإِن كان لها؛ فعليه الكراءُ.

فإِن كان قد أمتعته مدة[3] الزوجية؛ ففي لزوم خروج العدة له قولان في المذهب: اللزوم رعاية لانفصال مُكارمة النكاح، والسقوط من أَجل أَن العِدَّة من سبب النكاح[4].

واختلف الناس في معنى قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾، فقال قتادة، والحسن، ومجاهد: ذلك الزِّنا، فيخرجن للحَدِّ، وهو قول الشعبي، وزيد بن أَسلم، وحمَّاد، والليث[5]، وقال ابن عباس: ذلك الْبَذَاءُ على الأَحْمَاءِ[6]، فتخرج ويسقط حقها في السكنى، وتلزم الإِقامة في مسكن تتخذه حِفْظاً للنسب.

---

(١) «بعيدة» من المطبوع.

(٢) انظر أحكام خروج المرأة في العدة في أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٧٧).

(٣) في الأصل: «طول».

(٤) انظر القولين في الذخيرة للقرافي (٥/ ٤٦٣).

(٥) الهداية لمكي (١٢/ ٧٥٢٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٦).

(٦) لا بأس به، أخرجه الشافعي في الأم (٥/ ١٠٩)، وعبد الرزاق في المصنف (١١٠٢١-١١٠٢٢)، والطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٣٩) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وفي لفظ: أن تفحش على أهل الرجل وتؤذيهم. ومحمد ابن إبراهيم التيمي، عن ابن عباس يقال مرسل، ولكن أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٧١) من طريق سليمان بن بلال، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به بنحوه، وإسناده لا بأس به.

وفي مصحف أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه: (إِلَّا أَن يَفْحُشْنَ عَلَيْكُمْ)(١).

وقال ابن عباس أَيضاً: الفاحشةُ جميعُ المعاصي، فمتى(٢) سرقت أَو زنت أَو أَربت في تجارة أَو غير ذلك فقد سقط حقها في السُّكنى(٣).

وقال ابن عمر، والسُّدي: الفاحشةُ: الخروج عن البيت خروج انتقال، فمتى فعلت ذلك سقط حقها في السكنى(٤).

وقال قتادة أَيضاً: المعنى: أَن يأْتين بفاحشةٍ في نشوز عن الزوج فيطلِّق بسبب ذلك، فلا يكون عليه سكنى(٥).

وقال بعض الناس: الفاحشةُ متى وردت معرَّفة فهي الزِّنا، ومتى جاءَت منكرة فهي في المعاصي، فمرة يراد بها سوءُ عِشْرة الزوج، ومرة غير ذلك.

وقرأَ عاصم: ﴿مُبَيَّنَةٍ﴾ بفتح الياءِ المشددة(٦)، تقول: بانَ الأَمْرُ وبَيَّنته أنا؛ على التضعيف على التعدية.

وقرأ الجمهور بكسرها، تقول: بانَ الأَمرُ وبَيَّن بمعنى واحد، إِلَّا أَن التضعيف للمبالغة، ومن ذلك قولهم: قد بَيَّنَ الصُّبْحُ لذي عينين.

---

(١) وهي شاذة، نسبها له في تفسير الزمخشري (٤/ ٥٥٥)، ومثلها في تفسير الطبري (٨/ ١١٦)، في آية (سورة النساء).

(٢) في الأصل: «فمن».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٣٩) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: هي المعصية.

(٤) إسناده فيه لين، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٤٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٧٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩١) من طريق حيوة بن شريح، عن محمد بن عجلان عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٥) انظره مع قول السدي في تفسير الطبري (٢٣/ ٤٤٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٥٢٨)، والثعلبي (٩/ ٣٣٤)، والماوردي (٦/ ٢٩).

(٦) وهي سبعية لابن كثير وشعبة، والباقون بالكسر، انظر: التيسير (ص: ٩٥).

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى جميع أَوامره في هذه الآية.

وقوله: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾، قال قتادة وغيره: يريد به الرَّجعة[1]، أَي: أَحْصُوا العِدَّة، وامْتثلوا هذه الأَوامر المثَقِّفَة لنسائكم، الحافظة لأَنسابكم، وطَلِّقوا على السُّنَّة، تجدوا المَخْلَص إِن ندمتم، فإِنكم لا تدرون لعلَّ الرَّجعة تكون بعد.

والإِحداثُ في هذه الآية بَيِّن التوجه، عبارةٌ عَمَّا يوجد من التراجع، وجوَّز قوم أَن يكون المعنى: أَمْراً من النَّسْخ، وفي ذلك بُعْدٌ.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يريد به آخِرَ الْقُرْءِ.

والإِمْسَاكُ بالْمَعْرُوفِ: هو حُسْنُ العِشْرة في الإِنفاق وغير ذلك.

والْمُفَارَقَةُ بِالْمَعْرُوفِ: هي أَداءُ المهر والمتعةُ ودفْعُ جميع الحقوق والوفاءُ بالشروط وغير ذلك حسب نازلة نازلة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يريد: على الرجعة، وذلك شرط في صحة الرجعة، وللمرأَة منع الزوج من نفسها حتى يُشْهِد.

وقال ابن عباس: المراد: على الرَّجعة وعلى الطلاق[2]؛ لأَن الإِشْهاد يرفع من النوازل إِشكالات كثيرة، وتَقْييد تأريخ الإِشهاد من الإِشهاد.

وقال النَّخَعي: العَدْلُ: مَنْ لم تظهر منه ريبة[3]، وهذا قول الفقهاءِ، والعَدْل حقيقةً: الذي لا يخاف إِلَّا الله تعالى.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٤٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٤٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضي عدتها، أشهد رجلين كما قال الله ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ عند الطلاق وعند المراجعة، فإن راجعها فهي عنده على تطليقتين، وإن لم يراجعها فإذا انقضت عدتها فقد بانت منه بواحدة، وهي أملك بنفسها، ثم تتزوّج من شاءت، هو أو غيره.

(٣) الأوسط (٧/ ٣٣٩).

وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ﴾ أَمْرٌ للشهود.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ إِشَارةٌ إِلى إِقامة الشهادة، وذلك أَن جميع فصول الأَحكام والأُمور فإِنما تدور على إِقامة الشهادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، قال علي ابن أَبي طالب رضي الله عنه، وكثير من المتأَولين: / هو في معنى الطلاق[١]، أَي: ومن لا يتعدى في طلاق السُّنَّة إِلى طلاق الثلاث وغير ذلك يجعل اللهُ له مخرجاً إِن ندم بالرَّجعة المباحة، ويرزقه ما يطعم أَهله، ويوسع عليه، ومن لا يَتَّق الله فربَّما طلَّق وبَتَّ وندم فلم يكن له مخرجٌ، وزال عنه رزق زوجته. [٥/ ٢١٢]

وقد فسَّر ابن عباس رضي الله عنه نحو هذا، فقال لِمُطَلِّقٍ ثلاثاً: إِنك لم تتق الله تعالى، فبانت منك امرأَتُك، ولا أَرى لك مخرجاً[٢].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) صحيح إلى ابن عباس، وذكر أبو داود أنه رجع عنه، أخرجه أبو داود (٢١٩٩)، والطبري (٢٣/ ٤٣٣) من طرق عن مجاهد قال: جلست عند ابن عباس فجاءه رجل فقال إنه طلق امرأته ثلاثاً فسكت حتى ظننت أنه رادها إليه ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الأحموقة ثم يقول: يا ابن عباس. وإن الله قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ وإنك لم تتق الله فلم أجد لك مخرجاً عصيت ربك فبانت منك امرأتك، قال أبو داود عقب هذا الأثر: روى هذا الحديث حميد الأعرج وغيره عن مجاهد عن ابن عباس، ورواه شعبة عن عمرو بن مرة، عن ابن جبير، عن ابن عباس، وأيوب وابن جريج جميعاً، عن عكرمة بن خالد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وابن جريج، عن عبد الحميد بن رافع عن عطاء، عن ابن عباس، ورواه الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن ابن عباس، وابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس: كلهم قالوا في الطلاق الثلاث إنه أجازها قال: وبانت منك. نحو حديث إسماعيل، عن أيوب عن عبد الله بن كثير، قال أبو داود: وروى حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس: إذا قال أنت طالق ثلاثاً بفم واحد فهي واحدة، ورواه إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن عكرمة هذا قوله لم يذكر ابن عباس، ثم قال أبو داود: وقول ابن عباس هو أن الطلاق الثلاث تبين من زوجها مدخولاً بها وغير مدخول بها لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره هذا مثل خبر الصرف قال فيه ثم إنه رجع عنه.اهـ.

وقال ابن عباس أيضاً: معنى ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾: يخلِّصه من كرب الدنيا والآخرة[١].

واختلفت ألفاظ رُواة هذه القصة عن ابن عباس، لكن هذا هو المعنى.

وقال بعض رواة الآثار: نزلت هذه الآية في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أنه أُسر ولدُه، وقُدر عليه رزقه[٢]، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأمره بالتقوى، فقيل: فلم يلبث أن تَفَلَّت ولدُه، وأخذ قطيع غنم للقوم الذين أسروه، وجاءَ أباه، فسأل عوف رسول الله ﷺ: أتطيب له تلك الغنم؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، ونزلت الآية في ذلك[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ الآية، كلُّها عظةٌ لجميع الناس.

و«الحَسْبُ»: الكافي المرضي، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هذه أكثر الآيات حضّاً على التفويض[٤].

وروي: أن رجلاً قال لِعُمر رضي الله عنه: وَلِّني مِمَّا ولَّاكَ اللهُ تعالى، فقال له عمر: أتقرأُ القرآن؟ قال: لا، قال عمر: فإني لا أُولي من لا يقرأُ القرآن، فتعلم الرجلُ

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٤٦) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٢) «رزقه» من الحمزوية وأحمد٣ ونور العثمانية.

(٣) أسانيده لا ترتقي للاحتجاج، أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٥٤٢) ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٠٦) من طريق سفيان بن عيينة، عن مسعر، عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة ابن عبد الله بن مسعود، عن أبيه به، وأخرجه الطبراني في الدعاء (١٦٧٢)، وابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١٤/ ٥٤٠) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس فذكره، وأخرجه الخطيب في تاريخه (٩/ ٨٤) من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنه به، وله روايات أخرى مرسلة، ومنقطعة.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ٤٤٧) عن ابن حميد، عن جرير، عن منصور، عن الشعبي، قال: تجالس شُتير بن شكل ومسروق، فقال شُتير: إما أن تحدّث ما سمعت من ابن مسعود فأصدّقك، وإما أن أحدث فتصدّقني، قال مسروق: لا بل حدّث فأصدّقك، فقال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكبر آية في القرآن تفوّضاً ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾... إلخ. ومحمد بن حميد ليس بعمدة.

رجاءَ الولاية، فلما حفظ كثيراً من القرآن تخلَّف عن عمر، ثم لَقِيَه يوماً فقال له عمر رضي الله عنه: ما أَبطأَ بك؟ قال: تعلمتُ القرآن فأَغناني اللهُ عن عمر وعن بابه، ثم قرأَ هذه الآية من هذه السُّورة[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ بيانٌ وحضٌّ على التوكل، أَي: لا بد من نفوذ أَمر الله تعالى توكَّلْتَ أَيُّها المرءُ أَم لم تتوكَّل، قاله مسروق، فإِن توكَّلت كفاك وتعجلتَ الراحة والبركة، وإِن لم تتوكل وكَلَكَ إِلى عجزك وتَسَخُّطك، وأَمره عزَّ وجلَّ في الوجهين نافذ.

وقرأَ داود بن أَبي هند، ورويت عن أَبي عمرو: (بَالِغٌ أَمْرُهُ) برَفْع الأَمر[٢]، وحذف مفعول تقديره: بالغٌ أَمْرُهُ ما شاءَ.

وقرأَ جمهور السبعة، والناسُ: ﴿بَالِغٌ أَمْرَهُ﴾ بنصب الأَمر.

وقرأَ حفصٌ والمفضل عن عاصم: ﴿أَمْرِهِۦ﴾ على الإِضافة وترك التنوين في ﴿بَٰلِغُ﴾، ورويت عن أَبي عمرو، والأَعمش، وهي قراءَة طلحة بن مصرف[٣].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿قَدْرًا﴾ بسكون الدال.

وقرأَ بعض القراءِ: (قَدَراً) فتح الدال[٤]، وهذا كله حضٌّ على التوكل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٣٧).

(٢) وهي شاذة، انظرها في نسبها المحتسب (٢/ ٣٢٣)، وهي رواية عصمة عن أبي عمرو، كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٤٩).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١١)، ورواية المفضل (١/ ٦٣٩)، والرواية عن أبي عمرو في الكامل للهذلي (ص: ٦٤٩).

(٤) وهي شاذة، عزاها في البحر المحيط (١٠/ ١٩٩) لجناح بن حبيش.

يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴿٧﴾﴾.

(اللَّائي) هو جمع ذات فيما حكى أَبو عبيدة[١]، وهو ضعيف، والذي عليه الناس أَنه جمع: التي، وقد يجيءُ جمعاً لـ: الذي.

واليائساتُ من المحيض على مراتب:

فيائسة هو أَول يأْسها، فهذه ترفع إِلى السُّنَّة ويبقيها الاحتياط على حكم من ليست بيائسة لأَنها لا تدري لعل الدم يعود.

ويائسة قد انقطع عنها الدم لأَنها طعنت في السن ثم طُلِّقت وقد مرت عادتها بانقطاع الدم إِلَّا أَنها ممن يخاف أَن تحمل نادراً، فهذه التي في الآية على أَحد التأْويلين في قوله: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾، وهو قول من جعل الارتياب بأَمر الحمل[٢]، وهو الأَظهر.

ويائسة قد هرمت حتى تيقن أَنها لا تحمل، فهذه ليست في الآية لأَنها لا ترتاب بحملها، لكنها في حكم الأَشهر الثلاثة إِجماعاً فيما علمت[٣].

وهي في الآية على تأْويل من يرى أَن قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ معناه في حكم اليائسات.

وذلك أَنه روى إِسماعيل بن أَبي خالد[٤]: أَن قوماً منهم أُبَيُّ بن كعب رضي الله

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٦٠).

(٢) في المطبوع: «الحول»، وتحتملهما في أحمد٣.

(٣) انظر الإجماع على ذلك في: الإقناع (٣/ ١٢٩٨).

(٤) هو أبو عبد الله إسماعيل بن أبي خالد البجلي مولاهم الكوفي، أحد أئمة الحديث، سمع أبا جحيفة وابن أبي أوفى وقيس بن أبي حازم وهو راويته، وعنه الحكم بن عتيبة وشعبة والسفيانان، وكان ثقة حجة وكان طحاناً، توفي سنة ١٤٦هـ. تاريخ الإسلام (٩/ ٦٩).

عنه، وخلَّاد بن النعمان[1] لمَّا سمعوا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قالوا: يا رسول الله، فما عِدَّة من لا قُرْءَ لها من صِغَر أَو كِبَر؟ فنزلت هذه الآية، فقال قائل منهم: فما عِدَّةُ الحامل؟ فنزلت ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[2].

وقد تقدَّم ذكر الخلاف في تأْويل ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾.

و(أُولات) جمع ذات.

وأَكثر أَهل العلم على أَن هذه الآية تعم الحوامل المطلقات والمعتدَّات من الوفاة[3].

والحُجَّةُ حديث سُبَيْعة الأَسْلمية، قالت: كنت تحت سعد بن خولة، فتوفي في حَجَّة الوداع، ووضعت حملها قبل أَربعة أشهر، فقال لها النبي ﷺ: «قد حَلَلْتِ»، وأَمرها أَن تتزوج[4].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: نزلت سورة النساءِ القُصرى بعد الطُّولى[5]، يعني أَن قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ نزل بعد قوله تعالى:

---

(١) خلاّد بن النّعمان الأنصاريّ، ذكر مقاتل: أنه سأل النبيّ ﷺ عن عدة التي لا تحيض، استدركه ابن فتحون، الإصابة (٢/ ٢٨٧).

(٢) مرسل، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٨) عن الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد قال لما نزلت هذه الآية ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾، وأخرج إسحاق بن راهويه كما في إتحاف المهرة (٥٨٦٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٧٣٨٧)، والطبري (٢٣/ ٥١)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ١٤٩)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٩٠)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٤١٤-٤٢٠) من طرق عن مطرف بن طريف، عن عمرو بن سالم، عن أبي بن كعب قال: قُلتُ: يا رسُول الله. وعمرو بن سالم أبو عثمان الأنصاري روايته عن أبي بن كعب مرسلة كما قاله أبو حاتم، وانظر: العلل ١/ ٤٧٨).

(٣) انظر: الأوسط (٩/ ٥٢٧).

(٤) أخرجه مسلم (١٤٨٤).

(٥) أخرجه البخاري (٤٥٣٢) بلفظ مطول.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وقال علي بن أَبي طالب، وابن عباس: إِنما هذه في المطلقات، وأَمَّا في الوفاة فعدَّة الحامل آخر الأَجلين، فإِنْ وضعت قبل أَربعة أَشهر وعَشْر تمادت إِلى آخرها[1].

والقول الأَول أَشهر، وعليه الفقهاءُ.

وقرأَ الضحاك: (أَحْمَالَهُنَّ) على الجمع[2].

وأَمر الله تعالى بإِسكان المطلَّقات، ولا خلاف في التي لم تُبَت[3].

وأَمَّا الْمَبْتُوتة؛ فمالِك رحمه الله تعالى يرى لها السكنى لمكان حفظ النسب، ولا يرى لها نفقة[4]، لأَن النفقة بإِزاءِ الاستمتاع، وهو قول الأَوزاعي، والشافعي، وابن أَبي ليلى، وأَبي عُبَيْد، / وابن المسيَّب، وعطاءٍ، والشَّعبي، وسليمان بن يسار[5]. [٥/ ٢١٣]

وقال أَصحاب الرأْي والثُّورى: لها السَّكن والنَّفقة[6].

وقال جماعة من العلماءِ: ليس لها سُكْنى ولا نفقة[7].

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور (١٥١٧)، والطبري (٢٣/ ٤٥٤) من طريق جرير عن مغيرة قال: قلت للشعبي: ما أصدّق أن عليًّا رضي الله عنه كان يقول: آخر الأجلين أن لا تتزوّج المتوفى عنها زوجها حتى يمضي آخر الأجلين؛ قال الشعبيّ: بلى وصدق أشدّ ما صدّقت بشيء قط؛ وقال عليّ رضي الله عنه إنما قوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ المطلقات، ثم قال: إن عليًّا رضي الله عنه وعبد الله كانا يقولان في الطلاق بحلول أجلها إذا وضعت حملها، وقول ابن عباس أخرجه البخاري (٤٩٠٩).

(٢) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٦).

(٣) انظر الإجماع على سكنى الرجعية في الإجماع (٤٤٢).

(٤) انظر قول مالك في المدونة (٢/ ٤٨).

(٥) انظر قول الشافعي في الأم (٥/ ٣٣٤)، وقول الشعبي في الأوسط (٩/ ٥١٤)، والآخرين في الاستذكار (٦/ ١٦٥).

(٦) انظر قول أصحاب الرأي في المبسوط (٥/ ١٨٨)، وانظر قول الثوري في الأوسط (٩/ ٥١٤).

(٧) انظر هذا القول في مسائل أحمد وإسحاق ـ رواية الكوسج (١٣٣٦)، والأوسط (٩/ ٥١٣).

و«الوُجْدُ»: السَّعة في المال، وضمُّ الواو وفَتْحها وكسرها هي كلها بمعنى واحد.

وقرأ الجمهور: ﴿وُجْدِكُمْ﴾ بضم الواو بمعنى السَّعة في الحال.

وقرأ الأَعرج فيما ذكر عِصْمة: (وَجْدِكُمْ) بفتح الواو، وذكرها أَبو عمرو عن الحسن، وأَبي حَيْوة[١].

وقرأ الفيَّاض بن غزوان، ويعقوب بكسر الواو، وذكرها المهدوي عن الأَعرج، وعمرو بن ميمون[٢].

وأَمَّا الحامل؛ فلا خلاف في وجوب سكناها ونفقتها، بُتَّتْ أَو لم تُبت؛ لأَنها مُبَيَّنة في الآية[٣].

واختلفوا في نفقة الحامل المتوفَّى عنها زوجها على قولين لعلماءِ الأُمة:

فمنعها قوم[٤]، وأَوجبها في التركة قوم[٥]، وكذلك النفقة على المرضع واجبة[٦]، وهي الأجر مع الكسوة وسائر المؤن التي بَسْطُها في كتب الفقه.

وقوله تعالى: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾، أَي: ليأْمُر كل واحد صاحبه بخير، ولا شك أَن من أَمر بخير فهو أَسرع إِلى فعل ذلك الخير، وليقبل كل أَحد ما أُمِر به من المعروف، فالقبول والامتثال هو الائتمار، وقال الكسائي: ائْتَمِرُوا معناه: تشاوروا[٧]، ومنه قوله

---

(١) وهي شاذة، انظر عزوها لبعضهم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٦).

(٢) وهي عشرية، لروح كما في النشر (٢/ ٣٨٨)، وانظر عزوها لبعض الباقين في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٦)، وانظر التحصيل للمهدوي (٦/ ٤٢٨).

(٣) انظر الإجماع في: المغني لابن قدامة (٩/ ٢٨٨).

(٤) منهم مالك كما في المدونة (٢/ ٥٣)، وأحمد كما في رواية الكوسج (٩٨٥)، وآخرون في الأوسط (٩/ ٥١٨).

(٥) ومنهم ابن مسعود وابن عمر وشريح وابن سيرين وأبو العالية وغيرهم، كما في الأوسط (٩/ ٥١٨).

(٦) بإجماع العلماء كما في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٥٣٥).

(٧) الدر المصون (١٠/ ٣٥٧).

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠]، ومنه قول امرئ القيس:

.... وَيَعْـدو عَلَى الْمَـرْءِ مَـا يَأْتَمِرْ[١] [المتقارب]

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ أَي: تشطَّطت المرأَة في الحدِّ الذي يكون أُجرةً على الرِّضاع، فلِلزَّوج أن يسترضع أُخرى بما فيه رفْقُهُ، إِلَّا إِنْ لم يقبل المولود غير أُمِّه فتجبر حينئذ على رضاعه بأُجرة مِثْلها ومِثْل الزوج في حالهما أَو غناهما[٢].

ثم خصَّ الله تعالى أَهل الجِدَة على الإِنفاق وأَهل الإِقتار على التوسط، كلٌّ بقدر حاله، وهذا هو العدل بينهم لئلا تضيع هي ولا يتكلَّف هو ما لا يُطيق.

واختلف العلماءُ في الذي يعجز عن نفقة امرأَته:

فقال مالك، والشافعي، وأَحمد، وإِسحاق، وأَبو هريرة، وابن المسيَّب، والحسن يُفَرَّق بينهما[٣].

وقال أَصحاب الرأْي، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وجماعة: لا يُفَرَّق بينهما[٤].

ثم رجَّى تعالى باليُسْر تسهيلاً على النفوس وتطييباً لها.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَيُعْظِمْ﴾ بالياءِ، وقرأَ الأَعمش: (وَنُعْظِمْ) بالنون، واختُلف عنه[٥].

---

(١) صدره: أَحَارِ بْنَ عَمْرٍو كَأَنِّي خَمِرْ، وهذه نسبته الصحيحة وتقدم للمؤلف في تفسير الآية (١٩) من (سورة القصص) نسبته لربيعة بن جشم تبعاً لأبي عبيدة، وتقدم التعليق عليه هناك.

(٢) انظر ذلك في: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٨٩)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٥٣٥)، والمغني (٩/ ٣١٢).

(٣) انظر قول ابن المسيب ومالك في الاستذكار (٦/ ٢٠٩)، وانظر قول الشافعي في أحكام القرآن للكيا الهراسي (١/ ١٨٢)، وانظر قول الآخرين في: المغني (٨/ ١٦٢).

(٤) انظر قول عمر بن عبد العزيز في الاستذكار (٦/ ٢٠٩)، وانظر قول أصحاب الرأي في المحيط البرهاني لابن مازة (٤/ ٢٠٧).

(٥) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (١٠/ ٢٠١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾.

﴿كَأَيِّنْ﴾ هي كاف الجرِّ دخلت على (أَيّ)، وهذه قراءَة الجمهور.

وقرأَ ابن كثير، وعُبَيْد عن أَبي عمرو: ﴿وَكَائِنٍ﴾ ممدود مهموز[١]، كما قال الشاعر:

[الوافر] وَكَائِن بالأَبَاطِحِ مِنْ صَدِيقٍ[٢] ....

وقرأَ بعض القراءِ: ﴿وَكَايِنٍ﴾ بتسهيل الهمزة[٣].

وفي هذين الوجهين قَلْب؛ لأَن الياءَ قبل الأَلفات.

[و«الْعُتُوُّ»: تَرْكُ الائتمار والقبول][٤].

وقوله تعالى: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ قال بعض المتأَولين: الآية في الآخرة؛ أَي: ثَمَّ هو الحساب والتعذيب والذوق وخسارة العاقبة.

وقال آخرون: ذلك في الدنيا، ومعنى ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؛ أي: لَمْ نغتفر لهم زَلَّة بل أُخذوا بالدقائق من الذنوب.

---

(١) وهما سبعيتان، كما تقدم في حرف آل عمران، وانظر: التيسير (ص: ٩٠).

(٢) تمامه: يَـرَاني لَوْ أُصِبْتُ هُوَ الْمُصَابَا، وهو لجرير كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٧٥)، والحماسة البصرية (١/ ١٩١)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٦٣). والأباطح: جمع أَبْطح، وهو مَسيلٌ واسع للماء فيه دقاق الحصى.

(٣) هي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (٢/ ٢٤٢).

(٤) سقط من الأصل.

وقرأَ نافع، وأَبو بكر، وابن ذكوان: ﴿نُكُراً﴾ بضم الكاف، وأَسكنها الباقون، وهي قراءَة عيسى[١].

وقوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يظهر منه أنه بيان لوجه خُسران عاقبتهم، فيتأَيد بذلك أَن تكون المحاسبة والتعذيب والذوق في الدنيا.

ثم ندب تعالى أُولي الأَلباب إِلى التَّقوى تحذيراً.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صفة لـ(أُولي الأَلْبَابِ).

وقرأَ نافع، وابن عامر: ﴿نُدْخِلْهُ﴾ بالنون، وكذلك روى المفضل عن عاصم.

وقرأَ الباقون بالياءِ[٢].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَّسُولًا﴾، اختلف الناسُ في تقدير[٣] ذلك:

فقال قوم من المتأَولين: المراد بالاسمين القرآن، و﴿رَّسُولًا﴾ بمعنى رسالة، وذلك موجود في كلام العرب.

وقال آخرون: ﴿رَّسُولًا﴾ نعت أَو كالنعت لقوله سبحانه: ﴿ذِكْرًا﴾، فالمعنى: ذِكْراً ذا رسولٍ.

وقيل: «الرسول» ترجمة عن «الذِّكْر»، كأنه بدلٌ منه.

وقال آخرون: المراد بهما جميعاً محمد ﷺ، والمعنى: ذا ذِكْرٍ رسولاً، وقال بعض حُذَّاق المتأَولين: الذِّكْرُ اسمٌ من أَسماءِ الرسول ﷺ، واحتج بهذا القاضي أَبو بكر الباقلاني في تأْويل قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢][٤].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٤٤).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢٠١)، ورواية المفضل في جامع البيان (٤/ ١٦٤٤).

(٣) في المطبوع: «تقرير»، وليس في أحمد٣ من «رسولًا»، إلى «رسولًا».

(٤) لم أقف على قول الباقلاني.

وقال بعض النحاة: معنى الآية: ذِكْراً بعث رسولاً، فهو منصوب بإِضمار فعل.

وقال أَبو علي الفارسي: يجوز أَن يكون ﴿رَسُولًا﴾ معمولاً للمصدر الذي هو الذِّكْر(١).

قال القاضي أَبو محمد: وأَبْيَن الأَقوال عندي معنًى: أَن يكون «الذِّكر» القرآن، و«الرَّسولُ» مُحَمَّداً ﷺ، والمعنى: بعث رسولاً، لكن الإِيجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول، ونحا هذا المنحى السُّدِّي.

وقرأَ نافع، وابن كثير، وأَبو عمرو، وأَبو بكر: ﴿مُبَيَّـنَاتٍ﴾ بفتح الياءِ.

وقرأَها بكسر الياءِ ابن عامر، وحفص، وحمزة، والكسائي، والحسن، والأَعمش، وعيسى(٢).

وسائر الآية بَيِّنٌ، والرزقُ المشار إِليه رزق الجنة لدوامه ودُرُوره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ (١٢)﴾.

لا خلاف بين العلماءِ أَن السماوات سبعٌ لأَن الله تعالى قال: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]، وفسَّر رسول الله ﷺ أَمرهن في حديث الإِسراءِ(٣)، وقال ﷺ لسعدٍ رضي الله عنه: «حكمت فيهم بحكم الملِك من فوق سبع أَرْقِعَة»(٤)، ونطقت بذلك الشريعة في غير ما موضع.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٤٢٩).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٦٢).

(٣) انظر حديث الإسراء الذي رواه البخاري (٣٢٠٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: «لقد حكمت بحكم الملك»، واللفظ الذي ساقه المؤلف قد أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٤٦-٢٤٧) عن محمد بن حميد الرازي، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثي مرسلاً.

وأَمَّا الأَرض فالجمهور على أَنها سبع أَرضين، وهو ظاهر هذه الآية، وأَن المماثلة إِنما هي في العدد، ويستدل بقول رسول الله ﷺ: «من غصب شبراً من أَرضٍ طُوِّقه[١] من سبع أَرضين»[٢]، إِلى غير هذا ممَّا وردت به روايات، وروي عن قوم من العلماءِ أَنهم قالوا: الأَرض / واحدة، وهي مماثِلةٌ لكل سماءٍ بانفرادها في ارتفاع جرمها، وفي أَن فيها عَالماً يَعْبُد، كما في كل سماءٍ عالم يَعْبُد. [٥/ ٢١٤]

وقرأ الجمهور: ﴿مِّثْلَهُنَّ﴾ بالنصب، وقرأ عاصم: (مِثْلُهُنَّ) برفع اللام[٣].

و﴿ٱلْأَمْرُ﴾ هنا: الوحي وجميع ما يأمر به تعالى مَنْ يعقل ومن لا يعقل، فإِن الرِّياح والسَّحاب وغير ذلك مأْمورٌ كله.

وباقي السُّورة وعظ[٤] وحضٌّ على توحيد الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ عموم معناه الخصوص في المقدورات[٥].

وقوله تعالى: ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ عموم على إطلاقه.

كمل تفسير (سورة الطلاق)، والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

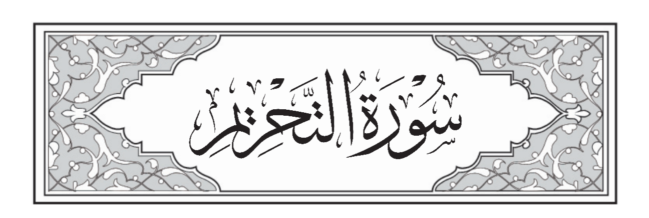
(١) في الأسدية٣ ونور العثمانية: «طوقه الله».

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣١٩٥)، ومسلم (١٦١٢) من حديث عائشة بلفظ: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ طُـوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ».

(٣) وهي شاذة، نقلها في إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٣٠٠) عن أبي حاتم عنه، وهي رواية عصمة عن شعبة كما في جامع البيان (٤/ ١٦٤٥)، والمفضل طريق الملنجي، واللؤلؤي عن أبي عمرو كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٤٩).

(٤) «وعظ» ليست في المطبوع ونجيبويه.

(٥) «المقدورات» ليست في المطبوع.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة التحريم

وهي مدنية بإِجماع من أَهل العلم بلا خلاف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾.

رُوي في الحديث عن زيد بن أَسلم والشعبي وغيرهما ما معناه: أَن رسول الله ﷺ لما أَهدى إِليه المقوقس مارية القبطية اتخذها سُرِّية، فلما كان في بعض الأَيام وهو يوم حفصة بنت عمر، وقيل: بل كان في يوم عائشة رضي الله عنها، جاءَ رسول الله ﷺ إلى بيت حفصة فوجدها قد مرَّت لزيارة أبيها، فبعث رسول الله ﷺ في جاريته، فَقَالَ معها، فجاءَت حفصة فوجدتهما، فأَقامت خارج البيت حتى أَخرج رسول الله ﷺ مارية وذهبت، فدخلت حفصة غَيْرَى متغيرة اللون[١]، فقالت: يا رسول الله، أَما كان في نسائك أهون عليك منِّي؟ أَفي بيتي وعلى فِراشي؟ فقال لها رسول الله ﷺ مترضِّياً لها:

(١) «اللون» في الأصل.

«أُيرضيك أَن أُحرِّمها؟» قالت: نعم، فقال: «إِنِّي قد حرَّمتُها»[١]، قال ابن عباس: وقال مع ذلك: «والله لا أطؤها أَبداً»، ثم قال: «لا تخبري بهذا أَحداً»، فمن قال: إِن ذلك كان في يوم عائشة قال: اسْتكتمها خوفاً من غضب عائشة، وحُسْن عِشْرة لها، ومن قال: بل كان في يوم حفصة قال: اسْتكْتمها لنفس الأَمر.

ثم إِن حفصة رضي الله عنها قرعت الجدار الذي كان بينها وبين عائشة رضي الله عنهما لتبشِّرها بالأَمر، ولم تر في إِفشائه إِليها حرجاً، واسْتكْتَمَتْهَا، فأَوحى الله بذلك إِلى نبيِّه ﷺ، ونزلت الآية[٢].

ورُوي عن عِكْرِمة: أَن هذا نزل بسبب أُم شريك التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وذكر النقاش نحوه عن ابن عباس[٣].

وروى عُبَيْد بن عُمر عن عائشة رضي الله عنها: أَن هذا التحريم المذكور في الآية إِنما هو بسبب شراب العسل الذي شربه عند زينب بنت جحش، فتمالأَت عائشة وحفصة وسودة على أَن تقول له من دنا منها: أَكلت مَغَافير ـ والمغافير صمْغُ العُرْفط ـ وهو حلوٌ ثقيل الريح، ففعلن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «لا، ولكني شربت عسلاً»، فقلن له: جَرَسَتْ نحلُه العُرْفط، فقال رسول الله ﷺ: «لا أَشربُه أَبداً»، وكان يكره أن توجد منه رائحة ثقيلة، فدخل ـ بعد ذلك ـ على زينب رضي الله عنها فقالت له: أَلا نسقيك من ذلك العسل؟ فقال: «لا حاجة لي به»، قالت عائشة رضي الله عنها: تقول

---

(١) أخرج هذه الروايات مرسلة، عن زيد بن أسلم، والشعبي: الطبري في تفسيره (٢٣/ ٨٣-٨٤-٨٥) وغيره.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٧٧-٤٧٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه.

(٣) ضعيف، قال السيوطي في الدر المنثور (١٤/ ٥٧٦) أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه بسند ضعيف، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ.

سَوْدة حين بلغها امتناعه: والله لقد حرمناه، قلت لها: اسكتي[١].

قال القاضي أبو محمد: والقول الأَول ـ أن الآية نزلت بسبب مارية ـ أَصحُّ وأَوضح، وعليه تفقَّه الناسُ في الآية.

ومتى حرَّم الرجل مالاً أَوْ جاريةً دون أَن يعتق أَو يشترط عتقاً أَو نحو ذلك فليس تحريمه بشيءٍ[٢].

واختلف العلماءُ إِذا حرَّم زوجته بأَن يقول لها: أنتِ عليَّ حرامٌ، أَو: الحلالُ عليَّ حرام، ولا يستثني زوجته: فقال مالك: هي ثلاث في المدخول بها، وينوى في غير المدخول بها، فهو ما أَراد من واحدة أَو اثنتين أَو ثلاث[٣].

وقال عبد الملك بن الماجشون: هي ثلاث في الوجهين، ولا ينوي في شيءٍ[٤].

وقال أَبو المصعب[٥] وغيره ـ ورواه ابن خُوَيْز مِنْداد عن مالك ـ: إِنَّها واحدة بائنة في المدخول بها.

ورُوي عن عبد العزيز بن الماجشون: أَنه كان يحملها على واحدة رجعية[٦].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٩١٢)، ومسلم (١٤٧٤) من رواية عبيد بن عمير، عن عائشة بلفظ مختصر، وأخرجه البخاري (٥٢٦٨)، ومسلم (١٤٧٤) من حديث عروة، عن عائشة بلفظ مطول.

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٩٤)، وشرح النووي على مسلم (١٠/ ٧٤)، ومغني المحتاج (٣/ ٢٨٣).

(٣) انظر قول مالك في: المدونة (٢/ ٢٨٥-٢٨٦).

(٤) انظر قول ابن الماجشون في: بداية المجتهد (٢/ ٧٧).

(٥) هو أبو مصعب أحمد بن أبي بكر حفيد عبد الرحمن بن عوف الزهري روى عن مالك الموطأ وغيره وتفقه بأصحابه وله مختصر في قول مالك المشهور، ولي قضاء المدينة والكوفة، وكان من أعلم أهل المدينة، توفي سنة **٢٤٢**هـ، الديباج المذهب (ص: ٣٠).

(٦) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٢٩٥-٢٩٦)، وفي الأسدية (٣-٤)، والمطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «قال» بدل «كان».

وقال غير واحد من أَهل العلم: التحريم لا شيءَ[١]، وإنما عاتب اللهُ رسوله ﷺ فيه ودَلَّه على تَحِلَّة اليمين المبينة في المائدة لقوله: «قد حرَّمتها، ووالله لا أَطؤها أَبداً»[٢].

وقال مسروق: ما أُبالي أَحرَّمتها أَو قصعة من ثريد، وكذلك قال الشعبي: ليس التحريم بشيء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]، ومُحَرِّم زوجته قد سمَّى حراماً ما جعله الله حلالاً، وحرَّم ما أَحلَّ الله له[٣].

وقال أَبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وابن مسعود، وابن عباس وعائشة، وابن المسيَّب، وعطاءٌ، وطاوس، وسليمان بن يسار، وابن جُبَيْر، وقتادة. وأَبو ثور، والأَوزاعي، والحسن، وجماعة: التحريم يلزم فيه تكفير يمين بالله تعالى، والتَّحِلَّة إِنما هي من أجل التحريم، ولم يقل رسول الله ﷺ: «والله لا أَطؤها»[٤].

وقال أَبو قلابة: التحريم ظهار.

وقال أَبو حنيفة، وسفيان، والكوفيون: هو ما أَراد من الطلاق، فإِن لم يُرد بذلك طلاقاً فهو لا شيء[٥].

وقال آخرون: هو ما أراد من الطلاق، فإن لم يُرد طلاقاً فهي يمين.

---

(١) قاله الأوزاعي كما في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ١٥١)، وأبو حنيفة كما في أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٦٣).

(٢) تقدم في أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر قول مسروق في أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٦٣)، والشعبي في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/ ١٥١).

(٤) انظر نسبة هذا القول لمن ذكرهم المؤلف في الأوسط (٩/ ١٩٠-١٩١، ١٢/ ١٢٣)، وفي الأصل: «من جهة».

(٥) انظر قول أبي قلابة وسفيان في الأوسط (٩/ ١٩٤)، وقول أبي حنيفة وأصحابه في المبسوط (٦/ ٧٠-٧١).

ودعا الله تعالى نبيَّه ﷺ باسم النُّبوة الذي هو دال على شرف منزلته وعلى فضيلته التي خَصَّه بها دون البشر وقرّره[١]، كالمعاتب على سبب تحريمه على نفسه ما أَحلَّ الله تعالى له.

وقوله تعالى: ﴿تَبۡتَغِي﴾ جملة في موضع الحال / من الضمير الذي في ﴿تُحَرِّمُ﴾. [٥/ ٢١٥]

و«المَرْضَاةُ» مصدر كالرِّضَا، ثم غفر له تعالى ما عاتبه فيه ورَحِمَه.

وقوله تعالى: ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ﴾ أَي: بَيَّن وأَثْبت، وقال قوم من أَهل العلم: هذه إِشارة إِلى تكفير التحريم، وقال آخرون: هي إِشارة إِلى تكفير اليمين المقترنة بالتحريم.

و«التَّحِلَّـةُ» مصدر، وَزْنها: تَفْعِلَة، وأدغم لاجتماع المثلين، وأَحال في هذه الآية على الآية التي فسَّر فيها الإِطعام في كفَّارة اليمين بالله تعالى.

و«المَوْلَى»: المُوَالي النَّاصرُ العاضِدُ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾ الآية معناه: اذكر يا محمد ذلك على وجه التأنيب والعتب لهن، وقال الجمهور: «الحديث»: هو قوله ﷺ في أَمْر مارية.

وقال آخرون: إِنما هو قوله ﷺ: إِنما شربتُ عسلاً، و﴿بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ﴾ هي حَفْصة رضي الله عنها.

و﴿نَبَّأَتۡ﴾ معناه: أَخبرت، وهذه قراءَة الجمهور، وقرأَ طلحة: (أَنْبَأَتْ)[٢].

وكان إِخبارها لعائشة رضي الله عنها، وهذا ونحوه هو التظاهر الذي عوتبتا فيه.

وقال ميمون بن مهران: الحديث الذي أَسرَّ إِلى حفصة أَنه قال لها: وأَبشري بأَن أَبا بكر وعمر يملكان أَمر أُمتي من بعدي خلافةً[٣].

---

(١) في المطبوع: «قدَّره».

(٢) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٢٧٧).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٢٢٢-٢٢٣) وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وتعدَّت (نَبَّـأَ) في هذه الآية مرة إِلى مفعولين ومرة إِلى واحد؛ لأَن ذلك يجوز في «أَنبأَ» و«نبَّأَ» إِذا كان دخولهما على غير الابتداءِ والخبر، فمتى دخلت على الجملة تعدَّت إِلى ثلاثة مفعولين، ولا يجوز الاقتصار.

وقوله تعالى: ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ أَي: أَطلعه.

وقرأَ الكسائي وحده، وأَبو عبد الرحمن، وطلحة، وأبو عمرو بخلاف والحسن، وقتادة: ﴿عَرَفَ﴾ بتخفيف الراءِ.

وقرأَ الباقون وجمهور الناس: ﴿عَرَّفَ﴾ بشدها[1].

والمعنى في اللفظة مع التخفيف: جار بالعَتْب واللوم، كما تقول لإنسان يؤذيك: قد عرفتُ لك هذا، ولأَعرفنَّ لك هذا، بمعنى: لأُجازينَّك عليه، ونحوه في المعنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣]، فعِلْم الله تعالى زعيم بمجازاتهم، وكذلك معرفة النبي ﷺ، والمعنى مع الشَّدِّ في الرَّاءِ: أَعلم به وأَنَّب[2] عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾؛ أَي: تكرُّماً وحياءً وحُسْن عِشْرة.

قال الحسن: ما استقصى كريم قط[3].

[وروي: أَن رسول الله ﷺ طلَّق حينئذ حفصة رضي الله عنها، ثم إِن الله تعالى أَمره بمراجعتها][4]، ورُوي أَن رسول الله ﷺ عاتبها ولم يطلِّقها، فلما أَخبر رسول الله ﷺ

---

(١) وهما سبعيتان، التخفيف للكسائي، كما في التيسير (ص: ٢١٢)، وهو اختيار أبي بكر، والأزرق، وهارون، ووهيب كلهم عن أبي عمرو كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٤٩)، وهو ليس في المطبوع وأحمد٣ ونجيبويه والحمزوية.

(٢) في الأسدية (٣-٤) والمطبوع: «وأبتَّ».

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٤٦).

(٤) ليس في الحمزوية، والحديث صحيح، أخرجه أبو داود (٢٢٨٣) والنسائي (٢/ ١١٧) والدارمي =

بالخبر وأنها أَفشته إِلى عائشة ظنت أَن عائشة فضحتها، فقالت: من أَنْبَأَكَ هذا؟ على جهة التثبُّت، فلما أَخبرها أَن الله تعالى أخبره سكتت وسلمت[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾.

المخاطبة بقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ هي لحفصة وعائشة رضي الله عنهما، وفي حديث البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قلتُ لعمر بن الخطاب: من اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ؟ قال: حفصة وعائشة[٢].

وقوله تعالى: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ معناه: مالت عن المَعْدَلة والصواب، و«الصَّغَا»: الميْلُ، ومنه: صاغية الرجل، وهم حواشيه الذين يميلون إِليه، ومنه: أَصْغَى إِليه بسمعه، وأَصْغَى الإِناء.

وفي قراءَة عبد الله بن مسعود: (فقد زاغت قُلُوبُكُمَا)، والزَّيْغُ: المَيْل، وعُرْفه في خلاف الحق، قال مجاهد: كنا نرى ﴿صَغَتْ﴾ شيئاً هيناً حتى سمعنا قراءَة ابن مسعود: (زاغت)[٣].

وجَمَع القلوب من حيث: الاثنان[٤] جَمْعٌ، ومن حيث لا لَبْس في اللفظ.

= (٢/ ٦١)، وابن ماجه (٢٠١٦)، وابن حبان (١٣٢٤)، والحاكم (٢/ ١٩٧) من طريق: يحيى بن زكريا ابن أبي زائدة عن صالح بن صالح عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر، والحديث له طرق أخرى، انظر: إرواء الغليل (٧/ ١٥٧).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٩٢/ ٩٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) وهي شاذة، انظرها مع قول مجاهد في تفسير الطبري (٢٣/ ٤٨٣-٤٨٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٥٦٩).

(٤) في الأصل ونور العثمانية: «الإنسان».

وهذا نظير قول الشاعر:

[الرجز] ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّـرْسَيْنِ[١] ....

ومعنى الآية: إِنْ تُبْتما فقد كان منكما ما ينبغي أَن يُتاب منه، وهذا الجواب الذي هو للشرط هو متقدم في المعنى، وإِنما ترتَّب جواباً في اللفظ.

و﴿إن تظاهرا﴾ معناه: تتعاونا.

[وقرأ جمهور الناس والسبعة: ﴿تَظَّاهرا﴾ أصله: تتظاهرا][٢] فأُدغمت التاءُ في الظاءِ بعد البدل.

وقرأَ عكرمة مولى ابن عباس: (إن تتظاهرا) بتاءَين على الأَصل[٣].

وقرأَ الكوفيون، وطلحة، وأَبو رجاءٍ، والحسن بتخفيف الظاءِ على حذف التاءِ الواحدة[٤].

ورُوي عن أَبي عمرو: أَنه قرأَ بتشديد الظاءِ والهاءِ دون أَلف[٥].

و«الْمَوْلَى»: الناصر والمعين.

وقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أَن يكون عطفاً على اسم الله تعالى في قوله: ﴿هُوَ﴾، فيكون (جبريل وصالح المؤمنين) في الولاية.

---

(١) البيت للخطام المجاشعي، كما في الكتاب لسيبويه (٢/ ٤٨)، ولسان العرب (٢/ ٨٩)، والمحكم (٣/ ٣٠٠)، ثم نسبه سيبويه بعد ذلك (٣/ ٦٢٢) لهميان بن قحافة، ونسبه لهميان أيضاً ابن بري في شرح الشواهد (ص: ١١١)، وجاء في روح المعاني (١٦/ ٢٨٢) منسوباً للعجاج، قال في خزانة الأدب (٧/ ٥١٤): والصحيح أنه من رجزٍ لخطامٍ المجاشعي وهو شاعرٌ إسلاميٌّ لا لهميان بن قحافة.

(٢) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٣) نسبها له أبو حيان في تفسيره (٨/ ٢٨٦)

(٤) وهما سبعيتان، التخفيف للكوفيين كما في التيسير (ص: ٧٤)، ورواه هارون عن أبي عمرو، كما في الكامل للهذلي (ص: ٦٤٩)، وفي الأصل: وقرأ نافع بخلاف عنه وعاصم وطلحة إلخ... ولم أجد هذا الخلاف لنافع.

(٥) وهي شاذة، رواها عنه عبد الوارث كما في مختصر الشواذ (ص: ١٥٩).

ويحتمل أَن يكون (جِبرِيْلُ) رفعاً بالابتداءِ وما بعده عطف عليه و﴿ظَهِيرٌ﴾ الخبر، فيكونون حينئذ من الظهراء[(١)] لا في الولاية، ويختص بأَنه مولى الله تعالى.

واختلف الناس في (صَالح المؤمنين):

فقال الطبري وغيره من العلماءِ: ذلك على العموم يدخل في ذلك كل صالح.

وقال الضحاك، وابن جبير، وعكرمة: المراد أَبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ[(٢)]، وقال مجاهد نحوه، وقال أَيضاً: وعليٌّ رضي الله عنه.

وروى عليٌّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنه قال: (صَالح المؤمنين): علي بن أَبي طالب» ذكره الثعلبي[(٣)].

وقال قتادة، والعلاءُ بن زياد[(٤)]، وغيرهما: هم الأَنبياءُ عليهم السلام[(٥)]، وإِنما يترتب ذلك بأَن تكون مظاهرتهم بأَنهم قدوة وأُسوة، فهم عونٌ بهذا المعنى.

---

(١) في المطبوع: «من الظهر».

(٢) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٤٧٧)، وأبو نعيم في «فضائل الخلفاء» (١٠٣) من طريق الحسين ابن حريث، عن عبد الرحمن بن زيد العمي، عن أبيه، عن شقيق، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله عز وجل: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: أبو بكر، وعمر، وعبد الرحيم ابن زيد بن الحواريُّ العميُّ متروك.

(٣) منكر، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما عند ابن كثير (٨/ ١٦٤)، والثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٤٨) من طريق محمد بن يحيى بن أبي عمر، عن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، قال حدثني رجل ثقة، يرفعه إلى علي بن أبي طالب فذكره مرفوعاً، وهذا خبر ضعيف ومنكر كما قال ابن كثير؛ أولاً فيه راو لم يسم، ومحمد بن بن جعفر بن محمد هذا ذكره ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٢٧) حدثنا الجنيدي، عن البخاري حدثني إبراهيم بن المنذر حدثني إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي الهاشمي وكان أوثق من أخيه محمد وأقدم سناً.

(٤) هو العلاء بن زياد بن مطر بن شريح، أبو نصر العدوي البصري، أرسل عن النبي ﷺ وحدث عن عمران بن حصين وأبي هريرة وعنه الحسن، وقتادة، ومطر الوراق، وقد كان زاهداً خاشعاً قانتاً لله بكاء، توفي بالشام سنة ٩٤هـ، تاريخ الإسلام (٦/ ٤٤٤).

(٥) انظر قولهما في تفسير الثعلبي (٩/ ٣٤٨).

وقوله تعالى: ﴿وَصَٰلِحُ﴾ يحتمل أَن يكون اسم جنس مفرد، ويحتمل أَن يريد: «وصالحوا» فحذفت الواو في خط المصحف كما حذفوها في قوله تعالى: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨] وغير ذلك.

ويروى عن أَنس بن مالك رضي الله عنه: أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، لا تكترث بأَمر نسائك، والله معك وجبريل معك وأَبو بكر معك وأَنا معك، فنزلت الآية موافقة نحواً من قول عمر[١].

قال المهدوي: رُوي أَن هذه الآية نزلت على لسان عمر رضي الله عنه، وكذلك روي أَن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لزوجات النبي ﷺ: عَسَى رَبُّهَ إِنْ طَلَّقكُن أَن يُبَدِّله أَزواجاً خيراً منكن، فنزلت الآية على نحو قوله[٢]/ . [٥/ ٢١٦]

وقال عمر رضي الله عنه: قالت لي أُم سلمة: يا ابْن الخطاب أَدخلتَ نفسك في كل شيءٍ حتى دخلتَ بين الرسول ﷺ وبين نسائه، فأَخذتني أَخْذاً كسرتني به[٣].

وقالت لي زينب بنت جحش: يا عمر! أَما يقدر رسول الله ﷺ أَن يعظ نساءَه حتى تعظهن أَنت؟[٤].

وقرأَ الجمهور: ﴿طَلَّقَكُنَّ﴾ بفتح القاف وإِظهارها.

---

(١) بهذا اللفظ لم أقف عليه، وإنما أخرجه مسلم في حديث ابن عباس الطويل (١٤٧٩) قال ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وانظر التحصيل للمهدوي (٦/ ٤٣٥).

(٣) متفق عليه، هذا جزء من حديث ابن عباس الطويل الذي أخرجه البخاري (٤٩١٣) ومسلم (١٤٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٨٣) وليس فيه التصريح بالقائل، وإنما جاء التصريح بأنها زينب بنت جحش رضي الله عنها عند الخطيب في الأسماء المبهمة (٢/ ٦٩) من طريق حميد، عن أنس.

وقرأ أبو عمرو في رواية عباس عنه: ﴿طلَّكُّنّ﴾ بإدغام القاف في الكاف وشدها[١].

قال أبو علي: وإدغام القاف في الكاف حَسَن[٢].

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، والكوفيون، والحسن، وأبو رجاءٍ، وابن محيصن: ﴿أَن يُبْدِلَهُۥ﴾ بسكون الباءِ وتخفيف الدال.

وقرأ نافع، وأبو عمرو، والأعرج، وأبو جعفر: ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ﴾ بفتح الباءِ وشدِّ الدال[٣]، وهذه لغة القرآن في هذا الفعل.

وكرر تعالى الصفات مبالغة وإن كان بعضها يتضمن بعضاً، فالإسلام إشارة إلى التصديق والعمل، والإيمانُ تخصيص للإخلاص[٤] وتنبيه على شرف موقعه.

و﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ معناه: مطيعات.

و«السَّائحات» قيل: معناه صائمات، قاله أبو هريرة، وابن عباس[٥]، وقتادة[٦]، والضحاك[٧]، وذكر الزجاج أن النبي ﷺ قاله[٨].

---

(١) وهي سبعية، للسوسي بخلفه كما في التيسير (ص: ٢٢)، ورواية عباس في النشر (١/ ٢٨٦). وفي الحمزوية: «ابن عياش».

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٠٣).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٤٥)، والنشر (٢/ ٣١٤).

(٤) «للإخلاص» ليست في المطبوع.

(٥) أثر أبي هريرة سيأتي فقد اختلف في رفعه ووقفه، وأما أثر ابن عباس رضي الله عنه فقد أخرجه الطبري (٢٣/ ١٠١) من طريق عطية العوفي.

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٠٣).

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٩٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٥٧٤).

(٨) معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٩٤)، والصحيح مرسل أو موقوف، أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٣٦) ومن طريق البيهقي في الشعب (٣٥٧٨) من طريق جنيد بن حكيم الدقاق، عن حامد ابن يحيى البلخي، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير، عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ عن السائحين فقال: «هم الصائمون»، وقد اختلف على ابن عيينة فروي عنه موصولاً كما تقدم في هذه الرواية، قال البيهقي: هكذا روي بهذا الإسناد موصولاً، والمحفوظ عن =

وقيل: معناه: مهاجرات، قاله زيد بن أَسلم[١].

وقال ابن زيد: ليس في الإِسلام سياحة إِلَّا الهجرة[٢].

وقيل: معناه: ذاهبات في طاعة الله تعالى، وشبه الصائم بالسائح من حيث ينهمل[٣] السائح ولا ينظر في زاد ولا مطعم، وكذلك الصائم يمسك عن ذلك فيستوي هو والسائح في الامتناع وشظف العيش بفقد الطعام.

وقوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ تقسيم لكل واحدة من الصفات المتقدمة، وليست هذه الواو مما يمكن أَن يقال فيها: واو الثمانية؛ لأَنها هاهنا ضرورية ولو سقطت لاختلَّ المعنى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾.

= ابن عيينة عن عمرو عن عبيد بن عمير عن النبي ﷺ مرسلاً، وهذه الرواية أخرجها مسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٢١٨٢)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٠٥)، وفي معرفة السنن (٦/ ٣٦٧) من طريق علي بن المديني، والطبري (١٢/ ١٠) من طريق عبيد بن وكيع كلاهما عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير مرسلاً وهو الصواب، وقد أخرجه ابن المقرئ في معجمه (٥٧٤) والدارقطني في العلل (٨/ ٢٠٧) من طريق أبي عوانة، والعقيلي في الضعفاء (٤٩٩) وابن عدي في الكامل (٢/ ٢٢٠) من طريق حكيم بن خذام أبو سمير، كلاهما ـ أبو عوانة، وحكيم ـ عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً، قال الدارقطني: والصحيح عن الأعمش موقوفاً، عن أبي هريرة. اهـ.

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٩٠)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣٤٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ٤٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٩٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٥٧٤)، بتصرف يسير.

(٣) في المطبوع: «ينهمك».

[قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ معناه: اجعلوا وقاية بينكم وبين النار، وقد تقدم غير مرة تعليل اللفظة][٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ معناه: بالوصية لهم والتقويم[٥] والحمل على طاعة الله تعالى.

وفي حديث: «لا تزن فيزن أَهلك»، وفي حديث آخر: «رحم الله رجلاً قال: يا أَهلاه، صلاتَكُم، صيامكُم، مِسْكِينَـكُم، يَـتِيمَكُمْ»[٦].

وقرأ الجمهور: ﴿وَقُودُهَا﴾ بفتح الواو.

وقرأ مجاهد، والحسن، وطلحة، وعيسى، والفياض بن غزوان، وأَبو حيوة بضمها[٧].

وقيل: هما بمعنى، وقيل: الضم مصدر والفتح اسم.

ويروى: أن الحجارة هي حجارة الكبريت، وقد تقدم القول في ذلك في سورة البقرة، ويروى أَنها جميع أَنواع الحجارة.

وفي بعض الحديث: أَن عيسى بن مريم عليه السلام سمع أَنيناً بفلاة من الأَرض، فتتبَّعه حتى بلغ إِلى حجر يَـئِنُّ ويحزن، فقال له: ما بالك[٨] أَيُّها الحجر؟ قال: يا روح الله إِني سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ فخفت أَن أَكون من تلك الحجارة، فعجب منه عيسى عليه السلام وانصرف[٩]، ويشبه أَن يكون هذا المعنى في

(٤) سقط من الحمزوية وأحمد٣.
(٥) في المطبوع ونجيبويه: «التقديم»، وفي أحمد٣: «التقوي».
(٦) لم أقف عليهما.
(٧) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢٣).
(٨) في المطبوع ونور العثمانية: «ما لك».
(٩) أخرجه ابن المنذر في تفسيره كما في الدر المنثور (١٤/ ٥٩١).

التوراة أَو في الإِنجيل، فذلك الذي سمع الحجر إِذا عُبِّر عنه بالعربية كان هذا اللفظ.

ووصْف الملائكة بالغلظة معناه في القلوب والبطش الشديد والفظاظة، كما قال تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

و«الشِّدَّةُ»: القوَّة، وقيل: المراد شدَّتهم على الكفَّار، فهي بمعنى الغلظة.

ثم وصفهم تعالى بالطواعية لربهم، وكرَّر المعنى تأْكيداً بقوله سبحانه: ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ ما يقتضي أَنهم يُدخلون الكفار النَّار بجد واختيار ويغلظون عليهم، فكأَنه قال بعد تقرير هذا المعنى: فيقال للكفار: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَ﴾، أَي أَن المعذرة لا تنفعكم، وإِنما تجزون بأَعمالكم، فلا تلوموا إِلَّا أَنفسكم.

ثم أَمر عباده بالتوبة، والتوبةُ فرض على كل مسلم(١).

و«تاب» معناه: رجع، فتوبة العبد رجوعه من المعصية إِلى الطاعة، وتوبة الله تعالى على العبد إِظهار صلاحه ونعمته عليه في الهداية للطاعة، وقبول توبة الكافر يُقطع على الله تعالى بها إِجماعاً من الأُمة(٢).

واختلف الناس في توبة العاصي:

فجمهور أَهل السُّنَّة على أَنه لا يُقطع بقبولها ولا ذلك على الله تعالى بواجب، والدليل على ذلك دعاءُ كل أَحد من التائبين في قبول التوبة، ولو كان مقطوعاً بها لما كان للدعاءِ معنًى في قبولها، وظواهر القرآن في ذلك هي كلها بمعنى المشيئة(٣).

---

(١) انظر الإجماع على فرضية التوبة على كل مسلم في: الإقناع (٤/ ٢٠٧٣).

(٢) انظر الإجماع على صحة توبة الكافر في شرح المقاصد (٢/ ٢٤٤).

(٣) انظر مذهب جمهور أهل السنة بأن التائب غير الكافر واقع قبول توبته تحت المشيئة في: شرح المقاصد (٢/ ٢٤٢).

وروي عن أبي الحسن الأَشعري أَنه قال: التوبة إِذا توافت[١] شروطها قطع على الله تعالى بقبوله لأَنه أَخبر بذلك[٢].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا تمسُّك بظواهر القرآن، وعلى هذا القول أَطبقت المعتزلة[٣].

والتوبة: الندم على فارط معصية، والعزم على ترك مثلها في المستقبل، هذا من المتمكن، وأَما غير المتمكن كالمجبوب في الزنا؛ فالندم وحده يكفيه، والتوبة عبادة كالصلاة وغيرها، فإِذا تاب العبد وحصلت توبته بشروطها وقبلت ثم عاود الذنب فتوبته الأُولى لا تفسدها عودة، بل هي كسائر ما يحصل من العبادات[٤].

و«النَّصُوحُ» بناءُ مبالغة من النُّصح، أَي: توبة نصحت صاحبها وأَرشدته.

وقرأَ الجمهور: ﴿نَصُوحًا﴾ بفتح النون.

وقرأَ أَبو بكر عن عاصم، وخارجة عن نافع، والحسن، والأَعرج، وعيسى: ﴿نُصُوحاً﴾ بضم النون[٥]، وهو مصدر، يقال: نصح يَنْصَح نصَاحةً ونُصُوحاً، قاله الزجاج[٦].

فوصف التوبة بالمصدر كالعدل والزور ونحوه/. [٥/ ٢١٧]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: التوبة النَّصوحُ: هي أَن يتوب ثم لا يعود ولا يريد أَن يعود[٧].

---

(١) في المطبوع: «توافرت»، وفيه: «عن الحسن الأشعري».

(٢) انظر ما نسبه المؤلف لأبي الحسن الأشعري في شرح الزرقاني على الموطأ (٢/ ١١٨).

(٣) انظر قول المعتزلة بالقطع بقبول توبة العاصي في شرح المقاصد (٢/ ٢٤٢).

(٤) انظر معنى التوبة في الشرع وشروطها وصحتها مع تكرر أسبابها في: شرح المقاصد (٢/ ٢٤١-٢٤٢).

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٢١٢)، وخارجة عن نافع في السبعة (ص: ٦٤١).

(٦) معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٩٤).

(٧) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠٣)، وابن أبي شيبة (٣٥٦٣٢)، وهناد في الزهد =

وقال أَبو بكر الوراق: هي أَن تضيق عليك الأَرض بما رحبت كتوبة الذين خُلِّفوا[١].

وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ الآية ترجية، وقد رُوي أَن «عَسَى» من الله تعالى واجبة.

والعامل في ﴿يَوْمَ﴾ هو (يُدْخِلكُمْ).

ورُوي في معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾: أَن محمداً ﷺ تضرَّع في أمر أُمَّته فأَوحى الله تعالى إِليه: إِن شئت جعلتُ حسابهم إِليك، فقال: يا ربِّ أَنت أَرحم بهم، فقال الله تعالى: إِذاً لا أُخزيك فيهم[٢]، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾.

والخِزْيُ المكروهُ الذي يترك الإِنسان حيران خجلاً مهموماً بأَن يرى نقصه أَو سوءَ منزلته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ يحتمل أَن يكون معطوفاً على ﴿ٱلنَّبِىَّ﴾ فيخرج المؤمنون من الخزي.

ويحتمل أَن يكون ابتداءً، و﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾ جملة هي خبره، ويبقى النبي ﷺ مخصوصاً مُفضلاً بأَنه لا يَخزى.

وقد تقدم القول في نظير قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

وقرأَ سهل بن سعد: (بِإِيْمَانِهِمْ) بكسر الهمزة[٣].

= (٩٠١) وغيرهم من طريق الثوري عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير، عن عمر رضي الله عنه، بنحوه.

(١) لم أقف عليه.

(٢) منكر، أخرجه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٦٣) قال: حدثني الحسين بن عبد الرحمن عن شيخ من قريش قال: أوحى الله إلى نبيه محمد ﷺ: «أتحب أن أجعل أمر أمتك إليك، قال: لا يا رب أنت خير لهم، فأوحى الله عز وجل إليه إذن لا أخزيك فيهم».

(٣) وهي شاذة، وانظر: المحتسب (٢/ ٣١٠)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٧٨) وفيهما سهل بن شعيب، وتقدم مثلها في (سورة الحديد).

وقولُه تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ قال الحسن بن أَبي الحسن: هو عندما يرون من انطفاءِ نور المنافقين حسب ما تقدم تفسيره، وقيل: يقوله من أُعطي من النور بقدر ما يرى من موضع قدميه فقط[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٩ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلࣰا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحࣲ وَٱمۡرَأَتَ لُوطࣲۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـࣰٔا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّـٰخِلِينَ ۝١٠﴾.

هذه الآية تأكيد لأَمر الجهاد وفرضه المتقدم، والمعنى: دُمْ على جهاد الكافرين بالسيف، وجاهد المنافقين بنجههم[2] بإِقامة الحدود عليهم، وضربهم في كل جرائمهم وعند قوة الظن بهم، ولم يعين الله تعالى لرسوله ﷺ منافقاً يقع القطع بنفاقه؛ لأَن التشهد الذي كانوا يُظهرون كان مُلْبساً لأَمرهم، مُشبهاً لهم بالعصاة من الأُمة، و«الغِلْظَةُ عليهم»: هي فظاظة القلب والانتهار وقلة الرفق بهم.

وقرأَ الضحاك: (وَأَغْلِظْ) بكسر اللام وقطع الأَلف[3].

وهذان المثلان اللَّذان للكفار والمؤمنين معناهما: أَن من كفر لا يُغني عنه من الله شيءٌ، ولا ينفعه وَزَرٌ ولو كان متعلقاً بأَقوى الأَسباب، وأَن من آمن لا يدفعه دافع عن رضوان الله تعالى ولو كان في أَسوأ منشأ وأَخَسِّ حال، وقال بعض الناس: إِن في المثلين عبرة لزوجات النبي ﷺ حين تقدم عتابُهُنَّ. وفي هذا بُعْد؛ لأَن النَّص أَنه للكفار يُبعد هذا.

واختلف الناس في خيانة هاتين المرأَتين ـ فقال ابن عباس وغيره: خانتا في

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٩٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/ ٢٢١) بتصرف. و«موضع» ليست في الأصل.
(٢) «بنجههم» ليست في المطبوع، وهي غير واضحة في أحمد٣.
(٣) وهي شاذة، عزاها له الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٨) لكن ضبطها بكسر الهمز واللام.

الكفر، وفي أَن امرأَة نوح كانت تقول للناس: إِنه مجنون، وأَن امرأَة لوط كانت تنم إلى قومه متى ورد ضيف، فتخبر به[(١)].

قال ابن عباس: وما بغت زوجة نبي قط ولا ابتُلي الأَنبياءُ في نسائهم بهذا[(٢)].

وقال الحسن ـ في كتاب النقاش ـ: خانتاهما بالكفر والزنا وغيره[(٣)].

وقرأَ الجمهور: ﴿يُغْنِيَا﴾ بالياءِ، وقرأَ مبشر بن عبيد: (تُغْنِيَا) بالتاءِ من فوق[(٤)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

امرأَة فرعون اسمها: آسية.

وقولها: ﴿وَعَمَلِهِ﴾ معناه: وكُفْره وما هو عليه من الضلالة، هذا قول كافة المفسِّرين.

وقال جمهور من المفسِّرين: معناه: من ظلمه وعقابه وتعذيبه لي.

ورُوي في هذا: أَن فرعون اتَّصل به إِيمانها بموسى عليه السلام، وأَنها تحب أَن يغلب، فبعث إِليها قوماً فقال: إِن رأَيتم منها ذلك فابطحوها في الأَرض، وَوَتِّدُوا يديها

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٩٨) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس بنحوه. وفي أحمد٣: «كانت تقول لقومه متى ورده ضيف وتنم عليه وتخبر به»، وكذا في المطبوع، إلا أنه سقط منه: «وتنم عليه».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٤٣) من طريق: الضحاك عن ابن عباس قال: قال، ما بغت امرأة نبي قط.

(٣) البحر المحيط (١٠/ ٢١٥).

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٨). وفي المطبوع: «بشر».

ورجليها، وأَلقوا عليها أَعظم حجر، وإِن لم تروا ذلك فهي امرأَتي، قال: فذهب القوم، فلما أَحسَّت بالشَّرّ منهم دعت بهذه الدعوات؛ فقبض الله تعالى روحها، ووضع أُولئك أمر الحجر[(١)] بشخص لا روح فيه، ورُوي في قصصها[(٢)] غير هذا مما يطول فاختصرته لعدم صحته.

وقال آخرون ـ في كتاب النقاش ـ: ﴿وَعَمَلِهِۦ﴾ كناية عن الوطءِ والمضاجعة[(٣)]. وهذا ضعيف.

واختلف الناس في الفرج التي أَحصنت مريم عليها السلام:

فقال الجمهور: هو فرج الدِّرْع الذي كان عليها، وأَنها كانت صبية[(٤)]، وأَن جبريل عليه السلام نفخ فيها الروح من جيب[(٥)] الدِّرع.

وقال قوم من المتأولين[(٦)]: هو الفرج الجارحة، ولفظة ﴿أَحۡصَنَتۡ﴾ إِذا كان فرج الجارحة متمكنة حقيقة، والإِحصانُ: صَوْنُه، وهي فيه مستعملة.

وإِذا قدرناه فرج الدِّرْع فلفظة ﴿أَحۡصَنَتۡ﴾ مستعارة من حيث أَحصنته وصانته ومن حيث صار[(٧)] مسلكاً لولدها.

وقوله تعالى: ﴿فَنَفَخۡنَا﴾ عبارة عن فعل جبريل عليه السلام، ونَفْخ جبريل عليه السلام حقيقة، وإِن ذهب ذاهب إِلى أَن النَّفْخ فعل الله تعالى، فهو عبارة عن خلقه واختراعه الولد في بطنها، وشبه ذلك بالنفخ الذي من شأْنه أَن يُسير الشيءَ برفق ولطف.

---

(١) «أمر» ليست في الأسدية٣، والمطبوع، وفي الأصل: «حجر الأمر».

(٢) «في قصصها» ليس في المطبوع.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في الأصل والأسدية٤: «صينة».

(٥) في الحمزوية: «جنب».

(٦) «من المتأولين» ليست في الأسدية٣، والمطبوع وأحمد٣.

(٧) في المطبوع: «سار».

وقوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ إِضافة مخلوق إِلى خالق، ومملوك إِلى مالك، كما تقول: بَيْتُ الله، وناقة الله، كذلك الروح والجنس كله هو روح الله.

وقرأ الجمهور: ﴿وَصَدَّقَتْ﴾ بشدِّ الدال، وقرأ أبو مجلز بتخفيفها[١].

وقرأ جمهور الناس: ﴿بِكَلِمَـٰتِ﴾ على الجمع، وقرأ الجحدري: (بِكَلِمَةِ) على الإِفراد[٢].

فأَما الإِفراد فَيُـقَـوِّي أَنْ يريد أَمر عيسى عليه السلام.

ويحتمل أَن يريد اسم جنس وهو التوراة.

ومن قرأ بالجمع فَيُـقَـوِّي أَنه يريد التوراة، ويحتمل أَن يريد أَمر عيسى عليه السلام.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأَبو بكر عن عاصم، ونافع: ﴿وَكِتَابِهِ﴾ على التوحيد.

وقرأ أَبو عمرو، وحفص عن عاصم، وخارجة عن نافع: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ بضم التاءِ على الجمع[٣].

وقرأ أَبو رجاءٍ بسكون التاءِ: (وَكُتْبِهِ)[٤]، وذلك كله مُراد به التوراة والإِنجيل.

و«الْقَانِتُونَ»: العابدون، والمعنى: كانت من القوم القانتين في عبادتها وحال دينها.

كمل تفسير (سورة التحريم)، والحمد لله ربِّ العالمين

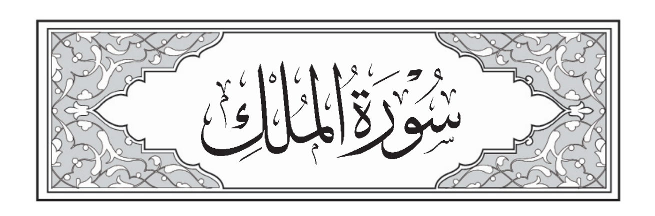
* * *

(١) وهي شاذة، عزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٧٨) لقتادة.

(٢) وهي شاذة، نسبها له الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٥٢) وزاد الحسن وعيسى.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٢)، وخارجة عن نافع في السبعة (ص: ٦٤١).

(٤) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢٣).



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الْمُلْك، على بركة الله تعالى وعونه

وهي مكية بِإجماع.

وكان رسول الله ﷺ يقرؤها كل ليلة عند أَخْذ مضجعه، رواه جماعةٌ مرفوعاً إِلى جابر بن عبد الله[(١)].

(١) في صحته نظر، هذا الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٢٤)، وأحمد (٣/ ٣٤٠)، وعبد بن حميد (١٠٤٠)، والدارمي (٣٤١١)، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٠٩)، والترمذي (٢٨٩٢)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٢٣٨)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٧٥-١٠٤٧٦)، والطبراني في الدعاء (٢٦٦-٢٦٧-٢٦٩-٢٧٠-٢٧١-٢٧٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٥٥) وغيرهم من طرق عن ليث بن أبي سليم، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ آلم تنزيل وتبارك. وليث بن أبي سليم ضعيف، وذكر الحاكم وربما يفهم من كلام أحمد كما سيأتي أن مدار الحديث عليه، ولكنه قد توبع من المغيرة بن مسلم القسملي وهو صدوق، كما عند البخاري في الأدب المفرد (١٢٠٧)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٧٤)، وتوبع أيضاً من داود بن أبي هند كما عند الطبراني في الصغير (٩٥٣)، وتابعه عبد الحميد بن جعفر، كما عند الطبراني في الأوسط (١٤٨٣)، جميعهم ـ ليث، والمغيرة، وداود، وعبد الحميد ـ عن أبي الزبير به، وأبو الزبير مدلس وقد عنعنه، لكن أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢٥١-٢٥٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٤٧٧)، والترمذي (٢٨٩٢) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٢)، والبيهقي في الشعب (٢٤٥٦) من طريق أبي خيثمة =

....

= زهير بن معاوية قال: قلت: لأبي الزبير أسمعت أن جابراً يذكر: أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك؟ فقال أبو الزبير: حدثنيه صفوان أو أبو صفوان، وجاء عند الترمذي وغيره: صفوان أو ابن صفوان، وفي فضائل القرآن أن الشاك هو زهير بن معاوية، وقال الترمذي عقبه: وكأن زهيراً أنكر أن يكون هذا الحديث عن أبي الزبير عن جابر، وروى ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ٢٦٠) من طريق: أبي عبد الله محمد بن مخلد العطار عن أبي جعفر حمدان ابن علي الراق قال: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن حديث زهير، عن أبي الزبير، عن جابر أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ السجدة وتبارك، قال: حسبك بزُهير إذا جاء بالشيء، هو وقفه، وإنما ذاك ليث رواه، ووقع في بحر الدم لابن عبد الهادي رقم (٣٢٠) رواية محمد بن يحيى وقد سألت عن حديث زهير عن أبي الزبير عن جابر: أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ السجدة وتبارك، قال: حسبك بزهير إذا جاءك بالشئ، زهير ثقة، وإنما ذلك ليث رواه، وقال الدارقطني في العلل (١٣/ ٣٤٠): وقول زهير أشبه بالصواب من قول ليث، ومن تابع، وأجاب أبو حاتم برواية زهير على حديث ليث كما في العلل (١٦٦٨)، وقال الحاكم عقب رواية زهير هذه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه لأن مداره على حديث ليث بن أبي سليم عن أبي الزبير، أقول: الذي يقتضيه قول أبي الزبير عند الأكثر: حدثنيه فلان، وزاد عند أبي عبيد في فضائل القرآن وابن الجعد في مسنده (٢٦١١) من لفظ أبي الزبير: ليس جابر حدثنيه، ولكن حدثنيه صفوان أو ابن صفوان، دون أن يبين أنه حدثه به عن جابر، تفسير الترمذي لعبارة أبي الزبير في جوابه على زهير بن معاوية بقوله: وكأن زهيراً أنكر أن يكون هذا الحديث عن أبي الزبير عن جابر.اهـ. يعني كأن زهيراً خرص أن يكون عن أبي الزبير عن غير جابر، ولم يقل الترمذي: كأن زهيراً أنكر أن يكون هذا الحديث سمعه أبو الزبير من جابر، إشارة إلى تدليسه المعروف به، وعبارة الحافظ في الإصابة (٣/ ٣٦٠) بعد بحث في معرفة صفوان هذا: الأقرب أن يكون هو صفوان بن عبد الله الراوي عن أم الدرداء وهو تابعي.اهـ، ولم يشر الحافظ أنه واسطة بينه وبين جابر، تشير هذه القرائن إلى أن أبا الزبير إنما سمع هذا الخبر من ذلك الرجل ـ الذي وقع الشك في اسمه ـ أن رسول الله ﷺ كان لا ينام... إلى آخره، ولا ذِكر لجابر فيه، ويكون كُلُّ من رواه عن أبي الزبير عن جابر إنما سلك الجادة فيه من حديث أبي الزبير، وإذا كان ذلك الرجل ربما كان هو صفوان بن عبد الله الراوي عن أم الدرداء وهو تابعي، على قول ابن حجر أنه الأقرب، فيكون الصواب في الحديث أنه مرسل، وليس بمتصل، وإذا كان غيره فهو مجهول لا يعرف، وقد أخطأ كل من حمل رواية زهير هذه على أن صفوان هذا هو الواسطة بين أبي الزبير وجابر، ثم حملوه على أنه الذي احتمله ابن حجر، وقد وثق، فصححوا الحديث بناء على أنه قد زال تدليس أبي الزبير عن جابر بتوقيف زهير له، وبيان أبي الزبير للواسطة فيه، وأنه ثقة. تنظر السلسلة الصحيحة رقم (٥٨٥)، وهذا =

ويُروى عنه أَنه قال: «إِنها لتُنجي من عذاب القبر، وتجادل عن حافظها حتى لا يُعَذَّب»[١].

ويروى أَن في التوراة: سورة الملك، من قرأَها في ليلة فقد أَجاد وطيب.

وروي عن ابن عباس أَن النبي ﷺ قال: «وَدِدْتُ أَن سورة تَبارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ في قلب كل مؤمن»[٢].

= الحمل لا دليل عليه، وكذا تعيينه بصفوان المذكور إنما هو ظن، وقد شك فيه زهير، والصواب ما تقدم من دلالة عبارة الترمذي وغيرها كما سبق، والله تعالى أعلم، ثم وقفت على رواية زهير منصوص فيها على ما ذهبت إليه؛ قال أبو الفتح الأزدي في كتابه المخزون (٣٩): صفوان أو ابن صفوان تفرد عنه بالرواية أبو الزبير، ثنا أحمد بن الهمداني، ثنا أحمد بن محمد بن يحيى الجعفي، ثنا أبي، ثنا الرحيل ابن معاوية، وأخوه حديج، وأخوه زهير، عن ليث بن أبي سليم، عن أبي الزبير، عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده الملك، قال زهير: فقلت لأبي الزبير: سمعت من جابر؟ فقال: حدثني صفوان أو ابن صفوان أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده الملك، أحمد بن الهمداني هو أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، وهو حافظ لكنه ليس بالعمدة، وشيخه ترجمه الذهبي في الميزان (١/ ١٥٢) وقال: قد وثق. وقال الدارقطني: ليس ممن يحتج به. هذه رواية حمزة السهمي عنه. وروى الحاكم عن الدارقطني: لا بأس به. أكثر عنه ابن عقدة، وروى عنه ابن صاعد، وأبوه لم أقف على ترجمته، وقد جمع فيه إخوة زهير عن ليث، وهو غريب، وعلى كل حال فمع تأكيد هذا السياق لما يظهر لي وبينته سابقاً فإنه إسناد لا تقوم به الحجة لشذوذه وغرابته.

(١) ضعيف، أخرج الترمذي (٢٨٩٠) عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، والطبراني في الكبير (١٢٨٠١)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٨١)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (١٥٠) من طريق محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، عن يحيى بن عمرو بن مالك النكري، عن أبيه، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر»، ويحيى ابن عمرو بن مالك النكري ضعيف، ويقال إن حماد بن زيد كذبه كما في التقريب (٧٦١٤).

(٢) ضعيف، أخرجه ابن أبي الدنيا في المتمنين (١٣٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٦٤)، والثعلبي في =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

﴿تَبَٰرَكَ﴾ تَفَاعَلَ، من البركة، وهي التَّزَيُّد في الخيرات، ولم يستعمل «يتبارك» ولا «متبارك».

وقوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ﴾ عبارة عن تحقيق الْمُلْك؛ وذلك أَن اليَدَ في عُرف الآدميِّين هي آلة التملُّك، فهي مستعارة لذلك[1].

و﴿ٱلْمُلْكُ﴾ على الإِطلاق هو الذي لا يَبِيدُ ولا يختل منه شيءٌ، وذلك هو مُلكُ الله تعالى.

وقيل[2]: المرادُ في هذه الآية: ملك الملوك، فهي بمنزلة قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦] ذكره الثعلبي عن ابن عباس[3].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ عموم، والشيءُ معناه في اللغة: الموجود.

و﴿ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ معنيان يتعاقبان جسم الحيوان، يرتفع أَحدهما بحلول الآخر.

وما في الحديث من قوله ﷺ: «يُؤْتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أَمْلح فيذبح على الصراط»[4]، فقال أَهل العلم: ذلك تمثال كبش يُوقع اللهُ تعالى العِلْم الضروري لأهل

= تفسيره (٩/ ٣٥٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/ ٢٧٠) من طريق حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه، مرفوعاً بنحوه، وحفص بن عمر بن ميمون العدني الملقب بالفرخ ضعيف، وقد توبع من إبراهيم بن الحكم بن أبان كما في مسند عبد بن حميد (٦٠٣)، والطبراني في الكبير (١١٦١٦) عن الحكم بن أبان، عن عكرمة به، وإبراهيم بن الحكم ابن أبان العدني ضعيف.

(١) تقدم التنبيه على صفة اليد لله تعالى.

(٢) «وقيل» ليست في المطبوع وأحمد٣.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الدارين أَنه الموت الذي ذاقوه[(١)] في الدنيا، ويكون ذلك التمثال حاملًا للموت لا عَلىَ أَنه يحلُّ الموت فيه، فتذهب عنه حياتُه، ثم يقرن الله تعالى بذبح ذلك التمثال إِعدام الموت.

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾؛ أَي: [جعل لكم هاتين الحالتين ليبلوكم؛ أي][(٢)]: ليختبركم في حال الحياة ويُجازيكم بعد الموت.

وقال أَبو قتادة ـ ونَحْوه عن ابن عمر: قلتُ: يا رسول الله، ما معنى قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ﴾؟ فقال: «يقول تعالى: أَيكم أَحسن عَقْلاً، وأَشدكم لله تعالى خوفاً، وأَحسنكم في أَمْره ونَهْيه نظراً، وإِن كانوا أَقلَّكُم تطوعاً»[(٣)].

وقال ابن عباس، وسفيان الثوري، والحسن بن أَبي الحسن: أَيّـكُم أحسن عملاً: أَزهدكم في الدنيا[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ دالٌّ على فعل، تقديره: فينظر أَو فيعلم أَيكم، وقال جماعة من المتأولين: الموتُ والحياة عبارة عن الدنيا والآخرة، سمَّى هذه موتاً من حيث فيها الموت، وسمَّى تلك حياة من حيث لا موت فيها، فوصفهما بالمصدرين على تقدير حذف مضاف كعَدْل وزَوْر، وقدَّم الموت في اللفظ لأَنه متقدم في النفس هيبة وغلظة.

و﴿طِبَاقًا﴾ قال الزجاج: هو مصدر[(٥)].

---

(١) في المطبوع: «خافوه».

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (١٥/ ٢٥٠) عن داود بن المحبر، وابن أبي حاتم (١٠٧٠٥)، والثعلبي (٩/ ٣٥٥) من طريق داود، عن عبد الواحد بن زياد، عن كليب بن وائل، عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه تلا هذه الآية: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ﴾، قال: «أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله»، وداود بن المحبر الطائي متروك.

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٥٦)، وتفسير الماوردي (٦/ ٥٠)، وتفسير بن أبي حاتم (٨/ ١٢٩)، والهداية لمكي (٦/ ٤٣٢٤، ٤٣٢٥).

(٥) معاني القرآن للزجاج (٥/ ١٩٨).

وقيل: هو جمع طَبْـقَة أَو جمع طبق؛ مثل رحْبة ورحاب أَو جمل وجمال، والمعنى: بعضها فوق بعض.

وقال أَبان بن تغلب: سمعت أَعرابياً يذم رجلاً فقال: شرُّه طباق، وخيرُه غير باق[(١)].

وما ذكر بعض المفسرين في السماوات أَن بعضها من ذهب وفضة وياقوت ونحو هذا؛ ضعيف كلُّه لم يثبت بذلك حديث، ولا يعلم أَحد من البشر حقيقة لهذا.

وقوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾ معناه: من قِلَّةِ تناسب ومن خروج عن الاتفاق، والأمر المتفاوت: هو الذي يجاوز الحدود التي توجب له زيادةً أَو نقصاً.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿مِن تَفَٰوُتٖ﴾.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وابن مسعود، وعلقمة، والأسود، وابن جبير، وطلحة، والأعمش: ﴿من تَفَوُّتٍ﴾[(٢)]، وهما بمعنى واحد.

وقال بعض العلماءِ: ﴿فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ يعني بِهِ السماوات فقط، وهي التي تضمن اللفظ، وإِيَّاها أَراد بقوله تعالى: ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾، وإِيَّاها أَراد بقوله: ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ﴾ الآية، قالوا: وَإِلَّا ففي الأرض فطور.

وقال آخرون: ﴿فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ يعني به جميع ما خلق الله تعالى من الأَشياءِ فإِنَّها لا تفاوت فيها ولا فطور جارية على غير إِتقان، ومتى كانت فطورٌ لا تفسد الشيءَ المخلوق من حيث هو ذلك الشيءُ بل هي إِتقان فيه؛ فليست تلك المرادة في الآية.

وقال منذر بن سعيد: أَمر الله تعالى بالنظر إِلى السماءِ وخلقها ثم أَمر تعالى

---

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٥٦).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٢).

بالتكرير في النظر، وكذلك جميع المخلوقات متى نظرها ناظر ليرى فيها خَلَلاً أَو نقصاً فإِن بصره ينقلب خاسئاً حسيراً[١].

و«رَجْعُ البصر»: تَـرْديدُهُ في الشيءِ المُبْصَر.

وقوله تعالى: ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ معناه: مَرَّتين، ونصبه على المصدر.

و«الخاسِئُ»: الْمُبْعَد بِذُلٍّ عن شيءٍ أَراده وحرص[٢] عليه، ومنه الكلب الخاسئُ.

ومنه قول النبي ﷺ لابن صيَّاد: «اخْسَأْ، فلن تَعدوَ قَدْرَك»[٣].

ومنه قوله تعالى في الكفار الحريصين على الخروج من جهنم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وكذلك هذا البصر يحرصُ على رؤية فُطُورٍ أَو تَفَاوُتٍ فلا يجد ذلك فينقلب خاسئاً.

و«الحَسِيرُ»: المُعْيي الكالُّ، ومنه قول الشاعر:

لَهُنَّ الْوَجى لوكُنَّ عَوْناً عَلَى النَّوَى ... وَلَا زالَ مِنْهَا ظَالِعٌ وَحسيرُ[٤] [الطويل]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا / وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾. [٥/ ٢٢٠]

أَخبر الله تعالى أَنه زيَّن السماءَ الدنيا ـ أَي التي تلينا ـ بمصابيح وهي النجوم، فإِن كانت جميع النجوم في السماءِ الدنيا فهذا اللفظ عامٌّ للكواكب، وإِن كان في سائر

(١) تفسير الثعالبي (٤/ ٣٢٠).

(٢) في المطبوع: «عرض».

(٣) متفق عليه، هذا جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٣٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٤) تقدم في تفسير الآية (١٩) من (سورة الأنبياء).

السماوات كواكب فإِمَّا أَن يريد كواكب سماءِ الدنيا فقط، وإِما أَن يريد الجميع على أَن ما في غيرها لمَّا كانت هي تشفُّ عنه ويظهر منها فقد تزينت به بوجه ما، ومَنْ تكلف القول بمواضع الكواكب وفي أَي سماءٍ هي فقوله ليس من الشريعة.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ معناه: وجعلنا منها، وهذا كما تقول: أَكرمتُ بني فلان وصنعت بهم، وأَنت إِنما فعلت ذلك ببعضهم دون بعض، ويوجب هذا التأويل في الآية أَن الكواكب الثابتة والبروج وكل ما يُهتدى به في البر والبحر فليست براجم، وهذا نص في حديث السير.

وقال قتادة: خلق الله تعالى النجوم للسماءِ زينة ورجوماً للشياطين[١].

وليُهتدى بها في البر والبحر. ومن قال غير هذه الخصال الثلاث فقد تكلَّف وأَذهب حظَّه من الآخرة.

و(أعتدنا): معناه أَعددنا، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ عائد على الشياطين.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ﴾ بالرفع على الابتداءِ، والخبر في المجرور المتقدم.

وقرأَ الحسن في رواية هارون عنه: (عَذَابَ جَهَنَّمَ) بالنصب[٢] على معنى: وأَعتدنا للذين كفروا عَذَابَ جهنَّم، فالواو عاطفة فعل على فعل.

وتضمنت هذه الآية أَن عذابَ جهنم للكفار المخلَّدين.

وقد جاءَ في الأَثر: أَنه يمرُّ على جهنَّم [زمن تخفق أبوابها][٣]، قد أَخلتها الشفاعة، فالذي يقال في هذا أَنَّ «جَهَنَّمَ» اسم[٤] تختص به الطبقة العُلْيا من النار، ثم قد

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٠٨).

(٢) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٣٠٨).

(٣) في المطبوع وأحمد٣: «زُمَرٌ تخفق أَثوابُها».

(٤) «اسم» ليست في المطبوع.

تسمَّى الطبقات كلها جَهَنَّمَ باسم بعضها، وهذا كما يقال «النجم» للثريَّا، ثم يقال ذلك للكواكب اسم جنس، فالذي في هذه الآية: هي جَهَنَّمُ بأسرها، أَي جميع الطبقات، والتي في الأثر: هي الطبقة العليا لأَنها مقرُّ العصاة.

و«الشَّهِيقُ» أَقبح ما يكون من صوت الحمار، فاحتدام النار وغليانها يصوِّت مثل ذلك.

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾؛ أَي: يُزَايِل بعضُها بعضاً لشدة الاضطراب، كما قال الشاعر في صفة الكلب يحتدم في جريه:

.... يـكادُ أن يَخْـرجَ عـنْ إِهابِـهْ[1] [الرجز]

وقرأَ الضحاك: (تَمَايَزُ) بالأَلف.

وقرأَ طلحة: (تَتَمَيَّزُ) بتاءين[2].

وقرأَ الجمهور: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ [بضم الدال وفتح][3] التاء مخففة.

وقرأَ البزيُّ: ﴿تكَادُ تَّميَّـزُ﴾ بضم الدال وشدّ التاءِ على أَنها: تَتَميَّـزُ، وأَدغم إِحدى التاءَيْن في الأُخرى[4].

[وقرأَ أبو عمرو بن العلاء: ﴿تَكاد تَّميَّـزُ﴾ بإدغام الدال في التاء][5].

وهذا فيه إِدغام الأَقوى في الأَضعف.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ معناه: على الكفرة بالله تعالى.

---

(١) البيت لأبي نواس كما في نهاية الأرب في فنون الأدب (٩/ ٢٦٢)، وأساس البلاغة (١/ ٣٨)، بلفظ:

تــراه في الحضـر إذا هـابـه كـأنمـا يـخـرج مـن إهـابـه

وفي المطبوع: «يكاد يخرج».

(٢) وهما شاذتان، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٩).

(٣) سقط من المطبوع وأحمد٣.

(٤) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ٨٤)، وسقط «البزي» من الحمزوية، وفي نجيبويه بياض، وزاد في المطبوع والأسدية٣: «وقومٌ».

(٥) على قاعدة السوسي وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ٢٤)، وفي المطبوع ونور العثمانية وأحمد٣: «وقرأَ قوم بإِدغام الدال في التاءِ».

وقوله: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ﴾ الفوج: هو الفريق من الناس.

ومنه قوله تعالى: ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النصر: ٢]، والآية تقتضي أنه لا يُلقى فيها أَحدٌ إِلَّا سُئل ـ على جهة التوبيخ ـ عن النُّذُر، فأَقَرُّوا بأَنهم جاءوا وكذبوهم.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ﴾ حَصْرٌ، فإذاً الآية تقتضي في الأَطفال من أَولاد المشركين وغيرهم وَمَنْ نُقَدِّره صاحب فترة أَنهم لا يدخلون النار لأَنهم لم يأتهم نذير.

[واختلف الناس في أَمر الأَطفال:

فأجمعت الأَمة على أَولاد الأَنبياءِ عليهم السلام أَنهم في الجنة][(١)].

واختلفوا في أَولاد المؤمنين:

فقال الجمهور: هم في الجنة[(٢)]، وقال قوم: هم في المشيئة[(٣)].

واختلفوا في أَولاد المشركين:

فقالت فرقة: هم في النار، واحتجوا بحديث روي: «هم من آبائهم»[(٤)]، [وتأول مخالف هذا الحديث أنهم في أحكام الدنيا، وقال][(٥)]: هم في المشيئة.

وقال فريق هم في الجنة، واحتج هذا الفريق بهذه الآية في مساءلة الخزنة، وبحديث وقع في «صحيح البخاري» في (كتاب التعبير) يتضمن أنهم في الجنة[(٦)]،

---

(١) في حاشية المطبوع: «سقطت هذه العبارة في جميع النسخ، ولم تثبت إلا في النسخة التونسية». وهي مثبتة في النسخ التي عندنا.

(٢) انظر الإجماع على حكم أطفال الأنبياء في شرح النووي على مسلم (٦/ ١٨٣).

(٣) انظر قول الجمهور وقول مخالفيهم في: شرح النووي على مسلم (٦/ ١٨٣).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٠١٣)، ومسلم (١٧٤٥) من حديث الصعب بن جثامة أن النبي ﷺ قيل له: لو أن خيلاً أغارت من الليل فأصابت من أبناء المشركين قال: «هم من آبائهم».

(٥) في الأسدية٤: «وقال آخرون».

(٦) الظاهر أنه يشير إلى حديث سمرة بن جندب الذي أخرجه البخاري (٧٠٤٧) في رؤيا النبي ﷺ وفيه: «وأمَّا الولدانُ الذين حولهُ فكلُّ مولودٍ ماتَ على الفطرةِ» قال: فقال بعض المسلمين: =

وبقوله ﷺ: «كلُّ مولود يولد على الفطرة، فأَبواه يهوِّدانه أَو ينصِّرانه أو يمجِّسانه»[١].

والأَطفال لم يبلغوا أَن يُصنع بهم شيءٌ من هذا[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أَن يكون من قول الملائكة للكفار حين أَخبروا عن أَنفسهم أَنهم كذبوا النُّذُر، ويحتمل أَن يكون من كلام الكفار للنُّذُر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾.

المعنى: وقال الكفار للخزنة في محاورتهم: لو كنا نسمع أَو نعقل سَمْعاً أَو عقلاً يُنتفع به ويغني شيئاً لآمَنَّا ولم نستوجب الخلود في السعير.

ثم أَخبر تعالى محمداً ﷺ أَنهم اعترفوا بذنبهم في وقت لا ينفع فيه الاعتراف.

وقوله تعالى: ﴿فَسُحْقًا﴾ نصب على جهة الدعاءِ عليهم، وجاز ذلك فيه وهو من قِبَل الله تعالى من حيث هذا القول مستقر فيهم أَزلاً وجوده لم يقع ولا يقع إِلَّا في الآخرة، فكأَنه لذلك في حيِّز المتوقَّع الذي يدعى فيه، كما تقول: سحقاً لزيد وبُعداً، والنصب في هذا كله بإِضمار فعل، وأَمَّا ما وقع وثبت فالوجه فيه الرفع، كما قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، و﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾[٣]، وغير هذا من الأَمثلة.

وقرأَ الجمهور: ﴿فَسُحْقًا﴾ بسكون الحاءِ.

وقرأَ الكسائي: ﴿فَسُحُقاً﴾ بضم الحاءِ، وهما لغتان[٤].

= يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «وأولاد المشركين».

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر هذه الأقوال وغيرها في مصير أولاد الكفار؛ في شرح الزرقاني على الموطأ (٢/ ١٢٢-١٢٣).

(٣) الأعراف: ٤٦، الرعد: ٤، النحل: ٣٢، القصص: ٥٥، الزُّمَر: ٧٣.

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٢).

ثم وصف تعالى أَهل الإِيمان وهم الذين يخشون ربهم.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ يحتمل معنيين:

أَحدهما: بالغيب الذي أُخبروا به من الحشر والصراط والميزان والجنة والنار، فآمنوا بذلك وخشوا ربهم فيه، ونحا إِلى هذا قتادة(١).

والمعنى الثاني: أنهم يخشون ربهم إِذا غابوا عن أَعين الناس، أَي في خلواتهم، ومنه تقول العرب: فلان سالم الغيب، أَي لا يضر، فالمعنى: يعملون بحسب الخشية في صلاتهم وعبادتهم وانفرادهم.

فالاحتمال الأَول مَدْح بالإِخلاص والإِيمان، والثاني مَدْح بالأَعمال الصالحة في الخلوات، وذلك أَحرى أَن يعملوها علانية.

[٥/ ٢٢١] وقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ مخاطبة لجميع الخلق،/ قال ابن عباس: سببها أَن المشركين قال بعضهم لبعض: أَسِرُّوا قولكم لا يسمعكم إله محمد(٢).

فالمعنى: إِن الأَمر سواءٌ عند الله تعالى لأَنه يعلم ما هجس في الصدر دون أَن يُنطق به، فكيف إِذا نُطق به سرّاً أَو جهراً.

و(ذَاتُ الصُّدور): ما فيها، وهذا كما يقال: الذِّئْبُ مَغْبُوطٌ بِذي بَطْنِهِ، وقد تقدم تفسيره غير ما مرة.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، اختلف الناس في إِعراب ﴿مَنْ﴾:

فقال بعض النحاة: إِعرابها رفع، كأَنه تعالى قال: أَلا يعلم الخالق خلقه؟ فالمفعول على هذا محذوف، وقال قوم: إِعرابها نصب، كأَنه تعالى قال: أَلا يعلم الله من خَلَق؟

وقال مكيٌّ: وتعلَّق أَهل الزَّيغ بهذا التأويل؛ لأَنه يعطي أَن الذين خلقهم الله تعالى

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٥٦).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٩/ ٣٥٩)، وفي الأصل والمطبوع: «لا يسمعكم محمد».

هم العباد من حيث قال: ﴿مَنْ﴾، فتخرج الأَعمال عن ذلك[١]، لأَن المعتزلة تقول: العباد يخلقون أَعمالهم. وتعلُّقهم بهذا التأَويل ضعيف، والكلام مع المعتزلة في مسأَلة خلق الأَعمال مأَخذه غير هذا؛ لأَن هذه الآية لا حجة فيها لهم ولا عليهم[٢].

و«الذَّلُولُ»: فَعولٌ بمعنى مفعول، أَي مذلولة، فهي كرَكُوبٍ وحَلوبٍ، يقال: [ذلولٌ بيِّن الذِّلِّ، بكسر الذال][٣]، وذليلٌ بيِّن الذُّلِّ، بضم الذال.

واختلف المفسرون في معنى «المناكب»:

فقال ابن عباس: مناكبها: أَطرافها، وهي الجبال[٤].

وقال الفراء ومنذر بن سعيد: جوانبها، وهي النواحي[٥]، وقال مجاهد: هي الطُّرُق والفِجاج[٦]، وهذا قول جارٍ مع اللغة؛ لأَنها تنكبُ يَمنةً ويَسرةً وينكبُّ الماشي فيها، فهي مناكب.

وهذه الآية تعديد نِعَمٍ في تقريب التصرف للناس، وفي التمتع في رزق الله تعالى.

و﴿ٱلنُّشُورُ﴾: الحياة بعد الموت.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾.

---

(١) الهداية لمكي (١٢/ ٧٥٩٨-٧٥٩٩).

(٢) انظر قول المعتزلة بخلق العباد أفعالهم في: الفرق بين الفرق (١/ ٩٤).

(٣) سقط من الأصل، وكذا «بضم الذال»، وفي الأسدية٣: «من الذل».

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥١٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٥) «الفراء» ليس في المطبوع، وانظر قوله في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧١)، وقول منذر في البحر المحيط (١٠/ ٢٢٦).

(٦) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٥٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ٥٤)، إلا أنه أورد «أطرافها» بدل «طرقها»، تفسير الطبري (٢٣/ ٥١٢).

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ بهمزتين محققتين من غير مدٍّ.

وقرأ أَبو عمرو، ونافع: ﴿النُّشُورُ آمِنـتُمْ﴾ بهمزة ومدٍّ.

وقرأ ابن كثير: ﴿النُّشُورُ واَمِنْتمُ﴾، يُبدل الهمزة واواً لكونها بعد ضمَّة، ويمدُّ بعد الواو[١].

وقوله تعالى: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ جارٍ على عُرف تلَقِّي البشر أَوامر الله تعالى[٢]، ونزول القدر بحوادثه ونِعَمه ونِقَمه وآياته من تلك الجهة، وعلى ذلك صار رفع الأَيدي والوجوه في الدعاءِ إِلى تلك الناحية.

و«خَسفُ الأَرْض»: أَن تذهب سفلاً.

و﴿تَمُورُ﴾ معناه: تتموَّج وتذهب كما يذهب التراب الموَّار في الريح، وكما يذهب الدَّم الموَّارُ.

ومنه قول الأَعرابي: وغادرت التراب موراً[٣].

و«الْحاصِب»: البَـرَدُ وما جَرى مجراه؛ لأَنه في اللغة: الرِّيحُ ترمي بالحصباءِ، ومنه قول الفرزدق:

[البسيط]

مُسْتَقْبِلينَ شمالَ الشَّامِ تَرْجُمُهُمْ ... بِحاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُور[٤]

وقرأ جمهور السبعة: ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ بالتاءِ، وقرأ الكسائي وحده: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ بالياءِ[٥].

---

(١) حاصل قراءات السبعة: تحقيق الهمزتين للكوفيين وابن ذكوان، وتسهيل الثانية مع الإدخال لقالون وهشام وأبي عمرو، وبدونه للبزي وورش، وله إبدالها مداً، وقرأ قنبل بإبدال الأولى واوا في الوصل، وله في الثانية ما لورش، انظر: التيسير (ص: ٢١٢).

(٢) تقدم الكلام عن صفة العلو لله تعالى.

(٣) أمالي القالي (١/ ١١٤).

(٤) البيت للفرزدق كما تقدم في تفسير الآية (٦٩) من (سورة الإسراء).

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٢).

وقرأَ السبعة وغيرهم: ﴿نَكِيرِ﴾ بغير ياءٍ، على طريقتهم في الفواصل المشبهة بالقوافي.

وقرأ نافع في رواية وَرْش وحده ﴿نذيري﴾ بياءٍ على الأَصل، وكذلك في ﴿نكيري﴾[1].

و«النَّكير»: مصدرٌ بمعنى الإنكار، و«النَّذِيرُ» كذلك، ومنه قول حسَّانِ بن ثابت:

فَأَنْذَرَ مِثْلَهَا نُصْحاً قُرَيْشاً مِنَ الرَّحْمنِ إِنْ قَبِلتْ نَذيرِي[2] [الوافر]

ثم أَحال على العبرة في أَمر الطير وما أَحْكَمَ مِنْ خِلْقتها، وذلك يُبَيِّن عجز الأَصنام والأَوثان.

و﴿صَٰٓفَّٰتٖ﴾: جمع صافَّة، وهي التي تبسط جناحيها وتصُفُّهما حتى كأَنها ساكنة.

و«قَبْضُ الجناح»: ضَمُّه إِلى الجنب، ومنه قول أَبي خراش:

.... يَحُثُّ الْجَنَاحَ بِالتَّبَسُّطِ والْقَبضِ[3] [الطويل]

وهاتان حالان للطائر يستريح من إِحداهما إِلى الأُخرى.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقۡبِضۡنَ﴾ عطف المضارع على اسم الفاعل، وذلك كما عطف اسم الفاعل على المضارع في قول الشاعر:

بَاتَ يُعَشِّيها بِعضْبٍ باتِرِ يَقْصِدُ في أَسْوُقِهَا وَجائِرِ[4] [الرجز]

وقرأَ طلحة بن مصرف: (أَمَنْ) بتَخفيف الميم في هذه[5]، وقرأَ التي بعدها مُثَقَّلة كالجماعة.

و«الْجُنْدُ»: أَعوان الرجل على مذاهبه.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٢).

(٢) انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧١).

(٣) صدره: يُبادِرُ جُنْحَ الليْلِ فَهْوَ مُهابِذٌ، انظر عزوه له في الكامل للمبرد (٢/ ١٣٦)، وأمالي القالي (١/ ٢٧١)، وحماسة الخالديين (ص: ٥١)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٤٤)، والمخصص (٤/ ٢١٤).

(٤) تقدم في تفسير الآية (٤٦) من (سورة آل عمران).

(٥) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٧٩).

وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ خطاب لمحمد ﷺ بعد تقرير[١]: قل لهم يا محمد: أَمَّن هذا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

هذا أَيضاً توقيف على أَمر لا مدخل للأصنام فيه، والإِشارة بالرِّزْق إِلى المطر لأَنه أَعظم الأَرزاق، ثم أَخبر تعالى عنهم أَنهم لَجُّوا وتمادوا في التمنع عن طاعة الله تعالى، وهو العُتُوُّ.

و«النُّفُورُ»: البُعْدُ عن الحقِّ بسرعة ومبادرة، يقال: نَفَر عن الأَمر نُفُوراً، ونَفَر إِلى الأَمر نَفيراً، ونَفَرت الدابَّةُ نِفَاراً.

واختلف أَهل التأْويل في سبب قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا﴾ الآية:

فقال جماعة من رُوَاة الأَسباب: نزلت مثلاً لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ولأَبي جهل بن هشام[٢].

وقال ابن عباس، وابن الكلبي وغيرهما: نزلت مثلاً لمحمد ﷺ ولأبي جهل بن هشام[٣].

وقال ابن عباس أَيضاً، ومجاهد، والضحاك: نزلت مثلاً للمؤمنين والكافرين على العموم[٤].

---

(١) في الأسدية ٤ والأسدية ٣: «تقدير».

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢١٩).

(٣) تفسير الزمخشري (٤/ ٥٨٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥١٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٠٣).

وقال قتادة: نزلت مخبرةً عن حال القيامة[1]، وأَن الكفار يمشون فيها على وجوههم، والمؤمنون يمشون على استقامة.

وقيل للنبي ﷺ: كيف يمشي الكافر على وجهه؟ فقال: «إن الذي أَمشاه في الدنيا على قدميه قادر أَن يمشيه في الآخرة على وجهه»[2].

قال القاضي أَبو محمد: فَوَقَفَ الكفَّارُ على هاتين[3] الحالتين حينئذ، ففي الأَقوال الثلاثة الأُول المَشْيُ مجازٌ بتخيُّل، وفي القول الرابع هو حقيقة تقع يوم القيامة / . [٥/ ٢٢٢]

ويقال: أَكبَّ الرجلُ: إِذا ردَّ وجهه إلى الأَرض، وكبَّه غيره، قال ﷺ: «وهل يكُبُّ الناسَ في النار على مناخرهم إِلَّا حصائدُ أَلسنتهم»[4]، فهذا الفعل خلاف للباب، أَفْعَل لا يتعدَّى، وفَعَل يتعدَّى، ونظيره: قشعت الريحُ السحاب فأقشع.

و﴿أَهۡدَىٰٓ﴾ في هذه الآية: أَفْعَل؛ من الهدى.

وقرأَ طلحة: (أَمَنْ يَمْشِي) بتخفيف الميم[5].

وأَفرد تعالى السمع لأَنه اسم جنس يقع للقليل والكثير، و﴿قَلِيلًا﴾ نصب بفعل مضمر، و﴿مَّا﴾ مصدرية، وهي في موضع رفع، وقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥١٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٠٣)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣٦٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظة «إن» من نجيبويه والحمزوية.

(٣) في المطبوع والأسدية٤ ونور العثمانية: «ما بين»، وليس في أحمد٣ من قوله: «على وجهه» إلى «الأقوال الثلاثة».

(٤) حسن، هذا الحديث جزء من حديث معاذ بن جبل الطويل الذي أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١)، وعبد ابن حميد (١١٢)، والترمذي (٢٦١٦) وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١١٣٣٠)، وابن ماجه (٣٩٧٣) وغيرهم من طرق عن معمر، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل شقيق ابن سلمة، عن معاذ بن جبل مرفوعاً بلفظ أطول من هذا، وللحديث طرق أخرى.

(٥) وهي شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ١٦٠).

يقتضي ظاهره أَنهم يشكرون قليلاً، فهذا إِمَّا أَن يُريد به ما عَسى أَن يكون للكافر من شكر، وهو قليل غير نافع، وإِما أَن يريد نفي الشكر عنهم جملةً فعبَّر بالقلَّة[١]، كما تقول العرب: هذه أَرض قَلَّما تُنبت كذا، وهي لا تُنبته بَتَّـةً[٢].

ومن شُكْر رسول الله ﷺ على هذه النعمة أَنه كان يقول في سجوده: «سَجَدَ وَجْهي للَّذي خلقه وصوَّره وشقَّ سمعه وبصره»[٣].

و﴿ذَرَأَكُمْ﴾ معناه: بثَّكُم.

و«الحَشْرُ» المشارُ إِليه هو بعث القيامة، وإِليه أَشار بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾.

فأَخبر تعالى أَنهم يستعجلون أَمر القيامة ويُوقَفُون على الصدق في الإِخبار بذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾.

أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أَن يخبرهم أَن عِلْم يوم القيامة والوَعْدَ الصِّدق هو مما ينفرد الله تعالى به، وأَن محمداً ﷺ إِنما هو نذير، يَعْلَمُ ما عُلِّم، ويُخبر بما أُمر أَن يخبر به.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾، الضمير للعذاب الذي تَضمَّنه الوعد، وهذه حكاية حالٍ تأَتي، والمعنى: فإِذا رأَوْهُ.

---

(١) في المطبوع ونجيبويه والحمزوية: «العلة».

(٢) في المطبوع وأحمد٣والأسدية ٣: «البتة».

(٣) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال علي: وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين».

و﴿زُلْفَةً﴾ معناه: قريباً، وقال الحسن: عياناً، وقال ابن زيد: حاضراً[(١)].

و﴿سِيٓـَٔتْ﴾ معناه: ظهر فيها السوءُ.

وقرأ جمهور الناس: ﴿سِيٓـَٔتْ﴾ بكسر السين.

وقرأ أَبو جعفر، والحسن، ونافع أَيضاً، وابن كثير، وأَبو رجاءٍ، وشيبة، وابن وثَّاب، وطلحة بالإِشمام بين الضم والكسر[(٢)].

وقرأ جمهور الناس ونافع بخلاف عنه: ﴿تَدَّعُونَ﴾ بفتح الدال وشدِّها، على وزن تفْتَعلون؛ أَي: تتداعون أَمره بينكم، وقال الحسن: تدَّعون أَنه لا جنَّة ولا نار[(٣)].

وقرأ أَبو رجاءِ، والحسن، والضحاك، وقتادة، وابن يسارٍ، وسلام: ﴿تَدْعون﴾ بسكون الدال[(٤)]، على معنى: تستعجلون، كقولهم: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾ [الأنفال: ٣٢]، وغير ذلك.

ورُوي في تأَويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ الآية؛ أَنهم كانوا يَدْعون على محمد ﷺ وأَصحابه بالهلاك.

وقيل: بل كانوا يتآمرون بينهم بأَن يُهلكوهم بالقتال ونحوه، فقال الله تعالى له: قل لهم: أَرأَيتم إِن كان هذا الذي تريدون بنا وتَمَّ ذلك فينا، أَو أرأَيتم إِن رحمنا الله فنصرنا ولم يُهلكنا، مَنْ يُجيركم من العذاب الذي يوجبه كفركم على كل حال؟!

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وحفصٌ عن عاصم: ﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ﴾ بنصب الياءَيْن.

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٣/ ٥١٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٠٥).

(٢) وهما سبعيتان، الإشمام لنافع وبن عامر والكسائى، كما في التيسير (ص: ١٢٥)، وأبي جعفر ورويس كما في النشر (٢/ ٢٠٨).

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٦١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٠٦)، ونافع ليس في المطبوع ونجيبويه.

(٤) وهي عشرية ليعقوب كما في النشر (٢/ ٣٨٩).

وأَسكن الكسائي، وعاصم في رواية أَبي بكر الياءَ في ﴿مَعِي﴾.

وقرأَ حمزة بإِسكان الياءَين.

وروى المسيبي عن نافع أنه أَسكن ياءَ ﴿أَهْلَكَنِي﴾[١].

قال أَبو علي: التحريك في الياءَيْن حسنٌ وهو الأَصل، والإِسكان كراهية الحركة في حرف اللين للنجاة من ذلك[٢].

وقرأَ الكسائي وحده: ﴿فسيعلمون﴾ بالياءِ، وقرأَ الباقون بالتاءِ على المخاطبة[٣].

ثم وقفهم تعالى على مياههم التي يعيشون منها إِن غارت ـ أَي ذهبت في الأَرض ـ من يجيئُهم بماءٍ كثير كاف.

و«الغَوْرُ» مصدر يوصف به على معنى المبالغة، ومنه قول الأَعرابي: وغادرت الترابَ مَوْراً والماءَ غَوْراً.

و«الْمَعِينُ» فَعيلٌ من: مَعَنَ الماءُ: إِذا كثُر، أَو مفعولٌ من: العَيْن، أَي: جارٍ كالعين، أَصله مَعْيُون.

وقيل: هو من «العَيْن» لكن من حيث يُرى بعين الإِنسان، لا من حيث يشبه بالعَيْن الجارية.

وقال ابن عباس: ﴿مَّعِينٍ﴾: عذب[٤]، وعنه ـ في كتاب الثعلبي ـ: ﴿مَّعِينٍ﴾:

---

(١) وكلها سبعية، كما في التيسير (ص: ٢١٢)، إلا تلفيق المسيبي ففي السبعة (ص: ٦٤٥)، وفي المطبوع بدله: «الحسن».

(٢) في الأصل والأسدية ٤: «يتجانس ذلك»، وفي نجيبويه: «للتجانس»، انظر: الحجة للفارسي (٦/ ٣٠٨).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٢).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٢٠) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

جارٍ[١].

وفي كتاب النقاش: ﴿مَّعِينٍ﴾: ظاهر[٢].

وقال بعض المفسرين وابْنُ الكلبي: أُشير في هذا الماءِ إِلى بئر زمزم وبئر ميمون[٣].

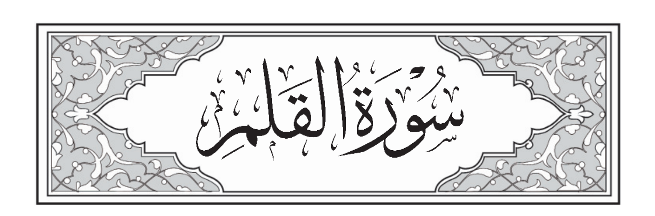
ويُشبه أَن تكون هاتان عُظْم ماءِ مكة، وإِلَّا فكانت فيها آبارٌ كثيرة كخُم والجفر وغيرهما، والله المستعان.

* * *

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٦٢). ولم أقف عليه مسنداً.

(٢) في المطبوع والأسدية ٤ والأسدية ٣: «طاهر»، ولم أقف على كلام النقاش.

(٣) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٦٢).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾

وهي مكِّيَّة، ولا خلاف فيها بين أَحد من أَهل التأْويل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾.

﴿نٓ﴾ حرف مقطَّع في قول جمهور المفسرين، فيدخله من الاختلاف ما يدخل أَوائل السور.

ويختص هذا الموضع من الأَقوال بأَن قال ابن عباس ومجاهد: ﴿نٓ﴾ اسم الحوت الأَعظم الذي عليه الأَرضون السبع فيما يروى(١).

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ مسنداً، وقد ذكره هكذا الثعالبي في تفسيره (٤/ ٣٢٤)، لكن أخرج عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٠٢٣)، والطبري (٢٣/ ٥٢١)، وابن أبي حاتم كما في تفسير بن كثير (٨/ ١٨٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٨)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٣) من طرق عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: قال إن أول ما خلق الله من شيء خلق القلم. فقال: اكتب فقال: أي ورب وما أكتب؟ قال: اكتب القدر فجرى بما هو كائن في ذلك اليوم إلى أن تقوم الساعة ثم طوى الكتاب ورفع القلم فارتفع بخار الماء ففتق السماوات، ثم خلق=

وقال ابن عباس[١] والحسن وقتادة والضحاك: ﴿نٓ﴾ اسم للدواة[٢]، فهذا إِما أَن يكون لغة لبعض العرب، أَو تكون لفظة أَعجمية عربت، قال الشاعر:

[الوافر] إِذَا ما الشَّوْقُ بَـرَّحَ بي إِلَيْهِمْ   أَلْقَتِ النُّونُ بالدَّمْعِ السَّجُوم[٣]

فمن قال بأَنه اسم الحوت جعل (الْقَلَمَ) الْقَلَمَ الذي خلقه الله تعالى وأَمره فكتب الكائنات،/ [٥/ ٢٢٣] وجعل الضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ للملائكة.

ومن قال بأَن ﴿نٓ﴾ اسم للدواة جعل (الْقَلَمَ) هو المتعارف بأَيدي الناس، نصَّ ذلك ابن عباس، وجعل الضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ للناس، فجاءَ القسم ـ على هذا ـ بمجموع أَمر[٤] الكتاب الذي هو قوامٌ لِلعلوم والمعارف وأُمور الدنيا والآخرة، فإِن القلم أَخو اللسان ومطية الفطنة ونعمة من الله تعالى عامة.

وروى معاوية بن قُرَّة: أَن النبي ﷺ قال: «ن لوحٌ من نور»[٥].

= النون ثم بسط الأرض عليها فاضطربت النون فمادت الأرض، فخلق الجبال فوتدها فإنها لتفخر على الأرض ثم قرأ ابن عباس ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧١٥٥) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال: أول ما خلق الله من شيء القلم، ثم خلق النون، فكبس الأرض على ظهر النون، وقول مجاهد في الثعلبي (١٠/ ٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦١١).

(١) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٢٢/ ٨٤)، وفي (٢٣/ ٥٢٤) من طريق ثابت الثمالي، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن الله خلق النون وهي الدواة، وخلق القلم، فقال: اكتب، قال: ما أكتب، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. وثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالى متروك الحديث، وانظر الميزان.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٢٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦١٤)، وقول الضحاك في البحر المحيط (١٠/ ٢٣٤).

(٣) بلا نسبة في تفسير الثعلبي (١٠/ ٦)، والدَّمع السَّجوم: السائل المنصب من العين.

(٤) في الأصل: «أم».

(٥) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٢٥) عن الحسن بن شبيب المكتب، عن محمد بن زياد الجزري، عن فرات بن أبي فرات، عن معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ لوح من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة». وهذا إسناد ضعيف؛ من أجل=

وقال ابن عباس أَيضاً وغيره: ﴿نٓ﴾ حرف من حروف الرحمن، وقالوا: إِنه تَقَطَّع في القرآن إِلى ﴿الٓر﴾، و﴿حمٓ﴾، و﴿نٓ﴾[1].

وقرأَ عيسى بن عمر بخلاف: (نُونَ) بالنصب[2]، والمعنى: اذكر نونَ، وهذا يَقْوى مع أَن يكون اسماً للسورة، فهو مؤَنث سُمِّي به مؤنث، ففيه تأَنيث وتعريف ولذلك لم ينصرف، وانصرف «نُوح» لأَن الخِفَّة بكونه على ثلاثة أَحرف غلبت على علَّة العُجْمة.

وقرأَ ابن عباس، وابن أَبِي إِسحاق، والحسن: (نُونِ) بكسر النون[3].

وهذا كما تقول في القسم: آللهِ، وكما قالوا: جَيْرِ، وقيل: كُسرت لاجتماع الساكنين.

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: ﴿نُونْ﴾ بسكون النون، وهذا على أَنه حرف منفصل فحقُّه الوقوف عليه.

وقرأَ قوم منهم الكسائي: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ﴾ بالإِدغام دون غُنَّة، وقرأَ آخرون بإِدغامٍ وبِغُنَّة.

وقرأَ الكسائي ويعقوب، وأَبو بكر عن عاصم بالإِخفاءِ بين الإِدغام والإِظهار[4].

= الحسن بن شبيب المكتب البغدادي قال فيه ابن عدي: حدث عن الثقات بالبواطيل وأوصل أحاديث هي مرسلة انظر ترجمته الكامل (٢/ ٣٣٠)، والميزان (١/ ٤٩٥)، ومحمد بن زياد الجزري قال فيه ابن حبان: كان ممن يضع الحديث على الثقات ويأتي عن الأثبات بالأشياء المعضلات، لا يحل ذكره في الكتب إلا على جهة القدح، ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار عند أهل الصناعة خصوصاً دون غيرهم. اهـ من المجروحين (٢/ ٢٥٠).

(١) صحيح، أخرجه الطبري (١٥/ ١٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢١) من طريق يزيد ـ هو النحوي ـ عن عكرمة عن ابن عباس.

(٢) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٣)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥).

(٣) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٣).

(٤) فيها سبعيتان الإدغام بغنة لورش وشعبة وابن عامر والكسائي، والإظهار للباقين، كما في التيسير (ص: ١٨٢)، وانظر الخلاف عن الكسائي في السبعة (ص: ٦٤٦)، وأما الإدغام بغير غنة فشاذ، وقد ذكره النحاس في إعراب القرآن (٥/ ٣).

و﴿يَسْطُرُونَ﴾ معناه: يكتبون سطوراً، فإِن أَراد الله تعالى الملائكة فهو كتب الأَعمال وما يؤمرون به، وإِن أَراد تعالى بني آدم فهي الكتب المنزلة والعلوم وما جرى مجراها.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ هو جواب القسم، و﴿مَآ﴾ هنا عاملة لها اسم وخبر، وكذلك هي حيث دخلت الباءُ في الخبر.

وقوله تعالى: ﴿بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ اعتراض، كما تقول لإِنسان: أَنت ـ بحمد الله ـ فاضل.

وسبب هذه الآية: أَن قريشاً رمت رسول الله ﷺ بالجنون، وهو سَتْر العقل، بمعنى أَن كلامه خطأٌ ككلام المجنون، فنفى الله تعالى ذلك عنه، وأَخبره بأَن له الأَجر، وبأَنه على الخلق العظيم تشريفاً له ومدحاً.

واختلف الناس في معنى ﴿مَمۡنُونٖ﴾:

فقال أَكثر المفسرين: هو الواهن المنقطع، يقال: حبل ممنون؛ أَي: ضعيف.

وقال آخرون: معناه: غير مَمْنُون عليك، أَي: لا يكدِّره منٌّ به.

وقال مجاهد: معناه: غير مُسَرَّد ولا محسوب محصَّل[(١)]، أَي: بغير حساب.

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: خُلُقُهُ القرآن[(٢)]، أَي آدابُه وأَوامره، وقال عليٌّ رضي الله عنه: الخُلُق العظيم: أَدب القرآن[(٣)].

وعبَّر ابن عباس عن الخُلُق بالدِّين والشرع[(٤)].

وذلك لا محالة رأَس الخلق وكيده، أَمَا إِنَّ الظاهر من الآية أَن الخُلُق هو الذي

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٢٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦١٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦) مطولًا.

(٣) لم أقف عليه من قول علي رضي الله عنه، وإنما جاء من قول عطية العوفي وانظر: الدر المنثور (١٤/ ٦٢٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٢٩) من طريق علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي كلاهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دين عظيم، وفي لفظ العوفي: إنك على دين عظيم، وهو الإسلام.

يضادُّ مقصد الكفار في قولهم: مجنون؛ أَي غير محصِّل لما يقول.

وإِنما مدحه تعالى بكرم السجية وبراعة القريحة والْمَلَكَة الجميلة وجودة الضرائب.

ومنه قوله ﷺ: «بُعثت لأُتَمِّم مكارم الأَخلاق»[١].

وقال جُنَيْد: سُمِّيَ خُلُقه عظيماً إِذ لم يكن له هِمَّة سوى الله تعالى، عاشر الخَلْق بخُلُقه وزايلهم بقلبه، فكان ظاهره مع الخَلْق وباطنه مع الحق[٢].

وفي وصيَّة بعض الحكماءِ: عليك بالخُلِق مع الخَلْق، وبالصدق مع الحق، وحُسْن الخُلُق خير كلُّه.

وقال ﷺ: «إِن المؤمن لَيُدْرك بحُسْن خُلُقه درجة قائم الليل صائم النهار»[٣].

---

(١) سبق تخريجه في (سورة الأعراف) الآية رقم (١٥٧).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٩).

(٣) له طرق عدة، أكثرها بأسانيد غريبة ولا تخلو من ضعف، وأشهرها وأحسنها إسناده لين وفي اتصاله نظر، هذا الحديث روي من عدة طرق، أشهرها ما أخرجه أحمد (٦/ ٦٤-٩٠-١٣٣-١٨٧)، وأبو داود (٤٧٩٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٤٢٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٠)، والبيهقي في الشعب (٧٩٩٨) وغيرهم من طرق عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بنحوه، وعمرو بن أبي عمرو فيه لين، والمطلب بن عبد الله بن حنطب قال أبو حاتم في روايته عن عائشة: مرسل، ولم يدركها، وقال أبو زرعة: أرجو أن يكون سمع من عائشة. اهـ. وقول أبي حاتم أولى، وللحديث شواهد: حديث أبي هريرة أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٨٤) من طريق فضيل بن سليمان النميري، عن صالح بن خوات، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن أبي صالح، عن أبي هريرة به مرفوعاً بنحو حديث عائشة رضي الله عنها، وفضيل بن سليمان النميري ضعيف، وأخرج الحاكم (١/ ١٢٨) من حديث حبان بن هلال ثنا حماد بن سلمة عن بديل عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليبلغ العبد بحسن خلقه درجة الصوم والصلاة»، وإسناده غريب، وأخرج الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٦٩) من طريق: أبي اليمان ثنا عفير ابن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامئ بالهواجر»، وعفير بن معدان ضعيف، ورواه مالك في الموطأ (١٦٠٧) عن يحيى بن سعيد ـ يعني الأنصاري ـ أنه قال: بلغني: إن المرء ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامي بالهواجر، قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٨٣): هذا لا يجوز أن يكون =

وقال: «ما شيءٌ أثقل في الميزان من خُلُق حسن»[١].

وقال: «أَحَبُّكُم إلى الله أَحاسنكم أخلاقاً»[٢]، والعدل والإحسان والعفو والصِّلة من الخُلُق.

= رأياً ولا يكون مثله إلا توقيفاً وقد روي مرفوعاً عن النبي ﷺ مسنداً من وجوه حسان من حديث يحيى ابن سعيد هذا وغيره، حدثناه خلف بن القاسم قال حدثنا الحسن بن رشيق قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس حدثنا عمرو بن عثمان الحمصي حدثنا اليمان بن عدي عن زهير عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليدرك بحسن الخلق درجة الساهر بالليل الظامئ بالهواجر»، قلت: وإسناده منكر، قال البخاري في يمان بن عدي الحمصي الشامي: ما روى عنه أهل الشام فإنه مناكير، وما روى عنه أهل البصرة فإنه صحيح، وقال ابن طاهر في ذخيرة الحفاظ (٨٨٥): لا أعلم رواه عن زهير غير اليمان بن عدي، وتراجع ترجمة اليمان وزهير بن محمد، ثم ذكرابن عبد البر حديث أبي أمامة السابق، ثم روى من طريق: سحنون بن سعيد حدثنا عبد الله بن وهب قال أخبرني ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ابن حجيرة قال سمع عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله بحسن خلقه وكرم ضريبته»، وابن لهيعة ليس بحجة، وأخرج ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (٣٦٢) من طريق: إسحاق بن بهلول، ثنا إسماعيل بن أبان، ثنا أبو بكر النهشلي، عن عبد الملك بن عمير، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»، غريب من حديث ابن عمر، وعبد الملك بن عمير ليس بالحجة، وهو مدلس ويرسل، ولا يعلم سماعه من ابن عمر، وأخرج الخطيب في المتفق والمفترق (٣/ ٧٠) من طريق: العباس بن محمد الدوري حدثنا داود بن مهران الدباغ حدثنا عبدالحميد ابن سليمان عن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم الذي يصوم النهار ويقوم الليل»، وعبد الحميد هو أخو فليح بن سليمان، وهو ضعيف.

(١) لا بأس به، أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٢-٤٤٢-٤٤٦-٤٤٨)، وعبد بن حميد (٢٠٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٠)، وأبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣) وغيرهم من طرق عن عطاء بن نافع الكيخاراني، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، مرفوعاً به بنحوه، وفي لفظ: «إن أفضل شيء في الميزان يوم القيامة الخلق الحسن»، وفي لفظ «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صالح الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة».

(٢) ثبت بلفظ: «أحبكم إلي أحسنكم أخلاقاً»، أخرجه البخاري (٣٧٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه، أما بلفظ: «أَحَبُّكُم إِلى الله أَحاسنكم أخلاقاً»، فورد في حديث ضعيف، =

وقوله تعالى: ﴿فَسَتُبۡصِرُ﴾؛ أَي: أنتَ وأُمَّتك، و(يُبْصِرُون)؛ أَي: هُم.

واختلف الناس في معنى قوله تعالى: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾:

فقال أَبو عثمان المازني: الكلام تامٌّ في قوله تعالى: (يُبْصِرُون)، ثم استأَنف قوله تعالى: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾.

وقال الأَخفش: بل الإِبْصار عامل في الجملة المستفهم عنها، في معناها[١].

وأَما الباءُ فقال أَبو عُبَيْدة مَعْمَر، وقتادة: هي زائدة، والمعنى: أَيُّـكُمُ الْمَفْتُونُ[٢].

وقال الحسن، والضحاك: الْمَفْتُونُ بمعنى الفتنة[٣]، كما قالوا: ماله معقول؛ أَي: عَقْل، وكما قالوا: اقْبَلْ مَيْسُوره ودَعْ مَعْسُوره، فالمعنى: بِأَيِّـكم هي الفتنة والفساد الذي سَّموه جنوناً؟

وقال آخرون: المعنى: بِأَيِّـكُم فُتن الْمَفْتون؟ وقال الأَخفش: المعنى: بأَيِّكُم فِتْنَةُ المفتون؟ ثم حذف المضاف وأُقيم ما أُضيف إِليه مقامه[٤].

= المري، عن سعيد الجريري، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحبكم إلى الله: أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله عز وجل: المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الإخوان الملتمسون للبرآء العثرات»، وصالح بن بشير بن وداع المعروف بالمري ضعيف، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٣٨٢) من طريق أبي هدبة عن أنس ابن مالك مرفوعاً، بنحوه، وإبراهيم بن هدبة أبو هدبة شيخ، يروي عن أنس بن مالك، قال فيه ابن حبان: دجال من الدجاجلة، وكان رقاصاً بالبصرة، يدعى إلى الأعراس فلما كبر جعل يروى عن أنس، ويضع عليه. اهـ من المجروحين (١/ ١١٤).

(١) انظر: معانى القرآن للأخفش (٢/ ٥٤٧)، وقول المازني في إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٥).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٦٨)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٢٢).

(٣) انظر: تفسير الماوردي (٦/ ٦٢).

(٤) الهداية لمكي (١٢/ ٧٦٢٢).

وقال مجاهد، والفراءُ: الباءُ بمعنى «في»؛ أَي: في أَيِّ فريق منكم النوعُ المفتون؟[١]

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول حَسَنٌ قليل التكلُّف، ولا نقول إِنَّ حرفاً بمعنى حرف، بل نقول: إِن هذا المعنى يُتَوَصَّل إِليه بـ«في» وبالباءِ أَيضاً.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (فِي أَيِّـكُمُ الْمَفْتُونُ)[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ﴾ الآية وعيدٌ، والعامل في قوله: ﴿بِمَن ضَلَّ﴾ هو ﴿أَعۡلَمُ﴾، وقد قَوَّاه حرف الجر فلا يحتاج إِلى إِضمار فعل.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ يريد قريشاً، وذلك أَنهم قالوا في بعض الأَوقات لرسول الله ﷺ: لو عبدتَ آلهتنا وعظَّمتها لعبدنا إِلهك وعظَّمناه، وودُّوا أَن يداهنهم رسول الله ﷺ ويميل إِلى ما قالوا فيميلوا هم أَيضاً إِلى قوله ودينه.

و«الإِدْهان»: الملاينة فيما لا يحلُّ، والمُدَاراة: الملاينة فيما يحِلُّ.

وقوله تعالى: ﴿فَيُدۡهِنُونَ﴾ معطوف وليس بجواب؛ لأَنه لو كان لنصب.

و«الْحَلَّاف»: المُرَدِّد لِحَلِفِهِ الذي قد كثر منه.

و«الْمَهِينُ»: الضعيف العقل والرأَي، قاله مجاهد[٣].

وهو من مَهُن: إِذا ضعف، والميمُ فاءُ الفِعْل.

وقال ابن عباس: «الْمَهين»: الكذَّاب[٤].

و«الْـهَمَّازُ»: الذي يقع في الناس، وأَصل الهَمْز في اللغة: الضَّرْبُ طعناً باليد أَو بالعصا أَو نحوه، ثم استُعير للذي ينال بلسانه، قال منذرٌ: وبعينه وإِشارته[٥].

---

(١) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٣)، وقول مجاهد في تفسير الثعلبي (١٠/ ١١).
(٢) وهي شاذة، انظر الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٠).
(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٣٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٢٤)، وتفسير الماوردي (٦/ ٦٣).
(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٣٤) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
(٥) لم أقف عليه.

وسُمِّيت الهُمَزة؛ لأَن في النطق بها حِدَّة وعجلة، فشُبِّهت بالهمز باليد.

وقيل لبعض الأَعراب: أَتهمز الفأرة؟ فقال: الهِرَّةُ تَهْمزها، وقيل لآخر: أَتَهْمز إِسرائيل؟ فقال: إِنِّي إِذاً لَرَجُل سوءٍ[١].

و«النَّميمُ» مصدرٌ كالنَّميمة،/ وهو نقل ما يُسمع ممَّا يسوءُ ويحرِّش النفوس، [٥/ ٢٢٤] وروى حذيفة أَن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنَّة قَـتَّاتٌ»[٢]، وهو النمَّام.

وذهب كثير من المفسرين إلى أَن هذه الأَوصاف هي أَجناسٌ لم يرد بها رجلٌ بعينه.

وقالت طائفة: بل نزلت في مُعَيَّن، واختلف فيه:

فقال بعضهم: هو الوليد بن المغيرة، ويؤيد ذلك غناهُ وأَنه أَشهرهم بالمال والبنين.

وقال الشعبيُّ وغيره: هو الأَخنس بن شُرَيق[٣]، ويؤيد ذلك أَنه كانت له هَنَة في حلقه كزَنَمة الشاة، وأَيضاً فكان من ثقيف مُلصقاً في قريش.

وقال ابن عباس ـ في كتاب الثعلبي ـ: هو أَبو جهل[٤].

وذكر النقاش: عُتبة بن ربيعة[٥].

وقال مجاهد: هو الأَسْود بن عبد يغوث[٦].

وظاهر اللفظ عموم من هذه صفته، والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقي الزمان لا سيما لولاة الأُمور.

---

(١) انظر: العقد الفريد (٤/ ٦٥)، وتقدم مكرراً.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٣) الهداية لمكي (١٢/ ٧٦٢٨).

(٤) لم أقف عليه في تفسير الثعلبي، ولا في غيره.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) تفسير الماوردي (٦/ ٦٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٢٩).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ (١٦) إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ (٢٠)﴾.

قال كثير من المفسرين: (الخَيْر) هنا المال، فوصفه بالشُّحِّ.

وقال آخرون: بل هو على عمومه في المال والأَفعال الصالحة، ومن يُمنع إِيمانَه وطاعتَه لله فقد مُنع الخير.

و«المعتدي»: المتجاوز لحدود الأَشياءِ.

و«الأَثيم» فَعيل من الإِثم بمعنى آثِم، وذلك من حيثُ أَعمالُه قبيحة تُكسب الإِثم.

و«العُتُلُّ»: القويُّ البِنْية، الغليظُ الأَعضاءِ، المُصَحَّح، القاسي القلب، البعيدُ الفهم، الأَكولُ الشَّروبُ الذي هو بالليل جيفة وبالنهار حمار، وَكل ما عبَّر به المفسرون عنه من خلال النقص، فعن هذه التي ذكرتُ تَصْدُر.

وقد ذكر النقاشُ: أَن النبي ﷺ فسَّر «العُتُلَّ» بنحو هذا[١].

وهذه الصفات كثيرة التلازم، والعَتْلُ: الدَّفْع بشدة، ومنه العَتَلَة.

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ معناه: بعد ما وصفناه به، فهذا الترتيب إِنما هو في قول الواصف لا في حصول تلك الصفات في الموصوف، وإِلَّا فكونه عُتُلاً هو قبل كونه صاحب خير يمنعه.

و«الزَّنيمُ» في كلام العرب: الملصق في القوم وليس منهم، وقد فسَّر به ابن عباس هذه الآية[٢].

---

(١) لم أجده مسنداً.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٣٨) من طريق العوفي عن ابن عباس قال: الدَّعي.

وقال مُرَّة الهَمْدَاني: إِنما ادَّعاه أَبوه بعد ثماني عشرة سنة[١]، يعني الذي نزلت فيه هذه الآية، ومن ذلك قول حسان بن ثابت:

وَأَنْتَ زَنيمٌ نِيطَ في آلِ هاشِمٍ كَمَا نِيطَ خَلْفَ الراكِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ[٢] [الطويل]

وقول حسان أَيضاً:

زَنيمٌ تَداعاهُ الرِّجالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ في عَرْضِ الأَدِيمِ الأَكارِعُ[٣] [الطويل]

فقال كثير من المفسرين: هذا هو المراد بالآية، وذلك أَن الأَخْنس بن شُرَيْق كان من ثقيف حليفاً لقريش.

وقال ابن عباس: أَراد بالزنيم أَنَّ له زَنَمَةً في عنقه كزَنَمَة الشَّاة[٤]، وهي الهَنَةُ التي تتعلق في عنقها[٥]، وما كنا نعرف المشار إِليه حتى نزلت فعرفناه بِزَنَمتِهِ.

وقال أَبو عبيدة: يُقال لِلتَّيْس: زَنيمٌ؛ إِذْ له زَنَمَتان[٦]، ومنه قول الأَعرابي في صفة شاته: كأَن زَنَمَتَيْها تَتْوَا قُلَيْسِيَّةٍ[٧].

ورُوي: أَن الأَخنس بن شريق كان بهذه الصفة، كان له زَنَمَةٌ، وروي عن ابن عباس

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٣).

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٦٥)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٥٣٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٠٦).

(٣) انظر عزوه له في الكامل للمبرد (٣/ ١٦٤)، وتفسير السمعاني (٦/ ٢٢)، ومختارات ابن الشجري (١/ ٢٩)، ونسبه ابن هشام في السيرة (١/ ٣٦١) للخطيم التميمي، قال السهيلي في الروض الأنف (٣/ ١٩٧): والأعرف أنه لحسان كما قال ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٣٨) من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٥) في المطبوع والأسدية ٣ ونجيبويه ونور العثمانية وأحمد٣: «حلقها».

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٦٥)، وفي المطبوع ونجيبويه: «أبو عبيد».

(٧) أمالي القالي (١/ ٣٤)، وديوان المعاني (٢/ ١٣٤)، ومعنى «تَتْواهَا»: ذؤابتاها.

أَنه قال: لمَّا نزلت هذه الصفات لم يعرف صاحبها حتى نزل ﴿زَنِيمٍ﴾ فعُرف بِزَنَمَته[١].

وقال بعض المفسرين: الزَّنيم: المريب القبيح الأَفعال.

واختلفت القراءة في قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ﴾:

فقرأَ ابنُ كثير، ونافع، وأَبو عمرو، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأَهل المدينة: ﴿أَن كَانَ﴾ على الخبر.

وقرأَ حَمزة: ﴿أَأَنْ كانَ﴾ بهمزتين مُحقَّقتين[٢] على الاستفهام.

وقرأَ ابن عامر، والحسن، وابن أَبي إِسحاق، وعاصم، وأَبو جعفر: ﴿ءانْ كانَ﴾ على الاستفهام بتسهيل الهمزة الثانية[٣].

والعامل في ﴿أَن﴾ فعل مضمر تقديره: كَفَر أَو جَحَد أَو عَنَد، ويُفسِّر هذا الفعلَ قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ الآية، وجاز أَن يعمل المعنى وهو متأَخر من حيث كان قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ﴾ في منزلة الظَّرف؛ إِذ يُقدَّر باللام، أَي: لأن كان.

وقد قال فيه بعض النحاة: إِنه في موضع خفض باللام كما لو ظهرت، فكما عمل المعنى في الظرف المتقدم كذلك يعمل في هذا، ومنه قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧]، فالعامل في ﴿إِذَا﴾ معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أي: تُبعثون، أَو نحوه من التقدير، ولا يجوز أَن يعمل (يُنَبِّئُ)[٤] في ﴿إِذَا﴾ لأنهَ مضاف إِليه وقد أُضيف ﴿إِذَا﴾ إِلى الجملة، ولا يجوز أَن يعمل في (إِنَّ)، قال: لأنها جواب لـ﴿إِذَا﴾ ولا تعمل فيما قبلها.

---

(١) هو نفس أثر داود بن أبي هند السابق.

(٢) في المطبوع: «مخففتين»، وهو خطأ.

(٣) وكلها سبعية، الخبر للجمهور، والاستفهام مع التحقيق لشعبة وحمزة، ومع التسهيل لابن عامر، انظر: التيسير (ص: ٢١٣).

(٤) في الأصل ونور العثمانية ونجيبويه: «تتلى»، وأشار لها في حاشية المطبوع.

وأَجاز أَبو عليٍّ أَن يعمل فيه ﴿عُتُلِّۢ﴾ وإِن كان قد وُصف[١].

ويصح على هذا النظر أَن يعمل فيه ﴿زَنِيمٍ﴾ لا سيَّما على قول من يفسره بالقبيح الأَفعال.

ويصح أَن يعمل في ﴿أَن كَانَ﴾ «تُطِيعُهُ» التي يقتضيها قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾، وهذا على قراءة الاستفهام يَبْعُد، وإِنما يتَّجه: لَا تُطِعْه لأَجْل كونه كذا، و﴿أَن كَانَ﴾ على كُلِّ وَجْه مفعولٌ من أَجله، وتأَمل.

وقد تقدم القول في «الأَساطير» في غير ما موضع.

وقوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ معناه: على الأَنف، قاله المبرد[٢].

وذلك أَن الخرطوم يستعار في أَنف الإِنسان، وحقيقته في مخاطم السباع، ولم يقع التوعُّد في هذه الآية بأَن يُوسَمَ هذا الإِنسان على أَنفه بِسِمَةٍ حقيقةً، بل هذه عبارةٌ عن فعل يشبه الوسْم على الأَنف، واختلف الناس في ذلك الفِعْل:

فقال ابن عباس: هو الضرب بالسيف، أَن يُضرب به في وجهه وعلى أَنفه فيجيءُ ذلك كالوسْم على الأَنف، وحلَّ به ذلك يوم بَدر[٣].

وقال محمد بن يزيد المبرد: ذلك في عذاب الآخرة في جهنم، وهو تعذيب بنارٍ على أُنوفهم[٤].

وقال آخرون: ذلك في يوم القيامة، أَن يُوسَم على أَنفه بِسِمَةٍ يُعرف بها كُفْره وانحطاط قدره.

وقال قتادة وغيره: معناه: سَنفعل به في الدنيا من الذَّم والمقت والإِشهار / بالشَّر [٥/ ٢٢٥]

(١) الحجة للفارسي (٦/ ٣١١).

(٢) انظر عزوه له في الهداية لمكي (١٢/ ٧٦٣٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ٦٦)، وتفسير السمعاني (٦/ ٢٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٤١) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) الهداية لمكي (١٢/ ٧٦٣٣).

ما يبقى فيه ولا يخفى به، فيكون ذلك كالوسْم على الأَنف ثابتاً بَيِّناً[١]، وهذا المعنى كما تقول: سأُطَوِّقُكَ طوق الحمامة؛ أَي: أُثبت الأَمر بيِّناً فيك، ونَحْوَ هذا أَراد جرير بقوله:

[الكامل] لمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَق ميسَمِي[٢] ....

وفي الوَسْم على الأَنف تشويه، فجاءت استعارته في المذمَّات بليغة جداً، وإِذا تأَملت حال أَبي جهل ونظرائه وما ثبت لهم في الدنيا من سُوءِ الأُحدوثة رأَيتَ أَنهم قد وُسِمُوا على الخراطم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾؛ يريد تعالى قريشاً، أي: امتحنَّاهم.

و﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ ـ فيما ذُكر ـ قومٌ إِخوة، كان لأَبيهم جنَّـةٌ وحرثٌ مُغِلٌّ، فكان يُمْسك منه قُوتَه ويتصدق على المساكين بباقيه، وقيل: بل كان يحمل المساكين معه في وقت حصاده وجَدِّه فيجزيهم منه، فمات الشيخ، فقال ولده: نحن جماعة، وفِعْل أَبينا كان خطأً، فلنذهب إِلى جنَّتنا، ولا يدخلها علينا مسكين ولا نعطي منها شيئاً.

قال: فبيَّتوا أَمرهم وعَزْمهم على هذا، فبعث الله عليها بالليل طائفاً من نار أَو غير ذلك فاحترقت، فقيل: أَصبحت سوداءَ، وقيل: بيضاءَ كالزرع اليابس المحصود، فلما أَصبحوا إِلى جَنَّتهم لم يروها فحسبوا أَنهم قد أَخطؤوا الطريق، ثم تَـبَـيَّنوها فعلموا أَن الله تعالى أَصابهم فيها، فتابوا حينئذ وأَنابوا وكانوا مؤمنين من أَهل الكتاب.

فشبَّه الله تعالى قريشاً بهم في أَنه امتحنهم بمحمد ﷺ وهداه كما امتحن أُولئك بفعل أَبيهم وبأَوامر شرعهم، فكما حلَّ بأُولئك العقاب في جنتهم كذلك يحلُّ بهؤلاءِ في جميع دنياهم وفي حياتهم، ثم التوبة معرضة لمن بقي منهم كما تاب أُولئك.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٤١)، وتفسير الثعلبي (١٢/ ١٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٣٣).

(٢) تمامه: وَضَعَا الْبَعيثُ جَدعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ، انظر عزوه له في الأغاني (١٤/ ٣٣٨)، وديوان المعاني (١/ ١٨١)، والعمدة في محاسن الشعر (٢/ ٣٩)، والبديع في البديع لابن المعتز (ص: ٣٦)، والبديع في نقد الشعر (ص: ٨١)، وشرح ديوان الحماسة (ص: ٥١).

وقال كثير من المفسرين: السنون السبع التي أَصابت قريشاً هي بمثابة ما أَصاب أُولئك في جَنَّتهم.

وقوله تعالى: ﴿لَيَصۡرِمُنَّهَا﴾؛ أَي: لَيَجُدُّنها، وصرام النخل: جَدُّ ثمره، وكذلك في كل شجرة.

و﴿مُصۡبِحِينَ﴾ معناه: إِذا دخلوا في الصباح.

وقوله: ﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ﴾ معناه: وَلا يتوقفون في ذلك ولا يَنْثَنونَ عن رأَي منع المساكين.

وقال مجاهد: معناه: ولا يقولون: إِن شاءَ الله، بل عزموا على ذلك عَزْم من يملك أَمره[١].

و«الطَّائف»: الأَمر الذي يأَتي بالليل، ذكر هذا التَّخصيص الفراءُ[٢].

ويردُّه قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَـٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

و(الصَّريمُ): قال الفراءُ ومنذر وجماعة: أَراد به الليلَ[٣]، من حيث اسْوَدَّت جنَّتهم[٤].

وقال آخرون: أَراد به الصبح، من حيث ابْيَضَّت كالحصيد، قاله سفيان الثوري[٥].

و(الصَّريمُ) يقال لِلَّيْل ولِلنَّهار من حيث كلُّ واحد منهما ينصرم من صاحبه، وقال ابن عباس: (الصريمُ): الرماد الأَسود بلُغة جذيمة[٦].

وقال ابن عباس أَيضاً وغيرُه: (الصريم): رملةٌ باليمن معروفة لا تُنْبت، فشبَّه جنَّتهم بها[٧].

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٤١).

(٢) لفظه في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٥): لا يكون الطائف إِلاَّ ليلًا، ولا يكون نهاراً.

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٥).

(٤) في الأصل والمطبوع: «جنثهم».

(٥) انظر: البحر المحيط (٨/ ٣٠٦).

(٦) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٦).

(٧) في الأصل والمطبوع: «جنثهم».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

(تَنَادَوَا) معناه: دَعَا بعضُهم بعضاً إِلى المضيِّ لميعادهم.

وقرأ بعض السبعة: ﴿أَن أَغْدُوا﴾ بضم النون، وبعضهم بكسرها[1]، وقد تقدم هذا مراراً.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ يحتمل أَن يكون من: صِرام النخل.

ويحتمل أَن يريد: إِن كنتم أَهل عزم وإِقدام على رأَيكم، من قولك: سيف صارم.

و﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ معناه: يتكلمون كلاماً خفيّاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وكان هذا التخافت خوفاً من أَن يشعر بهم المساكين، وكان لفظهم الذي يتخافتون به ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

وقرأَ ابن مسعود، وابن أَبِي عبلة: (لَا يَدْخُلَنَّهَا) بسقوط (أَنْ)[2].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ يحتمل أَن يريد به: على مَنْع، من قولهم: حارَدَتِ الإِبِلُ إِذا قلَّتْ أَلبانُها فَمَنَعَتْها، وحاردت السَّنَةُ: إِذا كانت شهباءَ لا غلَّة لها، ومنه قول الشاعر:

[الطويل]
وَحَارَدَتِ النُّكْدُ الْجِلادُ وَلَمْ يَكُنْ ... لِعُقْبَـةِ قِدْرِ الْمُسْتَعيرينَ مُعْقِبُ[3]

---

(١) وهما سبعيتان، كسرها عاصم وحمزة وأبو عمرو كما في التيسير (ص: ٧٨).
(٢) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٥).
(٣) تقدم في تفسير أول (سورة الممتحنة).

ويحتمل أَن يريد بالحَرْد: القصدَ، وبذلك فسَّر بعض اللغويين، وأَنشد عليه:

أَقْبَـلَ سَـيْلٌ جـاءَ مِـنْ أمـر الله   يَحْـرِدُ حَـرْدَ الْجَنَّـةِ الْمُغِلَّـهْ[١]   [الرجز]

أَي: يقصد قصدها، ويحتمل أَن يريد بالحَرَدْ: الغضبَ، يقال: حرِدَ الرجلُ يحْرِدُ حَرَداً: إذا غضب، ومنه قول الأَشهب بنِ رُمَيْلَة:

أُسودُ شَرىً لَاقَتْ أُسودَ خَفِيَّة   تَساقَوا عَلَى حَرْدٍ دِماءَ الأَساوِدِ[٢]   [الطويل]

وقوله تعالى: ﴿قَدِرِينَ﴾ يحتمل أَن يكون من القُدْرة، أَي: هم قادرون في زعمهم، ويحتمل أَن يكون من التقدير، كأَنهم قد قَدَرُوا على المساكين، أَي: ضيَّقوا عليهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾؛ أَي: محترقةً، حسبوا أَنهم قد ضلُّوا الطريق، وأَنها ليست تلك، فلما تَحقَّقوها علموا أَنها قد أُصيبت، فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾؛ أَي: قد حُرمنا غَلَّتها وبركتها، فقال لهم أَعْدلهم قولاً وعقلاً وخُلقاً، وهو الأَوسط، ومنه قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أَي: عُدُولاً خياراً.

و﴿تُسَبِّحُونَ﴾ قيل: هي عبارة عن طاعة الله تعالى وتعظيمه والعمل بطاعته.

وقال مجاهد وأَبو صالح هي كانت لفظة الاستثناءِ عندهم[٣].

قال القاضي أَبو محمد رحمه الله: وهذا يردُّ عليه قولهم: ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ﴾، فبادَرَ القومُ وتابوا عند ذلك، وسبَّحوا واعترفوا بظلمهم في اعتقادهم منع الفقراءِ.

---

(١) تقدم في بداية التفسير في الكلام على البسملة.

(٢) انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٦٦)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٨٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٤٥)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٨٠)، وأمالي القالي (١/ ٨)، والكامل للمبرد (١/ ٤٨)، قال: ورميلة اسم أمه.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٥١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٣٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٧).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٥/٢٢٦] ﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾ معناه: يجعل كل واحد اللوم / في حيِّز صاحبه ويُبَـرِّئ نفسه، ثم أَجمعوا على أَنهم طغوا؛ أَي: تعدوا ما يلزم من مواساة المساكين ثم انصرفوا إِلى رجاءِ الله تعالى وانتظار الفرج من لَدُنه في أَن يبدلهم بسبب تَوْبتهم وإِنابتهم خيراً من تلك الجنة.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿يُبْدِلَنَا﴾ بسكون الباءِ وتخفيف الدال، وكذلك قرأَ الحسن، وابن محيصن، والأَعمش.

وقرأَ نافعٌ، وأَبو عمرو بالتثقيل وفتح الباءِ(١).

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ ابتداءُ مخاطبة للنبي ﷺ في أَمر قريش، والإِشارة بـ(ذَلِكَ) إِلى العذاب الذي نزل بالجنة؛ أَي: كذلك العذابُ هو العذابُ الذي ينزل بقريش بغتة، ثم عذابُ الآخرة أَشد عليهم من عذاب الدنيا، قال كثير من المفسرين: العذاب النازل بقريش المماثل لأَمر الجنة هو الجدب الذي أَصابهم سبع سنين حتى رأَوا الدخان وأَكلوا الجلود.

ثم أَخبر تعالى أَنَّ الْمُتَّقِينَ لهم عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّات النَّعِيمِ، فروي أَنه لما نزلت هذه قالت قريش: إِن كان ثَمَّ جنات نعيم فلنا فيها أَكبر الحظ، فنزلت: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾(٢).

وهذا على جهة التوقيف والتوبيخ.

وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ﴾ توبيخ آخر، ابتداءٌ وخبر، جملة منحازة.

---

(١) وهما سبعيتان، كما تقدم في (سورة التحريم)، وانظر: السبعة (ص: ٣٩٧)، والتيسير (ص: ١٤٥).
(٢) انظر: الوسيط للواحدي (٤/ ٣٣٨).

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ جملة منحازة كذلك، و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بـ﴿تَحْكُمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ﴾ هي المقدرة بـبل وأَلف الاستفهام.

و﴿كِتَٰبٌ﴾ معناه: مُنـزَّل من عند الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾، قال بعض المتأولين: هذا استئناف قول على معنى: إِن كان لكم كتاب فلكم فيه مُتخَيَّر.

وقال آخرون: ﴿إِنَّ﴾ معمولة لـ﴿تَدْرُسُونَ﴾؛ أَي: تدرسون في الكتاب: إِنَّ لكم ما تختارون من النعيم.

وكُسرت الأَلف من ﴿إِنَّ﴾ لدخول اللام في الخبر، وهي في معنى «أَنَّ» بفتح الأَلف.

وقرأَ طلحة، والضَّحاك: (أَنَّ لكم) بفتح الأَلف.

وقرأَ الأَعرج: (أَئِنَّ لكُم) على الاستفهام[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مخاطبة للكفار، كأَنه يقول: هل أَقسمنا لكم قَسَماً فهو عهد لكم بأَنا نُنَعِّمكم يوم القيامة وما بعده؟

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿بَٰلِغَةٌ﴾ بالرفع على الصفة لـ﴿أَيْمَٰنٌ﴾.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (بالِغَةً) بالنصب على الحال[2]، وهي حال من نكرة مخصصة بقوله تعالى: ﴿عَلَيْنَا﴾.

---

(١) وهما شاذتان، عزا الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨١) الأولى للضحاك، والثانية لطلحة.

(٢) وهي شاذة، انظرها في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٦).

وقرأ الأَعرج: (أَئِنّ لكم لما تحكمون)، وكذلك في التي تقدمت في قوله تعالى: (أَئِنَّ لكم فيه لما تخيرون)[١].

ثم أمر الله تعالى محمداً ﷺ ـ على وجه إِقامة الحجة ـ أَن يسأَلهم عن الزعيم لهم بذلك، من هو؟ والزَّعيمُ: الضَّامن للأَمر والقائم به.

ثم وقفهم تعالى على أَمر الشركاءِ عسى أَن يظنوا أَنهم ينفعونهم في شيءٍ من هذا.

وقرأَ ابن مسعود، وابن أَبي عبلة: (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فَلْيَأْتُوا بِشِرْكِهِمْ) بكسر الشين دون أَلف[٢].

والمراد بذلك على القراءتين: الأَصنام.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ قيل: هو استدعاءٌ وتوقيف في الدنيا؛ أَي: ليُحضروهم حتى يرى هل هم بحال من يضرُّ وينفع أَمْ لا، وقيل: هو استدعاءٌ وتوقيف على أَن يأَتوا بهم يوم القيامة، يوم يكشف عن ساق.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، قال مجاهد: هي أَول ساعة من القيامة[٣]، وهي أَفظعها.

وتظاهر حديث عن النبي ﷺ: «أَنه ينادي مناد يوم القيامة: ليتبع كلُّ أَحد ما كان يعبد، قال: فيتبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ القمرَ، وكذلك كلُّ عابد لكل معبود، ثم تبقى هذه الأُمة وَغُبَّرات أَهل الكتاب معهم منافقوهم وكثير من الكفرة، فيقال لهم: ما شأَنكم؟ لم تقفون وقد ذهب الناس؟ فيقولون: ننتظر ربَّنا، قال: فَيَجيئُهم الله في غير الصورة التي عرفوه بها، فيقول: أَنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، قال: فيقول: أَتعرفونه بعلامة ترونها؟ فيقولون: نعم، فيكشف لهم عن ساق، فيقولون

(١) وهي شاذة، كالتي قبلها، انظر عزوهما له في البحر المحيط (١٠/ ٢٤٦).
(٢) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٧).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٥٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٤٥).

نعم أَنتَ ربُّنا، ويخرون للسجود، فيسجد كل مؤمن وتصير أَصلاب المنافقين والكفار كصياصي البقر عظماً واحداً فلا يستطيعون سجوداً»[١].

هكذا هو الحديث وإِن اختلفت منه أَلفاظ بزيادة أَو نقصان.

وعلى كل وَجْه فما ذكر فيه من كشف الساق وما في الآية أَيضاً من ذلك: فإِنما هو عبارة عن شدة الهول وعظم القدرة التي يُري اللهُ تعالى ذلك اليوم، حتى يقع العلم أَن تلك القدرة إِنما هي لله تعالى وحده، ومن هذا المعنى قول الشاعر في صفة الحرب:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ ساقِهَا ... وبَدَا مِنَ الشَّرِّ الْبَراحُ[٢] [مجزوء الكامل]

ومنه قول الراجز:

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ ساقِهَا فشُدُّوا[٣] ... . [الرجز]

وقول الآخر:

في سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ ساقِها ... حَمْرَاءَ تَبْري اللَّحْمَ عَنْ عُرَاقِهَا[٤] [الرجز]

وأَصل ذلك: أَنَّ من أَراد الجِدَّ في أَمر يُحاوله فإِنه يكشف عن ساقه تشميراً وجدّاً، وقد مدح الشعراءُ بهذا المعنى، فمنه قول دُرَيْد:

---

(١) أصله متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري، وفي بعض الروايات زيادة ونقص.

(٢) البيت لسعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جد طرفة بن العبد كما في الحماسة انظرها مع شرحها للتبريزي (١/ ١٩٢)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٨٤)، وحماسة الخالديين (ص: ٤٩). وفي الأصل والأسدية ٤: «البواح». وفي نجيبويه: «الصراخ».

(٣) وبعده يقول الراجز: وجَدَّت الْحَرْبُ بِكُم فَجِدُّوا، وهو بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢١٠)، وهو من جملة الأراجيز التي أنشدها الحجاج بالعراق يوم قدومه كما في العقد الفريد (٤/ ٢٠٩)، والكامل للمبرد (١/ ٢٩٨)، وغيرهما.

(٤) عزاه في ابن قتيبة في غريب الحديث (١/ ٢٦٣)، والأنباري في الزاهر (٢/ ٣٧٠) لأعرابي.

[الطويل] كَمِيشُ الإِزار خارجٌ نِصْفُ ساقِهِ صَبورٌ عَلَى الأَعْداءِ طَلَّاعُ أَنْجُد[1]

وعلى هذا من إرادة الجِدّ والتشمير في طاعة الله تعالى، قال ﷺ: «إِزْرَةُ المؤمن إِلى أنصاف ساقيه»[2].

---

(١) البيت لدريد يرثي أخاه عبد الله انظر عزوه له في الأصمعيات (ص: ١٠٨)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٩٠)، والشعر والشعراء (٢/ ٧٣٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٤٧١)، والتعازي (ص: ٥٨)، والكامل في اللغة والأدب (١/ ٣٠١)، والعقد الفريد (٦/ ٣٤).

(٢) في نجيبويه: «نصف ساقه»، وفي نور العثمانية: «نصف ساقيه»، والحديث بهذا اللفظ له طرق لا تسلم من إشكال أو مقال، وقد ثبت معناه عند مسلم بسياق آخر من حديث ابن عمر. وهذا الحديث اشتهر بعبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة والد العلاء، واختلف عليه فيه، فرواه عنه ابنه العلاء واختلف عليه فيه؛ فأخرجه مالك في الموطأ (٣٣٩٠)، والحميدي (٧٣٧)، وأحمد (**٥-٦-٣٠-٤٤-٥٢-٩٧/ ٣**)، وأبو داود (**٤٠٩٣**)، وابن ماجه (**٣٥٧٣**)، والنسائي في الكبرى (**٩٦٣١-٩٦٣٢-٩٦٣٣-٩٦٣٤**) وغيرهم من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة، عن أبيه قال: قلت لأبي سعيد: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً في الإزار؟ قال نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه، لاجناح عليه ما بينه وبين الكعبين، وما أسفل من الكعبين في النار يقول ثلاثاً لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطراً»، ورواه فليح بن سليمان عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً، أخرجه النسائي في الكبرى (**٩٦٣٠**) وقال: هذا الحديث خطأ يعني حديث فليح وفليح بن سليمان ليس بالقوي، قال المزي في تحفة الأشراف (**١٤٠٨٤**): يعني أن الصواب حديث العلاء، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري، ورواه زيد بن أبي أنيسة عن العلاء بن عبد الرحمن عن نعيم المجمر عن ابن عمر به مرفوعاً، أخرجه النسائي في الكبرى (**٩٦٣٥**) والطبراني في المعجم الأوسط (**١/ ١٣١**) وقال: لم يرو هذا الحديث عن نعيم المجمر إلا العلاء بن عبد الرحمن تفرد به زيد بن أبي أنيسة، ونقل المزي في تحفة الأشراف **٨٥٥١**) عن النسائي قوله: المحفوظ حديث العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي سعيد وأبي هريرة، قال ابن عدي في الكامل (**٥/ ٢١٨**): الروايتان خطأ، ـ يعني الرواية عن ابن عمر وأبي هريرة ـ، والصحيح شعبة والدراوردي وغيرهما، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي سعيد، والعلاء لا بأس به، لكن له عن أبيه مناكير، ورواه محمد بن عمرو ـ هو ابن علقمة ـ عن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة قال قال أبو هريرة قال أبو القاسم ﷺ به، أخرجه أحمد في المسند (**١٦/ ٣٢٥**) وذكره البخاري في التاريخ الكبير (**٥/ ٣٦٦**) في ترجمة عبد الرحمن بن يعقوب، وقال المزي في تحفة الأشراف (**١٤١٠٠**): قال محمد بن يحيى الذهلي: كلا الحديثين محفوظان، لكن مال الدارقطني بعد ذكر الخلاف في العلل (**٢١٣٠**) إلى قول من قال: عن أبي سعيد لا عن أبي =

قرأَ جمهور الناس: ﴿يُكْشَفُ﴾ بضم الياءِ على بناءِ الفعل للمفعول.

وقرأَ ابن مسعود: (يكْشِفُ) بفتح الياءِ وكسر الشِّين[1] على معنى: يكشفُ اللهُ.

وقرأَ ابن عباس: (تكْشِفُ) بفتح التاءِ[2] على أَن القيامة هي الكاشفة.

وقرأَ ابن عباس أَيضاً: (تُـكْشَفُ) بضم التاءِ[3] على معنى: تكشف القيامة والشِّدة والحال الحاضرة.

وحكى الأَخفش عنه أَنه قرأَ: (نكْشِفُ) النون مفتوحة وكسر الشين، ورويت عن ابن مسعود[4] / . [٥/ ٢٢٧]

= هريرة، ورواه الأوزاعي حدثنا يحيى يعني ابن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي عن يعقوب أو ابن يعقوب عن أبي هريرة مرفوعاً، أخرجه أبو يعلى (١٣/ ٢٤٧)، والحديث روي أيضاً عن أنس بن مالك مرفوعاً، رواه جماعة عن حميد الطويل عنه، كما في المختارة للضياء المقدسي (٦/ ٣٨-٣٩)، وأخرجه الترمذي (١٧٨٣) وغيره من طريق: أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن مسلم بن نذير عن حذيفة قال: أخذ رسول الله ﷺ بعضلة ساقي أو ساقه فقال هذا موضع الإزار فإن أبيت فأسفل فإن أبيت فلا حق للإزار في الكعبين، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح رواه الثوري وشعبة عن أبي إسحاق، ومسلم بن نذير لم يوثق توثيقاً معتبراً، وروي كذلك عن عبد الله بن مغفل، رواه محمد ابن بكار ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن القاسم بن ربيعة عن عبد الله بن مغفل أن رسول الله ﷺ به، أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٤/ ٥١)، وسعيد بن بشير ضعيف، وثبت الخبر في صحيح مسلم (٢٠٨٦) حكاية عن فعل النبي ﷺ، فأخرجه من حديث عبد الله بن عمر قال: مررت على رسول الله ﷺ وفي إزاري استرخاء فقال: «يا عبد الله ارفع إزارك» فرفعته ثم قال: «زد» فزدت، فما زلت أتحراها بعد. فقال بعض القوم: إلى أين؟ فقال: أنصاف الساقين. اهـ.

(١) وهي شاذة، عزاه الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨١) لطلحة، وفي زاد المسير (٤/ ٣٢٥) لابن أبي عبلة، والجحدريّ، وأبي الجوزاء.

(٢) وهي شاذة، انظرها في زاد المسير (٤/ ٣٢٥).

(٣) وهي شاذة، عزاها له في زاد المسير (٤/ ٣٢٥) بالياء، وعزاها بالتاء الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨١) لابن أبي عبلة.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لابن مسعود في زاد المسير (٤/ ٣٢٥)، ولابن عباس في الشواذ للكرماني (ص: ٤٨١).

قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ﴾ ظاهِرُهُ: أَنَّ ثَمَّ دعاءً إِلى السجود، وهذا يردُّه ما قد تقرر في الشرع من أَن الآخرة ليست بدار عمل، وأَنه لا تكليف فيها، وإِذا كان هذا فإِنما الداعي ما يرونه من سجود المؤْمنين فيريدون أَن يسجدوا عند ذلك فلا يستطيعون.

وقد ذهب بعض العلماءِ إِلى أَنهم يُدعون إِلى السجود على جهة التوبيخ.

وخرَّج بعض الناس من قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أَنهم كانوا يستطيعون قبل ذلك، وذلك غير لازم، وعقيدة الأَشعري أَن الاستطاعة إِنما تكون مع التَّلَـبُّس بالفعل لا قَبْله، وهذا القَدْر كاف من هذه المسأَلة ها هنا.

و﴿خَٰشِعَةً﴾ نصب على الحال، وجوارحهم كلُّها خاشعة، أَي ذليلة، ولكنه تعالى خصَّ الأَبصار بالذكر لأَن الخشوع فيها أَبْيَن منه في كل جارحة.

وقوله تعالى: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ معناه: تزعج نفوسهم وتظهر عليهم ظهوراً يخزيهم.

وقوله: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ يريد في دار الدنيا وهم سالمون ممَّا نال عظام ظهورهم من الاتصال والعُتُوِّ.

وقال بعض المتأَولين: السُّجود هنا عبارة عن جميع الطاعات، وخص السُّجود بالذكر من حيث هو عُظْم الطاعات، ومن حيث به وقع امتحانهم في الآخرة.

وقال إِبراهيم التيمي، والشعبي: أَراد بالسجود الصلوات المكتوبة.

وقال ابن جُبَيْر: المعنى: كانوا يسمعون النداءَ للصلاة و«حيَّ على الفلاح»، فلا يجيئون(١).

وفُلِـجَ الربيع بن خُثَيْم فكان يُهادَى بين رجلين إِلَى المسجد، فقيل له: إِنك لمعذور، فقال: من سمع «حيَّ على الفلاح» فليجب ولو حَبْواً.

---

(١) انظر هذه الأقوال في الطبري (٢٣/ ٥٦٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٥٠)، والثعلبي (١٠/ ٢٢). وفي المطبوع ونور العثمانية: «التميمي».

وقيل لابن المسيَّب: إن طارقاً يريد قتلك فاجلس في بيتك، فقال: أَسْمَع «حيَّ على الفلاح» فلا أُجيب؟ والله لا فعلتُ[1]، وهذا كله قريب بعضُه من بعض.

وقوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ وعيد، ولم يكن ثَمَّ مانع ولكنه كما تقول: دعني مع فلان، أَي: سأُعاقبه.

و(مَن) في موضع نصب عطفاً على الضمير في (ذَرْني)، أَو نصب على المفعول معه.

و﴿ٱلْحَدِيثِ﴾ المشار إِليه هو القرآن المخبر بهذه الغيوب.

و«الاسْتِدْراج»: هو الحمل من رتبة إِلى رتبة حتى يصير المحمول إِلى شرٍّ، وإِنما يُستعمل الاستدراج في الشَّر، وهو مأَخوذ من الدرج.

قال سفيان الثوري: تُسبغ عليهم النعم ويمنعون الشكر[2].

وقال غيره: كلما زادوا ذنباً زيدوا نعمة.

وفي معنى الاستدراج قول النبي ﷺ: «إِن الله تعالى يُمْلي للظالم حتى إِذا أَخذه لم يُفلته»[3].

وقال الحسن: كم من مُسْتَدْرج بالإِحسان إِليه، ومغرورٍ بالسَّتْر عليه[4].

و(أُمْلي لَـهُمْ) معناه: أُؤخرهم مُلاوة من الزمان، وهي البرهة والقطعة، يقال: مُلاوة بضم الميم وفتحها وكسرها.

و«الكَيْدُ» هنا عبارة عن العقوبة التي تحلُّ بالكفار من حيث هي على كيد منهم، فسَمَّى العقوبة باسم الذنب.

---

(١) انظر القولين في تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٢).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٢).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ٧٢).

و«الْمَتين»: القوِيُّ الذي له متانة، ومنه الْمَتْنُ: الظَّهْر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٦ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤٧ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٥٠ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢﴾.

هذه ﴿أَمۡ﴾ التي تتضمن الإِضراب عن الكلام الأَول لا على جهة الرفض له، لكن على جهة التَّرْك والإِقبال على ما سواه، وهذا التوقيف هو لمحمد ﷺ، والمراد به توبيخ الكفار؛ لأَنه لو سأَلهم أَجراً فأَثقلهم غرم ذلك لكان لهم بعض العُذْر في إِعراضهم وفرارهم.

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ معناه: هل لهم علم بما يكون فيدَّعون مع ذلك أَن الأَمر على اختيارهم جار؟

ثم أَمر تعالى نبيَّه ﷺ بالصبر لِحُكْمه، وأَن يمضي لما أُمِر به من التبليغ واحتمال الأَذى والمشقة، ونَهَى عن الضَّجر والعجلة التي وقع فيها يونس عليه السلام، ثم ذكر تعالى القصة باقتضاب، وذكر ما وقع في آخرها من ندائه من بطن الحوت وهو مكظوم، أَي غيظه في صدره، وحقيقة «الكظم»: هو الغيظ والحزن والندم، فحمل المكظوم عليه تجوزاً وهو في الحقيقة كاظم، ونحو هذا قول ذي الرُّمَّة:

[البسيط] وَأَنْتَ مِنْ حُبِّ مَيٍّ مُضْمِرٌ حَزَناً ... عَاني الْفُؤَادِ قَريحُ الْقَلْبِ مَكْظُوم[1]

وقال النَّقاش: المكظوم الذي أُخِذ بكظمه وهو مجاري القلبِ، ومنه سُمِّيت الكاظِمَة، وهي القناة في جوف الأَرض[2].

---

(١) انظر عزوه له في البحر المحيط (١٠/ ٢٤٩).

(٢) لم أقف عليه.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾، أَسند الفعلَ دون علامة تأْنيث؛ لأَن تأْنيث النعمة غير حقيقي.

وقرأَ ابن مسعود، وأُبَيٌّ بن كعب، وابن عباس: (لَوْلَا أَنْ تَدارَكَتْهُ) على إِظهار العلامة[1].

وقرأَ ابن هرمز والحسن: (لَولَا أَن تَدَّارَكَهُ) بشدِّ الدال[2] على معنى: تَتَداركه، وهي حكاية حال تأْتي، فلذلك جاءَ بالفعل مستقبلاً، بمعنى: لولا أَن يقال فيه: تتداركه نعمة من ربِّه، ونحوه قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ﴾ [القصص: ١٥]، فهذا وجه هذه القراءَة، ثم أُدغمت التاءُ في الدال.

و«النِّعمة» هي الصفح والتَّوب والاجتباءُ الذي سبق له عنده، و(العَرَاءُ): الأَرض الواسعة التي ليس فيها شيءٌ يُوَارِي من بناءٍ ولا نبات ولا غيره من جبل ونحوه، ومنه قول الشاعر:

فَرَفَعْتُ رِجْلاً لا أَخافُ عِثارَهَا ... ونبذتُ بالأَرْضِ الْعَراءِ ثيابي[3] [الكامل]

وقد نُبذ يونس عليه السلام بالعَرَاءِ ولكن غير مذموم.

و(اجْتَـبَاهُ) معناه: اختاره واصطفاه.

ثم أَخبر تعالى نبيَّه ﷺ بحال نظر الكفار إِليه، وأَنهم يكادون من الغيظ والعداوة يُزْلقونه فَيُذْهبون قدمه من مكانها ويسقطونه.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿لَيُزۡلِقُونَكَ﴾ بضم الياءِ، من: أَزْلَـقَ.

---

(١) وهي شاذة، انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٨)، وزاد المسير (٤/ ٣٢٦)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٨٢).

(٢) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٢). «الحسن» سقط من المطبوع وأشار له في الهامش.

(٣) البيت لأَحد الفَرَّارين وهو رجلٌ من خُزاعة، وتقدم الكلام عليه في تفسير الآية (١٤٥) من (سورة الصافات).

وقرأ نافع وحده: ﴿لَيَزْلِقُونَك﴾ بفتح الياءِ[١] من زَلِقَت الرِّجْل، يقال: زَلِقت الرجل بكسر اللام، وَزَلَقْتُهُ بفتحها، مثل: حَزِنَ وحَزَنْتُهُ، / وشَتِرَتِ العَيْنُ [بكسر التاء][٢]، وشَتَـرْتُهَا. [٥/ ٢٢٨]

وفي مصحف ابن مسعود: (لَيُزْهِقُونَكَ) بالهاءِ.

وروى النَّخَعِيُّ أَن في قراءة ابن مسعود: (لينفدونك)[٣].

وفي هذا المعنى الذي في نظرهم من الغيظ والعداوة قول الشاعر:

[الكامل] يَتَقَارَضونَ إِذَا الْتَقَوْا في مَجْلِسٍ نَظَراً يُزِيلُ مَواطِئ الأَقْـدامِ[٤]

وذهب قوم من المفسرين ـ وذكره الفراءُ ـ إِلى أَن المعنى: يأَخذونك بالعين، وذكر أَن اللَّقْع بالعين كان في بني أَسد، قال ابن الكلبي: كان رجل يتجوع ثلاثة أَيام ثم لا يتكلم على أَي شيءٍ إِلَّا أَصابه بالعين، فسأَله الكفار أَن يصيب النبي ﷺ فأَجابهم إِلى ذلك، لكن عصم الله تعالى نبيَّه ﷺ[٥].

قال الزجاج: كانت العرب إِذا أَراد أَحدهم أَن يعتانَ أَحداً تجوَّع ثلاثة أَيامٍ[٦].

وقال الحسن: دواءُ من أَصابته العين أَن يقرأَ هذه الآية[٧].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٣).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) وهما شاذتان، انظر الأولى في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٩)، والطبري (٢٣/ ٥٦٥)، عن النخعي عنه، ولم نعثر على من ذكر الثانية قراءة بل هي تفسير انظر الهداية (١٢/ ٧٦٥٦)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٥٦٥)، وفي المطبوع وأحمد٣: «ينفذونك»، وهي شاذة كذلك.

(٤) في نظر الأعداء بعضهم إلى بعض، وهو بلا نسبة في البيان والتبيين (١/ ٣٤)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٠٩)، ومعاني القراءات للأزهري (٣/ ٨٥)، والحجة للقراء السبعة لأبي علي (٦/ ٣١٣)، والموازنة (ص: ٤١)، والمعاني الكبير في أبيات المعاني (٢/ ٨٤٥).

(٥) معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٩)، وقول الكلبي في تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٣).

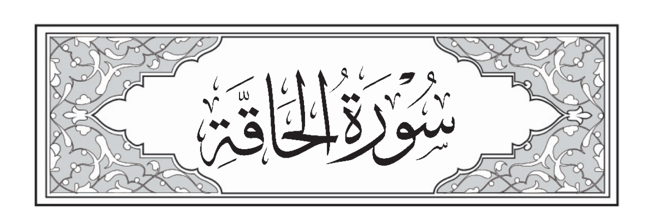
(٦) معاني القرآن للزجاج (٥/ ٢١٢).

(٧) تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٤).

و﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ في الآية: القرآنُ.

ثم قرر تعالى أَن هذا القرآن العزيز ذِكْرٌ للعالمين من الجِنَّة والإِنس، وَوَعْظٌ لهم، وحُجَّةٌ عليهم، فالحمد لله الذي أَنعم علينا به، وجعلنا من أَهله وحملته، لا ربَّ غيره.

* * *



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة الحاقة

وهي مكية بإجماع، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: خرجت يوماً بمكة متعرضاً لرسول الله ﷺ فوجدته قد سبقني إلى المسجد الحرام، فجئت فوقفت وراءه، فافتتح سورة الحاقة، فلما سمعت سرْد القرآن قلت في نفسي: إنه لشاعر كما تقول قريش، حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٣]، ثم مرَّ حتى انتهى إلى آخر السورة، فأدخل الله تعالى في قلبي الإسلام[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾.

﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ اسم فاعل من: حقَّ الشيءُ يَحِقُّ: إذا كان صحيح الوجود، ومنه: ﴿حَقَّتْ

---

(١) منقطع، أخرجه أحمد (١/ ٢٦٢) من طريق شريح بن عبيد الحضرمي، عن عمر فذكره. وشريح بن عبيد لم يدرك عمر.

﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٧١]، والمراد به البعثُ والقيامة، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة[١].

وسُمِّيت القيامة حاقة؛ لأَنها حقَّقت لكل عامل عمله.

وقال بعض المفسرين: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ مصدر كالعاقبة والعافية، فكأَنه قال: ذات الحق.

وقال ابن عباس وغيره: سُمِّيت القيامة حاقة لأَنها تبدي حقائق الأَشياءِ[٢].

واللفظة رفع بالابتداءِ، و﴿مَا﴾ رفع بالابتداءِ أَيضاً، و﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ الثانية خبر ﴿مَا﴾، والجملة خبر الأُولى، وهذا كما تقول: زيدٌ ما زيدٌ، على معنى التعظيم له والإِبْهام في التعظيم أَيضاً ليتخيَّل السامع أَقصى جهده.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ مبالغةٌ في هذا المعنى؛ أَي: أَن فيها ما لم تَدْره من أَهوالها وتفصيل صفاتها، و﴿مَا﴾ تقرير وتوقيف[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ ابتداءٌ وخبر في موضع نصب بـ﴿أَدْرَىٰكَ﴾، و﴿مَا﴾ الأُولى ابتداءٌ، وخبرها ﴿أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾، وفي ﴿أَدْرَىٰكَ﴾ ضمير عائد على ﴿مَا﴾، هو ضمير الفاعل.

ثم ذكر تعالى تكذيب ثمود وعاد بهذا الأَمر الذي هو حق، مشيراً إِلى أَن مَن كذَّب بذلك ينزل به مثل ما نزل بأُولئك.

و(القارعة): من أسماءِ[٤] القيامة أَيضاً لأَنها تقرع القلوب بصفاتها.

و﴿ثَمُودُ﴾ اسم عربيٌّ معرفة، فإِذا أُريد به القبيلة لم ينصرف، وإِذا أُريد به الحيُّ انصرف.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٦٦)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٢٥٥) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذره عباده، وانظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٠). وفي نجيبويه والحمزوية والمطبوع: «ابن عباس وغيره». و«مجاهد» من الأسدية **٣**.

(٢) لم أقف على هذا المعنى.

(٣) في الأصل: «توبيخ».

(٤) في المطبوع: «السماء».

وأَما ﴿عَادٌ﴾ فكونه على ثلاثة أَحرف ساكن الأَوسط دفع في صدر كل علة فهو مصروف.

و(الطَّاغِيَـةُ)، قال قتادة: معناه: الصيحة التي خرجت عن حَدِّ كل صيحة.

وقال قوم: المرادُ: بسبب الفئة الطاغية.

وقال آخرون منهم مجاهد، وابن زيد: المعنى: بسبب الفعْلة الطاغية التي فعلوها[١].

وقال ابن زيد ما معناه: (الطَّاغية) مصدر كالعاقبة، فكأَنه تعالى قال: بطغيانهم، وقاله أَبو عبيدة[٢]، ويُقوِّي هذا قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشمس: ١٠].

وأَولى الأَقوال وأَصوبها الأَول؛ لأَنه مناسب لما ذكر في عاد، إِذ ذكر فيه الوجه الذي وقع به الهلاك، وعلى سائر الأَقوال لا يتناسب الأَمران؛ لأَن طغيان ثمود سبب، والريح لا تناسب ذلك لأَنها ليست بسبب الإِهلاك بل هي آلة[٣] كما هي الصيحة.

و«الصَّرْصَرُ»: يحتمل أَن يكون من الصرِّ أَي: البرد، وهذا قول قتادة[٤].

ويحتمل أَن يكون من صَرَّ الشيءُ: إِذا صوَّت.

قال قوم: وصوت الريح صرير، كأَنه يحكي هذين الحرفين.

و«العاتِيَةُ» معناه: الشديدة المخالفة، وكانت الريح عَتَتْ على الخُزَّان بخلافها، وعَتَتْ على قوم عاد بشدتها.

وروي عن علي بن أَبي طالب، وابن عباس أَنهما قالا: إِنه لم تنزل من السماءِ قطرة ماءٍ قط إِلا بمكيال على يد مَلَك، ولا هبت ريح قط إِلَّا كذلك، إِلَّا ما كان من طوفان

---

(١) انظر الأقوال في تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٦)، وتفسير الماوردي (٦/ ٧٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٦١).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٧١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٦١).

(٣) في المطبوع والأسدية ٤: «آلته»، و«هي» من نجيبويه.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٢).

نوح عليه السلام وريح عاد، فإِن الله تعالى أَذن لهما في الخروج دون إِذن الخُزَّان[١].

و«التَّسْخيرُ»: استعمال الشيءِ باقتدار عليه.

وروي: أَن الريح بدأَت بهم صبح يوم الأَربعاءِ لثَمَان بقين لشوال، وتمادت بهم إِلى آخر يوم الأَربعاءِ تكملة الشهر.

و﴿حُسُومًا﴾ قال ابن عباس[٢]، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وأَبو عبيدة: معناه: كاملة تباعاً لم يتخللها غير ذلك[٣]، وهذا كما تقول العرب: ما لقيته حَوْلًا مُجَرَّماً، قال الشاعر:

[الطويل] عَوازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مُقَامَـةٍ وَلَـمْ تَـرَ نَـاراً تِـمَّ حَوْلٍ مُجَـرَّمِ[٤]

وقال الخليل: أَيْ: شُؤماً ونحساً[٥].

---

(١) إسناده لين، وروي مرفوعاً ولا يصح، أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٧٢) من طريق مهران بن أبي عمر الرازي، عن سفيان الثوري، عن موسى بن المسيب، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس رضي الله عنه به موقوفاً، وقد اختلف على سفيان، فرواه عنه جماعة، عن موسى بن المسيب، عن شهر ابن حوشب، عن ابن عباس موقوفاً، وخالفهم موسى بن أعين فرواه عن سفيان به مرفوعاً، وقد أخرج هذه الرواية أبو الشيخ في العظمة (٧٣٢-٨٠٦)، والدارقطني في الغرائب والأفراد كما في الأطراف (٣/ ١٩٢) وقال: غريب من حديث الثوري، عن موسى بن المسيب، تفرد به موسى بن أعين عنه، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٢/ ٢٦١)، قال أبو نعيم: رواه الفريابي والناس موقوفاً على سفيان وتفرد برفعه موسى بن أعين عن سفيان، أما أثر علي بن أبي طالب فهو منقطع فقد أخرجه الطبري (٢٣/ ٢١٠) من طريق أبي سنان سعيد بن سنان، عن غير واحد، عن علي بن أبي طالب فذكره.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٧٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: تباعاً.

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٧١)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٦٥)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٧).

(٤) البيت لطُفَيْل الغَنَوي، وقيل لابن مقبل، كما تقدم في تفسير (سورة يونس) الآية (١٢٨)، وتِمُّ الحول: تمامه وكماله، والمُجَرَّم: المكمل.

(٥) العين (٣/ ١٥٣).

[٥/ ٢٢٩] وقال ابن زيد: ﴿حُسُومًا﴾: جمع حاسم/ كجالسٍ وقاعد، ومعناه: أَن تلك الأَيام قطَّعتهم بالإِهلاك[١]، ومنه: حسم العِلَل، ومنه: الحسام.

والضمير في قوله: ﴿فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ يحتمل أَن يعود على الليالي والأَيام[٢].

ويحتمل أَن يعود على دارهم وحِلَّتِهم؛ لأَن معنى الكلام يقتضيها وإِن لم يُلفظ بها.

قال الثعلبي: وقيل: يعود على الريح[٣].

وقد تقدم القول في التشبيه بأَعجاز النخل في سورة (اقْتَربت السَّاعة).

و«الْخاويةُ»: السَّاقطة التي قد خلت أَعجازها بلًى وفساداً.

ثم وقف تعالى على أَمرهم توقيف اعتبار ووعظ[٤] بقوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾.

واختلف المتأَولون في ﴿بَاقِيَةٍ﴾:

فقال قوم منهم ابن الأَنباري: هي هنا مبالغة؛ كَعلَّامة ونسَّابةٍ، والمعنى: من باقٍ.

وقال ابن الأَنباري أَيضاً: معناه: من فئة باقية[٥].

وقال آخرون: ﴿بَاقِيَةٍ﴾ مصدر، فالمعنى: من بقاءٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٤)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٦٥)، وتفسير الماوردي (٦/ ٧٨).

(٢) الاحتمال الأول سقط من الأصل.

(٣) لم أقف عليه ولفظه في تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٧): ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾؛ أي: في تلك الليالي والأيام.

(٤) «ووعظ» ليست في المطبوع.

(٥) انظر القولين في البحر المحيط (١٠/ ٢٥٥).

قرأَ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، وأَبو جعفر، وشيبة، وأَبو عبد الرحمن، والناس: ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ بفتح القاف وسكون الباءِ؛ أَي: الأُمم الكافرة التي كانت قبله، ويؤيد ذلك ذكره بعد قصة نوح في طغيان الماءِ؛ لأَن قوله: ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ قد تَضَمَّنهم، فَحَسُن اقتضاب أَمرهم بعد ذلك دون تصريح.

وقرأَ أَبو عمرو والكسائي، وعاصم في رواية أَبان، والحسن بخلاف عنه، وأَبو رجاءٍ، والجحدريُّ، وطلحة: ﴿وَمَنْ قِبَلَهُ﴾ بكسر القاف وفتح الباءِ[1]؛ أَي: أَجْناده وأَهل طاعته.

ويؤيد ذلك أَن في مصحف أُبيٍّ بن كعب: (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ مَعَهُ).

وفي حرف أَبي موسى الأَشعري: (وَمَنْ تِلْقَاءَهُ)[2].

وقرأَ طلحة بن مصرف: (وَمَنْ حَوْلَهُ)[3].

وقِبَلُ الإِنسان: ما يليه في المكان، وكثر استعمالها حتى صارت بمنزلة: عندي، وفي ذِمَّتي، وما يَليني؛ بأَيِّ وجه وَلِيَني.

و(المؤْتفكات): قرى قوم لوط عليه السلام، وكانت أَربعاً فيما رُوي، وائْتُفِكتْ: قُلِبت وصرف عاليها سافلها فائْتَفكَتْ هي، فهي مُؤْتَفِكَة.

وقرأَ الحسن هنا: (والمُؤْتَفِكَةُ) على الإِفراد[4].

و(الْخَاطِئَة) إِمَّا أَن يكون صفةً لمحذوف، كأَنه قال: بالفِعْلَة الخاطئة، وإِما أَن يريد المصدر؛ أَي: بالخطأِ في كفرهم وعصيانهم.

وقوله تعالى: ﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل أَن يكون «الرسول» اسم جنس، كأَنه قال: فعصى هؤلاءِ الأَقوام والفِرق أَنبياءَ الله تعالى الذين أَرسلهم إِليهم.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٣)، ورواية أبان في السبعة (ص: ٦٤٨)،

(٢) وهما شاذتان، انظرهما في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٨٠).

(٣) وهي شاذة، لم نجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٤) وهي شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (١٠/ ٢٧).

ويحتمل أَن يكون «الرسول» بمعنى الرسالة.

وقال الكلبي: يعني موسى عليه السلام[(١)].

وقال غيره ـ في كتاب الثعلبي ـ: يعني لوطاً عليه السلام.

و«الرابية»: النامية التي قد عظمت جداً، ومنه: الربا، وَرَبَا المال، ومنه ﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾ [الحج: ٥][(٢)].

ثم عدد تعالى على الناس نعمته في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾ والمراد: طغى الماءُ في وقت الطوفان الذي كان على قوم نوح عليه السلام.

و«الطغيان»: الزيادة على الحدود المتعارفة في الأَشياءِ، ومعناه: طغى على خُزَّانه في خروجه، وعلى البشر في أَن أَغرقهم.

قال قتادة: عَلَا على كل شيءٍ خمسة عشر ذراعاً[(٣)].

و﴿ٱلۡجَارِيَةِ﴾: السفينة.

والضمير في قوله تعالى: ﴿لِنَجۡعَلَهَا﴾ عائد على الفعلة؛ أَي: مَن تذكَّرها ازدجر.

ويحتمل أَن يعود على ﴿ٱلۡجَارِيَةِ﴾، أَي: مَنْ سمعها اعتبر.

و﴿ٱلۡجَارِيَةِ﴾ يراد بها سفينة نوح عليه السلام، قاله مُنذر[(٤)].

وقال المهدوي: المعنى: في السُّفن الجارية[(٥)].

وقال قتادة: أَبقى الله تعالى تلك السفينة حتى رأَى بعضَ عيدانها أَوائل هذه الأُمَّة،

---

(١) انظر قول الكلبي في تفسير القرطبي (١٨/ ٢٦٢)، وأما نقل الثعلبي فلم نجده في تفسيره.

(٢) تكررت في (فصلت: ٢٩).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٧٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٢٧-٢٨)، وتفسير الماوردي (٦/ ٧٩).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) التحصيل للمهدوي (٦/ ٤٦٥).

وغيرُها من السفائن التي صنعت بعدها قد صارت رموداً[١].

وقوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ عبارة عن الرجل الفَهِم المنور القلب الذي يسمع القول فيتلقاه بفَهْم وتدبُّر.

قال أَبو عمران الجوني: ﴿وَٰعِيَةٌ﴾: عَقَلت عن الله عزَّ وجلَّ[٢].

ويروى: أَن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أَبي طالب رضي الله عنه: «إِني دعوت الله أَن يجعلها أُذنك يا علي»، قال عليٌّ رضي الله عنه: فما سمعتُ بعد ذلك شيئاً فنسيته[٣].

وقرأَ الجمهور: ﴿تَعِيَهَا﴾ بكسر العين على وزن: تَلِيَهَا.

وقرأَ ابن كثير في رواية الحلواني وقنبل، وابن مصرف: (وَتَعْيَهَا) بسكون العين[٤]، جعل التاءَ[٥] التي هي علامة في المضارع بمنزلة الكاف من: كَتِف؛ إِذْ حرف المضارعة لا يفارق الفعل فَـيُسكَّن تخفيفاً، كما يقال: كَتْف، ونحو هذا قول الشاعر:

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٧٠).

(٢) الهداية لمكي (١٢/ ٧٦٧٢).

(٣) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٧٩)، وابن أبي حاتم (١٨٩٦١)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٨٨) من طريق الوليد بن مسلم، عن علي بن حوشب قال سمعت مكحولاً يقول: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ به، وهذا إسناد مرسل، وقد وقع عند ابن أبي حاتم: زيد بن يحيى بين الوليد ابن مسلم، وعلي بن حوشب، وأخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٢٨) من طريق أبي حمزة الثمالي، عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي فذكره مرسلاً، وفيه ثابت بن أبي صفية دينار أبو حمزة الثمالي وهو ضعيف، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٤٩) من طريق عثمان بن الخطاب بن عبد الله أبي عمرو البلوي الأشج المعروف بابن أبي الدنيا، عن علي مرفوعاً بنحوه، وعثمان بن الخطاب هذا قال فيه الخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٢٩٧): والعلماء من أهل النقل لا يثبتون قوله ولا يحتجون بحديثه، وقد أورده الشوكاني في الفوائد المجموعة (١/ ٣١٦) فيما يذكره الرافضة في تفاسيرهم من الأكاذيب.

(٤) وهي شاذة، انظر عزوها لابن كثير في السبعة (ص: ٦٤٨)، وجامع البيان (٤/ ١٦٥٢)، ولطلحة في الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٣).

(٥) وفي المطبوع: «الياء».

قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنَا سَويقاً[١] .... [الرجز]

على أَن هذا البيت منفصل، فهو أَبعد، لكن ضرورة الشعر تسامح به.

ثم ذكَّر تعالى بأَمر القيامة.

و﴿ٱلصُّورِ﴾: القرنُ الذي يُنفخ فيه.

قال سليمان بن أَرقم: بلغني أَن رسول الله ﷺ سُئل عن الصور فقال: «هو قرن من نور، فمه أَوسع من السماوات»[٢].

والنفخة المشار إِليها في هذه الآية: نفخة القيامة التي للفزع، ومعها يكون الصعق ثم نفخة البعث، وقيل: هي نفخات ثلاث: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ثم نفخة البعث، والإِشارة بآيتنا هذه إِلى نفخة الفزع؛ لأَن حمل الجبال هو بعدها.

وقرأَ الجمهور: ﴿نَفۡخَةٞ﴾ بالرفع، لمَّا نعت صح رفعه.

وقرأَ أَبو السَّمال: (نفخةً واحدةً) بالنصب[٣].

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿وَحُمِلَتِ﴾ بتخفيف الميم، بمعنى: حملتها الرياح والقدرة.

وقرأَ ابن عامر فيما روي عنه: (وَحُمِّلَت) بشدِّ الميم[٤]، وذلك يحتمل معنيين:

أَحدهما: أَنها حاملةٌ حَمَلَتْ قدرةً لله تعالى وعُنفاً وشدة تُفَتِّتها، فهي مُحَمَّلة حاملة.

والآخر: أَن تكون محمولة حَمَلَتْها ملائكةٌ أَو قدرةٌ.

وقوله تعالى: ﴿فَدُكَّتَا﴾؛ وقد ذكر جمعاً؛ ساغ ذلك لأَن المذكور فرقتان، وهذا كما قال الشاعر:

---

(١) تقدم في تفسير الآية (٤٥) من (سورة البقرة).

(٢) لم أهتد إليه.

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها له في تفسير القرطبي (١٨/ ٢٦٤)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٨٣).

(٤) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢٨).

[الوافر] أَلَـمْ يَحْزُنْـكِ أَن حِبـالَ قَوْمـي وَقَوْمِـكِ قَـدْ تبايَنَتَـا انْقِطاعـاً[١]

ومنه قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

[٥/ ٢٣٠] و(دُكَّتَا) معناه: سُوِّي جميعها، / كما يقال: ناقة دكاءُ: إِذا ضعفت فاستوت حدبتها مع ظهرها.

و﴿ٱلْوَاقِعَةُ﴾: القيامة والطَّامَّة الكبرى.

وقال بعض الناس: هي إِشارة إِلى صخرة بيت المقدس، وهذا ضعيف.

و«انشقاق السماءِ»: هو تفطُّرها وَتَمَيُّزُ بعضها من بعض، وذلك هو الوهاء[٢] الذي ينالها، كما يقال في الجُدَرات البالية المتشقِّقة: واهية.

و(الْمَلَكُ) اسم جنس يريد به الملائكة.

وقال جمهور المفسرين: الضمير في ﴿أَرْجَآئِهَا﴾ عائد على السماءِ، أَي الملائكةُ على نواحيها [وما لَم يَهِ منها][٣].

والرَّجا: الجانب من الحائط والبئر ونحوه، ومنه قول الشاعر:

[الطويل] كَأَنْ لَـمْ تَـرَي قَبْلي أَسـيراً مُقَيَّداً وَلَا رَجُلاً يُرْمَى بِهِ الرَّجَوَانِ[٤]

أَي: يُلْقى في بئر فلا أَجد ما أَتمسَّك به.

وقال الضحاك أَيضاً[٥] وابن جبير: الضمير في ﴿أَرْجَآئِهَا﴾ عائد على الأَرض وإِن

---

(١) البيت للقطَاميِّ عُمَيْر بن شُيَيْم التغلبي، وقد تقدم في تفسير الآية (١٥) من (سورة فصلت).
(٢) في المطبوع: «الوهن».
(٣) سقط من الحمزوية، وفي المطبوع وأحمد٣ ونور العثمانية: «وما لمَّ به منها».
(٤) البيت لعطارد بن قران أحد بني صدي بن مالك كما في معجم الشعراء (ص: ٣٠٠)، والحماسة البصرية (١/ ١٠٦)، وفي الأغاني (١٢/ ٢٠١) أنه رجل من لصوص بني تميم يعرف بأبي النشناش، وذكر خبره، ونسبه في الصحاح (٦/ ٢٣٥٣) للمراديّ، غير مسمى، ونسبه الزمخشري في المستقصى في أمثال العرب (٢/ ٢٧٠) لطهْمَان الْأَعْوَر. وفي الأصل: «يرعى به».
(٥) في حاشية المطبوع: زيادة في الأصول لا حاجة إليها.

كان لم يتقدم لها ذكر قريب؛ لأَن القصة واللفظة تقتضيان إِفهام ذلك[١]، وفسَّرا هذه الآية بما روي أَن الله تعالى يأَمر ملائكة السماءِ الدنيا فيقفون صفّاً على حافات الأَرض، ثم يأْمر ملائكة السماءِ الثانية فيصفون خلفهم، ثم كذلك ملائكة كل سماءٍ، فكلما فر[٢] أَحد من الجن والإِنْس وجد الأَرض قد أُحيط بها، قالوا: فهذا تفسير هذه الآية، وهو أَيضاً معنى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢]، وهو أَيضاً تفسير قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ * يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾ [غافر: ٣٢-٣٣][٣] على قراءة من شدَّ الدال، وهو تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْ﴾ [الرحمن: ٣٣].

واختلف الناس في الثمانية الحاملين للعرش:

فقال ابن عباس: هي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أَحد عِدَّتهم[٤].

وقال ابن زيد: هم ثمانية أَملاك على هيئة الوُعُول[٥].

وقال جماعة من المفسرين: هم على هيئة الناس، أَرجُلهم تحت الأَرض السابعة ورؤُوسهم وكواهلهم فوق السماءِ السابعة[٦].

وروي عن النبي ﷺ أَنه قال: «هُمُ اليوم أَربعة، فإِذا كان يوم القيامة قواهم الله تعالى بأَربعة سواهم»[٧].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨١-٥٨٢)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٧٣-٧٦٧٤).

(٢) في الحمزوية وأحمد٣: «ند»، وفي نجيبويه والمطبوع: «بدا».

(٣) وقد تقدم التنبيه على قراءة (التنادّ) بالتشديد وأنها شاذة.

(٤) ضعيف جداً، أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٨٢-٥٨٣)، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش (٣٣) من طريق الحكم بن ظهير، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس رضي الله عنه به. والحكم بن ظهير الفزاري متروك الحديث.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٧٥).

(٦) «السابعة» ليس في المطبوع والأصل.

(٧) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٨٤) عن محمد بن حميد الرازي، عن سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، مرسلاً.

والضمير في قوله تعالى: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ قيل: هو للملائكة الحَمَلة، وقيل: للعالم كله، وكل قدرة كيفما تصورت فإنما هي بحول الله تعالى وقوته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾.

الخطاب بقوله تعالى: ﴿تُعْرَضُونَ﴾ لجميع العالم، وروي عن أَبي موسى الأَشعري، وابن مسعود: أَن في القيامة عَرْضتين، فيهما معاذير، وتوقيف، وخصومات، وجدال، ثم تكون عرضةٌ ثالثة تتطاير فيها الصحف بالأَيْمان والشمائل(١).

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿لا يَخْفَى﴾ بالياءِ، وهي قراءَة علي بن أَبي طالب رضي الله عنه، وابن وثَّاب، وطلحة، والأَعمش، وعيسى.

وقرأَ الباقون بالتَّاءِ على مراعاة تأَنيث ﴿خَافِيَةٌ﴾، وهي قراءة الجمهور(٢).

---

(١) أثر أبي موسى الأشعري اختلف فيه رفعاً ووقفاً، والوقف أصح، وهو مع ذلك منقطع، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/ ١١٧) والطبري (٢٣/ ٥٨٤) واللالكائي في شرح السنة (٦/ ١١٨٢-١١٨٣) من طريق علي بن علي بن رفاعة، عن الحسن البصري، عن أبي موسى الأشعري موقوفاً، وهذا إسناد منقطع؛ من أجل عدم سماع الحسن من أبي موسى، وأخرجه وكيع في «الزهد» (٣٥٩) عن علي بن رفاعة، ومن طريقه أحمد (٤/ ٤١٤)، والبزار (٣٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧٧) مرفوعاً والرواية الموقوفه أشبه بالصواب كما قاله الدارقطني في العلل (٧/ ٢٥١)، وأخرجه الترمذي (٢٤٢٥) من طريق وكيع، عن علي بن علي، عن الحسن، عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه، وقال: لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، وقد رواه بعضهم عن علي الرفاعي عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ. قال أبو عيسى: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى، أما أثر عبد الله بن مسعود فإسناده مستقيم، فقد أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٣٠) من طريق سليم بن حيان، عن مروان الأصفر، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود به من قوله.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٤٨)، والتيسير (ص: ٢١٣).

وقوله تعالى: ﴿خَافِيَةٌ﴾ معناه: ضمير ولا مُعتقد.

والَّذين يُعطون كُتُبهم بأَيْمانهم: هم المُخلَّدُونَ في الجنة أَهل الإِيمان.

واختلف العلماء في الفرقة التي ينفذ عليها الوعيد من أَهل المعاصي، متى تأَخذ كُتُبها؟

فقال بعضهم: الأَظهر أَنها تأْخذها مع الناس، وذلك يؤنسها مدة العذاب، قال الحسن: فإِذا أُعطي كتابه بيمينه لم يقرأْه حتى يأْذن الله له، فإِذا أَذن له قال: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾.

وقال آخرون: الأَظهر أَنه إِذا أُخرجوا من النار، والإِيمانُ يؤنسهم وقت العذاب[١].

وهذا ظاهر هذه الآية؛ لأَن من يسير إِلى النار كيف يقول هاؤم اقرؤوا كِتابيه؟

وأَما ﴿هَآؤُمُ﴾ فقال قوم: أَصله: ها أُمُّوا، ثمَّ نقله التخفيف والاستعمال.

وقال آخرون: هذه الميم ضمير الجماعة، وفي هذا كله نظر، والمعنى على كل وجه[٢]: تعالوا، فهو استدعاءٌ للفعل المأْمور به.

وقوله: ﴿ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ هو استبشارٌ وسرور.

وقوله: ﴿ظَنَنتُ﴾ الآية؛ عبارة عن إِيمانه بالبعث وغيره، قال قتادة: ظنَّ هذا ظنّاً يقيناً فنفعه، وقومٌ ظَنُّوا ظنَّ شك فشقوا به[٣]، و﴿ظَنَنتُ﴾ هنا واقعة موقع: تيَقَّنْتُ، وهي في مُتيَقَّن لم يقع بعد ولا خرج إِلى الحسِّ، وهذا هو باب الظَّن الذي يقع موقع اليقين.

وقرأَ بعض القراءِ: ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ و﴿حِسَابِيَهْ﴾ و﴿مَالِيَهْ﴾ و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾ بالهاءِ في الوصل والوقف اقتداءً بخط المصحف، وهي في الوصل بِنيَّة الوقف لأَنها هاءُ السَّكْت فلا معنى لها في الوصل.

---

(١) ما ذكره المؤلف عن الحسن لم أقف عليه، وانظر القولين الآخرين في لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٣).

(٢) «وجه» ليست في الأصل.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨٥).

وَطَرَحَ الهاءَات في الوصل لا في الوقف: الأَعمشُ وابن أَبِي إِسحاق، قال أَبو حاتم: قراءتنا إِثبات الهاءات في الوقف وطرحها في الوصل، وبذلك قرأَ ابن أَبي محيصن، وسلام.

قال الزهراوي: في إِثبات الهاءِ في الوصل لَحْنٌ لا يجوز عند أَحد عَلِمْتهُ[١].

و﴿رَّاضِيَةٍ﴾ معناه: ذات رضى، فهو بمعنى مرضية، وليست بناءَ اسم فاعل.

و﴿عَالِيَةٍ﴾ معناه: في المكان والقدر وجميع وجوه العُلُوِّ.

و«القُطوف» جمع قطف، وهو ما يُجتنى من الثمار ويقطف، ودُنُـوُّها: هو أَنها تأَتي طوع المتمني فيأَكلها القائم والقاعد والمضطجع بفيه من شجرتها.

و﴿أَسْلَفْتُمْ﴾ معناه: قدَّمتم.

و﴿ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾: هي أَيام الدنيا لأَنها في الآخرة قد خلت وذهبت.

وقال وكيع، وابن جبير، وعبد العزيز بن رفيع[٢]: المراد: بما أَسلفتم من الصوم[٣].

وعُمُومُها في كل الأَعمال أَولى وأَحسن.

والذين يُؤْتون كُتُبهم بِشَمَائِلهم: هم المُخَلَّدُونَ في النار أَهل الكفر، فيتمنَّوْن أَن لو كانوا معدومين لا يجري عليهم شيءٌ.

[٥/ ٢٣١] وقوله تعالى / : ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ إِشارة إِلى مَوْتة الدنيا؛ أَي: ليتها لم يكن بعدها رجوع ولا حياة.

---

(١) هي سبعية لحمزة في ﴿ماليه﴾ و﴿سلطانيه﴾ كما في التيسير (ص: ٢١٤)، وعشرية ليعقوب في النشر (٢/ ١٤٢) في ﴿كتابيه﴾ و﴿حسابيه﴾، وانظر ما قاله أبو حاتم في البحر المحيط (١٠/ ٢٦٠)، ورد على الزهراوي بقوله: بل ذلك منقول نقل التواتر فوجب قبوله.

(٢) هو عبد العزيز بن رفيع أبو عبد الله الأسدي الطائفي، نزيل الكوفة، روى عن ابن عباس وابن عمر وأنس، وعنه شعبة والثوري وأبو الأحوص وشريك، وكان أحد الثقات المسندين، توفي سنة ١٣٠هـ، تاريخ الإسلام (٨/ ١٦٥).

(٣) انظر: البحر المحيط (١٠/ ٢٦١)، ونقله في تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨٧) عن ابن زيد وقتادة.

وقوله: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾ يحتمل أَن يريد الاستفهام على معنى التقرير لنفسه والتوبيخ، ويحتمل أَن يريد النفي المحض.

و«السُّلْطَانُ» في الآية: الحُجَّةُ، على قول عكرمة ومجاهد.

وقال بعضهم ونحا إِليه ابن زيد: تنطق بذلك ملوك الدنيا الكفرة[1].

قال القاضي أَبو محمد: والظاهر عندي: أَن سلطان كل أَحد هو حاله في الدنيا من عَدَد وعُدَدٍ، ومنه قول النبي ﷺ: «لا يُؤَمَّنَّ الرجل في سلطانه، ولا يُجلس على تَـكرمته إِلا بإِذنه»[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٍ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعًا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾﴾.

المعنى: يقول الله تعالى، أَو الملك ـ بِأَمْرِهِ ـ للزبانية: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾؛ أَي: اجعلوا في عنقه غلاًّ.

قال ابن جريج: نزلت في أَبي جهل[3].

و﴿ذَرۡعُهَا﴾ معناه: مبلغ كَيْلها، وقد جعل الله تعالى السبع مئة، والسبعين، والسبعة، مواقف ونهايات لأَشياءَ عظام، فلذلك مشى البشر العرب وغيرهم على أَن يجعلوها نهايات، وهذه السلسلة من الأَشياءِ التي جعل الله تعالى فيها السبعين نهاية.

وقرأَ السدي: (ذَرْعُهَا سَبْعينَ) بالياءِ[4]، وهذا على حذف خبر الابتداءِ.

---

(١) انظر القول الأول في تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٠)، والثاني في تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨٨).
(٢) أخرجه مسلم (٦٧٣) وغيره من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.
(٣) تفسير الثعالبي (٥/ ٤٧٨).
(٤) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

واختلف الناس في قدر هذا الذراع:

فقال ابن عباس، ومحمد بن المنكدر، وابن جريج: هو بذراع الملك[١].

وقال نوف البكالي وغيره: في الذراع سبعون باعاً، في كل باع كما بين الكوفة ومكة[٢].

وهذا يحتاج إلى سند.

وقال حذاقٌ من المفسرين: هي بالذراع المعروفة منا، وإنما خوطبنا بما نعرفه ونحصِّله.

وقال الحسن: الله أَعلم بأَيِّ ذراع هي[٣].

وقال سويد بن نجيح[٤] ـ في كتاب الثعلبي ـ: بلغني أَن جميع أَهل النار في تلك السلسلة[٥].

وقال ابن عباس: لو وُضع منها حلقة على جبل لذاب كالرصاص[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ معناه: فأَدْخِلوه.

ومنه قول أَبِي وَجْزة السعديِّ يصف حمر وحش:

[البسيط] حتَّى سَلَكْنَ الشَّوَى منهُنَّ في مَسَك ... منْ نَسْلِ جَوَّابَةِ الآفاقِ مِهداج[٧]

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٥٨٩)، والبيهقي في البعث (٥٩٤) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه به.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٨٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٨٤).

(٣) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٧٢).

(٤) هو سويد بن نجيح أبو قطبة، روى عن الشعبي وعكرمة، وعنه ابن المبارك ووكيع، وثقه ابن معين، تاريخ الإسلام (٩/ ١٦٩).

(٥) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣١)، و«بلغني» ليست في الأصل.

(٦) لم أقف عليه مسنداً.

(٧) تقدم في تفسير الآية (١٤) من (سورة الحجر).

ورُوي: أَن هذه السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج من دبره، فهي في الحقيقة التي تُسلك فيه، لكن الكلام جرى مجرى قولهم: أَدخلتُ القَلَنْسُوَةَ في رأَسي، وفمي في الحجر.

ورُوي: أَن هذه السلسلة تُلوى حول الكافر حتى تغمَّه وتضغطه[١].

فالكلام ـ على هذا ـ على وجهه، وهو المسلوك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ المراد به: على إِطعام طعام المسكين، وإِضافة الطعام إِلى المسكين من حيث له إِليه نسبةٌ مَّا، وخُصَّت هذه الخَلَّة من خلال الكافر بالذكر؛ لأَنها من أَضَرِّ الخلال في البشر، إِذا كثرت في قوم هلك مساكينهم.

واختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿حَمِيمٌ﴾:

فقال جمهور المفسرين: هو الصديق اللطيف المودة، فنفى الله تعالى أَن يكون للكافر هنالك من يواليه، ونفى أَن يكون له طعام إِلَّا من غِسْلين.

وقال محمد بن المستنير: الحميمُ: الماءُ الحارُّ[٢]، فكأَنه تعالى أَخبر أَن الكافر ليس له ماءٌ ولا شيءٌ مائع ولا طعامٌ إِلَّا من غسلين، وهو فيما قال اللغويون ما يجري من الجراح إِذا غُسلت.

قال ابن عباس: هو صديد أَهل النار[٣].

وقال قتادة وابن زيد: الغِسْلين والزَّقوم أَخبث شيءٍ وأَبْشَعُه[٤].

---

(١) أخرج بعض هذه الروايات الطبري (٢٣/ ٥٨٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قوله: ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ قال: بذراع الملك فاسلكوه، قال: تسلك في دُبره حتى تخرج من منخريه، حتى لا يقوم على رجليه، وانظر: الدر المنثور (١٤/ ٦٨٠).

(٢) الهداية لمكي (١٢/ ٧٦٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٢٤٠)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٥٩١) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٩١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٨٨).

وقال الضحاك، والربيع هو شجر يأَكله أَهل النار[١].

وقال بعض المفسرين: هو شيءٌ يجري من ضريع [أهل النار][٢] لأَن الله تعالى قد أَخبر أَنهم ليس لهم طعام إِلَّا من ضريع، وفي أُخرى إِلَّا مِن غِسْلين، فهما شيءٌ واحدٌ أَو اثنان متداخلان.

ويحتمل أَن يكون الإِخبار هنا عن طائفة وهناك عن طائفة، ويكون الغِسْلين والضريع متباينين على ما يفهم منهما في لسان العرب.

وخبر (لَيْسَ) في ﴿لَهُ﴾، وقال المهدوي: ولا يصح أَن يكون ﴿هَٰهُنَا﴾[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وقد يصح ذلك إِن شاء الله تعالى.

و(الخاطئُ): الذي يفعل ضد الصواب متعمداً لذلك، و(المخطئُ): الذي يفعله غير متعمد.

وقرأَ الحسن، والزهري: (الْخَاطِيُونَ) بالياءِ دون همز[٤].

وقرأَ طلحة، وأَبو جعفر، وشيبة، ونافع بخلاف عنه: ﴿الْخَاطُونَ﴾ بضم الطاءِ دون همز[٥].

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾، قال بعض النحاة: (لَا) زائدة، والمعنى: فأُقْسِم.

وقال آخرون مِنْهم: (لَا) ردٌّ لما تقدم من أَقوال الكفار، والبداية ﴿أُقْسِمُ﴾.

وقرأَ الحسن بن أَبي الحسن: (فَلأُقْسِمُ) لام القسم معها أَلف أُقْسِمُ[٦].

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٢).

(٢) من الحمزوية ونجيبويه، وفي نور العثمانية: «من ضريع النار».

(٣) التحصيل للمهدوي (٦/ ٤٧١).

(٤) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢٨).

(٥) وهي عشرية لأبي جعفر كما في النشر (١/ ٣٩٧)، وانظر الرواية عن نافع في الدر المصون (١٠/ ٤٣٩).

(٦) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٤٠٩).

قوله تعالى: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾؛ قال قتادة بن دِعامة: أَراد الله تعالى أَن يعُمَّ في هذا القسم جميع مخلوقاته[١]، وقال غيره: أَراد الأَجساد والأَرواح.

قال القاضي أَبو محمد: وهذا قول حسن عام.

وقال ابن عطاءٍ: ما تُبصرون من آثار القدرة وما لا تُبصرون من أسرار القدرة[٢].

وقال قومٌ: أَراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ الملائكةَ.

و«الرَّسُولُ الكريم»: هو جبريل عليه السلام في تأْويل جماعة من العلماءِ، ومحمد ﷺ في قول آخرين، وأُضيف القول إِليه لأنه هو الذي تلاه وبلَّغه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾.

نَفى تعالى أَن يكون القرآن قول شاعر كما زعمت قريش.

ونصب ﴿قَلِيلًا﴾ بفعل مضمر يدل عليه ﴿تُؤْمِنُونَ﴾.

و﴿مَا﴾ يحتمل أَن تكون نافية فينتفي إِيمانهم البتَّةَ.

ويحتمل أَن تكون/ مصدرية ويتصف بالقِلَّة إِمَّا الإِيمان وإِما العَدَد الذي يؤمنون، [٥/ ٢٣٢] فعلى اتصاف إِيمانهم بالقلة فهو الإِيمان اللغوي؛ لأَنهم قد صدَّقوا بأَشياءَ يسيرة لا تغني عنهم شيئاً؛ إِذْ كانوا يصدقون أَن الخير والصلة والعفاف الذي كان يأَمر به رسول الله ﷺ هو حق صواب، ثم نَفَى تعالى أَن يكون القرآن[٣] قول كاهن كما زعم بعضهم.

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ١٤٩).

(٢) روح البيان (١٠/ ١٤٨)، ونقله في البحر المحيط (١٠/ ٢٦٤) عن عطاء.

(٣) «القرآن» من المطبوع.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، والحسن، والجحدري: ﴿قَلِيلاً مَا يُؤْمِنونَ﴾ و﴿قَلِيلاً ما يَذَّكَّرُونَ﴾ بالياءِ فيهما جميعاً، وروي ذلك عن أبي عمرو.

وقرأ الباقون بالتاءِ من فوق(١).

ورجَّح أَبو عمرو قراءة التاءِ من فوق بقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾(٢).

وفي مصحف أُبَيٍّ بن كعب: (مَا تَتَذَكَّرُونَ) بتاءين(٣).

و﴿تَنزِيلٌ﴾ رُفع بالابتداءِ، أَي: هو تنزيلٌ.

ثم أَخبر تعالى أَن محمداً لو تقوَّلَ علينا شيئاً لعاقبه بما ذَكَر، والتقوُّل: أَن يقول الإِنسان عن آخر: إِنه قال شيئاً لم يقله.

وقرأ ذكوان وابنه محمد: (وَلَو يَقُولُ عَلَيْنَا) بالياءِ وضم القاف(٤)، وهذه القراءَة مُعرِّضة بما صرحت به قراءةِ الجمهور، ويُبيِّن التعريض قوله تعالى: ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ اختلف في معناه:

فقال ابن عباس: ﴿بِٱلْيَمِينِ﴾: بالقُوَّة(٥)، ومعناه: لَنِلْنا منه عقابه بقوة منا، أَو يكون المعنى: لنزعنا قوته.

وقال آخرون: هي عبارة عن الهوان، كما يقال لمن يُسْجَن(٦) أَو يُقام لعقوبة: قد أُخذ بيده وبيمينه.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٤)، وذكر أبي عمرو زيادة من الأسدية٤، وهي رواية هارون كما في السبعة (ص: ٦٤٨).

(٢) انظر حجة القراءات (ص: ٧٢٠).

(٣) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (١٠/ ٢٦٥).

(٤) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢٨).

(٥) ذكره الثعلبي (١٠/ ٣٢)، وأخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (١٤/ ٦٨٤) عن ابن عباس قال: بقدرة.

(٦) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «لمن يُسَخَّر».

و﴿ٱلْوَتِينَ﴾: نياط القلب، قاله ابن عباس[١].

وهو عِرْقٌ غليظ تصادفه شفرة الناحر، ومنه قول الشَّماخ:

إِذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي ... عَرابَةَ فاشْرَقي بِدَمِ الْوَتينِ[٢] [الوافر]

فمعنى الآية: لأذهبنا حياته معجَّلاً.

و«الحاجِزُ»: المانع، وجَمع ﴿حَٰجِزِينَ﴾ على معنى أَحد؛ لأَنه يقع على الجمع. ونحوه قوله ﷺ: «لم تحلَّ الغنائم لأَحد سود الرؤوس قبلكم»[٣].

والضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ﴾ عائد على القرآن، وقيل: على محمد ﷺ، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ وعيدٌ، وكونُه حسرة على الكافرين هو من حيث كفروا به ويَرَوْن من آمن به يُنَعَّم وهم يُعَذَّبون.

قوله تعالى: ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾، ذهب الكوفيون إِلى أَنها إِضافة الشيءِ إِلى نفسه؛ كـ: دار الآخرة، ومسجد الجامع، وذهب البصريون والحُذَّاق إِلى أَن «الحق» مضاف إِلى الأَبلغ من وجوهه، وقال المبرد: إِنما هو كقولك: عين اليقين ومحض اليقين[٤].

---

(١) إسناده مستقيم، أخرجه وكيع في الزهد (٥٩)، والطبري (٢٣/ ٥٩٣)، وابن أبي حاتم (١٨٩٨١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠١) من طريق الثوري، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) عزاه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٦٨)، وإيضاح الشواهد (١/ ٩١)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٥٩٤)، والمعاني الكبير (١/ ٢٧٦)، والكامل للمبرد (١/ ١٠٨)، والعقد الفريد (٦/ ١٨٨)، والأغاني (٩/ ١٩٦)، وحماسة الخالديين (ص: ٥٩)، والموشح (ص: ٧٩).

(٣) صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٢)، والترمذي (٣٠٨٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٤٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٨٠٦) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس قبلكم كانت تنزل من السماء نار فتأكلها فلما كان يوم بدر وقع الناس في الغنائم فأنزل الله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾»، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٣١).

ثم أَمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بالتسبيح باسمه العظيم، وفي ضمن ذلك الاستمرار على رسالته، والمُضِيُّ لأَدائها وإِبلاغها.

وروي: أَن رسول الله ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: «اجعلوها في ركوعكم»[1].

واستحبَّ التزامَ ذلك جماعةٌ من العلماءِ[2].

وكره مالك لزوم ذلك لئلا يُعَدّ فرضاً واجباً[3].

* * *

(١) إسناده ليس بذاك القوي، هذا الحديث أخرجه أحمد (٤/ ١٥٥)، والدارمي (١٣٠٥)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وابن خزيمة (٦٠٠-٦٠١-٦٧٠) من طريق موسى بن يعقوب الغافقي، عن عمه إياس بن عامر، عن عقبة بن عامر قال: لَمَّا نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾، قال لنا رسول الله ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ»، فلمَّا نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، قال لنا رسول الله ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ».

(٢) منهم أبو حنيفة كما في المبسوط للشيباني (١/ ٥)، والمبسوط للسرخسي (١/ ١٠٧)، والأوزاعي كما في الأوسط (٣/ ٣١٧)، والشافعي والجمهور كما في شرح النووي على مسلم (٤/ ١٩٧).

(٣) انظر كراهية مالك لالتزام التسبيح في الركوع؛ في المدونة (١/ ١٦٨).



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾

وهي مكية، لا خلاف بين الرواة في ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡ ...﴾.

قرأ جمهور السبعة: ﴿سَأَلَ﴾ بهمزة محققة، قالوا: والمعنى: دَعَا داعٍ، والإِشارة إِلى من قال من قريش: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وروي أَن قائل ذلك هو النضر بن الحارث، وإِلى من قال: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦] ونحو هذا.

وقال بعضهم: المعنى: بحث باحث واستفهم مُسْتَفْهِم، قالوا: والإِشارة إِلى قول قريش: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ [يونس: ٤٨]، وما جرى مجراه، قاله الحسن وقتادة[١].

فأَمَّا من قال: المعنى: دَعَا داعٍ؛ فالباءُ في قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٖ﴾ على عُرفها.

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٩٦).

وأَمَّا من قال: المعنى: استفهم مُسْتَفْهم؛ فالباءُ تُوَصِّل توصيل «عَنْ»، كأنه تعالى قال: عن عذاب، وهذا كقول علقمة بن عبدة:

[الطويل] فَـإِنْ تَسْـأَلُوني بالنِّسـاءِ فَإِنَّنِي   بَصِيـرٌ بـأَدْواءِ النِّسـاءِ طَبِيـبُ[1]

وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿سالَ﴾ ساكنة الألف[2].

واختلف القراءُ فيها، فقال بعضهم: هي «سأَل» المهموزة إلا أنها سهلت، كما قال:

[الكامل] .... لا هَناكِ الْمَرْتَعُ[3]

ونحو ذلك.

وقال بعضهم: هي لغة من يقول: سِلْتُ أَسَالُ وَيَتَسَاوَلَان[4]، وهي لغة مشهورة حكاها سيبويه فتجيءُ الأَلف منقلبة عن الواو التي هي عين؛ كـ: قال وخاف[5]، وأَما قول الشاعر:

[البسيط] سَـالَتْ هُذَيْـلٌ رَسُـولَ الله فاحِشَـةً   ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَالَتْ وَلَمْ تُصِبِ[6]

---

(١) انظر عزوه له في الشعر والشعراء (١/ ٢١٣)، والمفضليات (ص: ٣٩٢)، والبيان والتبيين (٣/ ٢١٦)، والاختيارين (ص: ٦٤٩)، والعقد الفريد (٧/ ١١١)، والأغاني (٢٠/ ٣٢٥)، وهو من معلقته.

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٤).

(٣) البيت للفرزدق، وتمامه:

رَاحَت بِمَسْلَمَةَ البغالُ عَشِيَّةً   ارْعَيْ فَـزَارَةُ لَا هَنَـاكِ الْمَرْتَعُ

انظر عزوه في العين (٢/ ٦٨)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٥٥٤)، والمقتضب (١/ ١٦٦)، وأساس البلاغة (١/ ٣٣٦)، والأصول في النحو (٣/ ٤٦٩)، والأغاني (١٠/ ٣١٣).

(٤) في حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «سَالَ يَسَالُ».

(٥) في الحمزوية ونجيبويه: «حاق»، وانظر الكتاب لسيبويه (٣/ ٥٥٥).

(٦) البيت لحسان بن ثابت الأنصاري، كما في سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٠)، وأنساب الأشراف للبلاذري (١١/ ٢٥٧)، والكتاب لسيبويه (٣/ ٤٦٨)، والمقتضب (١/ ١٦٧)، والأصول في النحو (٣/ ٤٧٠)، والكامل للمبرد (٢/ ٧٥)، والعقد الفريد (٦/ ١٤٧).

فإن سيبويه قال: هو على لغة تسهيل الهمزة، وقال غيره: هو على لغة من قال: سِلتُ[1].

وقال بعضهم في الآية: هي من: سَالَ يَسيلُ: إِذا جرى، وليست من معنى السؤال.

قال زيد بن ثابت وغيره: في جهنم وادٍ يسمَّى سائلاً[2]، والإِخبارُ هنا عنه.

قال القاضي أَبو محمد: ويحتمل ـ إِن لم يصح أَمر الوادي ـ أَن يكون الإِخبار عن نفوذ القَدَر بذلك العذاب، قد استعير له لفظ السَّيْل لمَا عُهد من نفوذ السيْل وتصميمه.

وقرأَ ابن عباس: (سَالَ سَيْلٌ) بسكون الياءِ[3].

وقرأَ أُبَيٌّ بن كعب، وابن مسعود: (سَالَ سالٌ) مثل «قالٍ»[4]، أُلْقيت الياءُ من الخَطِّ تخفيفاً، والمراد: سايل؛ إِذ سؤال الكفار عن العذاب ـ حسب قراءَة الجماعة ـ إِنما كان على أَنه كذب، فوصفه الله تعالى بأَنه واقع وعيداً لهم.

قوله تعالى: ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾، قال بعض النحويين: اللام تُوَصِّل المعنى توصيل «عَلَى».

وروي: أَن في مصحف أُبَيٍّ بن كعب: قوله تعالى (عَلَى الْكَافِرِينَ)[5]/ . [٥/ ٢٣٣]

وقال قتادة والحسن: المعنى: كأَن قائلاً قال: لِمَنْ هذا العذاب الواقع؟ فقيل: لِلْكَافِرِينَ[6].

و﴿ٱلۡمَعَارِجِ﴾ في اللغة: الدَّرَجُ في الأَجرام، وهي هنا مستعارة في الرُّتب والفواضل[7]

(١) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٢٠).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٠٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣٥).
(٣) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٢٩).
(٤) وهي شاذة، عزاها لهما في البحر المحيط (١٠/ ٢٧١)، وفيه: مثل «مال».
(٥) وهي شاذة، عزاها له الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٤٠٣).
(٦) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٥).
(٧) «للكافرين» ليس في المطبوع وفي الأسدية ٣: «الفواصل».

والصفات الحميدة، قاله ابن عباس[١]، وقتادة[٢].

وقال ابن عباس: ﴿ٱلۡمَعَارِجِ﴾: السماوات تعرج فيها الملائكة من سماءٍ إِلى سماءٍ[٣].

وقال الحسن: هي المراقي إِلى السماءِ[٤].

وقوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ معناه: تصعد، على أَصل اللغة في اللفظة.

و(الرُّوحُ) عند جمهور العلماءِ هو جبريل عليه السلام، خصَّصه بالذكر تشريفاً.

وقال مجاهد: (الرُّوح): ملائكة حفظة للملائكة الحافظين لبني آدم، لا تراهم الملائكة كما لا نرى نحن الملائكة[٥].

وقال بعض المفسرين: هو اسم الجنس في أَرواح الحيوان.

واختلف المتأَولون في قوله تعالى: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾:

فقال منذر بن سعيد وجماعة من الحُذَّاق: المعنى: تعرج الملائكة والروح إِليه في يوم من أَيامكم هذه، ومقدار المسافة أن لو عرجها آدميٌّ خمسون أَلف سنة، وقاله ابن إِسحاق[٦].

فمَنْ جعل (الروح) جبريلَ ونوعاً من الملائكة قال: المسافة هي من قعر الأَرض السابعة إِلى العرش، قاله مجاهد[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٠٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: العلو والفواضل، وأخرجه ابن جرير أيضاً (٢٣/ ٦٠١) من طريق الأعمش، عن رجل، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذي الدرجات.

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٥)، وتفسير الماوردي (٦/ ٩٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٦٩٨).

(٣) انظر الأثر الماضي.

(٤) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٧٢).

(٥) الهداية لمكي (١٢/ ٧٧٠١).

(٦) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٦).

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٠١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٣٦).

ومَن جعل (الروح) جنس أَرواح الحيوان قال: المسافة من وجه هذه الأرض إِلى منتهى العرش علُوّاً، قاله وهب بن مُنَبِّه[١].

وقال قوم: المعنى: تعرج الملائكة والروح إِليه في يوم كان مقداره في نفسه خمسين أَلف سنة من أَيامكم. ثم اختلفوا في تعيين ذلك اليوم:

فقال عكرمة، والحكم: أَراد الله تعالى مدة الدنيا فإِنها خمسون أَلف سنة، لا يدري أَحد ما مضى منها ولا ما بقي[٢]، فالمعنى: تعرج الملائكة والروح إِليه في مدة الدنيا وبقاءِ هذه البنية، ويتمكن ـ على هذا ـ في (الرُّوح) أَن يكون جنس أَرواح الحيوان.

وقال ابن عباس وغيره: بل اليوم المشار إِليه هو يوم القيامة[٣]؛ ثم اختلفوا:

فقال بعضهم: قدره في الطول قدر خمسين أَلف سنة، وهذا هو ظاهر قول النبي ﷺ: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إِلَّا جعل الله له صفائح من نار يوم القيامة تكوى بها جبهته وظهره وجنباه في يوم كان مقداره خمسين أَلف سنة»[٤].

وقال ابن عباس، وأَبو سعيد الخدري: بل قَدْرُه في هَوْله وشدته ورزاياه للكفار قدر خمسين أَلف سنة[٥]، وهذا كما تقول في اليوم العصيب: إِنه كَسَنة، ونحو هذا.

قال أَبو سعيد: قيل: يا رسول الله! ما أَطولَ يوماً مقداره خمسون أَلف سنة؟ فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده إِنه ليخفُّ على المؤمن حتى يكون أَخفَّ عليه من صلاة مكتوبة»[٦].

---

(١) معاني القرآن للنحاس (٥/ ٢٩٩).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٦)، وتفسير الماوردي (٦/ ٩٠)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٦٠٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٠٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٤) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أثر ابن عباس أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٠٢) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة. وسيأتي أثر أبي سعيد رضي الله عنه.

(٦) ضعيف، أخرجه أحمد (١٨/ ٢٤٦)، وأبو يعلى (١٣٩٠)، والطبري (٢٣/ ٦٠٢)، وابن حبان في =

وقال عكرمة: المعنى كان مقدار ما ينقضي فيه من القضايا والحساب قدر ما ينقضي بالعدل في خمسين أَلف سنة من أَيام الدنيا[١].

وقد ورد في يوم القيامة أَنه كأَلف سنة، وهذا يشبه أَن يكون في طوائف دون طوائف.

والعامل في قوله تعالى: ﴿يَوۡمِ﴾ ـ على قول من يقول إِنه يوم القيامة ـ: قولُه تعالى: ﴿دَافِعٞ﴾، وعلى سائر الأَقوال: ﴿تَعۡرُجُ﴾.

وقرأَ جمهور القراءِ: ﴿تَعۡرُجُ﴾ بالتاءِ من فوق.

وقرأَ الكسائي وحده: ﴿يَعْرُجُ﴾ بالياءِ لأَن التأَنيث غير حقيقي، وبالياءِ من تحت قرأَ ابنُ مسعود لأَنه كان يُذَكِّر الملائكة، وهي قراءة الأَعمش[٢].

ثم أَمر تعالى نبيَّه ﷺ بالصبر الجميل، وهو الذي لا يلحقه عيبٌ[٣] من فَشَلٍ ولا تشكٍّ ولا قِلَّةِ رضا ولا غير ذلك، والأَمر بالصبر الجميل محكم في كل حالة، وقيل: نزلت هذه الآية قبل الأَمر بالقتال.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا﴾؛ يعني: يوم القيامة؛ لأَنهم يكذِّبون به فهو في غاية البعد عندهم، والله تعالى يراه قريباً من حيث هو واقع وآت وكلُّ آت قريب، وقال بعض المفسرين: الضمير في ﴿يَرَوۡنَهُۥ﴾ عائد على العذاب.

= صحيحه (٧٣٣٤) من طريق دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ فقيل: ما أطول هذا اليوم؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف دراج ـ وهو ابن سمعان أبو السمح ـ في روايته عن أبي الهيثم ـ وهو سليمان بن عمرو العتواري.

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٠١).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٢١٤)، وقراءة ابن مسعود في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٨٤).

(٣) في نجيبويه: «عتب».

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَكُونُ﴾ نصب بإِضمار فعل أو على البدل من الضمير المنصوب.

و(الْمُهْلُ): عَكَرُ الزيت، قاله ابن عباس وغيره[١]، فهي لسوادها وانكدار أَنوارها تشبه ذلك.

والمُهْل أَيضاً: ما أُذيب من فضة ونحوها، قاله ابن مسعود[٢] وغيره، فيجيءُ له أَلوان وتميُّع مختلط، والسماءُ أَيضاً للأَهوال التي تدركها تصير مثل ذلك.

و(الْعِهْنُ): الصوف دون تقييد، وقال بعض اللغويين: هو الصوف المصبوغ أَلواناً، وقيل: المصبوغ أَي لون كان، وقال الحسن: هو الأَحْمر[٣].

واستدل من قال إِنه المصبوغ أَلواناً بقول زهير:

كَأَنَّ فُتاتَ الْعِهْنِ في كُلِّ مَنْزِلٍ   نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ[٤]   [الطويل]

وحَبُّ الْفَنَا: هو عِنَب الثَّعلب، وكذلك هو عند طيبه وقبل تحطيمه أَلوان، بعضه أَحمر، وبعضه أَصفر، وبعضه أَخضر؛ لاختلافه في النضج.

وتُشبَّه الجبال به على هذا القول؛ لأَنها جُدد بِيضٌ وحُمْرٌ وسودٌ، فيجيءُ التشبيه من وجهين: في الأَلوان، والانتفاش.

ومن قال إِن (الْعِهْنَ) هو الصوف دون تقييد؛ جعل التشبيه في الانتفاش وتخلخل الأَجزاءِ فقط، قال الحسن: والجبال يوم القيامة تسير بالريح [ثم يشتد الأمر فتنهد] ثم يشتد الأَمر بها [فتصير كالعِهْن، ثم لا يزال النسف][٥] بها فتصير هباءً مُنْبَثّاً.

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١٨/ ١٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) صحيح، تقدم تخريجه في (سورة الكهف) آية (٢٩)، و(سورة الدخان) آية (٤٥)، وفي حاشية المطبوع: في بعض النسخ: «ابن عباس».

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٧).

(٤) انظر عزوه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٥٩)، والجيم (٣/ ٤٩)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٨٩)، والكامل للمبرد (٣/ ٦٩).

(٥) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٧)، وما بين المعكوفتين الأول سقط من المطبوع وأحمد٣، والثاني سقط =

وقرأَ السَّبعة والحسن والمدنيون وطلحة والناس: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ﴾ على بناءِ الفعل للفاعل.

و«الْحَمِيمُ» في هذا الموضع: القريبُ والوليُّ، فالمعنى: ولا يسأَله نصرة ولا منفعة لعلمه أنه لا يجدها عنده، قال قتادة: المعنى: ولا يسأله عن حاله لأَنها ظاهرة، قد بصر كل أَحد حالة الجميع وشُغل بنفسه[1].

وقرأَ ابن كثير من طريق البزي، وأَبو جعفر وشيبة بخلاف عنهما، وأَبو حيوة: ﴿ولا يُسْأَلُ﴾ على بناءِ الفعل للمفعول[2]، فالمعنى: ولا يُسأَل إِبصاره؛ لأَن كل مجرم له سِيْما يُعرف بها، وكذلك كل مؤمن له سِيْما خير.

وقيل: المعنى: لا يُسأَل عن أَعماله وذنوبه ليؤخذ بها وَلِيزرَ وِزْرَهُ.

و﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ ـ على هذه القراءات ـ قيل: معناه: في النار.

وقال ابن عباس: في المحشر يبصر الحميم حميمه ثم يفر عنه لشغله بنفسه[3].

[٥/ ٢٣٤] تقول: بَصُر فلان بالشيءِ وبَصَّرتُه به: أَرَيْتُه إِيَّاه، ومنه قول الشاعر: /

[الوافر] إِذَا بَصَّرْتُكِ الْبَيْدَاءَ فَاسْري وَأَمَّا الآنَ فاقْتَصِدي وَقِيلِي[4]

وقرأَ قتادة: (يُبْصِرُونَهُمْ) بسكون الباءِ وكسر الصاد خفيفة[5].

وقال مجاهد: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ معناه: يُبصر المؤمنون الكفار في النار.

= من الأصل، وفي المطبوع ونجيبويه: «الأمر» بدل «النسف».

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٠٤).

(٢) وهي عشرية، انظرها لأبي جعفر في النشر (٢/ ٣٩٠)، وخلفُ البزي فيه وفي السبعة (ص: ٦٥٠)، وفي المطبوع وأحمد٣: «السُّدِّي».

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٠٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، بنحوه.

(٤) لم أجده لغير المصنف.

(٥) وهي شاذة، انظر عزوها له في مختصر الشواذ (ص: ١٦٢).

وقَال ابن زيد: يُبصر الكفارُ من أَضلَّهم في النار عبرةً وانتقاماً عليهم وخزياً لهم[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿ٱلْمُجْرِمُ﴾ في هذه الآية: الكافر، بدليل شدة الوعيد وذِكْرِ ﴿لَظَىٰ﴾، وقد يدخل مجرم المعاصي فيما ذكر من الافتداءِ[٢].

وقرأَ جمهور الناس: ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ بكسر الميم، وقرأَ الأَعرج بفتحها[٣].

ومن حيث أُضيف إِلى غير متمكن جاز فيه الوجهان.

وقرأَ أَبو حيوة: (من عَذَابٍ) منوَّناً (يومَئذ) بفتح الميم[٤]، والصاحبة هنا: الزوجة.

و«الْفَصِيلَةُ» في هذه الآية: قرابة الرجل الأَدنون، مثال ذلك: بنو هاشم مع النبي ﷺ.

والفصيلة في كلام العرب أَيضاً: الزوجة، ولكن ذِكْر «الصاحبة» في هذه الآية لم يُبق في معنى الفصيلة إِلَّا الوجه الذي ذكرناه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ الفاعل هو الفداءُ الذي تضمنه قوله: ﴿لَوْ يَفْتَدِى﴾، فهو كالمتقدم الذكر.

وقرأَ الزهري: (تُؤْويهُ) و(تُنْجِيهُ) برفع الهاءين[٥].

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٣/ ٦٠٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٠٥)، والماوردي (٦/ ٩٢)، وفي المطبوع: «إشفاقاً» بدل «انتقاماً».

(٢) في المطبوع: «الابتداء»، وفي الأصل: «الاقتداء».

(٣) هي سبعية لنافع والكسائي كما في التيسير (ص: ٢١٤).

(٤) وهي شاذة، عزاها له الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٤٠٦).

(٥) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٢٧٤)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨٥) لسلام.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ رَدٌّ لقولهم وما ودُّوه[١]، أَي: ليس الأَمر كذلك، ثم ابتدأَ الإِخبار عن ﴿لَظَىٰ﴾ وهي طبقة من طبقات جهنم، وفي هذا اللفظ تعظيم لأَمرها وهولها.

وقرأَ السبعة، وأَبو جعفر والحسن، والناس: ﴿نَزَّاعَةٌ﴾ بالرفع.

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿نَزَّاعَةً﴾ بالنصب[٢].

فالرفع على أَن تكون ﴿لَظَىٰ﴾ بدلاً من الضمير المنصوب و﴿نَزَّاعَةٌ﴾ خبر (إِنَّ)، أَو على إِضمار مبتدأ، أَي: هي نزاعةٌ، أَو على أَن يكون الضمير في ﴿إِنَّهَا﴾ للقصة و﴿لَظَىٰ﴾ ابتداءً، و﴿نَزَّاعَةٌ﴾ خبرٌ، أَو على أَن يكون ﴿لَظَىٰ﴾ خبر (إِنَّ) و﴿نَزَّاعَةٌ﴾ بدلاً من ﴿لَظَىٰ﴾ أَو على أَن يكون ﴿لَظَىٰ﴾ خبراً و﴿نَزَّاعَةٌ﴾ خبرٌ بعد خبر.

وقال الزجاج: ﴿نَزَّاعَةٌ﴾ رفع بمعنى المدح[٣].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو القول بأَنها خبر ابتداءٍ تقديره: هي نَزَّاعَةٌ؛ لأَنه إِذا تضمن الكلام معنى المدح أَو الذم جاز لك القطع رفعاً بإِضمار مبتدأ، أَو نصباً بإِضمار فعل.

ومن قرأَ بالنصب فذلك إِمَّا على مدح ﴿لَظَىٰ﴾ كما قلنا، وإِمَّا على الحال من ﴿لَظَىٰ﴾ لما فيها من معنى التَّلَظِّي، كأَنه تعالى قال: كلَّا، إِنَّها النار التي تَتَلَظَّى نزاعةً.

قال الزجاج: فهي حال مؤكدة.

و(الشَّوَى): جِلْد الإنسان، وقيل: جلد الرأَس والهامة، قاله الحسن[٤]، ومنه قول الأَعشى:

---

(١) كتبت في الأصل: «ردوه».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٤).

(٣) انظره مع قوله الآتي في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٢١).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٠٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٠٩)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٧٣).

[مجزوء الكامل]

قَــالَــتْ قُــتَــيْــلَــةُ مــا لَــهُ   قَــدْ جُــلِّــلَــتْ شَــيْــباً شَــواتُــهْ[١]

ورواه أَبو عمرو بن العلاءِ: سَرَاتُه، فلا شاهد في البيت على هذه الرواية.

قال أَبو عبيدة: سمعتُ عربياً يقول: اقشعرَّت شَوَاتي[٢].

والشَّوى أَيضاً: قوائم الحيوان، ومنه: عَبْلُ الشَّوَى. والشَّوى أَيضاً: كلُّ عضو ليس بمقتل، ومنه: رَمَى فأَشْوَى: إِذا لم يُصب المقتل.

وقال ابن جبير: الشَّوى: العَصَب والعقِب[٣]، فنارُ لَظَى تُذهب هذا من ابن آدم وتنزعه.

وقوله تعالى: ﴿تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يريد الكفار، واختلف الناس في دعائها:

فقال ابن عباس وغيره: هي حقيقة، تدعوهم بأَسمائهم وأَسماءِ آبائهم[٤].

وقال الخليل بن أَحمد: هي عبارة عن حرصها عليهم واسْتدنائِهَا لهم وما توقعه من عذابها.

وقال ثعلب: ﴿تَدۡعُواْ﴾ معناه: تُهلك، تقول العرب: دعاك الله؛ أَي: أَهلكك، وحكاه الخليل عن العرب[٥].

و(أَوْعَى) معناه: جعلها في الأَوعية، تقول: وعيتُ العلم وأَوْعيت المال والمتاع.

ومنه قول الشاعر:

---

(١) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٢٣/ ٦٠٧)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٩٦)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٧٧).

(٢) انظر قوله مع قول أبي عمرو في مجاز القرآن (٢/ ٢٦٩).

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٨)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧١٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ٩٣).

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٣٨).

(٥) العين (٢/ ٢٢١)، وقول ثعلب في تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٨).

[البسيط] الْخَيْرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمانُ بِهِ والشَّرُّ أَخْبَثُ ما أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِ[١]

وهذه إِشارة إِلى كفار أَغْنياء جعلوا جمع المال أوكد أَمرهم ومعنى حياتهم، فجمعوه من غير حِلٍّ، ومنعوه من حقوق الله تعالى.

وكان عبد الله بن حكيم[٢] لا يربط كيسه ويقول: سمعتُ الله تعالى يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ عموم لاسم الجنس، لكن الإِشارة هنا إِلى الكفار لأَن الأَمر فيهم وكيد كثير، و«الـهَلَعُ»: جزعٌ واضطراب يعتري الإِنسان عند المخاوف وعند المطامع، ونحوُهُ قوله ﷺ: «شَرُّ ما في الإنسان شُحٌّ هالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ»[٤].

[وقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ﴾ الآية، مفسر للهلع][٥].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ معناه: إِلَّا المؤمنين الذين أَمْرُ الآخرة أَوكد عليهم من أَمر الدنيا، والمعنى: إِن هذا المعنى فيهم يقِلُّ لأَنهم يجاهدونه بالتقوى.

---

(١) لعَبيد بن الأبرص، كما في ديوان المعاني (١/ ١١٨)، والعمدة (١/ ٢٨٣)، وفي الأغاني (٢٢/ ٩٠) أن هاتفاً أنشده إياه.

(٢) هو عبد الله بن حكيم بن حزام القرشي الأسدي أسلم بالفتح، هو وأبوه وإخوته هشام وخالد، وصحب النبي ﷺ، وكان معه لواء طلحة يوم الجمل وقتل يومئذ، ورثته أمه زينب بنت العوام، الإصابة (٤/ ٥٥)

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٩).

(٤) إسناده صحيح غريب، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٧١٤١)، وأحمد (٢/ ٣٠٢-٣٢٠)، وعبد ابن حميد (١٤٢٨)، وأبو داود (٢٥١١)، والبزار (٨٨١٦)، وابن حبان (٣٢٥٠) وغيرهم من طرق عن موسى بن عُلي بن رباح، عن أبيه، عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه، قال ابن طاهر: إسناده متصل وهو من شرط أبي داود وقد احتج مسلم بموسى بن علي عن أبيه عن جماعة من الصحابة، انتهى من تخريج الزيلعي لأحاديث الكشاف (٤/ ٨٩). ولفظة: «جبن خالع» من المطبوع وأحمد٣ والأسدية ٣.

(٥) سقط من المطبوع.

وقرأ الجمهور: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ بالإِفراد، وقرأ الحسن: (صلواتهم) بالجمع[١].

وقوله تعالى: ﴿دَآئِمُونَ﴾، قال الجمهور: المعنى: مواظبون قائمون لا يُخِلُّون[٢] في وقت من الأَوقات فيتركونها، وهذا في المكتوبة، وأَما النافلة فالدوام عليها الإِكثارُ مِنْهَا بحسب الطاقة.

وقد قال ﷺ: «أَحبُّ العمل إِلى الله ما داوم عليه صاحبه»[٣].

وقال ابن مسعود: الدوامُ: صلاتُها لوقتها، وتَرْكُها كُفْر[٤].

وقال عقبة بن عامر: ﴿دَآئِمُونَ﴾: يَقِرُّون في صلاتهم ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً[٥]، ومنه: الماءُ الدائم.

---

(١) وهي شاذة، عزاها له في البحر المحيط (١٠/ ٢٧٥).

(٢) في الأصل ونور العثمانية: «لا يملون».

(٣) أخرجه مسلم (٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بنحوه.

(٤) منقطع، أخرج الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٩٠) عن علي بن عبد العزيز ثنا أبو نعيم ثنا المسعودي عن القاسم قال: قيل لعبد الله: إن الله عز وجل يكثر ذكر الصلاة في القرآن ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ و﴿الذين هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فقال عبد الله: ذلك على مواقيتها فقالوا: يا أبا عبد الرحمن إنما كنا نرى ذاك الترك فقال عبد الله: تركها كفر، وهذا مرسل، القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن جده مرسل، وأخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٩٣٨) والطبري في التفسير (١٨/ ٢١٦) من طريق: وكيع عن المسعودي عن القاسم والحسن بن سعد قالا قيل لابن مسعود، والحسن هذا أيضاً لم يسمع ابن مسعود، وقال علي بن الجعد في مسنده (١٩٢٤): أنا المسعودي عن القاسم قال: قيل لعبد الله، وقال ابن ابي شيبة في المصنف (١/ ٣١٦): حدثنا أبو خالد، عن حجاج، عن الحسن بن سعد، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن ابن مسعود؛ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ قال: على مواقيتها، وهذا أيضاً منقطع، عبد الرحمن لم يدرك أباه، وقال ابن المنذر في الأوسط (٢/ ٣٨٦): حدثنا عبد الله بن أحمد قال ثنا المقبري قال ثنا المسعودي قال ثنا الحسن بن سعد عن عبد الرحمن بن عبد الله قال قلت لعبد الله مثله. وهذا وهم؛ فعبد الرحمن لم يدرك أباه كبيراً.

(٥) صحيح، أخرجه الطبري (٢٣/ ٦١٢) من طريق يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير مرثد بن عبد الله اليزنى، عن عقبة بن عامر بنحوه. وفي الأصل ونور العثمانية والأسدية٤: «يقرؤون».

[٥/ ٢٣٥] قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ / ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٣١﴾.

قال قتادة، والضحاك، وقوم: «الحقُّ المعلومُ»: هي الزكاة المفروضة[١].

وقال ابن عباس، والحسن، ومجاهد: هذه الآية في الحقوق التي في المال سوى الزكاة[٢]، وهي ما ندبت الشريعةُ إِليه من المواساة.

وقد قال ابن عمر[٣]، والشعبي، ومجاهد، وكثير من أَهل العلم[٤]: إِن في المال حقاً سوى الزكاة[٥].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا هو الأَصحُّ في هذه الآية؛ لأَن السورة مكية، وفرضُ الزكاة وبيانها إِنما كان بالمدينة.

---

(١) قول قتادة ورد في الهداية لمكي (١٢/ ٧٧١٤)، ولم أقف على قول الضحاك. ولفظة «قوم» سقطت من الأصل.

(٢) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦١٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: هو سوى الصدقة يصل بها رحماً، أو يقري بها ضيفاً، أو يحمل بها كلًّا، أو يعين بها محروماً، وانظر قول مجاهد في تفسير الطبري (٢٣/ ٦١٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧١٥).

(٣) إسناده صالح، أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (١٠٦٢٨)، والطبري (٢٣/ ٦١٣) من طريق أبي يونس حاتم بن أبي صغيرة، عن رياح بن عبيدة الباهلي، عن قزعة بن يحيى قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: إِنَّ لِي مَالاً، فَمَا تَأْمُرُنِي إِلَى مَنْ أَدْفَعُ زَكَاتَهُ؟ قَالَ: ادْفَعْهَا إِلَى وَلِيِّ الْقَوْمِ، يَعْنِي الأُمَرَاءَ، وَلَكِنْ فِي مَالِكَ حَقٌّ سِوَى ذَلِكَ يَا قَزَعَةُ. وقد تصحف (رياح بن عبيدة) في المطبوع من الطبري إلى (رباح).

(٤) انظر قول هؤلاء وجماعة ممن قالوا بمثل قولهم في تفسير الطبري (٢٣/ ٦١٣)، وفي المطبوع: «والثعلبي» بدل «الشعبي».

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦١٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧١٥).

و(السائل): المتكفِّف، و(المحروم): المحارف[١]: الذي قد ثبت فقره ولم تنجح سعايتهُ لدنياه.

قالت عائشة رضي الله عنها: هو الذي لا يكاد يتيسَّر له مكسبه[٢].

وقال بعض أَهل العلم: المحروم: من احترق زرعه، وقال بعضهم: المحروم: من ماتت ماشيته.

قال القاضي أَبو محمد: وهذه أَنواع الحرمان، لا أَن الاسم يلزمُ هذا خاصَّةً.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: المحرومُ: الكَلْبُ[٣]، أَراد ـ والله أَعلم ـ أَن يعطي مثالاً من الحيوان ذي الكبد الرطبة لما فيه من الأَجر حسب الحديث المأْثور[٤].

وقال الشعبي: أَعياني أَن أَعلم ما المحروم[٥]، وحكى عنه النقاشُ أَنه قال وهو ابن سبعين سنة: سأَلتُ عنه وأَنا غلامٌ فما وجدتُ شفاءً[٦].

قال القاضي أَبو محمد: رحم الله تعالى الشعبي فإِنه في هذه المسأَلة محروم، ولو أَخذه اسم جنس فيمن عَسُرت مطالبه بان له، وإِنما كان يطلبه نوعاً مخصوصاً كالسائل.

و(يَوْمُ الدِّين): هو يوم القيامة، سُمِّي بذلك لأَنه يوم المجازاة.

---

(١) «المحارف» ليست في المطبوع ونجيبويه والحمزوية، وفي أحمد٣: «المحارق»، وفي نور العثمانية: «المجازف».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٢) من طريق عروة قال: سألت عائشة. ولم يوجد في المطبوع أول الإسناد.

(٣) الهداية لمكي (١١/ ٧٠٨٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤) عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال: الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له». قالوا يا رسول الله: وإن لنا في هذه البهائم لأجراً؟ فقال: «في كل كبد رطبة أجر».

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦١٦)، وتفسير الثعلبي (٩/ ١١٢).

(٦) لم أقف عليه.

و﴿ٱلدِّينِ﴾: الجزاءُ، تقول العرب: كما تُدِينُ تُدان، ومنه قول الفِنْد الزِّمَّانيِّ:

[الوافر] وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوا نِ دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا[1]

و«الإِشفاق»: الخوف من أَمر يتوقع؛ لأَن نيل عذاب الله تعالى للمؤمنين متوقَّع، والأَكثر ناج بحمد الله تعالى، لكن عذاب الله عزَّ وجل لا يأَمنه إِلَّا من لا بصيرة له.

و«الفُروج» في هذه الآية: هي الفروج المعروفة، والمعنى: تحفظ[2] من الزنا.

وقال الحسن بن أَبي الحسن: أَراد فروج الثياب[3]، وإِلى معنى الوطءِ يعود.

ثم استثنى تعالى الوطءَ الذي أَباحه الشرعُ في الزوجات والمملوكات.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾، حسَّن دخول ﴿عَلَىٰٓ﴾ في هذا الموضع قوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾، فكأَنه تعالى قال: إِلَّا أَنهم غير ملومين على أَزواجهم وما ملكت أَيمانهم.

وقوله تعالى: ﴿ٱبْتَغَىٰ﴾ معناه: طلب.

وقوله: ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ معناه: سوى ما ذُكر، كأَنه أَمْر قد حُدَّ فيه حَدٌّ، فمن طلب بُغيته وراءَ الحدِّ فهو كمستقبل حدٍّ في الأَجرام، وهو يتعدى وراءَه إِلى خَلْفه.

و﴿ٱلْعَادُونَ﴾: الذين يتجاوزون حدود الأَشياءِ التي لها حدود كان ذلك في الأَجرام أَو في المعاني.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

---

(١) تقدم في تفسير البسملة، وكذلك المثل الذي قبله.

(٢) «تحفظ» من أحمد٣، وفي المطبوع: «يحفظونها»، قال في الحاشية: زيادة لتوضيح المعنى.

(٣) لم أقف عليه.

«الأَمانات» جمع أَمانة، وجَمَعها لأَنها تكون متنوعة من حيث هي في الأَموال وفي الأَسرار، وفيما بين العبد وربِّه سبحانه فيما أَمَرَهُ به ونهاه عنه، قال الحسن: الدين كلُّه أَمانة[١].

وقرأَ ابن كثير وحده من السبعة: ﴿لأَمَانَتِهِمْ﴾ بالإِفراد[٢].

و«العَهْدُ»: كلُّ ما تقلده الإِنسان من قول أَو فعل أَو مودة، إِذا كانت هذه الأَشياءُ على طريق البِرِّ فهو عهد ينبغي رَعْيُه وحفظه، وقد قال النبي ﷺ: «حُسْن العهد من الإِيمان»[٣].

و﴿رَٰعُونَ﴾ جمع راع؛ أَي: حافظ.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) وهي سبعية، انظر السبعة (ص: ٦٥١).

(٣) له طرق لا تخلو من مقال، وبوب البخاري بلفظه وأورد قصته بدونه، أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٩٧١)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥-١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩١٢٢)، وفي الآداب (١٨٢) من طريق صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي فقال لها رسول الله ﷺ: «من أنت؟» فقالت: أنا جثامة المزنية، فقال: «بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال، فقال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»، قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة وليس له علة، وصالح بن رستم هو أبو عامر الخزاز البصري لم يخرج له البخاري في صحيحه إلا تعليقاً، وهو مختلف فيه، وليس هو بالقوي عند الأكثر، وقال البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣١٩): قال يعقوب بن محمد حدثنا إسحاق بن جعفر سمع إبراهيم [هو ابن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان] عن محمد بن زيد التيمي عن عائشة: قال النبي ﷺ: «حسن العهد من الإيمان»، وأخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ٥١٧) من طريق سلم بن جنادة، عن حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، بنحوه دون ذكر اسم المرأة، وقال البيهقي: غريب، وأخرجه القضاعي في مسنده (٩٧٢) من طريق عبد المؤمن ابن يحيى بن أبي كثير، عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة بلفظ: «أما علمت أن كرم الود من الإيمان»، وقد ضعف إسناد هذه الرواية الحافظُ في الفتح (١٠/ ٤٣٦)، وأخرجه =

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ معناه ـ في قول جماعة من المفسرين ـ أَنهم يحفظون ما يشهدون فيه ويتيقَّنونه ويقومون بمعانيه حتى لا يكون لهم فيه تقصير، وهذا هو وصف من تمثيل قول النبي ﷺ: «عَلَى مِثْل الشمس فاشْهد»[١].

وقال آخرون: معناه: الذين إِذا كانت عندهم شهادة ورأَوْا حقًّا يدرس، أَو حُرمة لله تعالى تُنْتَهَك؛ قاموا بشهادتهم، قال ابن عباس رضي الله عنه: شهادتهم في هذه الآية: لا إله إلا الله وحده لا شريك له[٢].

وروي عن النبي ﷺ أَنه قال: «خير الشهداءِ الذي يأَتي بشهادته قبل أَن يُسْأَلها»[٣].

واختلف الناس في معنى هذا الحديث بحسب المعنيين اللذيْن ذكرتُ في الآية:

أَحدهما: أَن يكون يحفظها متقنة فيأَتي بها ولا يحتاج أَن يستفهم عن شيءٍ منها ولا أَن يعارض.

والثاني: إِذا رأَى حقّاً يعمل بخلافه وعنده في إِحياءِ الحقِّ شهادةٌ.

= القاسم السرقسطي في غريب الحديث (٢/ ٢٠/ ١) عن الحميدي قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا عبد الواحد بن أيمن وغيره عن ابن أبي نجيح عن عائشة به، وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح ـ واسمه عبد الله ـ وعائشة، وذكره الذهبي في السير (٢/ ١٦٥) من طريق: معمر، عن الزهري عن عروة عن عائشة به، وقد بوب البخاري بلفظ هذا الحديث لكن خرجه بدونه في قصة فيها ذكر خديجة رضي الله عنها.

(١) ضعيف جدّاً، أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٩٨)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٥٦) من طريق محمد بن سليمان بن مشمول، عن عبيد الله بن سلمة بن وهرام، عن أبيه، عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ذكر عند رسول الله ﷺ الرجل يشهد بشهادة فقال لي: «يا ابن عباس لا تشهد إلا على ما يضيء لك كضياء هذا الشمس» وأومأ رسول الله ﷺ بيده. ومحمد بن سليمان بن مشمول المشمولي المخزومي متفق على ضعفه. وسقط من مطبوعة المستدرك: «سلمة بن وهرام».

(٢) لم أهتد إليه.

(٣) أخرجه مسلم (١٧١٩) من حديث زيد بن خالد الجهني: أن النبي ﷺ قال في خير الشهداء: «الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها».

وروي أَيضاً عن النبي ﷺ أَنه قال: «سيأَتي قوم يَخُونون ولا يُؤْتمنون، ويَشهدون ولا يُسْتشهدون، ويظهر فيهم السِّمَن»[١]، واختلف الناس في معنى هذا الحديث:

فقال بعضهم: هم قوم مؤمنون يتعرضون ويحرصون على وضع أَسمائهم في وثائق الناس، وينصبون لذلك الحبائل من زيٍّ وهيئة، وهم غير عدول في أَنفسهم، فيغرُّون بذلك ويضرُّون.

قال القاضي أَبو محمد: فهذا في ابتداءِ الشهادة لا في أَدائها، ويجيءُ قوله ﷺ: «وَلَا يُستشهدون»؛ أَي: وهم غير أَهل لذلك.

وقال آخرون من العلماءِ: [هم شهود الزُّور؛ لأنهم يؤدونها والحالُ لم تُشْهدهم ولا المشهود عليهم][٢].

وقرأَ حفص عن عاصم: ﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ﴾ على الجمع، وهي قراءَة أَبي عبد الرحمن.

والباقون ﴿بشَهادَتِهِمْ﴾ على الإِفراد الذي هو اسم الجنس[٣].

و«المحافظة على الصلاة»: إِقامتها في أَوقاتها بشروط صحتها وكمالها.

وقال ابن جريج: يدخل في هذه الآية التطوع[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾ الآية؛ نزلت بأن[٥] رسول الله ﷺ كان يصلي عند الكعبة أَحياناً ويقرأُ القرآن، فكان كثير من الكفار يقومُون من مجالسهم

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين مرفوعاً بنحوه.

(٢) في المطبوع: «هم شهود الزُّور، يؤدونها، والمشهود عليهم لم يُشهدهم ولا الآخر» مع الإشارة للنسخة الأخرى.

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٤).

(٤) تفسير الماوردي (٦/ ٩٥).

(٥) في المطبوع: «لأن».

مسرعين إِليه يتسمَّعون قراءَته، ويقول بعضهم لبعض: شاعر وكاهن ومفتر[١] وغير ذلك.

و﴿قِبَلَكَ﴾: معناه: فيما يَليك.

و«المهطع»: الذي يمشي مسرعاً إِلى شيءٍ قد أَقبل عليه ببصره، قال ابن زيد: لا يطرف[٢].

[٥/ ٢٣٦] و﴿عِزِينَ﴾ جمع عِزَة، قال / بعض النحاة: أَصلها: عِزْوَة.

وقال آخرون منهم: أَصلها: عِزْهة، وجمعت بالواو والنون عِوَضاً مما انحذف منها، نحو: سنة وسنون.

ومعنى العِزَة: الجمع اليسير، فكأَنهم قالوا: ثلاثةً ثلاثةً، أَو أَربعةً أَربعةً، ومنه قول الراعي:

[الكامل] أَخَليفَـةَ الرَّحْمـنِ إِنَّ عَشِـيرَتي أَمْسَى سَوامهُمُ عِزِين فلولاً[٣]

وقال أَبو هريرة رضي الله عنه: خرج النبي ﷺ على أَصحابه وهم حِلَقٌ متفرقون فقال: «ما لي أَراكم عِزِينَ»[٤].

---

(١) في نجيبويه: «مفتن»، وأخرج الطبري (٢٣/ ٦١٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾ قال: قبلك ينظرون، ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ قال: العزين: العصب من الناس عن يمين وشمال، معرضين عنه، يستهزئون به.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٣٠).

(٣) البيت للراعي كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٧٠)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٦٢٠)، والصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٢٥).

(٤) أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة، أما حديث أبي هريرة فله إسنادان فيهما ضعف، أخرج حديث أبي هريرة: الطبري (٢٣/ ٢٨٠)، والبزار في مسنده (٨٦٥٣)، وابن حبان في صحيحه (١٦٥٤) من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة به بنحوه، وهذا إسناد حسن من أجل مؤمل بن إسماعيل العدوي فإنه صدوق سيء الحفظ، وقد توبع كما أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٦٢٠) عن إسماعيل بن موسى الفزاري، عن أبي=

وقوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ نزلت لأَن بعض الكفار قال: إِن كانت ثَمَّ آخرةٌ وجَنَّة فنحن أَهلها وفيها؛ لأَن الله تعالى لم ينعم علينا في الدنيا بالمال والبنين وغير ذلك إِلَّا لرضاه عنا.

وقرأَ السبعة، والحسن وطلحة، والجمهور: ﴿يُدْخَلَ﴾ بضم الياءِ وفتح الخاءِ على بناءِ الفعل للمفعول.

وقرأَ المفضل عن عاصم، وابنُ يَعْمر، وأَبو رجاءٍ، وطلحة: (يَدْخُلَ) بفتح الياءِ وضم الخاءِ على بناءِ الفعل للفاعل[1].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ رَدٌّ لقولهم وطمعهم، أَي: الأَمر ليس كذلك.

ثم أَخبر تعالى عن خلقهم من نطفة قذرة، وأَحال في العبارة عنها على علم الناس، أَي: مَنْ خُلق من ذلك فليس بنفس خَلْقه يُعطى الجنة، بل بالأَعمال الصالحة إِن كانت.

وقال قتادة في تفسيرها: إِنما خُلقتَ من قَذَرٍ يا ابْن آدم، فاتَّق الله تعالى[2].

وقال أَنَسٌ: كان أَبو بكر رضي الله عنه إِذا خطبنا ذكر مَنَاتِنَ ابنِ آدم، ومُرُورَهُ في مجرى البول مرتين، وكونَهُ نطفة في الرَّحِمِ ثم عَلَقة ثم مُضْغة إِلى أَن يخرج فيتلوَّث في نجاستِه طفلاً، فلا يُقلع أَبو بكر رضي الله عنه حتى يتقذَّر أَحدنا نفسه[3].

= الأحوص، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة يرفعه قال: «ما لي أراكم عزين»؟ والعزون: الحلق المتفرقة، وقد أخرجه مسلم (٤٣٠) من حديث جابر بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ما لي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس اسكنوا في الصلاة» قال: ثم خرج علينا فرآنا حلقاً فقال: «مالي أراكم عزين» قال: ثم خرج علينا فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» فقلنا يا رسول الله! وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف».

(١) شاذة، رواية المفضل في السبعة (ص: ٦٥١)، ومع الحسن وطلحة في تفسير الثعلبي (١٠/ ٤١)، و«طلحة» الأول من الأصل، وليس فيه «الجمهور»، فلعلها بدل منها.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٢١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٤١).

(٣) إسناده صحيح غريب، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٥٧٧) وابن أبي الدنيا في التواضع =

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾.

قرأ الجمهور: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ [وذلك على أن تكون (لا) زائدة، أو على أن تكون ردّاً لفعل الكفار وقولهم، ثم يقع الابتداءُ بالقَسَم.

وقرأ ابن كثير: (فَلأُقْسِمُ) دون ألف مفردة[1].

و﴿ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾: هي مطالع الشمس والقمر وسائر الكواكب وحيثُ تَغْرُب لأنها مختلفة عند التفصيل، فلذلك جمع.

وقرأ عبد الله بن مسلم، وابن محيصن: (بِرَبِّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ) على الإفراد[2].

ومتى ورد المشرق والمغرب على الإفراد[3] فهي عبارة عن موضع الشروق وموضِع الغروب بجملته وإن كان يتفصل، ومتى ورد المشرقان والمغربان فهي عبارة عن طرفي موضع الشروق وطرفي موضع الغروب.

وأقسم الله تعالى في هذه الآية بمخلوقاته على إيجاب قدرته على أن يبَدِّلَ خيراً من ذلك العالم، وأنه لا يسبقه شيءٌ إلى إرادته.

وقوله تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ﴾ الآية وعيدٌ، وما فيه من معنى المهادنة فمنسوخ بآية السيف.

= والخمول (٢٠٠) من طريق: يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بنحوه مختصراً بلفظ: كان أبو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الإنسان فيقول: خلق من مجرى البول من نتن، فيذكر حتى يتقذر أحدنا نفسه.

(١) وهي شاذة، ذكرها في البحر المحيط (١٠/ ٢٧٧) بلا نسبة. و«ابن كثير» ليس في نجيبويه، وفي الحمزوية: «بعضهم».

(٢) شاذة، عزاها للأول الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨٥)، ولهما في البحر المحيط (١٠/ ٢٧٧)، وما بين معكوفتين مطموس من الأصل.

(٣) «الإفراد» من المطبوع والأسدية ٣ ونجيبويه.

ورُوي عن ابن كثير أَنه قرأَ: ﴿يَلْقَوْا﴾ بغير أَلف، وهي قراءَة أَبي جعفر، وابن محيصن[١].

و﴿ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿يَوۡمَهُمُ﴾.

وقرأَ الجمهور: ﴿يَخۡرُجُونَ﴾ بفتح الياءِ وضمِّ الراءِ.

وروى أَبو بكر عن عاصم ضمَّ الياءِ وفتح الراءِ[٢].

و﴿ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾: القبور.

و«النُّصُب»: ما نُصب للإِنسان فهو يقصد مسرعاً إِليه من عَلَم أَو بناءٍ أَو صَنَم لأَهل الأَصنام، وقد كثر استعمال هذا الاسم في الأَصنام حتى قيل لها: الأَنصاب، ويقال لشبكة الصائد: نُصُب.

وقال أَبو العالية: ﴿إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾ معناه: إِلى غايات يستبقون[٣].

وقرأَ جمهور السبعة وأَبو بكر عن عاصم: ﴿نَصْب﴾ بفتح النون، وهي قراءَة أَبي جعفر، ومجاهد، وشيبة، وابن وثاب، والأَعرج.

وقرأَ الحسن وقتادة بخلاف عنهما: (نُصْب) بضم النون.

وقرأَ ابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿نُصُبٖ﴾ بضم النون والصاد، [وهي قراءة الحسن وأَبي العالية، وزيد بن ثابت، وأَبي رجاءٍ.

وقرأَ مجاهد، وأَبو عمران الجوني: (نَصَب) بفتح النون والصاد][٤].

---

(١) وهي عشرية، انظر: النشر (٢/ ٣٧٠).

(٢) وهي شاذة، من رواية الشموني وابن غالب عن الأعشى عنه، كما في جامع البيان (٤/ ١٦٥٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٢٤).

(٤) سقط من الأصل، والقراءة الأولى والثالثة سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٤)، وانظر الشاذتين في الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٥).

و﴿يُوفِضُونَ﴾ معناه: يسرعون، ومنه قول الراجز:

[الرجز] لأَنْـعَـتَـنْ نَـعـامَـةً مِـيفـاضـا   خَرْجـاءَ ظَلَّت تَطْلُـبُ الإِضاضَا[١]

و﴿خَٰشِعَةً﴾ نصب على الحال، ومعناه: ذليلةً منكسرة.

و﴿تَرۡهَقُهُمۡ﴾ معناه: تظهر عليهم وتُلِحُّ وتُضَيِّق نفوسهم، ومن هذه اللفظة: الْمُرَهَّق من السادة بحوائج الناس، والمُرْهَقُ بالدَّيْن، وخُلُقٌ فيها رَهَق؛ أَيْ: إِسراعٌ إِلى الناس، وسَيْفُ فلان فيه رَهَق، ومنه: مراهقة الاحتلام، وإِرهَاقُ الصلاة؛ أَي: مزاحمة وقتها.

* * *

(١) بلا نسبة في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٨٦)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٢٤)، والصحاح للجوهري (٣/ ١٠٦٥).



بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سُورة نوح عليه السلام

وهي مكية بإِجماع من المتأَولين، قال أُبيٌّ بن كعب: قال رسول الله ﷺ: «من قرأَ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح»[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾﴾.

نوحٌ عليه السلام هو نوح بن لامك، وقد مرَّ ذكره وذكر عمره ﷺ.

وصُرف «نوحٌ» مع عُجمته وتعريفه لِخِفَّته وسكون الوسط من حروفه.

وقوله تعالى: ﴿أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾، يحتمل أَن تكون ﴿أَنۡ﴾ مفسِّرة لا موضع لها من الإِعراب.

---

(١) موضوع، أخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٤٣) عن محمد بن القيم، عن محمد بن محمد بن شاذة، عن أحمد بن الحسن، عن محمد بن يحيى، عن سلم بن قتيبة، عن شعبة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر ابن حبيش، عن أبي بن كعب به، وأحمد بن الحسن ومن دونه لم أقف لهم على ترجمة، وقد أورده المناوي في الفتح السماوي بتخريج أحاديث البيضاوي (٣/ ١٠٥٨) وقال: موضوع.

ويحتمل أَن يكون التقدير: بأَن أَنذر قومك، وهي ـ على هذا ـ في موضع نصب عند قوم من النحاة، وفي موضع خفض عند آخرين.

[٥/ ٢٣٧] وفي مصحف عبد الله بن مسعود: (إِلَى قَوْمِهِ أَنْذِرْ قَوْمَكَ) دون (أَن)[١] / .

و«العذاب الذي تُوُعِّدوا به»: يحتمل أَن يكون عذاب الدنيا، وهو الأَظهر والأَليق بما يأَتي بعد، ويحتمل أَن يكون عذاب الآخرة.

وقرأَ جمهور السبعة: ﴿أَنُ اعْبُدوا﴾ بضم النون من ﴿أَنْ﴾ إِتباعاً لضمة الباءِ وتَرْكاً لمراعاة الحائل لخفَّة السكون، فهو كأَن ليس ثَمَّ حائل.

وقرأَ عاصم، وحمزة، وأَبو عمرو في رواية عبد الوارث: ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ﴾ بكسر النون[٢]، وهذا هو الأَصل في التقاءِ الساكنين من كلمتين.

و﴿يَغۡفِرۡ﴾ جواب الأَمر، وقوله: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ قال قوم: ﴿ مِّن ﴾ زائدة، وهذا نحوٌ كوفي، وأَما الخليل وسيبويه فلا يجوز عندهما زيادتها في الواجب.

وقال قوم: هي لبيان الجنس، وهذا ضعيف لأَنه ليس هنا جنس يُبَيَّن.

وقال آخرون: هي بمعنى «عن»، وهذا غير معروف في أَحكام «مِنْ».

وقال آخرون: هي لابتداءِ الغاية، وهذا قول يَتَّجه، كأَنه يقول: يبتدئ الغُفران من هذه الذنوب العظام التي لهم.

وقال آخرون: هي للتبعيض، وهذا عندي أَبْين الأَقوال، وذلك أَنه لو قال: «يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ»؛ لعَمَّ هذا اللفظ ما تقدم من الذنوب وما تأَخر عن إِيمانهم، والإِسلام يجبُّ ما قبله، فهي بعضٌ من ذنوبهم، فالمعنى: يغفر لكم بعض[٣] ذنوبكم.

---

(١) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٢٧).

(٢) وهما سبعيتان، وأَبو عمرو بالكسر، انظر: التيسير (ص: ٧٨)، والضم رواية علي بن نصر عنه كما في السبعة (ص: ٦٥٢).

(٣) في المطبوع والأسدية ٤ والأسدية ٣: «من».

وقال بعض المفسرين: أَراد: يغفر لكم من ذنوبكم المهمَّ الموبق الكبير؛ لأَنه أَهم عليهم، وبه ربما كان اليأْسُ عن الله تعالى قد وقع لهم، وهذا قولُ مُضَمَّنه أَن ﴿مِّن﴾ للتبعيض، والله تعالى الموفق.

وقرأَ أَبو عمرو: ﴿يَغْفِر لَّكُمْ﴾ بالإِدغام(١)، ولا يجيز ذلك الخليل وسيبويه؛ لأَن الراءَ حرف مكرر فإِذا أُدغم في اللام ذهب التكرير واختلَّ المسموع(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مما تَعَلَّلت المعتزلة به في قولهم: إِن للإِنسان أَجلين، وذلك أَنهم قالوا: لو كان واحداً مُحَدَّداً لما صحَّ التأْخير إِن كان الحدُّ قد بلغ، ولا المعاجلة إِن كان الحدُّ لم يبلغ(٣).

قال القاضي أَبو محمد: وليس لهم في الآية تعلُّق؛ لأَن المعنى أَن نوحاً عليه السلام لم يعلم هل هم مِمَّن يؤخر أَو ممن يعاجل، ولا قال لهم: إِنكم تؤخرون عن أَجل قد حان لكم، لكن قد سبق في الأَزل أَنهم إِمَّا مِمَّن قُضي له بالإِيمان والتأْخير، وإِمَّا مِمَّن قُضي عليه بالكفر والمعاجلة، [فكأن نوحاً عليه السلام قال لهم: آمنوا يَبِنْ لكم أنكم ممن قضي لهم بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم على كفركم فسيبين أنكم ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة](٤)، ثم تشدَّد هذا المعنى ولاح بقوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾.

وقد حكى مكيٌّ القول بالأَجلين ولم يُقَدِّرْ قدره(٥)، وجواب ﴿لَوْ﴾ مُقدَّر يقتضيه اللفظ، كأَنه قال: فما كان أَحزمكم وأَسرعكم إِلى التوبة لو كنتم تعلمون.

---

(١) وهي سبعية، انظر: التيسير (ص: ٤٤)، والسبعة (ص: ١٢١)، وللدوري وجه بالإظهار.
(٢) الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٤٨).
(٣) انظر تعلقهم في تفسير الزمخشري (٢/ ٥٤٣)، ورده في تفسير ابن جزي (٤/ ١٤٩).
(٤) سقط من المطبوع ونجيبويه، ولفظة «على كفركم» ليست في الأصل.
(٥) الهداية لمكي (١٢/ ٧٧٣٠).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾.

هذه المقالة قالها نوح عليه السلام بعد أَن طال عمره وتحقق اليأْس من قومه.

وقوله: ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ عبارة عن استمرار دعائه وأَنه لم يَنِ فيه قط.

ويروى عن قتادة: أَن نوحاً عليه السلام كان يجيئه الرجل من قومه بابنه فيقول: احذر هذا الرجل فإِن أَبي قد حذرني إِياه ويقول له: إِنه مجنون[1].

وقرأَ ابن كثير، ونافع، وأَبو عمرو، وابن عامر: ﴿دُعَائِيَ﴾ بالهمز وفتح الياءِ.

وقرأَ عاصم، وحمزة، والكسائي بسكون الياءِ دون همز.

وروى شبل عن ابن كثير: (دُعَايَ) بنصب الياءِ دون همز مثل (هدايَ).

وقرأَ عاصم أَيضاً، ويعقوب، وسلام بهمزة وياءٍ ساكنة[2].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ معناه: ليؤمنوا فيكون ذلك سبب الغفران، وقوله: ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ يحتمل أَن يكون حقيقة، ويحتمل أَن يكون عبارة عن إِعراضهم وشدة رفضهم لأَقواله ودعائه، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾، ومعناه: جعلوها أَغشية على رؤوسهم.

و«الإِصرارُ»: الثبوت على معتقد مَّا، وأَكثر استعماله في الذنوب.

ثم كرر عليه السلام صفة دعائه لهم بياناً وتوكيداً.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٣١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٣١)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٠٠).

(٢) أربع قراءات، والأولى للمذكورين والرابعة للكوفيين سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٥)، والثالثة في السبعة (ص: ٦٥٢) وهي شاذة، وكذلك الثانية، إن كان قرئ بها، ولم أجدها لغيره، ولعل المقصود بها الرابعة، فتكررت سهواً، فيكون قوله: «دون همز» وهماً.

و﴿جِهَارًا﴾ يريد علانيةً في المحافل.

و«الإِسرارُ»: ما كان من دعائه الأَفراد[1] بينه وبينهم على انفرادٍ، وهذا غاية الجد.

وقوله: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ... يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ يقتضي أَن الاستغفار سبب لنزول المطر في كل أُمة.

ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَنه استسقى بالناس فلم يزد على أَن استغفر ساعةً ثم انصرف، فقال له قوم: ما رأَيناك اسْتَسْقيت يا أَمير المؤمنين! فقال: والله لقد استنزلت المطر بمجادح السماءِ، ثم قرأَ هذه الآية رضي الله عنه[2].

وشكا رجل إِلى الحسن الجدب فقال له: استغفر الله تعالى، وشكا إِليه آخر الفقر فقال له: استغفر الله سبحانه، وقال له آخر: ادع الله تعالى أَن يرزقني ولداً، فقال له: استغفر الله تعالى، فقيل له في ذلك، فنزع بهذه الآية[3].

والاستغفار الذي أَحال عليه الحسن ليس هو عندي لفظ الاستغفار فقط، بل الإِخلاص والصدق في الأَقوال والأَعمال، وكذلك كان استغفار عمر رضي الله عنه.

ورُوي: أَن قوم نوح عليه السلام كان قد أَصابتهم قحوط وأَزمة، فلذلك بدأَهم في وعده بأَمر المطر ثم ثنَّى بالأَموال والبنين، قال قتادة: لأَنهم كانوا أَهل حب للدنيا

---

(١) في نجيبويه: «الأفذاذ».

(٢) مرسل صحيح، هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق (٤٩٠٢)، وابن أبي شيبة (٨٤٢٩)، والطبري (٢٣/ ٦٣٣)، وابن أبي حاتم (١٠٩٦٠) وغيرهم من طريق سفيان بن عيينة، عن مطرف بن طريف، عن الشعبي فذكر القصة عن عمر، والشعبي لم يسمع من عمر رضي الله عنه كما في جامع التحصيل (٣٢٢)، ولكن له شاهد بإسناد صحيح أخرجه ابن أبي شيبة (٨٤٢٨) عن وكيع عن عيسى بن حفص عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي، عن أبيه قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب نستسقي فما زاد على الاستغفار، وأبو مروان الأسلمي مختلف في صحبته، وقد وثقه العجلي وابن حبان، وقال الذهبي في الكاشف (٦٨٢٦): مدني ثقة. والمِجْدَح: نَجْم، كما في النهاية (١/ ٢٤٣).

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٤٤).

وتعظيم لأَمرها، فاستدعاهم الله تعالى إِلى الآخرة من الطريق التي يحبونها.

و(مِدْرار) مفعال من: الدَّرِّ؛ [كمِذكار ومئناث][١]، وهذا البناءُ لا تلحقه هاءُ التأْنيث.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ / . [٥/ ٢٣٨]

وعدهم بالأَموال والبنين والجنات والأَنهار لمكان حبهم للدنيا.

واختلف الناس في معنى قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: فقال أَبو عبيدة وغيره: معناه: تخافون[٢]، ومنه قول الهذلي:

[الطويل] إِذا لَسَعَتْهُ النّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا ... وَخَالَفَها في بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلِ[٣]

قالوا: والوَقَارُ بمعنى: العظمة والسلطان، فكأَن الكلام ـ على هذا ـ وعيدٌ وتخويفٌ.

وقال بعض العلماءِ: ﴿تَرْجُونَ﴾ على بابها في الرجاءِ، وكأَنه قال: ما لكم لا تجعلون رجاءَكم لله تعالى وتلقاءه، و﴿وَقَارًا﴾ يكون ـ على هذا التأْويل ـ منهم، كأَنه يقول: تُؤَدَةً منكم وتمكُّناً في النظر؛ لأَن الكفر مُضَمَّنه الخفة والطيش وركوب الرأس.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، قال ابن عباس، ومجاهد: هي إِشارة إِلى التدريج الذي للإِنسان في بطن أُمِّه من النطفة والعلقة والمضغة[٤].

---

(١) سقط من نجيبويه، وفي المطبوع: «وميقات»، وفي نور العثمانية: «وميناس».

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٥).

(٣) البيت لأبي ذُؤَيْب الْهُذلي، كما تقدم في تفسير الآية (٢١٨) من (سورة البقرة).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٣٥) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ يقول: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة. وقول مجاهد في تفسير الطبري (٢٣/ ٦٣٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٣٦).

وقال جماعة منْ أَهل التأْويل: هي إِشارة إِلى العبرة في اختلاف أَلوان الناس وخَلْقهم وخُلُقهم ومِلَلِهِم.

و«الأَطوارُ»: الأَحوال المختلفة، ومنه قول النابغة:

فَإِنْ أَفاقَ فَقَدْ طَارَتْ عَمَايَتُهُ وَالْمَرءُ يُخْلَقُ طَوْراً بَعْدَ أَطْوَارِ[1] [البسيط]

وقرأَ الجمهور: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ بالتَّاءِ، وقرأَت فرقة بالياءِ على فعل الغائب[2].

و﴿طِبَاقًا﴾ قيل: هو مصدر، أَي مطابقة، جعل كل واحدة طبقاً للأُخرى.

ونحوه قول امرئ القيس:

.... طَبَّقَ الأَرْضَ تَحَرَّى وَتَدِرْ[3] [الرمل]

وقيل: هو جمع طبق، وهو نعت لـ﴿سَبْعَ﴾.

وقرأَ ابن أَبي عبلة: (طباقٍ) بالخفض على النعت لـ﴿سَمَاوَاتٍ﴾[4].

وقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ ساغ ذلك لأن القمر من حيث هو في إِحداها فهو في الجميع، ويُروى أَن القمر في السماءِ الدنيا، وقال عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص: «إِن الشمس والقمر أَقفاؤهما إِلى الأَرض وإِقبال نورهما وارتفاعه في السماءِ»[5].

وهذا الذي تقتضيه لفظة السراج.

---

(١) البيت للنابغة الذبياني، كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٨٦)، وجاء عجزه في العين (٧/ ٤٤٦) غير منسوب.

(٢) وهي شاذة، لم أجد له فيها سلفاً ولا خلفاً.

(٣) صدره: دِيَمةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَفٌ، عزاه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٧٢)، والشعر والشعراء (١/ ١١٢)، والعقد الفريد (٤/ ٥٣).

(٤) وهي شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٦).

(٥) أثر عبد الله بن عباس أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٢١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٢) وصححه من طريق يوسف بن مهران، عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾. قال: قفاه مما يلي الأرض ووجهه مما يلي السماء. ويوسف بن مهران البصري قد وثقه أبو زرعة، أما أثر =

وقيل: إن الشمس في السماءِ الخامسة، وقيل: في الرابعة.

وقال عبد الله بن عمر: هي في الشتاءِ في الرابعة، وفي الصيف في السابعة[١].

وقوله تعالى: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ استعارة، من حيث أَخذ آدم عليه السلام من الأَرض ثم صار الجميع نَابتاً منه.

وقوله: ﴿نَبَاتٗا﴾ مصدر جار على غير المصدر، والتقدير: فنَبَـتُّم نباتاً.

و«الإِعادة فيها»: هي بالدفن فيها الذي هو عُرف البشر.

و«الإِخراجُ»: هو بالبعث يوم القيامة لموقف العرض والجزاءِ.

وقوله تعالى: ﴿بِسَاطٗا﴾ يقتضي ظاهره أَن الأَرض بسيطة وغير كُرويَّةٍ، واعتقاد أَحد الأَمرين غير قادح في الشرع بنفسه، اللهم إِلَّا أَن يتركب على القول بالكريَّة[٢] نظر فاسدٌ.

وأَما اعتقاد كونها بسيطة فهو ظاهر كتاب الله تعالى، وهو الذي لا يلحق به فساد البَتَّـةَ.

واستدل ابن مجاهد على صحة ذلك بماءِ البحر المحيط بالمعمور فقال: لو كانت الأَرض كوريَّة لما استقر الماءُ عليها[٣].

= عبد الله بن عمرو فأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣١٩)، والطبري (٢٣/ ٦٣٧) كلاهما من طريق معمر، والطبري أيضاً (٢٣/ ٦٣٧)، من طريق هشام الدستوائي كلاهما ـ معمر، وهشام ـ عن قتادة، عن عبد الله بن عمرو فذكره، وهو مرسل، لعدم سماع قتادة من عبد الله بن عمرو، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦١٧) من طريق قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الله بن عمرو، بنحوه، وقتادة مدلس، وقد عنعن، وشهر بن حوشب فيه ضعف.

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٤٥) قال: وقيل لعبد الله بن عمر: ما بال الشمس تُصلينا أحياناً وتبرد علينا أحياناً، فقال: إنّها في الصيف في السماء الرابعة وفي الشتاء في السماء السابعة عند عرش الرحمن... إلخ. وفي المطبوع والأسدية٤ ونجيبويه: «بن عمرو».

(٢) وفي المطبوع: «الكروية»، وفي الأسدية: «الكورية»، وفي نور العثمانية: «الكرة»، في الموضعين.

(٣) لم أقف عليه، وقد زال في عصرنا ما كان من اختلاف قديماً.

و«السُّبُلُ»: الطُّرق، و«الفجاجُ»: الواسعة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا (٢٥)﴾.

المعنى: فلما لم يطيعوا ويئس نوح عليه السلام من إيمانهم قال نوح: ربِّ إنهم عصوني واتَّبعوا أَشرافهم وغُواتهم، فعبَّر عنهم بأَن أَموالهم وأَولادهم زادتهم خساراً؛ أَيْ: خُسراناً.

وقرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ونافع في رواية خارجة عنه: ﴿وَوُلْدُهُ﴾ بضم الواو وسكون اللام، وهي قراءة ابن الزبير، والحسن، والأَعرج، والنخعي، ومجاهد.

وقرأَ نافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿وَوَلَدُهُ﴾ بفتح الواو واللام وهما بمعنى واحد؛ كبُخْل وبَخَل، وهي قراءة أَبي عبد الرحمن، والحسن، وأَبي رجاءٍ، وابن وثاب، وأَبي جعفر، وشيبة[١].

وقرأَ: (وَوِلْـدُهُ) بكسر الواو: الجحدريُّ، وزرٌّ، والحسن، وقتادة، وابن أَبي إِسحاق، وطلحة[٢].

قال أَبو عمرو: «وُلْدٌ» بضم الواو وسكون اللام: العشيرة والقوم[٣].

وقال أَبو حاتم: يمكن أَن يكون «الوُلْد» بضم الواو جمع الوَلَد، وذلك كخُشْب وخَشَب[٤].

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٥)، ورواية خارجة في السبعة (ص: ٦٥٢).

(٢) وهي شاذة، انظر عزوها لبعضهم في الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٦). و«قتادة» ليس في المطبوع ونجيبويه والحمزوية.

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٢٨).

(٤) انظر: البحر المحيط (١٠/ ٢٨٥).

وقال حسَّان بن ثابت:

[الكامل] يـا بِكْـرَ آمِنَـةَ الْمُبَـارَكِ بكرهـا مِنْ وُلْدِ مُحْصَنَةٍ بِسَعْدِ الأَسْعُدِ[1]

وقرأ جمهور الناس: ﴿كُبَّارًا﴾ بشد الباءِ، وهو بناءُ مبالغة نحو: حسّان.

قال عيسى: هي لغة يمانية، وعليها قول الشاعر:

[الكامل] والمـرءُ يُلْحِقُـهُ بِفتْيـانِ النَّـدَى خُلُقُ الْكَرِيمِ وَلَيْـسَ بالْوُضَّـاءِ[2]

بضم الواو.

وقرأ ابن مُحَيْصِنٍ، وعيسى بن عمر: (كُبَاراً) بتخفيف الباءِ، وهو بناءُ مبالغة إِلَّا أَنه دون الأَول.

وقرأ ابن مُحَيْصِنٍ فيما روى عنه أَبو الإِخريط وهب بن واضح: (كِباراً) بكسر الكاف[3].

قال ابن الأَنباري: هو جمع كبير، فكأَنه جعل المَكْر مكان ذُنوبٍ أوأَفاعيل ونحوه[4].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ إِخبارٌ عن تواصيهم بأَصنامهم على العموم، ما كان منها مشهوراً لمكانه، وما كان منها يختص بواحد واحد من الناس، ثم أَخذوا يَنُصُّون على المشهور من الأَصنام، وهذه الأَصنام رُوي أَنها أَسماءُ رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا، فلما ماتوا صوَّرهم أَهل ذلك العصر من حجر وقالوا: ننظر إِليها فنذكر أَفعالهم، فهلك ذلك الجيل وكثُر تعظيم الآخر لتلك الحجارة ثم كذلك حتى عُبدت ثم

---

(١) انظر عزوه له في سيرة ابن هشام (٢/ ٦٧٠)، والطبقات الكبرى (٢/ ٣٢٢)، والحجة للفارسي (٦/ ٣٢٦)، وفي المطبوع: «ذِكْرُهُ».

(٢) البيت لأبي صَدَقَةَ الدُّبَيْري كما في الصحاح للجوهري (١/ ٨١)، والمخصص (٥/ ٢٦)، وقول عيسى في البحر المحيط (١٠/ ٢٨٥).

(٣) وهما شاذتان، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٦).

(٤) البحر المحيط (١٠/ ٢٨٥).

انتقلت تلك الأَصنام بأَعيانها ـ وقيل: بل/ الأَسماء فقط ـ إِلى قبائل من العرب، فكانت [٥/ ٢٣٩] (وَدٌّ) في كلب بدُومَة الجندل، وكانت (سُوَاعٌ) في هُذَيْل، وكانت (يَغُوثُ) في مُراد، وكانت (يَعُوقُ) في هَمَدان، وكانت (نَسْرٌ) في ذي الكَلَاعِ مِنْ حِمْيَر[١].

وقرأَ نافع وحده ورُويت عن عاصم: ﴿وُدّاً﴾ بضم الواو.

وقرأَ الباقون، والأَعمش، والحسن، وطلحة، وشيبة، وأَبو جعفر بخلاف عن الثلاثة: ﴿وَدًّا﴾ بفتح الواو[٢].

قال الشاعر:

حَيَّاكَ وَدٌّ فَإِنَّا لا يَحِلُّ لَنَا ... لَهْوُ النِّساءِ وَإِنَّ الدِّينَ قَدْ عَزَمَا[٣] [البسيط]

فيقال: إِنه أَراد ذلك الصنم، وقال الآخر:

فحَيَّاك وُدٌّ ما هداكِ لِفتيةٍ ... وخُوصٍ بأعلى ذي طُوالةَ هُجَّدِ[٤] [الطويل]

ويروى البيتان بضم الواو وفتحها[٥].

وقرأَ الأَعمش: (ولا يغوثاً ويعوقاً) بالصرف[٦]، وذلك وهْمٌ؛ لأَن التعريف لازم ووزن الفعل.

وقوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ هو إِخبار نوح عليه السلام عنهم، وهو منقطع مما حكاه عنهم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٤٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٤٧).

(٢) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٥٣)، وأبو جعفر بالضم كما في النشر (٢/ ٣٩١).

(٣) البيت للنابغة كما في الاستذكار (٥/ ٥١٠-٥١١)، والاستيعاب (٢/ ٧٢٢).

(٤) البيت للحطيئة كما في الزاهر للأنباري (٢/ ٦٦)، وتهذيب اللغة (٦/ ٢٥)، والمحكم (٤/ ١٥٢)، وسقط من المطبوع، وفي الأسدية٤: «وحياك»، وفي نور العثمانية: «من هداك، وحوض، وفصالة»، وفي الأسدية٤: «وحوص»، وفي: نجيبويه: «من هداك، وخوض وفضالة».

(٥) «وفتحها» ليست في الأصل، ولفظة «البيتان» ليست في المطبوع.

(٦) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (١٠/ ٤٦)، وعزاها في معاني القرآن للفراء (٣/ ١٨٩) لابن مسعود.

والمعنى: وقد أَضل هؤلاءِ القائلون كثيراً من الناس الأَتباع والعوام، ثم دعا عليهم إِلى[١] الله تعالى بأَلاَّ يزيدهم إِلاَّ ضلالًا، وذكر الظَّالمين لتعُمَّ الدعوةُ كل من جرى مجراهم.

وقال الحسن ـ في كتاب النقاش ـ: أَراد بقوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾: الأَصنام المذكورة[٢]، وعبَّر عنها بضمير من يعقل من حيث يعاملها جمهور أَهلها معاملة من يعقل ويسند إِليها أَفعال العاقل.

وقوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ ابتداءُ إِخبار من الله تعالى لمحمد ﷺ؛ أَي: إِن دعوة نوح عليه السلام أجيبت فآلَ أَمْرُهم إِلى هذا.

و(ما) في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا﴾ زائدة، فكأَنه تعالى قال: من خطيئاتهم أُغرقوا، وهي لابتداءِ الغاية.

وقرأَ: (مما خَطِيَئتهمْ) على الإِفراد الجحدريُّ والحسن[٣].

وقرأَ أَبو عمرو وحده، والحسن، وعيسى، والأَعرج، وقتادة بخلاف عنهم: ﴿مما خَطَاياهُمْ﴾ على تكسير الجمع[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ يعني: جهنم، وعبَّر عن ذلك بفعل المضي من حيث الأَمر متحقق، وقيل: أَراد عرضهم على النار غُدُوّاً وعشِيّاً عبَّر عنه بالإِدخال.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا﴾؛ أَي: لم يجد المغرقون أَحداً سوى الله تعالى ينصرهم ويصرف عنهم بأَس الله.

---

(١) «إلى» ليست في الأسدية ٣.

(٢) نقله في البحر المحيط (١٠/ ٢٨٧) عن الحسن.

(٣) وهي شاذة، انظرها في تفسير الثعلبي (١٠/ ٤٧)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٨٦)، ونص على ضم التاء. وضبطها في المطبوع بالكسر.

(٤) وهي سبعية، انظر: السبعة (ص: ٦٥٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

رُوي عن محمد بن كعب، ومقاتل، والربيع، وابن زيد: أَنَّ نوحاً عليه السلام لم يدع بهذه الدعوة إِلَّا بعد أَن أَخرج الله تعالى كل مؤمن من أَصلابهم، وأَعقم أَرحام النساءِ قبل العذاب بسبعين سنة، قال قتادة: وبعد أَن أَوحى إِليه: أَنه لن يُؤمن من قومك إِلا من قد آمن[1].

وقد كان قبل ذلك طامعاً فيهم حَدَباً عليهم، وفي حديث النبي ﷺ: أَنه ربَّما ضربه ناسٌ منهم أَحياناً حتى يُغشى عليه فإِذا أَفاق قال: اللهم اغفر لقومي فإِنهم لا يعلمون[2].

و(دَيَّار) أَصله دَيْوارٌ، وهو فَيْعال من الدوران، أَي: من يجيء ويذهب، يقال منه: دَوَّارٌ ووزنه فَعَّال، ودَيَّارٌ ووزنه فَيْعالٌ وأَصله دَيْوارٌ، وهذا كالْقَوَّامِ والقَيَّام.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿وَلِوَٰلِدَىَّ﴾.

وقرأَ أُبَيُّ بن كعب: (ولأَبَوَيَّ).

وقرأَ سعيد بن جبير: (وَلِوالِدِيْ) بكسر الدال، يخص أَباه بالدعوة.

قال ابن عباس: لم يكْفُر لنوح أَبٌ ما بينه وبين آدم عليهما السلام[3].

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٤٧)، وليس «مقاتل» في الأصل، وقول قتادة في تفسير الماوردي (٦/ ١٠٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٤٨).

(٢) ضعيف، هذا الحديث أخرجه الطبري (١٥/ ٣١٢) عن محمد بن حميد الرازي، عن سلمة، عن محمد ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن عبيد بن عمير الليثي فذكره بلفظ مطول.

(٣) لم أقف عليه مسنداً، وقد ذكره القرطبي في تفسيره (١٨/ ٣١٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقرأَ يحيى بن يَعْمَر، والجحدريُّ: (وَلِوَلَدَيَّ) بفتح اللام والدال وشدِّ الياءِ مفتوحة، وهي قراءة النَّخَعي[١]، يخصُّ بالدعاءِ ابنيه.

و«بَيْتُه»: هو المسجد فيما قال ابن عباس وجمهور المفسرين.

وقال ابن عباس أَيضاً: «بَيْتُه»: شريعته ودينه[٢]، استعار لهما بَيْتاً، كما يقال: قُبَّة الإسلام، وفُسْطاطُ الدين.

وقيل: أَراد سفينته، وقيل: داره.

وقوله: (لِلْمُؤْمِنِينَ وَالـمُؤْمِناتِ) تعميم بالدعاءِ لمؤمني كل أمة.

وقال بعض العلماءِ: إِن الذي استجاب لنوح عليه السلام فأَغرق بدعوته أَهل الأَرض الكفار لَجَدير أَن يستجيب له فيرحم بدعوته المؤمنين.

و«التَّـبَارُ»: الهلاك وَذَهاب الرسم.

وقرأَ حفصٌ عن عاصم، وهشامٌ وأَبُو قرة عن نافع: ﴿بَيْتِيَ﴾ بتحريك الياءِ. وقرأَ الباقون بسكونها[٣].

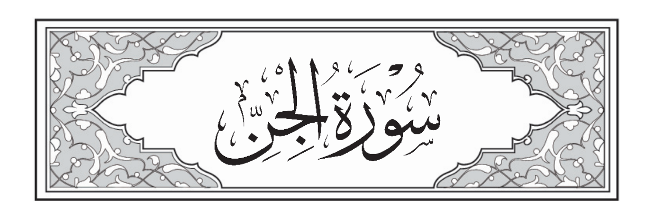
❊ ❊ ❊

---

(١) ثلاث قراءات شاذة، انظر البحر المحيط (١٠/ ٢٨٨)، وعزا الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨٦) الأولى للجحدري، والثالثة للحسن والزهري.

(٢) هذان القولان لم أقف عليهما مسندين، وانظر تفسير القرطبي (١٨/ ٣١٤).

(٣) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٥)، ورواية أبي قرة في السبعة (ص: ٦٥٤).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سُورة الجنّ

وهي مكِّيَّةٌ بإِجماع من المفسرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ② وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ③ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ④ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ⑤﴾.

قرأَ جمهور الناس: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ من: أَوْحَى يُوحِي.

وقرأَ أَبو أناس جُوَيَّة[1] بن عائذ: (قُلْ وُحِيَ)[2] من: وَحَى يَحِي.

ووَحَى وأَوْحَى بمعنى واحد، وقال العجَّاج:

---

(١) كذا في الأصل، وفي المطبوع وسائر النسخ الخطية: «أبو إياس»، وقد اختلف في اسمه فقيل: «جوية بن عائذ» وقيل: «ابن عاتك» وقيل غير ذلك، وذهب بعضهم إلى أن «أبا أناس» كنية ابنه عبد الملك، وقد روى القراءة عن عاصم وذكر الداني أنَّ له اختياراً في القراءة، انظر: تاريخ دمشق (١١/ ٣٣٩)، والغاية لابن الجزري (١/ ١٩٩).

(٢) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٦٣)، لابن أبي عبلة، وفي الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٧) للعتكي عن أبي عمرو، وضبطت في المطبوع بفتح الواو.

[الرجز] .... وَحَى لَهَا الْقَـرارَ فَـاسْتقَـرَّتِ[١]

وقرأ أَيضاً جُوَيَّة فيما روى عنه الكسائيُّ: (قُلْ أُحِيَ)، أَبدلت الواو همزة كما أَبدلوها في وسادة وإِسادة، وغير ذلك، وكذلك قرأ ابن أَبي عبلة[٢].

وحكى الطبري عن عاصم: أَنه كان يكسر كل أَلف في السورة من (أَنَّ) و(أَنَّه) إلا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾، وحكى عن أَبي عمرو: أَنه كان يكسر من أَوَّلها إِلى قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ فإِنه كان / يفتح هذه وما بعدها إِلى آخر السورة، فعلى ما حكى: يلزم أَن تكون الأَلف مكسورة في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾، وليس ما ذَكَر بثابت[٣]. [٥/ ٢٤٠]

وذكر أَبو عَليٍّ الفارسي: أَن ابن كثير، وأَبا عمرو فَتَحَا أَربعة أَحرف من السورة وكَسَرا غير ذلك: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾.

وأَن نافعاً وعاصماً في رواية أَبي بكر والمفضل وافقا في الثلاثة الأَولى وكَسَرَا ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ مع سائر ما في السورة.

وذكر أَن ابن عامر وحمزة والكسائي كانوا يقرؤون كل ما في السورة بالفتح إِلَّا ما جاءَ بعد قولٍ أَو فاءِ جزاءٍ، وكذلك حفص عن عاصم[٤]، فترتب إِجماع القراءِ على فتح الأَلف من ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾.

وذكر الزهراوي عن علقمة: أَنه كان يفتح الأَلف في السورة كلها.

واختلف الناسُ في الفتح من هذه الأَلفات وفي الكسر اختلافاً كبيراً يطول حصره وتقصِّي معانيه[٥].

---

(١) البيت للعجاج كما تقدم في تفسير الآية (١١١) من (سورة المائدة).

(٢) وهي شاذة، عزاها في المحتسب (٢/ ٣٣١) لجوية، وفي مختصر الشواذ (ص: ١٦٣) لهما، دون ذكر الكسائي.

(٣) إذ لا خلاف فيها، وانظر تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥٢).

(٤) انظر: الحجة للفارسي (٦/ ٣٣٠).

(٥) حاصله أنهما سبعيتان، قرأ ابن عامر وحفص والأخوان بالفتح، كما في التيسير (ص: ٢١٥)، وقول الزهراوي لم أقف عليه.

قال أَبو حاتم: أَما الفتح فعلى ﴿أُوحِىَ﴾ فهو كله في موضع رفع على ما لم يُسَمَّ فاعله، وأَما الكسر فحكاية وابتداءٌ وبعد القول[١].

وهؤلاءِ النفر من الجن هم الذين صادفوا رسول الله ﷺ يقرأُ ببطن نخلة في صلاة الصبح وهو يريد عكاظ، وقد تقدم قصصهم في (سورة الأَحقاف) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وكان سبب ذلك حراسة السماءِ من استراق السمع.

وقول الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ الآيات: هو خطاب منهم لقومهم الذين تولَّوْا إِليهم منذرين.

و﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ معناه: ذو عجب؛ لأَن العجب يقع من سامع القرآن لبراعته وفصاحته ومُضَمَّناته، وليس نفس القرآن هو العجب.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ بضم الراءِ وسكون الشِّين.

وقرأَ عيسى الثقفي: (إلى الرَّشَدِ) بفتح الراءِ والشين[٢].

ومن كسر الهمزة من قوله تعالى: ﴿وإِنَّه تعالى﴾ فعلى القطع، وتعطف الجملة على قولهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾.

ومن فتح الأَلف من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾ فقد اختلفوا في تأَويل ذلك:

فقال بعضهم: هي عطف على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾، فيجيءُ على هذا قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾ ممَّا أُمِر أَن يقول إِنَّه أُوحي إِليه، وليس يكون من كلام الجن، وفي هذا قلق.

وقال بعضهم: بل هي عطف على الضمير في ﴿بِهِۦ﴾، كأَنهم يقولون: فآمنا به

---

(١) البحر المحيط (١٠/ ٢٩٤).

(٢) وهي شاذة، عزاها له القرطبي (١٩/ ٧)، وعزاها في الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨٧) لابن يعمر، وللثقفي بضمتين.

وبأَنه تعالى جَدُّ ربنا، وهذا القول أَبْيَن في المعنى، لكن فيه من جهة النحو العطف على الضمير المخفوض دون إِعادة الخافض، وذلك لا يحسن.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ بفتح الجيم وإِضافته إِلى «الرَّبِّ» تعالى.

وقال جمهور المفسرين: معناه: عظمته.

وروي عن أَنس أَنه قال: كان الرجل إِذا قرأَ البقرة وآل عمران جَدَّ في أَعيننا، أَي عَظُم[١].

وقال أَنس بن مالك، والحسن: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾: غناه[٢].

فهذا هو من الجَدِّ الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «وَلَا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ»[٣].

وقال مجاهد: ذِكْرُهُ[٤]، [وقال بعضهم: جلالُه.

وقال ابن عباس: قَدْرُه وَأَمْرُهُ[٥].

وهذا][٦] كله مُتَّجه؛ لأن الجَدَّ هو حظ المجدود من الخيرات والأوصاف الجميلة، وَجَدُّ الله تعالى: هو الحظُّ الأَكمل من السلطان القاهر والصفات[٧] العليَّة والعظمة.

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٣/ ١٢٠-١٢١)، ومسلم (٢٧٨١) من حديث أنس رضي الله عنه واللفظ لأحمد.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٤٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٥٩)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٠)، وقول أنس في تفسير القرطبي (١٩/ ٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شعبة: أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: «... اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ١١٠)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٦٠).

(٥) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٤٨)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٥٠) من طريق أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٦) ما بين معكوفتين سقط من الأصل.

(٧) في المطبوع: «الطبقات».

ومن هذا قول اليهودي حين قدم رسول الله ﷺ المدينة: «يا بني قَيلة هذا جَدُّكُم الذي تنتظرون»[١]؛ أَي: حظكم من الخيرات وبختكم.

وقال علي بن الحسين، وأَبو جعفر الباقر، وابنه جعفر، والربيع بن أَنس: ليس لله جَدٌّ، وهذه مقالة قوم جهلة من الجن جعلوا الله تعالى جَدّاً؛ أَي: أَبا أَبٍ[٢].

قال كثير من المفسرين: هذا قول ضعيف، وقولهم: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ يدفعه، وكونهم فيما روي على شريعة متقدمة وفهمهم للقرآن.

وقرأَ محمد بن السَّميفع اليماني: (جَدَى ربِّنَا)، وهو من الجدوى[٣] والنَّفْع.

وقرأَ عكرمة: (جَدٌّ رَبُّـنَا) بفتح الجيم وضم الدال وتنوينها ورفع الرب، كأَنه يقول: تعالى عظيم هو ربُّنا، و(رَبُّـنَا) بدلٌ، والجَدُّ: العظيم في اللغة.

وقرأَ حميد بن قيس: (جُدُّ رَبِّنَا) بضم الجيم، ومعناه: العظيم، حكاه سيبويه وَبإِضَافَته إِلى «الرَّبِّ»، فكأَنه قال: عَظِيم ربِّنَا، وهذه إِضافة تجديد[٤]، يوقع النحاةُ هذا الاسم إِذا أُضيفت الصفة إِلى الموصوف، كما تقول: جاءني كريمُ زَيْدٍ، تريد: زيدٌ الكريم، ويجري مجرى هذا عند بعضهم قول المتنبي:

.... عَظيـمُ الْمُلـكِ فـي الْمُقَل[٥] [البسيط]

---

(١) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣٠٩٥) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر ابن الزبير، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ فذكره بلفظ مطول، وعبد الرحمن بن سالم بن عتبة، ويقال ابن عبد الله، ويقال ابن عبد الرحمن بن عويم ابن ساعدة الأنصاري المدني مجهول، كما في التقريب (٣٨٦٨).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٠).

(٣) في الأصل: «الجدى»، وفي الأسدية ٤: «الجد».

(٤) في المطبوع والأسدية ٤ والأسدية ٣: «تجريد»، وفي المطبوع والأسدية ٣: «يرفع» بدل «يوقع».

(٥) صدره: مُطَاعَةُ اللَّحظِ في الألحاظِ مالِكَةٌ ... لمقلتيها، انظر عزوها له في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٤/ ٧١٦)، وشرح المشكل من شعر المتنبي (١/ ٦٢)، وشرح ديوان المتنبي للواحدي (١/ ٢٤٥).

أَراد: المُلْك العظيم، قال بعض النحاة: وهذا المثال معترض؛ لأَنه أَضاف إِلى جنس فيه العظيم والحقير.

وقرأَ عِكْرمة أَيضاً: (جَدّاً رَبُّنَا) بفتح الجيم والدال وتنوينها ورفع «الرَّب»، نصب (جَدّاً) على التمييز كما تقول: تَفَقَّأْتُ شحْماً، وتَصَبَّبْتُ عرقاً.

وقرأَ قتادة: (جِدّاً ربُّنا) بكسر الجيم وشدِّ الدال ورفع «الرَّب»[1]، فنصب (جدّاً) على الحال، ومعناه: حقيقة ومتمكناً، وهذا معنى غير الأَول.

وقرأَ أَبو الدرداءِ: (تَعَالَى ذِكْرُ ربِّنَا)، وروي عنه: (جلالُ رَبِّنا)[2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ﴾، لا خلاف أَن هذا قول الجن، وكَسْرُ الأَلف فيه أَبْيَن، وفَتْحها لا وَجْه له إِلا اتباع العطف على الضمير، كأَنهم قالوا: وآمَنَّا الآن بأَن سفيهنا كان قوله على الله شططاً، والسَّفيه المذكور قال جمهور من المفسرين: هو إِبليس لعنه الله.

وقال آخرون: هو اسم جنس لكل سفيه منهم. ولا محالة أَن إِبليس صَدْرٌ في السفهاءِ، وهذا القول أَحسن.

و«الشَّطَطُ»: التَّعدي وتجاوز الحدِّ بقول أَو بفعل، ومنه قول الأَعشى:

[البسيط] أَتَـنْـتَـهُـونَ وَلَا يَنْهَـى ذَوي شَـطَطٍ كالطَّعْنِ يَذْهَبُ فيه الزَّيْتُ والْفُتُلُ[3]

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ هو كلام أُولئك النفر من الجن، لا يحتمل غير ذلك، وكسر الأَلف فيه أَبين، والمعنى: إِنا كنا نظن قبل إِيماننا أَن الأَقوال التي نسمع من إِبليس

---

(١) هذه خمس قراءات شاذة، انظر الأولى في تفسير القرطبي (١٩/ ٩)، والثانية والرابعة في المحتسب (٢/ ٣٣٢)، والأولى والثالثة في البحر المحيط (١٠/ ٢٩٥)، وعزاهما الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨٧) لعكرمة.

(٢) وهما شاذتان، تابعه عليهما في تفسير الثعالبي (٥/ ٤٩٤)، والثانية في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٣٤) تفسير.

(٣) البيت من معلقته، وقد تقدم في تفسير البسملة.

وغواة الجن والإِنس في جهة الآلهة وما يتعلق بذلك حق وليست بكذب؛ لأَنا كنا نظن بهم أَنهم لا يكذبون على الله تعالى ولا يرضون ذلك.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿تَقُولَ﴾ [بالتاءِ وضم القاف مخففة][1].

وقرأَ الحسن، والجحدري، وابن أَبي بكرة، ويعقوب: (تَقَوَّلَ) بفتح التاءِ والقاف والواو مشددة[2]، والتَّـقَوُّل خاص بالكذب، والقول عامٌّ له وللصدق، ولكن قولهم: ﴿كَذِبًا﴾ يردُّ القول هنا إِلى معنى التَّقَوُّل / . [٥/ ٢٤١]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

هذه الأَلف من ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ﴾ مما اختلف في فتحها وكسرها، والكسرُ أَوجَهُ.

والمعنى في الآية: ما كانت العرب تفعله في أَسفارها وتغرُّبها في الرعي وغيره، فإِن جمهور المفسرين رَوَوْا أَن الرجل كان إِذا أَراد المبيت والحلول في وادٍ صاح بأَعلى صوته: يا عزيز هذا الوادي إِني أَعوذ بك من السفهاءِ الذين في طاعتك، فيعتقد بذلك أَن الجنيَّ الذي بالوادي يمنعه ويحميه، فروي أَن الجن كانت تقول عند ذلك: ما نملك لكم ولا لأَنفسنا من الله شيئاً[3].

قال مقاتل: أَول من تعوَّذ بالجن قوم من أَهل اليمن، ثم بنو حنيفة، ثم فَشَا ذلك في العرب[4].

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من الأصل والأسدية ٤ ونجيبويه.

(٢) وهي شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٣٣٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٠)، وتفسير الماوردي (٦/ ١١١).

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٠).

وروي عن قتادة: أَن الجن كانت لذلك تحتقر بني آدم وتزدريهم لما ترى من جهلهم، فكانوا يزيدونهم مخافة، ويتعرضون للتخيُّل لهم بمنتهى طاقتهم، ويغوونهم في إِرادتهم لما رأَوا رقَّة أَحلامهم، فهذا هو الرَّهَق الذي زادته الجنُّ بني آدم(١).

وقال مجاهد، والنَّخعي، وعبيد بن عمير: بنو آدم زادوا الجن رهقاً وهو الجرأَة والانتحاءُ عليهم والطغيان وغشيان المحارم والإِعجاب لأَنهم قالوا: سُدْنا الجنَّ والإِنس(٢).

وقد فسَّر قوم الرهق بالإِثم، وأَنشد الطبري في ذلك بيت الأَعشى:

[البسيط] لَا شَيْءَ يَنْفَعُني مِنْ دونِ رُؤْيَتِهَا هَلْ يَشْتَفِي وَامِقٌ ما لَمْ يُصِب رَهَقَا(٣)

وقال: معناه: ما لم يغش محرماً، فالمعنى: زادت الجنُّ الإِنسَ إِثماً؛ لأَنهم عظموهم فزادوهم استحلالاً لمحارم الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ﴾ يريد بني آدم الكفار، ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ مخاطبة لقومهم من الجن، وقولهم: ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ يحتمل معنيين: أَحدهما: بعث الحشر من القبور، والآخر: بعث آدميٍّ رسولاً، و﴿أَن﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن لَّن﴾ مخففة من الثقيلة، وهي تسدُّ مَسَدَّ المفعولين، وذكر المهدوي تَأويلاً أَن المعنى: وأَن الجنَّ ظنُّوا كما ظننتم أَيها الإِنس، فهي مخاطبة من الله تعالى(٤).

وقولهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ معناه: الْتَمَسْنا، ويظهر بمقتضى كلام العرب أَنها استعارة لتجربتهم أَمرها وتعرضهم لها، فسمَّى ذلك لَمْساً إِذ كان اللَّمْس غاية غرضهم، ونحو هذا قول المتنبي:

[الطويل] تَعَدَّ الْقُرَى وَالْمسْ بنا الْجَيْشَ لَمْسَةً تبادر إِلَى مَا تَشْتَهي يَدَكَ الْيُمْنَى(٥)

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٦٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥٦)، ولم أقف على قول عبيد بن عمير.

(٣) انظر عزوه له في تفسير الطبري (٢٣/ ٦٥٦)، وتفسير الماوردي (٦/ ١١١)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥١).

(٤) التحصيل للمهدوي (٦/ ٤٩٦).

(٥) انظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي (ص: ٢٣٠).

فعبَّر عن صدم الجيش بالجيش وحربه باللَّمس، وهذا كما تقول: الْمس فلاناً في أَمر كذا؛ أَي: جرب مذهبه فيه.

و﴿مُلِئَتۡ﴾ إِما أَن تكون في موضع المفعول الثاني لـ(وجدنا).

وإِما أَن يقصر الفعل على مفعول واحد وتكون ﴿مُلِئَتۡ﴾ في موضع الحال.

وكان الأَعرج يقرأُ: (مُلِيَتْ) بغير همز[١].

و«الشُّهُبُ»: كواكب الرجم.

و«الْـحَرَسُ»: يحتمل أَن يريد الرمي بالشهب وكرَّر المعنى بلفظ مختلف، ويحتمل أَن يريد الملائكة.

و﴿مَقَٰعِدَ﴾ جمع مقعد، وقد فسَّر رسول الله ﷺ صورة قعود الجن أَنهم كانوا واحداً فوق واحد، فمتى أُحْرِق الأَعلى طلع الذي تحته مكانه، فكانوا يسترقون الكلمة فيبلغونها إِلى الكهان ويزيدون معها، ويزيد الكهان للكلمة مئة كذبة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ﴾ الآية، قطع على أَنه كل من استمع الآن أَحرقه شهاب، فليس هنا بَعْدُ سَمْعٌ، إِنما الإِحراق عند الاستماع، وهذا يقتضي أَن الرجم كان في الجاهلية ولكنه لم يكن بمستأصل، وكان الحرس ولكنه لم يكن شديداً، فلما جاءَ الإِسلام اشتد الأَمر حتى لم يكن فيه يُسْر ولا سماحة.

ويدل على هذا قولُ النبي ﷺ لأَصحابه وقد رأَوْا كوكباً راجماً: «ماذا كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟»، قالوا: كنا نقول: وُلد ملك، مات ملك، فقال ﷺ: «ليس الأَمر كذلك»، ثم وصف صورة صعود الجن[٢].

---

(١) عشرية لأبي جعفر كما في النشر (١/ ٣٩٦)، ورواها الأصبهاني عن ورش والأعشى عن شعبة في جامع البيان (٤/ ١٦٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٢٩) وغيره من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بلفظ مطول.

وقد قال عَوْف بن الخَرِع، وهو جاهلي:

[أحذ الكامل] فَـانْـقَـضَّ كـالـدُّرِّيِّ يَـتْـبَـعُـهُ نَـقْـعٌ يَـثـورُ تَـخالُـهُ طُـنُـبـاً[1]

وهذا في أَشعارهم كثير.

و﴿رَّصَدًا﴾ نعت للشِّهابِ، ووصفه بالمصدر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية، معناه: لا ندري، أَيُؤْمن الناس بهذا النبي فيرشُدوا، أَم يكفرون به فينزل بهم الشَّرُّ؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴿١٥﴾﴾.

[هذا كله من قول الجن إِلى آخر قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾][2].

وقولهم: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أَي غير الصالحين، كأَنهم قالوا: ومنا قوم أَو فرقة دون صالحين، وهي لفظة تقع أَحياناً موقع «غير».

و«الطَّرائِقُ»: السِّيَر المختلفة، و«الْقِدَدُ» كذلك: هي الأَشياءُ المختلفة، كأَنه قَدْ قُدَّ بعضها من بعض وفصل.

---

(١) البيت لأوس بن حَجَر، في أول قصيدة في ديوانه، وأما بيت عوف فهو:

يردّ علينا العير من دون إلفه أو الثّور كالدّرّيّ يتبعه الدّم

انظر: المعاني الكبير (٢/ ٧٣٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ١١٢)، والحيوان (٦/ ٤٥٩)، وتفسير الزمخشري (٤/ ٦٢٦)، وفي حماسة الخالديين (ص: ٩٨)، أن الشاهد لشريح بن أوس ولعله مأخوذ من تشكيك الجاحظ بقوله في الحيوان (٦/ ٤٦١) وهذا الشّعر ليس يرويه لأوس إلّا من لا يفصل بين شعر أوس ابن حجر، وشريح بن أوس. والنَّقع: الغبار الثائر اللامع، والطُّنُبُ: الفسطاطُ المضروب.

(٢) سقط من الأصل.

قال ابن عباس[١]، وعكرمة، وقتادة: ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾: أَهْوَاءً مختلفة[٢].

وقال غيرهم: فرق مختلفون، قال الكميت:

جَمَعْتَ بالرَّأْيِ مِنْهُمْ كُلَّ رافِضَةٍ إِذْ هُمْ طَرَائِقُ في أَهْوَائِهِمْ قِدَدُ[٣] [البسيط]

قولهم: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾، الظَّن هنا بمعنى العلم، وهذا إِخبارٌ منهم عن حالهم بعد إِيمانهم كما سمعوا من محمد ﷺ.

و﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يريدون به القرآن، سمَّوه هدى من حيث هو سبب الهدى.

و«الْبَخْسُ»: النقص، و«الرَّهَقُ»: تحميل ما لا يطاق وما يثقل من الأَنكاد ويَفدح.

وقال ابن عباس: «البَخْسُ»: نقص الحسنات، و«الرَّهق»: الزيادة في السيئات[٤].

وقرأ الأَعمش ويحيى بن وثاب: (فلا يَخَفْ) بالجزم دون أَلف[٥].

وقسَّم الله تعالى بعد ذلك حالَ الناس في الآخرة على نحو ما قسَّم / قائلُ الجن [٥/ ٢٤٢] بقوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾.

و(القاسِطُ): الظالم، قاله مجاهد، وقتادة، والناس[٦]، ومنه قول الشاعر:

قَـوْمٌ هُـمُ قَـتَلَـوا ابْـنَ هِنْـد عَنْوَةً عَمْراً وَهمْ قَسَطُوا عَلَى النُّعْمانِ[٧] [الكامل]

والْمُقْسِط: العادل، وإِنما هذا التقسيم ليذكر حال الفريقين من النجاة والهلكة،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٥٩) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٧٥٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٦٩).

(٣) البحر المحيط (١٠/ ٢٩١).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٦٠)، وابن أبي حاتم كما في الإتقان (٢/ ٥٠) من طريق عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا يخاف نقصاً من حسناته، ولا زيادة في سيئاته.

(٥) وهي شاذة، انظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٣٣).

(٦) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٦١).

(٧) البيت للفرزدق كما في الشعر والشعراء (١/ ٢٢٩)، والأغاني (١١/ ٥٧)، وتفسير السمعاني =

ويُـرَغِّب في الإِسلام من لم يدخل فيه، فالوجه أَن يكون ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ مخاطبةً من الله تعالى لمحمد ﷺ، ويؤيده ما بعده من الآيات.

و﴿تَحَرَّوْاْ﴾ معناه: طلبوا باجتهادهم.

ومنه قول النبي ﷺ: «لا تَتَحَرَّوْا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها»[1].

وقوله تعالى: ﴿لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ نظير قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]، [التحريم: ٦].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾.

الضمير في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، قال أَبو مِجْلز، والفراءُ، والربيع بن أَنس، وزيد ابن أَسلم، والضحاك ـ بخلاف عنه ـ: هو عائد على قوله: ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾[2].

و﴿ٱلطَّرِيقَةِ﴾: طريقة الكفر، أَي: لو كفر من أَسلم من الناس لأَسقيناهم إِملاءً لهم واستدراجاً.

وقال ابن عباس[3]، وقتادة، وابن جبير، ومجاهد: الضمير عائد على «القاسطين»[4].

= (٦/ ٦٨)، يمدح بني تغلب ويهجو جريراً، وابْنُ هِنْد هو عَمْرو بن المنذر اللخمي، ملك الحيرة في الجاهلية، وكان شديد البأس، قتله عمرو بن كلثوم.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٨٥)، ومسلم (٨٢٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٩٣)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٦٢) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ يعني بالاستقامة: الطاعة. فأما الغدق: فالماء الطاهر الكثير ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ يقول: لنبتليهم به.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٦٢)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٧١)، وتفسير الماوردي (٦/ ١١٦).

والمعنى: على طريقة الإِسلام والحق لأَنعمنا عليهم[١].

وهذا المعنى نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾، وقوله: ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦].

وهذا القول أَبْيَن، لأَن استعارة الاستقامة للكفر قلقة.

وقرأَ الأَعمش، وابن وثاب: (وأن لَوُ استقاموا) بضم الواو، وقال أَبو الفتح: هذا تشبيه بواو الجماعة ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ﴾ [البقرة: ١٦][٢].

و«الماءُ الغَدَقُ»: هو الماءُ الكثير.

وقرأَ جمهور الناس: ﴿غَدَقًا﴾ بفتح الدال، وقرأَ عاصم في رواية الأَعمش عنه بكسرها[٣].

وقوله تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ إِن كان المسلمون فمعناه: لنختبرهم.

وإِن كان القاسطون فمعناه: لنمتحنهم ونستدرجهم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حيث يكون الماءُ فَثَمَّ المال، وحيث المالُ فَثَمَّ الفتنة[٤] ونزع بهذه الآية.

وقال الحسن، وابن المسيَّب، وجماعة من التابعين: كانت الصحابة مطيعين سامعين، فلما فتحت كنوز كسرى وقيصر وثب بعثمان رضي الله عنه فَقُتل وثارت الفِتَنُ[٥].

---

(١) «لأنعمنا عليهم» ليست في المطبوع.

(٢) وهي شاذة، انظرها مع التوجيه في المحتسب (٢/ ٣٣٢).

(٣) وهي شاذة، عزاها له في مختصر الشواذ (ص: ١٦٣)، وعزاها الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨٨) لرواية أبان عنه.

(٤) منقطع، أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٦٣) من طريق المطلب بن زياد، عن السدي قال: قال عمر بنحوه، والسدي لم يدرك عمر.

(٥) تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٣).

و﴿نسْلُكْهُ﴾ معناه: ندْخله.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿يَسْلُكْهُ﴾ بفتح الياءِ، أَي: يسلكه الله.

وقرأ بعض التابعين: (يُسْلِكْهُ) بضم الياءِ، من أَسْلَكَ، وهما بمعنى[(١)].

وقرأ باقي السبعة: ﴿نَسْلُكْهُ﴾ بنون العظمة[(٢)].

وقرأ ابن جندب: (نُسْلِكْهُ) بنون مضمومة ولام مكسورة[(٣)].

و﴿صَعَدًا﴾ معناه: شاقًّا، تقول: فلان في صَعَدٍ من أَمره؛ أَي: في مشقة، وهذا أَمر يتصَعَّدني.

قال عمر رضي الله عنه: ما تصعَّدني شيءٌ كما تتصَعَّدني خطبة النكاح[(٤)].

وقال ابن عباس، وأَبو سعيد الخدري: صَعَد: جبل في النار[(٥)].

وقرأ قوم: (صُعُداً) بضم الصاد والعين.

---

(١) وهي شاذة، تابعه عليها في البحر المحيط (١٠/ ٣٠٠).

(٢) هذه والأولى سبعيتان، انظر التيسير (ص: ٢١٥).

(٣) كذا في أحمد٣، وهو مسلم عزاها له في الثعلبي (١٠/ ٥٤)، ومختصر الشواذ (ص: ١٦٣)، وهي شاذة، وفي نور العثمانية: «جندب»، وفي المطبوع وسائر النسخ الخطية: «ابن جبير»، ولم أجدها له.

(٤) منقطع، هذا الأثر أورده الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري» (٤/ ١٠٠) وقال: رواه أبو عبيد القاسم بن سلام، وإبراهيم الحربي في «غريبيهما» من حديث حماد ابن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عمر أنه قال ما تصعدني شيء إلى آخره، وعروة بن الزبير لم يدرك عمر، فائدة: قال الدينوري في المجالسة (١٤٩٩): حدثنا أحمد نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سلام قال سئل بعض أهل اللغة عن قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما تصعدني كلام كما تصعدتني خطبة النكاح؟ فقال كانت الخطباء تخطب قياماً متكئين على شيء إلا في خطبة النكاح فكانوا يستحبون أن يكونوا في المحفل وقرب الوجوه من الوجوه ونظر الأحداق في أجواف الأحداق، لأنه إذا كان جالسا لابد له من ذلك، وإذا علا المنبر صاروا سوقة ورعية وهو فوقهم. اهـ.

(٥) أسانيدهما لينة، أخرجه هناد في الزهد (٢٨٠)، والطبري (٢٣/ ٦٦٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٤) من طريق إسرائيل بن يونس، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه به، =

وقرأ الجمهور بفتح الصَّاد والعين.

وقرأ ابن عباس، والحسن بضم الصاد وفتح العين[١].

قال الحسن: معناه: لا راحة فيه[٢].

ومَنْ فَتَح الأَلف من ﴿أَنَّ الْـمَساجِدَ لله﴾ جعلها عطفاً على قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ﴾، ذَكَرَهُ سيبويه[٣].

و﴿ٱلْمَسَـٰجِدَ﴾ قيل: أَراد بها البيوت التي للعبادة والصلاة في كل مِلَّة.

وقال الحسن: أَراد كل موضع سُجد فيه، كان مخصوصاً لذلك أَو لم يكن[٤]؛ إِذ الأَرض كلها مسجد لهذه الأُمة.

ورُوي: أَن هذه الآية نزلت بسبب تغلُّب قريش على الكعبة حينئذ، فقيل لمحمد ﷺ: المواضع كلها لله تعالى فاعبده حيث كان[٥].

= أما حديث أبي سعيد الخدري فقد أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/ ٩٦) زوائد نعيم بن حماد، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣١)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٣٠)، والطبري (٢٣/ ٢٢)، وابن أبي حاتم (١٩٠٣٤)، والبيهقي في البعث (٥٣٨) من طريق عمار الدهني، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ قال: «هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت»، وأخرجه أحمد (١٨/ ٢٤٠)، والترمذي (٣٣٢٦)، والطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٣) وغيرهم من طريق دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ: «الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً، ثم يهوي به كذلك منه أبداً».

(١) وهي شاذة، عزاها لهما الكرماني في الشواذ (ص: ٤٨٨)، والأولى شاذة أيضاً، انظر: البحر المحيط (١٠/ ٣٠٠).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (١٢/ ٥٤).

(٣) الكتاب لسيبويه (٣/ ١٢٧).

(٤) تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٤).

(٥) لم أقف عليه.

وقال ابن عطاءٍ: المساجد: الآراب التي يُسجد عليها[(١)]، واحدها: مَسْجَد بفتح الجيم.

وقال سعيد بن جبير: نزلت الآية لأَن الجن قالت: يا رسول الله كيف نشهد الصلاة معك على نأْينا عنك؟ فنزلت الآية ليخاطبهم بها على معنى: إِنَّ عبادتكم حيث كنتم مقبولة[(٢)].

وقال الخليل بن أَحمد: معنى الآية: ولأَن المساجد لله فلا تدعوا؛ أَي: لهذا السبب، وكذلك عنده ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ... فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ [قريش: ١-٣]، وكذلك عنده ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢][(٣)].

والمساجد المخصوصة بَيِّنة التمكن في كونها لله تعالى، فيصح أن تفرد للصلاة والدعاءِ وقراءة العلم وكل ما هو خالص لله تعالى، وأَلَّا يتحدث فيها في أُمور الدنيا، [ولا يتَّجر][(٤)]، ولا تُتَّخذ طرقاً، ولا يْجعل فيها لغير الله تعالى نصيب.

ولقد قعدتُ للقضاءِ بين المسلمين في المسجد الجامع بالمرية مدة، ثم رأَيت فيه من سوءِ خُلق المتخاصمين وصياحهم وَأيْمانهم وفجور الخصام وغائلته ودخول النسوان ما رأَيتُ تنزيهَ البيت عنه، فقطعت القعود للأَحكام فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أَن يكون خطاباً من الله تعالى.

ويحتمل أَن يكون إِخباراً عن الجن.

وقرأَ بعض القراءِ على ما تقدم: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ بفتح الأَلف، وهذا عطف على قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾.

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٦٥)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٧٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٤).

(٣) انظر كلامه على هذه الآية في الجمل في النحو (ص: ٢٢٢).

(٤) سقط من الأصل.

و«الْعَبْدُ» على هذه القراءَة، قال قوم: هو نوح عليه السلام، والضمير في ﴿كَادُواْ﴾ لِكُفَّار قومه.

وقال آخرون: هو محمد ﷺ، والضمير في ﴿كَادُواْ﴾ للجن، والمعنى: أَنهم كادوا يَتَقَصَّفُون[١] عليه لاستماع القرآن.

وقرأَ آخرون: ﴿وَإِنَّهُ﴾ بكسر الهمزة[٢]، و«العَبْدُ» محمد ﷺ، والضمير في ﴿كَادُواْ﴾ «كادُوا» يحتمل أَن يكون للجن على المعنى الذي ذكرناه، ويحتمل أَن يكون لكفار قومه وللعرب في اجتماعهم على ردِّ أَمره.

ولا يتَّجه أَن يكون «العبد» نوحاً عليه السلام إِلَّا على تحامل في تأْويل نَسَق الآية.

وقال ابن جبير: معنى الآية: أَنها قول الجن لقومهم يحكون[٣]، و«العَبْدُ» محمد ﷺ، والضمير في ﴿كَادُواْ﴾ لأَصحابه الذين يطوعون له ويقتدون به في الصلاة، فهم عليه لِبَدٌ.

و«اللبد»: الجماعات / ، شُبِّهت بالشيءِ المتلَبِّد بعضه فوق بعض، ومنه قول عبد مناف ابن ربع: [٥/ ٢٤٣]

[البسيط]

صابـوا بِسِـتَّـةِ أَبْـيـاتٍ وَأَرْبَـعَـةٍ ... حَـتَّى كَـأَنَّ عَلَـيْهِمْ جَانِياً لِبَدَا[٤]

يريد الجراد، سماه جانِياً؛ لأَنه يَجْني الأَشياءَ بأَكله، [ويروى: جابياً بالباءِ؛ لأَنه يجبي الأَشياءَ بأَكله][٥].

---

(١) يَتَقَصَّفُون: يجتمعون عليه مع تدافع شديد حتى يقصف بعضهم بعضاً من شدة الزحام.

(٢) انظر: السبعة (ص: ٦٥٦) فقد نسب الكسر لنافع وعاصم فى رواية أبي بكر والمفضل.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٦٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٧٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٥)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٢٠).

(٤) الهذلي، انظر عزوه له في مجاز القرآن (٢/ ٢٧٢)، والحجة للفارسي (٦/ ٣٣٤)، والمحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٥١٢)، وعزاه ابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ٢٠١)، للهذلي، وسماه في المعاني الكبير (٢/ ٦١٥) ساعدة بن جؤية، وفي المطبوع: «صافوا»، وفيه: «جانيا».

(٥) سقط من الحمزوية ونجيبويه، وفي حاشية المطبوع: سقط من أكثر النسخ.

وقرأ ابن عباس وجمهور السبعة: ﴿لِبَدًا﴾ بكسر اللام، جمع لِبْدَة.

وقال ابن عباس: أَعواناً[١].

وقرأ ابن عامر بخلاف عنه، ومجاهد، وابن محيصن: ﴿لُبَداً﴾ بضم اللام وتخفيف الباءِ المفتوحة[٢]، وهو جمع أَيضاً.

ورُوي عن الجحدري (لُبُداً) بضم اللام والباءِ.

وقرأ أَبو رجاءٍ: (لِبَّداً) بكسر اللام [وشدِّ الباءِ المفتوحة.

وقرأ الجحدري والحسن بخلاف عنهما: (لُبَّداً) بضم اللام وشدِّ الباءِ][٣] وهو جمع لَابد.

فإِن قدرنا الضمير للجن فتَقَصُّفهم عليه لاستماع الذكر، [وهذا تأَويل ابن عباس[٤] والضحاك[٥].

وإِن قدرناه للكفار، فبتمالئهم عليه وإِقبالهم على أَمره بالتكذيب والردِّ][٦]، وهذا تَأويل الحسن وقتادة[٧].

و[﴿أَدْعُواْ﴾ معناه: أعبده][٨].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٦٨)، وابن أبي حاتم (١٩٠٠٨) من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عنه.

(٢) وهما سبعيتان، والثانية رواية هشام كما في التيسير (ص: ٢١٥)، والسبعة (ص: ٦٥٦).

(٣) سقط من الأصل، وهذه ثلاث قراءات شاذة، انظرها في الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٦٦) من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ يقول: لما سمعوا النبيّ ﷺ يتلو القرآن، ودنوا منه فلم يعلم حتى أتاه الرسول، فجعل يقرئه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٦٦)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٥).

(٦) سقط من الأصل.

(٧) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٦٧)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٥).

(٨) في الحمزوية ونجيبويه: ﴿يدْعُوا﴾ معناه: يعبده.

وقرأ جمهور السبعة، وعلي بن أَبي طالب رضي الله عنه: ﴿قالَ إِنَّما﴾.

وهذه قراءة تؤيد أَن «العَبْدَ» هو نوح عليه السلام.

وقرأ عاصم، وحمزة، وأَيوب، وأَبو عمرو بخلاف عنه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ﴾[١]، وهذه تؤيد أَنه محمد ﷺ، وإِن كان الاحتمال باقياً من كليهما.

واختلف القراءُ في فتح الياءِ من ﴿رَبِّي﴾ وفي سكونها[٢].

ثم أَمر تعالى محمداً ﷺ بالتبري من القدرة، وأَنه لا يملك لأَحد ضرّاً ولا رشداً، بل الأَمر كله لله تعالى.

وقرأ الأَعرج: (رُشُداً) بضم الراءِ والشين[٣].

وقرأ أُبي بن كعب: (لا أَمْلِكُ لكُمْ غيّاً ولا رشداً)[٤].

وقوله تعالى: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾؛ أَي: من عند سواه.

و«الـمُلْتَحَدُ»: الملجأُ الذي يُمالُ إِليه ويُرْكن، ومنه: الإِلحادُ والميل، ومنه: اللَّحْدُ الذي يُمال به إِلى أَحد شِقَّي القبر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٦٥٧)، وسقط «أبو عمرو» من الأصل، و«أيوب» زيادة من المطبوع ونجيبويه.

(٢) فتحها الحرميان وأبو عمرو وأسكنها الباقون كما في التيسير (ص: ٢١٥).

(٣) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٩)، وقد تقدم مثلها في أول السورة.

(٤) وهي شاذة، عزاها له الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٣١).

اختلف الناس في تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾:

فقال الحسن ما معناه: إنه استثناءٌ منقطع[١]، والمعنى: لن يُجيرني من الله أَحدٌ إِلَّا بلاغاً، فإِنِّي إِن بلَّغتُ رحمني بذلك، والإِجارة للبلاغ مستعارة إِذْ هو سبب إِجارة الله تعالى ورحمته.

وقال بعض النحاة: على هذا المعنى هو استثناءٌ مُتَّصل، والمعنى: لن أَجد مُلْتحداً إِلَّا بلاغاً، أَي: شيئاً أَميل إِليه وأَعتصم به إِلَّا أَن أُبلِّغ وأَطيع فيجيرني الله.

وقال قتادة: التقدير: لا أَملك إِلَّا بلاغاً إليكم، فأَما الإِيمان والكفر فلا أَملكه[٢].

وقال بعض المتأَولين: ﴿إِلَّا﴾ بتقدير الانفصال، و«إِنْ» شرط، و«لا» نافية، كأَنه يقول: ولن أَجد مُلتحداً إِن لم أُبلغ من الله ورسالاته، و﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لابتداءِ الغاية.

[وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ﴾ يريد الكفر بدليل الخلود المذكور.

وقرأ طلحة بن مصرف: (فَأَنَّ لَهُ)[٣] على معنى: فجزاؤه أَنَّ له].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾، ساق الفعل في صيغة الماضي تحقيقاً لوقوعه.

وقوله: ﴿مَنْ أَضْعَفُ﴾ يحتمل أَن تكون ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع على الاستفهام والابتداءِ، و﴿أَضْعَفُ﴾ خبرها.

ويحتمل أَن تكون ﴿مَنْ﴾ في موضع نصب بقوله ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾، و﴿أَضْعَفُ﴾ خبر ابتداءٍ مضمر.

ثم أَمره الله تعالى بالتَّبَـرِّي من معرفة الغيب في وقت عذابهم الذي وُعدوا به.

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٧٠)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٥٦).

(٣) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٦٣)، والشواذ للكرماني (ص: ٤٨٩)، وما بين معكوفتين سقط من الأصل.

و«الأَمَدُ»: المُدَّة والغاية.

و﴿عَـٰلِمُ﴾ يحتمل أَن يكون بدلاً من ﴿رَبِّىٓ﴾، ويحتمل أَن يكون خبر ابتداءٍ مضمر على القطع.

وقرأَ السُّدي: (عَلِمَ) على الفعل، ونصبِ الباءِ[1].

وقرأَ الحسن: (فَلَا يَظْهَرُ) بفتح الياءِ والهاءِ (أَحَدٌ) بالرفع[2].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ معناه: فإِنه يُظْهرُ على ما شاءَ مما هو قليل من كثير، ثم يبثُّ الله تعالى حول ذلك الملك الرسول حَفَظةً رصداً لإِبليس وحزبه من الجن والإِنس.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾، قال قتادة: معناه: ليعلم محمد أَن الرسل قد أَبلغوا رسالات ربهم وحُفظوا ومُنع منهم[3].

وقال سعيد بن جُبير: معناه: ليعلم محمد أَن الملائكة الحفظة الرصد النازلين بين يدي جبريل ـ عليه السلام ـ وخَلْفه قد أَبلغوا رسالات ربهم[4].

وقال مجاهد: معناه: ليعلم من كذَّب أَو أَنكر أَن الرسل قد بلَّغت[5].

قال القاضي أَبو محمد: وهذا العلم لا يقع لهم إِلَّا في الآخرة.

وقيل: معناه: لِـيُعْلَمَ الله رسالَته[6] مبلغة خارجة إِلى الوجود، لأَنَّ علمه سبحانه بكل شيءٍ قد تقدم.

---

(١) وهي شاذة، عزاها في مختصر الشواذ (ص: ١٦٤) لبعض أهل مكة.
(٢) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٩)
(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٧٣)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٢٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٨١).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٨)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٢٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٨١).
(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٧٣)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٨١)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٢٣).
(٦) في نجيبويه والحمزوية: «رسله».

وقرأ الجمهور: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ بفتح الياء[(١)]، أَي: الله تعالى.

وقرأ ابن عباس: (لِيُعْلِمَ) بضم الياءِ[(٢)].

وقرأ أَبو حيوة: (رِسَالَةَ رَبِّهِمْ) على التوحيد[(٣)].

وقرأ ابن أَبي عبلة: (وَأُحِيطَ) على ما لم يُسَمَّ فاعله[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ﴾ معناه: كل شيءٍ معدود.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ الآية مُضَمَّنة أَنه تعالى قد علم ذلك، فعلى هذا الفعل المضمن انعطف وأَحاط وأَحصى، [والله تعالى المُرْشد للصواب بمَنِّه][(٥)].

* * *

(١) في المطبوع ونجيبويه بدله «بفتح اللام».

(٢) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٩).

(٣) وهي شاذة، انظرها في مختصر الشواذ (ص: ١٦٤).

(٤) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٨٩).

(٥) سقط من أحمد٣، وسقطت «أحاط» من نجيبويه، وتكررت بدلها «أحصى» في نور العثمانية.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سُورة المُزمل

وهي مكية كلها في قول المهدويِّ وجماعة[1]، وقال الجمهور: هي مكية إِلاَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ﴾ إلى آخر السورة، فإِن ذلك نزل بالمدينة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ نداءٌ للنبي ﷺ، واختلف الناس، لِمَ نودي بها؟

فقالت عائشة، والنَّخَعي، وجماعة: لأنه كان في وقت نزول الآية مُتزمِّلًا / [٥/ ٢٤٤] بكساءٍ، و«التَّزَمُّل»: الالتفاف في الثياب بِضَمٍّ وتشمير، ومنه قول امرئ القيس:

[الطويل] كــأَنَّ أَبـانـا فـي أَفـانيـنِ وَدْقِـهِ ... كَبيرُ أُنـاسٍ في بِجـاد مُـزَمَّـلِ[2]

وخَفْضُ «مُزَمَّلِ» في هذا البيت هو على الجوار، وإِنما هو نعت لـ«كَبِيرُ».

---

(١) انظر: التحصيل للمهدوي (٦/ ٤٩٦).

(٢) عزاه له في جمهرة أشعار العرب (ص: ١٤٦)، وشرح المعلقات التسع (ص: ١٧٥)، والمعاني الكبير (١/ ٥٤٤)، والكامل (٣/ ٦٨).

فهو ﷺ ـ على قول هؤلاءِ ـ إنما دُعي بهيئة في لباسه.

وقال قتادة: كان تَزَمَّل في ثيابه للصلاة واستعد فنودي على معنى: يَا أَيُّها المستعد للعبادة المتزمِّلُ لها، وهذا القول أَمدح له ﷺ.

وقال عكرمة: معناه: يا أَيها المزمِّلُ للنبوَّة وأَعبائها؛ أَي: المتُشَمِّر المجِدُّ[١].

وقال جمهور المفسرين والزهري بما في البخاري من أَنه ﷺ لمَّا جاءَه المَلَك في غار حراءَ وحاوره بما حاوره رجع رسول الله ﷺ إلى خديجة رضي الله عنها فقال: زَمِّلوني زمِّلوني، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، وعلى هذا نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾[٢].

وفي مصحف ابن مسعود، وأُبيٍّ بن كعب: (يَا أَيُّهَا المُتَزَمِّلُ)[٣].

وقرأَ بعض السلف: (يا أيها المُزَمَّلُ) بفتح الزاي وتخفيفها وفتح الميم وشدها[٤].

والمعنى: الذي زمَّله أَهلُه أَو زُمِّل للنبوة.

وقرأَ عكرمة: (يا أيها المُزَمِّلُ) بكسر الميم وشدها وتخفيف الزاي[٥]؛ أَي: المُزَمِّل نفسه.

واختلف الناس في هذا الأَمر بقيام الليل كيف كان؟

---

(١) انظر القولين في تفسير الطبري (٢٣/ ٦٧٦)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٨٤)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٢٥).

(٢) يشير المصنف إلى حديث عائشة الذي في الصحيحين، ولكن هذا الحديث ليس فيه سبب نزول الآية، وإنما جاء سبب نزول هذه الآية في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري (٣٢٣٨)، ومسلم (١٦١) قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه: فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والأرض... فرجعت فقلت: زملوني زملوني إلخ، وانظر قول الزهري في الهداية لمكي (١٢/ ٧٧٨٤).

(٣) وهي شاذة، انظر عزوها لهما في الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٠).

(٤) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٩).

(٥) وهي شاذة، عزاها له في زاد المسير (٤/ ٣٥٢).

فقال جمهور أَهل العلم: هو أَمر على جهة الندب قد كان لم يُفرض قط، ويؤيد هذا الحديثُ الصحيح: أَن رسول الله ﷺ قام ليلة في رمضان خلف حصير احتجره فصلَّى وصلَّى بصلاته ناس، ثم كثروا من الليلة القابلة، ثم غص المسجد بهم في الثالثة أَو الرابعة فلم يخرج رسول الله ﷺ، فحصبوا بابه فخرج مغضباً وقال: «إِنِّي إِنما تركت الخروج لأَني خفت أَن تفرض عليكم»[١]، وقيل: إِنه ﷺ لم يكلمهم إِلاَّ بعد أَن أَصبح.

وقال آخرون: كان فرضاً في وقت نزول هذه الآية، واختلف هؤلاءِ:

فقال بعضهم: كان فرضاً على النبي ﷺ خاصة وبقي كذلك حتى توفي ﷺ.

وقيل: بل نُسخ عنه ولم يمت إِلَّا والقيام تطوع.

وقال بعضهم: كان فرضاً على الجميع، ودام الأَمر على ما قال سعيد بن جبير عشر سنين[٢].

وقالت عائشة، وابن عباس رضي الله عنه: دام عاماً[٣]، ورُوي عنها أَيضاً: أَنه دام ثمانية أَشهر ثم رحمهم الله تعالى، فنزلت: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ فخفف عنهم[٤].

وقال قتادة: بقي عاماً أَو عامين[٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٩٢٤)، ومسلم (٧٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٢٥).

(٣) قول عائشة رضي الله عنها أخرجه مسلم (٧٤٦) وغيره، وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما فقد أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٧٨) من طريق سماك، عن عكرمة، قال: سمعت ابن عباس يقول: لما نزلت أول «المزمل» كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان، وكان بين أولها وآخرها نحو من سنة، وأخرجه الطبري أيضاً (٢٣/ ٦٧٨) وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٢٥٤) من طريق أبي أسامة، عن مسعر، عن سماك قال سمع ابن عباس فذكره بنحوه.

(٤) ضعيف، أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٧٨-٦٧٩)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٢٥٤) من طريق موسى بن عبيدة الربذي، عن محمد بن طحلاء مولى أم سلمة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة فذكره بلفظ مطول، وموسى بن عبيدة الربذي ضعيف.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٧٩)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٨٧)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٨١).

وقرأَ أَبو السمال: (قُمُ الليل) بضَم الميم[١] لاجتماع الساكنين.

والكسر في كلام العرب أَكثر كما قرأَ الناس.

وقوله تعالى: ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ يحتمل أَن يكون بدلاً من ﴿ٱلَّيۡلَ﴾.

ويحتمل أَن يكون بدلاً من قوله: ﴿قَلِيلٗا﴾.

وكيف تقلَّب المعنى فإِنه أَمر بقيام نصف الليل أَو أَكثر شيئاً أَو أَقل شيئاً، فالأَكثر عند العلماءِ لا يزيد على الثلثين، والأَقل لا ينقص عن الثُّلث.

ويقوي هذا حديث ابن عباس في بيت ميمونة رضي الله عنها، قال: فلما انتصف الليل أَو قبله بقليل قام رسول الله ﷺ[٢].

ويلزم على هذا البدل الذي ذكرناه أَن يكون نصف[٣] الليل قد وقع عليه الوصف بـ(قليل).

وقد يحتمل عندي قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ أَن يكون استثناءً من القيام، فيجعل الليل اسم جنس، ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾؛ أَي: الليالي التي تُخل بقيامها عند العُذر البين ونحوه.

وهذا النظر يحسن مع القول بالندب جدّاً.

وقد تكلم الجرجاني في نظمه في هذه الآية بتطويل وتدقيق غير مفيد، أَكثره غير صحيح[٤].

وقرأَ الجمهور: ﴿أو انقص﴾ بضم الواو.

---

(١) وهي شاذة، انظر: تفسير الثعلبي (١٠/ ٥٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣) واللفظ للبخاري.

(٣) «نصف» ليست في المطبوع.

(٤) لم أقف عليه.

وقرأ الحسن، وعاصم، وحمزة بكسر الواو، وقرأ عيسى بالوجهين[١].

والضميران في ﴿مِنۡهُ﴾، و﴿عَلَيۡهِ﴾ عائدان على «النصف».

وقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ﴾ معناه في اللغة: تمهَّل وفرِّق بين الحروف لِتَبين، والمقصد أَن يجد الفكر فسحة للنظر وفهم المعاني، وبذلك يرقُّ القلب ويفيض عليه النور والرحمة.

قال ابن كيسان: المراد تفَهُّمُه تالياً له[٢]، ومنه: الثَّغْرُ الرَّتِل؛ أَي: الذي بينه فُسَح وفُتوح، ورُوي: أَن قراءَة رسول الله ﷺ كانت بَينةً مُتَـرَسِّلةً، لو شاءَ أَحدٌ أَن يعد الحروف لعدها[٣].

و«القول الثقيل»: هو القرآن، واختلف الناس، لم سمَّاه ثقيلاً؟

فقال جماعة من المفسرين: لما كان يحلُّ في رسول الله ﷺ من ثقل الجسم حتَّى أَنه كان إِذا أُوحي إِليه وهو على ناقته بركت به، وحتى كادت فخذه أَن تَرُضَّ فخذ زيد ابن ثابت رضي الله عنه.

وقال أَبو العالية والقرظي: بل سَمَّاه ثقيلاً لثقله؛ على الكفار والمنافقين بإِعجازه ووعيده ونحو ذلك.

وقال حُذَّاق العلماءِ: معناه: ثقيل المعاني من الأَمر بالطاعات والتكاليف الشرعية من الجهاد ونحوه ومزاولة الأَعمال الصالحة دائماً.

قال الحسن: إِن الهَذَّ خفيف، ولكن العمل ثقيل[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾، قال ابن جبير، وابن زيد: هي لفظة

---

(١) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٧٨).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٦٠).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٤) لم أقف عليه.

حبشية، نَشأَ الرجلُ: إِذا قام من الليل[١]، فـ﴿نَاشِئَةَ﴾ ـ على هذا ـ جمع ناشئٍ»؛ أَي: قائم، و﴿أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ معناه: ثبوتاً واستقلالاً بالقيام، ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾؛ أَي: بخُلُوِّ أَفكارهم وإِقبالهم على ما يقرؤُونَه.

قال ابن عمر، وأَنس بن مالك، وعلي بن الحسين: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾: هي ما بين المغرب والعشاءِ[٢].

وقالت عائشة[٣]، ومجاهد: «الناشئة»: القيامُ بعد النوم[٤]، ومن قام أَول الليل قبل النوم فلم يقم ناشئة الليل.

وقال ابن جبير، وابن زيد، وجماعة: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾: ساعاته كلها، لأَنها تنشأُ شيئاً بعد شيءٍ[٥].

وقال ابن عباس، وابن الزبير، وأَبو مجلز، والحسن: ما كان بعد العشاءِ فهو ناشئة الليل، وما كان قبلها فليس بناشئة[٦].

قال ابن عباس: كانت صلاتهم أَول الليل فهي أَشدُّ وَطْـأً[٧]؛ أَي: أَجْدَرُ أَن

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ٦١).

(٢) أثر أنس بن مالك أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٩٧٧)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٩٠) من طريق عمارة بن زاذان، عن ثابت، عن أنس في قوله ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ قال: ما بين المغرب والعشاء، وعمارة ابن زاذان الصيدلاني ليس بذاك. وفي المطبوع وأحمد٣ والأسدية ٣: «ابن عباس» بدل «ابن عمر»، ولم أقف على قول أي منهما، وقول علي في الثعلبي (١٢/ ٦١)، الهداية لمكي (١٢/ ٧٧٩٠).

(٣) لم أهتد إليه.

(٤) انظر: تفسير الماوردي (٦/ ١٢٧).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٨٢)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٦١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٩٠).

(٦) انظر قول أبي مجلز في تفسير الطبري (٢٣/ ٦٨٣)، وقول الحسن في تفسير الماوردي (٦/ ١٢٧)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٩٠).

(٧) انظر: تفسير الثعلبي (١٠/ ٦١).

تحصوا[١] ما فرض الله عليكم من القيام؛ لَأن الإِنسان متى نام لم يدر متى يستيقظ.

وقال الكسائي: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: أَوله[٢].

وقال ابن عباس، وابن الزبير أَيضاً: الليل كله ناشئة[٣].

و﴿أَشَدُّ وَطۡـًٔا﴾ ـ على هذا ـ يحتمل أَن يكون: أَشد ثبوتاً، فيكون نسب الثبوت إِليها من حيث هو للقائم فيها / . [٥/ ٢٤٥]

ويحتمل أَن يريد أَنها صعبة القيام لمنعها النوم، كما قال: «اللهم اشدد وطأَتك على مضر»[٤]، فذكرها تعالى بالصعوبة ليُعْلَمَ عِظَم الأجر فيها، كما قد وعد على الوضوءِ على المكاره والمشي في الظلام إِلى المساجد ونحوه.

وقرأَ الجمهور: ﴿وَطۡـًٔا﴾ بفتح الواو وسكون الطاءِ.

وقرأَ أَبو عمرو، وابن عامر، ومجاهد، وابن الزبير، وابن عباس: ﴿وِطَاءً﴾ على وزن فِعَالٍ[٥].

والمعنى: مُوَافَقَةً؛ لأَنه بخُلوِّ البال من أَشغال النهار وأشغابه[٦] فيُوافِقُ قلبُ المرءِ لسانَه وفِكْرُهُ عبارَتَهُ، فهذه مواطأَةٌ صحيحة، وبهذا المعنى فسَّر اللفظَ مجاهدٌ وغيرهُ.

وقرأَ قتادة في رواية حسين: (وِطْـأًى) بكسر الواو وسكون الطاءِ والهمز مقصورة[٧].

---

(١) في المطبوع والأسدية ٤: «تخصوا».

(٢) انظر عزو ذلك له في غريب الحديث للحربي (٢/ ٨٨١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٩٠).

(٣) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٨٢) والبيهقي في الكبرى (٣/ ١٩) من طريق حاتم بن أبي صغيرة، قال: قلت لعبد الله بن أبي مليكة.. به عن ابن عباس، وابن الزبير رضي الله عنهم به.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٥) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٦). و«ابن عامر» ليس في الأصل.

(٦) «وأشغابه» ليس في المطبوع وأحمد٣، وفي نور العثمانية: «وأسغابه».

(٧) وهي شاذة، انظر: البحر المحيط (١٠/ ٣١٤).

وقرأَ أَنس بن مالك: (وَأَصْوَبُ قِيلاً)، فقيل له: إِنما هو ﴿أَقْوَمُ﴾ فقال: أَقْوَمُ وأَصْوَبُ وأَهْيأُ واحدٌ[(١)].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾؛ أَي: تصرفاً وتردُّداً في أُمورك كما يتردَّد السابح في الماءِ، ومنه سمِّي الفَرَسُ سابحاً؛ لِتَـثَـنِّيه واضطرابه.

وقال قومٌ من أَهل العلم: إِنما معنى الآية: التَّنبيه على أَنه إِن فات حزب الليل بنومٍ أَو عذر فليخلف بالنهار؛ فإِن فيه سبحاً طويلاً.

وقرأَ يحيى بن يَعْمَر: (سَبْخاً طويلاً) بالخاءِ المعجمة[(٢)]، ومعناه: خِفَّة لك من التكاليف.

والتَّسبيخ: التخفيف، ومنه قول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها في السارق الذي سرقها فكانت تدعو عليه: «لا تُسَبِّخِي عنه»[(٣)]، فمعناه: لا تُخَفِّفي عنه.

---

(١) منقطع، أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٠٢٢)، والطبري (٢٣/ ٦٨٥) من طريق أبي أسامة، عن الأعمش، قال قرأ أنس بن مالك فذكره، وأخرجه الطبري في نفس المصدر من طريق عبد الحميد الحماني، عن الأعمش به، والأعمش لم يسمع من أنس بن مالك كما قاله علي بن المديني، وابن معين وانظر: جامع التحصيل (٢٥٨).

(٢) وهي شاذة، انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٨٧)، وتفسير البغوي (٨/ ٢٥٤)، وتفسير الثعلبي (١٠/ ٦٢).

(٣) ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠١٩٣)، وأحمد (٦/ ٤٥-١٣٦)، وأبو داود (١٤٩٩-٤٩١١)، والنسائي في الكبرى (٧٣١٨) وغيرهم من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء بن أبي رباح، عن عائشة قالت: سرق لها شيء فجعلت تدعو عليه فقال لها رسول الله ﷺ: «لا تُسَبِّخِي عَنْهُ»، وهذا إسناد ضعيف؛ لأن عامة أحاديث حبيب بن أبي ثابت عن عطاء غير محفوظة كما قاله يحيى بن سعيد القطان، وقال العقيلي: وله عن عطاء غير حديث لا يتابع عليه وانظر: ضعفاء العقيلي (١/ ٢٦٣)، وأخرجه أحمد (٦/ ٢١٥) من طريق إبراهيم بن مهاجر، عن إبراهيم النخعي، عن عائشة قالت: سُرقت مخنقتي، فدعوت على صاحبها فقال النبي ﷺ «لا تسبخي عليه، ودعيه بذنبه»، وهذا إسناد ضعيف؛ لعدم سماع إبراهيم النخعي من عائشة، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٣٩٢٥) من طريق هشام بن عبيد الله الرازي، عن أبي عوانة، عن إسماعيل بن سالم، عن مجاهد، عن عائشة بنحوه، وهذا إسناد ضعيف جدّاً؛ من أجل هشام بن عبيد الله الرازي فإنه متهم بالكذب، وانظر: الميزان (٢/ ٥٢٧).

قال أَبو حاتم: فسَّر يحيى السَّبْح بالنَّوْم[١].

وقال سهلٌ: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ يُراد به: بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداءِ صلاتك[٢].

و(تَبَـتَّـلْ) معناه: انْقطع من كل شيءٍ إِلَّا منه، وافرغ إِليه.

وقال زيد بن أَسلم: «التَّـبَـتُّل»: رفض الدنيا، ومنه: تَـبَـتَّل الحبلُ، وقولهم في الهبات[٣] ونحوها: بَتْلَة، ومنه: البتول، و﴿تَبْتِيلًا﴾ مصدر على غير المصدر.

وقرأَ حمزة، والكسائي، وابن عامر، وعاصم في رواية أَبي بكر: ﴿رَبِّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ﴾ بالخفض على البدل من ﴿رَبِّكَ﴾.

وقرأَ الباقون، وحفص عن عاصم: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ بالرفع[٤] على القطع، أَي: هو ربُّ، أَو على الابتداءِ والخبر ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

وقرأَ ابن عباس، وأَصحاب عبد الله: (رَبُّ المَشَارِقِ وَالمَغَارِب) بالجمع[٥].

و«الوكيلُ»: القائم بالأمر الذي توكل إِليه الأَشياءُ.

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ الآية، قيل: هي مُوادعة منسوخة بآية السيف، والمراد بالآية قريش، وقال بعض العلماءِ: قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ منسوخ، وأَما الصبر على ما يقولون فقد يتوجه أَحياناً ويبقى حكمه فيما يتوجه من الهجر الجميل بين المسلمين.

قال أَبو الدَّرْداءِ: إِنا لنكشِّر في وجوه قوم وإِن قلوبنا لتقليهم[٦].

---

(١) في المطبوع والأسدية ٣ ونجيبويه: «السبخ»، انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٦٨٧).

(٢) تفسير الثعلبي (١٠/ ٦٢).

(٣) في المطبوع وأحمد٣ والأسدية ٣: «المطلقة»، وفي الحمزوية بياض، وفيها «مكة» بدل «بتلة».

(٤) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٦).

(٥) وهي شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٩٠).

(٦) له أسانيد لا تخلو من مقال، أخرجه ابن أبي الدنيا في الحلم (١٠٩)، وفي مداراة الناس (١٩) =

والقول الأَول أَظهر؛ لأَن الآية إِنما هي في كفارِ قريشٍ وردِّهم رسالته وإِعلامِهم بذلك، ولا يمكن أَن يكون الحكم في هذا المقام باقياً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ وعيد لهم، ولم يتعرض أَحدٌ لمنعه منهم لكنه إِبلاغٌ بمعنى: لا تشغل بهم فكراً، وَكِلْهُم إِليَّ.

و﴿ٱلنَّعۡمَةِ﴾: غضارة العيش وكثرة المال، والْمُشار إِليهم كفار قريش أَصحاب القليب ببدر، ويُروى: أَنه لم يكن بين نزول هذه الآية وبين بدر إِلَّا مدة يسيرة نحو عام، وليس الأَمر كذلك، والتقدير الذي يُعَضِّده الدليل من أَخبار رسول الله ﷺ يقتضي أَن بين الأَمرين نحو عشر سنين، ولكن ذلك قليل أُمْهلوه.

و﴿لَدَيۡنَآ﴾ بمنزلة: عندنا.

= من طريق الأحوص بن حكيم، عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء بلفظ إنا لنكشر في وجوه أقوام ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتلعنهم، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٩٢) من طريق الأحوص بن حكيم، عن أبي الزاهرية، عن أبي الدرداء به بدون واسطة، والأحوص بن حكيم ضعيف الحفظ، ومن طريق ابن أبي الدنيا أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٩٢)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨١٠٣) من طريق أبي الأحوص، عن أبي الزاهرية، وعبيدة اليزني، عن أبي الدرداء به، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٩١-١٩٢) من طريق عبد الجبار بن العلاء، عن سفيان بن عيينة، عن خلف بن حوشب، عن أبي الدرداء، وهو منقطع بين خلف بن حوشب وأبي الدرداء، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٩٢ـ ١٩٣)، والحافظ في تغليق التعليق (٥/ ١٠٤) من طريق كامل أبي العلاء، عن أبي صالح، عن أبي الدرداء به. وكامل ضعيف.

و«الأَنْـكَالُ» جمع نِكْلٍ وهو القيد من الحديد، ويروى: أَنها قيود سودٌ من نار.

و«الطعام ذو الغُصَّة»: شجرة الزَّقُّوم، قاله مجاهد وغيرهُ[١].

وقيل: شوك من نار يعترض في حلوقهم لا يخرج ولا ينزل، قاله ابن عباس[٢].

وكل مطعوم هنالك فهو ذو غصة، وروي: أَن النبي ﷺ قرأَ هذه الآية فَصُعق[٣].

والعامل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ الفعلُ الذي تضمنه قوله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾، وهو استقرار أَو ثبوت.

و«الرَّجفان»: الاهتزاز والاضطراب من فزع وهول.

و«الْمَهِيلُ»: اللَّين الرخو الذي يذهب بالريح وَيجيءُ، فهي تُهيله، والأَصل مَهْيُول، استثقلت الضمة على الياءِ فسُكِّنت، واجتمع ساكنان فحذفت الواو، وكسرت الهاءُ بسبب الياءِ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ الآية؛ خطاب للعالم لكن المُواجَهُون قريش.

وقوله تعالى: ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ نحو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٩١)، والهداية لمكي (١٢/ ٧٧٩٨)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٣٠).

(٢) إسناده لين، أخرجه الطبري (٢٣/ ٦٩١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٤، ٥٠٥)، والبيهقي في البعث والنشور (٦٠٥) من طريق أبي عاصم النبيل، عن شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾. قال: شوك يأخذ بالحلق، فلا يدخل ولا يخرج. وشبيب لم يرو عنه إلا أبو عاصم النبيل، وفيه لين.

(٣) ضعيف، أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٦٤)، وأحمد في الزهد (ص: ٢٧)، وهناد في الزهد (٢٦٧)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٨٦)، والطبري (٢٣/ ٦٩١) من طريق وكيع، عن حمزة الزيات، عن حمران بن أعين فذكره معضلاً. وحمران بن أعين الكوفي مولى بني شيبان ضعيف رافضي، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٤٣٦) من طريق حمران بن أعين، عن أبي حرب بن أبي الأسود أن النبي ﷺ سمع رجلاً... الحديث، وهو مرسل.

وتمثيله لهم أَمرهم بفرعون وعيدٌ، كأَنه تعالى يقول: فحالهم من العذاب والعقاب إِن كفروا سائرةٌ إِلى مثل حال فرعون.

وقوله تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ يريد تعالى: موسى عليه السلام، والأَلف واللام للعهد.

و«الْوَبِيلُ»: الشديد الرديءُ العُقبى، يقال: كلأٌ وَبيلٌ ومستوبلٌ: إِذا كان ضارّاً لما يرعاه.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ﴾ معناه: كيف تجعلون واقياً لأَنْفسكم.

و﴿يَوۡمًا﴾ مفعول بـ﴿تَتَّقُونَ﴾، وقيل: هو مفعول بـ﴿كَفَرۡتُمۡ﴾ على أَن تجعله بمنزلة جحدتم، فـ﴿تَتَّقُونَ﴾ ـ على هذا ـ من التقوى؛ أَي: تَتَّقون عقاب الله، ويجوز أَن يكون ﴿يَوۡمًا﴾ ظرفاً، والمعنى: تَتَّقون عقاب الله يوماً.

و﴿يَجۡعَلُ﴾ يصح أَن يكون مُسْنَداً إِلى اسم الله تعالى، ويصحُّ أَن يكون مسنداً إِلى اليوم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾ يريد به صغار الأَطفال، وقال قوم: هذه حقيقة، فتشيب رؤُوسهم من شدة الهول، كما يُرى الشيب في الدنيا من الهمِّ المفرط كهول البحر ونحوه.

[٥/ ٢٤٦] وقال آخرون من المتأَولين: هو تجوز وإِبلاغ في وصف هول ذلك اليوم / .

وواحدُ الوِلدان: وليد، وواحد الشِّيب: أَشْيَب.

قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾، قيل: هذا على النسب؛ أَي: ذات انفطار، كامرأَة حائض وطالق، وقيل: السماءُ تُذَكَّر وتُؤَنَّث، وينشد في التذكير:

[الوافر] فَلَوْ رَفَعَ السَّماءُ إِلَيْهِ قَوْماً لَحِقْنَا بالسَّماءِ مَعَ السَّحَاب[1]

---

(١) بلا نسبة في المخصص (٥/ ١٤٦)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٦٩٦)، وتفسير الثعلبي (١/ ١٦٣).

[وقيل: من حيث لم يكن تأَنيثها حقيقياً جاز أَن تسقط علامة التَّأنيث لها.

وقيل:][١] لم يُرِدْ باللفظ قصد السماءِ بعينها، وإِنما أَراد ما علا من مخلوقات الله تعالى، كأَنه قَصَد قَصْدَ السَّقْف فذكَّر على هذا المعنى، قاله منذر بن سعيد، وأَبو عبيدة مَعْمر، والكسائي[٢].

و«الانْفِطارُ»: التَّصَدُّع والانشقاق على غير نظامٍ يُقصد.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ قال مُنْذِرٌ وغيره: هو عائد على اليوم.

وقال مجاهد: هو عائد على الله تعالى[٣]، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥]؛ أَي: بالغَمام الذي هو ظُلَلٌ يأْتي الله تعالى فيها، والمعنى: يأْتي أَمره وقدرته، وكذلك هنا ﴿مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾؛ أَي: بأَمره وسُلطانه.

والضمير في قوله تعالى: ﴿وَعْدُهُۥ﴾ ظاهر أَنه لله تعالى، ويحتمل أَن يكون لليوم لأَنه يضاف إِليه من حيثُ هو فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾.

الإِشارة بـ﴿هَٰذِهِۦ﴾ يحتمل أَن تكون لما ذكر من الأَنْكال والجحيم والأَخذ الوبيل ونحوه، ويحتمل أَن تكون إِلى السورة بأَجمعها.

---

(١) ليس في أحمد٣، وفيه بدله: «بحيث».

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٤)، وانظر قول منذر والكسائي في البحر المحيط (١٠/ ٣١٩).

(٣) انظره مع قول منذر في البحر المحيط (١٠/ ٣١٩).

ويحتمل أَن تكون إِلى القرآن؛ أي: أَن هذه الأَقوال المنصوصة[١] فيه تذكرة.

و«التَّذْكِرة» مصدر كالذِّكر.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ﴾ الآية، ليس معناه إِباحة الأَمر وضده، بل يتضمن معنى الوعيد والوعد.

و«السَّبيل» هنا: سبيل الخير والطاعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ الآية، نزلت تخفيفاً لما كان استمر استعماله من أَمر قيام الليل إِمَّا على الوجوب أَو على الندب حسب الخلاف الذي ذكرناه.

ومعنى الآية: إِنَّ الله يعلم أَنك تقوم أَنت وغيرك من أُمتك قياماً مختلِفاً فيه، مَرَّةً يكثر ومرَّةً يقلُّ، ومرَّةً أَدنى من الثلثين ومرَّةً أَدنى من الثلث، وذلك لعدم تحصيل البشر لمقادير الزمان مع عذر النوم، وتقدير الزمان حقيقة إِنما هو لله تعالى، وأَما البشر فلا يُحصي ذلك، فتاب الله عليهم؛ أَي: رجع بهم من الثقل إِلى الخفة، وأَمرهم بقراءة ما تيسَّر منه، ونحو هذا تعطي عبارة الفراءِ ومنذر، فإِنهما قالا: ﴿تُحْصُوهُ﴾: تحفظوهُ.

وهذا التأْويل هو على قراءة من قرأَ: ﴿وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ﴾ بالخفض عطفاً على «الثُّلُثَيْن»، وهي قراءة أَبي عمرو، ونافع، وابن عامر.

وأَمَّا من قرأَ ﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ بالنصب عطفاً على ﴿أَدْنَىٰ﴾ ـ وهي قراءة باقي السبعة[٢] ـ فالمعنى عنده آخر، وذلك أَن الله تعالى قد قدَّر أَنهم يُقَدِّرون الزمان على نحو ما أَمر به في قوله: ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، فلم يبق إِلَّا أَن يكون قوله تعالى: ﴿لَّن تُحْصُوهُ﴾[٣]: لن تُطيقوا قيامه لكثرته وشدته، فخفف الله تعالى عنهم فضلًا منه لا لِعِلَّة جهلهم بالتقدير وإِحصاءِ الأَوقات.

---

(١) في المطبوع ونجيبويه: «المنصوبة».

(٢) وهما سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ٢١٦).

(٣) زاد في المطبوع هنا: «بمعنى»، قال في الحاشية: زيادة لتوضيح المراد.

ونحو هذا تعطي عبارة الحسن وابن جبير، فإنهما قالا: ﴿تُحْصُوهُ﴾: تُطيقوهُ[١].

وقرأ جمهور القراءِ والناس: ﴿وَثُلُثَهُۥ﴾ بضم اللام.

وقرأ ابن كثير في رواية شبل عنه: (وثُلْثَهُ) بسكون اللام[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ إباحةٌ، هذا قول الجمهور.

وقال ابن جبير وجماعةٌ: هو فرض لا بُدَّ منه ولو خمسين آية[٣].

وقال الحسن وابن سيرين: قيام الليل فرض، ولو قَدْر حَلْب شاة، إلَّا أَن الحسن قال: من قرأَ مئة آية لم يحاجَّه القرآن[٤]، واستحسن هذا جماعة من العلماءِ[٥]، قال بعضهم: والركعتان بعد العتمة مع الوتر مدخلتان في حكم هذا الأَمر وامتثاله[٦]، ومَنْ زاد زادَهُ الله تعالى ثواباً.

و﴿أَن﴾ في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن﴾ مخففة من الثقيلة، والتقدير: أَنَّه يكون، فجاءت السِّين عوضاً من المحذوف، وكذلك جاءَت في قول أَبي مِحْجَن:

وَلَا تَـدْفِنَـنِّي بـالْفَـلاةِ فَـإِنـنـي ... أَخافُ إِذا ما مِتُّ أَنْ لَا أَذوقُهَا[٧] [الطويل]

و«الضَّرْبُ في الأَرض»: هو السفر للتجارة، وضَرْبُ الأَرض: هو المشي للتَّبَـرُّز والغائط، فذكر الله تعالى أَعذار بني آدم التي هي حائلة بينهم وبين قيام الليل، وهي المرض والسفر في تجارة أَو غزو، فخفف عنهم القيام لها، وفي هذه الآية

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٩٧)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٣٢).

(٢) وهي شاذة، انظر: السبعة (ص: ٦٥٨).

(٣) انظر قول سعيد بن جبير في البحر المحيط لأبي حيان (١٠/ ٣٢١).

(٤) انظر قول الحسن وقول ابن سيرين في تفسير الثعالبي (٤/ ٣٥٦).

(٥) تفسير الماوردي (٦/ ١٣٣).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) كما تقدم في تفسير الآية (٣٣) من (سورة النساء).

فضيلة للضرب في الأَرض بالتجارة وسَوْقٌ لها مع سفر الجهاد، وقال عبد الله بن عمر: أَحبُّ موت إِليَّ بَعْد القتل في سبيل الله أَن أَموت بين شعبتي رَحْلي أَضرب في الأَرض أَبتغي من فضل الله[1].

ثم كرر الله تعالى الأَمر بقراءة ما تَيسَّر منه تأْكيداً، والصلاة والزكاة هنا: المفروضتان، فمن قال إِن القيام بالليل غير واجب قال: معنى الآية: خذوا من هذا النَّفْل ما تَـيَسّر وحافظوا على فرائضكم، ومن قال: إِنَّ شيئاً من القيام واجب قال: قد قَرَنَه الله تعالى بالفرائض لأَنه فرض.

و«إِقراضُ الله تعالى»: هو إسلاف العمل الصالح عنده، وقرأ جمهور الناس: ﴿هُوَخَيْرًا﴾ على أَن يكون ﴿هُوَ﴾ فَصْلاً.

وقرأَ محمد بن السَّميفع، وأَبو السَّمال: (هُوَ خَيْرٌ) بالرفع[2] على أَن يكون (هُوَ) ابتداءً و(خَيرٌ) خبره، والجملة تَسُدُّ مَسَدّ المفعول الثاني لـ﴿تَجِدُوهُ﴾.

ثم أَمَرَ الله تعالى بالاستغفار، وأَوجب لنفسه صفة الغفران، لا إِله غيره، قال بعض / العلماءِ: فالاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الآية ومن قوله تعالى: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۞ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨]. [٥/ ٢٤٧]

قال القاضي أَبو محمد: وعهدتُ أَبِي رحمه الله تعالى يستغفر إِثر كل مكتوبة ثلاثاً

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه الثعلبي (١٠/ ٦٥-٦٦) من طريق عبد الحميد بن صالح، عن أبي عقيل، عن القاسم بن عبيد الله، عن أبيه، عن ابن عمر بنحوه، وأبو عقيل هو يحيى بن المتوكل العمري المدني ضعيف، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٥/ ٦٠) لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في شعب الإيمان ولكن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وانظر: تخريج الكشاف (٤/ ١١٢).

(٢) «بالرفع» ليست في المطبوع، والقراءة شاذة، انظر: الشواذ للكرماني (ص: ٤٩١).

بعقب السلام وَيأْثِرُ في ذلك حديثاً[١]، فكأَن هذا الاستغفار من التقصير وتفلُّت الفكر أَثناءَ الصلاة، وكان السلف الصالح يصلون إِلى طلوع الفجر ثم يجلسون للاستغفار إِلى صلاة الصبح.

* * *

(١) أخرج مسلم (٥٩١) من حديث ثوبان، قال: كان رسول الله ﷺ، إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام».